لشوار

جهاز العروس في مصر

في عصر سلاطين المماليك

دكتورة فايزة الوكيل

كلية الآثار - جامعة القاهرة

دار نهضة الشرق

دار الوفاء

الشـــوار

(جهاز العروس فى مصر)

فى عصر سلاطين المماليك

الدكتورة

فايزة محمود عبد الخالق الوكيل

كلية الآثار - جامعة القاهرة

النـــاشـــر

دار نهضة الشرق **دار الـوفـــاء**

الكتـــــــاب : **الشوار (جهاز العروس في مصر) في عصر سلاطين المماليك**

المـــؤلـــــف : دكتورة فايزة محمود عبد الخالق الوكيل

رقم الطبعـــة : الطبعة الأولى

تاريخ الإصدار : يناير – ٢٠٠١ م

حقوق الطبع والنشر : محفوظة للناشر

الناشران : **دار نهضة الشرق** ٣٢ شارع طلعت حرب (سليمان باشا سابقا) تقـــاطع طلعت حرب مع عبـــد الخـــالق ثـــروت - الـــدور الثـــانى شـــــقة (٨) ت : ٠١٢٢٢٥٩٧٨٨ / ٠١٢٢٤٦٢٤١٩

دار الـــوفـــاء : المكتبة : المنصورة - أمام كلية الطب .

ت : ٠٥٠٣٤٧٤٢٣

الإدارة : المنصورة - شارع الإمام محمـــــد عبـــده المواجه لكلية الآداب .

ت : ٠٥٠٣٤٢٧٢١ / ٠٥٠٣٥٦٢٢٠

رقم الإيداع : 2001/3110

الترقيم الدولى : 977/245/145/X

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا
لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة

صدق الله العظيم

سورة الروم : الآية ٢١

جهاز العروس « الشوار »

إهـــــــداء

« إلى عرائسى الصغيرات - بناتى الحبيبـات اللاتى أتمنى مـــن الله أن أشـــورهن بعـــد إتمـــام دراستهن » .

« وإلى كل عروس مصرية وعربيـــة فـــى سبيلها إلى إعداد عش الزوجية » .

التمهيد

تمهيد

يعتبر إعداد جهاز العروس من أهم ما يشغل بال كل أسرة ، وكثـــيرا مـــا يـــؤدى التنافس بين الأسر إلى إرهاق أنفسهم وبذل كل ما لديهم من أجل جلب النفيـــس والغـــالى لفتياتهم حتى تذهب إلى منزل عريسها بأجمل جهاز يكون مفخرة لهم بين الناس .

وقد اعتاد سلاطين المماليك وأمراؤهم المغالاة فى تجهيز بناتهم وساعدهم على ذلـك عوامل كثيرة منها ثراؤهم والرخاء الاقتصادى والتجارى وازدهار الفنون والصناعات فـــى ذلك العصر بالإضافة إلى تصميم منازلهم (قصورهم) من عدة طوابق وكل طـــابق مـــن عدد كبير من الحجرات والردهات الواسعة بشكل يسمح باستيعاب ما يحمل إليها من جـهاز كثير ومتنوع ولما كانت دراسة جهاز العروس فى مصر فى عصر سلاطين المماليك هـــى بالفعل دراسة كل ما يحتويه المنزل فى ذلك العصر بالإضافة إلى حلى العـــروس وأدوات تجميلها وملابسها ، فقد استحقت أن تخصص لها هذه الدراسة ولا سيما وأنه لم يســـبق أن أفردت لها دراسة دقيقة متخصصة .

ويبدو أن السبب فى عدم تناول هـــذا الموضوع بالدراســـة مرجعة إلـــى صعوبتـــه التى تركزت فى عدة نقاط :

١ – ضآلة المعلومات المباشرة التى تخص أجـــزاء هامة من موضوع الدراسة ولا ســـيما ما يختص منهـــا بمكونات الجهاز وطـــرق صناعتـــه وصناعـــه ، ونســـاء هـــذا العصر وطريقة تجملهن ولبسهن فى المصادر المختلفة ومن ثم كـــان مـــن الصعـــب تحديد أبعاد الموضوع .

٢ – نضيف إلى ما سبق أن التاريخ فى العصور الوسطى كان تاريخ قصـــور وســـلاطين ولذا كان الكتاب فى ذلك الوقت يطنبون فى أخبار السلاطين والأمراء وعليـــه القـــوم فى حين يتجاهلون كلية أخبار عامة الشعب ، وكانت أسماء مصـــادرهم تؤكـــد ذلـــك مثال ذلك :

أبو المحاسن : النجوم الزاهـــرة فى ملوك مصر والقـــاهرة .

، مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة .

المقـــريـــزى : السلوك لمعرفة دول الملوك .

ابن خلـــكان : وفيات الأعيان .

ابن حجر : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة .

ولكن رغم الأطنـــاب فى حياة السلاطين والأمراء مـــن نواحـــى معينـــة كالناحيـــة السياسية مثلاً نجد أن الكتاب لم يعنوا كثيرًا بتسجيل الحياة الاجتماعية بنفس أطنابـــهم فى الحياة السياسية والاقتصادية ويبدو أن مرد ذلك يرجع إلى أن البحث فـــى الحيـــاة الاجتماعية فى أى عصر من العصور المصرية الإسلامية يرتبط إلـــى حـــد كبـــير بالتقاليد الشرقية وما تتصف به هذه التقاليد من محافظة شديدة لا سيما فيمـــا يتعلـــق بالأحوال العائلية والمنزلية .

٣ – ندرة التحف التى ترجع إلى عصر المماليك المؤكدة النسبة إلى السيدات – أى التـــى تحمل كتابة تنص على أنها صنعت برسم سيدة ما أو من أجل سيدة ما – والتى ربمـــا كانت ضمن جهاز هؤلاء السيدات .

٤ – وترتب على ما ذكر أن قمت بالإطلاع على العديد من المصـــادر والمراجـــع التـــى تؤرخ لعصر المماليك فى مصر لا قتطف منها المعلومات التى تفيد هـــذه الدراســـة وكانت متناثرة وبسيطة .

فكان من الضرورى الإطلاع على بعض كتب التصوير الإسلامى ودراسة بعـــض التحف الموجودة بمتاحف القاهرة وهى متحف الفن الإسلامى ومتحـــف جـــاير اندرســـون ومتحف كلية الآثار والمتحف القبطى والمتحف الزراعى ، والتى كـــانت مســـتعملة فـــى المنازل فى عصر المماليك والتى يمكن أن تتدرج تحت جهاز العروس فكلنا نعلم أن كـــل ما يوجد بالمنزل – فى الغالب – هو من جهاز سيدته لكى نكـــون صـــورة عـــن جـــهاز العروس فى ذلك العصر .

ولكن كان هناك بعض النقص فى هذه التحف وذلك نظرًا لاندثـــار آثـــاث المـــنزل المملوكى وعدم وصول شئ يذكر منه لنا فكان علينا أن نكمل هـــذا النقـــص مـــن تحـــف العصر العثمانى فى مصر كالأسرة والصناديق والكراسى وفرش المنزل بصفـــة عامـــة ، وذلك حتى نكون الهيكل المطلوب للموضوعات بصورة ولوحاته فيكون شرحًا وتوضيحًـــا للمتن ، فالمعروف أن التغيرات الحضارية تحتاج إلى وقت طويل كى تتبلـــور ملامحـــها ومن ثم يمكننا القول أن الملامح الحضارية للعصر العثمانى - كما تعكسها التحـــف التـــى وصلت إلينا منه - تعتبر امتدادًا للملامح الحضارية التى رسخت فـــى العصـــور الســـابقة وخصوصًا العصر المماليكى ويؤكد ذلك مثلاً رسوم الأسرة التى جـــاءت فـــى تصـــاوير العصر المملوكى (لوحة رقم ١) فهى منخفضة وصغيرة تأخذ شـــكل الكنبـــة الشـــعبية المنتشرة فى ريفنا المصرى إلى اليوم وصغرها يوحى بأنها كانت لشخص واحـــد فقـــط - فهى تشبه إلى حد كبير سرير يرجع إلى العصر العثمانى موجود بحجرة الحريم بمتحـــف جاير اندرسون برقم ٦٧٧ (انظر لوحة رقم ٧) وهنا كان من الضرورى أن أصف هـــذه التحف وصفًا فنيًا الأمر الذى جعلنى أطلع على بعض كتب الفنون فى العصـــر العثمـــانى ولكن بدون توسع وذلك حتى لا ادخل فى متاهات لكثرة فروع الموضوع وما دخل فيه مـــن فنون متعددة أو حتى لا يؤخذ على النقل وتكرار ما سبقنى .

وقد أقبلت على هذا الموضوع لخلو مجال البحث فيه ولطرافته ولكى أكمل بدراســـة أثاث المنزل فى عصر المماليك ما بدأته فى رســـالتى للماجســـتير مـــن دراســـة لأثـــاث المصحف الشريف فى مصر فى عصر المماليك أيضًا من كرسى المصحف (الرحـــل) ودكة المصحف والقارئ وصندوق حفظ المصحف والربعات الشريفة والخزانـــات الثابتـــة والمتنقلة الخاصة بحفظ المصحف .

ويجـــب أن أنوه هنـــا إلى أن هـــذا الموضوع فى بدايـــة التســـجيل كان عنوانـــه « الشوار فى مصر الإسلامية » وقد رأى بعض الأساتذة فى مجلس الكلية تغيير العنـــوان إلى « جهاز العروس فى مصر الإسلامية » لأن كلمة جهاز هى الدارجة والمعروفة .

وبعد سنوات من التجميع والدراسة فى هذا الموضـــوع وعـــرض المـــادة العلميـــة والصور الفوتوغرافية بأكملها على الأســـتاذين المشـــرفين رأى ســـيادتهما تحديـــد هـــذا الموضوع إلى « جهاز العروس فى مصر في عصر المماليك والعثمانيين » وذلك لكـــبر المادة العلمية وطول الفترة التاريخية التى يتناولها الموضوع الأول .

وبعـــد فترة من الخوض فى هذا الموضوع بعـــد تحديده وعرض المـــادة العلميـــة على الأستاذين المشرفين وجد سيادتهما تحديد الموضوع للمرة الثانية – ذلـــك لاتســـاعه – إلى « جهاز العروس فى مصر فى عصر سلاطين المماليك » .

ومن أجل القيـــام بهذه الدراســـة فقد قسمتها إلى مقـــدمة وخمسة فصـــول تنـــاولت فى المقـــدمة الزواج وجهاز العروس حتى عصر الممـــاليك ، وفى الفصل الأول الخـــاص « بمكونات جهاز العروس فى مصر فى عصر سلاطين المماليك » فقد تناولت فيه الأثـــاث المنزلى من السرير والمرتبة واللحاف والناموسية والدكة والأريكة والكرســـى وصنـــدوق العروسة والدولاب والمخاد والمساند والمساور والنمارق والمدورات والحشايا والستائر .

وأدوات المطبخ من الطشت والإبريق والصدرية والصينية والصحـــن والســـلطانية والملعقة والمغرفة والمصفاة والهاون وعمود الطعام والمشنة والغربال والرحى والمائدة .

ومفارش الأرض من بسط وسجاد ومقاعد وأنخاخ وأنطاع وحصير .

وأدوات الإضاءة من سرج ومناير وقنـــاديل وشـــماعد وتنـــانير وأدوات التجميـــل وشملت الأمشاط والمكاحل ومراودها والمرايا وقنينات العط وقماقم ماء الـــورد وإحقـــاق الادهان وإحقاق الاشنان وحجر الخفاف وكرسى الحمـــام والمبخـــرة والزهريـــة والحلـــى وشملت حلى اليدين من الأساور والخواتم والرجلين (الخلخال) وحلى الأذن (الأقـــراط) وحلى الرقبة والصدر العقود والأطواق واللبة وحلى الرأس والشعر .

والملابس وضمت ملابس لداخل المنزل وملابـــس لخارجـــه وغطـــاءات للـــرأس والحجب .

وفى الفصل الثانى الذى خصص للفنون والصناعات المرتبطة بالجهاز فى ضـــوء الحياة الاقتصادية فد تناولت فيه الصناعات التى دخلت فى عمـل جـهاز العـروس مـن صناعة الخشب وما يرتبط بها من فنون زخرفية صناعية من حفر أويمة وتطعيم وتعشـيق وتلوين وخرط . وصناعة الخزف وصناعة الفخار ومنها القلل وصناعة الزجاج والبللـور الصخرى وصناعة المعادن وصياغة الحلى وصناعة النسيج والخياطة وصناعـة السـجاد والتنجيد وصناعة الجلود والحصير وصناعة السلال والقفف والغرابيل .

وفى الفصل الثالث المخصص لدراسة جهاز العروس فى ضوء الحياة الاجتماعيـة فقد بدأته بلمحة عن طبقات المجتمع فى مصر فى عصر المماليك ثم العادات التى تسـبق إعداد الجهاز وهى الخطبة ودفع المهر وعقد النكاح - ثم الجهاز فى ضوء الطبقات مـن جهاز بنت السلطات وجهاز بنت الأمير وجهاز بنت التاجر وجـهاز بنـت مـن الطبقـة المتوسطة وجهاز بنت من الطبقة السفلى ، جهاز بنت الفلاح ، ثم العادة التـى تلـى نقـل الجهاز إلى منزل الزوجية ، وهى الاحتفال بالعرس وما به من زفة الحمام وزفة العرس .

وفى الفصل الرابع الخاص بالزخارف فقد خصصته لدراسة أهم الزخـارف التـى وردت على بعض التحف التى تندرج تحت جهاز العروس وكان أهمها بالفعل هى التحـف التى تنشر لأول مرة وذلك حتى لا أضع نفسى فى متاهات لأن دراسة زخـارف جـهاز العروس بالقطع زخارف جميع التحف المنقولة من عصر المماليك وذلك لتنوع الجهاز مـن خشب ومعادن وزجاج وغيرها كما سبق أن أوضحـت وتنـاولت فـى هـذه الزخـارف الزخارف الكتابية والهندسية وزخارف الكائنات الحية والزخارف النباتية والرنوك .

وفى الفصل الخامس الذى خصصته للدراسة الوصفية لبعض التحـف المحفوظـة بمتاحف القاهرة والتى من الممكن أن تندرج تحت جهاز العـروس ثـم قمـت بوصـف تفصيلى - كلما أمكن - لهذه التحف من ناحية مكان الحفظ والمقاس ومادة الصنع والشـكل والزخارف .

وفى الخاتمة أوردت أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة . كمـا زودت بحثـى بالصور الفوتوغرافية الموضحة اللازمة لجميع الفصول بالإضافة إلى الرسوم والأشكال .

وقد كانت محاولة القيام بالدراسة على النحو السابق الإشارة إليه دافعًا للاستفادة من مصادر مختلفة تنوعت ما بين مخطوطة ومطبوعة بالإضافة إلى المراجع الحديثة العربية والأجنبية .

أولاً : المخطوطات :

اعتمدت فى دراستى على بعض المخطوطات المحفوظة بدار الكتب المصرية منها مخطوط الوصلة إلى الحبيب فى وصف الطيبات والطيب لم يعلم مؤلفه ، ومخطوط نخب الذخائر فى أحوال الجواهر تأليف محمد بن إبراهيم بن ساعد الانصارى ، ومخطوط تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور قلاوون لم يعلم مؤلفه ، ومخطوط طيف الخيال لابن دانيال الموصلى .

ثانيا : المصادر العربية المطبوعة :

اعتمدت الدراسة على الكثير منها وقد تنوعت لتشمل على : مؤلفات فى تاريخ مصر الإسلامية ومن أهمها كتابات المقريزى مثل إغاثة الأمة بكشف الغمة ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار ، وكتاب ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة وكتاب ابن اياس بدائع الزهور فى وقائع الدهور .

ومؤلفات فى الأحكام والحسية ومن أهمها كتاب الشيزرى نهاية الرتبة فى طلب الحسبة وابن الأخوة معالم القربة فى أحكام الحسبة والسبكى معيد النعم ومبيد النقم وابن الحاج . والمدخل ومؤلفات فى النظم مثل كتاب ابن خلدون : المقدمة والقلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ومؤلفات فى الجغرافيا والرحلات ومن أهمها كتاب ناصر خسرو سفر نامه ومعجم البلدان لياقوت وكتاب عبد اللطيف البغدادى : الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر وابن شاهين الظاهرى زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ومؤلفات فى التراجم والطبقات ومن أهمها ابن خلكان وفيات الأعيان وابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى .

بالإضافة إلى مؤلفات فى موضوعات أخرى متنوعة من أهمها المعاجم اللغوية مثل لسان العرب لابن منظور وتاج اللغة وصحاح العربيـــة للجوهــرى والقــاموس المحيــط للفيروز أبادى والمخصص لابن سيدة وفرهنك فارس لمحمد معين وفرهنك طلائى لمحمـــد التونجى .

هذا إلى جانب المراجع العربية الحديثة التى جاء ذكرها فى ثبت المراجع .

وفى النهاية اذكر أننى بذلت ما استطعت من جهد مستعينة فى ذلـــك بـــالله تعـــالى وبالتشجيع الدائم والمستمر من أستاذى الفاضلين الأستاذ الدكتور صلاح الديـــن البحـــيرى والأستاذ الدكتور حسنين ربيع اللذين يعجز قلبى ولسانى عن أن أوفيها حقهما فى الشـــكر والثناء واللذين كان لتشجيع سيادتهما وملاحظاتهما القيمـــة الفضـــل الأول والأخـــير فـــى أنجازى هذا البحث .

كما أجد لزامًا على أن أتقدم بالشكر إلى كل من مد لى يد العون وأخـــص بـــالذكر هيئة المتحف الإسلامى ومتحف جاير اندرسون ومتحف قصر المنيل والمتحـــف القبطـــى وقسم الزراعة القديم وقسم التصوير بالمتحـــف الزراعى بالدقى ودار الكتب المصريـــة ، كما اتقدم بالشكر إلى المكتبة العامة بجامعة القاهرة . وأتقدم بالشكر والعرفان إلى الأســـتاذ الدكتور على رضوان عميد كلية الآثار وإلى جميع أساتذتى وزملائـــى وجميـــع العـــاملين بكلية الآثار .

كما اتقدم بالشكر إلى الأستاذ الدكتور إبراهيم الدسوقى شتا أستاذ اللغـــة الفارســـية بكلية الآداب جامعة القاهرة ، وأقدم خالص تقديرى إلى الدكتور هنرى أمين عوض الـــذى قدم لى لوحات لبعض التحف من مجموعته الأثرية الخاصة ، كما أقدم شكرى إلى الســـيدة مايسة عمرو ، واذكر بكل العرفان هنا أبى وأمى فكم قدمـــا لـــى الكثـــير .. منحـــهما الله الصحة وطول العمر جزاء ما قدما .

كما أقدم شكرى إلى زوجى دكتور محمد سلامه بالمركز القومـــى للبحـــوث وإلـــى فلذتى كبدى الأعزاء دينا وياكينام .

والله ولى التوفيق ،،،

جهاز العروس في مصر
في عصر سلاطين المماليك

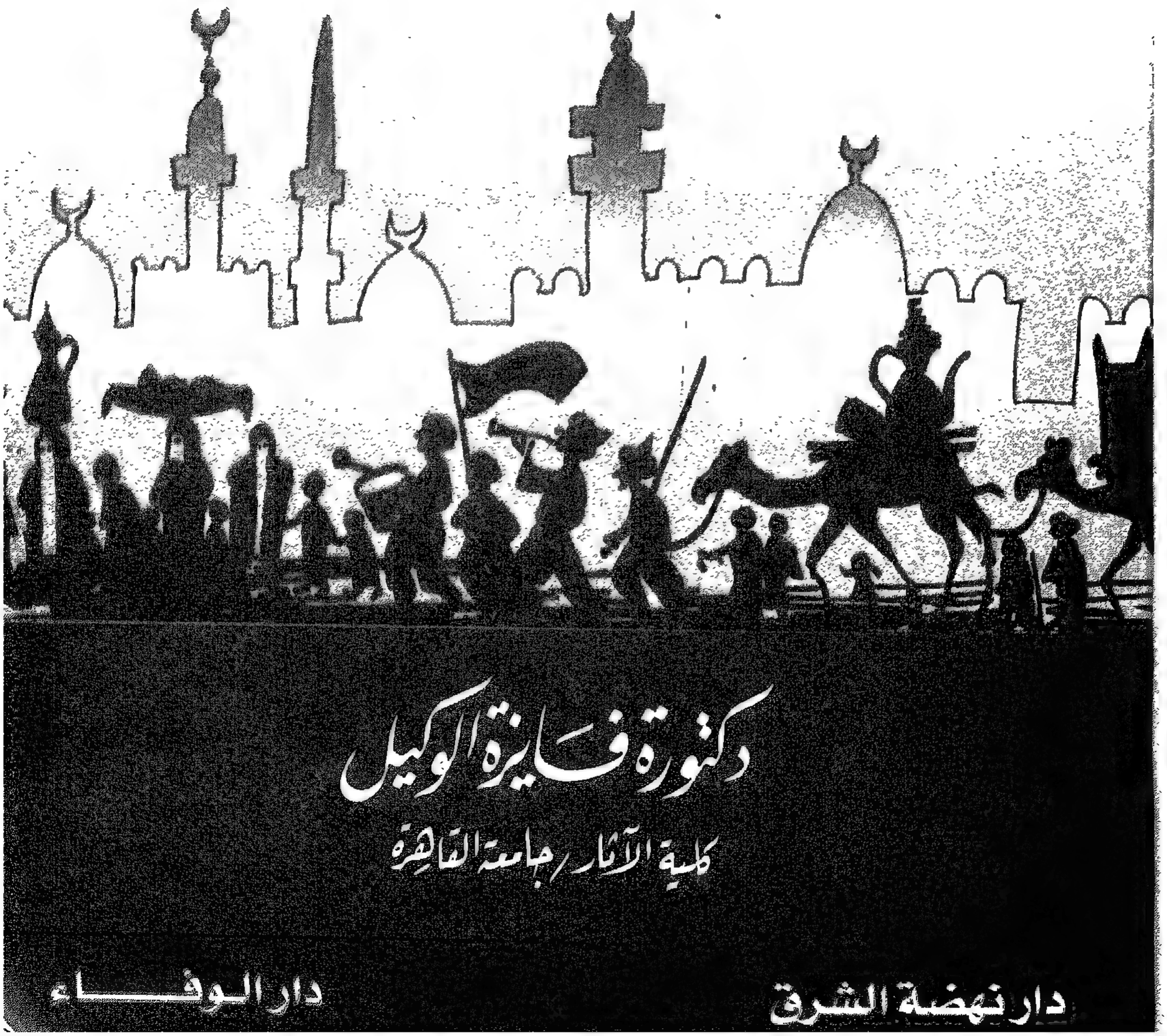

دكتورة فايزة الوكيل

كلية الآثار / جامعة القاهرة

دار نهضة الشرق — دار الوفاء

المقدمة

مُقَدِّمَة

الزواج والجهاز حتى عصر المماليك

شرع الله تعالى الزواج منذ خلق آدم عليه السلام ، للتوالد والتناسل وعمارة الكون ، وقد جاءت الأديان السماوية تدعو إليه وتحث عليه ، كي يتحقق بقاء النوع الإنسانى الذى جعله الله خليفته فى الأرض ، بل إن الفطرة نفسها لتدعو إليه ، فالزواج ينظم هذه الفطرة ، وهو إذا ما روعيت أحكامه ، يضفى على الزوجين حياة سعيدة تسودها الألفة والمحبة[1] . ويشير إلى هذا القرآن الكريم بقوله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

وجاء الترغيب فى النكاح بقوله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » كما حث الرسول الكريم الشباب على الزواج بقوله : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج »[2] .

ومن المعروف أن الرسول ﷺ قد تزوج عدة زيجات أولها زواجه من السيدة خديجة بنت خويلد[3] رضى الله عنها التى أرسلت لخطبته لأمانته وصدق

---

(١) سعاد ماهر : عقود الزواج على المنسوجات الأثرية ، مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة – الجزء الأول ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص٣٩

(٢) ابن حجر العسقلانى : (٧٧٣ – ٨٥٢هـ) : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، دار الريان للتراث ، القاهرة ١٩٨٧م الطبعة الأولى ، الجزء ١٠ ، ص٥

(٣) كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب تاجرة ذات شرف ومال وكانت قريش قوما تجارا فلما بلغها صدق رسول الله ﷺ وأمانته عرضت عليه الخروج فى تجارتها إلى الشام مع غلام لها يسمى ميسرة فأجابها رسول الله وخرج حتى قدم الشام ومعه ميسرة وباع ما كان معه واشترى عوضه ثم أقبل قافلا إلى مكة وعندما ذكر ميسرة للسيدة خديجة ما شاهده من كرامات النبى وأنه كان يشاهد ملكين يظلانه وقت الحر فعرضت خديجة نفسها على النبى فتزوجها وكان عمر النبى لما تزوجها خمسا وعشرين سنة وكان عمرها يومئذ أربعين سنة وكانت أيما ولم يتزوج غيرها حتى ماتت ، وخديجة أول من آمن برسول الله ﷺ وبقيت معه بعد مبعثه عشر سنين وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنين .
أبو الفداء : تاريخ أبى الفداء ، طبع القسطنطينية ١٢٨٦هـ ، الجزء الأول ص١٢٠ .

حديثـــه وحسن خلقه . وقد أجابه أبو طالب وحمزة فى طلبـــه لخطبـــة الســـيدة خديجـــة وخرجوا معه فى حشد من بنى هاشم إلى منزلها للخطبة والأملاك[1] . فمن الجدير بـــالذكر أنه كان للزواج عنـــد العرب يومـــان يـــوم الأملاك .. وهو يوم العقد - ويـــوم البنـــاء - وهو يوم الدخول .

ففى منزل خديجة تم العقد (الأملاك) - وكانت صيغته عندهم أن يقول الـــزوج : خطب فيقول ولى الزوجة : نكح[2] - وذلك بمداولة الخطابة بين أبـــى طـــالب بـــن عبـــد المطلب سيد قريش وأمامها ، وورقة بن نوفل ابن عم خديجة .. حبر قريش وعالمها .

وفيما يلى نص الخطبتين :

خطبة[3] أبى طالب :

الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل وضئضئى معد وعنصـــر مضر . وجعلنا حضنة بيته ، وسواس حرمه ، وجعل لنا بيتا محجوجاً ، وحرمـــا آمنـــا ، وجعلنا حكام الناس ثم أن ابن أخى هذا ، محمد بن عبد الله ، لأيوزن به رجل إلا رجح بـــه شرفا ونبلا ، وفضلا وعقلا . وأن كان فى المال قل ، فإن المال ظل زائل وأمر حـــائل ، وعارية مسترجعة ، وهو والله بعد له نبأ عظيم ، وخطر جليل وله فى خديجة بنت خويلـــد رغبة ولها فيه مثل ذلك . وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق مـــا آجلـــه وعاجله من مالى[4] .

---

(١) سعيد هارون عاشور : فقه سيرة نساء النبى ﷺ ، مطبعة القاهرة الحديثة ، ص٢١ ، ٢٢.

(٢) عبد الله عفيفى : المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها ، القاهرة ، ١٩٢١م ، الجزء الأول ، ص١٥٦

(٣) تسمى هذه الخطبة خطبة الأملاك ، وكان من سنة العرب إذا خطب الرجل قومه ، أن ينهض واقفا ، أو يعتلى شرفا من الأرض ، أو يتبوأ ظهر راحلته ، إلا فى خطبة الأملاك فإنه يخطبها وهو جـــالس مطمئن . وذلك لأن المقام مقام دعة وتبسط ولا حاجة فيه إلى الثورة .

انظر : عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٥٨

(٤) ابن الجوزى : صفة الصفوة ، الدكن الهند ١٣٥٥هـ ، الطبعة الأولى ، الجزء الأول ، ص٢٥

خطبة ورقة بن نوفل :

« الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت ، وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها . وأنتم أهل ذلك كله . لا ينكر العرب فضلكم ، ولا يرد أحد من الناس . فخركم وشرفكم . فاشهدوا على معاشر قريش ، أنى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله » . وكان ورقة هنا ينطق بلسان عمرو بن أسد عم خديجة الذى نهض فقال اشهدوا على معاشر قريش أنى قد انكحت محمدًا بن عبد الله خديجة بنت خويلد[1] .

وبعد ذلك قدم سيدنا محمد الصداق[2] إلى السيدة خديجة ، وقد انقسمت الآراء بشأن هذا المهر إلى قسمين الأول يذكر أنه عشرون بكرة (ناقة شابة) والثانى يذكر أنه اثنتا عشرة أوقية ذهبا[3] . أو اثنتى عشر أوقية ونصف أوقية

---

(١) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٥٧ ، ١٥٨

(٢) مما يجب ذكره فى هذا المقام أن سيدنا محمدﷺ كان متقشفا بسيطا فيما يقدمه من مهور لزوجاته أو متاع بيت فذلك لم يكن من ماله الخاص بل دفعه عنه الغير ، فكان مهره عليه أفضل الصلاة والسلام إلى السيدة خديجة هبة من عمه أبى طالب وهو من أكابر قريش وكان مهره إلى رملة (أم حبيبة ٢٥ق. هـ - ٤٤هـ) (٥٩٦ - ٦٦٤م) بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية - التى كانت زوجة لعبد الله بن جحش وهاجر بها إلى الحبشة فى الهجرة الثانية ثم ارتد عن الإسلام وتنصر ومات هناك بينما ثبتت أم حبيبة على دينها فبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية العمرى إلى النجاشى ليخطبها له وليدعوا المسلمين بالحبشة للعودة إلى المدينة بعد إن قوى شأن الإسلام هناك- هبة من النجاشى وقدره أربعمائة دينار ويقال إن معها نزل قوله تعالى : « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة » .

وتم هذا الزواج سنة ٧هـ وكان لأم حبيبة من العمر بضع وثلاثين سنة . وكان مهره ﷺ إلى ميمونة بنت الحارث — وهى أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب وكانت ميمونة قد جعلت أمرها لأختها أم الفضل ، فجعلت أم الفضل أمر ميمونة إلى العباس فزوجها رسول الله بمكة — أربعمائة درهم أصدقها عنه العباس . انظر : ابن الجوزى : المصدر السابق جـ١ ص٢٢ ، ٢٥ . خير الدين الزركلى : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء ، جـ١ ، ص٣٢٦ . أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى ، مكتبة النهضة ١٩٨١م ، الطبعة العاشرة ، الجزء الأول ، ص٣٢٢ - ٣٢٤

(٣) سعيد هارون عاشور : المرجع السابق ، ص٢٢

وجاء بتاريخ أبى الفداء أن صداق خديجة كان عشرين بكرة .

أبو الفداء : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٢٠

وهى أربعون درهمًا شـــرعيًا[1].

وبعد ذلك نحر سيدنا محمد جزورين[2] وأمرت خديجة نســـاءها فرقصـــن وغنيـــن وتسمى وليمة ذلك اليوم بالنقيعة[3] . وتذكر المراجع عن يوم البناء عند العرب أنـــه كـــان يومًا بهيجًا فيه يتبارى الفتيان فيلعبون بالرماح وينتضلون بالصفاح ويستبقون على متـــون الخيل[4] .

وفى ليلة البناء (ليـــلة العرس) تجلى[5] الفتاة ، ويفرغ عليها الحلـــى ممـــا تملـــك ومالاً تملك لأن قومها يستعيرون لها أمتع ما فى الحى من حلى بل ربما تجـــاوزوا حبـــهم إلى ما سواه .

---

(١) الشبلنجى : إسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين ، المطبعـــة المليجيـــة بالقاهرة ١٣٢٣هـــ ، الطبعة الأولى ، ص١١

(٢) الجزور الناقة المجزورة والجمع جزائر وجزر وجزرات جمع الجمع كطرق وطرقات والجزور تقـــع على الذكر والأنثى والجزر كل شئ مباح للذبح والمواحدة جزرة ، وإذا قلت أعطيته جزرة فهى شـــاة ذكرًا كان أو أنثى لأن الشاة ليست إلا للذبيح خاصة ولا تقع الجزرة على الناقة والجمل لأنهما لســـائر العمل . انظر :

ابن منظور : لسان العرب ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، الدار المصرية للتأليف والترجمـــــة ، جـــ٥ ، ٢٠٤

(٣) عبد الله عفيفى : المرجع السابق جـــ١ ، ص١٥٥ – ١٥٧

(٤) المرجع نفسه ، ص١٦٠

(٥) جليت عن الشئ أظهرته وجلوت العروس جلوة وجلوة أبرزتها وتجليته نظرت إليه .

البلوى (أبو الحجاج يوسف بن محمد) ألف با ، طبع المطبعة الوهبية بالقاهرة ، ١٢٨٧هـــ ، الجزء الأول ص٥٢٤

وتكتحل العروس وتحتفل أى تتزين وتحتشد للزينة يقال حفلت الشئ إذا جلوته .

ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث والأثر ، القاهرة ، الجزء الأول ، ص٢٧٤

وقد جاء على لسان أعرابية كانت تخدم نساء النبىﷺ أنها شهدت عروسًا لنا تجلى ودخلت مغتســـلاً وعليها وشاح » أنظر :

السيوطى : (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن) ت سنة ٩١١هـــ) :

الأرج فى الفرج ، وقف على طبعه أحمد عبيد ، مطبعة الترقى بدمشق ١٣٥٠هـــ ، الطبعة الثانية ص١٢

ونستشف من هذه العبارة أن العروس العربية كانت تستحم فى (مغتسل) ربما مكان كالحمام اعتادوا أن يزينوا العرائس فيه ، كما يبدو أن العروس كانت ترتدى الوشاح .

ومما يجب أن يسجل هنا بساطة الرسول الكريم فى زواجه وفى مقدار ما وهبه من متاع لبعض زوجاته نذكر مثالا لذلك المتاع الذى وهبه لام سلمة هند بنت أبى أمية - فى العام السابع للهجرة - ١٣م - فكان عبارة عن جرتين تضع فيهما حاجتها ورحى ووسادة من آدم حشوها ليف . كما تزوج السيدة عائشة - ق٢هـ/١٤م - على متاع بيت قيمته خمسون درهما .

فقد كان عليه الصلاة والسلام متقشفا زاهدا يأكل على الأرض ويجلس على الأرض ويلبس العباء ويجالس المساكين ويمشى فى الأسواق ويتوسد يده الشريفة[1] كى يقتدى به جميع المسلمين ولا تشغلهم الحياة وزخرفها عن عبادة الله سبحانه وتعالى . كذلك كان الرسول الكريم بسيطا فى حفلات زواجه ، مثال ذلك ما حدث فى حفلة زفاف السيدة عائشة - فى الشهر الثامن من الهجرة - التى قالت فى حديث لها : « تزوجنى النبى ﷺ فأتتنى أمى وأنى لفى أرجوحة فأوقفتنى على باب الدار ، فإذا نسوة من الأنصار فى البيت فقلن : على الخير والبركة وعلى خير طائر : فاسلمتنى إليهن فأصلحن من شأنى ، فلم يرعنى إلا رسول الله ﷺ فأسلمتنى إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين » ، وكان معها فى الحجرة « أسماء بنت عمر » فحدثت تقول » لم يكن فى وليمة السيدة عائشة من الطعام سوى قليل من اللبن شرب الرسول بعضه ثم مد يده الكريمة بالإناء إلى عائشة فخجلت ولم تتناوله ، فقلت لها : لا تردى ما يعطيه لك النبى ﷺ ، وشربت أسماء ما تبقى . وعلى هذا النحو من البساطة والصفاء وقلة الكلفة تم زواج النبى صلوات الله وسلامه عليه من السيدة عائشة الصديقة رضى الله عنها[2] .

تلك البساطة نلمسها أيضا فى زواج ابنته فاطمة الزهراء من ابن عمه على بن أبى طالب الذى حضر إليه يخطبها منه ، فسأله الرسول الكريم على ما عنده ؟ فقال على رضى الله عنه : عندى درعى وفرسى وناضحى (بعيرى)

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ، الطبعة الأولى ، المطبعة العلمية ١٣١٣هـ ، الجزء الأول ، ص٩٦٣

(٢) قدرية حسين : شهيرات النساء فى العالم الإسلامى ، دار الكاتب العربى (لا يوجد به تاريخ الطبع) تعريب عبد العزيز أمين الخانجى) ، ص٣٨

فطلب منه الرسول أن يمهرها الـدرع فباعه على إلـى عثمـان بـن عفـان بأربعمائـه وسبعين درهما ثم أحضر المبلغ معقـودا فـى طـرف ثوبـه ووضعـه أمـام الرسـول قائلا : « ها هو بدل الدرع يـا رسـول الله » ، فتناولـه الرسـول بيـده الكريمـة ثـم دفعـه إلى بلال ليشـترى ببعضـه طيبا وعطـرا ثـم يعطـى البـاقى إلـى أم سـلمة « لتشترى جهاز العروسـين »[1] .

ودعا الرسول صحابته فأشهدهم أنه زوج ابنته فاطمة من على بن أبى طالب علـى أربعمائه مثقال من فضة ، على السنة القائمة والفريضة الواجبة وختـم خطبـة الـزواج بمباركة العروسين الهاشميين والدعاء لهما بالذرية الصالحة . ثم قدم إلى الضيوف وعـاء تمر .

بهذه البساطة تمت خطبة الزهراء بنت النبى للإمام على وعقدت أخطر مصـاهرة عرفها الإسلام فى تاريخه الحافل الطويل[2] .

وتم عقد النكاح فى شهر رجب من السـنة الأولـى للـهجرة ، وبنـى بـها فـى السنة الثانية[3] ، وفى زواج فاطمة صنـع الرسـول طعامًـا وكـان بـلال هـو الـذى يطعم الناس طائفة بعد طائفة[4] . أمـا عـن جـهاز خـيرة عرائـس الإسـلام كريمـة أشرف خلق الله وفخـر الأنبيـاء فكـان يشـمل سـريرًا مشـروطًا ووسـادة مـن آدم حشوها ليف وتور من آدم وقربة ومنخل ومنشفه وقـدح وأهـدت بعـض النسـاء إليـها بردين من برود الأول ، عليها دملوجات من فضـة مصفـرات بزعفـران[5] .

---

(١) بنت الشاطئ : بنات النبى ، القاهرة ١٩٥٩م ، الطبعة الثانية ، ص٢١٨

د. صلاح الدين المنجد : تزويج فاطمة بنت الرسول – رسائل ونصوص – بيروت لا يوجد به تـاريخ الطبع ، ص٥٣ ، ٥٤

(٢) د. بنت الشاطئ : المرجع السابق ، ص٢١٩

(٣) ابن الجوزى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٣٦

(٥) د. حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى ، مكتبـة النهضـة المصريـة ، ١٩٥٣م ، الطبعة الثالثة ، الجزء الأول ، ص٥٩١

وجاء في كتاب صفة الصفوة أن عليا رضى الله عنه قال : أن رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة[١] ووسادة آدم حشوها ليف ورحائين وسقاء وجرتين[٢] . هذا إلى جانب سوار من الفضة وطاقية[٣] .

وقد قال على رضى الله عنه لقد تزوجت فاطمة ومالى ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار ومالى ولها خادم وغيرها[٤] .

أما فى العصر الأموى فنجد المغالاة فى المهور من قبل الأغنياء منهم ، كما نجدهم يفرشون منازلهم - التى كانت تتألف فى الغالب من طابقين ، كما كانت تشتمل على أبهاء عديدة عن يمينها وشمالها أبواب عديدة ذات ستائر كثيفة تفتح على غرف الاستقبال والسكنى - بالطنافس الفاخرة فى الشتاء وبالحصر الغالية فى الصيف ، كذلك كانوا يجعلون حذوا الحيطان رفوفا مصفوفة عليها اثمن التحف وأجملها .

أما السقوف فكانت مزخرفة بالنقوش العربية المطلية بماء الذهب . وفى الشتاء كانت المواقد تستعمل لتدفئة الغرف ، فى حين كانت الفوارات والنوافذ تساعد على تلطيف حرارة الجو فى فصل الصيف[٥] . وكانت أدوات مائدتهم من الذهب والبللور[٦] والجزع[٧] ، الأمر الذى يجعلنا نجزم بأن جهاز العروس فى العصر الأموى كان فخمًا وذا قيمة كبيرة .

---

(١) ابن الجوزى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣ ، ٤

(٢) الخميلة القطيفة وهى كل ثوب له خمل من أى شئ كان وقيل الخميل الأسود من الثياب .
انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣ ، ٤

(٣) قدرية حسين : المرجع السابق ، ص٦٦

(٤) ابن الجوزى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣ ، ٤

(٥) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ترجمة رياض رأفت ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٨م ، ص١٧٠

(٦) مما يذكر أن نساء الأسرة المالكة الأموية أولعن باحتساء نوع من الشراب المبرد بالثلج « الجلاب » وكن يتساقيته فى كؤوس من الذهب والبللور .
انظر : سيد أمير على : المرجع السابق ، ص١٧٣

(٧) وجد بنو العباس فى خزائن مروان بن محمد حين ظفر به بمصر مائدة جزع أرضها بيضاء ، وفيها خطوط سود وحمر ، سعتها ثلاثة أشبار ، وغلظها إصبعان وأرجلها من ذهب .
انظر : الرشيد بن الزبير : كتاب الذخائر والتحف .
الجزع بالجزع : واحدته « جزعة » خرز فيه سواد وبياض ، كرم البستانى ، وآخرون : المنجد فى اللغة ، دار المشرق ، بيزوت ١٩٨٤م ، الطبعة السابعة والعشرون ، ص٩٠

وعن مقدار بعض المهور فى ذلك العصر نذكر على سبيل المثال مهر يزيـــد بـــن عبد الملك الذى قدم المدينة فى خلافة سليمان فتزوج إلى سعدة بنت عبد الله بن عمرو بـــن عثمان على عشرين ألف دينار ، وتزوج ربيحة بنت محمد بن على بن عبد الله بن جعفـــر على مثل ذلك[1] .

ومن الجدير بالذكر أن حفلات عقد النكاح وحفلات الزفاف كان يحضرها الشـــعراء فينشدون فى ذلك أشعار تمدح العروسين فى حسبهما ونسبهما وجمالهما ، فيغـــدق عليـــهم أهل العرس بالمكافآت المالية الكبيرة ، ومثال ذلك الاحتفال بعقد نكاح أم حكيم على عبـــد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فى مجلس جده عبد الملك الذى أمر بإدخال الشعراء الذيـــن اختير منهم جرير وعدى بن الرقاع ، فبدأ عدى قائلا :

قمـــر الســـماء وشـــمسها اجتمعا بالســـعد مـــا غـــابا ومـــا طلعـــا
مـــا ورأت الأســـــتار مثلهمـــــا مـــن ذا رأى هـــذا ومـــن سمعـــا

وقال جرير :

جمـــع الأمير إليـــه أكـــرم حـــرة فى كل ما حـــال مـــن الأحـــوال
حكمتـــه علـــت الروابـــى كلهـــا بمفاخـــر الأعمـــام والأخـــوال
وإذا النســـاء تفـــاخرت ببعـــولـــة فخرتهـــم بالســـيد المفضـــال
عبـــد العزيـــز ومن يكلف نفســـه أخلاقـــــه يلبـــث بألـــف بـــال
هنأتكـــم بمـــــودة ونصيحـــــة وصدقـــت فى نفسى لكم ومقـــالى

فأمر لهما عبد الملك بعشرين ألـــف درهم ، وقضى لأهله ومواليـــه يومئـــذ مائـــة حاجة ، وأمر لجميع من حضر من الحرس والكتاب بعشرة دنانير[2] .

---

(١) ابن منظور : مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، الجزء الثانى ، ص٥٥٠
(٢) ابن منظور : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص٣٨٨ ، ٣٨٩

ومن حفلات الزفاف التى حضرها الشعراء حفل زفاف فاطمة بنت الحسين عليـــهما السلام إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فقال موسى شهوات فى ذلك :

طلحـــة الخيـــــر جـــــدكـــم ولخيـــــــــر الفواطـــــــم

أنـــت للطـــــــاهـــــرات مـــن فـــــرع تيـــم وهـــــاشـــــم

ارتجيـــــكـــــم لنفعـــكـــــم ولـــــدفـــــع المظـــــــالـــــم[1]

ومن المعروف أن تاريخ العصر العبـــاسى حافل بزيجات - ســـواء فـــى موطـــن الخلافة أو فى مصر - انفق عليهـــا أصحـــابها أموالاً طائلة صارت مضـــــرب الأمثـــال على مر الأجيال .

وقـــد تجلى إسراف خلفاء العصر العباسى الأول فى حفلات الـــزواج ممـــا فعلـــه الخليفة المهدى عند زواج ابنه هارون الرشـــيد [2] بالسيدة زبيدة[3] فقد أقـــام يـــوم زفافـــها

---

(١) زينب فواز : الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور ، ص٣٦٢

(٢) تولى هارون الرشيد الخلافة من سنة ١٣٨٤ - ١٤٠٦م/٧٨٦ - ٨٠٩هـ ويتفق التاريخ والأســـاطير على أن أبهى عصور بغداد كان فى أثناء خلافته ، ورغم أنه لم يكن قد مضى على تأســـيس مدينـــة السلام سوى نصف قرن فنراها تمثل المقام الأول فى الثروة وأصبحت منافسة بيزنطـــة ، د. فيليـــب حتى وآخرون تاريخ العرب ١٩٥٠م ، الجزء الثانى ، ص٣٧٤

(٣) هى زبيدة بنت جعفر بن أبى جعفر المنصـــور وابنـــة عـــم الرشـــيد أخـــى أبيـــه تزوجـــها ســـنة ١٦٥هـــ/٧٨٢م. وهى تفاخر بنسبها الهاشمى سائر نساء الرشيد لأنهن من أمهات الأولاد ، وكذلـــك كانت عنده فى المنزلة الأولى . وكانت جميلة الصورة واسمها الأصلى أمة العزيز ، فلقبـــها جدهـــا المنصور زبيدة لبضاضتها وتضارتها . وهى أول من اتخذ الآلة من الذهب والفضة المكللة بالجواهر وصنع لها الوشى الرفيع حتى بلغ ثمن الثوب من الوشى الذى اتخذ لها ٥,٠٠٠ دينار . وأول من اطنع القباب من الفضة والأبنوس والصندل وكلالبيها من الذهب والفضة ملبسة بالوشى والسمور والديباج وأنواع الحرير من الأحمر والأخضر والأصفر والأزرق .
واتخذت الخفاف المرصعة بالجواهر وأضاءت شمع العنبر على منائر من الذهب . وقد تشبه النـــاس بها فى سائر أحوالهم ومما يذكر أنها لم تكن تقتنى من آنيه المائدة غير المصنوع من الذهب والفضـــة المرصعة بالجواهر .
انظر :
المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر فى التاريخ ، القاهرة ١٣٤٦هـــ، ص١٥٦ ، ١٥٧
فيليب حتى وآخرون : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص٣٧٤ ، ٣٧٥
جرجى زيدان : العباسة أخت الرشيد ، دار الهلال ، ص١٥٥ - ١٥٧ .

وليمة لم يسبقه إليها أحد فى الإسلام ، ووهب للناس فى هذا اليوم أوانى الذهـــب مملـــوءة بالفضة وأوانى الفضة مملوءة بالذهب والمسك والعنبر ، وزين العروس بكثير من الحلـــى والجواهر .

وبلغت نفقات الزواج من مال الخليفة المهدى ١,٣٨٨,٠٠٠ دينار عدا مبلـــغ كبـــير أنفقه الرشيد نفسه . وقد أكدت السيدة زبيدة لأبى عبد الله المأمون ، أخى الأمين ابن السيدة زبيدة من أبيه الرشيد أن نفقات هذا الزواج كانت تتراوح بين خمسة وثلاثين مليون درهـــم وسبعة وثلاثين مليون درهم(١) .

ويذكر الرشيد بن الزبير أن هارون الرشيد استعد لزوجته ما لم يستعد لامرأة قبلـــها من الآلة وأصناف الجوهر والحلى والتيجان والأكاليل وقباب الفضـــة والذهـــب والطيـــب والكسوة والخدم(٢) .

وقد عقد الرشيد قرانه على زبيـــدة عـــام ١٦٥هـــ/٧٨٢م وهـــى فـــى الســـابعة عشرة من عمرها ، وتمت حفلة قرآنـــها بابهـــة خارقـــة للعـــادة لا يتســـع لـــها مجـــال الخيال ، فكانت من أبدع الحوادث التـــى يرويـــها التـــاريخ بإســـهاب وإطنـــاب . وقـــد انهالت عليها الهدايا وضـــروب المجوهـــرات وصنـــوف الطيـــب وأدوات الزينـــة مـــن كثير من كبراء المسلمين وأمرائهم المنتشرين فى أصقـــاع العـــالم . وألقـــى عليـــها فـــى حفلة زفافها من غوالى الآلئ ما أثقل سيرها فنشر اللؤلـــؤ فـــى جنبـــات طريقـــها علـــى البسط الموشاة بأسلاك الذهب وهى تتهادى فـــى الثيـــاب المزخرفـــة التـــى بـــالغوا فـــى تطريزها وتزيينها بأنواع الجواهـــر(٣) .

---

(١) د. على إبراهيم حسن : نساء لهن فى التاريخ الإسلامى نصيب ، مكتبـــة النهضـــة ١٩٥٠م ، ص٨٣

(٢) المرجع نفسه ، ص٩١ ، ٩٢

(٣) قدرية حسن : المرجع السابق ، ص١٩٩ ، ٢٠٠

ونذكر من زيجات العصر العبـــاسى الشهيرة أيضًا زواج بوران[١] بنت الحســـن[٢] ابن سهل والخليفة المأمون (١٩٨ – ٢١٨هـــ/٨١٣ – ٨٣٣م)[٣] الذى أطنب فى ذكـــره كثير من المؤرخين . فيذكر ابن الساعى[٤] إنه تم زواج المأمون وبوران فى ســـنة اثنتيـــن ومائتين (٨١٨م) وبنى بها فى شهر رمضان من سنة عشر ومائتين (٨٢٦م) .

فلما دخل عليها نثرت عليها جدتها ألف درة كانت فى صينية ذهب . فأمر المـــأمون أن تجمع ، فجمعت كما كانت فى الطبق ، ووضعها فى حجر بوران وقال هذه نحلتـــك ، وابتنـــى بها من ليلته . وأوقد فى تلك الليلة شمعة عنبر فيها أربعون منا[٥] فى تور[٦] ذهب .

---

(١) بوران (١٩١ – ٢٧١هـــ/٨٠٧ – ٨٨٤م) زوجة المأمون العباسى من أكمل النساء أدبًا وأخلاقًـــا . وليس فى تاريخ العرب زفاف أنفق عليه ما أنفق فى زفافها على المأمون ، وللشعراء فى وصف تلك الليلة شعر غير قليل ، وفى القاموس البورانية (بضم الباء) طعام ينسب إلى بوران بنت الحسن .
انظر خير الدين الزركلى : المرجع السابق ، جـــ١ ، ص١٥٩
وقيل أن اسمها خديجة .
ابن الساعى : نساء الخلفاء ، حققه وعلق عليه مصطفى جواد ، دار المعارف بمصر ، ص٦٧
توفيت فى ربيع الأول من سنة ٢٧١هـــ وقد بلغت ثمانين سنة .
ابن الجوزى : المنتظم ، حيدر آباد ١٣٥٧هـــ ، الطبعة الأولى ، الجزء الخامس القسم الثانى ، ص٨٢

(٢) الحسن بن سهل وزير عباسى ، وهو أبو محمد الحسن ابن سهل بن عبد الله السرخسى ، ولـــد عـــام ١٦٦هـــ/٧٨٢م وبرز اسمه إبان خلافة المأمون ، تولى على ديوان الخراج عام ١٩٦هـــ/٨١١م ثـــم تولى إمارة العراق والجزيرة من عام ١٩٨هـــ ، وفى عهده نشبت ثورة أبى السرايا التى قضى عليها بمعاونة هرثمة بن أعين ثم استوزره المأمون وقربه إليه فقضى على الفتنة التى اهاجها حميد الطوسى ببغـــداد كما قضى على حكم الغوغاء عام ٢٠٢هـــ/٨١٨م ، وأصيب الحسن بمرض الســـويـــــداء وعوفى منه قبيل زواج المأمون من أبنتـــه بوران عام ٢١٠هـــ/٨٢٥م والحسن هـــو أخـــو الوزيـــر الفضل بن سهل ، وكلاهما كان من الصـــابئة ثم اعتنق الإسلام ، واشتهر الحسن خاصـــة بـــالأدب وجودة التوقيعات وللشعراء منه مدائح مروية فى كتب الأدب ، توفى بسرخس عام ٢٣٦هـــ/٨٥١م .
أحمد عطيه الله : القاموس الإسلامى ، المجلد الثانى ، دار النهضة العربية ١٩٦٦م ص٨٦

(٣) حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، الجزء الثانى (العصر العباسى الأول) ، مكتبـــة النهضـــة المصرية ١٩٤٥م ، ص٦٧

(٤) ابن الساعى : المرجع السابق ، ص٦٩

(٥) المن ج امنان : كيل أو ميزان وهو شرعا : ١٨٠ مثقالاً وعرفًا ٢٨٠ مثقالاً . كرم البستانى وآخرون : المرجع السابق ، ص٧٧٦

(٦) التور : إناء صغير ، انظر : كرم البستانى وآخرون : المرجع السابق ، ص٦٦
، التور : قال الأزهرى : إناء معروف تذكره العرب والجمع (أتوار) .
، المقرئ (أحمد بن محمد بن على) المصباح المنير – المكتبة العلمية ، بيروت – لبنان ، المجلـــد الأول ، الجزء الأول ، ص٧٨

وذكر سيد أمير على بشأن ذلك : أن جدتها حصلت فى ليلة الزفاف صينية ذهبيـــة وأخذت تنثر منها على الخليفة وعروسه ألف حصاة من الياقوت بمختلف الأحجام والأشـــكال ، فأمر الخليفة بجمعها ونظمها عقدًا واحدًا ثم قدمه بنفسه هدية إلى الملكة الشابة.

أما غرفة العرس فقد أضيئت بشمعةمن العنبر زنتها٨٠رطلاً فىشمعدان من الذهب(١).

وذكر ابن خلدون « أن المأمون أعطاها فى مهرها ليلة زفافها ألـــف حصـــاة مـــن الياقوت وأوقد شموع العنبر فى كل واحدة مائة من وهو رطل وثلثان وبسط لها فرشا كـــان الحصير منها منسوجًا بالذهب مكللاً بالدر والياقوت ، وقال المأمون حين رآه قاتل الله أبـــا نواس كأنه أبصر هذا حيث يقول فى صفة الخمر :

كأن صغرى وكبرى من فواقعهـــا حصباء در على أرض من الذهب

وأعد بدار الطبخ من الحطب لليلة الوليمة نقل مائة وأربعين بغلا مدة عـــام كـــامل ثلاث مرات فى كل يوم وفنى الحطب لليلتين وأوقدوا الجريد يصبون عليه الزيـــت(٢) » . كما حرفوا الخيش عندما احتاجوا إلى وقود(٣) .

ومما يذكر أن أم جعفر زبيدة زوجة هارون الرشيد كانت من أكابر الرؤوس التـــى حضرت ذلك الزفاف بفم الصلح(٤) وظهرت فيه بمظاهر الأبهة والجـــلال ، وقدمـــت إلـــى

---

(١) سيد أمير على : المرجع السابق ، ص٢٣٢

(٢) ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد): مقدمة ابن خلدون ، تحقيق د. على عبدالواحد وافى ، لجنـــة البيان العربى ١٩٥٨م ، الطبعة الأولى ، الجزء الثانى ، ص٤٩٠

(٣) ابن أيبك الدوادارى (أبو بكر بن عبد الله) : كنز الدرر ، القاهرة ١٩٦٠م ، الجزء التاسع ، ص٣٣٨ ، بدرى محمد فهد : القاضى التنوخى وكتاب النشوار ، بغداد ١٩٦٦م ، ص٤٩

(٤) فـــم الصلح : نهر كبير فوق واســـط بينهـــا وبين جبل عليـــه عـــدة قـــرى ، وفيـــه كـــانت دار الحســـن بن سهل وزير المأمون ، وفيه بنى المأمون ببوران ، ياقوت (شهاب الدين أبو عبـد الله) : معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بـــيروت للطباعـــة والنشـــر ، بـــيروت ١٩٨٤م ، ص٢٧٦

وفم الصلح على بعد عدة أميال من نهر دجلة جنوب بغداد

G. Le Strange: Baghdad during the Abbasid Caliphate, Oxford University press, London, First Edition 1900, P. 246.

بوران هدايا قيمتها ٣٥ مليون من الدراهم ، البستها من هذه الـــهدايا « البدنـــة الأمويـــة » وهى من الثياب الغالية جدًا ، استولى عليها بنو العباس من بنى أميـــــة ، واعطتـــها نـــهر الصلح وكان ملكًا لزبيدة أو إقطاعًا لها[١] .

ويذكر ابن أيبك الدوادارى بشأن ليلة البناء : « ولما كانت ليلة البناء وجليت بوران على المأمون ، فرش لها حصير من ذهب وجئ بمكيل مرصع بالجواهر فيـــه در كبـــار ، فنثرت على تلك النساء اللاتى حضرن وفيهن زبيدة أم جعفر وحمدونه بنت الرشـــيد فمـــا مس من حضر من الدر شيا . فقال المأمون : شرفن أبا محمد وأكرمنه . فمدت كل واحـــدة منهن يدها ، فتناولت درة . وعاد ذلك الدر يلوح على تلك الحصير الذهب »[٢] .

ويذكر مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبى بشأن هذا العرس أنه « كان عرسًا لم يســـمع بنظيره »[٣] وذكر الذهبى فى كتابه العبر أيضًا أنه « كان عرسا لـــم يســـمع بمثلـــه فـــى الدنيا »[٤] .

ويذكر الرشيد بن الزبير : أن الناس كانوا « يستعظمون ما أنفق الحسن بن ســـهل فى عرس ابنته بوران مع عبد الله المأمون ، حتى أرخ ذلك فى الكتـــب وســـميت دعـــوة الإسلام »[٥] .

هذا وكانت مناسبة بناء المأمون ببوران حافزا لبعض الشعراء المقربين مـــن والـــد العروس فى نظم الشعر فى مديحه ، وقد كافأهم بالإغداق عليهم[٦] . وقد تبارى الناس فـــى

---

(١) ابن الساعى : المرجع السابق ، ص٦٧

(٢) ابن أيبك الدوادارى : المصدر السابق ، ص٩ ، ص٣٣٨

(٣) الحافظ شمس الدين الذهبى : كتاب دول الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م ، تحقيـــق فهيم محمد شلتوت ، محمد مصطفى إبراهيم ، جـــ١ ، ص١٢٩

(٤) الذهبى (٧٤٨هـــ/١٣٤٧هـــ) : العبر فى خبر من غبر – تحقيق د. صلاح الدين المنجد الكويت – ١٩٦٠م ، جـــ١ ، ص٣٥٨

(٥) الرشيد بن الزبير : المرجع السابق ، ص١١٩

(٦) منهم إبراهيم بن العباس وجاء ذكر إنشاده فى : ابن منظور : مختار الأغانى جـــ ص٢٨٦ . ومنـــهم أيضًا على بن جبلة وجاء بعض شعره فى : مصطفى جواد : سيدات البلاط العباسى ، دار الكشـــاف للنشر والطباعة والتوزيع ، ص٥٥ ، بيروت لبنان ١٩٥٠م

تقديم الهدايا النفسية لوالد العروس بمناسبة زواج ابنته وكان بالقرب منهم رجل من الأدبـاء فأهدى إليه مزودا فيه ملح وطيب ومزوداً فيه أشنان وكتب إليه معـهما أنـى كرهـت أن تطوى صحيفة أهل البر ولا ذكر لى فيها فوجهت إليه بالمبدأ به ليمنه وبركته وبـالمختوم به لطيبه ونظافته ومع ذلك .

بضـاعتى تقصـر عـن همتـى وهمتـى تقصـر عـن مـالى

فالملـح والاشـنان يـا سـيدى أحسـن مـا يهـديـه أمثـالى[1]

ومن الجدير بالذكر أنه سبق الاحتفال بزفاف بوران على المأمون - وما تم فيه مـن مبالغة ومغالاة فى الأنفاق - بثمان سنوات الاحتفال بليلة الأملاك وفيها نثر الحسـن بـن سهل والمأمون على الحاضرين فيذكر ابن خلدون « إن الحسن بن سهل نثر يوم الأمـلاك فى الصنيع الذى حضره حاشية المأمون فنثر على الطبقة الأولى منهم بنادق المسك ملتوتـة على الرقاع بالضياع والعقار مسوغة لمن حصلت فى يده بقع لكل واحد منـهم أداة إليـه الاتفاق ، وفرق على الطبقة الثانية بدر الدنانير فى كل بدرة عشـرة آلاف وفـرق علـى الطبقة الثالثة بدر الدراهم كذلك بعد أن انفق على مقامه المأمون بداره أضعاف ذلك »[2].

ويذكر الرشيد بن الزبير أن المأمون نثر يوم الأملاك كل شئ له قدر يجرى علـى مثله ملك ، من الكراع ، والرقيق ، والبـزاة ، والكسـاء ، والصياغـات ، والطيـب ، والضياع ، والعقار ، والجوهر ، والدنانير والدراهم ، وكان جميع ذكـر هـذه الأصنـاف مثبتًا فى رقـاع . فكان من التقـط رقعـة وصنف ، صار إلى خـازن ذلـك الصنـف فقبضه منه »[3] .

---

(١) الغزولى : مطالع البدور فى منازل السرور ، مطبعة إدارة الوطن ١٢٩٩ - ١٣٠٠هـ - الطبعـة الأولى ، الجزء الثانى ، ص٦٥

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٤٨٩ ، ١٧٣

اللت الشد والإيثاق ، والمعنى أن بنادق المسك مشدودة على الرقاع ومثبتة عليها ، فى صورة يتكـون منها فى كل رقعة جملة تهب من وقعت فى يده ضيعة أو عقاراً من أملاك الحسن بن سهل ، البـدرة عشرة آلاف درهم وجمعه بدر وبدور .

(٣) ابن الزبير : المرجع السابق ، ص١٠٠

هذا عن أمثلة لزيجات شهيرة فى موطن الخلافة العباسية أما عن أشـــهر الزيجـــات فى العصر العباسى – فى مصر – فإنه يتبادر إلى الذهن عنها ولأول وهلـــة زواج قطـــر الندى[1] ابنه خمارويه بن أحمد بن طولون والخليفة المعتضد[2] الذى أفاض المؤرخون فـــى ذكره حتى لا تكون مبالغين إذا قلنا أنه ما من مؤرخ تناول تلـــك الفـــترة إلا وذكـــر زواج قطر الندى والمعتضد وما تم من عرس ونقل جهاز لم يسمع بمثله ، فيذكر المسعودى أنـــه فى عام ٢٧٩هـــ/٨٩٣م « قدم الحسن بن عبد الله المعروف بابن الجصاص رســـولاً مـــن مصر لخمارويه بن أحمد ومعه هدايا كثيرة . وأموال جليلة فوصل إلـــى المعتضـــد يـــوم الاثنين لثلاث خلون من شوال وخلع عليه وعلى سبعة نفر معه ثم سعى فى تزويـــج ابنـــه خمارويه من على المكتفى فقال المعتضد إنما أراد أن يتشرف بنا وأنا أزيد فى تشريفه أنـــا اتزوجها فتزوجها »[3] .

وكان عمر البنت فى ذلك الوقت عشر سنوات فقط ولكن أجل حفل العرس إلى عـــام ٢٨٢هـــ/٨٩٥م حتى يصل سنها حوالى اثنا عشر سنة[4] .

---

(١) هى أسماء بنت خمارويه بن أحمد بن طولون من شهيرات النساء عقلاً وجمالاً وأدبًا تزوجها المعتضد العباسى وجهزها بجهاز لم يعمل مثله . توفيت ببغداد سنة ٢٩٧هـــ/٩٠٠م . ودفنـــت فـــى قصـــر الرصافة .

انظر : خير الدين الزركلى : المرجع السابق ، جـــ١ ص١٠٢ ، جـــ٢ ص٧٩٦

(٢) بويع أبو العباس أحمد بن طلحة المعتضد بالله فى اليوم الذى مات فيه المعتمد على الله عمه وهو يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٧٩هـــ/٨٩٣م وأمه أم ولد رومية ويقال لها مـــــرار وكانت وفاته يوم الأحد لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٢٨٩هـــ/٩٢٠م فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر ويومين وتوفى بمدينة السلام وله سبع وأربعون سنة وقيل أنه ولى الخلافة وهـــو ابـــن إحدى وثلاثين سنة وتوفى سنة تسع وثمانين على ما ذكر وله أربعون سنة وأشهر على تباين أصحاب التواريخ فى كتبهم وما أرخوه فى أيامهم .

المسعودى : المرجع السابق ، جـــ٢ ، ص٤٦٢

(٣) المسعودى : المرجع السابق ، جـــ٢ ، ص٤٦٣

(4) Stanley Lane-Poole: A History of Egypt in the Middle ====es, Fourth Edition, London 1925, P. 74.

ويبدو أن تزويج خمارويه لابنته من الخليفة المعتضد كان زواجًا ذا مغـزا سياسـيًا فعندما فرغ بنو العباس من أمر على بن محمد صاحب الزنج الثائر فى البصرة ونواحيـها المدعى أنه الإمام القائم بالحق الموعود به ، وجهوًا جيوشهم نحـو الأطـراف العاصيـة كمصر وغيرها فخشى خمارويه أن تطول الحروب والكروب بينه وبين العبـاس ، فبـادر إلى المعتضد بالله أبى العباس أحمد الخليفة الجديد بالهدايا والتحف العظيمة ، التى أرسـل بها مع تاجر من تجار بغداد - وهو ابن الجصاص - الذى عرض على الخليفة المعتضـد رغبة خمارويه فى تزويج ابنته قطر الندى من ابنه المكتفى ، فكان رده بأن يتزوجها هو.

وعن الهدايا التى أرسلها أبو الجيش خمارويه إلى الخليفة المعتضد فكـانت تشـمل عشرين حملاً من أحمال البغال محملة مالا ، وعشرة خدم بدوابـهم وصندوقيـن كبـيرين مملوءين بالثياب الفاخرة وعشرين فارسا ومعهم خيولهم وعليها السروج المحلاة بالفضـة وسبع عشرة دابة منها خمسة دواب عليها سروج من ذهب والباقية عليها سروج فضيـة ، وسبعة وثلاثين دابة بجلال ديبـاج وبراقع ديبـاج وخمسـة أبغـل مصريـة بسـروجها ولجمها[1]. وكان مهر الخليفة المعتضد لعروسه قطر الندى مليون درهم وعطر وطيب مـن الصين والهند وأشياء ثمينة مختلفة[2].

وعن جهاز قطر الندى يذكر المقريزى أن خمارويه : « أخذ فى تجهيز ابنته جهازاً ضاهى به نعم الخلافة فلم يبق خطيرة ولا طرفة من كل لون وجنس إلا حمله معها فكان مـن جملته دكة أربع قطع من ذهب عليها قبة من ذهب مشبك فى كل عين فى التشبيك قرط معلـق فيه حبة جوهر لا يعرف لها قيمة ومائة هون من ذهب »[3] . وقد جاء بأحد المراجـع أن عدد هذه الاهوان كان ألفا وهى خاصة بسحق الطيب الخاص بزينة قطر الندى[4] .

---

(١) الرشيد بن الزبير : المرجع السابق ، ص٤١

، مصطفى طه بدر : مصر الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٤م ، ص١٢٤

(2) Stanley Lane-Poole: Op. Cit., P. 74.

(٣) المقريزى : الخطط ، جـ١ ، ص٣١٩

(4) Lane-Pool, S.: Op. Cit., P. 74.

كما شمل الجهاز من أدوات الثياب « ألف تكة الثمن عنها عشرة آلاف دينار »[1].

كما ضم الجهاز حلى قطر الندى وجواهرها وكانت فى عشرة صناديق كبيرة كان فيها أربعة آلاف حزام مجوهر وألف أناء من الذهب الإبريز أودعت فيها الروائح الذكية»[2] .

ولم يكتف خمارويه بكل ذلك بل أنه أعطى ابنته على ما يقال مائة ألف دينار لتشترى بها من العراق ما قد تحتاج إليه مما لا يتهيأ مثله بالديار المصرية[3] .

ونستدل على الأموال الطائلة التى أنفقها أمير مصر فى تجهيز ابنته مما جاء فى الخطط المقريزية وهو أن خمارويه سأل عبد الله بن الجصاص عندما تم الجهاز وتهيأت العروس وجهازها للسفر – قائلاً : « هل بقى بينى وبينك حساب فقال لا ، فقال ، انظر حسابك فقال كسر بقى من الجهاز ، فقال أحضروه فأخرج ربع طومار فيه سبت ذكر النفقة فإذا هى أربعمائة ألف دينار »[4] .

فإذا كان الكسر اليسير الذى تبقى من الجهاز يبلغ أربعمائة ألف دينار فما بالنا بثمن الجهاز كله الذى لم ير مثله ولا يسمع به »[5] .

والواقع أن أبهة الجهاز الذى جهز به أمير مصر ابنته أذهلت بلاط بغداد ، الذى اعتاد منذ فترة غير قصيرة حالاً هى أقرب إلى الضيق منها إلى السعة ، ودعت إلى رواج إشاعة تقول بأن الخليفة لم يقبل على هذه المصاهرة مع خمارويه إلا ابتغاء إفقاره[6] . فلا يستطيع أن بينى دولة قوية ، على أن المعتضد اشترط على خمارويه أن

---

(١) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣١٩

(٢) هند اسكندرعمون : تاريخ مصر ، مطبعة المعارف ١٩١٣م ، الطبعة الثانية ، ص١٣٤ ، ١٣٥

(٣) مصطفى طه بدر : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٢٥

(٤) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣١٩

(٥) المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

(٦) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية – الإمبراطورية الإسلامية وإنحلالها – نقله إلى العربية د. نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى – دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦١ ، الطبعة الثالثة – ٢ – ص٦٧

يحمل إليه من خراج مصر مائتى ألف دينار فى كل سنة ، وهذا مقدار قليل على من تولى مصر فأنها معدن الأموال[١] .

وعلى أية حال فقد بذل خمارويه الأموال الطائلة من بيت مال مصر فى تجهيز ابنته – الذى كان عامرًا فى ذلك الوقت – مما أدى به وببيت مال مصر إلى الإفلاس[٢] .

وإن كان مما يذكر أيضًا أن جملة ما أنفقه خمارويه على زواج ابنته مليون دينار . ولكن الخليفة شاء أن يعيضه عنها فأعاد إليه السيادة من الفرات إلى برقة بالإضافة إلى خفض الجزية السنوية[٣] .

وقد أقيمت الحفلات والمآدب بمناسبة الزفاف فكانت مملوءة بمظاهر الأبهة والبذخ، فأسمطة فاخرة ، وصحاف من الذهب ، وألوان مختلفة من الطعام وكانت الأميرة تجلس فى صدر السماط وقد أثقلها الحرير والماس ، فكانت تحمل على رأسها إكليلاً من الذهب ، وعلى رأسها طرحة مرصعة بالجوهر ، وفى أذنيها قرط تنوء بها الأذنان ، وفى معصميها الأساور النادرة ، وتحلى أصابعها خواتم فريدة[٤] ، وكانت أمها عن يمينها وجدتها مياس عن يسارها[٥] . ولم يكتف خمارويه بما أعده لابنته « قطر الندى » من جهاز بل أمر أن يبنى لها على رأس كل مرحلة المسافة بين القطائع عاصمة الطولونيين فى مصر وبين بغداد عاصمة العباسيين قصر تنزل فيه . وأصبحت هذه القصور كأنها مدينة واحدة تمتد ما بين شاطئ النيل وشاطئ دجلة ، فإذا وافت المنزل وجدت قصرًا قد فرش فيه جميع ما يحتاج إليه وعلقت فيه الستور وأعدت فيه المخادع ، وهيئت الموائد والخدم والحشم والجوارى ، وأعد فيه كل ما يصلح لمثلها فى حالة الإقامة فكانت فى مسيرها من مصر إلى بغداد على بعد الشقة كأنها فى قصر أبيها تنتقل من مجلس إلى مجلس مستمتعة بكل وسائل الراحة[٦] .

---

(١) مصطفى جواد : المرجع السابق ، ص٩٧

(٢) د. على إبراهيم حسن : الأيوبيين والمماليك ، ص٦٢

(٣) هند اسكندرعمون : المرجع السابق ، ص١٣٥

(٤) أحمد شلبى : المرجع السابق ، ط.٧ ، جـ٣ ، ص٤١٢

(٥) د. حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ط.٣ ، جـ٣ ، ص٤٥٨

(٦) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣١٩

، د. على إبراهيم حسن : نساء لهن فى التاريخ الإسلامى نصيب ، ص١٠٥

Lane-Poole, S.: Op. Cit., P. 74.

وقد حملت عروس مصر إلى خليفة بغداد فى هودج وكان معها عمها شـــيبان بـــن أحمد بن طولون ، وخرجت تودعها من الفسطاط عمتها العباسة بنت أحمد بن طولـــون ، فلما بلغت آخر الأعمال المصرية من جهة الشام ودعتها ورجعت إلى مصر(١) .

وكان يسير فى المواكب أيضًا صفى أبيها أو عبد الله بن الجصاص وجماعـــة مـــن الأمراء والأعيان وقادة الجند ، على جيادهم المطهمة وبين أيديهم غلمـــان ومـــن ورائـــهم غلمان ، وعلى جانبى الطريق حراس من جند خمارويه قد لبسوا الديباج وعقدوا المنـــاطق المحلاة وشرعوا سيوفًا بارقة ، وقد جلست العروس فى هودجها بين النمـــارق والحشـــايا ناعمة كأن لم تبرح مجلسها من قصر الأمير وجلست بين يديها ماشتطها أم آســـية تقـــص عليها من أنبائها كل طريفة تبهج القلب وتسر النفس(٢) .

ودخل موكب قطر الندى بغداد يـــوم الأحـــد لليلتيـــن خلتـــا مـــن المحـــرم ســـنة ٢٨٢هـــ/٨٩٥م وأنزلت هى فى دار صاعد بن مخلد وأقيمت الحفلات ودعيت النساء مـــن علية القوم ، وكن يرتدين أفخر الثياب ، ويتزين بأنفس الحلى ، ومدت الأســـمطة وعليـــها ألوان الطعام ، على النحو الذى مدت فى مصر ، وأحضرت القيان والمغنيات(٣) .

وكان الخليفة المعتضد يومذاك غائبًا أيضًا بالموصل . ولا ربع ليال خلون من شـــهر ربيع الآخر ، نقلت قطر الندى من دار صاعد إلى قصر المعتضد بالله ، وكان انتقالها فـــى سفينة كانت معروفة إذ ذاك الحراقة ، ومعها عدة حراقات وشـــذوات والشـــذوات الســـفن الصغيرة(٤) .

وفى العصر الفاطمى نلاحظ أن طبقته الخاصة كانت تغالى فى إعداد جهاز بناتـــها كنوع من المباهاة وإظهار النفوذ ، ومن الأمثلة على ذلك ، أنه فى جمـــادى الآخـــر ســـنة ٣٨١هـــ/٩٩١م زفت أخت كاتب السيدة العزيزية « إلى زوجها بلتكين التركى ، وحملـــت

---

(١) هند اسكندرعمون : المرجع السابق ، ص١٣٤

(٢) محمد سعيد العريان : قطر الندى ، ص٢١٥ ، ٢١٦

(٣) د. حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ط.٣ ، جـ٣ ، ص٤٥٨

(٤) مصطفى جواد : المرجع السابق ، ص٩٧ ، ٩٨

معها جهازاً قيمته مائة ألف دينار ، سوى صناديق محملة على ثلاثين بغلا تحمل الملابس والتحف الثمينة ، وعملت له مائدة ذبح فيها عشرون ألف حيوان وطائر ما بين كبش وخروف وأوزة ودجاجة .

وعند زواج الخليفة العاضد من أخت الوزير العادل رزيك ، حمل معها جهاز فخم يليق بالخليفة بالإضافة إلى عدد من الصناديق التى تحوى قناطير من الذهب . وكانت الموائد الفاخرة جزءًا من الاحتفال بالزواج ، ولدينا مثال على ذلك لطبقته الخاصة فى مائدة بلتكين التركى ، وإن كانت المصادر لم تذكر شيئًا عن الموائد التى تقام فى احتفالات العامة بالزواج إلا أنه من المسلم به أن الطعام والحلوى والشراب كانوا يمثلون مظهرًا رئيسيًا للاحتفال بهذه المناسبة .

وكانت توجد فى الدولة الفاطمية دورًا مخصصة لإقامة حفلات الزفاف تستأجر من أصحابها لهذا الغرض ، وكان على ملاك هذه الدور التزام جانب الأخلاق الحميدة والمحافظة على حرمة أصحاب الحفل .

وكانت العروس تجلس فى مكان الاحتفال على دكة عالية بمفردها بحيث تصل إليها أنظار الحاضرات وهى فى أكمل زينة وأفخر ثياب ، وقد التف حولها أفراد أسرتها والمدعوات ، وكان هذا الحفل قاصرًا على النساء ، ومن جهة أخرى يخصص مكان آخر للزوج ومعه أصدقاؤه والمدعوون من الرجال للاحتفال به على غرار ما يحدث فى مجلس العروس ، وكانت مظاهر البهجة والسرور تعم الاحتفال فتغنى المغنيات وتعمل فيه أنواع الملاهى والمضحكات والرقص وتوزع أنواع الحلوى والأطعمة على الحاضرين حسب مكانة صاحب الحفل وثرائه .

وكانت احتفالات طبقة الخاصة بمناسبة الزواج ، تكون على درجة كبيرة من الفخامة وتتميز بمظاهر الثراء ، فتوزع فيها الهبات الثمينة وتنثر خلالها الأموال على العامة ، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر ظافر الحداد يمدح أمير الجيوش بدر الجمالى ويهنئه بزواج ولده .

فتحت للناس أبواب السـرور بـه فالعرس فى كل قلب غير مختصر

لله ملـك وأمـلاك قـد اقتـرنـا إلى السـعادة فى أمن من الغيـر

نثرت للنـاس من عين ومن ورق فيـه فلم يبق من لم يحظ بالبـدر

أما قيمة ما يمهره الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة فى العصر الفـاطمى فكـان ضخمًا ، فعندما عقد العزيز قرأنه على ابنة عمه سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م أمهرها مائتى ألـف دينار ذهبًا ، كما أن الآمر عندما تزوج السيدة « علم الأمرية » سـنة ٥٢٦هـ/١١٣١م كتب صداقها ، وجعل المقدم منه أربعة عشر ألف دينار . وعقد زواج ابنتى قـائد القـواد الحسين بن جوهر سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م ، فى القصر ، وخلع الحاكم على الزوجين ودفـع عنها المهر ومقداره ألف دينار .

ومن الجدير بالذكر أن نص العقد فى العصر الفاطمى كان - غالبًا - مـا يحتـوى على الدعاء للخليفة وآبائه الطاهرين ، ونلاحظ هذا الأمر فى عقد زواج مـؤرخ فـى ١٥ جمادى الأولى سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م فى عهد الخليفة الظاهر لإعـزاز ديـن الله وكـان الخليفة يسجل بعض العبارات بخطه فى عقد قرآن أبناء كبار رجال الدولـة والأمـراء ، ومثال ذلك ما كتبه الخليفة الحاكم فى سجل زواج ابنتى الحسين بن جوهر « يعقـد هـذا النكاح بمشيئة الله وعونه ، والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل » [1] .

ويبدو مما خلفته بعض سيدات الفواطم من تركات مبلغ ما كـن عليـه مـن ثـراء بالإضافة إلى ما توضحه هذه التركات - التى ربما كانت من بقايا جهازهن - مبلغ ما كـن يتجهزون به من ثراء وتنوع وفخامة .

فقد وجد لعبدة بنت المعز الكبرى - وهى المولودة بجيزة مصر عنـد ورود أبيـها المعز إليها فى سنة اثنتين وستين وثلاث مئة هجرية (٩٧٠م) - متاع كثير ، ويؤكد ذلـك ما ذكره خزان القصر بالقاهرة من أن خزائن السيدة عبدة ومقاصيرهـا وصناديقـها ومـا

---

(١) د. عبد المنعم سلطان : المجتمع المصرى فى العصر الفاطمى ، دار المعـارف بمصـر ١٩٨٥م ، ص١٨٩ - ١٩٣

يجب أن يختم عليه من موجودها استخدم فيه من الشمع أربعون رطـــلاً بـــالمصرى . وأن بطائق المتاع الموجود لها كتبت فى ثلاثين رزمة ورقا[1] .

كما وجد للسيدة راشدة بنت المعز لدين الله حين ماتت فى ســـنة اثنتيـــن وأربعيـــن وأربع مئة للهجرة (١٠٥١م) ما قيمته ألف ألف وسبع مئة ألف دينار ، وكان فى جملـــة ما وجد في خزائن كسوتها ثلاثون ألف ثوب خز مقطوع ، واثنا عشر ألفـــا مـــن الثيـــاب المصمته ألوانًا ، ومئة قطر ميز مملوءة كافوراً[2] .

كذلك خلفت السيدة ست مصر بنت الحاكم بأمر الله حين مات فى مستهل جمـــادى الآخرة من سنة خمس وخمسين وأربع مئة للهجرة (١٠٦٣م) مالا يحصى كثرة ووجـــد لها ثمانية آلاف جارية ، وكان فى جملة موجودها نيف وثلاثون زيـــرًا صينيًـــا مملـــوءًا جميعها مسكا مسحوقا . ووجد لها جوهر نفيس من جملته قطعة يـــا قـــوت فيـــها عشـــرة مثاقيل[3] .

وفى العصر الأيوبى تمت بعض الزيجات التى نقلت فيها العروس من مصر إلـــى الشام توطيدا لأواصر الصلات بين أطراف المملكة الأيوبية مثال ذلك زواج بنتـــى الملـــك الكامل فاطمة خاتون وغازية خاتون فقد تزوجت الأولى من الملك العزيز صـــاحب حلـــب والثانية من الملك المظفر صاحب حماه ابن عمتها . وحملت كل منهما إلى بعلها واحتفـــل لدخولهما بحماه وحلب وقد خرجت العروستان بصحبة والدهمـــا الملك الكامل من مصـــر فى عام ٦٢٩هـ/١٢٣٢م[4] .

ومما يذكر أنه تم عقد الملك المظفر صاحب حماه على ابنة خاله غازية خـــاتون – بعد أن استقر له ملك حماة – فى عام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م ، وقد قضيت أمانيه بملـــك حمـــاة ووصلته بخاله الملك الكامل وكان يتمنى ذلك لما كان بالديار المصرية وكان يصحبه وهـــو

---

(١) الرشيد بن الزبير : المرجع السابق ، ص٢٤٢

(٢) المرجع نفسه ، ص٢٤١

(٣) المرجع نفسه ، ص٢٤٠

(٤) أبو الفداء : المرجع السابق ، جـ٣ ، ص١٦٠

بمصر رجل من أهلها يقال له الزكى القومصى فاتفق وهما بمصر وقد جرى ملك الملـــك المظفر حماة وزواجه بنت خاله الملك الكامل فأنشده الزكى القومصى :

متى أراك كما أهــوى وأنت ومن تهــوى كانكما روحان فى بــدن

هناك أنشــد والأقــدار مصغيــة هنيت بالملك والأحباب والوطــن[1]

كما تم عقد أختها فاطمـــة علـــى المـــلك العزيــز صــاحب حلــب فــى عــام ٦٢٦هـــ/١٢٢٩م ، أيضًا بعد أن عقد الملك الكامل الهدنة مع الفرنج[2] .

كما تمت فى العصر الأيوبى بعض الزيجات السياسية بين الأيوبيين والروم[3] ففـــى سنة ٦٣٥هـــ/١٢٣٨م ، عقد لسلطان الروم غياث الدين كيخسرو بن كيقباد بـــن كيخســر والعقد على غازية خاتون بنت الملك العزيز محمد صاحب حلب ثم عقد للملـــك النـــاصر يوسف ابن الملك العزيز صاحب حلب العقد على أخت كيخسرو وهى ملكة خاتون بنـــت كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان وأم ملكة خاتون بنت الملك العادل أبى بكر بن أيـــوب وكان قد زوجها الملك المعظم عيسى صاحب دمشق بكيقباذ المذكور[4] .

ويبدو أن أفراح الأيوبيين كانت تقام فى حفل موسيقى غناء ، فعلـــى الرغـــم مـــن انشغال الأيوبيين بالحروب الصليبية المتوالية وقيامهم بتحصين البلاد وبناء القلعـــة وغـــير ذلك من الأعمال الحربية التى وسعت رقعة ملكهم إلى سوريا وفلسطين واليمن وإشـــرافهم على الإمارات التابعة لهم ، فقد نالت الموسيقى وافرًا من عنتهم . ولم تحل تلك المشـــاغل

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص١٥١ ، ١٥٢

(٢) المرجع نفسه ، ص١٤٩

(٣) المقصود بالروم هنا هم سلاجقة الروم أى السلاجقة الذين سكنوا شرق روما والذين أطلـــق عليـــهم معاصروهم هذا الاســم عندما انشأوا دولتهم فى آســيا الصغرى بعد انتصارهم على البيزنطيين عام (٤٦٤هـــ/١٠٧١م) فى معركة ملازكرد الشهير .
تامارايس : السلاجقة ترجمة لطفى الخورى ، إبراهيم الداقوقى مراجعة عبد الحميـــد العلوجـــى . مطبعة الإرشاد – بغداد ١٩٦٨م ، ص١٧

(٤) أبو الفداء : المرجع السابق ، ص١٧٠

عن ازدهار فن العزف والغناء فى عهد صلاح الدين وخلفائه مـــن ســـلاطين الأيوبييـــن . ومن كانت لهم الحظوة عند صلاح الدين وابنه العزيز « موسى بن ميمون » الذى طبقـــت شهرته الموسيقية الآفاق « وأبو ذكريا الياس » ابن المالك « العادل » ما اكسبها الصيـــت البعيد والمكانة الفنية المرموقة[1] .

* * *

(١) د. محمود أحمد الحفنى : موسيقى القاهرة فى ألف عام ، مجلة الفنون الشعبية ، مـــارس ١٩٧١م ، العدد ١٦ ، ص١٠ ، ١١

الفصل الأول

مكونات جهاز العروس فى مصر

فى عصر سلاطين المماليك

أولاً : الأثاث المنزلى

الفصل الأول

مكونات جهاز العروس

اشتمل جهاز العروس فى عصـــر سلاطين المماليك - كالمعتاد فـــى كـــل زمـــان ومكان - كل ما يخص المنزل من كبيرة وصغيرة مـــن أثـــاث مـــنزلى وأدوات مطبـــخ ومفارش للأرض وأدوات إضاءة ، بالإضافة إلى ما يخص العروس من حلـــى وملابـــس وأدوات تجميل .

أولاً : الأثاث المنزلى :

إن أهم شئ يقوم والد العروس بإعداده بعد قبض المهر من العريس هو الأثـــاث[1] الخشبى الخاص بالنوم والجلوس وما يتعلق بهذا الأثاث من مفروشات .

ونظرًا لعدم وجود أثاث خشبى - خاص بالمنزل - فى المتاحف يرجع إلى عصـــر المماليك فقد استقينا مادتنا عنه من المصـــادر والمخطوطـــات المصـــورة ومـــن التحـــف الموجودة فى المتاحف والتى رجع إلى العصر العثمانى لأن تحف وأثاثات العصر الأخـــير تعتبر إمداداً لعصر المماليك ومنها نستطيع أن نكون تصورا لهذا الأثاث فى جهاز عـــروس مصر المملوكية . وعليه فهو يتكون من السرير والدكة والدولاب والأريكـــة والصنـــدوق ومفروشات السرير والمرتبة اللحاف والناموسية والمخدات والنمارق والمتكآت والمســـاند والمساور والوسائد والمرافق والمدورات وستائر المنزل .

---

(١) الأثاث : متاع البيت الواحدة أثاثه .

المقـــرى (أحمد بن محمد بن على - ت ٧٧٠هـ) : المصباح المنير فى غريـــب الشـــرح الكبـــير للرافعى ، المجلد الأول ، طبعه بيروت ، ص٤

١ ـ السرير :

وجد السرير[١] ضمن أثاث المنزل فى عصر المماليك والدليل على ذلك مـــا ذكـــره المقريزى فى معرض حديثه عن سوق الصنادقيين – الذى كان موجوداً فى ذلك العصـــر – أنه كن مخصصًا لبيع الصناديق والخزائن والأسرة مما يعمل من الخشب[٢] .

وأيضًا تشبيهه ـ أى المقريزى ـ للدكة النحاس المكفتة الموجودة فى جهاز العـروس المملوكية بالسرير[٣] ، وهنا نلاحظ أن السرير كان شيئًا معهودًا ومعروفًا ومنتشـــرًا ولـــذا شبه به المقريزى الدكة . كما أن من الأدلة على وجود السرير فى ذلـــك العصـــر أيضًـــا وجوده مصوراً ضمن تصاوير مخطوطات عصر المماليك[٤] .

---

(١) السرير المضطجع والجمع أسره وسرر والسرير الذى يجلس عليه معروف وفى التنزيل العزيز على سرر متقابلين وبعضهم يستثقل اجتماع الضمتين فى التضعيف فيرد الأول منهما إلى الفتحـــة لخفتـــه فيقول سرر .

انظر :

ابن منظور : (٦٣٠ – ٧١١هـــ) : لسان العرب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة طبعة مصـورة عن طبعة دار الكتب ، الجزء السادس ، ص٢٥

، سرير : سرير ، عرش ، سرير الملك

د. عبد المنعم محمد حسنين : قاموس الفارسية ، دار الكتاب المصرى ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، الطبعـة الأولى ، ص٣٧١

وقد قيل أن السرير مأخوذ من السرور لأنه فى الغالب لأولى النعمة ، وقد يعبر عن السرير بـــالملك ويجمع على أسرة وسرر بضمتين فيهم من يفتح الراء استثقالاً للضمتين .

انظر :

العينى (أبو محمد محمود بن أحمد : عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى) دار الطباعة العامرة ، الجزء العاشر ، ص٥٠٣

(٢) المقريزى : (تقى الدين أبى العباس أحمد بن على) ت ٨٤٥هـــ : كتاب المواعظ والاعتبار بذكـــر الخطط والآثار ، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة ١٩٨٧م ، الطبعة الثانية ، الجزء الثانى ، ص١٠٢

(٣) المصدر نفسه ص١٠٥

(4) Duncane Haldane; Mamluk Painting, England 1978, P. 70, PL. 28.

نضف إلى هذا ما ذكره ابن شاهين من أن القاعة الكبرى المعروفة بـــالعواميد الخاصـــة ببعض الخواندات كان من ضمن ما تضم « تخوت مفضضة وتخت مرصع مذهب »[1] .

وبما أن التخت[2] لفظة فارسية تعنى السرير إذا فقد وجدت الأســـــرة فـــى عصـــر المماليك وكانت تصفح بالفضة والذهب . ويبدو أن السرير كان من أهم ما تجهز به بنـــات السلاطين والأمراء . فقد جاء ببعض المصادر عند سردها لأهم مكونات جهاز بنات تلـــك الطبقة وهى الطبقة العليا فى ذلك الوقت أنها كانت تحتوى على بشخاناه مثال ذلك ما كـــان بنات السلطان الناصر محمد بن قلاوون وجهاز بنت الأمير أحمد بـــن بكتمـــر الســـاقى[3] وغيرهن .

ووجود البشـــخاناه[4] فى جهاز العروس تؤكد وجود السرير به أن لم يكـــن هنـــاك نص صريح على وجوده ، فالناموسية لا تركب إلا على أعمدة السرير لتقـــى النـــائم مـــن

---

(١) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تصحيح بولس راويس ، طبع بباريس سنة ١٨٩٤ مسيحية ، ص١٢١

(٢) عبد النعيم محمد حسنين : المرجع السابق ، ص١٥٧

وفسر السرير بالتخت ويغلب على تخت الملك يقال «زال عن سريره أىذهب عزه ونعمته » سمى به لأن مـــن جلس عليه من أهل الرفعة والجاه يكون مسروراً جمع أسرة وسرر بضمتين وبعضهم يقول (سرر) بضم ففتح ومستقر الرأس فى العنق تقول « ضرب سرير رأسه وضربوا أسرة رؤوسهم ».

انظر : سعيد الخورى الشرتونى : أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد ، بـــيروت ، ١٨٨٩ ، ص٥١١

وجاء معنى السرير على أنه التخت ، جمع أسرة ، سرر ، فى :

قاضى زين العابدين سجاد ميرسهى : بيان اللسان عربى اردوركشزى مع لغات قرآن – الناشر : دار الاشاعت ، ص٣٦٤

(٣) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشر زيادة ، القاهرة ١٩٧١م ، الجزء الثانى / القسم الأول ، ص٢٨٨ ، ٢٤٩ ، الجزء الثانى / القسم الثانى ص٥٣٦ ، الجزء الثانى / القسم الثالث ص٦٢٣

(٤) البشخاناه لفظة فارسية أجمعت القواميس على أنها تعنى الكلة أو الناموسية وهى تتكون من مقطعيـــن بشه وتعنى البعوض (الناموس) أو البق وخانه وتعنى المنزل ، البيت ، الدار أى معناها الكلى البيت أو المكان الواقى من الناموس أى ناموسية .

الناموس ولتزيد من زينة السرير وابهته ،وقد فسر ذورى لفظ البشخاناه والجمع بشـــاخين على أنها تعنى الناموسية أو ما يشببها من حلية حول السرير أو الغرفة التى بها الناموســية (غرفة النوم) .

فكون دوزى[1] فسر البشخاناه على أنها الناموسية فهذا صحيح أما كونه أطلق نفــس اللفظ على السرير أو غرفة النوم أى أنه أطلق الجــزء علــى الكــل مجــازًا فذلــك لأن الناموسية لا توجد إلا على السرير ، والسرير لا يوجد إلا فى حجرة النوم .

وقد جاء ذكر الناموسية[2] فى بدائع الزهور فى واقعة وردت بتـــاريخ الســبت ١٢ شوال سنة ٩١٩هـــ/١٣٦١م فى عهد الأشرف قانصوه الغورى ملخصها أن شخصًا نــوى المبيت خارج المنزل فى ضريح الإمام الليث رضى الله عنه[3] فعلم وهو هناك أن زوجتــه

انظر : د. عبد النعيم محمد حسنين : المرجع السابق ، ص١٣٧ ، ٢١٣

محمد معين : فرهنك فارسى ، تهران ، ١٣٤٤ هـــ. ش ، الجزء الأول ، ص٩٢٠

F. Steingass: Persian-English Dictionary, London 1892, P. 252.

ويطلــق اللفظ الفارسى بشبه بنده على الناموسية والكلة أيضًا ، د. عبد المنعم حســـنين : المرجــع السابق ، ص١٣٧

(1) R. Dozy: upplement Aux Dictionaires. Arabes, Leide/Paris 1927. P. 88.

(٢) الناموسية نسيج رقيق يجعل على السرير وقاية من الحشرات ، أخذوها من الناموس ، وفصيحها الكلة وهى غشاء رقيق يحاط كالبيت يتوقى به من البعوض ،

انظر : رشيد عطية اللبانى : الدليل إلى مرادف العامى والدخيل ، بيروت ١٨٩٨م ، ص٣٢٢

وقد جاء فى المعجم الوسيط أن الكلة ستر رقيق مثقب يتوقى به من البعوض وغيره وجمعها كلل .

إبراهيم مصطفى : المعجم الوسيط ، مطبعة مصر ، ١٩٦١م ، جـــ٢ ، ٨٠٢

(٣) هو الإمام أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن فهمى- نسبة إلى فهم وهم بطن من قيس عيلان ، وهو أصفهانى الأصل مصرى المولد إذ ولد ببلدة قلقشندة إحدى قرى مديرية القليوبية وكان مولــده فى شعبان سنة ٩٤هـــ وقيل أن مولده كان فى سنة ٩٣هـــ فى اختلاف الروايات .

والإمام الليث من تابعى التابعين روى عن الكثير وروى عنه الكثير ، وأجمع العلماء على أمانته وعلو كعبه وسمو مرتبته فى الفقه والحديث وهو إمام أهل مصر فى زمانه .

ويقع مسجده الآن فى شارع الإمام الليث ، ومن المعروف أن أول من بنى على القبر بناء هو أبو زيد المصرى أحد كبار التجار وذلك بعد سنة أربعين وستمائة .

تخونه مع شخص آخر فى بيته فحضر إلى البيت وفتح الباب فوجد زوجته وهذا الشخص « فى الناموسية وهما تحت اللحاف متعانقان »[1] . ومن الجدير بالذكر أن البشخاناه كانت تصنع من الحرير الثمين المطرز بأنفس التطريزات[2].

هذا ويتضح مغالاة المماليك فى الإنفاق على الجهاز وترفهم وتأنقهم فى اختيار رياشهم من البخشاناه التى كانت تزركش بالذهب مثال ذلك بشخاناه بنت السلطان الناصر محمد عروس الأمير قوصون التى كانت من الذهب وتزن بمفردها مائة ألف[3] مثقال[4] ذهباً .

وتوالت التجديدات على الضريح والمسجد فى عصر الناصر فرج بن برقوق عام ٨١١هـ وفى عهد السلطان المؤيد ٨٣٢هـ وفى عهد قايتباى ٨٨٤هـ وفى عهد الغورى ٩١١هـ .

ويقع ضريح الإمام فى الضلع الجنوبى للمسجد وهو عبارة عن حجرة مربعة .

انظر : د. سعاد ماهر محمد : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، مطابع الأهرام التجارية ١٩٧٣م ، ص٢١٣ ، ٢٢١ ، ٢٢

(١) ابن أياس (محمد بن أحمد) : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٧٥ ، ط٢ ، جـ٤ ، ص٣٤٠ ، ٣٤١

(٢) ويتضح ذلك من بيتين من الشعر وردا على لسان بشخانه وهما :

بشخانه قد طرزت　　قالت بلفظ موجز

على الحريرى سما　　قدرى والمطرز

انظر : أمام شوشترى : فرهنك وأژه هاى فارسى درزبان ، عربى طهران ١٣٤٧هـ . ش ، ص٨٦

وقد جاء هذان البيتان بتغيير بسيط فى مطالع البدور كالآتى :

بشخانه تطرزت　　قالت بلفظ موجز

على الحرير قد سما　　قدرى والمطرز

الغزولى (علاء الدين على بن عبد الله البهائى) : مطالع البدور فى منازل السرور ، مطبعة الوطن بمصر ، ١٣٠٠هـ ، الجزء الأول ، ص٦١

(٣) المقريزى : السلوك ، جـ٢/ القسم الأول ص٢٨٨

(٤) القال درهم ودانقان ونصف ، وهو أربعة وعشرون قيراطاً ، وهو خمس وثمانون حبة ، والدرهم ستون حبة .

ومن مفروشات السرير التى كانت ضمن جهاز العروس والتى جـاء ذكرهـا فـى المصادر أيضًا وهى « داير البيت الزركشى » الذى كان يبالغ فى زركشته بالذهب مثـال ذلك ما كان بجهاز قطلوملك بنت الأمير تنكز نائب الشام من « داير بيت زنـة زركشـه ستون ألف مثقال من الذهب »[1] .

ويرجح أن يكون معنى داير البيت هو داير السرير وهو نسيج من الحرير المطـرز يحيط بأعلى أعمدة السرير ، وما زال دائر السرير يستخدم بنفس الاسم فـى الأسـرة ذات الأعمدة الموجودة فى ريفنا المصرى ، أو ربما كانت لفظة داير البيت مأخوذة مـن لفظـة ديبيت الفارسية[2] . وهو نوع من الأقمشة التيلية والتى عرفت بعد ذلك فى العامية العربيـة باسم درابية وهى المفرش الأعلى للسرير وهذا المفرش يكون من الحرير وينجـد بثميـن الحشو ويكون الحشو بسيطًا ويزركش وجهها بالتطريز والخرز واللؤلؤ .

هذا عن السرير وما يتعلق به كما جاء فى المصادر المعـاصرة لأحـداث عصـر المماليك فى مصر ، أما إذا رجعنا إلى وثائق الحرم القدسى الشريف المملوكيـة نجـد أن الأسرة لم ترد إلا مرة واحدة ضمن تركات امرأة كان سريرها من نوع الخشب الصـف[3]

ابن بسام : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، حققه وعلـق عليـه حسـام الدين السامرائى – مطبعـة المعارف ، بغداد ١٩٦٨م ، ص١٨٤

والمثقال هو وزن الدينار

Geitein. A Mediterranean Society, London 1967, Vol. I, P. 360.

والمثقال أربعة وعشرون خرنوبة (الخرنوبة ثلاث قمحات) .

السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقـاهرة ، طبـع بمطبعـة إدارة الوطـن بمصـر ، ١٢٩٩هـ ، جـ٢ ، ص٢٢٦

(١) المقريزى : السلوك جـ٢ / القسم الأول ، ص٢٨٩

(٢) هذا الرأى للأستاذ الدكتور / إبراهيم شتا ، أستاذ اللغة الفارسية .

(٣) الصف المصدر كالتصفيف وواحد الصفوف والقوم المصطفون والصافات صفا الملائكة المصطفون فى السماء يسبحون لهم مراتب يقومون عليها صفوفًا كما يصطف المصلون ، وفى التنزيل فـاذكروا اسم الله عليها صواف أى مصفوفة ، والصفيف ما صف فى الشمس ليجف .

ولعل ذلك يعود إلى أن الناس اعتـــادوا أن يفترشـــوا الأرض معتمديـــن علـــى المقـــاعد والمخدات والبسط والسجاجيد والمفارش الجلدية[1] .

ومن الجدير بالذكر أن كلمة سرير كانت موجودة قبل الإسلام وكانت تشـــير إلـــى مجلس الأمراء والملوك . ويذكر ابن خلدون فى هذا المعنـــى الآتـــى : « وأمـــا الســـرير والمنبر والتخت والكرسى فهى أعواد منصوبة أو أرائك منضدة لجلوس الســـلطان عليـــها مرتفعاً عن أهل مجلسه أن يساويهم فى الصعيد[2] . ولم يزل ذلك من سنن الملـــوك قبـــل الإسلام وفى دول العجم . وقد كانوا يجلسون على أسرة الذهب . وكان لسليمان بـــن داود صلوات الله عليهما وسلامه كرسى وسرير من عاج ، مغشى بالذهب ... وأول من اتخـــذه

انظر : الفيروز أبادى الشيرازى : القاموس المحيط ، المطبعة الأميرية ، بيـــولاق ، ١٣٠١هـــ ، الطبعة الثالثة ، الجزء الثالث ، ص١٥٨ .

ومن هنا نستشف أن هذا السرير ربما كان من ألواح مصطفة من الخشب .

(١) د. محمد عيسى صالحيه : من وثائق الحرم القدسى الشريف المملوكية ، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت – الحولية السادسة – الرسالة ٢٦ – ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص٣٣

(٢) الصعيد ج صعد وصعدات وصعدان : التراب / القبر / الطرق / يقال صارت الحديقة صعيـدًا ، أى أرضًا مستوية لأشجر فيها .

كرم البستانى وآخرون : المنجد فى اللغة والإعلام ، دار المشرق ببيروت ، ١٩٨٤م ، الطبعة السابعة والعشرون ص٤٢٤

، قال قوم وجه الأرض . وكان أبو إسحاق الزجاج يقول هو وجه الأرض ، والمكان عليه تراب أو لم يكن .

قال الزجاج : ولا نختلف أهل اللغة أن الصعيد ليس بالتراب ، وهذا مذهب يذهب إليه أصحاب مالك بن أنس . وقولهم أن الصعيد وجه الأرض سواء كان ذا تراب او لم يكن هو مذهبًا ، إلا أن الحق أحق أن يتبع الأمر بخلاف ما قاله الزجاج . وذلك أن عبيد الله حكى عن الأصمعى أن الصعيد الـــتراب . وفى الكتاب المعروف بالخليل ، قولهم تيمم بالصعيد أى خذه من غباره . فهذا خلاف ما قاله الزجاج .

انظر : ابن زكريا (أبو الحسين أحمد بن فارس) : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط عبد الســـلام محمد هارون ، دار أحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٣٦٨هـــ ، الجزء الثالث ، ص٢٨٧ .

فى الإسلام معاوية ... ثم كان بعد ذلك لبنى العباس والعبيديين وسائر ملوك الإسلام شـرقًا وغربًا من الأسرة والمنابر والتخوت ماعفا عن الأكاسرة والقياصرة »[1] .

وبالنسبة لتاريخ السرير فهو تاريخ قديم فقد عرفه المصرى القديم منذ زمـن بعيـد وما تخلف من مصر الفرعونية بالمتحف المصرى[2] والمتاحف العالمية من أسرة خشـبية وعاجية مصحفة ، ذات أرجل على هيئة رؤوس حيوانية قد صنعت بمهارة ، لخير دليـل على ذلك . واستنادا لهذا فمن البديهى أن يعرف السرير فيما تلى العصر الفرعونـى مـن عصور إلى أن وجد فى العصر الإسلامى فالتقاليد الحرفية للأثاث ظلت موجودة ولم تلـغ بظهور الإسلام .

وفى بداية الإسلام عرفت الأسرة للنوم وكان لسيدنا محمد ﷺ سرير لـه عمـود ، وقوائمه من ساج ، مرمول[3] بخزم[4] ، يعنى المسد[5] . فكان ينام عليـه حتـى توفـى ، فوضع عليه وصلى عليه وهو فوقه . فطلبه الناس يحملون موتاهم عليه[6] .

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٦٣٨

(٢) عن شكل السرير وزخارفه فى مصر فى عصر الفراعنة : انظر :

John R. Harris: Egypt World Furniture au Illustrated History, edited by Heleno Hayward, Printed in Spain 1977, PP. 10-14.

(٣) يبدو أنها تعنى منسوج أو مربوط .

وجاء فى المنجد : أرمل الحبل : طوله . الرمل : الزيادة فى الشئ ، المرمل : القيد الصغير .

رمل النسيج : رققه .

رمل رملاً السرير : زينه بالجوهر ونحوه .

المنجد : المرجع السابق ، ص٢٨٠ ، ٢٨١

(٤) الخزم : شجر كالدوم يفتل من لحائه الحبال .

(٥) المسدج مساد وامساد : حبل من ليف أو الحبل المحكم الفتل .

انظر : كرم البستانى وآخرون : المرجع السابق ، ص١٧٨ ، ٧٦١

(٦) وقد بيع ذلك السرير فى ميراث عائشة زمن بنى أمية فاشتراه رجل من موالى معاوية بأربعـة آلاف درهم فجعله الناس .

انظر : البلاذرى (أحمد بن يحيى) : أنساب الأشراف ، تحقيق د. محمد حميد الله ، دار المعـارف بمصر ١٩٥٩م ، الجزء الأول ، ص٥٢٥

واستخدم الخلفاء الأمويون أوائل الخفاء العباسيين أسرة العرش المستطيلة وكان من عادتهم دعوة أحد الضيوف للجلوس بجانبهم[1] . هذا وقد أطلق لفظ سرير على كرسى العرش فى العصر الفاطمى[2] .

وفى القرن العاشر الميلادى/الرابع الهجرى انتشر السرير بكثرة فى بعض المجتمعات . وهنا دخل عامل أيضًا يفرق بين الأغنياء والفقراء وهو السرير . فالأثاث المنخفض والذى ليس له أرجل كان أكثر انتشارًا فى بعض الأجواء الاجتماعية فى العالم الإسلامى .. أى الفراش على الأرض - ولكن فيما بعد انتشر السرير ذو الأرجل وبالأخص فى المجتمع الراقى[3] .

، البلوى (أبو الحجاج يوسف بن محمد) : ألف باء ، المطبعة الوهبية ، القسم الأول ، ص١٣١
وقد استاء سيدنا عمر بن الخطاب عندما رأى سرير سيدنا محمد وفرشه المتواضع فقد كان تحت رأسه ﷺ وساده من آدم حشوها ليف وما بين جلده وبين السرير ثوب .
انظر : البخارى (محمد بن إسماعيل) : كتاب الأدب المفرد يرويه عنه أحمد بن محمد بن الجليل البزار ، طبع معارف نظارات ، جليلة سنك / خصيتله طبع أولنمشدر ، ١٣٠٩هـ ، ص٢١٨
ومن الجدير بالذكر أن الرسول ﷺ استخدم السرير فى الصلاة فعن زوجته عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله ﷺ يصلى وسط السرير وأنا مضطجعة بينه وبين القبلة تكون لى الحاجة فاكره أن أقوم فاستقبله فانسل انسلالا » .
انظر : العينى : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص٥٠٣
واستخدم السرير منذ بداية الإسلام كدكة للجلوس ، فقد جاء فى الأدب المفرد للإمام البخارى الآتى : « حدثنا تميم قال حدثنا وكيع عن موسى بن دهقان قال رأيت ابن عمر جالسًا على سرير عروس عليه ثياب حمر وعن أبيه عمر أن بن مسلم قال رأيت أنسا جالسًا على سرير واضعًا إحدى رجليه على الأخرى »
انظر : البخارى : المصدر السابق ، ص٢١٨

(١) المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

(٢) انظر ما جاء عن ذلك بتاريخ ربيع الآخر سنة ٤١٥هـ فى :
المسبحى : أخبار مصر ، الجزء الأربعون ، تحقيق وكتابة المقدمة لأيمن فؤاد سيد وتياى بيانكى - القسم التاريخى ، المعهد الفرنسى ص٣٩

(3) Sadan: Le Mebilier au Proche Orient Medieval, Leiden, 1976, P. 43.

وبالنسبة للأسرة ذات الإطار نجد أنه منذ أوائل الإسلام كان للسرير إطار ، حتى سرير سيدنا محمد كان له إطار[1] وقد جاء ما يوضح ذلك مما روته السيدة عائشة عن هذا السرير أنه « له عمود » وقوائمه ساج »[2] فكون السرير له قوائم من خشب الساج وأعمدة إذا فكان له إطار وكون هذا السرير استخدم لحمل الموتى بعد وفاة الرسول كما سبق وإن ذكرنا فهذا يؤكد أيضًا أنه كان له إطار .

وتوجد الأسرة ذات الإطار للاتكاء مصورة فى القرن العاشر الميلادى وهذا دليل على أن هذه العادة انتشرت ابتداء من ق ٤هـ/١٠م ، وفى القرنين العاشر والحادى عشر للميلاد عم استخدام السرير ذى الإطار فى الأوساط المترفة[3] .

وقد جاء ذكر السرير فى مواضع كثيرة فى ألف ليلة نذكر منها على سبيل المثال ما جاء فى حكاية قمر الزمان بن الملك شهرمان أن الملك أمر المماليك أن يحلوا كتاف ابنه ويحبسوه فى برج من أبراج القلعة وذلك لأمر صدر منه - فعند ذلك دخل الفراشون القاعة التىفى البرج فكنسوها ومسحوا بلاطها ونصبوا فيها سريرًا لقمر الزمان وفرشوا له على السرير طراحة ونطعا ووضعوا له مخدة » . وكانت الطراحة من الأطلس المعدنى لها وجهان وهى محشوة بريش النعام »[4] .

وفى تصاوير القرن ٧هـ/١٣م صورت الأسرة بكثرة - وعليها مفرش بديع تملؤه الزخارف النباتية والهندسية وطرفه المتدلى تجاه لأرض يأخذ شكل شبه نصف

---

(1) J. Sadan: Meubles et Accultivation sous les premiers Califes (Annales ecanomies Societes Civilisations 25 Annee – No. 5 September – October 1970), P. 1358.

(٢) البلاذرى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص٥٢٥

(3) Sadan: Le Mobilier, PP. 43, 44.

(٤) ألف ليلة وليلة « طبعه مزينة بالرسوم بنفقة دار الهلال ، مطبعة الهلال بالفجالة مصر ، ١٩٠١م ، الجزء الثانى ، ص٣٧ ، ٣٨

دائرة متكـــررة - ونلاحـظ مـن خـلال هـذه التصـاوير أن الأسـرة اسـتخدمت للنـوم والجلوس والأكـل[1] .

ومن الجديـر بالذكر أن سرير الزواج كان يزخرف بأبيـات مـن الشـعر تمجـد الحب[2] . وهنا نجد أن الأديب العربى تضافر مع النجار المسلم لكى يبدو السـرير تحفـة فنية رائعة .

ويختلف نوع السرير تبعًا لطبقات المجتمع فالطبقات المتوسطة ينام الرجل وزوجتـه على سرير واحد من جريد النخل توضع عليه حشية ومخدة ليستريح عليها الرأس ومـلاءة تفرش فوق الحشية والمخدة . وغطاء الصيف خفيف ، ويسمى « حراما » . أمـا غطـاء الشتاء فغليظ محشو بالقطن ، ويسمى « لحافا » .

وقد توضع الحشية على الأرض إذا لم يوجد سرير ، أو توضع اثنتان معًا واحـدة فوق الأخرى ، وكثيرًا ما يكتنفها مسندان من مساند الديوان .

وتعلق الكلة فوق السـرير بأربعة خيوط تشـد إلى مسـامير تـدق فـى الحـائط وينصب السرير شتاء فى غرفة صغيرة تسمى « خزنة » ، وصيفًا فى غرفـة واسـعة . ويطوى فرش السرير نهارًا ويوضع على جانب أو فى الخزنة السـابق ذكرهـا . وعنـد

---

(١) انظر ما جاء من تصاوير للأسرة فى كتاب :

د. ثروت عكاشة : فن الواسطى من خلال مقامات الحريرى ، أثر إسلامى مصور ، دار المعـارف بمصر ١٩٧٤م ، الورقة ١٦٠ ، ظهر الورقة ١٦٢ ، ظهر الورقة ١٦٤ ، وجه الورقة ١٦٦

(٢) مثال ذلك :

إن طيف الخيـال أرق عينـى ما لعينى ومـا لطيـف الخيـال

جمـع الله بيـن كـل محـب قـد جفاه الحبيب بعد الوصـال

انظر :

الوشاء : (أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى) : الموشى أو الظرف والظرفاء - تحقيق كمـال مصطفى ، الخانجى ١٩٥٣م ، الطبعة الثانية ، ص٢٣٣ ، ٢٣٤

اشـــتداد الحر ينام أغلب النـــاس على أسطح المنازل أو فى « الفســـحة » وهـــى غرفـــة لأسقف لها[1] .

وفى الطبقات العليا كات الأسرة تصفح بالذهب والفضة ، كما ســـبق أن ذكرنـــا أو تصنع من العاج . وذلك الذى يقول فيه القائل :

والله للنـــــوم علـــــى الديبـــــاج علـــى الحشايـــا وسريـــر العـــاج[2]

ومن الجدير بالذكر أنه لم يكن بالمنزل الإسلامى حجرات خاصة للنوم ، أو علـــــى الأخص حجرات بها أثاث للنوم كما هو معروف عندنا الآن ، وذلك لوجود حجرات كثـيرة منفصلة يمكن أن ينام فيها أهل البيت ، ولكن لم تكن لوجود حجرات كثيرة منفصلة يمكـــن أن ينام فيها أهل البيت ، ولكن لم تكن أى من هذه الحجرات قد أعدت لتكون خاصة للنـــوم أو أن بها أثاثا خاصًا به .

وكل ما يلزم القاهرى فى أثناء الليل حشية ومخدة ، وربما احتاج الأمر إلى بطانيـــة فى الشتاء وناموسية فى الصيف . وكل هذه الأشياء يطويها فى الصباح ثم يودعـــــها فـــى خزانة خاصة أو فى حجرات جانبيه وعند ذلك تتحول حجرة النـــــوم فجـــأة إلـــى غرفـــة للجلوس[3] .

وكانت الطبقات الميسورة من مسلمى العصور الوسطى تستخدم للنوم - ربما كـــــان ذلك - مرتبة صغيرة من التيل المحشوة بالقطن التى توضع على البســـاط وكـــان يوضـــع على هذه المرتبة ملاءات من التيل وغطاء كبير من الصوف أو القطن والمخـــدة الطويلـــة والمخدات الصغيرة تملأ بريش النعام أو ريش الأوز ، وفى الصباح تطوى هذه المراتـــب

---

(١) وليم لين : المصريون المحدثون ، شمائلهم وعاداتهم ترجمة عدلى طاهر نور ، القـــاهرة ١٩٧٥م ، الطبعة الثانية ، ص١٣٨ ، ١٣٩

(٢) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٣٥

(٣) ستانلى لينبول : سيرة القاهرة ، ترجمة عن الإنجليزية د. حسن إبراهيم حســـن وآخـــرون ، مكتبـــة النهضة المصرية ١٩٥٠ ، ص٣٤

وتغطى بغطاء مربع وتوضع فى جانب الجدار وتستخدم فى الجلوس[1] . وللأسف لم يبق لنا الزمن نموذجًا واحدًا لسرير من العصر المملوكى ولحسن الحظ عوضتنا عن ذلك المخطوطات المصورة . ومنها يتضح لنا شكل السرير فى هذا العصر فهو مستطيل الشكل منخفض يبدو أن أرجله خرطت بالمخرطة[2] (لوحة ١) ، وهذا السرير يشبه أسرة ما قبل العصر المملوكى فى بداية القرن ٧هـ/١٣م كما يتضح من المخطوطات[3] .

ووجدت الأسرة المنخفضة فيما بعد العصر المملوكى فى القرون ١٠ - ١٣هـ/١٦ - ١٩م . ونجد نماذج ملموسة منها من العصر العثمانى بمتحف جاير اندرسون (لوحة ٧) ، وهنا نلاحظ أن الأسلوب الفنى للسرير لم ينته بانتهاء عصر معين بل أصبح من حيث الشكل والارتفاع واحدًا والارتفاع واحدًا تقريبًا فى العصور الوسطى والعصر العثمانى أيضًا . وليس ما يدعيه صناع الأثاث الآن من المدنية والتقدم فى صناعة الأسرة المنخفضة إلا تقليدًا إلى ما سبقهم فيه فنانو ونجارو العصور الوسطى الإسلامية .

---

(1) Mazaheri, A.: La Vie Cuatidienne des Muoulmans au Moyen Age Xe au XIIIe. Siecle, Paris, 1951, P. 79.

(2) Duncan Haldane: Op. Cit., P. 70, PL. 28.

(٣) د. ثروت عكاشه : المرجع السابق ، الورقة ١٦٠ ، وجه الورقة ١٦٦ ، ظهر الورقة ١٦٢ ، د. عيسى سليمان : الواسطى يحيى بن محمود بن يحيى رسام وخطاط ومذهب ومزخرف - مطبعة التايمس - وزارة الإعلام - العراق ١٩٧٦م ، لوح ٢٨

Roche Products on the Market, November 1980, PL. 6 P. 37.

٢ ـ الدولاب :

لم يرد ذكر الدولاب[١] ـ كقطعة أثاث فى جهاز العروس – فى المصـــادر القديمـــة التى ورد بها وصف لجهاز العرائس فـــى مصـــر المملوكيـــة . وذلـــك ربمـــا مرجعـــه لاستخدامهم الصناديق والبقج (الصرر) فى حفظ الملابس . فمثلاً يذكر كلوت بـــك أنـــه ليس لدى الشرقيين دواليب لحفظ الثياب لأنهم يكتفون فى صيانتها ، بجعلها صرراً تحيـــط بها مناديل كبيرة تسمى (البقجة) ويتخذون لكل نوع من الثياب بقجة خاصـــة بـــه وهـــذا يجعلها أيسر حملا وأسهل استعمالاً عند الحاجة[٢] .

وأيضًا لوجود دواليب حائطية ثابتةبالجدران منتشرةبأرجاء المنزل فىالعصر المملوكـــى – كما يتضح من الوثائق[٣] – كانت تستخدم لحفظ الكتب والطرائف وربما لحفظ الملابس .

وكان لهذه الدواليب مصاريع مصنوعة من الخشب المزخرف برســـوم الأرابيســـك المحفورة أو الأطباق النجمية المجمعة والمطعمة بالعاج والصدف[٤] وهـــذا لا يمنـــع مـــن وجود دواليب ولكن بصورة نادرة ، فمثلاً تنقل لنل وثائق الحـــرم القدســـى فـــى عصـــر المماليك أن الدواليب ورد ذكرها فى أربع وثائق فقط من مجمـــوع ٣٤٤ وثيقـــة اعتنـــت بالتركات ، وكانت من نوع دواليب الخشب والحجر[٥] .

وبالنسبة لتاريخ الدولاب فيرى متز أن الدواليب لم تكن معروفـــة فـــى الحضـــارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى[٦] .

---

(١) تطلق لفظة دولاب على خزانة الملابس ، وعلي دلو الماء ، عجلة البئر التى تستعمل لإخراج الماء . د. عبد النعيم محمد حسنين : المرجع السابق ، ص٢٦٩

(٢) كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر ، تعريب محمد مسعود ، ١٩ ، الجزء الثانى ، ص٣٦ ، ٣٧

(٣) د. عبد اللطيف إبراهيم : وثيقة الأمير آخور كبير قرقجا الحسنى– مجلـــة كليـــة الآداب ، جامعـــة القاهرة ، المجلد ١٨ – الجزء ٢ ، ديسمبر ١٩٥٦م مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٥٩م

(٤) د. سعاد ماهر : محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية فى العصر الإسلامى ، القاهرة ١٩٦٦م ، ص١٣٩ ، ١٤٠ .

(٥) محمد عيسى صالحيه : المرجع السابق ، ص٣٣

(٦) آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الرابع الهجرى ، ترجمة محمد عبد العادى أبو ريده ، الطبعة الثالثة ، الجزء الثانى ، ص٢١٦

ويذكر سادان أن العالم الإسلامى فى العصور الوسطى لم يكـــن يعـــرف دواليـــب حقيقية على الأقل يجب أن نستخلص أن هذه الأشياء كانت نادرة .

ولنتخيل مثلاً منزلاً من العصور الوسطى فى بلـــد مـــن بـــلاد الشـــرق الأوســـط فهى خالية تقريبًا فى نظر المحدثين ولا تحتـــوى إلا علـــى بعـــض الأشـــياء المنخفضـــة وأمام نظرة كهذه بالنسبة للأثاث فإن الدولاب الحديث الثقيـــل أو الضخـــم لـــم يكـــن لـــه مكانة .

ويجـــب أن نكـــون حذيريـــن إذا ترجمنـــا اللفـــظ العربـــى خزانـــة بـــــدولاب ، وحقيقى أنه فى اللغة العربية الحديثة تشـــير هـــذه الكلمـــة إلـــى دولاب ، إلا أنـــه فـــى العصور الوسطى كان من السابق لأوانه أن نتكلم عن مثـــل هـــذه القطعـــة مـــن الأثـــاث فإذا سلمنا بهذا فلندرس دولاب من القرن الثالث عشـــر كمـــا نـــراه فـــى المخطوطـــات فى عمل من أعمال ديسقوريدس وهنا نتساءل هـــل شـــكل هـــذه القطعـــة مـــن الأثـــاث تشير إلى قطعة مستعملة بالفعل فى الحضارة الإســـلامية ، ويبـــدو أنـــه مـــن المنطقـــى أنها أدخلت فى هذه المخطوطة تحت تأثير الفـــن البـــيزنطى إذا فـــهو أحـــد العنـــاصر الغير إسلامية التى تظهر فى كل هـــذه المجموعـــة مـــن المخطوطـــات وعـــدم وجـــود دواليب بالشكل المتعارف عليـــه لا تعنـــى أن مســـلمى القـــرون الوســـطى لـــم يتخـــذوا قطعًا أخـــرى مـــن الأثـــاث تـــؤدى نفســـى وظيفـــة الدواليـــب الحديثـــة . فاســـتخدموا الدخلات الحائطية والأرفف والشـــماعات والصنـــاديق[1] .

وخير مثال على وجود الدخلات والدواليب الحائطية نجدها فى منازل السحيمى[2] والمسافرخانه[1] ومنزل جمال الدين الذهبى[2] ومنزل الكريتليـــة[3] (لوحـــات ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤) وهى منازل أنشئت فى العصر العثمانى على نمط المنازل المملوكية .

---

(1) Sadan, J.: Le Mobilier, P. 137.

(٢) يقع هذا البيت بشارع الدرب الأصفر بالجمالية ، وقد أنشأه الشيخ عبد الوهاب الطبلاوى فـــى ســـنة ١٠٥٨هـــ/١٦٤٨م ، ويتكون من قسمين أحدهما قبلى والآخر بحرى . أما القبلى فقد أنشأه الشيخ عبد الوهاب سنة ١٦٤٨م . والقسم البحرى فقد أنشأه الحاج أسماعيل بن الحاج إســـماعيل شـــلبى عـــام ١٢١١هـــ/١٧٩٦م وأدمجه فى القسم الأول وجعل منهما بيتًا واحدًا .

(١) تقع المسافرخانه بقصر الشوق بالجمالية درب المسمط (١١٩٣ - ١٢٠٣م (١٧٧٩-٨٨) .

(٢) يقع هذا المنزل بحارة خشقدم بالغورية ، شيده جمال الدين الذهبى كبير التجار بمصـــر فـى عـام ١٠٤٧هـ/١٦٣٧م .

(٣) تتألف هذه الدار من بيتين ، هما بيت محمد بن الحاج سالم الجزار ، وبيت السيدة آمنة بنت ســالم ، ويقعان شرقى جامع ابن طولون ، فيمر بينهما دهليز يوصل إلى الباب الشرقى لهذا الجامع . فـالبيت الأول وهو الذى يعرف الآن باسم بيت الكريدلية يقع على يمين الداخل من هذا الدهليز إلى باب الجامع ، بينما يقع البيت الثانى إلى يساره ، ولكن البيتين متصلان بممر فوق هذا الدهليز محمول على عقد ، وبيت الكريدلية يرجع إلى سنة ١٠٤١هـ/١٦٣١م ، وقد أنشأه الحاج محمد بن المرحوم الحاج ســالم بن المرحوم الحاج جلمام الجزار .

وتدل بعض الأساليب والزخارف المعمارية فى باب بيت آمنة بنت سالم على أنه يرجع إلى عصـــر السلطان قايتباى (١٤٦٨هـ/١٤٩٥م) ولعله آل بعد ذلك إلى صاحب بيت الكريدليه .

وقد اتيح لهذين البيتين أن يعود إليهما ما كان لهما من روعة وجمال حين تقدم الميجور جاير اندرسون سنة ١٩٣٥م وكان من بين الضباط الإنجليز الذين خدموا الحكومتين المصرية والإنجليزية فـى وادى النيل ، إلى لجنة حفظ الآثار طالبا أن تعين هذين البيتين على أن يقوم بتأثيثهما على الطراز العربى ، ويعرض فيهما مجموعته الأثريو النفسية ، وعلى أن يصبح الأثاث والتحـف النفسـية ملكًـا للأمـة المصرية بعد وفاته أو مغادرته البلاد .

انظر : د. عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها (٩٦٩- ١٨٢٥) من جوهر القـائد إلـى الجبرى المؤرخ . الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م ، ص٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٧ ، ٢٣٨

وعن متحف بيت الكريدلية (متحف اندرسون) انظر :

محمود الحديدى : تحف بيت الكريدلية (متحف اندرسون) ، دليل موجز الطبعة الثانيـة - مطـابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م ، ص١٣ ، ١٤

٣ ـ الأريكة :

الأريكة جوسق أو خيمة بداخلها سرير ويفرق الزمخشرى بين اللفظين أريكة هـــى سرير مزخرف ومزين وسرير هو سرير بســيط[١] . ويتفــق كــل مــن ابــن الأثــير[٢] والسيوطى[٣] فى أن الأريكة هى السرير فى الحجلة[٤] من دونه ستر ولا يســـمى منفــرداً أريكة وقيل هو كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة[٥] .

وقد جاء ذكر الأرائك فى القرآن الكريم عند وصف الجنة فمثلاً « متكئين فيها علــى الأرائك لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا »[٦] . « أن أصحاب الجنة اليــوم فــى شــغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكؤن »[٧] .

واستناداً لما جاء فى القرآن الكريم وما جاء فى التفسير اللغــوى لكلمــة أريكــة[٨] نستطيع أن نقول أن الأريكة تطلق على الكرسى ذو الظهر والمسندين المخصص للجلــوس

---

(1) Sadan: Le Mobilier, P. 34.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣٢

(٣) السيوطى (جلال الدين) : الدر النثير تلخيص نهاية ابن الأثير ، جـ١ ، ص٣٢ .

(٤) الحجلة مثل القبة وحجلة العروس معروفة وهى بيت يزين بالثياب والأسرة والستور .
ابن منظور : المرجع السابق ، جـ١٣ ، ص١٥١

(٥) جمعها مناص وهى تطلق على الكرسى الذى ترفع عليه العروس فى جلائها ، أو الثيــاب المرفعــة والفرش الموطأة .
وهى تختلف عن السرير فى الاستخدام ، وفى العصور الوسطى أطلق لفظ منصة على سرير الزوجية أو على الكرسى الذى تجلس عليه العروس يوم عرسها .
انظر : الوشاء : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٣٢ حاشية (١) .
Sadan: Le Mobilier, P. 35. ،
هذا وتطلق اللمنصة على المكان الذى تجلس فيه العروس .
د. عبد النعيم محمد حسنين : المرجع السابق ، ص٦٩٢

(٦) القرآن الكريم : سورة الإنسان : الآية ١٣

(٧) القرآن الكريم : سورة يس : الآية ٥٦

(٨) ومن أطرف ما كتب على أريكة :

جعلــت محلة البــلوى فــؤادى ... وسلطت الســهاد على رقــادى
دعينــى لا أبــوح بكل وجــدى ... أليس النار من طرفــى زنــادى
وبــت خليــة وسلبــت نومــى ... أما استحيا رمادك من ســهادى

انظر : الوشاء : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٣٢

والاتكاء وعلى السرير او الدكة المخصصة للنوم إذا فالأريكة كـــانت مـــن بيـــن جـــهاز العروس .

كما تطلق الأريكة على منصة العروس ذلك الكرسى الذى تجلس عليه العروس ليلـة زفافها وهو كرسى ذو مسندين وظهر ومظلة وهو من الخشب المطعـــم بالعـــاج والمرايـــا وتوجد منه أمثلة بمتحف اندرسون (لوحة ٢٩) ، متحف المنيل (لوحة ٣٠) والمتحـــف الاثنوجرافى (لوحة ٣١) .

٤ ـ الدكة[١] :

فى العصر المملوكى كان لا بد أن يكون فى شورة العروس دكة نحـــاس مكفـــت ، والدكة عبارة عن شئ يشبه السرير يعمل من خشب مطعم بالعاج والأبنوس أو من خشـــب مدهون »[٢] .

« وكانت العروس من بناء الأمراء أو الوزراء أو أعيان الكتاب أو أمـــاثل التجـــار تجهز فى شورتها عند بناء الزوج عليها سبع دكك : دكة من فضة ودكة من كفـــت ودكـــة من نحاس أبيض ودكة من خشب مدهون ودكة من صينى ودكة من بلور ودكـــة كداهـــى وهى آلات من ورق مدهون تحمل من الصين »[٣] .

ويبدو أن هذه الدكة كانت مرتفعة يلزمها سلالم للصعود فقد كان جـــهاز العـــروس يحتوى أحيانًا على العديد من سلالم الدكك[٤] .

هذا وقد وجدت الدكة للجلوس فى المنزل المملوكى فقد جاء فى ابن أيـــاس بتـــاريخ المحرم سنة ٨٥٧هـــ/١٤٥٣م ذكر سلطنة الملك المنصور أبى الســـعادات فخـــر الديـــن عثمان ابن الملك الظاهر جقمق محمد العلاى فبعد انفضاض موكب السلطان عند ما بيعتـــه لمرض والده عاد إلى سكنه بالحوش السلطانى ولم يدخل الدهيشة مراعاة لوالده . « فطلـــع

---

(١) (دك) الدال والكاف أصلان : أحدهما يدل على تطامن وانسطاح . من ذلك الدكان . أبو الحســـن أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الجزء الثـــانى ، الطبعة الأولى بالقاهرة ١٣٦٦هـــ ، ص٢٥٨

، الدكة والدكان الذى يعقد عليه .

الجوهرى : أبو إسماعيل بن حماد) : كتاب تاج اللغة وصحاح العربية .

طبع بمطبعة بولاق بمصر ، ١٢٨٢هـــ ، جـــ٢ ص١٣٤

الدكة بالفتح والدكان بالضم بناء يسطح أعلاه للمقعد .

الفيروز أبادى الشيرازى : المرجع السابق جـــ٣ ، ص٣٠١ ، ٣٠٢

(٢) المقريزى : الخطط ، جـــ٢ ، ص١٠٥

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) على مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، مطبعة دار الكتب ١٩٦٩م ، الطبعة الثانية ، الجزء الثانى ، ص٣٢٩

الأمير دولات بأى الدوادار ، وباس الأرض للملك المنصور وهـــو جـــالس علـــى التكـــة بالحوش »[1] . وهنا نلاحظ أنه أطلق على دكة الجلوس لفظ « التكة » .

وقد ورد فى موضع آخر فى ابن اياس وبتاريخ رجب سنة ٩٠٥هـ/١٤٩٩م ، فـــى عهد الظاهر قانصوه أنه « فى رجب تزايدت عظمة الملك الظاهر قانصوه هذا ، فجلـــس على الدكة التى بالحوش ، ونصب سحابة جديدة صنعها من المخمل المذهب ، وبها رنـوك زركش ، فجاءت غاية فى الحسن ، فجلس على الدكة والسحابة على رأسه ، وطلع القضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، وكان موكب حافلاً »[2] .

ويذكر مظاهرى أنه كان يوجد بحجرات الاستقبال - لدى منازل مسلمى العصـــور الوسطى - مصاطب عريضة من الخشب الثمين قليلة الارتفاع وكـــانت توضـــع بطريقـــة متقابلة[3] .

وخلاف ذلك وجدت دكك عبارة عن جلسات مبنية[4] فى الحوائـــط وفوقـــها كـــان يوضع الفرش والحشايا المنجدة . وهنا نجد البساطة فى المنزل الإسلامى بطريقة لاتشـــغل فراغًا من مساحة الحجرات فكانت الدواليب حائطية والدكك مبنية فى الحوائط . ويحتفـــظ كل من منزل السحيمى والمسافرخانه بالعديد من الدكك الخشبية وكذلك نجد الدكك الخشـبية والدكك المبنية من الحجر منتشرة بأرجاء متحف بيت الكريتلية[5] .

---

(١) ابن اياس (محمد بن أحمد) : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣٠١ ، ٣٠٢
ويذكر المحقق أن لفظ التكة وجد كذا فى الأصل سطر ٢٢

(٢) المصدر نفسه ، ط١ ، جـ٣ ، ص٤٢٩

(3) Mazaheri, Op. Cit., P. 78.

(٤) وفى حديث أبى هريرة ، فبنينا له دكانا من طين يجلس عليه الدكان الدكة المبنيـــة للجلـــوس عليـــها والنون مختلف فيها فمنهم من يجعلها أصلاً ومنهم من يجعلها زائدة . انظر : ابن الأثير : المصـــدر السابق ، جـ٢ ، ص٢٩

(٥) انظر لوحات رقم ١٥ ، ١٨

٥ ـ صندوق العروسة :

كان الصندوق من أهم قطع جهاز العروس وخاصة فى القرنيـــن الخـــامس عشـــر السادس عشر للميلاد ، وكان فى بادئ الأمر بسيط التركيب والصناعـــة ثـــم أخـــذ فـــى الرقاء مع الحضارة متمشيًا معها إلى أن زين بأنواع التطعيم الثمين والحفر الدقيق .

بالإضافة إلى أن الصندوق كان يعتبر الأساسى فى جهاز كل عروس ، فقد كـــان يعتبر أيضًا من أهم قطع الأثاث عند الناس عامة[1] .

وصندوق العروسة من الأشياء الضرورية والهامة فهو ملك العروسة تضع فيه كـــل حاجياتها الخاصة .

وفى الداخل من الناحية اليمنى توجد عرضة طويلة مستطيلة يوضع فيـــها الخيـــط والإبر والمقصات وكل ما ينفع الخياطة .

وقد اختلف الصندوق باختلاف الطبقة التى تنتمى إليها العروس ، فإذا كـــانت بنـــت فلاح أو من تساويها من الطبقة الدنيا يكون صندوقها بســـيطًا ورخيصًـــا مصنوعًـــا مـــن الخشب الأبيض حجمه متوسط مدهونًا باللون الأصفر الفاقع مزينًـــا برســـومات هندســـية بسيطة باللون الأحمر القرمزى والأسود بخطوط كبيرة واضحة وأحيانًا يزين بعصفوريـــن بنهاية واجهة الصندوق .

أما العائلات المتيسرة فيختارون صندوقًا ذو قيمة متوسطة مزينًا بعنـــاصر ظريفـــة وأحيانًا يطعم .

أما الأثرياء من الأمراء والقضاة والولاة وكبار التجار فكانوا يدفعـــون غاليًـــا فـــى صندوق العروسة فكان الصندوق يطعم بالعاج والأبنوس والصدف على نمط عربى وكـــل هذا يزين الواجهة والجوانب والغطاء . وهذا الصندوق من ناحية الشكل الطويل أكثر منـــه عريض وله غطاء متحرك وقفل بمفاتيح[2] .

---

(١) محمود كامل السيد : القيم الفنية فى الصندوق الشعبى فى مصر وتطبيقاتها فـــى إشـــغال الخشـــب بالمرحلة الإعدادية ، رسالة ماجستير ، مخطوطة بكلية التربيـــة الفنية ، جامعة حلـــوان ، ١٩٧٢م ، برقم ٤٧٨ ، ص٣٩

(2) Rashud, H.: « Sendouk El Aroussa ou le coffre a Trousseau, Egypt Traval Magazine, Juin, 1957 (Edition Francaise) N. 34, PP. 17-20.

وتوجد منه أحجام كبيرة يكون فيه الغطاء عريضًا بما فيه الكفاية لكى يجلس عليه شخص كما ورد فى نص تاريخى وحجم الصندوق كبير بدرجة أنه يمكن التمدد على الغطاء والنوم عليه . وهناك قصص أخرى من أطراف القصص فى الأدب العربى تحكى لنا كيف أن رجلاً اختبأ بتمدده داخل صندوق(١) .

ويرى مزاهرى أن هذه الصناديق مزدوجة بمعنى أن الحجرة وحسب حجمها تحتوى على صندوقين أو أربعة وبعض هذه الصناديق فخمة من النحاس المكفت بالفضة أو الذهب وهناك صناديق عادية من الخشب المغطى بالجلد الملون وكلها كانت مكسوة من الداخل بالتيل وبها قفل متين وكانت تستخدم لوضع الملابس عامة والملابس الداخلية خاصة(٢) . هذا وقد جاء ذكر الصناديق الخشب لخزن الملابس ضمن وثائق الحرم القدسى الشريف(٣) .

ويطلق على صندوق العروسة أحيانًا الصوان(٤) أو السحارة(٥) ونظرًا لأهمية الصندوق كقطعة أثاث ضرورية فى جهاز كل عروس من كافة المستويات وللأقبال الشديد على شرائه وجد فى عصر المماليك سوق أطلق عليه سوق (الصناديقيين) الذى وصفه المقريزى قائلاً : « هذا السوق تجاه المدرسة السيوفية كان موضعه فى القديم من جملة المارستان ثم عرف بفندق الدبابلين وقيل له الآن سوق الصنادقيين وفيه تباع الصناديق والخزائن والأسرة مما يعمل من الخشب »(٦) .

ومن بين الأشياء التى ذكرها المقريزى وهو يصف كنوز الخلفاء الفاطميين كانت العلب والصناديق وذكرها بهذا الترتيب سقط - تخت - صندوق - فيبدو أن هذا الترتيب يشير إلى العلاقة بين هذه الأشياء الأصغر فالأكبر .

---

(1) Sadan: Le Mobilier, P. 144.

(2) Mazaheri, Op. Cit., P. 79.

(٣) صالحية : المراجع السابق ، ص٣٧

(٤) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٣٦

(٥) حسن خطاب : الزراعة والمجتمع الريفى فى مصر ، الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨١م ، ص٩٣

(٦) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص١٠٢

- فالصندوق يعنى صندوق كبير .

- تختِ صندوق أصغر متوسط أو علبة .

- سفط ، صندوق صغير . علبة جواهر .

ومن المنطقى أن تكون الصناديق فى العصور الوسطى الإســـلامية ذات الأشـــكال المتعددة ذات وظائف مختلفة[1] ، فمثلاً نجد صندوق حفظ المصحف الشريف - وهو فـــى مجلد واحد - يكون كبيرًا يأخذ شكل المجلد ، وصندوق حفظ الربعة الشـــريفة (والربعـــة هى المصحف مجزءًا إلى ثلاثين جزءًا) - يكون مقسمًا من الداخل إلى ثلاثيـــن جـــزءًا[2] ، وصناديق لحفظ الحلى والمجوهرات (شكمجيات) لها إدراج عديدة بمفاتيح ، وصنـــاديق حفظ المال وصناديق حفظ الملابس وحفظ الكتب والمخطوطات .

وفى المنزل كان لكل شئ صندوق يتناسب مع شكله وحجمه ، وهنا يمكننـــا تخيـــل بة بيت من العصور الوسطى تفتح وتقفل على فترات مختلفة أثناء النهار صناديق من أحجـــام ختلفة لإخراج أشياء تلزمها[3] . وكان جهاز العروس المملوكية يحتـــوى علـــى العديـــد مـــن الصناديق المختلفة[4] ، فمما يذكر أنه كان بجهاز بنت أحد الأمراء من « صنـــاديق الحوائـــج اه ستة حمالين » ويحتفظ كل من متحف قصـــر المنيل (لوحـــة ٢٣ ، ٢٩) ومتحـــف جاير اندرسون (لوحة ٢٥) وبعض القصور (كقصر المطرية) بـــالعديد مـــن الصنـــاديق الخشبية الكبيرة لحفظ الملابس ، ولكنها تعود إلى فترة متأخرة من العصر المملوكى .

ومن صناديق متحف قصر المنيل صناديق بديعة على طراز الركوكو كـــانت ملـــك السلاطين العثمانيين باستانبول بالقرن الـ ١٨ ومنها صندوق مزين بالتاج المصرى كـــان ملك عباس حلمى الثانى خديوى مصر الذى تنازل فى عام ١٨١٤م .

---

(1) Sadan: Le Mobilier, P. 142.

(٢) انظر : فايزة محمود عبد الخالق الوكيل : أثاث المصحف فى مصر فى عصر المماليك ، رسالة ماجستير ، مخطوطة بكلية الآثار ، جامعة القاهرة ص١٠٠ - ١١٢ .

(3) Sadan: Le Mobilier, P. 142.

(٤) على مبارك : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٣٢٩

٦ - الكرسى :

كان الكرسى من الأثاث الخشبى الذى يحتويه جهاز الهروس المملوكيـــة ويبـــدو أن الجهاز كان به العديد من الكراسى بأنواع مختلفة فمثلاً كان بجهاز ابنـــة الأمـــير بكتمـــر الساقى عروس آنوك ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون «الكراسى اثنى عشـــر حمالاً وكراسى لطاف[1] أربعين حمالاً»[2] .

هذا ويفسر اللغويون العرب لفظ كرسى بمعنى الجلـــوس دون تفـــاصيل وبـــالفعل تنطبق هذه الكلمة على مجموعة كبيرة من أشكال الأثاث كحـــامل القـــرآن الكريـــم فـــى المساجد يسمى كرسى ، ويطلق نفس اللفظ للإشارة إلى المقاعد الفخمة التى يجلس عليـــها الحكام والقضاة إذا فهو أثاث خارج المسكى الاعتيادى .

وفى العصور القديمة كان الناس يفرقون بألفاظ مختلفة بين المقاعد الثقيلة التى لـــها ظهر ومساند وبين الكراسى التى ليس لها ظهر ولا مساند واللفظ المستخدم فى العصـــور الوسطى فى العالم الإسلامى هو « كرسى » يجمع جميع الألفاظ العامة داخلة[3] .

- كرسى ليس له ظهر ولا مسند .

كان كتاب العصور الوسطى عندما يذكرون كرسى بظهر ومسند فهم يضيفون لـــه صفة أو مفعولاً به لأن الشكل المعتاد هو الكرسى الذى ليس له مسند ولا ظهر .

هذا ونجد بالنسبة للتصاوير الأولية لهذا المقعد أنه ما زالت به آثـــار مـــن المقـــاعد اليونانية والرومانية ذات الظهر والمساند بينما التصاوير التى جاءت بعد ذلك للكرســـى لا تشير إلى المساند وتشوه الظهر والتشويه فى التصاوير إذا هو مبدأ يشير إلى المقعد الـــذى

---

(١) لطف الشئ بالضم يلطف لطافة ، أى صغر فهو لطيف ، لطف الشئ من باب ظرف .
الجوهرى : الصحاح تاج اللغة ، وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفـــور عطـــا ، دار الكتـــاب العربى ، القاهرة ، الجزء الرابع ص١٤٢٦ حاشية (٣) ومن هنا تفسير « كراسى لطاف » بأنـــها الكراسى الصغيرة الظريفة .

(٢) على مبارك : المرجع السابق ، ص٣٢٩

(3) Sadan: Le Mobilier, PP. 123, 124.

ليس له مسند أو ظهر هو الذى كان منتشرًا بينما لم يكن هنـــاك إلا نـــادرًا الكراســـي ذات الظهر والمسندين التى كانت مخصصة للمناسبات الرسمية والحفلات[1] .

ويذكر سادان رأيا عن فييت[2] يقول : « إن مصر الفرعونية كانت تعرف الكرســـي بينما لا يظهر الكرسى فى العصر الإسلامى » .

وللرد على هذا الرأى نقول أنه بالنسبة لوجود الكرسى فى مصر الفرعونيـــة فـــهذه حقيقة لا يختلف عليها اثنان وخير شاهد على ذلك ما يحتفظ به المتحـــف المصـــرى مـــن أثاثات منها كراسى بمسند وكراسى متقاطعة وأيضًا ما حفظ من نقوش ذلك العهد وتماثيلـــه من مناظر تضم صور لكراسى بمسند[3] وكراسى من النوع الذى يمكن طيه (متقـــاطع) ولكن قوله بعدم ظهور الكرسى فى العصر الإسلامى فهذا الرأى لا يجانبـــه الصـــواب ولا تؤيده الشواهد التاريخية والأثرية ، فمثلاً جاء فى المصادر أن الرشيد كان يجلـــس علـــى كرسى فى صحن داره[4] ، وجاء أيضًا فى ألف ليلة وليلة فى حكاية هارون الرشـــيد مـــع محمد الجوهرى جاء ذكر أنواع للكرسى ، كرسى من الذهب مرصع بالجواهر ، وكرســـى من الحاج المصفح بالذهب الوهاج[5] .

ويذكر سادان استنادًا إلى المصادر المكتوبة والمراجـــع الأثريـــة والتصويريـــة أن الكراسى التى ليس لها ظهر أو مسند كانت منتشرة[6] .

---

(1) Sadan: Op. Cit., P. 123, 126.

(٢) ذكر سادان هذا الرأى Sadan: Le Mobilier, PP. 123, 126.
لفييت نقلاً عن كتاب له وهو :

- G. Wiet: dans Histoire Generale des Technique (editeur, M. Dumas), I, P. 349.

(3) John R. Harris: Op. Cit., PP. 10-12, PL. 2, 4, 12, 13, 14.

(٤) ابن منظور : مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، الجزء الأول ، ص١٥٠

(٥) ألف ليلة وليلة ، جـ٢ ص١٧٢ ، ١٧٣

(6) Sadan: Le Mobilier, PP. 123, 126.

وفى اجتماعـــات الأصدقـــاء التى ورد وصفها فى المصـــادر العربيـــــة والتـــى جاء ذكر فخامتها يجلس المدعون على كراسى مختلفة مصنوعـــة مـــن مـــواد مختلفـــة مثـــل المخدات والكراسى .

وتحليل وظائف المخدات دلنا على نمط معين للارتفاعات تبعًا لأهميـــة الأشـــخاص ومن ثم فإن المقعد يزيد من أهمية الشخص الجالس عليه بالنسبة للذيـــن يجلســـون علـــى المخدات . وأعلى الكراسى كانت الأشخاص الأكثر احترامًا[1] . وفى القرن الثانى عشـــر استخدم الكرسى من الخوص فى بيع الدقيق للطحان . وهذا الكراسى لا تشكل جزءًا مـــن أثاث المنزل ولكن تؤدى وظيفة عامة خصصت للكراسى فوجود الكرسى يظهر بوضـــوح حتى فى الحياة اليومية الإسلامية والقرون الوسطى وليس هناك أى سبب لإنكاره .

ومع ذلك فالكرسى يلعب دورًا خاصًا أو بالأصح محـــدودًا عنـــد أهـــل العصـــور الوسطى ، ولا يستخدم دائمًا كمقعد اعتيادى ، فالمائدة الصغيرة الإسلامية كانت لا تســـاعد على استخدامه .

وأهم ما يميز الكرسى هو خفته وهذه الصفة مؤكدة عن طريق نصوص كثيرة فـــى الأدب العربى تشهد بعادة نقل الكرسى إلى المكان المراد . وعامة توضع الكراســـى فـــى مخزن أو يبدو فى مدخل حجرة المعيشة وتحضر فقط أولاً بأول عند الحاجة[2] .

والأدلة الأدبية تجعلنا نفترض أن الكراسى ترتفع إلى مستوى الكراسى الحاليـــة وأن المسافة بين الكرسى والأرض خالية ، فهذا يعنى بالأخص كراسى ذات أرجل[3] .

وهناك نموذج واحد من كرسى حجرى يرجع إلى القرن الرابع الهجرى / العاشـــر الميلادى وليس مرتفعًا يبدو كأنه كرسى مستديرًا صغير بدون ظهر . والحجر مادة تـــدوم على مر العصور ولكن فى القرون الوسطى الكراسى الصغيرة الخشبية التى بدون ظـــهر – ولم تصلنا – كانت أكثر انتشارًا .

(1) Ibid, P. 128.

(2) Ibid, P. 128.

(3) Ibid, P. 129.

وإذا كنا من ناحية أخرى نلاحظ فى منمنمة من أواخر القـرن السـادس الـهجرى الثانى عشر الميلادى ، كرسى أميرى بمسند يبدو لأول وهله أنه كبير جدًا ويجـب علينـا دراسته من قرب ونلاحظ أن النظرة الأولى كانت خاطئة .

وإذا كانت أحجام الكراسى تبدو كبيرة جدًا فذلك يرجع إلى العلاقة أو النسـبة بيـن الأمير والأشخاص الذين يحيطون به والذين صوروا بشكل أصغر وفى الواقع يجب تقديـر الارتفاع الفعلى للكرسى انطلاقًا من أحجام الأمير فقط ومـن ذلـك نسـتنتج أن ارتفـاع الكرسى لم يكن عاليًا جدًا [1] . وفى العصور الوسطى الإسلامية كانت هناك كراسـى ذات أرجل مستقيمة وذات أرجل متقاطعة .

وفى العالم البيزنطى يمكن ملاحظة النوعين فى المخطوطات ، ويبدو أن التقاليد قـد استمرت لوجود هذين الشكلين من الكراسى فى العالم الإسلامى[2] .

وتوضح لنا المخطوطات المصورة فى القرن السـابع الـهجرى / الثـالث عشـر الميلادى وجود الكرسى ذو الأرجل المستقيمة مثالاً لذلك مخطوطة الواسطى[3] .

كما نجد الكرسى ذو الأرجل المستقيمة والمسند فى تصويره ترجـع إلـى القـرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى[4] (شكل ٦) .

وفى التصوير المملوكى نجد الكرسى ذو الأرجـل المستقيمة فى تصويره أخـرى[5] (لوحة ٦) .

ونجد الكرسى ذا الأرجل المستقيمة والمسند والمتكأين بصورة فخمة يجلـس عليـه أمير فى تصويره فى مخطوطة مقامات الحريرى (من المحتمل أنها من مصر فـى سـنة

---

(1) Ibid, P. 130.

(2) Ibid, PP. 123-133.

(٣) انظر د. ثروت عكاشة : المرجع السابق ، اللوحات : وجه الورقة ٢١ ، وجه الورقة ٧٠ ملون ..

(٤) بشر فارس : كيف زوقت العرب كتب الفلسفة والفقه ، مستخرج من منشورات المعهد الفرنسى فـى دمشق ، بيروت ، ١٩٥٧م ، لوحة ٧ .

(5) Haldane, D. Op. Cit., P. 102; PL. 68.

١٣٣٤م)[١] . نجد الكرسى ذا الأرجل المتقاطعة فى تصويـــره مـــن مخطـــوط خـــواص العقاقير لديسقوريدس[٢] ، ونجده أيضًا فى تصويره من كتاب الأغانى يرجـــح أنـــها مـــن الموصل (شمال العراق) ١٢١٨ - ١٢١٩م ، وهى محفوظة باستانبول[٣] ، هذا وقد جـاء فى الوثائق ذكر الكرسى فى بيوت سكان مدينة القدس المملوكية[٤] .

ونظرًا لأهمية الكرسى بأنواعه المتعددة - فى المنزل فكان لا بد من وجـــوده فـــى شورة العروس المملوكية .

- كرسى العمامة :

لقد كانت العمامة موضع الاحترام والتبجيل ، ويوجد لها فـــى مـــنزل الأثريـــاء ، كرسى توضع عليه ليلاً ولا يستعمل لغير الغرض .

وكثيرًا ما يعد هذا الكرسى فى جهاز العروس ، كما كان من المعتاد أيضًا أن يكـون للمرأة كرسى آخر لغطاء رأسها[٥] .

وإذا كان هذا معتادًا فى القرن ١٣هـ/١٩م ، فيرجح أنه كان متبعًا أيضًا فى عصـر المماليك خاصة وأنه قد تخلف عن هذا العصر صناديق مـن النحـاس المكفـت بـالذهب والفضة لحفظ العمامة ، فمن المحتمل أن عروس مصر المملوكية كانت تصطحـب معـها فى جهازها كرسيان أحدهما لعمامة زوجها والثانى لغطاء رأسها . وعن كرســى العمامــة انظر (شكل ٧) عن بريس دافين[٦] .

---

(1) Richard Ettinghausen: Arab Painting, New York 1977, P. 148.

(2) Roche Products on the Market, May 1980, P. 23, PL. 3.

(3) Richard Ettinghausen: Op. Cit., P. 63.

(٤) د. صالحية : المرجع السابق ، ص٣٣

(٥) لين : المرجع السابق ، ص٣٧ ، ٣٨

(6) Prisse D' avennes: L'Art Arabe D' apres les Monuments du kaire depius le VIIe Sucle Jusqu' a la fin du XVIIe me Siecle Paris 1864-1877. PL-XXV.

أما عن صندوق العمامة فيحتفظ متحف كلية الآثار بمثال له من النحـــاس المكنـــت بالذهب والفضة (لوحات ٢٣١ ، ٢٣٦) يرجع إلى عصر المماليك البحرية ويحمل كتابـــه باسم السلطان الملك الناصر محمد .

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن أنواع الكراسى أن نذكر كرسى المصحف[1] الذى كـــان موجودًا فى المنازل لوضع المصاحف والكتب عليه أثناء القراءة .

(١) وعن كرسى المصحف (الرحل) فى عصر المماليك تاريخه وطريقة صناعته واستخداماته . انظر : فايزة محمود عبد الخالق الوكيل : المرجع السابق ، ص١٧ - ٤٦

٨ ـ المفروشات :

يأتى بعد إعداد الأثاث الخشبى تجهيز لوازم السرير من مراتب ولحـــف ومفـــارش وحشايا ومخدات هذا عدا ما ينتشر فى أرجاء المنزل - على الدكك والأرائك والكراســـى والسجاد - من نمارق ومتكآت ومساند ومساور ووسائد ومرافق ومدورات وستائر .

(أ) اللحـــاف :

استعملت الألحفة فى العصر المملوكى - فى مصر وخارجها - كغطاء عند النـــوم سواء كان اللحاف سمطًا (بدون بطانة) أو مبطنا وقد عرف مجتمع بيـت المقـدس فـى القرن ٨هـ/١٤م أنواعًا مختلفة من الألحفة منها الحفة بوجوه قدسية مربعة ببطانـات زرق أو بوجه جوخ أحمر وأخضر ببطانة بيضاء أو بوجه طرح ، وقـد يكـون لونـه أزرقًـا وحشوه قطن على ملاءة قطن أو أزرق مختلط ببطانه بيضـــاء أو جـوخ أزرق ببطانـة حمراء ، وأحيانا يوضع فوق اللحاف ملاءة تركب على ظهره لتقيه من الأوساخ وتجعلـــه أقدر على منع البرد(١) .

هذا وقد جاء ذكر استخدام أهل دمشق - فى العصر المملوكى - للحف فيذكر ابـــن طولون تحت حوادث ٢٩ جماد آخر ٨٩٤هـ/١٤٨٩م الآتى : « وفى أواخر ليلة الســـبت تاسع عشرية وقع مطر كثير شديد ، بغته والناس نيام فوق الأسطحة ، فـــى أيـــار ، فبـــل الفرش واللحف والمخاد»(٢) .

ويحتفظ متحف الإسلامى بالقاهرة من اللحف منـــها لحـافين الأول برقـم ســجل ٢٣٩٠٥ - وهو يرجع إلى عصر المماليك - أحد وجهيه لونه أحمر غامق وعليه زخـارف مطبوعة تتكون من شكل معين فى الوسط داخله أشكال هندسية وحوله أشـــكال مســتديرة شبه زهرات أو لوزية بداخله زخارف نباتية وعلى الجانبين الطويلين أشكال مستديرة شـبه زهرات كبيرة وتحد المعين من الجانبين القصيرين أشرطة متوازية بها تقسيمات هندســية

---

(١) د. صالحية : المرجع السابق ، ص٣٥

(٢) ابن طولون : (شمس الدين محمد) : مفاكهـة الخلان فى حوادث الزمان ، القـــاهرة ، ١٩٦٢م ، القسم الأول – ص١٠٥

وأزهار وشبه كتابة وذلك باللونين الأبيض والبنى الغامق ، وحالة اللحـــاف رثـة وفـاقد أجزاء كثيرة منه وألوانه باهته . طوله ١٨٠سم وعرضه ١٤٠سم .

والثانى برقم سجل ٢٣٩٠٦ على أحد وجهيه جزء من شـريط زخرفـى عرضـه ٢٠سم - وطوله ٦٧سم بخيوط مذهبة وعلى الشريط بقايا زخارف تتكون من ثلاث دوائـر يتوسط كل منها رسم طائرين متقابلين حولهما إطار به حيوانات متتابعة وبين الدوائر شـبه كتابة كوفية .

واللحاف فى حالة رثة وبالية وفاقد أغلب معـالم الزخـارف والتذهيـب . طولـه ١٩٠سم - وعرضه ١٥٠سم .

(ب) المرتبة :

وعلى السرير توجد مرتبة حشيت قطنًا وقد وضعت على سجادة وغطيـت بمـلاءة من قماش وأغطية من صوف أو قطن[١] .هذا بالنسبة للأغنياء من الناس الذين يسـتخدمون الأسرة فى النوم ، أما الطبقات الاجتماعية المتوسطة فيستخدمون المرتبة كسـرير وكنبـة فى نفس الوقت .

قد جاء ذكر المرتبة كثيرًا فى قوائم الجـهاز والتـى تشـير إلـى أن الأشـخاص الميسورين يستخدمون شيئًا بين الفرش البسيط الموضـوع علـى الأرض والسـرير ذى الإطار والذين لا يستطيعون شراء سرير يغطيه فرش أو كنبة يختارون المرتبة .

وكلمة مرتبة تطورت من الرتب - مرتبة الشخص - ففى أيام معاوية كانت توضـع المخدات فى مجلس الأمير وكان يوضع للحاشية فى المجلس مخدات كل حسب مركـزه ، الكبير مخدة كبيرة وضخمة والأقل أهمية مخدة صغيرة وذو الدرجة الكبيرة مخدات كثـيرة فوق بعض . ومن هنا أخذت هذا الاسم وأصبحت فى الأثاث ، وعند الخلفـاء الفـاطميين وضعت المراتب على العرش ولكن أحجامها كانت ضخمة .

---

(١) أولج فولكف : القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة (٩٦٩- ١٩٦٩) ترجمة : أحمـد صليحـة ، الهيئـة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص١٠١

ويلاحظ أن العرش كان متيناً بينما المرتبة طرية من أجل راحة الجالس[1] ويذكر دوزى فى شرحه لكلمة مرتبة « إن أماكن الجلوس فى الردهة التى تسبق المكان الذى يجلس فيه الخليفة العباسى لاستقبال الناس أو الذين يقومون بعمله كان كل شخص يجلس حسب مرتبته وهو نظام وضعه المنصور .

وتأتى كلمة مراتب ومخدات من اللغة الأسبانية - وربما استخدم جزءاً من الحجر أو الخشب على شكل دكة مغطى بالسجاد كمرتبة أو سرير عروس[2] .

وفى وثائق الجينيزا استخدمت كلمة مرتبة بمعنى فراش للمبيت وإلا كيف يمكن تفسير أن كل جهاز العرائس به هذه المرتبة .

ويغطى المراتب أقمشة منتقاه ويزينها ثلاثة أو أربع أو خمس قطع من القماش المنجد وهذا يبين لنا أنه يمكن استخدامها أثناء النهار والليل وهذا يذكرنا بالكنبة سرير فى العصر الحديث[3] .

(جـ) المخـــدة :

استخدمت المخدات والمساند فى منازل العصر الإسلامى بصفة عامة . وكانت منّ جهاز العروس فى مصر المملوكية فمثلاً كان بأحد نماذج الجهاز من « المساند المزركشة على أربعين حمالاً ، والمدورات ستة عشر حمالاً »[4] .

واستعملت المخدات والوسائد لراحة الناس عند الجلوس أو عند النوم ، ويبدو أنها كانت مثل تلك المعروفة فى زماننا حيث تحشى قطعة قماش وتوضع فى كيس ، وكان القماش المستعمل يختلف بحسب الحالة الاجتماعية فقد يكون قماشها من الحرير أو المشتهر أو القماس العادى وتحشى بالقطن أو تحشى بورق الموز واللبد الأبيض ، أما ألوانها فتكون زرقاء أو بيضاء ، أو بيضاء بكيس أحمد أو زيتى حرير وأحياناً تطرز

---

(1) Sadan: Le Mobilier, P. 55.

(2) Dozy: Op. Cit., I, P. 508.

(3) Sadan: Le Mobilier, PP. 52-56.

(٤) على مبارك : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٣٢٩

بالحرير الأحمر أو الأبيض[1] . أو تكون المخدة كما جاء فى ألف ليلـــة وليلـة : « مـن الديباج الأحمر المزركشى بالذهب محشوة بريش النعام »[2] .

واستخدمت المخـدة فى غـرض القتل فقـد اتفقـت جاريـة أم الأمـير يلبغـا اليحياوى (٧٥٠هـ/١٣٤٩م) « مع عدة من الجوارى على قتل سيدتها ، وقتلوهـا ليـلاً بأن وضعن على وجهها مخدة ، وحبسن نفسها حتى ماتت »[3] .

وكان للمخدات أكياس من القماش لحفظها وهذه الأكياس كانت مجالاً خصبًا لكتابـة الأشعار بالتطريز[4] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بعدد من المخدات وأكياس المخدات منها مخدة مـن قماش أبيض مملوءة بالقطن - سجل رقم ١٢٤٩٢ - ترجع إلى العصر الفاطمى ، عليـها سطر كتابة كوفية ارتفاعه ٥,٥سم يقرأ بها التاريخ وهو سنة « ست وسـبعين وثلثمائـة » طولها ٠,٢٨ م وعرضها ٠.١٩ م ، عثر عليها فى عين الصيرة ، مخدة من القطيفة برقـم ١٠٠٢٩ .

كما يحتفظ أيضًا ببعض الأكياس منها كيس مخدة رقم سـجل ٩٣٨٥ مـن قمـاش أبيض بوسطه شريط زخرفى مطرز بالحرير الأصفر أعلاه وأسفله سطر كتابـة مطـرز

---

(١) د. صالحية : المرجع السابق ، ص٣٤

(٢) ألف ليلة وليلة ، جـ٢ ، ص١٤٩

(٣) المقريزى : السلوك : جـ٢/قسم ٣ ، ص٧٩٩

(٤) مثال ذلك :

يا راقد الليل ممن شـفه السـقم وهـذه قلـق الأحـزان والألـم
جد بالوصال لمن أمسيت تملـكه يا أحسن الناس من قرن إلى قدم

انظر : الوشاء : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٣٠

وقال النواجى فى وصف المخدة أو المدورة :

فـى نفـع ولـذة للنفـوس وحيـاة وراحـة للجليـس
كـم نـديـم أرحتـه باتكـاء وتواضعت عند رفع الـرؤوس

انظر : النواجى (شمس الدين محمد بن الحسن - ت ٨٥٩هـ) : حلبة الكميت فى الأدب والنـوادر المتعلقة بالخمريات - ص١٠٥

بالحرير الأحمر وبالمخدة غير الشريط الأوسط شريطين أخريين بهما زخارف مستديرة مطرزة بالحرير الخضر يحيط بهما خط من حرير أصفر وهى متآكلة جدًا وفاقد منها عدة أجزاء الطول ٠,٣٧ والعرض ٠,٣١٠ م .

ويوجد به أيضًا عدد (٢) كيس مخدة نوم قماش من حرير أحمر طرفيها مسنن وعليها زخرفة بالتلى . الطول ١,٠٢ م - العرض ٠,٤٨ م وهى ترجع إلى العصر العثمانى .

ويحتفظ كل من متحف اندرسون قصر النيل بالكثير من المخدات .

(د) الوسادة :

استخدمت الوسائد - فى العصور الوسطى الإسلامية - للنوم ولكن وظيفتها كمقعد كانت مميزة .

ففى المنزل الإسلامى حيث كان كل شئ يتم بالقرب من الأرض كانت الوسائد تقوم بدور المقاعد . وهذه الوسائد توضع بطريقة بسيطة فيتم تحديد صدر المكان حيث يجلس أهم شخص فى الاجتماع وتوضع الوسائد حوله ، وهى بارتفاعات مختلفة تبعًا لأهمية الأشخاص[1] .

فالوسائد هى الاسم الأصلى بينما مخدة نوع معين من الوسائد ..

ويستنتج من هذا أن الوسادة طويلة حتى أنه يمكن ثنيها وفى أغلب الحالات يكون الكلام عن المقعد يساوى الكلام عن الوسادة .

ونلاحظ أيضًا بوضوح أن استعمال الوسادة للرأس وأرد بينما المخدة أصلاً كانت صغيرة وتستخدم كمقعد أو للظهر ، وكلمة مخدة أتت من أن الخد يتكئ عليها لذلك فهى أصغر من وسادة.

وأخيرًا فكلمة مخدة هى التى سيشيع استخدامها وتكون للاستعمال العام وليس فقط للاتكاء.

---

(1) Sadan: Le Mobilier, PP. 99, 100.

ونلاحظ اندماج كلمتى وسادة ومخدة فى جينيزا القاهرة فجاء ذكر المخـــدة بكـثرة بينما اختفت كلمة وسادة . فنجد أحياناً مخدة للخد ، فإن كان لفظ مخـــدة احتفـظ بمعنـاه الأصلى فلم يكن محتاجًا لهذا التعريف إنما كلمة مخدة أصبحت عامة(١) .

وجاء بالمصادر ذكر الوسادة للجلوس وللاتكاء وللنوم ، فبالنسبة للجلوس فقد ذكـــر البلوى أن الرسول ﷺ – كانت وسادته من آدم(٢) حشوها ليف وكان يكـــرم بـــها جليســه وربما ألقاها إليه وجلس هو عليه الصلاة والسلام على الأرض »(٣) .

واستخدمت الوسائد للجلوس فى مجلس معاوية بن أبى سفيان(٤) . وجاء على لســان الشعراء(٥) ذكر الوسادة المثنية للجلوس وهذا يعنى أن الوسادة كانت كبـــيرة وهـــذا يؤكـــد استنتاج جورج سادان السابق الذكر .

وقد جاءت الوسادة للاتكاد ، فيذكر ابن الأثير « لا يزال أحدكم كاسرا وسادة يتكـــئ عليه»(٦) .

---

(1) Sadan: Le Mobilier, P. 105.

(٢) آدم بفتح أوله وثانيه . بلفظ الأدم من الجلود وهو جمع أديم وأديم كل شئ ظاهر جلده . انظر :
ياقوت : معجم البلدان ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٠٦م ، الطبعة الأولى ، المجلد الأول ، ص٢٦٢

(٣) البلوى : المصدر السابق ، جـ٢/القسم الأول ، ص٧٨

(٤) الجاحظ البيان والتبيين ، ط١ ، جـ١ ، ص٢٥

(٥) مدح بعض الشعراء عبد العزيز بن زرارة الكلبى فقال :

وعنـــد الكلابى الذى حـــل بيته	بجـــو ســـماء مـــاض وصبوح
ومكســـورة حمـــر كان متونهـــا	نســـور إلى جنب الخوان جنوح

ومكسورة تعنى وسائد مثنية .
انظر : الجاحظ : الحيوان ، القاهرة ١٩٠٧م ، جـ١ ، ١٠٧
ومدح زياد بن عمرو العتكى عبد الرحمن بن زياد – الذى قلده معاوية خراسان سنة ثمان وخمســـين وكان ضعيفًا سخيا – قائلاً :

سألنـــاه الجزيـــل فمـــا تلكـــا	وأعطـــى فـــوق منيتنـــا وزادا
وأحســـن ثم أحســـن ثم عنـــا	وأحســـن ثـــم عـــدت لـــه فعادا
مـــرارًا لا أعـــود إليـــه إلا	تبســـم ضاحكـــاً وثنـــى الوسادا

الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٢٩

(٦) ابن الأثير : النهاية ، جـ٢ ، ١٤٧

كما جاءت الوسادة للنوم فيقال أن وهب بن منبه[1] رضى الله عنه ما وضـــع جنبـــه على الأرض ثلاثين سنة كانت له وسادة من آدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها »[2] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ببعض الوسائد منها وسائدتين - من العصـــر العثمانى - الأولى برقم سجل ٢٢٥٢٢ وهى محشوة بالقطن عليها من الوجـــهين أشـــرطة زخرفية أحد الوجهين عليه أربعة أشرطة بها زخارف مطرزة بالألوان الأخضر والأســـود والأحمر والآخر عليه بقية أربعة أشرطة مطرزة باللونين الأصفر والأسود . وهى ممزقـــة وفاقد منها أجزاء كبيرة طولها ٤٣سم - عرضها ٣٠ سم والثانية برقم سجل ٨٧٤٢ وسادة من حرير محشوة بالصوف وحريرها مزخرف بأربعة أشرطة مـــن زخـــارف بلـــون أحمـــر وأبيض وأصفر يفصلها خمسة أشرطة أخرى أصفر من السابقة مزخرفة بزخارف نباتية بلـــون أبيض وأحمر وأصفر على أرضية سوداء وهى متآكلة الطول ٠,٣٨٠ م العـــــرض ٠,٢٩٠ م عثر عليها جهة مقابر عين الصيرة . وإلى جانب مخدة ووسادة هناك وسائد متنوعة .

وأحيانًا نجد لفظين أو أكثر للوسائد جنبا إلى جنب فى جملة واحدة فى نص واحـــد ، إذا فكل لفظ من هذه الألفاظ يستعمل محدد ولا يستعمل هباء . ومجموعـــة الألفـــاظ التـــى تشير إلى وسائد تكون مجموعة أثاث بعض منها مخصص للظهر وآخر للكيعان .

وهذه المجموعة ذات أهمية كبيرة لمعرفة الحياة الإسلامية ، فى العصور الوســـطى لأنها تبرهن على أن الكراسى الثقيلة والمعقدة كانت غير ذات أهمية لأن تكويـــن الوســـائد كان يقوم بنفس الوظيفة .

والصفة المميزةللمخدات تغير وظائفها بالرغم من أن كل مخدةمن المخدات التىســـوف نجدها مخصصة أصلاً لوظيفة بعينها إلا أننا نقابل كثيرًا مخدات تستخدم بطرق مختلفة[3] .

---

(١) هو أبو عبد الله وهب بن منبه اليمانى ، صاحب الأخبار والقصص وكانت له معرفة بأخبار الأوائـــل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء ، توفى فى المحرم سنة عشر ، وقيل أربع عشرة ، وقيل ست عشرة ومائة بصنعاء اليمن ، وعمره تسعون سنة ، رضى الله عنه .
انظر : ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر) وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان المجلد السادس ، تحقيق د. إحسان عباس ، ص٣٥

(٢) البلوى : المصدر السابق ، جـ٢ / القسم الأول ، ص٧٨ ، ٧٩

(3) Sadan: Le Mobilier, P. 100.

(هـ) المرفقـــة :

عند ذكر مرفقة إلى جانب مخدات أخرى مثل وسادة ومخدة أو مرتبـــة فـــى نفـــس النص يجدر بنا أن نستنتج من هذا أن مرفقة تعنى نوعًا مختلفا له شكلاً ووظيفـــة خاصـــة بعينها .

ومن الجملة مرافق - المطارح نستنتج بوضوح من هذا أن تكون تشـــكيل مرفقـــة ومطرح يعنى مجموعة يمكن الاستناد عليها . فمرفقة مخدات للكيعـــان ومطـــارح مرتبـــة للجلوس .

والمعنى الأصلى لكلمة مرفق (كوع) يشير إلى الوظيفة مرفقة أتت مـــن مرفـــق ولكن رغم ذلك فإن هذا الاستخدام الخـــاص ليـــس ضروريًـــا وســـكان المـــنزل يمكـــن يستخدمونها للجلوس والنوم .

وبالنسبة لشكل المرفقة فيبدو أنها كانت مستديرة فى الشـــرق الإســـلامى[1] وربمـــا كانت هى التى أطلق عليها المدورة[2] فى جهاز العروس المملوكية .

ويذكر ابن الأثير أن المرفقة كالوسادة وأصلها من المرفق[3] . وجـــاء بنهايـــة ابـــن الأثير أيضًا استخدام المرفقة كوسادة للجلوس[4] .

(و) المســـورة :

مخدة مسورة أى مغلقة بالجلد وهذه خاصيتها ، وعندما تظهر كلمة مخدة ومســـورة فى نفس الوقت يجب إذا أن تفسر على أنهما كلمتان غـــير متطـــابقتين . هـــذا وتســـتخدم المسورة أيضًا كمرفق وللجلوس عليها .

---

(1) Sadan: Le Mobilier, P. III.

(٢) تظهر المخدة المستديرة فوق سرير فى :
د. ثروت عكاشة : المرجع السابق ، ظهر الورقة ١٦٢

(٣) النهاية ، جـــ٢ ، ص٩٩

(٤) المصدر نفسه ، ص١٨٨

وغطاء المسورة الجلد يمكن أن يحشى بنفس المواد التـــى تحشـــى بـــها الوســـائد الأخرى. وربما تغلف بالنسيج الذى يزخرف بالتطريز[١] .

واستخدمت المسورة للاتكاء أيضًا وأطلق عليها (تكأة) يتكئ الشـــخص عليـــها إذا جلس[٢].

(ز) نمـــرق (نمرقـــة)[٣] :

ممكن تقرأ نمرق أو نمرق . وهو مخـــدة أو سرج[٤] والنمرقة جمعـــــها نمـــارق - ومنها وسائد وبسط وهى جميعها ذات وشى مرقوم[٥] .

وتأخذ النمرقة شكل مستطيل يمكن ثنيه لخلق جلسة مرتفعة من هذا المنطلـــق فـــهو يقابل الوسادة ، والوسادة هى اللفظ العام . وتستخدم النمرقة كمخدة للاســـتناد[٦] . وأيضًـــا جاء ذكر النمرقة على إنها مخدة للجلوس فمما يروى أن عائشة رضى الله عنها « اشـــترت نمرقة فيها تصاوير ، فقام النبى ﷺ بالباب ، فلم يدخل ، فقلت : أتوب إلى الله مما أذنبـــت ، قال : ما هذه النمرقة ؟ قلت : لتجلس عليها وتوسدها » إلى آخر ما جـــاء فـــى الحديـــث والنمرقة هنا الوسادة وتطلق أيضًا على المثيرة والطنفسة فوق الرحل[٧] .

---

(1) Sadan: Le Mobilier, PP. 112, 113.

وقد ورد ذكر مسورة عليها تطريز – مطرزة فى التوحيدى والبصائر والدهائر جـــ٣ ص٤٧

(٢) بدرى محمد فهيم : القاضى التنوخى وكتاب النشوار ، بغداد ، ١٩٦٦ ، ص٢٧ ، ٢٨

(٣) النمرق والنمرقة مثلثة الوسادة الصغيرة أو المثيرة أو الطنفسة فوق الرحل .

الفيروز أبادى الشيرازى : المرجع السابق ، ط٣ ، جـــ٣ ، ص٢٧٨

وقد ذكر الله تعالى النمارق فى سياق وصف الجنة « فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمـــارق مصفوفة وزرابى مبثوثة » .

القرآن الكريم : سورة الغاشية الآية ١٥ ، ١٦

(4) Sadan: Le Mobilier, P. 113.

(٥) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـــ١ ، ص١٣٥

(6) Sadan: Le Mobilier, P. 113.

(٧) أحمد تيمور : التصوير عند العرب ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشـــر ، ١٩٤٢م ، ص٢٨

(ح) متكـــأ ـ توكـــأة :

المتكأ[1] هو وسادة للاتكاء[2] ، وهو مرتبة صغيرة أو مســـند للظـــهر مريـــح جـــدًا يستخدم للقيلولة أو للسهر . وبعد ذلك أصبح هذا اللفظ يشير إلى مخدة للظهر أو حتى إلـــى كرسى له ظهر[3] .

(ط) المســـند :

ولفظ مسند[4] يعنى حرفيا الذى يتكئ كان يطلق أصلاً على الوســـائد التـــى تعمـــل للظهر فقط ولكن جاء ذكره فى بعض النصوص على أنه مكان للجلوس له ظهر .

واستخدام المخدات للظهر وجد منذ العصور الأولى للحضارة الإسلامية ، ومن أقـدم الرسومات الإسلامية فريسكو من القرن التاسع بسامراء واضح عليها هذا الاستخدام .

ولكن منذ القرن ٤هـــ/١٠م استخدمت المصادر لفظ معين لهذه المساند وهو مســـاند الظهر ومن هنا يبدو أنه كان لهذه المساند شكلاً مختلفًا . وتشير المخطوطـــات المصـــورة التى ترجع إلى القرن ٧هـــ/١٣م بوضوح أن شكل هذه المساند ليـــس كبقيـــة المخـــدات . والنهايات العليا لمساند الظهر هذه مدببة بشدة[5] حتى يمكن أن نفكر أن المخـــدة مشـــدودة

---

(١) المتكئ فى العربية كل من استوى قـــاعدًا على وطـــاء متمكنا والعامة لا تعرف المتكئ إلا من مـــال فى قعوده معتمدًا على أحد شقيه والتاء فيه بدل الواو واصلـــة من الوكاء وهو ما يشد بـــــه الكيـــس وغيره كأنه أوكأ مقعدته وشدها بالقعود على الوطاء الذى تحته .
انظر :
ابن الأثير : المصدر السابق ، جـــ١ ، ص١٤٠

(٢) جاء ذكر المتكأ للاتكاء فى :
الجاحظ : البخلاء ، بيروت ١٩٥٧م ، ص١٨٢

(3) Sadan: Le Mobilier, PP. 113, 114.

(٤) المسند : الوسادة التى يسند إليها . والمسورة : التى يتكأ عليها . والمخدة : للرأس . والمنبذة : التـــى تنبذ أى تطرح للزائر . والوسادة : تجمعها كلها .
انظر هنريكوس لامنس اليسوعى : فرائد اللغة ، الجزء الأول فى الفـــروق ، المطبعـــة الكاثوليكيـــة ببيروت ، سنة ١٨٨٩ ، ص٤٥٣

(٥) عن شكل المســـاند ذات النهايات المدببة ، انظر : د. ثروت عكاشـــة : المرجع الســـابق ، وجـــه الورقة (٦٤) ، وجـــه الورقة ٢٥ ، وجـــه الورقـــة (٢١) ، وجـــه الورقـــة (٢٨) ملـــون ، وجـــه الورقة (١٢٥) .

بحبال غير مرئية فى نهايتها العليا ، وبالفعل وجدت فى بعض التصاوير كراسى خشـــبية صلبة بها عصيان خشب ربطت عليها هذه الوسائد[1] . واستخدام هذه العصى هـــو الـــذى أوجد الشكل الخاص لوسائد الظهر التى درسناها وهذا المسند للظهر له وظيفة فى الأثـــاث محددة وواحدة ولا يمكن أن تستخدم للنوم مثلاً وذلك بخلاف بعض المخدات التى يمكـن أن تستخدم كمساند للظهر[2] .

(ى) الحشايا :

وبالإضافة إلى ما سبق وجدت الحشايا - ومفردها حشية - وهى مقـــاعد محشـــوة تبسط على الأرض للجلوس وفوق السرير للنوم ، وقد يبالغون فى حشوها فيتخذونـــه مـــن ريش النعام فإذا ازداد حشوها وارتفع سمكها فهى الوشائز[3] .

وربما وضعت الحشايا على يمين الجالس ويساره ليتكئ عليها[4] . كما اســـتخدمت للنوم بوضعها على السرير ويتضح ذلك مما جاء على لسان امرأة من نساء العرب غـــاب عنها زوجها فى بعثة بأمر عمر بن الخطاب وقد سمعها عمر وهـــو يطـــوف ليـــلاً فـــى المدينة[5] .

---

(١) والذى يؤكد أن هذه المساند كان لا بد لها من عصيان تربط بها أو حبال تشدها . أننا نرى فى بعض التصاوير أن يوجد خادمات أحدهما على اليمين والآخر على اليسار يمسكان بالمسند وذلك فى حالة ما يكون الجالس أميرًا أو قاضيًا أو ما شابه ذلك .
انظر :
د. ثروت عكاشة : المرجع السابق ، لوحة (وجه الورقة١١٨) ، ظهر الورقة (١٢٢) ملون وغيرها .
(2) Sadan: Le Mobilier, PP. 117, 119.

(٣) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـــ١ ، ص١٣٥

(٤) ابن الأثير : المرجع السابق ، جـــ٢ ، ص٥

(٥) كانت هذه تقول :

تطاول هذا الليل وأسود جانبـــه وأرقنـــى أن لا خليـــل الاعبـــه
فوالله لـــولا الله لا شـــئ غيـــره لزعزع من هذا السرير جوانبـــه
وبت الأهـــى غير بدع منعمـــا لطيف الحشا لا يحتويه مصاحبه
يلاعبنـــى فـــوق الحشايا وتارة يعـــاتبنى فـــى حبـــه وأعاتبـــه

انظر : التنوخى : المستجاد من فعلات الاجواد ، نشر وتحقيق محمد كرد علـــى ، مطبعـــة الـــترقى بدمشق ، ١٩٤٦م ، ص٢٣٩

(ك) الركنيــة :

جمعها ركنيات – وغالبًا ما يكون القصد منها تزيين مكـــان الجلـوس أو وضعــها كطويلة فى ركن البيت لتضفى جمالاً على المنظر ولذًا فأما أن تكـــون مطـــرزة بحريـــر أزرق أو أحمر أو بحاشية زركشية ، وقد كانت بعض الركنيات بيضـــاء اللـــون مطـــرزة بحرير أزرق وأخرى بيضاء مطرزة بحرير أحمر ولها حاشـــية زركـــش وهـــى أشـــبه بالطويلات الصغيرة التى توضع فى ركن الغرفة[1] .

ونظرًا لورود هذه الركنيات فى وثائق الحرم القدسى المملوكية إذا فقد وجدت فـــى عصر المماليك بصفة عامة واشتمل جهاز العروس المملوكية عليها .

(ل) الســـتائر :

استخدمت الستائر بكثرة فى منازل مصر الإسلامية . فنظرًا لقلة وجود الأخشـــاب الجيدة بمصر فكان يستغنى عن استعمال الأبواب الخشبية التى تفصل غرفة عـــن أخـــرى باستعمال العقود فى الفتحات التى تغطى بستائر فتقوم مقام الأبواب[2] .

وكانت المنازل من الداخل سواء بالنسبة للأشـــخاص الميســـورين أو الأشـــخاص المتوسطى الحال ذات مظهر فخم وذلك مرجعه إلى الرسومات بالجص والفسيفســـاء ثـــم طريقة الفرش التى تتكون من الستر والطنافس[3] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى ببعض قطع من الستور التى ترجـــع إلـــى عصـــر المماليك ، من بينها قطعة ستارة من قماش مخيش مطرزة بـــالحرير المختلـــف الألـــوان ومنقوش عليها زخارف نباتية وزخارف طيور ولا يزال باقيا بها الكثـــير مـــن خيوطـــها الفضية[4] .

---

(١) د. صالحية : المرجع السابق ، ص٣٥

(٢) د. سعاد ماهر : محافظات الجمهورية العربية المتحدة ، ص١٤٠

(3) Mazaheri, Op. Cit., P. 78.

(٤) د. محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ، الناشر ، دار الفكر العربـــى ، مطبعـــة الاعتماد بمصر ١٩٤٧م ، ص٣٠٠

ومن الجدير بالذكر أن الستائر كانت من بين جهاز عروس مصر المملوكية مثـــال ذلك ما كان بجهاز ابنة السلطان الناصر محمد عروس الأمير على بن ارغون[١] .

وقد أنتشر وجود الستائر فى منازل مصر الإسلامية ، فكان المعمارى نظـــرًا إلـــى قلة وجود الأخشاب الجيدة فى مصر - يستغنى عن استعمال الأبواب الخشبية التى تفصـــل غرفة عن أخرى باستعمال العقود فى الفتحات التى تغطى الستائر فتقوم مقام الأبواب[٢] .

ويطلق على الستائر - إذا وضعت على السرر أو دونها - الكلل واحدتها كلة وهـــى ستور رقيقة تقى من البعوض .

أما إذا شدت الستور المنمقة ذات الصور على جدران الغرف وحيطانها لتزدان بـــها أطلق عليها النجود[٣] .

وفى مصر الطولونية وجدت الستائر فى قصور الخلفاء ، ففى قصر خمارويه (بيـت الذهب) وجد بيت أطلق عليه « الدكة » على مثال قبة الهواء التى بناها حاتم بن هرثمـــة عامل الأمير العباسى فى مصر على جبل المقطم حيث قلعة الجبل الآن - وضعـــت فيـــها الستائر لتقى الجالسين من الحر والبرد بحيث ترفع وتخفض عند الحاجة[٤] .

هذا وقد كان لأهل المغرب ستوراً تسمى بالحائطية لتعليقها بالحيطـــان للزينـــة[٥] ، ويرجح أنها لم تكن مزخرفة بالرسوم بل كانت تكتب عليها القصائد والمقطوعات الشعرية.

وفى العصر الفاطمى وجد بخزائن الفرش ســـتوراً تقـــارب الألـــف مـــن الحريـــر المنسوجة بالذهب على اختلاف ألوانها وأطوالها منها صور الدول وملوكها والمشـــهورين فيها ، مكتوب على صورة كل واحد اسمه ومدة أيامه ، وشرح حاله[٦] .

---

(١) المقريزى : السلوك ، جـ٢ / القسم الأول ، ص٢٤٩

(٢) د. سعاد ماهر : محافظات الجمهورية ، ص١٤٠

(٣) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٣٥ ، ١٣٦

(٤) أحمد تيمور : المرجع السابق ، ص١٨ ، حاشية ٧٧

(٥) نفس المرجع والصفحة .

(٦) نفس المرجع والصفحة .

الفصل الأول

ثانيًا : أدوات المطبخ

ثانيًا : أدوات المطبخ :

تنوعت أدوات المطبخ التى اشتمل عليها جهاز العروس ، إلى أدوات معدنية (من ذهب وفضة ونحاس كفت ونحاس بدون تكفيت) وخزفية وفخارية وخشبية وزجاجية وبللورية وحجرية ، والدليل على ذلك ما جاء بالمصادر والمراجع من ذكر لها وما يزخر به متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، وغيره من المتاحف بالعديد من هذه الأدوات .

فقد وصفت آلات المطبخ – المملوكية – التى تعد فيها الأطعمة بأنها عجيبة أما أدوات الأكل ، فأنها تكون عبارة عن أوان من ذهب وفضة، وأنواع من الصينى الفاخر ، كذلك وجدت شوكات وملاعق ، وأن كان الأكل عادة يكون بالأصابع ، التى تغسل دائماً فى أباريق وطاسات وصحون واسعة معدة لذلك[1] .

وبالنسبة لأوانى الذهب والفضة[2] ، فالبرغم من أن الإسلام يحرمها إلا أننا نجد أن سلاطين وأراء عصر المماليك كانوا يستعملونها ويقتنون منها الكثير .

وكان جهاز العروس من بنات السلاطين يحوى العديد من أوانى الذهب . ومثال ذلك جهاز ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون على ولد الأمير أرغون – نائب السلطنة بديار مصر – الذى عملت فيه " سائر الأوانى من ذهب وفضة ، فبلغت زنة الأوانى المذكورة ما ينيف على عشرة آلاف مثقال من الذهب "[3] .

---

(١) د. عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر ، مكتبة الأنجلو ١٩٨٢م ، الطبعة الثانية ، الجزء الثانى ص ١١٨ .

(٢) يحرم الأكل والشرب والأدهان فى آنية الذهب والفضة للرجال والنساء وكذا كل استعمال كالأكل بملعقة الفضة والاكتحال بميلها واتخاذ المكحلة والمرآة والدواة من ذلك ويحل جميع ما ذكر من الزجاج والبللور والعقيق والنحاس والرصاص ونحوها ويحل الشرب فى الإناء المفضض .
انظر : محمد بن مصطفى : اللباب فى أحكام الزينة ، الجزائر ١٩٠٧م ص ٤٧ . ومن المكروه الأكل والشرب فى آنية الذهب والفضة لما روى عن رسول الله ﷺ فى الصحيح أنه قال لا تأكلوا فى الذهب والفضة ولا تشربوا فى صحفها فأنها لم فى الدنيا ولكم فى الآخرة .
انظر السيوطى : عمدة الفروض والآداب فى معرفة أحكام الطعام والشراب الذى يلى نظم السلوك فى مآكل الأمراء والملوك لعلى الخطيب فى مخطوط واحد – دار الكتب المصرية – صناعة تيمور رقم ١٧ ص ٧١ .

(٣) على مبارك : المرجع السابق ص ٣١٨ .

وكن بجهاز ابنة الأمير بكتمر الساقى – ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م من الفضيات تسعة وعشرون حمالاً[١] .

هذا ويذكر المقريزى أن " العروس من بنات الأمراء أو الوزراء أو أعيان الكتاب أو أماثل التجار تجهز فى شورتها عند بناء الزوج عليه سبع دكك " من بينها دكة من فضة[٢] .

ويذكر المقريزى بشأن إصلاح دكة من الفضة خاصة بامرأة من بنات التجار تعرف بست العمائم كانت تعد للزواج من القاضى علاء الدين بن عرب محتسب القاهرة أنها عندما قارب يوم دخولها به أرسلت إليه وكيها ليخبره أنها بعثت إليه بمائة ألف درهم فضة خالصة ليصلح بها لها ما أختل من الدكة الفضة فأمر المحتسب بصناع الفضة وطلائها فشرعوا بإصلاح ما أرسلته ست العمائم من أوانى الفضة وإعادة طلائها بالذهب حتى أصبحت ذات منظراً بديعاً[٣] .

ومما يذكر أن السلطان الملك الصالح عماد الدين أبو إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون – ٧٤٦هـ/١٣٤٥م – انفق على الدهشية بالقلعة خمس مائة ألف درهم ثم عمل فيها من وانى الذهب والفضة ما يجل وصفه[٤] .

وجاء فى زبدة كشف الممالك أن بعض الخوندات (زوجات السلطان) " نصبت القاعة الكبرى المعروفة بالعواميد فكان من جملتها مواعين من ذهب وفضة "[٥] ، هذا وكانت حواصل المال التى بقصر قوصون تشمل ضمن ما شمل على أوانى ذهب وفضة[٦] .

---

(١) على مبارك : المرجع السابق ، ص ٣٢٩ .

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ص ١٠٥ .

(٣) المصدر نفسه نفس الصفحة . وتلك الدكة التى أرسلت تصلحها ست العمائم ربما كانت من زواجها الأول ، لأن المقريزى أسبق اسمها بلفظ امرآة .

(٤) المقريزى : السلوك ، جـ٢ / قسم ٣ ، ص ٦٧٩ – ٦٨٠ .

(٥) ابن شاهين : المرجع السابق ص ١٢١ .

(٦) د. محمد جمال الدين سرور : الرجع السابق ، ٢٩٩ .

وعندما قبض السلطان الناصر محمد بن قلاوون على سلار[1] احتاط على موجـــوده الذى كان ن بينه طاسات فضة عمل الفرنـــج ، أطباق فضة ، وطشـــوت فضـــة وأهـــوان ذهب ، الوزن ستة قناطير[2] .

وأيضاً لما قبض السلطان الصالح صلاح الدينابن السطلان الناصر محمد على ابـــن زنبور وسجنه بالقلعة احتاط على جميع موجودة وكان من بين ما وجد عنده ، أوان ذهـــب وفضة ، فكان زنته نحو ستين قنطاراً[3] .

ووجدت أوانى الفضة لدى خوند ابنة الأمير اقبردى زوجة السلطان طومـــان بـــاى ففى ربيع الآخر سنة ٩٢٣هـــ / ١٥١٧ م وبعد مقتل الســـطلان طومـــان بـــاى وتولـــى السلطان سيم شاه علم بعض وزراء ابن عثمان من جارية زوجـــة طومـــان بـــاى بمكـــان حصل سيدتها فتوجهوا إليه ونقولا كل ما كان فيه ، ومن بينه أوانى بللور وأوانـــى فضـــة ونحاس وصينى لازورد وغير ذلك[4] .

استعمال أوانى الذهب والفضة لم يكن بدعة ابتدعها المماليك بل سبقهم فـــى ذلـــك الخفاء المسلمين[5] والأثرياء من الناس وتناسوا تحريم الإسلام لـــها فـــى مقـــابل لتفـــاخر والمباهاة بثرائهم وسلطانهم .

---

(١) كان سلار تترى الجنس ، ترفا فى ملبســـه ، وهو الذى ينسب إليه السلارى إلى الآن - زمـــن ابـــن إياس - ، والمناديل السلارية ، وقد اقترح أشـــياء كثيرة من الملبوس ، وكان كثير البر والصدقات وكان فـــى سعة من المال ، ولما مات بالقلعة - وكان السلطان قد سجنه بالقلعة هو وأخيه وجماعة من الأمـــراء اتفقوا على قتل السلطان فبادر السلطان وقبض عليهم وسجنهم بالقلعة - غسل وكفن ودفن فى المدرســـة الجاولية التى عند الكبش ثم أن السلطان احتاط على موجوده فظهر له من الموجود ما لا يسمع بمثله .
انظر ابن إياس : المصدر السابق : جـــ١ / القسم الأول ، ص ٤٣٦ .

(٢) المصدر نفسه نفس الصفحة .

(٣) المصدر نفسه ص ٥٤٤ .

(٤) المصدر نفسه ، جـــ٥ ، ط٢ ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .

(٥) ذكر بعض المؤرخين أن معاوية بن أبى سفيان أهدى إلى عبد الله بن العباس من هدايا النيرز آنية من ذهب وفضة .
التنوخى : المرجع السابق ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

أما بالنسبة لأوانى النحاس المكفتة بالذهب الفضة ، فكانت شائعة الاستعمال فى عصر المماليك ، وكان لابد أن يكون فى شورة العروس دكة نحاس مكفت ، وفوق الدكة دست طاسات من نحاس أصف مكفت بالفضة ، وعدة الدست سبع قطع بعضها أصغر من بعض تبلغ كبراها ما يسع نحو الأردب من القمح . وطول الأكفات التى نقشت بظاهرها من الفضة نحو الثلث ذراع فى عرض أصبعين ، ومثل ذلك دست أطباق عدتها سبعة ، بعضها فى جوف بعض ، ويفتح أكبرها نحو الذراعين وأكثر والطشت والأبريق فتبلغ قيمة الدكة من النحاس المكفت زيادة علي مائتى دينار ذهباً[1] .

هذا وكان بجهاز ابنة الأمير بكتمر الساقى من النحاس المكفت ثمانية وأربعين حمالا ، والخونجات والمحافى والزبادى والنحاس تسعة وعشرين حمالاً[2] . وكانت الناس فى هذا العصر تتهافت على اقتناء النحاس المكفت ولا تكاد دار تخلو بالقاهرة ومصر من عدة نحاس مكفت .

وفى يوم الاثنين – سابع عشر شوال سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م عصر الغورى – خرج المحمل الشريف وكان لخرجه يوماً مشهوداً ، لم يقع قط مثله فيما تقدم من السنين

وأهدت قطر الندى إلى زوجها فى يوم نيروز فى سنة ٢٨٢ هـ هدية من بينها عشرون صينية ذهب وعشرون صينية فضة .

الخالديان (أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابن هاشم) : كتاب التحف والهدايا .

وقد استعملت فى وليمة عرس المأمون العباسي موائد وصوانى من ذهب مرصعة بالجواهر .

فيليب حتي وآخرون ك المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٤٢٧ ، ٤٢٧ .

كما أن ست الملك أخت الحاكم بأمر الله تركت بعد وفاتها آلاف الأطباق من الذهب والفضة .

حسن محمد الهوارى : أثر المرأة فى الفن الإسلامى ، مجلة الهندسة العدد ١١ ، ١٢ ، ديمبر ١٩٣٤م السنة ١٤ ، ٤٢٥ .

(١) المقريزى : الخطط جـ٢ ، ص ١٠٥ .

(٢) على مبارك المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٣٢٩ .

الماضية ، وذلك قد انسحب فيه أربعة أطلاب[1] حافلة ، الطلب الرابع منـــها كـــان نحـــو عشرين جملاً مزينة بالآت الشراب خاناه من الأوانـــى الصينـــى والـــلازورد والزجـــاج البللورى وغير ذلك وأيضً أحمال مزينة بـــآلات الطشـــتخاناه[2] مـــن الأبـــاريق الكفـــت والطسوت الكفت[3] .

وفى يوم الثلاثاء – ٢٤ شعبان سنة ٩٢١هـ / ١٥١٥م – نزل الســـلطان الغـــورى إلى بولاق وتوجه إلى ضيافة القاضى كاتب السر محمود بن آجا فأظهر القـــاضى كـــاتب السر أنواع العظمة من الفرش الفاخرة والأوانى الصينى والنحاس المكفت وغير ذلك مـــن كل صنف[4] .

هذا وكان من عادة الناس فى مدينة دمشق أن البنت يجهزها أبوها ، ويكون معظـــم الجهاز أوانى النحاس وبه يتفاخرون[5] .

وبالنسبة لأوانى البللور والصينى والزجاج والخشب ، فكانت العروس مـــن بنـــات الأمراء والوزراء أو أعيان الكتاب أو أماثل التجار ، تجهز فى شورتها دكة مـــن خشـــب

---

(١) الإطلاب جمع طلب وهو الفرقة من الجيش : انظر الحافظ شمس الدين الذهبى كتاب دول الإسـلام ، جـــ١ ص ١٥٣ حاشية (٥) .
ويبدو أن المعنى المقصود هنا هو الجماعة من الناس، وقد جاء فى ابن منظور أن الطلبة الجماعة من الناس والطلبة السفرة البعيدة وطلب إذا أتبع وطلب إذا تباعد والجمع إطلاب .
انظر : ابن منظور : المرجع السابق ، جـــ٢ ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) الطشت خاناه هى بيت يكون فيه آلة الغلسل والوضوء ، وقماش السلطان البياض الذى لابد له مـــن الغسلْ ، وآلة الحمام ، وآلات الوقود فيكون فى هذا من الآلات : الطـــوت والأبـــاريق والســـخانات ولطاسات ولكراسي وغيرها .
انظر : النويرى (شهاب الدين أحمد بن عد الوهاب) : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، مطبعـــة دار الكتب المصرية ، ١٩٣١م ، الطبعة الأول الجزء الثامن ص ٢٢٥ .

(٣) ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٢ ، جـــ٤ ، ص ٤٠٩ .

(٤) المصدر نفس ، ص ٤٧٣ .

(٥) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، دار الكتاب اللبنانى ص ٤٩ .

مدهون ودكة من صينى ودكة من بللور[1] ، كما كان بجهاز ابنة أحد الأمراء من الصينى ثلاثة وثلاثين حمالاً والزجاج المذهب اثنى عشر حمالاً ، والبعلبكى المدهون اثنى عشر حمالاً[2] ، وهذا دليل على كثرة هذا الأصناف بالجهاز .

واشتمل جهاز بنت السلطان حسن بن محمد بن قلاوون على دكة من بلور تشتمل عى عجائب ، منها زير من بلور نقش بظاهره صور ناتئة على شبه الوحوش والطيور وقدر هذا الزير ما يسع قربة ماء[3] .

هذا وقد جد عند ابن زنبور – سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م – فى حواصل : " صحون وزبادى صينى ، ما بين لازورد[4] وشناف أبيض ، وصينى أخضر ، نحو ثلاثين ألف قطعة ، ووجد عنده فى حواصل : أوانى نحاس أصفر مكفت ، ما بين أطباق وطسوت وأباريق ، وثريات وغير ذلك أربعين ألف قطعة[5] .

وأنعم السلطان على الأمير يلبغا عند الفراغ من عمارة قصره – ٧٣٨هـ / ١٣٣٨م – بعدة أشياء منها أوانى بلور[6] .

---

(١) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ١٠٥ .

(٢) على مبارك : المرجع السابق ، ص ٣٢٩ .

(٣) حسن محمد الهوارى : المرجع السابق ص ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

(٤) حجر اللازورد حجر بارد يابس فيه رخاوة وهو حسن اللون إذا جمع إلى الذهب ازداد كل منهما حسنا فى عين من يبصره . وقد عرف اللازورد من قديم الزمان فى صناعة الحلى الأشياء الزخرفية وأشغال الفسيفساء وفى المعادن المطعمة وقد اعتبره القدماء فى مكانه الياقوت الأزرق وقد عم استعماله عند قدامى الأشوريين والمصريين والحيثيين ، وقد وجد بمقادير كبيرة فى مقابرهم وكان يفضل على الذهب وبعض الأحجار الكريمة ويذكرونه قبلها . إنظر :

Dr. Julius Ruska : Das steinbuck des Aristoteles, Heidelberg 1912, p. 107.

، د. عبد الرحمن زكى : الأحجار الكريمة فى الفن والتاريخ ، والمكتبة الثقافية ١٠٨ ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، مايو ١٩٦٤م ص ١٢٨ .

(٥) ابن إياس : المصدر المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، مايو ١٩٦٤م ص ١٢٨ .

(٦) المقريزى : السلوك ، نشر زيادة ، جـ٢ ، القسم الثانى ص ٣٥٤ .

وعندما نزل الأمير تنكز من القلعة إلى بيته بخط الكافورى من القاهرة ٧٣٩هـ / ١٣٣٩م – جهز به تقادم السلطان وتقادم الأمراء كان من بينها أوانى البلور[١] .

وعندما نوى قاضى القضاة القزوينى – ٧٣٨هـ/١٣٣٨م – ترك مصر وتوجه إلى دمشق باع أملاكه وأملاك أولاده وأثاثهم وتحفهم بربع ثمنها وكانت نفيسة ، فباعوا من صنف الأوانى الصينى بمبلغ أربعين ألف درهم[٢] .

ومن ناحية ثانية ، فأن وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية تزودنا بأسماء وأنواع العديد من الأدوات المنزلية التى كانت مستعملة فى العصر ، ومن هذه الأدوات جرار أو عسالى (جرار من فخار صغير وكبيرة) ، يخزن فيها رب الخروب أو الخل أو الدقيق ، وحقق نحاسية صغيرة وبعضها بكعب ، يبدو أنها كانت تستعمل للرجفة (الخوف) ، وقد كانت مستعملة إلى عهد قريب ، وأنواع من الدسوت الصغيرة والوسطانية والكبيرة وأغطيتها ، أنواع من الزبادى والأوعية مثل الصحون الفخارية والنحاسية والسطول النحاسية ذات الأغطية وسفرات النحاس (موائد الطعام) ، والسكاكين والصحون البامانية[٣] والصوانى النحاسية الصغيرة والكبيرة ، أو الصوانى الملقوبة الشفة (أى ذات الحافات المقلوبة إلى الخارج) ، والطاسات النحاسية الصغيرة والكبيرة لون نحاسها أصفر أو أبيض ، وأطباق الغسيل المصنوعة من النحاس الأحمر ، وقدور النحاس الكبيرة والصغيرة والوسطانية ذات الأغطية ، والمقالى النحاسية ، والهاونات وأيديها .

ومن أدوات الطبخ المذكورة فى الوثائق أيضاً منخل لنخل الدقيق ، ومأورديات وسكرجة فخار صغيرة وقماقم نحاسية وزجاجية وقنانى وكبب صابون .

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٦١ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٤٤١ ، ٤٤٢ .

(٣) يرى د. إبراهيم شتا أنها نسبة إلى باميان . وقد ذكر ياقوت عن باميان :أنها بكسر الميم ، وياء ، وألف ، وون : بلدة وكورة فى الجبال بين بليخ وهراة وغزنة ، بها قلعة حصينة .
ياقوت : المرجع السابق ، المجلد الأول ، ص ٣٣٠ .

ومن أدوات حفظ الماء ، شربات نحاسية وسطيح[1] وهو مزادة من اديمين يقابل أحدهما الآخر ، وزمزمية ماء ، وخابية[2] فيها ماء . هذ بالإضافة إلى أكياس بيضاء اللون يوضع فيها الدقيق والأرز[3] .

وفيما يلى نذكر بعض أدوات المطبخ :

- الطست والأبريق[4] :

الطست والأبريق من أهم أدوات المطبخ التى لا يخلو منها جهاز عروس فكانا من ضمن الأشياء التى تشترى فوق الدكة النحاسية المكفتة التى كانت بجهاز كل عروس ، وكان يصنعان من النحاس المكفت بالفضة[5] . وهما من أكثر المواد استعمالاً على موائد الطعام ، فقبل أن يجلس الناس إلى موائد الطعام يغسلون أيديهم وفى بعض الإحيان أفواههم بالماء والصابون وذلك بأن يتقدم أحد الخدم إليهم ومعه طست وأبريق من النحاس أو القصدير أو الفضة إذا كانوا أغنياء[6] .

وكان الطست والأبريق من الهديا التى تقدم إلى السلاطين – ففى المحرم سنة عشر وسبعمائة (١٣١٠م) ، وردت رسل سيس[7] بهدية منها طشت ذهب وأبريق بلور

---

(١) السطيح : المنبسط ، السطحية : المزادة .
كرم البستانى وآخرون : المرجع السابق ، ٣٣٢ .

(٢) الخابية ج خواب خوابئ : الجرة الضخمة – بنت الخابية : الخمرة .
كرم البستانى وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

(٣) صالحية : المرجع السابق ص ٣٥ – ٣٧ .

(٤) الطست الطس بلغة طئ أبدل من أحد السينين تاء فصلت بينهما بالتاء فقلت طساس وطس وهو أعجمى معرب أصله طشت بالشين المعجمة فلما عرب قيل بالسين المهملة (الأبريق) عربى صحيح وهو أفعيل من البريق .
انظر الغزولى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٥) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ١٠٥.

(٦) كلوت بك : المرجع الابق ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٧) ذكر ياقوت : سيسية : وعامة أهلها يقولون سيس : بلد هو اليوم (أى زمن ياقوت المتوفى عام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) أعظم مدن الثغور الشامية بين انطاكية وطرسوس على يمين زربة وبها مسكن ابو ليون سلطان تلك الناحية الأرمنى .

مرصع بالجوهر وكتاب يتضمن الهناء بالعود إلى الملك إلى السلطان الناصر محمـــد بـــن قلاون(١) .

وقد وجد طست من الذهب المرصع بأنواع الجواهر والفصوص النفيسة عند الـــدده سر النديم دادة السلطان ، عندما قبض عليها فى شوال سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م فـــى عـــهد السلطان المنصور على بن الأشرف شعبان(٢) .

ويذخر متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بالعديد من الطشـــوت والأبـــاريق النحاســـية والنحاسية المكفتة منها :

طشت من نحاس عليه م الداخل والخارج سطر كتابة نسخية باسم (قشتمر) تتخللـــه جامات بها رنك النسر وبها بقايا تكفيت ، الطول ١٨٥م العرض والقطر ٠,٤٤٠م(٣) .

طشت من نحاس عليها من الداخل والخارج كتابة نسخية باسم (تمراز) نائب قلعـــة حلب داخل منطق تتخللها رنوك مركبة وذلك وسط زخارف نباتية ، الطـــول : ٠,٢١٠م ، القطر ٠,٤٨٠م (٤) .

طشت من نحاس عليه من الخارج مناطق مربعة بداخلها زخارف وكتابات نســـخية ورنوك مركبة ومن داخل كتابات نسخية داخل مناطق بأسفله كســـر ، الطـــول ٠,٢٢٠ ، القطر ٠,٤٧٥م(٥) .

= قال الواقدى : جلا أهل سيسية ولحقوا بأعمال الروم فى سنة ٩٤ أو ٩٣ انظر : ياقوت : المصـــدر السابق ، المجلد ٣ ، ص٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(١) المقريزى : السلوك ، جـــ٢ ، القسم الأول ص ٨٦ .

(٢) ابن إياس : المصدر السابق ط ١ / جـــ١ قسم ثانى ، ٢٤٩ .

(٣) رقم سجل ١٥٠٣٨ .

(٤) رقم سجل ١٥٠٣٩.

(٥) رقم سجل ١٥٠٤٠ .

طست من النحاس مضلع الشكل ومحلى بزخارف نباتية وهندسية داخل مربعات ، وعليه من الداخل والخارج كتابات نسخية ، باسم السلطان المملوكى الأشرف قايتباى المتوفى سنة ٩٠١هـ/١٤٩٥م ، القطر ٥١,٢ سم ، الارتفاع ٢٣كم[١] .

طست من النحاس المكفت بالفضة ، عليه من الداخل والخارج كتابة فوق أرضية من زخرفة نباتية ، وتقطع الكتابة دوائر بها رنك شارة الكأس والكتابة باسم الأمير بهادر السلحدار . مصر ق ٨هـ /١٤م ، القطر ٤٧ سم ، الارتفاع ١٩ سم[٢] .

وكان بمتحف الفن الإسلامى ، والآن بمتحف الجزيرة طست من الزجاج السميك يزين جداره من الخارج شريط دائرى عريض به كتابة بخط الثلث نصفها : " مما عمل برسم السلطان ، الملك العالم ، العادل الملك ، المؤيد عز نصره " وذلك بالميناء الزرقاء على أرضية من أفرع نباتية بالميناء الملونة ، ويقطع الكتابة أربع جامات مستديرة بها زخارف نباتية يتوسط كل منها رنك زهرة الزنبق بالميناء البيضاء على أرضية حمراء . ويزخرف حافة الطست من الداخل شريط دائرى ضيق به زخارف نباتية من أفرع مورقة . يتخللها أربعة رنوك مشابهة لزهرة الزنبق وأربع وريدات على التبادل . ويزين قاع الطست فى الوسط وردة منبسطة حولها شريط دائرة به أربع دوائر بكل منها نسر ناشر جناحيه ينقض على أوزة وأربع وريدات وذلك على التبادل وبالأرضية أفرع نباتية مورقة . وبالقاع جزء مكسور بشكل صدع كبر ملتف . ويوجد تآكل فى بعض الكتابات والزخارف التى بالحافة . قطر فوهته ٢٨,٥سم وارتفاعه ١٢,٥سم[٣] .

وبمتحف الفن الإسلامى أبريق من نحاس ذو مقبض ينتهى بشكل رأس حيوان وعليه من الخارج زخرفة نباتية مكفتة كلها بالفضة وقليل من الذهب ، وكذلك كتابة نسخية رفيعة مكفتة بالذهب داخل اثنتى عشرة جامة مستطيلة وفى باطن قاعة من الخارج

---

(١) رقم سجل ١٥٠٩٩

(٢) رقم سجل ٣٧٥١.

(٣) كان بمتحف الفن الإسلامى برقم ٢٤١٥٢ والآن بمتحف الجزيرة برقم ٧٥٠ .

كتابة مكفتة بالفضة تقرأ (فى رجب المرجب سنة تسع وتسعين وثمانمائـــة) ، الارتفـاع ٠,١٣٠ القطر ٠,١٤٠[١] .

أبريق من نحاس أصفر له مقبض وبزبوز وغطـاء ، القطـر ٠,٢٠٥[٢] ، طشـت نحاس أصفر له مصفاة وهو تابع الأبريق سابقه ٠,٣٤٠ طول .

وبالمتحف القبطى أبريق جميل من الزجاج المموه بالمينا الملونة يرجع إلـى ق٨ ، ٩ هـ/١٤ ، ١٥م . (لوحة ٣٩ ، ٤٠) .

وبالمتاحف العالمية نماذج للطست والأبريق أيضاً ، ففى متحـف اللوفـر ببـاريس وتحت رقم ٧٤٣٦ يوجد أبريق غير كامل من النحاس المطـروق والمحـزوز والمكفـت بالفضة ، عليه كتابة دقيقة جداً بألقاب الأمير الناصر ، ويعتقد رأيس أنه السلطان النـاصر محمد بن قلاوون ، يرجع إلى مصر فى الجزء الأول من القرن ٨هـ / ١٤م - ارتفاعـه ٠,٢٣٨ متر ، قطر البدن ٠,١٦٥ متر[٣] .

كما يوجد بدار الآثار العربية بدولة الكويت طست من نحـاس أصفـر ، زخارفـة محفورة ومكفتة بالفضة ، يرجع إلى مصر ق ٨ هـ / ١٤ م عليه كتابـات حـول البـدن نصها :

داخل الخراطيش : " الجناب العالى المولوى الأميرى الكبيرى العالمى المال / كمـا العالمى العاملى الورعى الرأى الذخرى المؤيد / ى المالكى القوامى النظـامى المخدومـى السندى السيدى المشير / ى المحترمى ... الشرفى الناصرى الملكى ناصر الدين ".

وداخل الجامات المفصصة فى شكل دائرى : " المقر العـالى المولـوى المـالكى الملكى الناصرى " ، القطر ٣٩ سم ن الارتفاع ٩ سم[٤] .

---

(١) رقم سجل ١٤٧٥٩ .

(٢) رقم سجل ٧٨١٩ .

(٣) l'Islam dans les Collections, Paris 1977, p. 140.

(٤) غادة حجاوى قدومى : التنوع فى الوحدات (معرض خاص بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الإسـلامى الخامس) جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ / يناير ١٩٨٧ م ص ٣٧ .

الصـــــدريـــة :

الصدرية أناء مستدير يمتاز بأن فتحة فوهته أضيق من قاعة ، ولذلك تكون منبعجـة من أسفل وقد يكون قاعها مسطحاً مستويا أو مقوسا ومنذ النصف الثانى من القرن ٩هـــ / ١٥ م حدث تطور فى أسطال كثير من الصدريات إذا عمد الفنان إلـــى أحـــداث زخرفـــة بواسطة التشكيل فوصل إلينا بعض الصدريات التى تمتاز بأن جسمها يتألف من مجموعـــة إضلاع متجاورة يبلغ عددها أربعة وعشرون ضلعاً ، وأغلب الأوانى التى وصلـــت إلينـــا بهذا الشكل ترجع إى عصر السلطان الأشرف أبو النصر قايتباى وابنه الملك الناصر أبـــو السعادات محمد بن قايتباى والتى يحتفظ متحف الفن الإسلامى بواحدة منها ، وفـــى هـــذه الصدرية تنتهى الإضلاع من أسفل بمجموعة من المثلثات المتجاورة .

وأهمية الصدريات بالنسبة لغيرها من الأوانى المعدنية ، أنها وصلـــت إلينـــا فـــى سلسلة متصلة طوال فترة حكم سلاطين المماليك دون انقطاع ، ولذلك فهى تعتـــبر ســـجلاً متصلاً للتطور الصناعى والزخرفى للصناعات المعدنية فقد حرص الصنـــاع فـــى إتقـــان صناعتها وزخارفها حتى أن بعض من قد زخرف سطح قاعـــة الداخلـــى ونفـــذت تلـــك الزخارف بالتكفيت بالفضة بالرغم من أن هذا الجزء لا يظهر للمشاهد إلا بعد الانتهاء مـــن تناول الطعام ، ومن ناحية أخرى فإنه بالرغم من ندرة الأوانى المعدنيـــة المكفتـــة التـــى وصلت إلينا والتى ترجع إلى القرن ٩هـــ/١٥م . فقد وصل إلينـــا صدريـــة مـــن الـــبرنز المكفت بالذهب وتحمل اسم السلطان الأشرف أبو النصر قايتباى (٨٧٣ - ٩٠١هـــ) - (١٤٦٨ - ١٤٩٦م) مما يؤكد أهمية هذا الشكل بالنسبة لغيرها من الأوانى .

أما عن أنواع الطعام الذى يوضع فى الصدريات ، فمن المرجح أن يكـــون عبـــارة عن تلك الأصناف التى تحتوى على شئ من المـــرق كـــاللحم المســـلوق أو الخضـــروات المطبوخة ، حيث أن تلك الأصناف تتناسب مع الشكل العام للإناء ذات الأجناب المرتفعـــة والمائلة إلى الداخل من أعلى[1] .

---

(١) سعيد مصيلحى : أدوات وأوانى المطبخ المعدنية فى العصر المملوكى . رسالة دكتوراه بكلية الآثـــار جامعة القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص٢٢٣ (أ) .

وربما جاءت تسميتها بالصدرية من أنها الإناء الذى يتصدر الأوانى المقدمة علـــى مائدة الطعام المملوكية .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بنماذج عديد ، منها حفرت عليها زخـــارف كتابية بأسماء السلاطين والأمراء المماليك وزوجات السلاطين مثال ذلك : صدريـــة مـــن النحاس منقوش عليها كتابة فوق أرضية من زخرفة نباتية تقطعها أربع دوائـــر مســـننة ، باثنين منها كتابة وبالآخرين زخرفة ، والكتابة نصها : " ما عمل برسم الســـت المحجبـــة ذات الستر الرفيع والحجاب المنيع خوند الكبرى جهة المقام الشريف الملكى الأشرف أبـــو النصر قايتباى سلطان الإسلام ، ترجع إلى مصر فى ق ٩ هـــ / ١٥م ومقاساتها : القطـــر ٤٤ سم ، الارتفاع ٢٠ سم (لوحة ٤٥)[١] .

صدرية من النحاس مضلعة عليها منطقتان كتابة نسخية باسم " خوند زوجة قايتبـــاى " تتخللها مناطق زخرفية ودوائر ورنكان مركبان وهى مزخرف مـــن الداخـــل والخـــارج وصور حيوانات وطيور ، الطول ٠,١٥٠ متر ، والعرض ٠,٣٢٠ متر[٢] .

صدرية من النحاس عليها من الخارج كتابة نسخية فوق أرضية من زخرفة نباتيـــة تقطعها أربع جامات ، باثنتين منها رنكان وبالجامتين والآخرين كتابة نصها : " مما عـــل برسم المقر العالى المولوى الأميرى الكبيرى السيفى تمرباى اليحياوى عـــز أنصـــاره " ، القطر ٢٧ سم ، الارتفاع ١١,٥ سم ، مصر ق٩ هـــ/١٥م[٣] .

صدرية نحاسية عليها كتابة نسخية تتخللها ثلاث جامات بها رنك الكأس وبها كســـر – الطول ٠,١٣٥م ، القطر ٠,٢٥٥م[٤] .

---

(١) رقم سجل ٤١٢٠ .

(٢) رقم سجل ١٥٠٨٦ .

(٣) رقم سجل ٤١٢٣ .

(٤) رقم سجل ١٥٠٥١ .

صدرية من النحاس محاطة من الظاهر بكتابة تتخللها زخرفة أول الكتابة (المقـــر العالى المولوى) وآخرها (الغياثى الملكـــى النـــاصرى) الطـــول ٠,٣٠٥ - العـــرض ٠,١٤٥م[١] .

صدرية من النحاس محاطة من الظاهر بكتابة نقش تتخللها زخرفـــة أول الكتابـــة " المقر العالى المولوى " وآخرها " الشمس الشجاعى النا " ويتخللها ست دوائر داخل ثـــلاث منها رنك زهرة الزئبق ، الطول ٠,٢٤م ، العرض ٠,١٢[٢] .

ويوجد ببعض المتاحف الخارجية نماذج للصدريات كمتحف اللوفر ببـــاريس فيـــه توجد صدرية من النحاس المطروق المذهب جزئياً ، ترجع إلى النصف الثانى من القـــرن ٩هـ / ١٥م ، ويلاحظ أن شكل هذه الصدرية مستوحى من ورقـــة زهـــرة اللوتـــس ذات الأربعة وعشرين فصا ، والزخرفة موضوعة فى ثلاث أشرطة من الخارج تغطى القـــاعدة كلية بزخرفة هندسية كانت سائدة فى العصر المملوكى فى مصـــر[٣] الارتفـــاع ٠,١٤٢ ، قطر الفوهة ٠,٣٤٧ م [٤] .

وبمتحف اللوفر أيضاً صدرية عليها توقيع ابن الزين .

وبأحد المجموعات الخارجية أيضاً صدرية من النحاس المكفت بالفضـــة الذهـــب ، ارتفاعها ١٠,٣ سم ، قطرها ٢٣,٥ سم - ترجع إلى مصـــر أو ســـوريا فـــى (٧٤٧ - ٧٤٨هـــ) - (١٣٤٦ - ١٣٤٧م) . عليها من الخارج شريط عريض كتابة بخـــط الثلـــث المملوكى نصها :

المقر العالى أ / لمولوى الأمير الما / لكى العالمى ا/لعاملى ا(المجا) هدى المـــر / أبطى المثاغر (ا) / ى المؤيدى المظفرى .

---

(١) رقم سجل ٣٤٠١ .

(٢) توصلت إلى هذه المعلومات من دراستى التى قمت بها لتحف المتحف الإسلامى .

(٣) رقم السجل ٢٠٢٥٤ .

(٤) L' Islam dans les Collections, Paris, 1977, p. 142.

يقطع الشريط الكتابى خمس جامات دائرية بداخل كل منها فى المركز وريـدة مـن ست بتلات يحيط بها دائرة وبين الدائرة الداخلية والدائرة الخارجية زخرفة البـط الطـائر وعدد البط ثمانية .

والكتابة فى الشريط السابق على أرضية من الزخارف النباتية المتشـابة وبأسـفل الشريط الكتابى زخرفة متشابكة متكررة تحيط به تشبه التى توجد فى زخارف المصـاحف المملوكية[1].

وبدار الآثار العربية بالكويت صدرية نحاس أصفر ، زخارفـها محفـورة ومكفتـة بالفضة . ترجع إلى مصر النصف الأول من القرن ٨ هـ / النصف الأول من القـرن ١٤ والكتابات بخط الثلث المملوكى :

على القاعدة من الداخل : " المقر العالى المولوى الأميرى العالمى العالى الغـازى المجهدى المرابطى " .

على الحافة من الداخل : " المقر العالى المولوى الأميرى الكبـيرى العـالمى ١ / العاملى الغازى المجاهد (ى) المرابطة المؤيدى الذخرى / النصيرى المدبرى المشـيرى الظهيرى النظامى الملكى الناصرى " .

خارج الصدرية : " المقر العالى المو / لوى الأميرى الكبير (ى) (أ) لعا / لمـى الغـازى / المجـاهدى المرا (ب) طى ا / المؤيدى النصيرى المدبرى / المشيرى المـا "١ ٩ كى ا " .

وأضيف إليه كتابة فى وقت لاحق بخط نسخ غير أنيق نصها : " برسم سيدى عبـد الله بن أحمد " عرضها ٤٩ سم ، الارتفاع ٢١,٥ سم ، وتنتهى سلسـلة ألقـاب صـاحب الصدرية التى عملت برسمه بلقب النسبة إلى السلطان الناصر محمد بن قـلاوون ، مـن المؤكد أن الإنتاج الفخم الذى يتضمن عددا وافرا من القطع الكبيرة الرائعـة التـى تثـير

---

(١) James W. A;llan: Islamic Metalwork The Nuhad Es-Said Collection, First Published, London,1982, P. 98,99.

الإعجاب مثل هذه الصدرية ، تلبية لطلبات سلاطين المماليك وأمرائهم وقواد جيوشهم كـــى تخصص لاستعمالاتهم الشخصية أو من أجل وقفها على بعض منشآتهم المعمارية . ففـــى عصر سلاطين المماليك ، وفى الفترة ما بين نهاية القرن الســـابع – النصـــف الأول مـــن القرن ٨هـــ / نهاية ق ١٣ – النصف الأول من القرن ١٤ م بالذات ، بلغت الفنـــون أوج عظمتها وذلك لعدة عوامل لعل أهمها تلك الرعاية البالغة التى تمتع بها الصناع مـــن قبـــل السلاطين وعدد كبير من الأمراء وذوى الجاه والسعة ، الذين كانوا يتنافسون فيمـــا بينـــهم على طلب أروع التحف وأبدعها .

وتجد الإشارة هنا إلى أنه صنعت فى كل من بلاد الشام ومصـــر أوانـــى زجاجيـــة مماثلة فى شكلها لهذه الصدرية[١] .

هذا ومن الصدريات النحاسية المكفتة التى تحمل كتابة باسم السلطان الملك النـــاصر محمد بن قلاوون وزخارف طيور وأسماك وزخارف نباتية صدرية جميلة جاء رسم لـــــها فى كتاب بريس دافين الفن العربى[٢] .

الطـــــاســـة :

كانت الطاسة[٣] من أدوات المطبخ الهامة فى جهاز العروس ، فيذكر المقريزى فـــى معرض حديثة عن سوق الكفتيين وعن الدكة لنحاس المكفت التى كانت لابد من وجودهـــا فى شوار العروس أن " فوق الدكة دست [٤] طاسات من نحاس أصفر مكفت بالفضة عـــدة

---

(١) غادة حجاوى قدومى : المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

(٢) Prisse D' Avennes : L'Art Arabe, 3 PL. 167.

(٣) الطاسة – والصواب الطاس وهو إناء يشرب فيه ج طاسات ويقولون (طاسات جـــوز الـــهند) اى قشرها الفارغ تشبيها لها بالطاس الذى يشرب فيه وفصيحها المدعة وهو النارجيل المفرغ مـــن لبـــه يغترف به .

انظر : رشيد عطية اللبنانى : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

(٤) دست : تعنى الشئ الكامل التام .

عبد النعم محمد حسنين : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ .

، الدست : طاقم وأصلها اللغوى دسته : مجموعة . د. إبراهيم شتا قاموس تحت الطبع .

الدست سبع قطع بعضها أصغر من بعض تبلغ كبراها ما يسع نحو الأردب من القمح وطول الأكفات التى نقشت بظاهرها من الفضة نحو الثلث دراع فى عرض أصبعين"[1].

ويتضح مما ذكره المقريزى أن هذه الطاسات كانت كبيرة الحجم فالطاسة الكبيرة تسع نحو الأردب من القمح فإذا علمنا أن الأردب ١٢,٥ كيلة والكيلة ١٢,٥ كيلو أى تسع ١٥٠ كيلو جرام اتضح لنا كبر حجم الطاسات المذكورة ومن هنا نرى أنها كانت تستخدم فى التخزين أو فى المناسبات والأعياد ، فى مطابخ منازل عليه القوم المملوءة بالجوارى والخدم والحشم والوصيفات عدا ما يفرق على الفقراء ، وليست تستخدم للشرب ، كما هو معروف عن استخدام الطاسة .

ولكن وجدت الطاسات للشرب أيضاً فى عصر المماليك ، فقد جاء فى بدائع الزهور وتحت أحداث جمادى الآخرة سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م أنه عندما كملت عمارة مدرسة السلطان برقوق التى أنشأها بين القصرين نزل السلطان من القلعة وجلس بالمدرسة وحضر قضاة القضاة الأربعة ومشايخ العلم وغيرهم ، ومد هناك سماطا عظيماً بأنواع الأطعمة ، ثم مد بعده سماطا ثانيا به مجامع حلوى وفاكهة وملأ فى ذلك اليوم الفسقية التى فى صحن المدرسة ، سكر بماء ليمون ، وصارت الناس تملأ منه بالطاسات[2] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بطاسة من النحاس ارتفاعها ٥,٤ سم – قطرها ١٤,٢ سم – عليها سطر كتابة نسخية تتخللها ست دوائر بكل منها رنك شارة الدواة . مصر ق ٩ هـ/١٥م[3] .

ومما كتب على طاس :

لا تحسين أن طول الدهر غيرنى بل زادنى كلفا يا أملح الناس

لم يجر ذكرك فى لهو ولا طرب إلا مزجت بدمعى عنده كاسي[4]

---

(١) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ١٠٥ . وربما أن الدست هو الشئ التام أى الطاقم أو الدسته فمن هنا يتضح لنا أن الطاقم من الأوانى المنزلية فى عصر المماليك كان سبع قطع .

(٢) ابن إياس : المصدر السابق ، ط١ ، جـ١ / القسم الثانى ص ٣٧٢ .

(٣) برقم سجل ٠٣ ١٥١ .

(٤) الوشاء : المرجع السابق ، جـ٣ ص ٣٤٤ .

طـاسـة الخضـة :

ونحن نتحـدث عن الطاس يجـدر بنـا أن نذكر طاسـة الخضة (لوحـات ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦) وهى طاس صغيرة من النحاس ، شاع استعمالها فى العصور الوسـطى حفر بها طلسمات فى أوقـات ظهور كواكب معينة ، يعتقـدون فيـها أنـها تشـفى مـن أمراض عديدة كالسموم ولسعة الحية والعقرب والمغص والقولنج وللعين والنظرة والـنزيف وسائر العلل .

وطريقة استعمالها أن يوضع بها ماء وتمر أو لبن حليب وتمر وتعرض فى الليـل للندى وفى الصباح يشرب منها المريض ويتكرر هذا العمل عدة مرات ولا تزال إلى اليـوم تستخدم فى ريفنا المصرى .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بمجموعة كبيرة من هذه الطاسـات نقشـت بأسماء الخلفاء والسلاطين فمنها واحدة برسم الإمام المستعصم بالله أبـو العبـاس بتـاريخ ٥٧١هـ/١١٧٦م[1] ، والثانية باسم السلطان الملك المجاهد المؤيد المنصور أبـو المظفـر يوسف قسيم أمير المؤمنين بتاريخ ٥٨٠هـ/١١٨٤م[2] ، والثالثة برسـم أمـير المؤمنيـن الأمام المعتمد بالله بتاريخ ٦٠٦ هـ[3] ، وطاستين برسم السلطان الملك الظاهر بيـبرس ، الأول نقشت فى مستهل رجب الفرد وكان الفرغ منها فى سلخ رمضان المعظم وذلك فـى يوم الجمعة سنت أحد وأربعين وستمائة[4] .

---

(1) Combe, Sauvaget et Wiet : Repertoire Chronolagigue d'Epigraphie Arabe, Le Caire, 1931 - 1950, Tome 9, P. 82.

(2) Ibid, Tome 9, p. 137.

(3) Ibid, Tome 10, p. 34, 35.

(4) Ibid, T.II, No. 4221, p. 147.

والثانية حفر عليها :

(أ) هذه الطاسة المباركة تقاوم السموم كلها وقد جمع فيها منافع مجربة وهى للسعة الحية والعقرب والكلب والكلب[١] والمطلقة[٢] والصداع والقولنج[٣] والمغل [٤] والوقة (هكذا) والسقا[٥] (هكذا) فيها الملسوع أو رسوله فى القولنج (هكذا) ماء أو لبن أو زيت .

(ب) رصدت ونقلت من خزانة المأمون سنة خمسين وستمائة برسم السلطان الملك الظاهر بيبرس قسيم أمير المؤمنين وهى اسم أعظم قد اتفقت عليها أئمة الدين والخلفاء الراشدين لمناقع المسلمين ويسقى فيها ما حضر من زيت أو لبن أو ماء فإنه يبرى بإذن الله[٦] .

---

(١) الكلب : داء يشبه الجنون يأخذ الكلاب فتعض الناس فيكلب الناس أيضاً إذا تمنعوا عن استعمال اللقاح . كرم البستانى وآخرون : المرجع السابق ، ص ٦٠٣ .

(٢) طليقة طلقة المرأة ، أصابها وجع الولادة ، فهى مطلوقة .

البستانى وآخون : المرجع السابق ، ص ٤٧٠ .

فربما " المطلقة " هى المرأة التى بها آلام الوضع .

(٣) القولنج : مرض معوى مؤلم يصعب معه خروج البراز والريح وسببه التهاب القولون . القولون : المعى الغليظ الضيق الذى يتصل بالمستقيم .

إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، جـ٢ ، ص ٧٧٣ .

(٤) مغل : مغل – مغلات الدابة : أكلت التراب مع البقل فاخذها وجع فى بطنها . مغل مغلات الحامل بولدها . أرضعته المغل ، والمغل ج أمغال : لبن المرأة وهى حامل وهو سم قاتل .

البستانى وآخرون ك المرجع السابق ، ص ٧٦٩ .

، مغل (مغلا) من باب تعب فهو (مغل) مغص يأخذ الدواب من أكل التراب ، المقرى : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٥٧٦ .

(٥) السقا : ربما هى السقاطة : مؤنث ، السقاط بمعنى الكثير السقوط ، الأم السقاط التى من عادتها إسقاط ولدها قبل التمام .

البستانى وآخرون : المرجع السابق ، ص ٣٣٩ .

(6) Combe, Sauvaget et Wiet : Op. Cit., FII, No. 4344, p. 229

الصحن :

الصحون من الأدوات الهامة للمطبخ ففيها توضع الأطعمة أثناء تناول الطعام علـــى المائدة .

ووجدت الصحون فى عصر المماليك من مواد مختلفة من نحاس مكفـــت وصينـــى وزجاج (لوحة ٧٢,٧١) وخزف وفخار وخشب وحجر (عقيق) .

فبالنسبة للصحون المصنوعة من النحاس المصنوعة من النحاس المكفت فكان فـــى جهاز كل عروس فى عصر المماليك فوق الدكة كما قال المقريزى دست أطبـــاق عدتـــها سبعة بعضها فى جوف بعض يفتح أكبرها نحو الذراعين وأكثر "[1] .

وبالنسبة للصحون الصينى فقد وجدت بكثرة فى عصر المماليك كما سبق أن ذكرنـــا فى موجود ابن زنبور ، وكما ذكر ابن إياس تحت حوادث ربيع الأول ســـنة ٩١٩هـــ / ١٥١٣م فى عهد الغورى أنه سرقت من بيت الشهابى أحمد بن الجيعان أشياء كثيرة منـــها صحون صينى ونحاس أصفر مكفت[2] .

أما الصحون الخزفية والفخارية فقد خلف لنا عصر المماليك أعـــداداً وفـــيرة منـــها بمتاحف مصر والخارج . (لوحات ٦٣ - ٧٠) .

واستخدمت الأطباق الخشب فى عصر المماليك ، منها أطبـــاق صغـــيرة لوضـــع الفنجان عليها ، وأطباق يقدم بها الطعام والشراب ، وتكون دائرية وذات جوانب صغـــيرة متعامدة[3] .

أما بالنسبة للأطباق الحجر ، فيوجد بمتحف الفن الإسلامى طبق كبير من العقيـــق . (لوحة ٦٩) .

---

(١) المقريزى : الخطط ، الجزء الثانى ص ١٠٥ .

(٢) بدائع الزهور : تحقيق محمد مصطفى ، جـــ٤ ، ط٢ ، ص ٣٠٩ .

(3) Abdel Raouf A. Youssef : Mamluk Wooden Vessels, Prism (Quarterly of Egyptian Culture) October/December 2, 2982, p. 14, Fig. 2, 3.

أما الأطباق النحاسية ، فيحتفظ متحف فيكتوريا والبرت بلندن بصحن حفـــر عليـه زخرفة كتابية بخط الثلث المملوكى نصها :

" مما عمل برسم الست فاطمة بنت المقر المرحوم سودون المؤيدى " ووالد فاطمـــة فى النص السابق ربما يتشابه مع سودون البندقدارى الذى كان فى الأصل مملوكـــاً لـدى الملك المؤيد شيخ ، وبالطبع أصبح فى وقت ما واحدا مـــن أمـــراء حلـب ، فـــى عـام ٨٤٢هـ/١٤٣٨ ، ٣٩[1] .

السلطانية :

السلطانية وعاء يستخدم فى تقديم الطعام ، ففيها يغرف الأكل ونظرا لاتساعها عـــن الصحن فهى تستعمل حينما يراد تقديم كميات كبيرة من أصناف معينة .

واشتهر عصر المماليك بإنتاج سلاطين من مواد مختلفة – كالصحون – من زجـاج وخزف وفخار وخشب ، ويحفل متحف الفن الإسلامى وغيره بالعديد منها .

فبالنسبة للزجاج فيوجد به سلطانية من زجاج عسلى مزخرفة من الخارج بعصابـــة من خطوط ونقط بيضاء وخطوط حلزونية وهى الآن مكسورة وملصوقة وفاقد منها نحـــو الربع ، الطول ٠,١٧٥م ، العرض ٠,٠٨ م [2] .

والخزف فيوجد به سلطانية مدهونة بالمينا الفيروزجية وعلى حافتها مـــن الخـــارج كتابة بارزة بالخط النسخ يقرا منها (العز الدائم والإقبال) ، قطرهـــا ٠,١٩م ، ارتفاعـــها ٠,١٢م [3] .

وبالنسبة للسلاطين الفخار المطلى بالمينا فيوجد إعداد كبيرة جـــدا منـــها ســـلطانية عليها من الخارج سطر كتابة نسخية بتوقيع (شرف الأبوانى) ومن الداخل ســـطر كتابـــة

---

(1) Mayer ; Saracenic Heraldry, Oxford, p.117, PL. LIX.

(٢) برقم سجل ٤٣٠٣ .

(٣) برقم سجل ٤٣٠٦ .

نسخية دعائية وعلى القاع رنك البقجة وهى مكسورة وفاقد منه أجزاء . الطـــول ٠,١٤٤م العرض ٠,٢٥٧م[١].

سلطانية طلاؤها من الداخل بالأصفر العسلى الفـاتح وبعـض الزخـارف بـاللون العسلى القاتم ، عليها فى الوسط شريط دائرى مقسم إلى مثلثاث متعاكسة وفـــى المركـز دائر صغيرة يتوسطها شريط مستطيل به هيئة شارة البوق ويعلو هـــذه الزخـارف علـى الجدار شريط مستطيل به هيئة شارة البوق ويعلو هذه الزخـارف علـى الجـدار شـريط دائرى عريض به كتابة أو شبه الكتابة بالخط النسخ المملوكى ، وفوق هذا الشريط شـريط أضيق به زخرفة نباتية بسيطة من شبه فرع نباتىمتموج . وبالمينـــا تـآكل فـى بعـض المواضع ، قطر الفوهة ٣٢ سم – الارتفاع ٢٤ سم[٢].

وهناك سلطانية عليها رنك صاحبها الأمير السيفى قرجى وكتبة دعائية لـــه بـالخط النسخى . وينتسب هذا الأمير للسلطان الناصر محمد بن قلاوون .

وبالنسبة للسلاطين الخشب فيوجد بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة نماذج منها كاملـة بغطائها من الخشب المزخرف بالألوان (لوحة ٥٩ ، ٦٠) وهذه السطلانية اكتشفت فـــى قوص بالقرب من قنا فى مصر العليا فى سنة ١٩٦٦م مع ٢٥ قطعة أخـرى كاملـة مـن النحاس والزجاج والسيلادون ، وهذه الكنوز وجدت ملفوفة فى صرة كبيرة غـــير لامعـة ومعظم تلك المواد ترجع إلى العصر المملوكى خاصة عصر السلطان الناصر محمد بـــن قلاوون[٣].

ويوجد أيضاً بمتحف الفن الإسلامى جزء من سلطانية من الخشب المدهون بالأحمر وقليل من الأسود ومنقوش بها زخرفة من دوائر بها معينات وبينها كلمات كوفية ، الطـول ٠,١٤م ، العرض ٠,٠٧م[٤].

---

(١) رقم سجل ١٥٩٨٢ .

(٢) رقم سجل ٢٣٨٣٢ .

(٣) رقم سجل ٢٣٨٣٢ .

(٤) رقم سجل ٤٨٥٣.

ويوجد أيضاً جزء من سلطنية أخرى مزخرفة بالألوان ونقش عليها قائمة كتابة نسخية نصها (العز الدائم) يفصلها دائرتان ، الطول ٠,١٠ م ، العرض ٠,٣٥م[١] .

السكينة :

السكينة ضرورية لكل مطبخ . ومن ثم وجد لها صناع بمصر ، فقد ذكر ناصر خسرو أنه كان يصنع بتنيس آلات الحديد كالمقراض والسكين[٢] . ويطلق على السكين المدية[٣] أما السكين المعوجة الرأى فيطلق عليها الدرهرهة وهى فارسي معرب[٤] .

وبمتحف الفن الإسلامى سكينة ذات حدين من حديد مقبضها من قرن غير منتظم الشكل ، الطول ٠,٢٥ م [٥] .

وبالمتحف أيضاً نصاب سكينة من الصدف منقوش بها البسملة ، الطول ٠,٠٩٥م – العرض ٠,٠٢ م وهى من إطلال الفسطاط .

وبالمتحف أيضاً سكينة من العاج ومقبضها من الخشب يبدو أنها استخدمت فى تقطيع الحلوى أو الجبن أو ما شابه ذلك وترجع إلى مصر فى عصر المماليك[٦] .

أدوات الغرف : الملعقة والمغرفة :

الملعقة :

وجدت الملاعق من الخشب والباغ وملاعق الخشب المعتاد استعملت فى الأسر الفقيرة ، وملاعق خشب الابنوس المزخرف بالكهرمان أو المرجان بل والأحجار الكريمة فى الأسر الغنية[٧] .

---

(١) رقم سجل ٤٨٥٥ .

(٢) ناصر خسرو : المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٢ ص ١٢٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

(٥) رقم سجل ١٠٨٧٨ .

(٦) رقم سجل ٤١٨٠ ، انظر لوحة ٧٧ .

(٧) كلوت بك : لمحة عامة ، الجزء الثانى ، ص٢٢ ، ٢٣ .

ويحتفظ كل من متحف الإسلامى ، ومتحف كلية الآثار جامعة القاهرة ببعض مـــن الملاعق الخشبية ، كما يحتفظ متحف اندرسون بملاعق من البـــاغ وينبغـــى أن نذكـــر أن العرب كانوا يأكلون بأيديهم لعدم وجود الملاعق والشوك فى ذلك الوقت[١] .

ولكن عندما خالط العرب الأمم الأخـــرى تغـــيرت أطعمتـــهم وتعـــددت ألوانـــها ، واستحدثوا فيها طرقا غير طرقهم الأولى .

ففى عهد الأمويين استعمل العرب الفوط والملاعق وكانت الملاعـــق تصنـــع مـــن الخشب ، كما كانت تجلب ملاعق الخزف من بلاد الصين[٢] .

- المغرفة :

المغرفة أكبر من الملعقة ، ومن ثم استخدمت فى غرف كميات أكبر من الطعام .

ويحتفظ متحف الإسلامى بالقاهرة بنماذج لها منها مغرفة من نحاس عليـــها كتابـــة كوفية ، طولها ٠,١٨٠م - عرضها ٠,٥٠م [٣] .

وبالمتحف أيضاً مغرفة لها حلقة[٤] .

- المصفاة :

تعد المصفاة من أدوات المطبخ الهامة ، والتى لا غنى عنها لك منزل وقد وجـــدت المصفاة ضمن أدوات المطبخ المملوكية ، ويحتفظ تحف الفن الإسلامى بالقاهرة بمصفـــاة تأخذ شكل المغرفة ، الجزء المخرم بها يأخذ شكل نصف دائرة ، والخروم موزعة علـــى هيئة وريدة ذات ست بتلات ولها يد طويلة عليها زخارف كتابية بخط الثلـــث المملوكـــى وموزع عليها دوائر حفر عليها زخرفة بهيئة شكل حرف z متكرر .

---

(١) حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ص ٥٨٥ .

(٢) المرجع نفسه ص ٥٨٦ .

سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ، ترجمة رياض رأفت ، القاهرة ١٩٣٨م ، ص١٧٧ .

(٣) رقم سجل ١٥٢٩٥ .

(٤) رقم سجل ٢٤٤٢ ، لوحة (٧٨) .

وتنتهى اليد بشك قلبى به زخرفة عبارة عن شكل حرف Y متداخل . (لوحة ٧٩ ، ٨٠) .

القدح ، الكأس :

القدح إناء يشرب فيه يروى الرجلين أو اسم للكبير والصغير منه ولا يقال قدح إلا إذا كان فارغاً . فإذا كان فيه شراب قيل له كأس[١] ، ويسمى القدح بالزوراء[٢] . أما القدح المصنوع من الخشب فيطلق عليه جمجمة[٣] ويسمى القدح الذى لا عروة له كوب[٤] .

ووجدت الأقداح فى العصر المملوكى وكانت من البللور ، وجاء ذكر قدح البللور[٥] فى واقعة أوردها ابن إياس عن الصاحب علم الدين بن زنبور [٦] - عام

---

(١) ج أقداح : وقدحة من المرق غرفة منه . القداح متخذ الأقداح وصناعته القداحة والقداحة حجر القدح.
انظر : بطرس البستانى : قطر المحيط جـ٢ ، ص ١٦٦٨ .

(٢) البلوى : المصدر السابق ، جـ٢ ، القسم الأول ، ص١٢٧ .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٣٠٨ .

(٤) ابن زكريا (أبو الحسن أحمد بن فارس) : معجم مقاييس اللغة ، الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ جـ٥ ، ص ١٤٥ .

(٥) وجدت أقداح البللور فى العصر الفاطمى وقد بيع إحداها بمائتين وعشرين ديناراً . د. زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٤٤ كما عرفت أقداح الزجاج فى مصر منذ القدم وكان من بين هدايا المقوقس إلى رسول الله ﷺ قدحاً من الزجاج .
العينى : السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٢٢٢. ومن أشهر الكءوس الزجاجية الزجاجية فى التاريخ كأس أم حليم – هى بنت يحيى بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس وأمها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام . كانت هى وأمها من أجمل نساء قريش ، وكانت قريش تقول لأم حكيم : الواصلة ، لأنهم وصلت الجمال بالكمال – هى كأس من الزجاج الأخضر ، مقبضها من ذهب .
انظر : ابن منظور : مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى ، جـ١ ، ص ٣٨٧ ، ٣٩٠ .

(٦) قبض عليه السلطان فى عام ٧٥٣هـ وصودر بعد الضرب والعذاب فكان المأخوذ منه من النقد ما ينيف على ألفى ألف دينار ومن أوانى الذهب والفضة نحو ستين قنطاراً ومن اللؤلؤ نحو أردبين ومن =

٧٥٣هـ/١٣٥٢م فى سلطنة الصالح صلاح الدين بن الناصر محمد ابن قـــلاوون – أنـــه جلس يوماً فى شباك مطل على النيل فى بيته بالروضة وكان النيل فـــى قـــوة الزيـــادة ، فوضع على الشباك قدحاً من البلور المثمن المزيك بالذهب فلما وضعه على الشباك تغـــافل عنه ساعة فسقط فى البحر ، فطلب جماعة من الغطاسين ، فلما حضروا ، قالوا له : " فـــى أى مكان سقط هذا القدح ؟ فنزع ابن زنبور من أصبعه خاتماً من الياقوت الأحمر ، وألقـــاه فى البحر ، وقال سقط ها هنا ، فغطس الغطاس فى البحر ســـاعة ، ثـــم طلـــع بـــالقدح ، والخاتم الياقوت فى وسطه[1] .

وتحتفظ المتاحف بنماذج لهذه الأقداح ففى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة قدح مـــن الزجاج العسل قاعدته مفقودة ، طوله ٠,٠٥ م ، عرضه ٠,٠٧م[2] .

وبالمتحف الإسلامى بكلية الآثار جامعة القاهر كأس من النحاس متســـع الفوهـــة ذا قاعدة صغيرة قوام زخرفته زخارف نباتية وهندسية ورسوم طيور ، يرجع إلى مصر فـــى ق ٨ هـــ / ١٤ م ، الارتفاع ٧,٥ سم قطر الفوهة ١١ سم [3] .

وبدار الآثار العربية بالكويت كأس صغير من البرونز زخارفه محـــزوزه ومكفتـــه بالفضة يرجع إلى مصر القرن ٧ – ٨ هـــ / ١٣ – ١٤م ، على هـــذا الكـــأس زخـــارف كتابية من ظاهره نصها :

= الحياصات الذهب ستة آلاف ومن القماش المفصل نحو ألفين وستمائة قطعة وخمسة وعشرين معصرة سكر ومائتى بستان وألف ورأربعمائه ساقية ومن الخيل والبغال ألف ومن الجوارى ســـبعمائة ومـــن العبيد مائة ومن الطواشية سبعون إلى غير ذلك .
ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، تحقيق لجنة أحياء التراث العربى فـــى دار الأفاق ، دار الأفاق الجديدة ببيروت ، ١٩٨٥ ، جـــ٦ ، ص ١٧٣ .

(١) بدائع الزهور : الجزاء الأول / القسم الأول ، ص ٥٤٨ .

(٢) برقم سجل ٤٣٠٤ .

(٣) برقم سجل ١٥١٣ .

" العز والبقا والظفر الأرعدا (كذا) (أى الأعداء) ودوام النعما والرفعة والارتقـــا والدولة ... " .

القطر ١٠,٥ سم الارتفاع ٦ سم . وشكل هذا الكأس يشبه بعض الكوءوس الـــواردة ضمن شعارات أمراء المماليك التى تشير إلى وظيفة الساقى فى البلاط المملوكى . ومـــن المعروف أن هذه الشعارات الدالة على الوظائف قد اندمجت ضمـــن الرصيـــد الزخرفـــى المملوكى لأول مرة خلال حكم السطلان الناصر محمد بن قلاوون[١] .

وبمتحف اللوفر بباريس كوب من السيلادون يرجع إلى مصر فى القـرن ١٣ / ١٤م وزخرفته قالبية تحت الطلاء[٢] .

القـلـــــة :

القلة من الأوانى الشائعة ذات الصفة الشعبية التى تستخدم لشرب المياه ، وهى مـــن الفخار ، بعضها مزين بزخارف متنوعة بأساليب مختلفة من حفر غائر أو بارز أو طبـــع بالقالب ، وزخارف مضافة باستعمال القرطاس (الباربوتين) .

وبعض هذه القلل مطلى من الخارج بطلاء زجاجى أزرق أو أخضـــر ، ويســتعمل هذا النوع فى الشتاء لحفظ حرارة الماء . أما أغلب هذه القلل فيترك سطحها ســـاذجاً دون زخارف ، ويكتفى بزخرفة شبابيكها .

وشباك القلة هو الجزء الموجود داخل القلة بين رقبتها وبدنها ، المقصود منه تنظيـــم تدفق المياه عند الشرب .

وزخرفة شباك القلة يعتمد على التخريم وما يحدثه ذلك من وقـــوع الضـــوء علـــى الأجزاء البارزة والظل على الخروم .

---

(١) غادة حجاوى قدومى : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(2) L'Islam dans les Collections Nationales, Paris 1977, p. 152.

وقد استعمل الصانع زخارف هندسية ونباتية وحيوانيـــة وكتابيـــة ، وهـــى شـــبيهة بالدنتلا[١] .

وتنسب شبابيك القلل إلى مصر فى العصـــر الفـــاطمى والأيوبى والمملوكـــــى[٢] . ولا شك فى أن شبابيك القلل التى عثر عليهـــا فى أطلال الفســـطاط ، قـــد صنعـــت فـــى الفسطاط نفسها ، لأن بعض القطـــع التى عثـــر عليهـــا كانت ممـــا تلف أثناء صناعتـــها أو تسويتها ، ولم يكن ثمة داع لجلبها من مكان بعيد وهى فى هذه الحال من التلف[٣] .

وتصنع القلل من صلصال واسع المسام يجفف بالشمس وهى تستعمل لحفظ بـــرودة الماء بالتبخر وقت القيظ الشديد ويعطر داخلها عادة ببخور الأخشاب الصمغيـــة العطريـــة الرائحة وبالمصطكى .

وتغطى القلل بأغطية من الفضة أو النحـــاس أو القصديـــر أو الخشـــب أو ورق النخل ، وتوضع القلل فى صينية من المعدن تتلقى الماء الذى يرتشح منها ، وفى الشـــرق لا يستعملون الكوب لشرب الماء بل يشربون من فم تلك الآنية ممسكين برقابها ، علـــى أن الميسورين من النـــاس يشربـــون فى أكواب (طاســـات) الذهـــب أو الفضة المذهبـــة أو النحاس[٤] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ببعض القلل الفخارية منها قلة صغيرة مـــن فخار رقيق فاقد من فوهتها جزء وبها شطوف وثقوب . ظاهرها خال مـــن الزخـــارف ، ويزخرف شباكها بالتفريغ شكل حيوان هيئته وعل أو غزال يعدو .

قطر الفوهة ٩ سم – الارتفاع ١١ س – من حفائر الفسطاط[٥] .

---

(١) عبد الرءوف على يوسف : تحف من الفن الشعبى فى مصر الإسلامى ، مجلة منبر الإسلام ، العـــدد ٥ – السنة ٢٠ جمادى الأولى ١٣٨٢هـــ / أكتوبر ١٩٦٢م . ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) أبو صالح الألفى : الفن الإسلامى ، أصوله ، فلسفته ، مدارسه ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ١٩٧٤ ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(٣) زكى محمد حن : كنوز الفاطميين ، ص ١٧٣ .

(٤) كلوت بك : المرجع السابق ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٥) رقم سجل ٢٤٢٣٠ .

الكوب لشرب الماء بل يشربون من فم تلك الآنيـــة ممسـكين برقابـها ، علـى أن الميسورين من الناس يشربن فى أطـواب (طاسـات) الذهـب أو الفضـة المذهبـة أو النحاس[1] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ببعض القلل الفخارية منها قلة صغيرة مـن فخار رقيق فاقد من فوهتها جزء وبها شطوف وثقوب . ظاهرها خال مـن الزخـارف ، ويزخرف شباكها بالتفريغ شكل حيوان هيئته وعل أو غزال يعدو .

قطر الفوهة ٩ سم – الارتفاع ١١ س – من حفائر الفسطاط[2] .

قلة من الفخار الأحمر بدنـها مسـتدير ورقبتـها أسـطوانية وهـى خاليـة مـن الزخارف ما عدا بعـض دوائـر متوازيـة محـزوزة تتوسـط وأخـرى علـى أعلـى الرقبة وبها شـطوف .

قطر الفوهة ٤,٨ سم ، الارتفاع ٢٢,٢ سم وهى من حفائر الفسطاط أيضا[3] .

وإلى جانب القلة استعمل الدورق – وهو من الفخار أيضا – فى شرب الماء وهـو يختلف عن القلة فى آن حلقه ضيق[4] . وهما يوضعان دائما فى تيـار الـهواء أو خلـف المشربية .

ووجد الدورق من الزجاج المموه بالمينا فى عصر المماليك ، مثال ذلـك دورق ذو رقبة رشيقة هيفاء – بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة[5] – مزخرف بثـلاث وردات كبـيرة مموهة بالمينا المختلفة الألوان ، على أرضية من فروع نباتية مملؤة بصور الحيوانـات ، كما يوجد دورق كبير زخارفـه فيهـا عنـاصر صينية ، فعلـى الرقبـة رسـم الطـائر

---

(١) كلوت بك : المرجع السابق ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) رقم سجل ٢٤٢٣٠ .

(٣) رقم سجل ٢٤٣٠٠ .

(٤) لين : المرجع السابق ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٥) رقم سجل ٤٢٦٢ .

الخرافى " فينيكس " ، وعلى بدن الدورق ثلاث مناطق بأحداها صورة سيدة تلعب على آلـه موسيقية وترية . وبالثانية سيدة تضرب على الدف ، وبالثالثة شخص يرقص وهو ممســك بكأس . وبين هذه المناطق صور ديوك تتعارك وأوز . وما يظهر على هذه التحفـــة مــن روح صينية يدل على أنها صنعت لترسل إلى بلاد الصين[1] .

الجـــرة :

استعملت الجرة فــى وضــع المــاء[2] ، وهــى تصنــع مــن الفخــار والخــزف ويطلق عليها فى ريف مصر البلاص – وهى نسبة إلـــى بــد فــى الصعيــد يقــال لــها البلاص . وهو يلعب دورا كبيرا فى الإرياف ، خصوصـــا لأنـــهم يمــلأون بــه المــاء من الترع والأنهار كل يـــوم[3] .

ويطلق على الصغير من الجرار الزلعة ، وقد استخدمت الجرار والزلع فى عصـــر المماليك ، فقد أورد ابن إياس – فى حوادث صفر ٧٩٨هـ/١٣٩٦م عهد السلطان برقــوق – أنه ظهر " للأمير جمال الدين فى مكان خلف مدرسته التى في القربييـــن ســبعة أزيــار كبار ، وزلعتين ، ضمنهم فضة ، ودراهم نقرة ، ووجد فى ذلك المكان جرتيـــن كبـــار ، ضمنهم ذهب عين "[4] .

واستخدمت الجرار فى تخزين الخمر ، فعندما قبض السلطان النـــاصر فــرج ابــن الظاهر برقوق ى ربيع الاخر سنة ٨١٤هـ/١٤١١م علـــى أبــى الفــرج ، الاســتادار " واحتاط على موجوده ، فظهر عنده حاصل فيه جرار خمر ، نحوا من ثلاثة آلاف جـــرة ،

---

(١) محمد مصطفى : خزف الأناضول والزجاج المموه بالمينا . لا يوجد به تاريخ طبع .

(٢) روى أن أبا هريرة كان يشرب من ماء الشقيط والشقيط الفخار وقال الأزهرى هى جرار من خــزف يجعل فيها الماء

انظر : ابن الأثير : المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

(٣) أحمد أمين : المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(٤) ابن إياس : المصدر السابق ، جـــ١ ، القسم الثانى ، ص ٤٧٩ .

فابتاعت على الناس كل جرة بمائة درهم ، وتزاحمت الناس على شراها ، حتى بلـغ كـل جرة ثمنها دينار "[1] .

الزير والكلجه :

وجد الزير البلور ضمن جهـاز بنـات السـلاطين ، فقد ذك المقريزى " أخـبرنى من شاهد جهاز بعض بنات السلطان حسن بن محمد بن قلاوون وقد حمـل فـى القـاهرة عندما زفت على بعض الأمراء فى دولـة الملك الأشـرف شـعبان بن حسين بن محمـد ابن قلاوون فكان شيأً عظيماً من جملته دكة من بلور تشتمل على عجائب منها زيـر مـن بلور قد نقش بظاهره صور ثابتة على شبه الوحوش والطيور ، وقدر هذا الزير مـا يسـع قربة ماء "[2] .

وللأسف لم يبق لنا الزمن على مثال من هذه الأزيار البللورية .

هذا وقد استخدم الزير المصنوع من الرخام فى عصر المماليك فى تخزين المياه .

وبمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة مجموعة من الأزيار والكلج المنقولة من القصـور والمساجد وغيرها من عمائر القاهرة .

ويأخذ الزير شكل بيضاوى منحوت من قطعة واحدة ويزين بعضها قنوات طوليـة أو زخارف نباتية بارزة أو كتابات كوفية ونسخية . ومن أمثلها الجميلة زير أصلـه مـن مدرسة الأميرة تتر الحجازية[3] بالقاهرة ، وهى ابنة السلطان الناصر محمد بن قـلاوون . ويزخرف بدنه رسوم نباتية محفورة حفراً بارزاً على هيئة أفرع وأوراق كبيرة مفصصـة توءلف شبكة تغطى البدن ، وعلى رقبته شريط به عبارة مكررة بالخط الكوفى تقرا " عـز دائم " ويزين القاعدة صف من أشكال أسماك متتابعة .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٨١٣ .

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ١٠٥ .

(٣) ترجع هذه المدرسة إلى ٧٦١هـ/١٣٦٠م .

ويضم المتحف أيضا زيرين صغيريين نسبيا منحوتين نحتا لطيفا وبدنهما خال من الزخارف ويشاهد أعلى البدن فى ثلاث مناطق عبارة منقوشة نصها : " وقف هذا الزير على هذا السبيل المبارك مولانا السلطان الملك لأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره بمحمد وآله " . (لوحات ٩١ - ٩٤) .

ولكل منه ثلاث مقابض تزخرفها جديلة مفرغة .

ولهذه الأزيار قواعد أو " كلج " من الرخام أيضا ، وبعض هذه القواعد أو حاملات الأزيار يرجح أنها كانت فى الأصل تحمل أزيارا من الفخار ينضح الماء من مسامها فى تجويف الكلجة ، أو حامل الزير ثم ينساب خلال سلسبيل صغير مزخرف بالحفر إلى حوضها حيث يتجمع ويمكن الشرب منه بالكيزان . ولبعض هذه الكلج رأس صغير بارز فى مقدمها وأربع أرجل مزخرفة بالحفر تشبه أرجل السلحفاة فتعطى إحساسا بأن النحات قد استلهم شكل السلحفاة فى المظهر العام للكلجة . ويزخرف بدن الكلجة المربع أو المضلع أشكال عقود (أو مقرنصات وزخارف هندسية أو أشرطة من الكتابات الكوفية تحوى عبارات دعائية مثل " بركة كاملة ونعمة شاملة " .

وقد زين بعض هذه الكلجات برسوم أشخاص مجسمة منها رجال واقفون يمسكون صولجانات أو سيوفا مستقيمة أو نساء عاريات يحاولن ستر أجزاء من أجسادهن بأيديهن أو تماثيل نسور ناشرة أجنحتها أو طيور وأسود مجنحة محفورة حفرا بارزا .

ومن المرجح نسبة كثير من هذه الكلجات إلى القاهرة الفاطمية بناء على أشكال هذه الرسوم الزخارف والكتابات ، ومن الكلجات الى يرجح نسبتها إلى ذلك العصر الكلجة رقم ٤٣٢٨[1] .

---

(١) عبد الرءوف على يوسف : النحت (مقالة بكتاب القاهرة- تاريخها وفنونها وآثارها - الأهرام - ١٩٧٧م - ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

والإزيار من الأوانى الكبيرة التى إذا ماتوافرت لدى الناس استخدموها فى تخزين أى شئ لديهم فاستخدمت فى تخزين الفضة كما ظهر فى موجود الأمير جمال الدين عام ٧٩٨هـ[١] ، واستخدمت فى تخزين الكعك كما جاء فى المقريزى[٢] .

ومما يذكر أن أهل مصر تقول للزير الحب وإليه أشار فخر الدين بن مكانس فى السبيل الذى أنشأه الوزير الملكى الشهير بالنشو بجامع عمرو بن العاص[٣] .

والزير والزويرة جمعها أزيار أو زيار كما جاء فى دوزى[٤] .

ومن الجدير بالذكر أنه كان يوجد بالبيوت المملوكية بيت للأزيار فنقرأ فى وثيقة الغورى وهى تصف الدار التى بالقرب من حمام الخراطين أنه على يمنه الداخل إلى الدهليز الذى يلى الدركاة " بيت أزيار "[٥] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بنماذج للأزيار والكلج الرخامية منها زير من رخام أزرق قطر الفوهة ٠,١٨م – ارتفاعه ٠,٦٦م[٦] .

---

(١) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ١ القسم الثانى ص ٤٧٩ .

(٢) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٧ .

(٣) الغزولى : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٧٣ ، ٧٤ .

وجاء فى (حديث الشافعى رضى الله عنه) كنت أكتب العلم والقيه فى زير لنا الحب الذى يعمل فيه الماء .

انظر ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٢ ، ١٤٧ .

(4) Dozy : Supp. Tome I, P. 618 .

(٥) د. عبد اللطيف إبراهيم : سلسلة الدراسات الوثائقية ، الوثائق فى خدمة الآثار " العصر المملوكى " ، دراسات فى الآثار الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص ٤٠٣ .

(٦) رقم سجل ١٢٢ .

زير من الرخام الأبيض - بسطح فوهته ثقوب وهى ذات جسم مستدير مفرطح ارتفاعه ٠,٦٠م - قطر الفوهة ٠,٢٥م وهو من مسجد تغرى بردى بالصليبة[١] .

ومن الكلج كلجة _ حمالة الزير) من رخام ذات أربعة أرجل بها كتابة كوفية وبأجنابها هيئة حيوانات وذلك بالنقش البارز[٢] - الطول ٠,٧٠م - العرض ٠,٤٣ متر .

ويوجد به أيضاً حمالة من فخار مطلى[٣] بوسطها كتابة بخط النسخ المملوكى ، وهى مكسورة وملصوقة وينقصها بعض أجزاء . الارتفاع ٠,٢٤٠م - القطر ٠,١٩٠م .

ويحتفظ المتحف القبطى بالقاهرة بمجموعة كبيرة من الكلج الرخامية المزخرفة برسوم صلبان وقديسين وغيرها من الزخارف التى شاع وجودها فى الفن القبطى .

كما يحتفظ كل من بيت الكريتلية وبيت السحيمى بالعديد من الأزيار والكلج الرخامية التى ترجع إلى العصر العثمانى .

وتحتفظ المتاحف العالمية بنماذج للكلج أو الأزيار الرخامية التى ترجع إلى مصر مثال ذلك متحف المتروبوليتان بنيويورك ومتحف الفنون الجميلة ببوسطن ومتحف بناكى بأثينا والمتحف القومى بدمشق[٤] .

---

(١) رقم سجل ١٠٧ .

(٢) رقم سجل ٩٧ .

(٣) رقم سجل ١٤٧٥٤ .

(4) Elfriede R. Knauer : Marble Jar-Stands Egypt, the Metropolitan Musum of Art, 1980, Metropolitan Museum Journal 14, p. 67-97.

القربة :

تستخدم القربـــة فى حمل ماء الشرب . وهى من الجلد ويطلق عليها الزفـــر[١] ، أو الشن[٢] . وكان بالقاهرة فى العصور الوسطى أسواقاً معروفة لصنـــاع القـــرب والشـــنط وكانت هذه المنتجات يقبل على شرائها الكثيرون[٣] .

واستخدمت القربة فى عصر المماليك . وكانت الأزيار البللورية التى تجـــهز بـــها بعض بنات السلاطين يسع الواحد منها قربة ماء[٤] .

الدلو :

إناء من النحاس له مقبض . ويطلق عليه الذنوب .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بنماذج له منها : دلـــو صغـــير - ١٥٢٩٤ - مـــن نحاس عليه سطر كتابة كوفية أسفلها فرع نباتى وله مقبـــض مثبـــت بـــأعلاه - الطـــول ٠,٠٧٠ م - القطر ٠,٠٧٥م .

دلو آخر صغير من النحاس مقبضه فاقد عليه شريط من فرع نباتى وبـــه كســـر - الطول ولقطر كسابقه .

القدر :

هو إناء يستخدم فى طبخ الطعام . وقد وجدت القدور النحاسية بكثرة فـــى العصـــر الفاطمى وقد نقل لنا ذلك الرحالة ناصر خسرو الذى قال : " رأيت قـــدورا مـــن النحـــاس الدمشقى ، كل واحد منها يسع ثلاثين منا ، وكانت من الطلاوة بحيث تظنها مـــن ذهـــب . وقد حكوا لى أن امرأة تملك خمسة آلاف قدر ، وأنها تؤجر الواحد منها بدرهم فى الشـــهر ، وينبغى أن يردها المستأجر سليمة[٥] .

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـــ٢ ، ص ١٣٦ .

(٢) الأصفهانى : المرجع السابق ، جـــ٢ ، ص ٣٢٠ ، ٣٢١ حاشية (٢) .

(3) Gaitein, Op. Cit., p. 257.

(٤) المقريزى : الخطط ، جـــ٢ ، ص ١٠٥ .

(٥) سفر نامة ، ص ٦١ .

كما وجدت قدور فخارية وخزفية ترجع إلى مصر فى عصورها الإسلامية المختلفة ربما استخدمت فى تخزين السمن والأطعمة[1] . بالإضافة إلى قدور كبيرة استخدمت فى المنازل لتخزين الغلال . (لوحة ٩٧) .

المترد :

هو إناء من فخار أحمر أصغر من الشالية ، وهو من أشهر أوانى الفلاحين خصوصاً فى أعراسهم واصلة مركب من فعلين « مات ورد » لأنه لما عمل فى ابتدائه وكسر عملوا بدله فقالوا رد بعدما مات ثم حذفوا الألف وجعلوها علما وقالوا مترد . وقيل سمى بهذا الاسم لتردد الخبز فيه ووضع الطعام عليه فيكون من باب تسمية الظرف بمعنى المظروف أو أنه عمل بمدينة تسمى ما تريد التى ينسب إليها الشيخ الماتريدى[2] .

ويساوى المترد فى الشهرة الطاجن فهم يضعونه فى الفرن فينضجون فيه اللحم أو السمك أو الطير أو نحو ذلك . وهو يختلف عن الطاجن بضيق رقبته[3] .

الدست :

إناء يستخدم فى طهى الطعام ، وهو من المعدن ، وبدنه كروى وقمته مخروطية .

وجاء ذكر الدست فى وصف عبد اللطيف البغدادى كيفية عمل المصريين لهريسة الفستق[4] .

---

(١) يحتفظ متحف الفن الإسلامى بنماذج عديدة للقدور الفخارية المطلية والخزفية المرسومة تحت الطلاء أو ذات البريق المعدنى .

(٢) الشربينى (يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر) : هز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف ، المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٠٨ هجرية ، الطبعة الثانية ، الجزء الأول ، ص ١٥٥ .

(٣) أحمد أمين : المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .

(٤) عبد اللطيف البغدادى : عبد اللطيف البغدادى فى مصر ، طبع القاهرة ، ص ٥٥ .

كما ورد ذكر الدست أيضاً فى بدائع الزهور فى واقعة أوردها ابن إيـــاس بتـــاريخ ربيع الآخر سنة ٨٢٧هـــ/١٤٢٤م فى عهد السلطان برسباى[١] .

نضف إلى ذلك أنه جاء ذكر الدست فى وثائق الحرم القدسى المملوكية[٢] .

المكيال :

المكيال من الأدوات الهامة لكل منزل فبواسطته تستطيع ربة البيت تحديد مقدار مـــا تريد أن تطحنه من حبوب أو تنوى أن تخبزه من دقيق أو ما تريد طبخه من حبوب أو مـــا شابه ذلك . والمكاييل كثيرة منها ما يسع كيلة أو نصف كيلة أو ربعـــها أو غـــير ذلـــك . ويطلق على المكيال الواسع السندرة . وربما جاءت هذه التسمية من السندرة وهى شـــجرة يعمل منها النبل والقسى[٣] .

ومن المكاييل الصاع ومما يذكر أن صاع النبى ﷺ الذى بالمدينة أربعة إمداد وذلك خمسة أرطال وثلث بالبغدادى ، وقال أبو حنيفة (الصاع) ثمانية أرطـــال ، لأنـــه الـــذى تعامل به هل العراق ورد بأن الزيادة عرف طارى على عرف الشرع لما حكـــى أن أبـــا يوســـف لما حـــج مع الرشيد فاجتمع بمالك فى المدينة وتكلما عن الصاع فقال أبو يوســـف (الصاع) ثمانية أرطال فقال مالك (صاع) رسول الله ﷺ خمسة أرطال وثلـــث ، ثـــم احضر مالك جماعة معهم عدة أصواع فاخبروا عن آبائهم أنهم كانوا يخرجون بها الفطـــرة ويدفعونها إلى رسول الله ﷺ فعايروها جميعاً فكانت خمسة أرطال وثلثا فرجع أبو يوســـف عن قوله[٤] .

---

(١) الجزء الثانى ، ص ٩١ ، ٩٢ .

(٢) انظر ص ٧٨ من هذا البحث .

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٢٠١ .

(٤) المقرى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٣٥١ .

وعن الكيل فى مصر ، فيذكر السيوطى فى حسن المحاضرة أن الأردب وهو ست ويبات الويبة أربعة أرباع الربع أربعة أقداح القدح مائتان واثنان وثلاثون درهما هذا أردب مصر وفى أريافها يختلف الأردب من هذا المقدار إلى أنهى ما ينتهى ثلاث ويبات والرطل اثنا عشر أوقية الأوقية اثنا عشر درهما(١) .

ويحتفظ متحف جايراندرسون بنماذج للمكاييل(٢) .

ويؤكد لنا استخدام المكاييل فى عصر المماليك ذكر المقريزى بشأن دست الطاسات النحاسية المكفتة التى كانت ضمن جهاز العروس أن كبراها تسع نحو الأردب من القمح(٣) .

السكرجة :

بضم السين والكاف والراء والتشديد ، إناء صغير يؤكل فيه لشئ القليل من الأدم وهى فارسية ، وأكثر ما يوضع فيها الكوامخ ونحوها(٤) . من الجوارش على المائدة حول الأطعمة للتشهى والهضم وجمعها سكارج(٥) .

---

(١) السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، طبع بمطبعة إدارة الوطن بمصر ، سنة ١٢٩٩ هـ ، جـ٢ ، ص ٢٢٦ .

وعن مكاييل اللغة انظر أيضاً : يوسف الخوارزمى (أبو عبد الله محمد بن أحمد) كتاب مفاتيح العلوم ، بريل ١٩٦٨م – ص ١٤ – ١٥ .

(٢) لوحة (٩٩) .

(٣) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ١٠٥ .

(٤) ابن منظور : المرجع السابق جـ٦ ص ٤١ ، ٤٢ ، جـ٣ ص١٢٣ .

ويذكر الجواليقى أن السكرجة كلمة أعجمية معربة . وهى بضم السين والكاف وفتح الراء وتشديدها . وكان بعض أهل اللغة يقول: الصواب " أسكرجة " وقد جاءت فى الحديث بغير همزة ، فعن انس بن مالك قال : ما أكل نبى الله ﷺ على خوان ولا فى سكرجة ، ولا خبز له مرقق " .

الجواليقى : المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، تحقيق أحمد محمد – ص ١٩٧ .

(٥) إبراهيم مصطفى وآخرون : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٤٤١ .

وعرفت السكرجة منذ بداية الإسلام ففى الحديث لا آكل فى سكرجة[1] .

كما كانت من أدوات الطبخ المعروفة فى عصر المماليك فقد ورد ذكرها فى وثـائق القدس المملوكية ، وهى تكون من الفخار[2] .

المنخل والغربال :

المنخل والغربال من أدوات المطبخ التى لا غنى عنها لربة البيـت ، وهمـا مـن الأدوات التى تحرص كل فتاة على أن تكون فى جهازها إلى منزل الزوجية والمنخل عـادة أدق مسام من الغربال . فالغربال لتنقية القمح ، أما المنخل فلتنقية الدقيق . والمنخل طـارة (إطار من الخشب يأخذ شكل دائرة) يركب عليها أما سلك فيسمى منخل حرير - ويثبـت السلك أو الشاشة فى الطارة الخشب بمسامير دقيقة (لوحة ١٠٠) .

أما الغربال فيعمل من طارة أكبر ، ويركب عليه خيوط تعمل من الفـراء فى الأغلب ومن كثرة استعمالها كان هناك حى يسمى المغربليـن وحـى آخـر يسـمى المناخلية[3] .

وكان يعرف على الغرابليين محتسب ثقة يصير بغشهم ، يـأمرهم بغسـل جميـع الشعر قبل استعماله ، وأن يحترزوا من شعر الميتة ، وعلامته أنه خشـن ويتقصـف بسرعة ، ولا يستعملوا الشعر فى الغرابيل وغيرها إلا من غير صباغ فأن فيهم من يـأخذ القلقند[4] وغيره ، ويغليه على النار ، ثم يترك الشعر فيه فتضعـف قوتـه فيتـهرأ عنـد

---

(١) ابن منظور : المرجع السابق ، جـ٦ ، ص ٤١ .

(٢) صالحية : المرجع السابق ، ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) أحمد أمين : المرجع السابق ، ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٤) والقلقند الزاج الأخضر ، والزاج مادة معدنية يمكن تحليلها بالماء والطبخ وتوجد فى العادة مخالطـة لأحجار لا تقبل التحليل . وكان القلقند يستعمل فى معالجة أمراض الأذن .
انظر : ابن الأخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة ، تحقيق محمد محمود شعبان ص ٣٣٤ . وصديق أحمد عيسى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م ، ٣٣٤ حاشية (٢) ،

استعماله ، ولا يمسك شيئاً ثم يبيعه من غير أن يعلم البائع أنه مصبوغ ويبنغى أن يحلفـــوا ألا يعلموا الغرابيل من جلود الميتة ، وأن يغسلوا الجلود وينظفوها قبـــل تقويرهـــا لئـــلا تتقطع بسرعة[1] .

أختام الكعك :

ومن التحف الفخارية الشعبية أختام مستديرة ، مزخرفة يطبع بها الكعـــك فـــى الأعياد والمواسم ، وعلى هذه الأختام بالحفر رسوم باز ينقض علـــى أوزة أو صقـــر ناشر جناحيه أو رسوم أرانب أو غزلان وأســـماك ، فضـــلاً عـــن زخـــارف نباتيـــة وزخارف هندسية مختلفة .

ويزخرف بعض هذه الأختام عبارات دعائية بالخط الكوفى مكتوبة فـــى اتجـــاه عكسى مثل " كل هنيئاً " أو " بالشكر تدوم النعم " ونجد على بعضها " كـــل واشـــكر مولاك " .

ومن الطريف أن عبارة " كل وأشكر " هذه التى تكرر ورودها على أختـــام الكعـــك تطلق الآن على نوع معروف من الحلوى الشامية[2] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى ومتحف كلية الآثار بمجموعة مـــن هـــذه الأختـــام (لوحة ١٠١ ، ١٠٢) .

المشنات – السلال – المقاطف :

وتوجد أوانى ليست من المعدن ولا الفخار بل صنعت من بعض النباتات كالمشـــنات والسلال والمقاطف .

فالمشنات تصنع من نبات الحناء والسلال من الغاب البلـــدى والمقـــاطف مـــن خوص الجريد .

---

(١) المرجع نفسه نفس الصفحة .

(٢) عبد الرءوف على يوسف : تحف من الفن الشعبى فى مصر ، ص ١٦٩ .

وتستخدم المشنات فى حفظ العيش والفاكهة ، وذلك لأن بها مسام فهى تجعـــل مـــا يوضع بها بدون عفن مدة طويلة .

وتستخدم المقاطف والسلال فى شراء حاجيات المنزل الثقيلة الحمل من الخـــارج أو فى حمل الحبوب وهى تستخدم فى الريف .

واستخدمت المشنات فى عصر المماليك ، وقد ورد ذكر مشنات الفاكهة فى الســماط الذى إقامة السلطان الظاهر برقوق فى جمادى الآخرة عام ٧٨٨هـ/١٣٨٦م عندما كملـــت عمارة مدرسته بين القصرين[١] .

هذا ويطلق على الوعاء المصنوع من الخوص الجلة وجمعها جلل .

ومن الجدير بالذكر أن بلاد النوبة اشتهرت بصناعة الأطباق والمقـــاطف والســـلال الخوص .

الرحى :

الرحى عبارة عن قرصين مستديرين من الحجر موضوعين فوق بعضهما وهـــى تستخدم فى طحن الحبوب وذلك بوضعها بين القرصين وتدار الرحى بواسطة يد حديديـــة مثبتة بالقرص العلوى .

ويطلق على الرحى الجاروش[٢] . ويطلق على الجلد الذى يبســـط تحـــت الرحـــى ليسقط عليه الدقيق الثقال[٣] .

---

(١) ابن إياس : المصدر السابق ، ط١ ، جـ١ ، قسم ثانى ، ص ٣٧٢ .

(٢) الجاروش عربية عامية ، جاء هذا الاسم من جرش الحنطة وغيرها أى لم ينعم دقـــها . وفصيحـــها المجرش أو المجش والمجشة من جش الشئ يجشه جشا دقة وكسره . والجشيشة ما جـــش مـــن بـــر ونحوه أى دق . ويد الرحى التى يقبض عليها عند الجرش تسمى بالرائد . قال الجوهرى . والرائد يد الرحى وهو العود الذى يقبض عليه الطاح إذا إدارة .

(٣) الأصفهانى : الأغانى جـ٢ ، ط١ ، دار الكتب ١٩٢٨م ص ٢٦٣ .

وقد وجدت الرحى فى عصر الرسول وطحنت بها ابنته فاطمة الزهراء حتى أثـوت فى يدها[1] .

وكانت الرحى من الأدوات الهامة لكل منزل . ومازالت تستخدم فى بعـــض قـرى مصر .

ويحتفظ المتحف الزراعى بالدقى بشق رحى ترجع إلى مصر فى العصور الوسطى (لوحة ١٠٣) .

كما يحتفظ متحف اندرسون بمثال لهذه الرحى يرجع إلى عصر العثمانيين (لوحـــة ١٠٤) .

الهاون :

الهاون من الأدوات الهامة لكل مطبخ . ويوجد منه أنواع نوع صغير من الـــبرونز للبندق واللوز ونوع من الجرانيت للحم والبقول والخضروات ونوع من الخشب[2] لصحـــن التوابل والثوم .

ويطلق عل الهاون الدستج أو الدسنج[3] .

ويحتفظ القسم الإسلامى ببرلين بهاون من النحاس عليه شريطان من الكتابة بـــالخط الكوفى ، وبينهما زخارف نباتية وطيور محفورة بدقة وإتقان عظيمين . وأكبر الظـــن أنـــه من صناعة القرن ٦ هـ / ١٢ م[4] .

وبمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة أهوان من النحاس والجرانيت والخشب ترجع إلـــى مصر فى عصر المماليك .

---

(١) البلوى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٥٤٢ .

(2) Mazaheri : Op. Cit., . 77 .

(3) Dozy : Op. Cit., T.I., P.441.

(٤) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، القاهرة ١٩٣٧م ، ص ٢٤١ .

منها هاون من النحاس له مقبض يتدلى من كل منهما حلقة مستديرة[١] ، ويزينه من الخارج مثلثات رأسية بارزة فى أشكال عكسية ويحيط بها من أعلى وأسفل شريطان فيها بقية كتابة عربية وله يد من النحاس تنتهى بكسر ، ارتفاع الهاون ١٢ سم ، قطر الفوهة ١٣ سم ، طول اليد ٢٦سم ، وهو وارد من مدينة قوص (لوحة ١٠٧ ، ١٠٨) .

وهاون ويده من الجرانيت الأسود[٢] (لوحة ١٠٥) .

وأهوان من الخشب بعضها مزخرف بالألوان (لوحة ١٠٩ - ١١٢) .

ومن الغريب أن الألوان التى استخدمت فى زخرفة الأهوان والأوانى الخشبية المملوكية لازالت تستخدم إلى الآن فى زخرفة الأهوان الخشبية[٣] .

عمود الطعام :

وقد ذاع فى نهاية عصر المماليك استعمال طاسات للطعام ترتب بعضها فوق بعض . وكانت تزين برسوم هندسية ونباتية ويبدو فى أساليبها الفنية الاضمحلال الذى دب إلى هذه الصناعة منذ نهاية القرن ٩ هـ / ١٥م[٤] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى ببعض أعمدة الطعام منها عمود من النحاس المطلى بالفضة مركب من ثلاث مواعين وغطاء ، ومقبض وعلاقة وله جنبين عريضين للمشال وعليه زخرفة بالحفر من فروع نباتية وشبه كتابة نسخية الطول ٠,٣٨٠[٥] .

---

(١) رقم سجل ٢٤٠٦٩ .

(٢) رقم سجل ١٩٣٧٧ / ١ / ٢ .

(3) Abdel Raouf A.Youssef : op. Cit., p. 14, Figs. 5 , 16.

(٤) د. زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٥٦٠ .

(٥) رقم سجل ٧٥٩٤ .

عمود آخر من النحاس يتكون من ثلاث طاسات وغطاء عليها كتابات داخل منـاطق ورنوك مركبة – الطول ٠,٤٤٠م ، العرض ٠,٤٢٠ م[1] (لوحات ١١٣ – ١١٦).

وربما كانت أعمدة الطعام من الأدوات التى أقبلت على شرائها عروس مصر فـــى نهاية عصر المماليك ، فيبدو أن الزوجة كانت ترسل لزوجها بوجبة الغداء أو العشاء فـــى عمود الطعام إذا كان عمله يتطلب منه الوجود خارج المنزل طوال اليوم .

(١) رقم سجل ١٥٠٦١ .

الأدوات المستخدمة فى حمل الطعام

أثناء الأكل

(أ) الصينية :

تكون الصينية أما من الخزف أو المعدن أو الخشب[1] أو الزجاج . وهى فى الغـالب إناء مستدير متسع ذات ارتفاع بسيط وتستخدم فى تقديم الطعام والشراب بوضع الصحـون والسلاطين والملاعق عليها .

ويذكر مظاهرى أنه لم يكن بحجرات طعام مسلمى العصور الوسطى سوى مخـدات على الأرض جانب الجدار حول الحجرة ، ومناضد منخفضة تتكون من صوانى كبيرة مـن النحاس والفضة أو العقيق اليمانى ، وكانت يثبت بها أرجل[2].

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بصينية معدنية من عصر المماليك صغـيرة الحجم لها أرجل " حوامل معدنية ملتصقة بها) والصينية والحامل باسم الأمير بهاء الديـن قراقوش الناصرى [3] .

وبالمتحف أيضا صينية من النحاس صنعت للملك الناصر محمد عليـها توقيـع نصه : " نقش غلام الصناع والمعلم أحمد السبع " .

وبمتحف كلية الآثار جامعة القاهرة صينية من النحاس نقش عليها زخارف كتابيـة (لوحة ١١٧) .

وبالمتحف القبطى صينية من الزجاج المموه بالمينا المتعددة الألوان (لوحـة ١١٩ ، ١٢٠) .

---

(1) Dozy : Op. Cit., T.I., pp. 857-858.

(2) Mazaheri: Op. Cit., p. 77, 78.

(٣) رقم سجل ٢٤٠٧٦ .

وتمثل الصينية فى كثير من الأحيان المائدة كلها . ومنها ما هو مستدير أو مربع والصينية المستديرة الشكل هى الأكثر انتشارا وتشير بعض المراجع إلى قطر هذه المائدة ، كما جاء ذكر الشكل المستدير ورسمه فى بعض المخطوطات .

ومن بين الرسومات التى وصلتنا من قصير عمره فى العصر الأموى نجد فريسكو مصوراً عليه مائدة مربعة وهنا نلاحظ امتداد الروح البيزنطية[1] .

(ب) الحامل (الرافع) :

وجد فى عصر المماليك حوامل معدنية لوضع الصوانى والأوانى منها نوع ذو قمة وقاعدة مستديرة متساوية القطر ، ولكنه يستدق فى منتصفه . وبمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة نماذج منها (لوحة ١٢٤) .

وبمتحف المتروبوليتان حامل من النحاس الأصفر المكفت بالفضة والنحاس الأحمر يرجع إلى مصر فى النصف الأول من القرن ٨هـ/ ١٤م[2] .

ونوع يتكون من ثمان أرجل وما بينهما مزخرف بالتخريم ، وبالمتحف القبطى ومتحف كلية الآثار جامعة القاهرة مثالاً له (لوحة ١٢١) ، (لوحة ١٢٢) .

وهناك نوع يأخذ شكل مخروطى وبمتحف الفن الإسلامى حمالة نحاس أصفر شكل مخروطى لها حزام من الوسط بأعلاه وبأسفله شريط من كتابة نسخية تتخللها زخرفة نباتية ويفصلها إلى قسمين دوائر بها زخرفة نباتية والكتابة متماثلة وتقرأ (المقر العالى الملكى الكاملى) وعلى قاعدته مكتوب بالحفر (عمل عمر) الطول ٠,١٤٠متر – العرض ٠,١٥٠متر[3] .

---

(1) Sadan : Le Mombilier au Proch, Op, cit. 77-79.

(2) Marie G.Lukens : The Metropolitan Museum of Art Gaide to the Collectiona, Islamic Art, The Metropolitan Museum 1965, p. 25. 25, PL.37.

(٣) رقم سجل ٧٨٩٧ .

هذا وقد عرف العرب قبل الإسلام حوامل مكونة من ثلاثة حجـارة موضوعـة على الأرض لتوضع فوقه إناء أو فنار ويطلق عليها عطافى والمفـرد عطفيـة ، وهـذا الشئ البدوى أعطى اسمه حامل ثلاثى الأرجل من المعدن اسـتخدمه العـالم الإسـلامى المتحضر ، وهذا الحامل كان له شكل حيوان وبـالفعل فـإن الحوامـل المعدنيـة بشـكل حيوانات وصلت إلينا[1] .

(جـ) كرسى العشاء " كرسى الصينية " :

يوجد بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة حوامل للصوانى النحاسية ، وهى كراسى مـن النحاس المكفت بالذهب والفضة أو من الخشب المطعم بالعاج والابنوس وهى من صناعـة مصر فى عصر المماليك .

ومن الكراسى النحاسية المكفتة كرسى بديع الصنع باسم السلطان الناصر محمـد ابن قلاوون .

ومن الكراسى الخشبية ، كرى على شكل منشور ذى ستة أضلاع مكسـو بطبقـة دقيقة من الفسيفساء مكونة فى الغالب من قطع صغيرة من الابنـوس والسـن ، وتـتركب زخارف فسيفسائه من أشكال هندسية كثيرة التعقيد وعليه من أعلى ومـن أسـفل زخرفـة على شكل عقود وهو بتاريخ ٧٧٠هـ / ١٣٦٩م ارتفاعه ١١٥ ـ قط ٥٤[2]سم .

ومن الكراسى الخشبية أيضاً كرسيان مزخرفان بالحفر والخرط منها كرسـى (لوحة ١٢٥ ، ١٢٦) .

ويحتفظ كل من متحف قصر المنيل (ومتحف جاير أندرسـون بـالكثير مـن الكراسي المسدسة .

---

(1) Sadan : Le Mobilier, p. 94.

(2) Wiet : Cataloge General du Musee Arabe Du Caire, Le Caire, 1932, p. 34 .

وبمتحف الفن الإسلامى كراسى صوانى من النحاس مستطيلة الشكل منها كرسي زخارفة نباتية مفرغة بأعلاه شرفات وفاقد منه أجزاء ويبلغ طوله ٠,١٢٠متر[١]

وفى قوائم الزواج بجنيزا القاهرة جاء ذكر الحوامل (الكراسي) كثيراً . حتى ورد فى قائمة زواج واحدة ثلاثة حوامل . فيبدو أن فى هذه الأوساط كان استخدام الحوامل كثيراً ، كما نجد أن كلمة رافع تأتى كثيراً عند ذكر صندوق وحامله الخاص (الكرسي)[٢] .

(د) السفرة :

من أدوات المطبخ التى ذكرت فى وثائق الحرم القدسي المملوكية سفرة الطعام ، شبه طاولة الطعام ، وكانت بيضاء مطرزة بحرير وأخرى نحاسية[٣] .

وكانت كلمة السفرة تطلق على قطعة الجلد التى كان البدو الرحل – فيما قبل الإسلام – يضعون فيها أكلهم أثناء سفرهم ، وقد استخدمها المدنى عند خروجه خارج المنزل ، ولكن الغريب أن نراه يستخدمها داخل البيت[٤] ، فقد استخدمت الجلود المغطاة بالقماش لتقديم الطعام عليها فى عهد الخلفاء الراشدين[٥] .

هذا وتطلق كلمة سفرة أيضاً على مفرش النسيج الذى يفرش على الأرض أثناء الأكل ثم يرفع .

وأهم فترة بالنسبة للحياة المدنية الراقية ، هى استخدام الجلود على أنها مفارش توضع على أثاث صلب . وبهذا التقليد ضاع الطابع البدوى . والمستوى

---

(١) رقم سجل ١٥٢٢٤ .

(2)Sadan : Le Mobilier, p.90.

(٣) محمد عيسى صالحية : المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(4) Sadan : Le Meubles P. 1360 & Le Mobilier P.82.

(٥) سيد أمير على : المرجع السابق ص ٥٩ .

الراقى الذى لديه هذه السفر لديه الإمكانيـــة لاســتخدام مـــائدة أو خـــوان مصنـــوع مـــن الأحجار أو من الخشـــب[1] .

(هـ) الخوان والمائدة :

الخوان هو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل[2] وكنية الخـــوان أبـــو جـــامع لاجتماع الناس حوله ، يقولون لما يتخذ لتقديم الطعام على مـــائدة والصحيـــح أن يقال خوان إلى أن يحضر الطعام يسمى حينئذ مائدة يدل على ذلك أن الحواريـــين حين سألوا عيسى عليه السلام بأن يستنزل لهـــم طعاماً مـــن الســـماء قـــالوا هـــل يستطيع ربك أن ينزل مائدة من السماء بينوا معنى اسم المائدة بقولهم نريـــد أن نـــأكل منها وتطمئن قلوبنا .

وقد اختلف فى تسمية المائدة ، بذلك فقيل سميت به لأنها تميد بما عليها أى تتحـــرك مأخوذ من قوله تعالى (وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بكم) وقيل بل هى من مـــــادا أى أعطى ، وقد أجاز بعضهم أن يقال فيها ميدة ، كقول القائل :

وميـــــدة كثيـــرة الألـــوان تصلح للجيران والأخـــوان[3]

ويذكر ابن منظور أن المائدة الطعام نفسه ، وأن لم يكن هناك خوان مشتق من ذلـــك وقيل هى نفس الخوان ولا تسمى مائدة حتى يكون عليها طعام وإلا فهى خوان[4] .

ومما يذكر أن العباســـيين كـــانوا يجلســـون إلـــى الطعـــام علـــى الديـــوان أمـــام مناضد مصنوعـــة مـــن الابنـــوس أو الصـــدف أو المحـــار . وكـــان للواثـــق (٢٢٧ –

---

(1) Sadan : Le Meubles P. 1360 & Le Mobilier p. 82.

(٢) السيوطى : الدر المنثور ، جـ٢ ، ص ٦ ، ٧ .

(٣) الغزولى : المرجع السابق جـ٢ ، ص ٣٧ .

(٤) ابن منظور : المرجع السابق ، جـ٤ ، ص ٤١٩ ، ٤٢٠ .

انظر أيضاً : ابن عبد ربـــه : العقـــد الفريـــد ، القـــاهرة ، ١٩٥٣ ، الطبعـــة الثانيـــة ، ـــ٤ ، ص ٢٥٠ .

٢٣٢هـ) (٨٤٢-٨٤٧م) خوان من الذهب توضع عليه صينية كبيرة مستديرة من الفضة أو النحاس[١] .

كما كان كبراء القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى يستخدمون الخوانات المصنوعة من خشب الجزع ، وكذلك بعض أدوات المائدة ثم استخدمت خوانات قوائمها منها بلا وصل[٢] .

ومن الجدير بالذكر أن كلمة خوان من أصل فارسي[٣] أما كلمة مائدة فمن أصل أثيوبى .

ويرى علماء اللغة أن الخوان منضدة فارغة بينما المائدة تكون محملة بالأكل .

ولكن ما جاء فى الأحاديث النبوية يوضح ان المائدة منخفضة أما الخوان فهو أعلى منها ، وكان الرسول الكريم يفضل الأكل على المائدة لأنها منخفضة بينما الخوان مرتفع والأكل عليه يبعده عن التقشف ويقربه من الرفاهية[٤] .

وقد جاء فى المدخل لابن الحاج ما يؤكد ذلك فقد ذكر أن الخوان لا ضرورة له لأن النبى ﷺ كان يأكل على الأرض فى بعض الأحيان وفى بعضها يأكل على سفرة[٥] وفيه تنبيه على أن الخوان من فعل الأعاجم وقد نهينا عن التشبه بهم وهو على أى صفة

---

(١) سيد أمير على : المرجع السابق ، ٣٩٢ .

(٢) آدم متز : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ١٦٠ ، ١٦١ .

(٣) خوان تعنى المائدة ، الخوان المنضدة ، خوانجة : الصينية الصغيرة ، المائدة . عبد النعيم محمد حسنين : المرجع السابق ، ٢٢٣ .

(٤) الشبلنجى : أسعاف الراغبين هامش أيمن من كتاب نور الأبصار ، ص ٥٦ .

Sadan : Le Mobilier, p.64.

(٥) روى عن أنس بن مالك أنه قال : " ما أكل النبى ﷺ على خوان ، ولا فى سكرجة قال : فعلام كانوا يأكلون ؟ قال : على السفر " وعنه أيضاً أنه قال : " ما رأيت رسول الله ﷺ أكل على خوان حتى مات .

ابن ماجة : سنن ابن ماجة ، بيروت ١٩٥٤م ، جـ٢٢ ، ص ١٠٩٥ .

كان جنسه من نحاس أو خشب أو غيره وكان بعض المتبعين إذا جاءته زبدية لـــها قعـر مرتفع يكسر قعرها وحينئذ يأكل منها لخوفه ان تكون خوانا لعلوها عن الأرض فيقع فـــى التشبه بمن تقدم ذكره[1] .

(و) الطبلية[2] :

هى خوان يؤكل عليه . وهى عبارة عن قرص مستدير من الخشب لـــه ثلاثـة أو أربع أرجل وأحياناً تكون مربعة أو مستطيلة . وهى منخفضة ويجلس الأكلون حولها علـى الأرض . ومن الجدير بالذكر ان المصريين القدماء كانوا يستخدمون الطبلية عنـد تنـاول الطعام[3] .

هـــذا ونجـد حوامـل للطعـام مسـتديرة ذات أرجـل مصـورة ضمـن مخطوطات[4] القرنين ٧ ، ٨هـــ / ١٣ ، ١٤م [5] وهـى تشـبه الطبليـة المعروفـة ، ولكن لا ندرى هل هى الطبلية أم هى صوانى معدنيـة ذات قوائـم مـن المعروفـة فـى عصر المماليك .

(ز) مناديل الطعام (الفوطة) :

من المعتاد أثناء الطعام أن يوضع منديلاً على الفخذين ويحمل آخر علـى الكتـف بحيث يلتقى طرفاه على الصدر فيكون أشبه شئ بالوشاح وهذا تكون الزركشة فيـه أكـثر منها فى الأول ويكون بالتالى أغلى منه ثمناً[6] .

---

(١) ابن الحاج : المدخل ، جـ١ ، ص ١٨٨ .

(٢) نسبة إلى الطبل ، ج طبالى .

انظر : إبراهيم مصطفى وآخرون : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٥٥٧ .

(٣) وليم نظير : العادات المصرية ، ص ١٧ ، ١٨ .

(4) Duncan Haldane : Op. Cit., PL. 30

(٥) انظر لوحات ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٦) كلوت بك : المرجع السابق ، ص٢١ .

وقد عرفت مناديل الطعام منذ العصر الأموى (٤٠هـ/٦٦١م)[١] .

هذا ويضم المطبخ لدى مسلمى العصور الوسطى ، عدا المناضد المنخفضة والكراسى الخشبية أرفف تحمل الأطباق والمواعين النحاسية والحلل بأحجام مختلفة وهذه الحلل لها يدان ولها غطاء .

وبعض هذه الحلل من النحاس ، وأخرى من الفخار وكان بينها أيضاً أشكال كبيرة جداً من الحجر ولها يدان ولكنها لم تكن تستخدم باستمرار بل فى المناسبات فقط[٢] .

---

(١) سيد أمير على : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ١٩٦٢ ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

الفصل الأول

ثالثـــًا : مفارش الأرض

ثالثا : مفارش الأرض

كان فرش الأرضيـــات فى المنزل الإسلامى من الأشياء التـــى يـــهتم بـــها غايـــة الاهتمام .

وبالنسبة لعصر المماليك كان ذلك الفرش يتناسب مع ما كان عليـــه المماليك مـــن ترف وثراء .

وتنقل لنا المصادر وجود السجاد والأبسطة بكثرة فى منازل ذلك العصر الزاهـــر ، ومن ثم كان لا بد من وجود تلك المفروشات فى جهاز العروس .

ومما يذكر أنه كان بجهاز بنت أحد الأمراء من الفرش والبسط الشئ الكثير[1] .

وربما يقصد بالفرش السجاد والمقاعد الحريريـــة وغيرهـــا مـــن مفـــارش الأرض بالإضافة إلى مفارش الأسرة .

والبساط يعنى ما بسط أى مد ، وهى كلمة وردت فى القرآن والسجاد أو الســـجاجيد أو السواجيد[2] تمتاز بأشكالها الدينية ، وأن كنا لا نستطيع أن نقول أنها عرفت للعرب مـــن أيام النبى ، فقد كان يصلى هو وأصحابه على التراب ، وينسب فرش المسجد مـــن أيـــام الأمويين . كذلك وجدت تعابير أخرى تعنى هذه الصناعة ، منها : كلمة الفرش من فـــرش حتى أن خزانة الفاطميين سميت خزانة الفـــرش ، وهى التى كانت تحتوى على الأبســـطة وغيرها ، وكلمة الأنماط أو الأنمطة - مفردها نمط تعنى الحصر وكلمة حصـــير وهـــى

---

(١) المقريزى : الخطط ، الجزء الثانى ، ص٦٨
، على مبارك : المرجع السابق ، ص٣٢٩

(٢) مفردهـــا ســـجادة وهى الخمرة التى يســـجد عليها وهى ســـجادة تعمل من سعف النخيـــل وترفـــل بخيوط ثم عمت وشاعت لما يبسط للصلاة عليه من فرش وأنماط ، ثم فى كل ما يفرش فى البيـــوت منسوجا من صوت له خمل ، وأهل البادية يقولون : سداجة « على القلب » وقد عم بها مجمع مصر فى كل ما يفرش من الطنافس للسجود أو لغيره .
أحمد رضا : المرجع السابق ، المجلد ٣ ، ص١٠٦

تقابل السجاد من سعف النخيل ، وكلمة فروة وهى جلد حيوان مصبوغة ، وكلمـــة نطـــع وتعنى أنها من الجلد ، وكلمة طنفسة وهى من أصـــل يونـــانى تعنـــى بســـاطا صغـــيرا للجلوس ، وكلمة وطاء تعنى أنه بساط للأرجل ، وكلمة مخمل تعنى بساطا من قطيفة .

وفوق ذلك ، وجدت أنواع سميت بأسماء البلاد التى صنعت منـــها ، مثـــل بســـاط خسروانى ، فهو جدير بخسرو ملك الفرس ، لاشتهار صناعته فى فارس ، ويقـــال أيضـــا ملكى ، وبساط طبرستانى أى من طبرستان ، وبساط قالى تعنى بساطا كبـــيرا مـــن بلـــدة قاليقلا ، وبساط أرمنى[١] . ويطلق على البســـاط[٢] الزربـــى[٣] والرفـــرف[٤] والأراض[٥] والنخ[٦] .

---

(١) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوســطى ، القـــاهرة ١٩٧٨م ، الطبعـــة الرابعة ، ص٢٦٦

(٢) والبساط ما بسط للجلوس عليه ، ومن الأمثال على بساط مد رجليك .

انظر : Dozy: Op. Cit., T. I., P. 85.

(٣) الزربى جمعها زرابى وهى بسط بديعة الرواء ، لها خمل ، هدب ناعم دقيق ، وإنما ســـميت بذلـــك تشبيها بالزربى من الزهر ، وهو نبت يجمع بين الصفرة والبياض ، وكل ما يبسط ويتكئ عليه يسمى زربى ، والزريبة البساط الفاخر أو الطنفسة المخملة ، وجمعها طنافس وهى مثل الزرابى فى خملـــها وأن كانت دونها فى رقة نسجها ، وأبدع الزرابى يطلق عليها العبقرى جمع عبقرية .

انظر : ابن الأثير : المرجع السّابق ، الجزء الثانى ، ص١٣٣

، بطرس البستانى : قطر المحيط ، بيروت نقلا عن طبعة ١٨٦٩م جـــ١ ص٨٣٨

، عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، ص١٣٤ ، ١٣٥

(٤) الرفرف البساط أو الستر ، والرفرف ما كان من الديباج وغيره رقيقا حسن الصبغة :

ابن الأثير : المرجع السابق ، جـــ٢ ، ص٩٧

(٥) والأراض بساط فخم من وبر أو صوف .

أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ، الجزء الأول ، ص٨١

(٦) والنخ بالضم بساط طويل جمعه نخاخ .

انظر : البلوى : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص٤٣٣

، النخ : قطعة السجاد الصوفية أو القطنية الطويلة .

انظر : عبد النعيم محمد حسنين : المرجع السابق ص٧٣٠

هذا وأهم ما أنتجته القاهرة من سجاجيد يرجع إلى عصـــر المماليك فـــى القـــرن ٨هـــ/١٤م وما بعده[١] .

وقـــد أشار المقريزى فى كل من الخطط والسلوك إلى مجموعات السجاجيد التـــى كان يزخر بها قصر قوصون أحد أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون . فقـــد جـاء بالخطط أنـــه وجد فى حاصل ذلك القصر حين نهب فى ســنة اثنتين وأربعين وســبعمائة فى عهد السلطان الملك الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد بن قلاوون – « عـــدة مائة وثمانين زوج بسط منها ما طوله من أربعين ذراعًا إلى ثلاثين ذراعًـــا عمـــل البـــلاد وستة عشر زوج من عمل الشريف بمصر ثمن كل زوج اثنا عشر ألف درهم نقرة منـــها أربعة أزواج بسط من حرير » وقام النهاية بجر « البسط الرومية والامدية وما هـــو مـــن عمل الشريف وتقاتلوا عليها وقطعوها قطعا بالسكاكين وتقاسموها[٢] » .

وفى السلوك ذكر أنه كان بحاصل قوصون لما نهب « مائة وثلاثين زوج بســـط ، منها ما طوله أربعون ذراعا وثلاثون ذراعا ، كلها من عمل الروم وآمد وشيراز ، وســـتة عشر زوجا من عمل الشريف بمصر ، قيمة كل زوج اثنا عشر ألـــف درهـــم ، وأربعـــة أزواج بسط حرير لا يقوم عليها »[٣] .

وأخرجت النهابة من البسط الرومية والآمدية وعمل الشريف شيئا كثيرا ، وقطعوهـا قطعا وتقاسموها »[٤] .

وجاء فى كتاب النجوم الزاهرة نفس الواقعة وعدد ما وجد فى حـــاصل الاصطبـــل من البسط حين نهب فكان مائة وثمانين زوجا من البسط منها ما طولـــه أربعـــون ذراعـــا

---

(١) د. عبد الرحمن فهمى : السجاد (بحث بكتاب القاهرة ، تاريخها وفنونها وآثارها ، مؤسسة الأهرام) ، ١٩٧٠م ، ص٥٨٣

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٧٢ ، ٧٣

(٣) الجزء الثانى ، القسم الثالث ، ص٥٩١ ، ٥٩٢

(٤) المرجع نفسه ، ص٥٩١

وثلاثون ذراعا ، كلها من عمل الروم وآمد وشيراز ، وستة عشر زوجا من عمل الشـويف بمصر وأربعة أزواج بسط حرير لا يقوم عليها لحسنها »[1] .

هذا وظهر فى موجود سلار - عام ٧١٠هـ/١٣١١م عصر الناصر محمد - بسـط رومى[2] ، كما ضبط فى موجود ابن زنبور - سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م فى عـهد السـلطان الملك الصالح صالح بن الملك الناصر محمد - حواصل فيـها بسـط رومـى[3] ، وكـان مجموع ما وجد لديه من بسط ستة آلاف بساط[4] .

وقد سبق أن ذكرنا أن السلطان الملك الناصر أنعم على يلبغا عند اتمام قصره فـى عام ٧٣٨هـ بأوانى بلور وتلك الأوانى كانت ضمن تقدمه طرغاى الطباخى نائب حلـب التى أهداها السلطان بأكملها إلى يلبغا وكان فيها أيضا عشرة أزواج بسط منها زوج بسـط حرير[5] .

وتفيدنا الوثائق بأن بيوت المقادسة كانت تفرش بالبسـط والسـجاجيد والزربيـات والزليات (السجاجيد) والمقاعد والنطوع الجلدية .

وكانت البسط تنسج من الصوف ومن أنواعها الرومية والكرادية والشوبكية الكبـيرة والشوبكية الصغيرة[6] .

---

(١) ابن تغرى بردى : الجزء العاشر ، ص٤٤ ، ٤٥

(٢) ابن أياس : المصدر السابق ، الجزء الأول / القسم الأول ، ص٤٣٨

(٣) المصدر نفسه ، ص٥٤٥

، د. محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص٥٩

(٤) المقريزى : السلوك ، الجزء الثانى / القسم الثالث ، ص٨٨٠

(٥)المصدر نفسه ، ص٤٥٣

(٦) ولعل المقصود بالبسط الأرمينية ذات الصوف الجيد والقرمزية اللون والكراديـة نسبة إلى الأكـراد اسم قبيلة ، والأكراد أيضا قرية من قرى البيضاء التى تسمى كرديا قوت ، والشـوبكية نسـبة إلـى مدينة الشوبك المعروفة فى الأردن ، وكانت قلعة حصينة فى أطراف الشام بيـن عمـان وايلـة . صالحية : المرجع السابق ، ص٣٣ ، حواشى رقم ٥ ، ٦ ، ٧

كما أن تلك البيوت اقتنت أنواعا من السجاجيد الصوفية ذات اللون الأبيض والأخضر أو العسلى ، والمزينة برسومات بيضاء أو المبطنة ببطانات مطرزة بأبيض وجعلت لها رميات (شراشيب) زرقاء ، ويبدو أن الكثير من السجاد الموقوف عليه فى وثائقنا كان ينسج فى اليمن وحوران[1] .

وأيضا استخدمت البسط فى فرش أرضيات المساجد في ذلك العصر . فمثلا عندما تكامل اصلاح بلاط الجامع الأموى فى العشر الأول من ربيع الأول سنة سبع وخمسين وسبعمائة فى عهد السلطان الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، بسط بسطا حسنا[2] .

وقد وصلت إلينا مجموعة نادرة من سجاجيد القاهرة المملوكية وهى سجاجيد تتميز بالألوان البراقة التى لا تتعدى اللون الأحمر والأزرق والأخضر بالزخارف ذات الأشكال الهندسية الدقيقة والأزهار الطبيعية ، وقد أغرم بجمال هذه السجاجيد بعض الفنانين الأوربيين فى عصر النهضة وخاصة من فنانى البندقية فى القرن ١٦ فرسموها فى لوحاتهم ومن أمثال هؤلاء كارباتشيو[3] Carpaccio . وعرف العالم السجاجيد التى أنتجت فى مصر فى عصر المماليك باسم « الدمشقية » إلى أن كشف عن حقيقتها علماء الآثار وعلى رأسهم الأساتذة الألمان زاره Sarre وكونل Kuhnel واردمان ، فقد نشر زاره ١٩٢٠ مرسوما أصدره السلطان العثمانى باستدعاء أحد عشر نساجا من نساجى سجاد القاهرة وترحيلهم إلى استانبول[4] .

---

(١) المرجع نفسه ، ص٣٤

(٢) أبو الفداء : البداية والنهاية ، ص٢٥٣

(٣) د. عبد الرحمن فهمى : السجاد ، ص٥٨٣

(٤) د. عبد الرحمن فهمى : خاتمة رائعة لفنون المماليك ، مجلة منبر الإسلام ، العدد ١ لسنة ٣١ المحرم ١٣٩٣هـ ، ص١١٢

ويذكر كونل استنادا لما رواه الرحالة السابقون بما لا يدع مجالا للشك أنه فى العهد المملوكى كانت تصنع سجاجيد معقودة لاستعمال البيت فى القاهرة ويصح التأكيد على أن ما يسمى بالسجاجيد الدمشقية وهى التى حملت هذا الاسم فى أسواق البندقية خطأ فى أكبر الظن ، هى نفسها من إنتاج مصر . وقد بقى أكثرها محفوظا . ويرجع بعضها إلى القرن الخامس عشر وبعضها إلى أوائل القرن الذى يليه[1] ، كما أنهم لاحظوا جميعا التشابه الشديد بين تصميم هذه السجاجيد القاهرية وبين ما وجد من نقوش على التحف المعدنية وجلود الكتب المملوكية وكذلك بينها وبين الفسيفساء الرخامية التى نراها فى أرضية المساجد والقصور فى قاهرة المماليك[2] وهكذا أثبت أن القاهرة كانت موطنا لهذه المجموعة الرائعة من السجاجيد التى تزخر بها حاليا متاحف فيينا بالنمسا والتى سبق أن شاهد صناعتها فى مصر الرحالة تيفنو[3] .

وشهادة جـ. باربارو دليل على وجود صناعة السجاد فى القاهرة عام ٨٧٨هـ/١٤٧٤م .

وتذكر القوائم الأوربية فى القرن السادس عشر عبارة سجاد من القاهرة وسجاد تركى مصنوع فى القاهرة ، وتبدو هذه المعلومة مفيدة لتعضيد الاعتقاد أن السجاد ذو التصميم العثمانى صنع فى مصر[4] .

وقد أنتجت المصانع القاهرية منذ العصر المملوكى ثلاثة أنواع من السجاجيد وتتجلى فى النوع الأول عظمة الفنون فى قاهرة المماليك وتتشابه عناصره تشابها يكاد يكون تاما مع زخارف التحف المعدنية المملوكية والنافورات الرخامية وجلود الكتب القاهرية ، وتبدو من النوع الثانى تأثيرات الفن التركى فى زخرفته بمجموعة من الأوراق

---

(١) أرنست كونل : الفن الإسلامى ، ترجمة د. أحمد موسى ، مراجعة محمود إبراهيم الدسوقى ، مطبعة أطلس ، ١٩٦١م ، ص١٢٤

(٢) د. عبد الرحمن فهمى : السجاد ، ص٥٨٥

(٣) د. عبد الرحمن فهمى : خاتمة رائعة لفنون المماليك ، ص١١٢

(4) Jon Thompson: The Sarre Mamluk and 12, Other Classical Rays from the Rome Private Collection, London, 1980, P. 13.

المستنة وزهرات القرنفل والورد وكان من الطبيعى أن تظـــهر هـذه التـأثيرات منـــذ أن أصبحت مصر ولاية عثمانية فى عهد السلطان سليم أما النوع الثالث فيبدو فـــى تصميـم زخارفه أثر الفنون المصرية القديمة وخاصة فى ظهور رسوم النخيل وزهـــرات اللوتـس وبراعمها وأوراق البردى . ومما يؤسف له أن جميع النماذج التى بيعـــت مـــن ســجاجيد القاهرة تعيش اليوم غريبة عن وطنها القاهرة ، ويبدو أن زخارفها قد بهرت كثـــيرا مـــن الهواه الأوروبيين فتنافسوا على شرائها من أسواق الشرق المختلفة وعملوا على تهريبـــها إلى أوربا حيث قاموا بعرضها فى مجموعات خاصة فى قصورهـــم ومتاحفـــهم ويحتفـظ متحف فيينا بالنصيب الأوفر من السجاجيد القاهرية[1] .

وقد كانت السجاجيد التى نحن بصددها تنسب أحيانا إلى بلاد المغرب بالنظر إلـــى أن زخارفها الهندسية تشبه الزخارف التى نراها على جدران بعض العمائر المغربية وفـــى بعض المنتجات الفنية الأخرى فى المغرب . ولكن الحق أن بلاد المغـــرب فـــى القرنيـــن العاشر والحادى عشر بعد الهجرة (١٦ – ١٧م) لم تزدهر فيها أساليب فنيـــة يمكـــن أن تنسب إليها هذه السجاجيد ، فضلا عن أن هذه – على الرغم من زخارفها الهندســـية – لا تشبه فى اللون أو أسلوب النسخ ما نعرفه من المنتجات الفنية المغربية .

أما بالنسبة إلى دمشق فترجع إلى ان هذه السجاجيد تبدو كأنها الأبسطة التـــى كـــان يشار إليها فى سجلات الأسرات البندقية فى القرن السادس عشر الميلادى باســـم Tappeti Damaschini وكان عليه القوم يقبلون على استعمالها أغطية للمائدة .

ولكن الحق أننا لا نعرف شيئا يؤيد أن صناعة السجاد ازدهرت فى الشام ، وإنمـــا الأرجح أن دمشق ربما كانت مركزا للتجارة فـــى الســـجاجيد التـــى نحـــن بصددهـــا[2] . والمعروف أن صور هذه السجاجيد لا ترى فى اللوحات الفنية الأوربية قبل نهايـــة القـــرن الخامس عشر الميلادى ، حيث تظهر فى لوحات المدرسة البندقية بوجه خاص[3] .

---

(١) د. عبد الرحمن فهمى : السجاد ، ص٥٨٣ – ٥٨٧

(٢) د. زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص٤٣٥ – ٤٣٦

(٣) المرجع نفسه ، ص٤٣٥

ولقد أدرك الأوروبيون ما فيها من جمال وفن ، وقدروا هذا الجمـــال الفنـــى حـــق التقدير ، فأقبل الأغنياء منهم على اقتنائها ليزينوا بها قصورهم ، وكنائسهم . وقد انعكـــس هذا التقدير بأحلى صور فى لوحات فنانيهم ، فإا هؤلاء الفنانون يرسمونها فـــى صورهـــم فبدت الطنافس القاهرية مصورة فوق العروش أو مفروشة على الأرض ، أو منشورة مـــن النوافذ والشرفات أو مبسوطة فوق الموائد والمذابح فى الكنائس ، وإذا بصناعـــهم يقلـــدون هذه الطنافس ويحاولون إتقان هذا التقليد ما استطاعوا[1] .

وصناعة السجاد تعتبر من أعرق الصناعات الفنية التى عرفتها مصر وقد كشـــفت حفائر المتحف الإسلامى بالقاهرة فى الفسطاط عن كثيرا من قطـــع الســـاجيد المصريـــة الإسلامية التى ترجع إلى ماقبل العصر الفاطمى أو إلى العصرين الأمـــوى والعباســـى[2] كذلك كانت صناعة السجاد مزدهرة فى مصر فى العصر الفاطمى وكان أهـــم مراكزهـــا مدينة أسيوط[3] .

وقد وجدت صناعة السجاد فى الحضارة الإسلامية روحا جديدة ، فـــأصبحت فنـــا وصناعة تنوعت فيها وسائل الابتكار والبراعة نظرا لمـــا لاقتـــه مـــن وســـائل التشـــجيع والتكالب على اقتناء الثمين منها حتى وصلت إلى منتهى الاتقـــان والإبـــداع فـــى القـــرن السادس عشر[4] .

هذا ولم يصل إلينـــا شئ من البسط العربية التى صنعت أيـــام ازدهـــار حضـــارة العرب ، وأقدم ما هو موجود منها فى الوقت الحاضر لا يرجع مع ندرته ، إلى أبعد مـــن القرن الثانى عشر من الميلاد .

---

(١) د. محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد بن قلاوون ، المؤسسة المصريـــة العامـــة للتـــأليف والترجمة والنشر ، أعلام العرب ، ٢٨ ، ص٣١ ، ٣٢

(٢) د. عبد الرحمن فهمى : السجاد ، ص٥٨٣

(٣) د. أبو صالح الألفى : المرجع السابق ص٢٩٨

(٤) أحمد سعيد الدمرداش : فن السجاد ، مقالة بمجلة منبر الإسلام ، العدد ١١ ، السنة ٢٢ ، ذو القعـــدة ١٣٨٤هـــ/مارس ١٩٦٥م ص١٩٣

ونعلم من تواريخ العرب أنه كان على بسطهم ومنسوجاتهم الحريرية التى صنعت فى معامل بهنسا ودمشق وغيرهما من المدن صور للآدميين والحيوانات[1] .

ومن الأبسطة التى نسجت بصور حيوانية كان بساط السيدة زبيدة الذى صنع من الديباج وجمع صورة كل حيوان وكل طائر من جميع الأجناس مرسومة من الذهب وأعينها من يواقيت وجواهر ، يقال أنها أنفقت عليه نحوا من ألف ألف دينار[2] .

وتوجد مجموعة السجاد المملوكى موزعة بين بعض المتاحف والمجموعات الخاصة .

فيحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بسجادة صلاة مملوكية[3] . ويحتفظ متحف كلية الآثار جامعة القاهرة بجزء من سجادة مملوكية برقم سجل ١٧٥٢ لوحة (١٢٩) .

وتحتفظ مجموعة خاصة فى إيطاليا بطنفسة كانت سابقا ضمن مجموعة جراى موى وشلوس ستيبرج . وهى من الصوف الأحمر والأزرق والأخضر والأصفر . وهى بمقاسات ٢٠٤ × ١٤٠ سم ، وهى ترجع إلى مصر ، القاهرة ، النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادى .

وتمثل هذه الطنفسة نموذجا رائعا للطنافس المملوكية ذات الزخارف الهندسية التى تحتوى على عدد محدود من العناصر الزخرفية التى استمرت فى إنتاج تكوينات جديدة . ويلاحظ فى هذا المثال أن التصميم يبدو متسعا أشبه بموجات متداخلة تتجمع فوق بركة ، إذ يشاهد فى الوسط شكل نجمى متشابك الأضلاع ، يتلوه دائرة من رقش مورق ، فمثمن

---

(١) د. غوستاف لوبون : حضارة العرب ، دار أحياء الكتب العربية ١٩٤٥م ، ص٥٤٧

(٢) د. على إبراهيم حسن : نساء لهن فى التاريخ الإسلامى نصيب ، ص٨٢ ، ٨٣

(٣) وزارة المعارف العمومية ، دليل متحف الفن الإسلامى ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٢م ، ص١٣٣

يملوه أوراق نباتية دقيقة ، ثم صرتان لكل منهما شكل ثمانى مفصص ، بهما أوراق شجر على هيئة المظلة ، ويحيط بهما دوائر صغيرة ونجوم ، بالإضافة إلى بعض الأشكال الأخرى ، ثم توزيعها داخل حاشيتين .

لقد تم تصدير هذه الطنافس التى يغلب عليها الشكل المربع من مصر إلى أوربا ، حيث استخدمت هناك بمثابة مفارش للطاولات . ويلاحظ أن الوحدات الزخرفية للحاشية الرئيسية فى هذه الطنفسة تشبه إلى حد كبير حاشية سجادة تغطى طاولة تظهر فى لوحة شخصيته لمجموعة من الأفراد مع ليوناردو لوريدانو ، دوق البندقية ، قام برسمها الفنان الإيطالى حيوفانى بيللينى فى سنة ١٥٠٧م(١) .

وفى متحف رات بمدينة جنيف بسويسرا سجادة قاهرية مملوكية من الصوف مقاسها مقاسها ٢٠٤ × ١٧٠ سم ، تعود إلى القرن السادس عشر الميلادى وأخرى أسيوطية تعود إلى العصر العثمانى(٢) .

وفى مجموعة بروفيسور زاره الخاصة سجادة من النوع الذى اشتهر فى القاهرة فى النصف الأول من القرن ١٦ م . وتشبه هذه السجادة من حيث التصميم سجادة محفوظة بمتحف الفنون الجميلة ببوسطن وقطعة بمتحف المتروبوليتان وهما متشابهتان حيث الحجم والتفاصيل ، ويبدو أنهما صناعة يد واحدة(٣) .

وبالنظر إلى صورة السجادة المحفوظة بمتحف المتروبوليتان - ترجع إلى مصر فى بداية ق١٦م نجد تشابها كبيرا بينهما(٤) .

---

(١) دونالدكنج : الطنافس والمنسوجات (مقالة بكتاب كنوز الفن الإسلامى) جنيف ١٩٨٥م ، ص٣٣٢ ، لوحة ٣٣٤

(٢) محمد سعيد : كنوز الإسلام فى قلب أوروبا (مقالة بمجلة الدوحة ، العدد ١٢٤ ، رجب ١٤٠٦هـ/إبريل ١٩٨٦م ، ص٩٧) .

(3) Jon Thompson: Op. Cit., P. 16.

(4) Marie G. Lukens: The Metropolitan Museum of Art, Guid to the Collections, Islamic Art, 1965, P. 27, PL. 39.

وفى متحف المنسوجات فى واشنجتون مجموعة من السجاجيد التـــى ترجـــع إلـــى مصر فى عصر المماليك منها سجادة تزخرفها عناصر كأسية وهى منسوجة مـــن الوبـــر الأحمر والأخضر والأزرق ، ترجع إلى نهاية القرن الـــ ١٥م/٩هـــ مقاســـاتها : الطـــول ١,٨٦ متر – ١,٣٧ متر عرض يتوسطها مثمن يتوسطه جامة دائرية ويحيـــط بـــها فـــى أركان الشكل المثمن جامات مفصصة من أجزائها التى داخـــل المثمـــن والســـجادة بـــها زخارف نباتية محورة ، والأطار جامات مفصصة داخلها زخارف هندسية ونباتية[1] .

سجادة بمركز يأخذ شكل نجمى وإطارها مقسم إلى بحور وجامات وزخارفها ليست هندسية بحتة بل بها زخارف نباتية محورة داخل المناطق والبحور والجامات ، مصنوعـــة من خيوط صوفية حمراء وخضراء وزرقاء وبنية وصفراء ، ترجع إلـــى أوائـــل القـــرن السادس عشر المقاسات : الطول ٢ متر – العرض ١,٤٨ متر[2] . وسجادة تضـــم مثمـــن كبير ، مصنوعة من وبر أحمر وأخضر وأزرق وأصفر وعاجى ، ترجع إلى الربـــع الأول من القرن ١٠هـــ/١٦م .

الطول ١,٩٧ متر – العرض ١,٥٣ متر[3] .

ويحتفظ متحف اللوفر بباريس بسجادة ترجع إلى مصر فى عصـــر المماليك فـــى القرن ٩ – ١٠هـــ/١٥ – ١٦م – مقاساتها ١,٧٣ × ١,٢٥م ، برقم ٧٣٥٨٢.[4] .

وإلى جانب السجاد الذى يفرش فى الأرضيات عـــرف الســـجاد للصـــلاة ، وقـــد اشتهرت تركيا بصناعة هذا النوع من السجاجيد ، وأساس التصميم فيها يمثل محرابا فـــى أرضية السجادة ، وعلى جوانب هذا المحراب رسم أعمدة ، وقد يتدلى من فوقه مشكاة .

---

(1) Esin Atil: Renaissance of Islam Art of the Mamluks Washington, 1951, P. 245, PL. 125.

(2) Ibid, P. 246, PL. 127.

(3) Ibid, P. 248, PL. 128.

(4) Le Tapis d'Orient dans les Collections Francaises, un Mumero Special de Hali, P. 8, PL. I.

وإلى جانب السجاد كانت تفرش البيوت فـــى عصـــر الممـــاليك بمقـــاعد الحريـــر الزركشى والأنطاع[1] .

وقد جاء ذكر المقاعد ضمن موجود كلا من ابن زنبور[2] وســـــلار[3] وكـــان عـــدد المقاعد لدى الأخير خمسة وثلاثين مقعدا من الجوخ والمخمل من سائر الألوان والأنـــواع . وورد ذكر الأنطاع فى موجود ابن زنبور الذى كان له من الأنطاع ما بين كبار صغـــار ، ثلاثون[4] ألف نطع[5] .

واستعمل المقادسة أيضا - فى عصر المماليك - النطوع للجلوس عليـــها ومـــع أن مادتها الأساسية الأدم (الجلد) فقد أضيف إليها قطعه بساط تكون فى وســـطه ، ويلاحـــظ أن النطوع كانت سائدة فى القدس[6] .

ويأتى بعد السجاد كفرش عام الطراريح والحصر ، فكانت الطراريح تفـــرش علـــى الأرض ، ومعظم الطراريح التى التقطناها من الوثـــائق تختلـــف ألوانـــها بيـــن الزرقـــاء والبيضاء والحمراء ، وقد تكون بوجه فقد عثرنا فى الوثائق على طراحـــة بوجـــه قدســـى وبطانة زرقاء وغيرها بطانة حمراء أو بيضاء[7] .

---

(١) المقريزى : السلوك ، ط. ٩ جـــ٢/قسم ٣ ، ص٦١٢

(٢) ابن أياس : المصدر السابق ، جـــ١/القسم ١ ، ص٤٣٨

(٣) المصدر نفسه ، ص٥٤٥

(٤) نفس المصدر السابق ، ص٥٤٥

(٥) نطع : بساط ، عبد النعيم حسين : المرجع السابق ، ص٧٤١
النطع بالكسر وبالفتح وبالتحريك بساط من الأديم ج أنطاع ونطوع .
الفيروز أبادى : القاموس المحيط ، ط. ٥ ، جـــ٣ ، ص٨٩
، النطع المتخذ من الأديم معروف وفيه أربع لغات فتح النون وكسرها ومع كل واحد فتـــح والطـــاء وسكونها والجمع أنطاع ونطوع المقرى : المصباح المنير ، جـــ٢ ، ص٦١١

(٦) محمد صالحية : المرجع السابق ، ص٣٤

(٧) المرجع نفسه ، ص٣٤

وبالنسبة للحصير ، فقد استخدم الحصير فى فرش الأرض فى عصر المماليك[1] ، ففرشت به المنازل كقصر يلبغا وفرشت به أرضية أغلب المدارس والمساجد والخوانق والمكاتب[2] .

ويبدو أنه كان هناك مكان أساسى لبيع الحصر التى كانت تستخدم فى المنازل والمساجد . عرف هذا المكان باسم « فندق الحصر » ، وفيه كانت تباع الحصر الرفيعة والحصر القطبان التى اشتهرت إقليم الفيوم بصناعتها فى عص سلاطين المماليك[3] .

وكان هذا الفندق بموردة الحلفاء عمره المقر الأشرف المرحوم السيفى تنكز الحسامى وكان وقفا على أولاده من بعده[4] .

وقد كان الحصير من أهم أثاث المرأة العربية فى الجاهلية والإسلام وكان منه المنمق المنقوش . وفى النساء صوانع خصصن بتنميق الحصير قال النابغة :

كأن مجر الرامسات ذيولها عليه حصير نمقته الصوانع[5]

ولاستخدام الحصر تاريخ طويل فقد استخدمه قدماء المصريين لأغراض متعددة فى حياتهم الدنيوية والدينية على السواء ، وكانت الأنواع الممتازة منه تستعمل للفرش وللف جثث الموتى . أما الأنواع الأقل جودة فكانت تستعمل لتغطية أرضية المنازل الطينية أو لفرشها فى المقابر . ولم يقتصر استعمال المصريين للحصر على العصر الفرعونى ، بل امتد فى سلسلة متصلة عبر التاريخ ، ولأغراض متعددة كما كان الحال فى العصر

---

(١) المرجع نفسه ، ص٣٤

(٢) د. عبد اللطيف إبراهيم : من الوثائق العربية ، نصان« جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة مجلد ٢٨ ، ١٩٦٦ ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٧١ م ، ص٥١ ، ٥٢

(٣) د. قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك ، دار المعارف ، ١٩٨٣ ، ط. ٢ ، ص١٢٤

(٤) ابن دقماق : الانتصار لواسطه عقد الأمصار ، الطبعة الأولى ، بولاق ، ١٣٠٩هـ الجزء الرابع ، ص٤٠

(٥) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص١٣٤

الفرعونى فقد استعملته مصر المسيحية والإسلامية للأغراض الدنيوية والدينيـــة أيضـــا . فاستعمله المصريون فرشا لتغطية الوسائد والأرائك وسترا لتزيين الحوائط ، كما اســتعملوه لتغطية الأرضية فى الكنائس والمساجد ودور السكنى ، وكان فى العصور الأولى للإســلام يستعمل فى المقابر لدفن الموتى ، كما استخدم كفراش للأرض[1] وللأسرة[2] .

واستمر استخدام الحصر فيما تلى ذلك من عصور ، ففى عام ٥٣هـ/٦٧٣م أمـــر الخليفة معاوية بن أبى سفيان مسلمة بن مخلد أن يوسع جامع عمرو ابن العـــاص بمدينـــة الفسطاط وقام بفرشه بالحصير بدلا مـــن الحصبـــاء[3] ، وافـــترش العباســـيون الحصـــر المنسوجة بالذهب المكللة بالدر الياقوت[4] .

ومن العادات الطريفة فى الأفراح هو ما حدث فى ليلة زفاف بوران بنـــت الحســـن ابن سهل إلى الخليفة المأمون سنة ٢١٠هـ/٨٢٦م فقد فرش للمأمون حصـــيرا منســـوجا

---

(١) سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر ، ص٧٦

(٢) ذكر ابن الأثير حديث لعمر رضى الله عنـــه يتضـــح منه أن الحصـــير اســـتخدم كفـــرش لســـرير رسول الله ﷺ .

ابن الأثير : المرجع السابق ، جـــ٢ ، ص١١٠

وذكر البلوى حديثا فى هذا الشأن أيضا :

البلوى : المصدر السابق ، جـــ١ ، ص١٣٠ ، ١٣١

كما يتضح استخدام الحصير كفرش عند الصلاة من حديث لأم مسلمة جاء فيه ذكر الخمرة وهى مقدار ما يضع الرجل عليه وجهه فى سجوده من حصير أو نسيجه خوص ونحوه من النبات .

ابن الأثير : المصدر السابق ، جـــ٢ ، ص١١١

واستخدام الحصير كفرش للمنازل أيضا فمما جاء من أحاديث فى النهاية لابن الأثـــير « أن أفضـــل الجهاد وأجمله حج مبرور ثم لزوم الحصر أى أنكن لا تعدن تخرجن من بيوتكن وتلزمن الحصر » .

وهى جمع الحصير الذى يبسط فى البيوت وتضم بالصاد وتسكن تخفيفا .

ابن الأثير : المصدر السابق ، جـــ١ ، ص٢٦٦

(٣) المقريزى : الخطط ، جـــ٢ ، ص٢٤٨ .

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـــ٢ ، ص٤٩٠

بالذهب ، ولما وقف عليه نثرت عليه لآلئ كثيرة ، وكان وزن هذه الحصير عشر رطـــلا وجليت عليها بوران عروس المأمون[١] .

ومما يذكر أن العباسيين كانت ترد إليهم الحصر من عبدان[٢] . وتقع مدينة عبـــادان تلك جنوبى البصرة قرب الخليج الفارسى فى جزيرة محاطة بمياه مصارف دجلة والفـرات وكانت مشهورة بصنع الحصر[٣] . وكانت حصرها تقلد فى مصر وفـــارس[٤] . وقـد زار ناصر خسرو مصر فى العصر الفاطمى (٤٣٩هـ/١١٠٨م) ، وذكر أنـــه رأى بجـامع عمرو بن العاص حصيرا وصفه بقوله : « ويفرش هذا المسجد بعشر طبقات من الحصير الجميل الملون بعضها فوق بعض »[٥] .

وذكر المقريزى الحصر من بين ما وجد بخزائن الفـــرش والأمتعـــة الفاطميـــة[٦] . ويبدو أن صناعة الحصر كانت مزدهرة ومنتشرة فى مصر فى عصر الفـــاطميين فممـــا يذكر أنه كان بمصر فى ذلك الوقت تسع مائة منسجا للحصر ، ولكـــن عندمـــا تدهـــورت الصناعات فى نهاية الحكم الفاطمى لم يتبق إلا خمس عشرة منسجا[٧] .

هذا وتختلف أنواع الحصر فمنه الأبيض المنسوج على خيط الكتان وهو من أحســـن الأنواع ولكنه أقل جودة من الحصير العبدانى .

---

(١) الرشيد بن الزبير : المرجع السابق ، ص٢٥٦

(٢) وجاء اسم عبدان بتشديد ثانية وفتح أوله من العباد الرجل الكثير العبادة وأما الحاق الألف والنون فهى لغة مستعملة فى البصرة ونواحيها وأنهم إذا سموا موضعا أو نسبوه إلى رجل أو صفه يزيدون فـــى آخره ألفا ونونا . وكان بهذا الموضع قوم مقيمون للعبادة .
انظر : ياقوت : المرجع السابق ، جـــ٦ ، ط. ١ ، ص١٠٤

(٣) سعاد ماهر : الحصير فى الفن الإسلامى ، القاهرة ، ص١٤

(٤) آدم متز : المرجع السابق ، ط. ٢ ، جـــ٢ ، ص٣٥٥

(٥) ناصر خسرو : سفر نامه ، ترجمة د. يحيى الخشاب ، الطبعة الأولى ، ص٥٩

(٦) المقريزى : الخطط ، جـــ١ ، ص٤١٧

(٧) عبد اللطيف البغدادى : عبد اللطيف البغدادى فى مصر ، طبعة القاهرة ص٦٩

وهناك نوعان من الحصير أقل جودة من العبدانى ، وهما الحصر القطبان وتصنـــع من نبات برى تعمل منه الحبال ، والحصر والسمار وتصنع من أعشاب السمار التى تنمـو فى مصر العليا والسفلى ، أما العبدانى فيستنبت سمارها بمصـــر جهـــة الفرمـــا وتصنـــع بالإسكندرية[1] .

* * *

(١) د. عبد اللطيف إبراهيم : نصان جديدان من وثيقة صرغتمش ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ٢٨ ، ١٩٦٦ ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٧١م ، ص٥١ ، ٥٢

الفصل الأول

رابعا : أدوات الإضاءة

رابعا : أدوات الإضاءة

أدوات الإضاءة من الأدوات الهامة التي لاغني عنها لكل منزل وقد احتوى جـــهاز كل عروس في عصر المماليك عليها ، فيذكر المقريزى وهو بصدد الحديث عـــن ســوق الكفتيين وعن الدكة المصنوعة من النحاس المكفت التى كانت توجد بجهاز كل عروس أنــه كان فوق هذه الدكة _ عدا دست الطاسات ودست الأطباق – " المناير والسرج "[1] .

ويذكر ابن شاهين أن بعض الخوندات نصبت القاعة الكبرى المعروفـــة بـــالعواميد وكان من ضمن ما تحويه منارة من ذهب عليها جوهرة تضئ بـــالليل[2] . ويفســر ابــن منظور المنارة بأنها التى يوضع عليها السراج[3] . إذا المناير حوامـــل مرتفعــة لوضــع السرج .وربما أطل عليها هذا الاسم لارتفاعها كالمنارة (المئذنة) أو لأنها منبـــع النــور ففوقها توضع المصابيح .

ويذكر عبد الله عفيفى – ما يؤيد ذلك – وهو يعدد ما تحويه غرفة المراة العربيـــة فى الجاهلية والإسلام بأن بها المسرجة وموضعها فوق المنارة . وما يشـــتغل فيــها هــو السراج[4] .

هذا ومن أدوات الإضاءة التى ورد ذكرها فى وثائق الحـــرم القدســـى المملوكيــة " منارات خشب ونحاسية "[5] .

---

(١) الخطط ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .

(٢) زبدة كشف الممالك ، ص ١٢١ .

(٣) المنار والمنارة موضع النور والمنارة الشمعة ذات السراج والمنارة التى يوضع عليـــها الســراج . والجمع مناور على القياس ومنائر مهموز على غير قياس . التى يؤذن عليها وهى المئذنة والمنـــار محجة الطريق .انظر : ابن منظور : المرجع السابق ، ج٧ ، ص٩٩ ، ١٠٠ .

(٤) المرأة العربية فى الجاهلية والإسلام ، الجزء الأول ، ص ١٣٦ .

(٥) صالحية :ص ٣٧ .

والسرج[1] جمع سراج وهو من أدوات الإضاءة الصغيرة التى يسهل حملـــها مـــن مكان لآخر .

وللأسف لم يبق لنا الزمن على نماذج من هـــذه المنـــاير والســـرج التـــى ذكرهـــا المقريزى أى النحاسية المكفتة ، ولكن توجد نماذج كثيرة جدا من السرج المصنوعة مـــن الفخار والخزف للاستعمال اليومى وتمتاز بالبساطة وقلة التكاليف ولكنها لم تخل من حســن الذوق ودقة الصناعة وروعة الابتكار . (لوحات ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨) .

وتختلف هذه المسارج فى الشكل فمنها البيضة والمستطيلة التى ترتكز على أربـــع قوائم صغيرة ، ومن أنواعها الشائعة ما يشبه شكل أبريق صغير له رقبة ومقبض وتخـــرج من بدنه شعبه طويلة للأشعال وقد تتعدد هذه الشعب فتصل إلى أربعة فأكثر .

وينفسح المجال أمام الخزاف فى هذا النوع من المسارج بشكل الأبـــاريق ، فنجـــد بعض تحفة ذات جدارين ، الخارجى منها بشكل شبكة ذات زخارف هندســـية مفرغـــة ، والداخلى لحفظ الزيت .

وفى بعض هذه المسارج لا يصب الزيت من فوهة الأبريق وإنما تجعل لـــه فتحـــة خاصة فى المقبض يصب منها ويتخلل جدار الأنية ، وكثيرا ما تشكل مقابض هذه الســـرج على هيئة حيوانات صغيرة كالقطط ونحوها .

---

(١) (سرج) السراج الزاخر بفتيلة ودهن ويعبر به عن كل مضئ قال وجعل الشمس ســـراجا وهاجـــا يعنى الشمس يقال أسرجت السراج وسرجت كذا جعلته فى الحسن كالسراج - والسرج رجل الدابـــة والسراج صانعه .

انظر : الراغب الأصفهانى : مفردات فى غريب القـــرآن- فى الجـــزء الثـــانى لنهاية ابن الأثـــير - (هامش أيسر) ،ص ٤٧ .

السراج بالكسر هو المصباح الزاهر الذى يسرج بالليل جمعه سرج وقد أسرجت السراج إذا أوقدتـــه والمسرجة بالفتح التى يوضع فيها الفتيلة والدهن والسراج الفتيلة الموقودة وإطلاقه على محلها مجـــاز مشهور ووضع المسرجة على المسرجة المكسورة التى فيها الفتيلة والمفتوحة التى توضـــع عليـــها . والسراج متخذه وصانعه أو بائعة وحرفته السراجة .

محمد مرتضى الحسينى (محي الدين أبوالفيض) : شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهـــو القاموس ، الجزء الثانى ، مصر ، ص ٥٨ .

ومن المسارج ما يشبه صحنا صغيراً شكلت حافته بالضغط إلى الداخل فى بعض أجزائها فكونت شعبة للإشعال ، وقد يتصل هذا النوع بحامل طويل فى أسفله ينتهى بصحن للارتكاز فيصير شكله كالشمعدان .

هذا عن أشكال المسارج ، أما عن ألوانها وزخارفها ، فمن أقدم الأنواع الإسلامية نوع مصنوع من الفخار يترك دون طلاء وزخارفه بارزة مطبوعة فى الغالب وتتألف من رسوم حيوانية وعناقيد العنب وبعض كتابات كوفية بخط بسيط .ويلى هذا النوع فى التاريخ حوالى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى نوع آخر لوزى الشكل أو مستطيل يرتكز على أربع قوائم صغيرة وطلاؤه الزجاجى أصفر محاك للذهب ، أو أخضر ، وزخارفه بارزة مطبوعة بالقالب أيضاً ، وتتألف هذه الزخارف من أشكال لوزية تشبه القلب أو طواويس صغيرة .

أما فى العصر الفاطمى فنجد فيه مسارج من الخزف ذات طلاء زجاجى من لون واحد كاللأخضر والأزرق الفيروزى ، أو اللون الزبدى الذى نجده أحياناً مرشوشا بالأزرق أو البنفسجى .

ومن هذه المسارج ما يشبه كأساً مضلعاً مرتكزاً على أربع قوائم وله شعبة للإشعال فيشبه شكل الكلجة – وهى كلمة تطلق على حامل الزيروكانت تصنع غالباً من الرخام ولها حوض بارز يرشح فيه ماء الزير ومنها ما هو على شكل أبريق كما ذكرنا وبعض هذا النوع الأخير تزخرفه رسوم نباتية وهندسية وكتابات بالبريق المعدنى فوق طلاء أبيض وأزرق ، فيروزى ، بنفس أسلوب الخزاف الفاطمى الشهير " سعد" فى أواخر القرن الحادى عشر والقرن الثانى عشر الميلاديين . وتنسب إلى عصر الأيوبيين والمماليك مسارج ذات أشكال متنوعة من الخزف والفخار ، تزخرف بعضها رسوم بالأسود والأزرق تحت الطلاء الزجاجى الشفاف ، وقد نجد على بعضها رنوكا كعصاتى البولو مثلاً مما يساعد على تحديد عصرها .

ومن المسارج نوع مصنوع من الفخار المطلى بالميناء ، وعليه زخارف هندسية، ورسوم حيوانية أو كتابات نسخية نجد مثيلاً لها فى أوانى الفخار المطلية بالميناء فى العصر المملوكى .

ومن الطريف أن نذكر هنا أن بعض المسارج الفاطمية من ذات اللون الواحد والتى تنسب على الأرجح إلى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، كانت مقابضها تزخرف بهيئة فيران تصعد إلى المسرجة لتشرب الزيت . كما نجد كثيراً من مقابض هذا النوع من المسارج بشكل قط متربص عند الفوهة ينتظر قدوم الفأر وربما قصد بذلك إخافة الفيران وأرهابها .

وعلى مقابض بعض هذه المسارج نجد القط ممسكاً بفأر يحاول الوصول إلى الزيت وقد احتاط الخزافون لهذه الحالة فى صنع بعض المسارج . فجعلوا فى فوهات الأباريق مصاف تمنع وصول الفيران إلى الزيت ، وفى بعضها الآخر جعلوا ثقب صب الزيت ضيقاً فى أعلى المقبض ،ويحجز الزيت فى الفراغ بين جدار المسرجة المزدوج فلا يصل إليه شئ[1] .

هذا وقد استخدمت المسارج فى إشعال البحر للاحتفال بالسلطان فى عصر المماليك – فيذكر ابن حجر فى حوادث سنة ٨٢١هـ / ١٤١٨م أنه فى المحرم « توجه السلطان إلى وسيم فأقام هناك نحو العشرين يوماً ، ثم رجع فنزل بالقصر الغربى بمبابة وأمر الوالى أن يشعل البحر ، فحصل من قشور النارنج والبيض ومن المسارج شيئاً كثيراً إلى الغابة وعمرها بالزيت والفتايل وأوقدها وأرسلها فى الماء ، ثم أطلق فى غضون ذلك من النفط الكثير فكانت ليلة عجيبة مر فيها من الهزل والخف مالا عهد للمصريين بمثله ، وكان الجمع فى الجانبين من الناس المتفرجين متوفرا ، وفى البحر من المراكب جمع جم»[2] .

وتنوعت أدوات الإضاءة فى مصر المملوكية فوجدت التنانير (الثريات) النحاسية الضخمة والقناديل والشماعد الضخمة ، والمشكاوات والفوانيس .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بمجموعة كبيرة من التنانير المختلفة الأشكال معظمها من القرنين ٨ – ٩ هـ/١٤ – ١٥م ويشبه قبة ذات طبقات لوضع

---

(١) عبد الرؤوف على يوسف : تحف من الفن الشعبى فى مصر الإسلامى ص ١٦٦ – ١٦٨ .

(٢) أبناء العمر بانباء العمر ، جـ٢ ،ص ١٥٥ .

القناديل ومن أبدع أمثلتها تنور من نحاس على شكل منشور مثمن ، يتـــألف مـــن ثـــلاث طبقات مخرمة ، ونرى فى أعلاها وفى أسفلها ومن الطبقتين الأولى والثانيـــة والطبقتيـــن الثانية والثالثة أربعة دربزينات (أسوار) بارزة وفيها خـــروق للبزاقـــات (القنـــاديل) . وفوق الطبقة العليا شرفات على شكل زهرة الزنبق ، ويوجد مثلها أيضاً الطبقة الوســـطى حول عصابة من النحاس منقوش عليها كتابة تاريخية . أمـــا الدورتـــان العليـــا والســـفلى فعليهما زخارف من أشكال متعددة الأوضاع فى أوضاع نجمية . وفوق الثريا قبة صغـــيرة وهلال ، على نحو ما ترى فوق مآذن المساجد ومع أن مثل هذه الثريا معد للتعليق فإن لـــها أرجلا يمكن أن تقوم عليها . وطراز هذه الأرجل فى أكثر الأحيان ليس أنيقاً وهـــى فـــى الثريا التى نحن بصددها متصلة بعضها ببعض بواسطة عقود لها فصوص وكوشات هـــذه العقود(أى أركانها) مزخرفة برسوم مخرمة .

وتسجل الكتابـــة التاريخية على هذه الثريا أنها باسم السلطان المملوكـــى النـــاصر حسن . وقد كانت فى مدرسته التى شيدها سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٢م. ومن هذه التنانير واحـــد على شكل هرم غير كامل ولـــه ســـتة أوجـــه وتحته تسعة عشر ثقباً أسطوانياً تركب فـــها " القرايات " (أقداح الزيت) وفوقه خوذه . وعلى هـــذه التحفـــة كتابـــة باســـم الســـلطان قايتباى . وبالمتحف تنور آخر يشبه هذا التنور وقدكان هذان التنورآن فـــى جـــامع ابنتـــه زوجة السلطان قايتباى بمدينة الفيوم سنة ٩٠٥هـ/١٤٩٩م . ولكنهما صنعـــاً قبـــل وفـــاة السلطان سنة ٩٠١هـ واستعملا قبل نقلهما إلى الجامع المذكور[١].

وبالمتحف تنور آخر من البرونز على شكل هرم ناقص ذى ثمانية أضلاع مركـــب من ثلاث طبقات ومتوج بكرة وهلال مثل المنارات ومنقوش على الطبقة الوســـطى كتابـــة تتضمن على اسم الأمير عبد الباسط (٨٢٢هـ/١٤١٩م) أما الطبقتان الآخريـــان منـــهما مخرمتان بأشكال نجمية كثيرة الأضلاع . ع: ٢٢٥سم – قطر: ٧٧ ســـم رقـــم ســـجل : ٣٨٢[٢].

---

(١) د. زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٥٥٨ ، ٥٥٩ .

(٢) Wiet : Album Du Musee Arab, p. 56.

وبالمتحف أيضا ثريا من النحاس الأصفر المخرم ذى اثنى عشر ضلعا مكونة من أربع طبقات مزينة بأشكال نجمية كثيرة الأضلاع ويقول صانعها بدر بن أبى يعلا أنه أتمها فى مدة أربعة عشر يوما وهى باسم الأمير قوصون ومؤرخه بسنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م أما الصينية التى أسفل الثريا فمنقوش عليها جامات باسم السلطان حسن المتوفى سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م.

ع: ٢٦٠ – قطر : ١٠٧ – قطر ١٥٠ ، رقم ٥٠٩ ، ٢٤٣[١] .

كما يحتفظ نفس المتحف بمجموعة من الثريات المعدنية باسم الأشرف قانصوه الغورى ، منها ثريا من النحاس المخرم بأشكال نجمية كثيرة الأضلاع مركبة من ست طبقات على إحداها ألقاب السلطان الغورى وتاريخ صنعه سنة ٩٠٩ هـ/١٥٠٣ ويشابه الجزء العلوى لهذا التنور الأهلة التى توضع على المنارات ع: ٣٠٣ سم – قطر ٩٦٠ سم – رقم السجل ٥٠٩[٢] وثريا أخرى من النحاس والبرونز صنعت لقبه الغورى بالغورية سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م – برقم سجل ٢٣٩[٣] .

وبالمتحف أيضا ثريا من النحاس عبارة عن حمالة قناديل شغل مفرغ بها سبعة كيزان لوضع القناديل عليها وبسلاسلها كرات نحاس وبغطائها كتابة وأصلها من جامع أحمد بن طولون (لوحة ١٤٢) ، شكل (١٦) ، ومعظم هذا الثريات ذات ضخامة وفخامة تجعلنا نرجع أنها صنعت لتوضع فى أبهاء وحجرات القصور والمنازل المملوكية الواسعة الأرجاء – وذلك إلى جانب استخدامها فى إنارة المدارس والمساجد والقباب المملوكية – فقد وضع بقاعة البيسرية التى بناها السلطان الملك الناصر حسن بن محمد ابن قلاوون فى قصره سنة ٧٦١هـ/١٣٦٠م تسع وأربعون ثريا ، وكان جملة ما دخل فيها من الفضة البيضاء الخالصة المضروبة ٢٢٠,٠٠٠ درهم ، كلها مطلبة بالذهب[٤] .

---

(١) Ibid, p. 48.

(2) Ibid, p. 48 .

(٣) د. عبد الرحمن فهمى محمد : خاتمة رائعة لفنون المماليك ص ٢٠٢ .

(٤) د. محمد جمال الدين سرور ، دولة بنى قلاوون فى مصر ص ٣٠٦ .

ومن وسائل الإضاءة التى وردت فى الوثائق القناديل الصغيرة والقناديل المصفحة بالنحاس والقناديل الزجاجية فى بيت خشى[1] .

هذا وقد وجدت القناديل من الذهب فى عصر المماليك ، فمما يذكر أنه فى شهر رمضان عام ٧٠٥هـ/١٣٠٥م جاء كتاب من مقدم الخدام بالحرم النبوى يستأذن السلطان فى بيع طائفة من قناديل الحرم النبوى لينفق ذلك ببناء مأذنة عند باب السلام الذى عند المطهرة ، فرسم له بذلك ، وكان فى جملة القناديل قنديلان من ذهب زنتهما ألف دينار ، فباع ذلك وشرع فى بنائها[2] .

وفى ربيع الآخر سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٣م مرض السلطان الملك الصالح عماد الدين أبو إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن عبد الملك المنصور قلاون برعاف وعندما عوفى حملت أمه " إلى مشهد السيدة نفيسة قنديل[3] ذهب زنته رطلان وسبع أواق ونصف أوقية "[4] .

هذا وكانت القناديل والشموع تستخدم فى إضاءة الدكاكين فى المناسبات السعيدة ، ففى جمادى الآخر سنة ٩١٨ هـ / ١٥١٢م أخرج السلطان الغورى على الزينى بركات بن موسى المحتسب ، الذى كان قد قبض عليه لتشاجره مع الجمالى يوسف البدرى الوزير خروجه عليه فى القول أمام السلطان ولما أخرج عنه السلطان نزل من القلعة فى موكب حافل بعد أن ألبسه والسلطان كاملية صوف وزينت له القاهرة ووقدت له الشموع والقناديل على الدكاكين[5] .

ومما يجب ذكره أن اليهود فى مصر فى عصر المماليك كانوا يوقدون المصابيح على أبواب دورهم فى عيد الحنكة أو الحانوكة – وهو ثمانية أيام – وفقا لعد تصاعدى ،

---

(١) صالحية : المرجع السابق ، ص ٩٧ .

(٢) أبو الفداء : المرجع السابق ، الجزء ١٤ ، ص ٣٨ .

(٣) القنديل المصباح ج قناديل .

انظر : بطرس البستانى : قطر المحيط ، الجزء الثانى ، ص ١٧٨٣ .

(٤) المقريزى : السلوك ، الجزء الثانى / القسم الثالث ص ٦٢٤ ، ٦٢٥ .

(٥) ابن إياس : المصدر السابق ، الطبعة الثانية ، الجزء الرابع ، ص ٢٧٤ .

ففى الليلة الأولى يوقدون قنديلا واحدا وفى الليلة الثانية اثنين وهكذا حتى تتم ثمانية قنـــاديل فى اليوم الثامن(١).

والقنديل العادى عبارة عن وعاء زجاجى صغير ، ذى انبوبة صغيرة فـــى قاعـــة ، يدخل فيها ذبالة من القطن تلف على عود من القش ، ويصب فيـــه المـــاء ثـــم الزيـــت ، وللقنديل غطاء خشبى يقيه شدة الهواء وكثيرا ما يعلق القنديل على مدخل المنازل . ويخيـم على داخل البيوت أثناء الليل جو قاتم ثقيل(٢).

وذكر ناصر خسرو أن أهل مصر يوقدون فى ليالى المواسم بجامع عمرو أكثر مـن سبعمائة قنديل . ويقال إن وزن هذه الثريا خمسة وعشرون قنطارا فضة ، كل قنطار مائـة رطل وكل رطل أربعة وأربعون ومائة درهم . ويقال انه حين تم صنعها لم يتسع لها بـــاب من أبواب المسجد لكبرها فخلعوا بابا وادخلوها منه ثم ردوا الباب مكانه . ويضاء كل ليلـة بأكثر من مائة قنديل(٣).

وأشار ناصر خسروا أيضا إلى وجود سوق على الجانب الشمالى لمســـجد عمـــرو يسمى " سوق القناديل " لا يعرف سوق مثله فى أى بلد ، وفيه كل مـــا فـــى العـــالم مـــن طرائف(٤).

ويذكر د . زكى حسن أن هذا السوق لم يكن يسمى بســـوق القنـــاديل نســـبة إلـــى مصابيح كانت تصنع فيه كما زعم بعض مؤرخى الفن الإسلامى ، فقد نبه فييـــت إلـــى أن منشأ هذه التسمية أن سكان هذا الحى كان لكل منهم قنديلا معلقا على باب مسكنه(٥).

ويبدو أن هذا السوق كان يقع بزقاق القناديل ومن هنا جاءت تسميته فزقاق القنـــاديل من الأزقة المشهورة بمصر الفسطاط وقيل إنما وسم بزقاق القنـــاديل لأنـــه كـــان منـــازل

---

(١) قاسم عبده قاسم : أهل الذمة فى مصر ، ص ١٢٧ .

(٢) لين : المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

(٣) سفر نامه ، ص٥٩

(٤) سفر نامه ، ص ٥٩

(٥) كنوز الفاطميين ، ص ١٨٠ ، ١٨١ .

الأشراف وكان على أبوابهم القناديل وقيل إنما قيل له زقاق القنديل لأنه كان برسمه قنديل موقد على باب عمرو وقيل هو من الخطط القديمة وله أربع مسالك الأول من شارع خلف الجامع الثانى يسلك إليه من درب القسطلانى الثالث يسلك إليه من زقاق تربة عفان الرابع من سوق بربر وكان به دار عمرو بن العاص(١).

هذا ووجدت الشماعد بكثرة فى عصر المماليك ويبدو مما وصلنا منها سواء بمصر أو خارج مصر أنها كانت تأخذ شكلا مميزا عبارة عن جسم يأخذ شكل هرم ناقص مثبت بمنتصف قمته العليا جزء أسطوانى يأخذ شكل الشمعة يستخدم فى وضع الشموع . وكان الشمعدانات من الذهب والفضة والنحاس المكفت .

وجاء ذكر الشماعد من هذه المواد مجتمعة فى خطط المقريزى الذى ذكر أن زوجة السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون خوندا ردوتكين ابنة نوكيه كانت حاملا فظن السلطان أنها تلد ابنا ذكرا يرث الملك من بعده فأخذ عندما قاربت فى الوضع فى الاحتفال ورسم لوزيره الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس أن يكتب إلى دمشق بعمل مائة شمعدان نحاس مكفت بألقاب السلطان ومائة شمعدان آخر منها خمسون من ذهب وخمسون من فضة .. وألف شمعة وأشياء كثيرة فقدر الله تعالى أن تلد بنتا فانقبض وكره أبطال ما قد اشتهر عنه عمله فأظهر أنه يريد ختان أخيه محمد وابن أخيه مظفر الدين موسى بن الملك الصلح على بن قلاوون(٢).

ويحتفظ متحف الفن الاسلامى بالعديد من الشماعد النحاسية الزخرفة والمكفتة أو أجزاء منها . فيوجد به رقبة شمعدان(٣) من نحاس مكفت بالفضة ، باسم الأمير كتبغا ١٢٩٤ م – الذى ارتقى عرش مصر فى سنة ٦٩٣ ه / ١٢٩٤ م برقم سجل ٤٤٦٣ ، وقد زينت هذه الرقبة بشريطين من الكتابة ، الأعلى كتابة نسخية صنعت بأناقة وتداخل فى الحروف بحيث تعطى القيمة التشكيلية المعبرة عن الاستمرار والدوران مع جسم رقبة

---

(١) ابن دقماق : الانتصار ، الطبعة الأولى ، بولاق ، ١٣٠٩ ه ، الجزء الرابع ص ١٣ ، ١٤ .

(٢) الجزء الثانى ، ص ١١٢ .

(٣) شمعدان : جمعها شمعدانات أو شماعد .

Dozy: Op. Cit., T.I. , P. 788.

الشمعدان ، وهذه الكتابة البارزة قليلا يفصل بينها جامات دائرية مزخرفة بزخارف هندسية ، وأرضية الكتابة بها علامات تختلف فى قيمتها الملمسية عن الخط النسخى المكتوب فوقها مما يعطى تنوعا فى هذه القيم الملمسية ، والضوء الذى يسقط على الحروف الفضية يعطيها الأهمية التى تجذب النظر إليها ، وتتابع الحروف القائمة كالألف واللام وضع فى أبعاد متناسقة تعطى اتجاها صاعدا ، بالأضافة إلى الاتجاة الدائرى ، وفى الجزء الأسفل من الرقبة شريط آخر به كتابات ، النهايات العلوية لها مصورة على أشكال أشخاص كأنما تمارس الحياة اليومية ، وهذا الأسلوب فى معالجة الكتابة على هذه الهيئة البشرية يؤكد الفنان الكامن إلى تصوير المحال وهو غاية من غايات الفنان المسلم فى معالجته للكائنات الحية .والشريطان العلوى والسفلى مختلفان فى المساحة اختلافا يحقق التناسق بين جزئى رقبة الشمعدان ، كما أن الكتابة السفلية ذات الأشكال الأدمية تبعد بقدر كاف عن الجزء السميك العلوى مما يؤدى الاستفادة من الظل الذى يحدثة الجزء العلوى على السفلى لتاكيد وضوح الكتابة الأدمية ، ولتحقيق التنويع وأحكام الاتساق أضاف الفنان عددا آخر من الأشرطة الضيقة الدائرية ذات الزخارف البيسطة لكى يزيد فى أناقة الشمعدان ، ويؤكد من جهة أخرى النصوص الزخرفية الخطية والاحساس الكلى الذى تعطيه رقبة هذا الشمعدان ، والتكامل بين الشكل الكلى والقيم الضوئية وملامس السطوح والقيم الخطية والسطوح الأخرى[1]. ع : ١٤ سم قطر ٨ سم[2].

وبالمتحف قاعدة شمعدان نحاس مكفت بالذهب والفضة منقوش عليها سطران بالخط الكوفى المجدول بحروف من فضة ويتخلل الكتابة هنا وهناك وردات من الذهب أما الكتابة المنقوشة بالخط الكبير فتدلنا على أن هذا الشمعدان قدم للحرم النبوى الشريف ومقدمة هو سنقر التكريتى . القرن ٧ ه / ١٣ م – ٢٣ – قطر ٣٥ سم رقم سجل ٧٩٤٩[3].

---

(١) أبو صالح الالفى : المرجع السابق ، ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

(2) Wiet : Op. Cit., P. 44

(3) Ibid, p. 43.

وشمعدان من النحاس يتبين من الكتابة المنقوشة علية أنه صنع فى سنة ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢ م لتزين به الحجرة النبوية الشريفة بالمدينة المنورة نقشه مرتب بحيث تظهر الأطراف العلوية للحروف متقاطعة بشكل متماثل على هيئة مقصات . ع ٤٨ – قطر ٣٧ سم برقم سجل ٤٧٢[1].

ويحتفظ متحف جاير أندرسون بمجموعة من الشماعد منها شمعدان مملوكى ويحتفظ المتحف القبطى بشمعدان صنع فى القرن الثالث عشر الميلادى عثر عليه بكنيسة مارمينا بفم الخليج وهو على شكل تنينين مكفتين بالفضة وبه خمس مغارس للشمع . [2]

وتحتفظ المتاحف الخارجية بنماذج للشماعد فتحفتظ دار الأثار العربية بالكويت بشمعدان من البرونز ، مزخرف بالحفر والتكفيت بالفضة والنحاس الأحمر يرجع الى مصر أو بلاد الشام ، النصف الأول من القرن ٨ هـ النصف الأول من القرن ١٤ م . القطر ٣٨ سم –الارتفاع ٣٣سم ونص الكتابات حول مكان تثبيت الشمعة نصها /:

المقر العالى المولوى الأ/ميرى الكبيرى البدرى بدر الدين / بكتو (ت) القرمانى الناصرى . حول الصينية نصها : " مما عمل برسم المقر العالى المولوى الأميرى الكبيرى الما /لكى البدرى بدر الدين بكتوت القرمانى المالكى الناصرى " . حول البدن نصها : " مما عمل برسم النقر العالى المولوى الأميرى الكبيرى ١/ لمالكى البدرى بدر الدين بكتوب القرمانى الملكى الناصرى " .

وقد آثر صناع التحف المعدنية فى العصر المملوكى إنتاج الشماعد ذات الشكل الشبيه بالطبل أو الهرم المقطوع ، التى استخدمت فى وقت مبكر فى كل من خراسان فى نهاية القرن ٦ هـ / ١٢ م وفى مصر وبلاد الشام فى العصر الأيوبى ، بدلا من الشماعد ذات البدن المميز بمقطعه الجانبى المقعر[3].

---

(1) Ibid, P. 57.

(٢) محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون ، ص ٣٠٧ .

(٣) غادة حجاوى قدومى : المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

ويحتفظ متحف اللوفر بباريس بشمعدان من النحاس المطروق ، يرجع إلى مصـــر فى النصف الأول من القرن الرابع عشر ، وهو مهدى إلى المتحف من البارون ســاليون ، وهو من النمط المملوكى المتعارف عليه عن طريق شكله وترتيــب الزخرفــة والأهميــة المعطاة للكتابة ذات الهامات المرتفعة ولأزهار اللوتس وهناك عناصر نادرة على القــاعدة هى طيور تتعارك فوق أشرطة نباتية والسيقان الرفيعة المحفورة فوق الحــروف المغطــاة فيما مضى بالفضة وفوق حامل الشمعة كتابة للقب أحد كبار الدولة الغير معــرف (فــى النص) من عصر الملك الناصر .

والزخارف محفورة ومكفتة بالفضة والذهب . ع ٠,٤٠٥م قطــر القــاعدة ٠,٣٥٣م رقم ٧٥٢٩[1].

ومن كنوز الفن الإسلامى بباريس أيضا شمعدان من النحاس المطــروق ، المزيــن بأشرطة من الكتابات النسخية تقطعها دوائر مملوءة بزخارف نباتيــة ، وحصــرت هــذه الأشرطة بين اطارين ضيقين مملوءين بالزخارف النباتية .

ونص الكتابة الموجودة على البدن : مما عمل برســم الآدر الشــريفة ذات الســتر الرفيع والحجاب المنيع خوند الكبرى جهة المقام الملك ١/ لاشرف أبو النصر قايتباى عــز نصره " .

ويزين الكتف كتابة مماثلة للنص السابق . فيما يتعلق بالنص الــذى يزيــن مكــان تثبيت الشمعة فقد تمت ازالته من بعد كلمة " المقام الملك "وتقرا علــى الرقبــة كلمــات : السلطان الملك أبو النصر (كذا) قايتبــاى " وعلى قاعدة الرقبة نجــد كلمــات محــزوزة تشــير إلى وقــف هــذا الشمعدان . الارتفــاع ٤٥ سم – القطــر ٣٦ سم وفى الحقيقــة أن السيدة المقصودة هنــا ، هى فاطمــة الخــاصبكية التــى تزوجــت أولا السلطــان قايتباى ومن بعــده السلطان طومــان بــاى الأول . وتوفــيت فى سنة ١٥٠٣ م ورغــم ما أصاب البلاد من اضطرابــات سياسية واجتماعية واقتصادية حوالى ســنة ١٤٠٠ م .

---

(1)L'Islam dans les Collections Nationales, Paris 1977, Pl. 235.

فان الفنون الفرعية قد اتسمت بقسط من الاستمرارية فيما بيـــن القرنيــن الرابــع عشــر والخامس عشر للميلاد[1].

وبالمتحف الملكى للفن والتاريخ فى بوركسل شمعدان يرجع إلى مصــر أو ســوريا فى حوالى القرن ٨ هـ / ١٤ م – ارتفاعه ٢٥.٥ سم[2] .

والفوانيس من أدوات الاضاءة التى استخدمت أيضا فى عصــر المماليك فكــانت تستخدم لانارة الطريق للمواكب فى المساء ، فمثلا يذكر ابن اياس فى حوادث ربيــع الأول سنة ٨٤٢ هـــ / ١٤٣٩ م " وفية طلعت خوند مغل بنت بنت البارزى ، زوجة الســلطان " – يقصد السلطان الملك الظاهر أبى سعيد جقمق العلاى الظاهرى – " إلـــى القلعــة بعــد العشاء فى موكب حافل يتقدمها الفوانيس وحولها ، وحولها جماعة كثيرة من الخدام)[3].

كما يستعملها الرجال لإنارة الطريق فى زياراتهم المسائية .

هذا ويصنع الفانوس من النسيج المشمع المشدود إلى حلقات من السلك بينما أعــلاه وأسفله يصنعان من النحاس المبيض[4].

ومن الجدير بالذكر أن الشموع المصبوغة بالألوان الرائعة – التـــى كــان النــاس يشترونها على اختلاف طبقاتهم ، ويعلقونها فى الأسواق والحوانيت ابتهاجا بعيــد الميــلاد الذى شارك فيه المسلمون أهل الذمة – سميت بالفوانيس ، وتنافس الناس فى المغالاة فـــى تكاليفها حتى بلغ مصروف شمعة ألفا وخمســمائة درهــم ، ومــن الطريــف أن بعــض الشحاذين فى الطرقات كانوا يسألون الناس أن يتصدقوا عليهم بفانوس ، فيشترى لهم مـــن صغار الفوانيس ما يبلغ ثمنه الدرهم وما حوله ، ولكن الاهتمام بأمر فوانيس أعياد الميــلاد

---

(١) جيمس دبليو الان : التحف المعدنية (كتاب كنوز الفن الاسلامى) جنيـــف ، ١٩٨٥ ، ص ٢٧٨ ، لوحة ٢٨٩ .

(2)Musees Rayaux d'Art d'Histoire, Guide du Visiteur Cernelia Montgomery – Wyaux Metaux Islamiques – Bruxelles, 1978, PL.22.

(٣) بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .

(٤) لين : المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

تناقص بمضى الوقت بسبب متاعب الناس الاقتصادية الناجمة عـــن الغـــلاء والمجاعـــات المتتالية[1].

وقد قيل فى الفانوس :

وكأنما الفـــانوس نجـــم نيـــر منـــع الظلام من الهجوم طلوعـــه

أو عاشق أجرى الدموع بحرقـــه من حر نار قـــد حوتـــه ضلوعـــه[2]

هذا عن أدوات الإضاءة أما مواد الإنارة فكان منها الزيت والشـــمع فقـــد اســـتعمل الزيت بكميات كبيرة فى الاضاءة فى العصر الوسيط ، وكانت تزاد التوسعة منـــــه علـــى المدارس والمساجد والخانقاوات فى المواسم والاعياد وكان الوقاد يضع الزيت فى مســـارج من الخزف أو المعدن ذات فتيل من شعبة أو شعبيتن ، وقد يوضع الزيت فى قرايات مـــن الزجاج ، هذا وقد كان زيت الزيتون الطيب يستعمل فى الاضاءة وعند تعـــذر وجـــوده أو ارتفاع ثمنه ، كان يستعمل الزيت الحار ، وكانت الدولة المملوكية فى مصر والشام تنتـــج كميات وافرة من الزيت لانتشار مزارع الزيتون والكتان وكثرة المعاصر فيها كمـــا تذكـــر وثائق ذلك العصر ، ومنها وثيقة الناصر محمد بن قلاوون[3].

وكان الشمع يستخدم فى الإضاءة فى ذلك العصـــر ، وكـــانت الشـــموع المختلفـــة الأحجام تصنع بمصر وتباع فى سوق الشماعين .

وكان للشمع السكندرى شهرة كبيرة ورد ذكرها فـــى كتـــب مؤرخـــى العصـــور الوسطى ووثائق الوقف ، وكانت زنه الموكبية الواحدة تتراوح بين عشرة أرطال وخمســـين رطلا بالمصرى[4].

---

(١) د . قاسم عبده قاسم : أهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى ، دار المعارف بمصـــر ١٩٧٨ م ، ط ٢ ، ص ١٦٤ .

(٢) الغزولى : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٨٧ .

(٣) عبد اللطيف إبراهيم : وثيقة الأمير آخور كبير قراقجا الحسنى ص ٢٤٤ .

(٤) عبد اللطيف إبراهيم : نصان جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش حوليات كليـــة الآداب – جامعـــة القاهرة ، مجلد ٢٨ ، ١٩٦٦ م ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٧١ م ، ص ٦٧ .

ونظرا للإقبال الشديد على شراء الشموع فى عصر المماليك كان لها سوقا سمى بسوق الشماعين كان موضعه من الجامع الأقمر الى سوق الدجاجين . وقد أدرك المقريزى ازدهار هذا السوق وخرابه فيذكر أنه أدرك وحوانيته تزيد على العشرين وكانت تفتح الى منتصف الليل وكانت معمورة بالشموع الموكبية الفانوسية والطوافات وكان يعلق بهذا السوق الفوانيس فى موسم الغطاس فتصير رؤيته فى الليل من أنزه الأشياء وكان به فى شهر رمضان وسم عظيم لكثرة ما يشترى من الشموع الموكبية التى تزن الواحدة منهم عشرة أرطال فما دونها ومن المزهرات العجيبة الزى المليحة الصنعة ومن الشمع الذى يحمل على العجل ويبلغ وزن الواحدة منها القنطار وما فوقه كل ذلك برسم ركوب الصبيان لصلاة التراويح فيمر فى ليالى شهر رمضان من ذلك ما يعجز البليغ عن حكاية وصفه ، وكان يباع فى هذا السوق فى كل ليلة من الشمع بمال جزيل ،ثم تلاشى الحال فى جميع ما سبق لفقر الناس وعجزهم وخرب السوق ، وانقرضت حوانيته حتى أصبحت خمسة فقط[1] وكان الشمع من هدايا العرس فى المماليك[2] كما كان يدخل أيضا من ضمن المهر أحيانا فقد احتوى مهر آنوك ابن السلطان الناصر محمد قلاوون على مائة شمعة موكبية[3] .

وكان يشعل فى مهم العرس كميات ضخمة من الشموع إلى ثلاث آلاف قنطار كما كان فى عرس الآمير برلغى الصغير قريب السلطان الملك المنصور قلاوون – عام ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م[4]. وعرس الأمير آنوك [5] وقد تبقى من الشمع لكثرته – فى عرس الأمير على بن أرغون على بنت السلطان الناصر محمد فى شعبان سنة ٧٢٣ هـ – ١٣٢٣ بعدما استعمل منه مدة العرس – ألف قنطار [1] وكانت شموع العرس من الشموع

(١) الخطط ، الجزء الثانى ، ص ٩٦ .

(٢) المقريزى : السلوك ، الجزء الثانى / القسم الثانى ، ص ٣٤٦ .

حياة ناصر الحجى : الأمير تنكر الحسامى (نائب الشام فى الفترة ٧١٢ – ٧٤١ هـ / ١٣١٢ – ١٣٤٠م ، حوليات كلية الاداب جامعة الكويت الحولية الاولى ١٩٨٠ م / ١٣٩٩ هـ ، ص ٢٣ .

(٣) المقريزى : السلوك ، الجزء الثانى ، ص ٣٣٣ .

(٤) المصدر نفسه ، الجزء الثانى / القسم الثالث ، ص ٧٩٣ .

(٥) أبو الفداء : البداية والنهاية ، الجزء ١٤ ، ص ١٥٧ .

بعدما استعمل منه مدة العرس – ألف قنطار [1] وكانت شموع العرس من الشموع الفـلخرة فمثلا صنعت لمهم عرس الأمير قايتباى– أحد أمراء الطبلخا ناه فى المحرم سنة ٩٢٢هـــ – شموعا مزهرة ما بين قصور وشمامات .

وكان الشمع من الهدايا التى يحرص أن يقدمها الصديق لصديقـــه[2] ومـــن الجديـــر بالذكر أنه قيل فى الشمعة الكثير من الأشعار[3].

---

(١) محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٢) ابن اياس : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٩ .

(٣) انظر : الخالديان : كتاب التحف والهدايا ، ص ٣٠ .

المسبحى (محمد بن عبد الله) : أخبار مصر فى سنتين (٤١٤– ٤١٥ ه) تحقيق وليم ج ميلـورد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،

١٩٨٠ ، ص ٨٥ . الغزولى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

الفصل الأول

خامسا : أدوت التجميل

خامسا : أدوت التجميل

من المعروف أن المرأة - بصفة عامة - تميل إلى الزينة بأنواعها المختلفة من تصفيف شعر وتكحل وتزجيج وتنميص وطيب وخضاب ووشم وذلك لتبدو فى أجمل صورة ، وقد استعملت لذلك أدوات منها الأمشاط والمكاحل ومراودها وقنينات العطر وأحقاق الأدهان والأشنان والسواك وحجر الخفاف والعروس بصفة خاصة تبالغ فى إظهار جمالها وتحمل معها إلى بيت الزوجية كل مساحيق التجميل وأدواته لتبدو أمام عريسها فاتنة جميلة وقد كان المجتمع الإسلامى فى عصوره المتعاقبة على جانب عظيم من الأبهة والترف ذلك الذى تطلب الاهتمام ببعض مظاهره ومنها أدوات التجميل التى بلغت العناية بها شأنا كبيرا ولاسيما عند النساء اللاتى اقبلن عليها باهتمام بالغ يساير طبيعتهن وميلهن الى التزين مما يزيد فى سحرهن(١) .

وفى عصر المماليك بلغ الترف أقصى درجاته وبلغت مخلفات المماليك من سائر الفنون مالا يمكن حصره .

وتعتبر دراسة أدوات الزينة مقياسا من مقاييس الدوق العام فى المجتمع ، فالرق الذى كان معروفا منذ اقدم العصور وشائعا بين العرب فى العصر الجاهلى قد تأثر بالمد الحضارى فاصبح تجميل الجوارى صناعة شجعت على انتشار أدوات الزينة التى كانت تقتبس فنونها من شعوب اخرى ، أو كانت من مبتكرات الفنان والصانع المحلى ، فمقاييس الجمال المطلوب عند المرأة - سواء أكانت حرة أم جارية - كتطويل الشعر وتزجيج الحواجب وتطرية الجلد وتحفيف الأيدي تستلزم بالتالى العناية بالأدوات التى تبرز المرأة فى هذه الصورة(٢).

وليس من شك فى أن الجوارى اللائى امتلأت بهن القصور كن من العوامل البارزة التى ساعدت على العناية بأدوات التجميل ، فقد كن يمثلن طبقة هامة من المجتمع لها

---

(١) احمد ممدوح حمدى : معدات التجميل بمتحف الفن الاسلامى ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٩م ، ص ٨ .

(٢) أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠ ، المجلد الثالث ، ص ١٧٢ ، ١٧٣

أثرها البالغ فى ذلك ، فان ذلك ، فان رواج سوقهن وإقبال الناس على اقتنائهن أو إهدائهن كما يتهادون الحلى والجواهر ، دعا النخاسين واتباعهم إلى العناية بهم عناية كبرى فى أعدادهن لهذه الحياة على خير الوجوه وأكملها ، فتفننوا فى إظهار جمالهن وإبرازه فى صور مغرية بمختلف الأساليب(١).

وكان من أوصاف الفتاة الجميلة أن تكون طويلة القامة ، نحيفة القوام ، متناسبة أعضاء الجسم ، بيضاء البشرة ذات عينين واسعتين سوداوين(٢) فكان من الطبيعى على النخاسين ان يراعوا هذه المعايير الجمالية ويعالجوا ما نقص بمختلف الأساليب الصناعية. وكان من عادتهم إطالة الشعر بإضافة شعر مستعار من جنسه فى طرفه وإزالة روائح الأنف بالسعوط (النشوق) بدهن البنفسج والنيلوفر ونحوهما وجلو الإسنان بالسواك بالاشنان والسكر وسحيق الصينى أو الفحم أو الملح المدقوق . وتنظيف الأظافر بغسلها بالخل والعسل والمرتك(٣) أو دهن الورد واللوز المر . وكانت الجوارى يخفين حواجبهن بالرامك وأطرافهن أن كانت الجارية بيضاء بالخضاب الأحمر وان كانت صفراء بالأسود.

وهكذا سار النخاسون على هذه الأساليب وبرعوا فى اتقانها لبيع الجارية بثمن باهظ وبذلك كانت الجوارى مصدر نوع من الثقافة وهو الفنون الجميلة وما يتبعها من رقى فى الذوق الفنى ، كما كن اكبر عامل فى نشر الشعور بالحمال وما يتبعه من فنون جميلة ، فان الخلفاء وغيرهم لم يكتفوا الجوارى من ناحية جمالهن الفنى ، بل شغفوا أيضا بهن من ناحية جمالهن الخلقى ليجمعوا بين الجمالية والخلفية ، فكان من الطبيعى ان تهتم الجوارى بفن التجميل كما بلغت عنايتهن بأدواته حدا كبيرا وذلك بسب المنافسة الشديدة بينهن ورغبة الواحدة منهن فى ان نكون ذات حظوة مرموقة ومكانة كبيرة عند صاحبها .

---

(١) أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٢) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى ، ترجمة رياض رأفت القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨م ، ص ٣٩٢ .

(٣) المرتك : ما يعالج به الصنان . وهو معرب ولا يكاد يوجد فى الكلام القديم وبعضهم يكسر الميم . ويقال المرتك أيضا نوع من التمر . المقرى ، المرجع السابق ، جـ١ ، ص٥٦٧ .
المرتك أكسيد الرصاص : أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق ، ص ١٠ حاشية (٣) .

هذا ولم يكن الاهتمام بأدوات التجميل من وحى الجوارى فحسب ، بل كان موضع اهتمـــام المرأة بصفة عامة ، لاسيما فى وقت كثرت فيه الغزوات والحروب واستشهد فيه كثير مـن الرجال ، فازداد التنافس بين النساء وتفنن فى هذا السبيل . وبذلك يمكن القول بـــان هـذه الحروب ساعدت على مثل هذا الغلو فى ابتداع وسائل التجميل(١).

وقد بلغت أدوات التجميل على عصر سلاطين المماليك فى مصر شأنا كبير لإقبـــال النساء عليها . حقيقة أن المصادر المعاصرة قد بخلت علينا بمعلوماتها بصدد نوعية هـــذه الأدوات وأشكالها ، إلا أن الحفائر الأثرية قد عوضتنا هذا النقص بما أمدتنا به مـــن أدوات تجميل مختلفة من أمشاط ومكاحل ومرايا وقنانى للعطور وأحقاق للأدهان وحجر خفـــاف وغيرها محفوظة بمتحف الفن الإسلامى وغيره .

الأمشاط (٢) :

عرفت أمشاط الشعر منذ القدم لدى المصرين القدماء بأشكالها التى عرفت بها فـــى العصر الإسلامى ويبرهن على ذلك ما يحتوية المتحف المصرى بالقاهرة مـــن مجموعـــة من التى الأشاط صنعت أحيانا من العاج أو العظم ، لكن الخشب كان الأكثر شـــيوعا فـــى صناعتها . ومعظم الأمشاط مسطح بجانب واحد أو جانبين ، لكـــن أحيـــان توجـــد أمثلـــة مقوسة ، توحى بأنها كانت تستخدم فى زينة الشعر . وعثر على معظم الأمشاط التى تعـــود

---

(١) أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق ، ص ١٢ .

(٢) مفردها مُشّط ، ابن السكيت مُشُطٌ ومِشْط ، أبو عبيد هو المُشُطُ والمُشّط الجمع أمشاط .

وتعرف الأمشاط بالمدارى واحدها مدرى واصل المدارى القرون.

انظر : ابن سيده (أبو الحسن على بن إسماعيل الأندلسي) . المخصص : تحقيق لجنة أحياء التراث العربى فى دار الأفـــاق الجديدة ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الجـــزء الأول ، الســـفر الرابع ، ص ٥٩ .

والمدرى والمدارة شئ يعمل من حديـــد أو خشب على شكل سن من أسنان المشـــط وأطـــول منـــه يسرح به الشعر المتلبد ويستعمله من لا مشط له . ويقال أدوت المرأة تـــــدرى أدراء إذا ســـرحت شعرها به وأصلها تدترى تفتعل من استعمال المدرى فادغمت التاء فى الدال .

انظر : ابن الأثير ، النهاية ، جـــ٢ ، ص ٢٢ ، أبن منظور : مختار الأغانى فى الأخبار والتـــهانى ، جـــ٢ ، ص ١٩٧ ، هامش ٢.

إلى العصور المصرية القديمة حيث مقابر النساء ووجدت مرارا فـــى ســـلال أو أســـفاط تحتوى على أصناف دهـــان لتجميل الوجـــه أو الشعر ومكاحل وجرار للمراهم والدهـــان أو دبابيس الشعر[1].

كذلك كانت الأمشاط من الوسائل الضرورية التى لا يمكن الاســـتغناء عنـــها فـــى العصر القبطى - فهى تساعد المرأة على الظهور بمظهر لائـــق جـــذاب وهـــى الوســـيلة اللازمة لتنظيف الشعر وتصفية وتنظيمه . وقد وجدت أنـــواع عديـــدة وأشـــكال وأحجـــام مختلفة من تلك الأمشاط ، زينت أغلبها برسوم جميلة مفرغة تمثل بعضها منـــاظر الطـــير كالحمام أو الطـــاووس أو الحيوان كالغزلان والأرانب أو أشكال فرســـان علـــى ظـــهور الجياد . وبعضها يحوى زخارف هندسية ونباتية من وريدات أو أزهار وغيرها .

وأغلب تلك الأمشاط صنعت من الخشب والبعض الآخـــر مـــن العظـــم والعـــاج ، ويحتفظ المتحف القبطى بمجموعة كبيرة منها .ويعتبر من أجملها ذلك المشط العاجى الـــذى يرجع تاريخه إلى القرن السادس الميلادى ، وهو يمتاز بدقة الصنعة ، وترجع أهميته إلـــى المناظر الدينية الدقيقة البارزة التى نقشت على الفراغ الأوسط فى كلا الوجـــهين ، وهـــى تمثل فى أحد وجهيه منظرا للسيد المسيح على ظهر آتان[2] داخـــل أكليـــل نبـــاتى يحملـــه ملاكان طائران .

أما الوجه الآخر فقد نقش عليه الفنان منظر دينيا مختلفـــا ، يوضـــح بعضـــا منـــها معجزات السيد المسيح[3] .

ثم جاء الإسلام ونحن نعلم أنه يحض على النظافة والزينة ومـــن الزينـــة تســـريح الشعر وتحسينه فانعكس ذلك على كثرة استخدام الأمشاط.

---

(1) Sania Abdel- Ai. The Make up Kites of Ancient Egypt, Psion – January – March (7-1984), p.4.

(٢) الأتان : الأنثى من الحمير قال ابن السكيت ولا يقال إتانة وجمع القلة اتن مثل عناق واعنق وجمـــع الكثرة اتن بضمتين .

المقرى : المرجعة السابق ، جـــ١ ، ص ٣ .

(٣) رءوف حبيب : الزينة والتجميل عند المراة فى العصر القبطى ، مكتبة المحبة ، ٣ ، ٤ .

كما استخدمت المرأة فى العصر الأموى المخيط إضافة إلى المشط لتفريد الشعر فمن المحتمل أن استعمال المخيط كان مقتصرا على تفريق الشعر مستفيدة من رأسه المدبب، ويضم المتحف العراقى عدد لا بأس به من المخايط التى تنطبق عليها هذه الصفة فمنها ما هو مصنوع من العاج ، ومنها ما هو من المعدن بعضها منقوب من أحد نهاياتها وبعضها خالية من الثقب[1] .

وفى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة مجموعة كبيرة من أمشاط الشعر التى كانت تستعمل فى تصفيف شعر الرأس أو تهذيب شعر اللحية . وهذه الأمشاط من أنواع ومواد وأشكال مختلفة .

وقد كان للحفائر التى أجرها المتحف فى مدينة الفسطاط وغيرها من الأماكن الأثرية أثر كبير فى الكشف عن ذلك العدد العظيم منها الذى يعتز به المتحف باعتباره مظهراً من مظاهر الرقى والتقدم ، هذا إلى جانب أنها أدة هامة من أدوات الجميل .

وهذه الأمشاط مصنوعة من الخشب أو السن أو القرن أو الابنوس . ويبدو أن الخشب كان المادة المفضلة فى صناعة الأمشاط لكثرة ما يحتويه المتحف منها فضلاً عن رخص تكاليفها مما جعلها تتناسب مع إمكانيات جميع الأفراد .

ويلاحظ أن خشب البقس[2] كان أفضل أنواع الخشب فى هذه الصناعة لمتانته ونعومة سطحه مما يتفق مع الغرض المطلوب . أما الأمشاط المصنوعة من السن فمحدودة العدد فى المتحف . وكان الأغنياء يستخدمونها لارتفاع أسعارها . كما لا يوجد فى المتحف سوى عدد قليل من الأمشاط المصنوعة من القرن والابنوس مما جعل القيمة الأثرية لها عظيمة جداً بسبب ندرتها .

---

(١) زكية العلى : التزيق والحلى عند المرأة فى العصر العباسى– منشورات وزارة الإعلام – الجمهورية العراقية ، ١٩٧٦م، سلسلة الكتب الحديثة رقم ٩٩ ص ٤٥ ،٤٦ .

(٢) البقس من الأخشاب الأفرنجيه المستعملة فى أشغال النجارة ، لونه أصفر فاتح ، ويستعمل فى عمل المثلثات والمساطر المقسمة وبعض أشغال أخرى محمد عبد الحليم حسن : الخشب والنجار ، الطبعة الأولى ، مطبعة السماح ، ١٩٢٨م ، ص ١٥.

كما يحتفظ كل من متحف كلية الآثار جامعة القاهرة والمتحـــف الزارعـــى بـــالدقى ومتحف جاير اندرسون بمجموعة من الأمشاط .

وتنقسم الأمشاط بوجه عام إلى نوعين ، نوع استخدم فى تصفيف شعر الرأس ونـوع استعمل فى تهذيب شعر اللحية . وكان لكل نوع من هذين النوعين شكل خاص تتميز به .

ويهمنا من هذا النوع الأول حيث ان النوع الثانى خاص بالرجال فقط .

وأمشاط النوع الأول تشبة النوع المعروف فى وقتنا الحـــالى " بالفلايـــة " التـــى لا تزال تستخدم فى الريف .

وتختلف مقاساتها طولا وعرضا . وأسنان المشط مـــن جـــهتين ، جهـــة للأســـنان الرفيعة الحادة وجهة للأسنان السميكة القوية . أما الجـــزء الأوســـط المحصـــور بينـــهما والمحفور بالحفر البارز أو الحفر الغائر يعد موضع اعتبار كل باحث فى الفن الإســـلامي لأنه يفيد فى تاريخ المشط بما عليه من زخارف أو كتابات تحـــدد عصـــره علـــى وجـــه التقريب .

ويوجـــد أيضا من هذه الأمشاط نوع له أسنان من جهة واحدة وشـــكله مقـــوس أو مربع ، كما يوجد نوع آخر مزدوج وبه مفصلات من الخشب ، وهذا المشط عبـــارة عـــن أربعة أمشاط بأسنان ذات درجات متفاوتة فى حدة أطرافها ، كمـــا يوجـــد لبعـــض هـــذه الأمشاط ثقب فى أعلاها يدل على أنها كانت تعلق فى الرقبة أو الحائط .

هذا واستخدمت المرأة المشط فـــى العصـــر الإســـلامي والعصـــور الســـابقة لـــه فى تقسيم شـــعرها إلـــى ضفـــائر ، فـــإذا انتقلنـــا إلـــى الجزيـــرة العربيـــة ورغـــم أن النصوص لا تفيدنا إلا فى القليل من المعلومـــات عـــن تصفيـــف الشـــعر عنـــد المـــرأة فى العصر الجاهلى فقد أفادنا الشعر بعـــض الشـــىء فـــى التعـــرف علـــى القليـــل مـــن تلك التصفيفات التى كانت مفضلة عند المرأة فـــى العصـــور الســـابقة للإســـلام ، منـــها على سبيل المثال تصفيف الشعر فى ضفائر . وكـــانت لـــهذه الضفـــائر مســـميات منـــها

الذوائب والقرون والغدائر[1] ولا شـــك فـــى أن الضفـــائر كـــانت تختلـــف فـــى عددهـــا حسب كثافة شعر المـــــرآة[2].

وكانت المراة فى العصر الجاهلى تصل شعرها أى أنـــها كـــانت تســـتعين أحيانـــا بالشعر المستعار وهى صفة أصبحت غير مستحبه فى عصر صدر الإسلام فقد روى عـــن عائشة رضى الله عنها " أن جارية من الأنصار تزوجت ثم مرضـــت فتمعـــط[3] شـــعرها فارادوا أن يصلوها فسألوا النبى ﷺ فقال : " لعن الله الواصلة والمستوصلة "[4] .

ولعل السبب الذى حدا بالنبى ﷺ إلى النهى عن هذه الطريقة فى التزين أن صحـــت تلك الأحاديث هواعتبارها نوع من الغش .

ويذكر القسطلانى فى قول له : " وكما يحرم على المرأة الزيادة فى شـــعر رأســـها يحرم عليها حلقة لغير ضرورة " ولم يذكر تعليلا للتحريم[5] .

ومن تصـفيفات الشعر نوع يسمى " بالعقاص "[6] . وذكر ابن قيم الجوزية تصفيفـــة أخرى كانت معروفة عند المرأة فى العصر الأموى ، وذلك عند حديثه علـــى أبـــى زيـــد الأسدى الذى جلس يوما مع سليمان ابن عبد الملك واحتفاله جارية رآها وهى خارجة علـــى

---

(١) مفردها الغديرة وهى الذواعبة .
المقرى : المرجع السابق ، مجلد ١ ، جـــ٢ ، ص ٤٤٣ .
(٢) زكية عمر اللى : المرجع السابق ، ص ٣٧ ، ٣٨ .
(٣) معط الشعر معطا من باب تعب سقط (وتمعط) تساقط ، المقرى : المرجع السابق ، مج ١ ،جـــ٢ ، ص ٥٧٥ .
(٤) زكية عمر العلى : المرجع السابق ، ص ٣٩ .
(٥) القسطلانى (أحمد بن محمد (١٤٤٨ م- ١٥١٧م) : إرشاد السارى إلى شرح صحيـــح البخـــارى وبهامشه صحيح الأمام مسلم وشرح الأمام النووى ، المطبعة المصرية ، بولاق ، ١٨٧٦ ، جـــــ٨ ، ص ٥٦٦ .
(٦) عقاص وعقـــائص مفردهـــا عقيصة وهى للمرأة . الشـــعر الذى يلوى ويدخل أطرافه فى أصوله ، (وعقصت المراة شرها عقصا من باب ضرب فعلت به ذلك وعقصته ضفرته .
المقرى : المرجع السابق ، مج ١ ، جـــ١ ، ٤٢٢ .

باب قصر أخيه سعيد بن عبد الملك فقال : " لها ذوائبة[1] تضـــرب حقويـــها[2] ، وتســـيل كالعثاكيل على منكبيها ، وطرة قد أسبلت على جبينها ، ولها صدغان كأنهما نونان علـــى وجنتيها .."[3].

والتصفيفة التى أوردها ابن قيم الجوزية لم يـرد ذكر لما يشـــبهها قبـــل العصـــر الأموى ، لاسيما الطرة . بالإضافة إلى الإشارة لأول مرة إلى الصدغ المعمول على هيئـــة " النون " التى تطورت كثيرا فى العصر العباسى .

أما العثاكيل[4] فهى ليست بجديدة إذا ورد ذكرها فى معلقة امرئ القيس حيث يقول :

وفـــرع يزين المتن أسودفـــاحـــم أثيث كقنـــوا النخلـــة المتعثـــكل[5]

هذا ويذكر على مظاهرى عن نساء المسلمين فى العصـــور الوســـطى انـــهن كـــن يسرحن شعورهن إلى ضفائر تتكون من ٢٠ أو ٣٠ ضفيرة هذه تصل حتى بعـــد الوســـط وأحيانا كن يستخدمن شعر مستعار لتطويل هذه الضفائر ، التى كان عددهـــا يشـــير إلـــى مستوى هذه السيدة[6] .

---

(١) الذوائبة بالضم مهموز : الضفيرة من الشعر إذا كانت مرسلة ، فأن كانت ملوية فهى عقيصة .
المقرى : المرجع السابق ، مج ١ ، جـــ١ ، ص ٢١١ .

(٢) الحقو : موضع شد الإزار وهو الخاصرة ثم توسعوا حتى سموا الأزرار الذى يشد على العورة حقوا والجمع أحق وحقى ، وقد يجمع على حقاء . المقرى : المرجع السابق ، مج١، جـــ١ ، ص١٤٥

(٣) ابن قيم الجوزية (الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن بكـــر الزرعـــى الدمشـــقى) (٦٩١ – ٧٥١هـــ) : أخبار النساء ، الطبعة الأولى ، مطبعة التقدم العلمية بمصر ، ١٣١٩هـــ ص ٤٩ .

(٤) العثاكيل مفردها عثكال ، العثكال بالكسر والعثكول بالضم مثل شمراخ وشمروخ وزنا ومعنى .
انظر : المقرى : المرجع السابق ، مجل ١ ، جـــ٢ ، ص ٣٩٢ .
الشمراخ ما يكون فيه الرطب والمشروخ والجمع فيهما شماريخ ومثله عثكال وعثكول وعنقاد وعنقود.
المقرى : المرجع السابق ، مج ١ ، جـــ١ ، ص ٣٢٢.
ونخرج من هذا أن العثاكيل هى عناقيد الرطب المتدلية من النخلة .

(٥) زكية عمر العلى : المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(6) Mazaheri: Op. Cit., p. 74.

ويبدو أن نساء عصر المماليك كانت تقبل على شراء الأمشاط ونستنتج ذلك من أن مادة صناعة الأمشاط هى الخشب وهى مادة قابلة للفناء أو الكسر من كثرة الاستعمال وهذا يجعل المرأة تشترى بديلا لها . أو ربما احتفظت المرأة بأمشاط مختلفة فى الشكل والزخرف أى أمشاط مزدوجة (لوحات ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٩ ، ١٦١) وأمشاط بأسنان من جهة واحدة (لوحات رقم ٦٣ ، ٦٤) وأمشاط مزدوجة بمفصلات (لوحات ١٥٧ ، ١٥٨) وأمشاط بزخارف من آيات قرآنية أو كتابات طريفة أو زخارف أخرى .

وكل هذا حدا بالصناع إلى الاتقان فى الصناعة وإبداع الجديد منها وجعلها من الكثرة التى أوجدت لها (سوقا سمى) بسوق الأمشاطيين وعنه يقول المقريزى فى خططه : " وبنى فيما بين المدرسة الصالحية وبين الصاغة سوق فيه حوانيت مما يلى المدرسة الصالحية يباع فيها الأمشاط يعرف بسوق الأمشاطيين "[1] .

ويبدو مما وصلنا من أمشاط ترجع إلى عصر المماليك - رغم ما قلناه من أنها مصنوعة من مادة قابلة للفناء بالإضافة إلى أنها قطع صغيرة ربما تهمل أو تحرق - ما يؤكد كثرتها فى ذلك العصر .

فيوجد بمتاحف القاهرة مجموعة كبيرة من الأمشاط التى ترجع إلى عصر المماليك وهى متحف الفن الإسلامى ومتحف جاير اندرسون ومتحف كلية الآثار والمتحف القبطى والمتحف الزراعى . هذا بالإضافة إلى ما هو موجود فى حجرة الأوسمة بالمكتبة الوطنية بباريس ، فيها سبعة أمشاط مزدوجة (شكل الفلاية) ترجع إلى عصر المماليك - بالإضافة إلى اثنين للدقن يرجعان إلى عصر العثمانيين - وفيما يلى وصف لهذه الأمشاط:

الأول : مشط مربع ، يرجع إلى مصر ق ٧ هـ/ ١٣م من الخشب الصلب . مقاسه ٧ × ٧ سم . وبه ٥٩ سنة رفيعة و٢٢٩ سنة واسعة ، ويزين الجزء الأوسط والإطار المستطيل من كل ناحية ثلاث دوائر متداخلة تكون مثلث وتوجد كتابة بخط النسخ المملوكى من الجهتين نصها :

من كتم سره - ملك أمره

---

(١) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ٩٧ .

كما نجد من الجانب الأيمن والأيسر للمشط جامة تحتوى على دوائـــر صغـــيرة متحدة المركز بالتوالى والزخرفة بها تشابه كبير مع زخارف الأدوات النحاســية التى ترجع إلى نفس العصر .

الثـــانى : مشط من الخشب غير كامل ، مزدوج ، يرجع إلى مصر فى ق ٨هـــ / ١٤م ، يوجد بجزئه الأوسط شريط عريض على شكل مستطيل مقسم إلى خمسة أجـزاء اثنين منهما مزخرفان بدويرات صغيرة محفورة أو منحوته نحت بارز . وهنـــاك شريط كتابى بالخط النسخى المتوسط بارز على أرضية مزينة بدوائر صغـــيرة وموجودة على الحافة الشمالية على الوجهين ومكتوب عليها :

ممـــا عمـــل برســـم الســـــتر الـــرفيـــــع

وهناك أيضا شريط كتابى كان يجب أن يكون موضوعا فى النهايـــة الأخـــرى التى أندثرت.، وهذه الكتابة الغير مفهومة الهوية وعليها جملة (الستر الرفيـــع) لا يمكن أن ترد إلا لسيدة وتساعدنا على تصنيف هذه الأداة من بيـــن الأشـــياء التى صنعت للسيدات التى تنتمى إلى طبقة المماليك[1] .

الثـــالث : مشط ثلاث جوانب ، من خشب صلب مقاسه ٨,٥ × ٧ سم يرجع إلى مصـــر فى ق ٨ هـــ / ١٤م . يضم ٤٩ سنة رفيعة ، ٤١ ســـنة عريضـــة (بـــها ٨ أسنان مكسورة) ، وعلى واجهتى الجزء الأوسط إطار مســـتطيل بـــآخره مـــن الجهتين اليمنى واليسرى على الجانبين ورقة مثلثة تتطابق مع زهـــرة الزنبـــق التى انتشـــرت على تحف العصر المملوكى مـــن خـــزف وزجـــاج ونحـــاس بالأخص . وفى هذه الإطارات المستطيلة وعلى أرضية تزينها الدوائر الصغـيرة كتابة بالخط النسخى ذات أحرف متوسطة وهى منفذة بالحفر البـــارز ،وتتكـــرر على الوجهين ونصها " لا يفكر لك مدبر " .

---

(1) Ahmad Abd Ar-Raziqi: Les Peignes Egyptiens dans l'Art de I'Islam, Syria, XLX 1982, P. 399-401.

الرابـــع : مشط مزدوج مقاسه ٧,٥ × ٧.٥ سم ، مصر فى ق٨هـ / ١٤م أحد جوانبه بـه ٥٥ سنة رفيعة والثانى ٣٩ عريضة فقدت منها ١٠ ، وفى الوسط نجـــد شـــكل سداسى بآخره ورقة ثلاثية على هيئة زهرة الزنبق وهناك كتابة بأحرف النســـخ المملوكى على أرضية من الدوائر الصغيرة البارزة متكررة من الناحيتين وهـــو دعاء " رب اختم بخير " . وكلمة أختم فوقها عنصر نباتى .

الخامس : مشط غـــير كـــامل – ارتفاعـــه ١٠ ســـم ، مصـــر ق ٨هـــ / ١٤م يوجـد بالجزءالأوسط من هذا المشط مستطيل أرضيته مزخرفة بالنقط وعليـــه شـــكل سمكتين فى (وضع أفقى متقابل) وبينهما سمكة راسية وإطار هذا الجزء محـدد بدوائر صغيرة متحدة المركز . (لوحة ١٤٧) (شكل ٣٥) .

السادس : مشط مزدوج مقاسه ٨,٥ × ٧,٥ سم ، مصر ق ٨ هـ / ١٤ م وهو مســـتطيل به ٧٠ سن رفيع ، ٢٩ سن عريض ، بعض منها تألف ، يزين الجزء الأوســـط ثلاث جامات دائرية تحتوى على دوائر مركزية محفورة حفرا دقيقـــا ويفصـــل هذه الجامات فيما بينها عنصرين هندسيين ويتوسط الجامة الوسطى رنك عبـــارة عن ترس مستدير مقسم إلى ٧ أضلع الواحد جنب الآخر . وبمنتصـــف جـــانبى المشط ترس آخر مستدير بخمسة تقسيمات الواحدة جنب الأخرى .

الســـابع : مشط يرجع إلى أواخر ق ٩ هـــــ / ١٥م مقاســـاته ١٠ × ٧,٥ ســـم شـــكله مستطيل يتكون من ٥٨ سن رفيع ، ٢٧ سن عريض بعض منها تألف وبـــالجزء الأوسط من الوجهين نجد شريطا مقسما أفقيا إلى جزئين يحتوى على عنـــاصر هندسية محفورة حفرا بسيطا ربما يكون نجوما صغيرة متتابعة ، وصناعة هـــذا المشط رديئة مما يرجح تصنيفه من بين الأشياء المصنوعة فى أواخر العصـــر المملوكى[1].

(1) Ahmad Abd – Razeq : Op. Cit., p. 401 – 403 .

المكاحل :

عرف المصريون القدماء تزيين أعينهم بالكحل[1] وقد صورت مشاهد لعملية التزيين بالكحل على المقابر ظهرت فيها المكاحل والمراود . وكانت المكاحل آنذاك تصنع من الفينس والالباستر والخشب[2]. وفى العصر القبطى كانت المكاحل من أهم أدوات التجميل ، وكانت تصنع من العظم أو العاج أو الخشب أو الزجاج لحفظ الكحل الأسود الذى انتشر استعماله بكثرة فى هذا العصر بصفة خاصة لتزجيج الحواجب كما كانت تطلى به الأجفان . ثم يمتد الطلاء فى خط إلى ما بعد لحاظ العينين نحو الصدغ لكى تظهر العيون أكثر اتساعا وتألقا.

ومما شجع على كثرة استعمال الكحل الاعتقاد السائد بأن له خواص شافية لأمراض العيون .

هذا ومن ملحقات المكاحل المراود ، وقد وجدت منها مجموعة ذات أشكال عديدة من الخشب والعاج والابنوس ، وكانوا يتفننون فى تزيين رؤوسها بنقوش تماثيل أو طيور أو أزهار وغيرها من الرسوم[3].

على هذا كان التكحل بمادة الاثمد[4] من وسائل التزين الشائعة عند جميع النساء بصرف النظر عن القطر أو الحقبة الزمنية حتى أصبحت العيون الكحيلة من الصفات

---

(١) كحل : الكاف والحاء واللام أصل واحد يدل على لون من الألوان .
والكحل: سواد هدب العين خلقة . يقال كحلت عينه كحلاء ، وهى كحيل والرجل أكحل .
انظر : أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا : معجم مقاييس اللغة ، جـ٥ ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ .
ويطلق على الكحل المذاب " البرم " أو البيرم " بزيادة يـاء ، انظر : السيوطى : الـدر المنثـور ، جـ١ ، ص٩٠ .

(2) Sania Abdel – Ai : Op. Cit., p. 4.

(٣) رءوف حبيب : الزينة والتجميل عند المرأة فى العصر القبطى ، مكتبة المحبة ، ص ٤ .
(٤) الاثمد : حجر أسود إلى حمرة . ومعدنه باصبهان . وليس فى مذاهب العرب ما يجلو العين ويذهب باقذائها مثله .
عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ١٦٩ .

المستحبة فى المرأة منذ العصر الجاهلى وما تلاه من عصور . فهذا زهيرا بن أبى سـلمى فى العصر الجاهلى يقول:

وناظـرتين تطحـران قـداهمـا كأنهمـا مكحولتـان بـاثمـد

وكثيرا ما شبهت العيون الكحيلة بعيون المهاة الشديدة السواد التى كانت وما زالـت تعتبر فى نظر العرب المثل الأعلى فى جمال العيون وقد قيل فى ذلك :

بعينـى مهاة يحدر الدمع منهمـا بريمين شتى من دمـوع واثمـد

ويذكر القلقشندى أن " زرقاء اليمامة "[1] كانت أول من اكتحل بالاثمد [2] غير انه لـم يوضح لنا فيما اذا كان المقصود هنا أن عادة التكحل كـانت مسـتعملة أم لا . وعلـى أى حال فان صحت الرواية التى جاء بها القلقشندى فربما يرجع الفصل فى ابتكار هذا النمـط من التزيق إلى المرأة العربية .

الأثمد : حجر الكحل وقيل هو شئ يشبه الكحل ، ويطلق عليه فى بعض اللغات اللاصف . البلـوى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٥٢٦ .

انظر : ابن سيده : المرجع السابق ، جـ١ ، السفر الرابع ، ص ٥٨ .

ويطلق أيضا على حكاكة الحجر التى يكتحل بها الحلاءة ، ويقال حلأت فلانا مخفف حلا إذا كحلتـه بالحلاءة .

(١) كانت الزرقاء امرأة من حديس ، كانت ترى الحبيش من مسيرة ثلاثين ميلا ، فغزا قوم من العـرب قومها ، فلما قربوا من مسافة نظرها قالوا : كيف لكم بالوصول مع الزرقاء ، فاجتمع رأيهم على أن يقتلعوا شجر ا تستر كل شجرة منها فارس اذا حملها ، فقطع كل واحد منهم بمقدار طاقته ، فاشرفت كما كانت تفعل ، فسألها قومها عما ترى وذلك فى آخر النهار قالت أرى شجرا يسير فلم يصدقوهـا ، فوصل الغزاة ونهبوا اموالهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة واخذوا الزرقاء فقلعوا عينيها فوجـدوا فيـها عروقا سوداء فسئلت منها فقالت انها كانت تديم الاكتحال بالاثمد ولعل هذا منه وماتت بعد ذلك بأيام ، وكانت أول من اكتحل به من العرب .

انظر : البلوى المرجع السابق ، ج ٢ / القسم الأول ، ص ١٧٣ ، الاصفهانى : الأغاني ، الطبعـة الأولى ، ج ٢ ص ١٣٢ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا – مطبعة دار الكتب ، ج ١ ص ٤٣٤ .

وعند ظهور الإسلام أقر النبى عليه الصلاة والسلام التكحل ، بل وحض المسلمين على استعماله . فقد قال : " عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر " وكان يكثر التكحل حتى ان كان يكتحل وهو صائم[1] .

وقد حض أحد الأباء ابنته عند زواجها على استعمال الكحل ، فقد قال الفرافصة الكلبى لابنته[2] حين جهزها إلى عثمان رضى الله عنه يا بنيه إنك تقدمين على نساء قريش وهن اقدر على الطيب منك ، فلا تغلبى على خصلتين : الكحل والماء ، تطهرى حتى يكون ريحك ريح شن ، أصابه المطر[3].

وقد جاء فى عيون الاخبار لابن قتيبة الدينورى بيتا طريفا جاء به ذكر الكحل والمرود ، وهو فى وصف سوداء :

كأنها والكحل فى مرودها تكحل عينيها ببعض جلدها[4]

وتنقل لنا المصادر ان الكحل كان من أزين الزينة فى العصرين الأموي والعباسى فيذكر الجاحظ أن عبد الله بن جعفر قال لابنته حين جهزها : " إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق وإياك والمعاتبة فإنها تورث الضغينة وعليك بالزينة والطيب وأعلمي أن أزين الزينة الكحل وأطيب الطيب الماء "[5].

ويذكر ابن قتيبة أن أبى الأسود قال لابنته عند الهداء (الزفاف) " عليك بالزينة ، وأزين الزينة الكحل ، وعليك بالطيب "[6] .

---

(١) زكية العلى : المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(٢) هى نائلة بنت الفرافصة – ق ٧ م – زوجة عثمان كانت خطيبة شاعرة شجاعة تزوجها عثمان بالمدينة وبها ماتت ولها موقف هام فى ثورة عثمان إذا قطع سيف قاتل عثمان أصابعها وهى تدافع عنه . خطبها معاوية لجمالها فأبت ويقال انها خلعت أسنانها لما قيل لها أن معاوية يعجب بثغرك أمعانا فى الوفاء .

الموسوعة الإسلامية ، دار إحياء التراث العربى ، المجلد الثانى ، ص ١٨١٩ .

(٣) ابن قتيبة الدينورى : عيون الأخبار ، ط١ ، دار الكتب المصرية ١٩٣٠م . مجـ٤ ، ص ٧٦ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٤١ .

(٥) الجاحظ : البيان والتبيين ، القاهرة ١٣١٣هـ ، ط١، جـ١ ، ص ١٨٣ .

(٦) ابن قتيبة الدنيورى : المرجع السابق ، مجلد ٤ ، ص ٧٧ .

واهتمت المرأة بحاجبيها فكانت تحف ما حولها من الشعر وتطيلهما بالأثمد وتعـرف هذه الطريقة بالتزجيج ويظهر فيها الحاجب مقوسا مع طول فى طرفه وامتـداد مـع دقـة مخط الحاجبين ورقتهما[1] وتسمى أيضا الزجج[2] .

ومما تقدم يتبين أن الكحل كان من المواد الهامة التى استعملت فى التجميل ، ولـذا صار من الضرورى أن تقدم المكحلة - وهى وعاء الكحـل - كـأداة هامـة مـن أدوات التجميل ، فضلا عن أنها تفيد الباحث فى الفن الإسلامى بما عليها من زخارف وكتابـات متنوعة وأساليب مختلفة فى الصناعة .

وتكحل العين بمرودصغير من الخشب أو العـاج أو الفضـة أو الزجـاج ، دقيـق الطرف يبل أولا بماء الورد ، ثم يغمس فى المسحوق ويمرر بين الجفنين كما يستعمل فـى رسم الحواجب .

وتقترب أشكال المراود من بعض أدوات الطب والجراحة التى عرفـها العـرب ، ووجه التقارب بين هذه المراود وأدوات الجراحة أن الغرض الـذى تسـتعمل فيـه هـذه المراود هو العين نفسها . ولهذا نرجح أن هذه المراود كان يختص بصنعها عمال فنيـون دربوا على هذه المهنة والدقة فى صنعها .

وقد تعددت أشكال المراود من أعلى الغطاء ، قد ينتهى المرود بعد سـطح الغطـاء بشكل طائر أو حيوان أو بزخارف مفرغة إلى آخر الافتتان فى إكساب مظـهر المكحلـة العام - وهى مغلقة شكلا زخرفيا مقبولا . وبمجموعة د. هنرى عوض المهداة إلى متحـف الفن الإسلامى بالقاهرة مجموعة من المراود النحاسية والمعدنية المزخرفة مـن نهاياتـها بشكل طائر أو غيره (لوحة ١٧٠) .

وقد اختلفت مواد هذه المراود بصرف النظر من مادة المكحلة نفسـها فقـد تكـون المكحلة من العاج ومرودها من الخشب أو العكس ، وقد تكـون المكحلـة مـن البللـور

---

(١) زكية العلى : المرجع السابق ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) الزجج : دقة فى الحاجبين فى طول ، رقة محط الحاجبين ودقتهما وطولهما وسبوغهما واستقواسهما . أحمد رضا : المرجع السابق ، مجلد ٣ ، ص ١٦ .

الصخرى وينغمس فيها مرود من الزجاج . ويتضح مما وصلنا من مكاحل ومراود ترجع إلى مصر من القرن الثالث إلى التاسع الهجرى مصنوعة من مواد مختلفة من البللور الصخرى والخشب والنحاس والزجاج ومزخرفة بشتى الزخارف من كتابية ونباتية وهندسية وحيوانية ما يؤكد اهتمام نساء مصر فى العصر المملوكى وما سبقه من عصور بالتكحل والإقبال عليه .

ويضم متحف الفن الإسلامى عددا وافرا من هذه المكاحل من مواد مختلفة فمنها ما هو مصنوع من الخشب أو السن أو الزجاج أو البلور أو الفضة أو النحاس (لوحات ١٧٦ ، ١٧١ ، ١٧٢) كما يوجد بكل من متحف اندرسون ، والمتحف الجغرافى (لوحة ١٦٨) المكاحل الزجاجية داخل أكياس مشغولة بالخرز .

ومن أجمل المكاحل التى ترجع إلى عصر المماليك والمحفوظة بمتحف الفن الإسلامى برقم سجل ٢٠٠٢٧/٥٩ مكحلة من الزجاج مدببة من أسفل وبدنها مخروطة الشكل ولها رقبة طويلة أسطوانية تنتهى من أسفل بنتوء بسيط وهى ترجع إلى القرن ٨هـ/١٤م .

ومكحلة من الخشب برقم سجل ٤٨٦٨/٧ بدنها أسطوانى الشكل ويضيق نحو القاعدة ، ورقبتها قصيرة وقاعدتها مسطحة ، وعلى البدن آثار زخارف بالطلاء ، ترجع إلى القرن ٩هـ١٥م .

مكحلة مصنوعة من السن برقم سجل ٤٥٠ ، ترجع إلى مصر فى ق ٩هـ/١٥م لوحة رقم ١٧١) .

وبالإضافة إلى المواد السابقة صنعت المكاحل من الجلد ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بمكحلة من الجلد على شكل حرف T بحوافها خياطة بالجلد تعطى شكلا زخرفيا وبداخلها مرود خشبى ، برقم سجل ٢٥٧٢٥ ، مقاسها ٦,٥ سم الطول ، ٤,٥ سم العرض .

كما تذكر إحدى وثائق الحرم القدسي المملوكية أن المكحلة من مادة الفخار[1] ، هـذا وتضم مجموعة الدكتور هنرى أمين عوض مجموعة كبـيرة مـن المكـاحل الزجاجيـة والمراود النحاسية والخشبية بالإضافة إلى هاون من الحجر لصحن الكحل (لوحـات ١٦٥ – ١٧٠) .

ومن الملاحظ أن معظم المكاحل تأخذ الشكل البيضاوى وهذا من شـأنه أن يسـهل انغماس المرود فى الكحل بداخلها والاستفادة بكل ما فى المكحلة من كحـل حتـى البقايـا القليلة التى بالقاع .

المرآة :

تعد المرآة[2] من أدوات التجميل الهامة الخاصة بالمرأة ، فأمامها تستطيع المـرأة أن تمشط شعرها وتزجج حواجبها وتكحل عينيها وتدهن وجهها بالمساحيق بدقة تجعلها تبـدو مهذبة الشعر ومنظمة فى زينة الوجه دون تنافر ومن الطبيعى أن تكون المرآة مـن أدوات

---

(١) صالحية : المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٢) المرآة بالكسر ولا يقال بالفتح ، يطلق عليها عدة أسماء منها السبجنجل والزلفة والونيلـة والماويـة والمذية وتفسير ذلك أن الماء والمذى أبيضان ابن سيده : المرجـع السابق ، جـ١ ، السفر الرابـع ، ص ٥٩ .

ويذكر الجواليقى أن الزجنجل لغة من السجنجل وهى المرأة بالرومية .

السجنجل : المرأة بالرومية ،وقيل هى سبيكة الفضة .

انظر : الجواليقى : المرجع السابق ص ١٧٤ – ١٧٩ .

أحمد رضا : المرجع السابق ، مجلد ٣ ، ص ١١١ .

ويذكر ابن الأثير تحت لفظ " زلف " فى حديث يأجوج ومأجوج فيرسل الله مطرا فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة – الزلفة بالتحريك وجمعها زلف مصانع الماء وتجمع على المزالـف أيضـا أراد أن المطر يغدر فى الأرض فتصير كأنها مصنعة من مصانع الماء وقيل الزلفة المرآة شبهها بها لاستوائها ونظافتها وقيل الزلفة الروضة ويقال بالكاف أيضا .

ابن الأثير : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ١٣٨ .

ومرآة تجمع على مراه ، مرات – مرا – أمرية .

الأمرية التى تنظر بها النساء وجوههن .

Dozy : Op. Cit., I. P. 498.

التجميل ذات الصدارة ، فإنها أداة لا يمكن الاستغناء عنها ، فهى تعكس صورة الشـــخص وبذلك يتسنى له معرفة محاسنه أو عيوبه فيعمل على معالجتها .

وأقدم أنواع المرايا المعدنية المعروفة كان مصنوعا مـــن معـــدن مصقـــول لامـــع ولاسيما من البرونز أو الصلب أو النحاس أو الفضة .

وكانت هذه المرايا على هيئة قرص يمسك أما من مقبض متصل به أو من شـــريط يمر من حلقة تتصل بجزء بارز بوسط السطح ذى الزخرفة .

وللمرأة وجهان ، وجه مصقول يعكس صورة الوجه ، ووجه آخر عليـــه زخـــارف مختلفة بارزة ، وأحيانا يكون ذا موضوعات تعلق بفلسفة علم الغيب وهـــى مواضيـــع لـــم نألفها فى زخارف سائر التحف المعدنية الأخرى(١) .

وللمرآة تاريخ طويل يرجع إلى الصور القديمة فقد وجدت فى العصر الفرعونـــى ، ويضم المتحف المصرى بالقاهرة نماذج عديدة منها(٢) .

فقـــد كانت المرآة من أهـــم الأدوات الخـــاصة بالزينـــة عنـــــد المـــرأة القديمـــة وأثمن ما تملكه ، ولا تخلو مقتنيات سيدة من نســـاء الطبقة الراقيـــة أو الوســـطى مـــن المرآة . وكثيرا ما كن يظهرن فى مواقف عديـــدة وفى أيديهن المـــرآة . لأنـــها الوســـيلة التى كانت المرآة تستخدمها فى إصلاح هندامها وتحسين مظهرها إذا لا يمكن أن يتم لـــها التأنق أو التجميل بدونها .

وكانت المرآة فى أول عهدها تصنع من المعادن البراقـــة خصوصـــا النحـــاس أو البرونز من الفضة والذهب . ومما يذكر أن المرايا الزجاجية ذات الصفائح الفضية لم تكـن معروفة إلا فى العصر القبطى ، ويحتفظ المتحف القبطى بمرآة يرجع عهدها إلـــى القـــرن

---

(١) أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق ، ص٦٩ .

(٢) من هذه المرايا مرآة برونزية يزينها من أسفل إطارها من اليمين واليسار صقر (باز) يرمز للإلـــه حورس ، ولابد تمسك منها ، وانظر :
Sania Abdel – Ai : Op. Cit., p.5.

الرابع الميلادى غالبا ، وهى تعتبر بلا شك أقدم ما عرف من المرايا الزجاجية فى التاريخ[1] (لوحة ١٧٣) .

أما عن العصر الإسلامى فتذكر لنا المراجع فى ثناياها ذكر للمرآة يدل على وجودها واستعمالها خلال مختلف العصور الإسلامية .

فمما يذكر أنه كان لرسول ﷺ : مرآة يقال لها المدلة[2] . كما وجدت المرآة فى العصر الأموى فيذكر الجاحظ أن سليمان بن عبد الملك نظر فى المرآة فقال أنا الملك الشاب فقالت جارية له :

أنت نعم المتع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء لإنسان[3]

ويذكر المقريزى وهو يعدد محتويات خزائن الجوهر والطيب والطرائف التى كانت توجد بالقصر الكبير الفاطمى ما نصه : " ووجد عدة صناديق مملوءة مراءى حديد من صينى ومن زجاج المينا لا يحصى ما فيها كثرة جميعها محلى بالذهب المشبك والفضة ومنها المكلل بالجوهر فى غلف الكيمخت وسائر أنواع الحرير والخيرزان وغيره مضبب بالذهب المشبك والفضة ولها المقابض من العقيق وغيره "[4].

وما ذكره المقريزى لصورة رائعة لما كانت عليه المرايا المعدنية فى العصر الفاطمى فقد كانت محلاة بالذهب والفضة والجواهر وتحفظ فى أغلفة من الكيمخت وهو نوع من الجلد المتين وأخرى من الحرير النفيس أو الخيرزان .

ومن الملاحظ أن كل المرايا العربية التى وصلتنا فقدت صقلها وهى أقل بكثير من المرايا التى وصلتنا من القدماء المصريين . وهذه المرايا عموما صغيرة وتحمل على ظهرها موضوعا بارزا يحيط به كتابة بالخط الكوفى أيا كان الموضوع المصور ، مجرد خطوط أرابيسك أو قناص فوق حصان يحصل الباز على يده والنمر مرسوم على كتفه

---

(١) رءوف حبيب: الزينة والتجميل عند المرأة فى العصر القبطى ، ص ٣ .

(٢) البلوى : المرجع السابق ، جـ٢ ، القسم الأول ، ص ١٥٢.

(٣) البيان والتبيين : جـ٢ ، ص ١٠٢ .

(٤) المقريزى : الخطط ، جـ١ ، ص ٤١٥.

وبعض الأشكال الرمزية أو دوائر متداخلة ودائما تكون الكتابة إما دعائية تشـــمل أدعيـة بالرخاء والعزة وطول العمر لمقتنى هذه المرايا، أو آيات قرآنية .

وعموما كانت هذه المرايا تصهر مما كان يساعد على إنتاج عدد مرايا كثـير مـن نفس الشكل .

والمرايا التى نراها فى مجموعات مختلفة يبدو أنها من نفس القالب ولكـن بعـض منها معتنى بها أكثر من غيرها[1] .

أما الأيدى فأما أنها تصنع مع القرص فى نفس الوقت أو تصنع منفصلة ثم تلحم بـه والملاحظ أن زخرفة الأيدى مستقلةعن زخرفة وجه المرآة ولا تتفق أو تنسجم معـها فـى نظامها .

ويتفاوت قطر القرص أو مساحة المرآة بمعنى آخر فبعض هذه المرآيا صغيرا يبلـغ قطره ١٢,٥ وبعضها كبير يصل قطره إلى ٢١ سم والبعض الآخر وسط بيـن هـذا وذاك يكون قطره ١٧ أو ١٨ سم[2] .

ووجدت المرآة فى عصر المماليك ،ويحتفظ المتحف البريطانى بلندن بمرآة مكفتـة بالذهب والفضة كانت قد صنعت خصيصا لزوجة أحد أمراء المماليك[3] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بنماذج المرايا المملوكية منها مرآة خاصة بالسـلطان الأشرف برسباى – وهى عبارة عن قرص مستدير من الحديد عليها آثار تذهيب وظـهرها مزين بدوائر مركزية مملوءة بزخارف نباتية تتخللها أسلاك مشعة مـن نجمـة مركزيـة سداسية الروءوس يحيط بها شريط من الكتابة النسخية المملوكية باسم السـلطان برسـباى وتمتاز بمقبضها المضلع المحزوز المزين بشريط من الزخارف الهندسية .

---

(1) Prisse D'Avennes : L'Art Arabe, p. 225, 226.

(٢) د. جمال محرز : المرايا المعدنية الإسلامية ، فصله من مجلة كلية الآداب ، المجلد الخامس عشر ، الجزء الأول ، مايو ١٩٥٣م ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٣م ، ص ١٠ ، ١٣١ .

(3) Ahmad Abd ar-Raziq, La Femme , pl. III. /B.

، أحمد عبد الرازق : المرأة فى مصر المملوكية ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، ١٦١ ، ١٦٢ .

وبالمتحف أيضا مرآة من البرونز عليها كتابة نسخية نصها (عز لمولانا السـلطان العادل العالم الكامل الغازى المجاهد المرابط المثاغر السيد الأجل المـالك الملـك الكـامل المؤيد المنصور) ولهذه المرآة مقبض مجوف بداخله حصاة لها رنيـن عنـد تحريكـها . ويستفاد من النص المذكور أن هذه المرآة من العصر المملوكى . ومقاس قطرها ٢١ سـم – وهى برقم سجل١٥٣٢٩ .

وبالمتحف مرآة من البرونز على ظهرها زخارف نباتية وعلى وجهـها المصقـول كتابات قرآنية وأخرى سحرية ، مما يفيد أنها كانت تستعمل كتميمة لتقى صاحبتـها مـن الحسد وهى برقم سجل ١٥٣٣٧ وقطرها ٩ سم وترجع إلى مصر ق٧هـ/١٣م.

ومن المرايا المملوكية أيضا مرآة ترجع إلى مصر فى القرن ٨هـ/١٤م منقـوش على ظهرها شريطين دائريين متحدين المركز ، من كتابة بخط الثلث المملوكى ، الشـريط الداخلى نص كتابته : برسم الدار الكريمة العالية المولوية الإشـرفية المالكيـة الأوحديـة الهمامية السيدين السندية الستر الرفيع والحجاب المنيع .

والشريط الخارجى : وهو مقسم بواسطـة ٤ دوائر مقسمة بانتظـام علـى محيـط الدائرة ، نص كتابته :

١ – برسم الدار الكريمة العالية المولوية الملكية الأميرية الكبيرية .

٢ – الزخرية العونية الغياثية الأوحدية الهمامية النظامية السيدية إلا .

٣ – كملية السندية الأفضلية الاسفهسلارية الافتخارية إلا .

٤ – عزية الأخصية الستر الرفيع والحجاب المنيع صاححا (هكذا) الله [1].

ومن الجديدر بالذكر أن المرايا كانت ضمن الـهدايا التـى تتـهادى بـها الملـوك والسلاطين فيذكر ابن إياس تحت حوادث شهر ربيع الأول من سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٧ فـى

---

(1) Gaston Wiet, Inocriptions Mobilieres de l'Egypte Musulmane, p. 243, 244,PL. IV, Journal Asitatique (1958) No. CCXLVI-3, P. 243 – 244, PL.IV.

سلطنة الظاهر برقوق أنه قدمت فيه هدية الملك الأشرف ممهد الدين إسماعيل بن رســـول متملك اليمن ،وكان من بينها مرآة هندية محلاة بفضة قد رصعت بعقيق[1] .

هذا وقد نصت وثائق الحرم القدسي المملوكية علـــى وجـــود " المرايـــا النرجســـية بحاملها النحاسى "[2] .

قنينات العطر وأحقاق الأدهان :

كانت قنينات العطر[3] ، وأحقاق الأدهان من أهم الأشياء التى تقبل علـــى شـــرائها العروس ، لأن بها تكمل زينتها وفتنتها التى هى عندها أثمن من الأثاث ومكملاته .

والعطور على اختلاف أنواعها أطياب ذكية الرائحة ، اســـتعملها الإنســـان قديمـــا وحديثا فى تنظيف البشرة وصقلها وتطهيرها وإكسابها نعومة وطراوة كما استخدمت فـــى تقوية جذور الشعر فضلا عن الرغبة فى التمتع بطيب ريحها .

وقد استعملت الروائح بكثرة خصوصا وأن مصر اشتهرت باستخراج أعظم أنـــواع العطور وأزكاها رائحة . وقد أيد العالم " بلينى " تلك الشهرة التى ذاعت فى جميع أنحـــاء العالم القديم ،ولم يكن هناك من يضارعها فى استخراج تلك الروائح فى جودتـــها وكمـــال صنعها حتى أنه ذكر أن المرأة التى كانت تتطيب بتلك العطور كانت إذا عبرت أمام القـــوم انبعثت منها رائحة زكية تلفت الأنظار وتخلب العقول إلى درجة أنها كانت تكفى إلى تنبيـــه من كان منهم مستغرقا فى عمله ولا يعبأ بما يجرى حوله من أعمال .

وقد ذكر المؤرخ اليونانى " بلوتارك Plutarquie " أيضا أن المصريين كانت لـــهم دراية هائلة فى صناعة الروائح . حتى أنه بين أن نوعا منها كان يتكون من أجزاء مختلفـــة من المواد بلغ عددها ستة عشر جزءا[4] .

---

(١) ابن إياس : المصدر السابق ، جـــ١ ، القسم الثانى ، ص ٤٨٧ .

(٢) د. صالحية : المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٣) العطر بالكسر الطيب ج عطور والعاطر محبة ج عطر والعطار بائعه والعطارة بالكسر حرفته ورجل عطر وامرأة عطرة ومعطارة ومعطرة ومتعطرة وكلاهما معطير ومعطار . وكان ﷺ يكـــره تعطـــر النساء وتشبههن بالرجال أى تعطلهن من الحلى .

الفيروز إبادى الشيرازى : القاموس المحيط ، جـــ٣ ، ط٣ ، بولاق ، ١٣٠١هـــ .

(٤) رءوف حبيب : الزينة والجميل عند المرأة فى العصر القبطى ، ص ٥ .

ومما يذكر أن العطور فى مصر القديمـــة كانت تتألف على الخصوص من الشـحوم (الدهانات) والزيوت العطرية[1].

ومن الطبيعى فى جو حار كجو مصر أن توضع الزيوت والشحوم علـــى الشـــعر والجلد ، وهذه عادة شائعة فى العصر الحاضر فى النوبة والسودان وجهات أخـــرى مـــن أفريقيا ، وهناك أكثر من نوع من الزيوت ، أما الزيت الذى كان يستعمله الفقـــراء ، فـــهو زيت الخروع ، كما يقول استرابوا . أما الشحوم والدهون الجامدة فكان مجـــال الاختيـــار فيها ضيقا منحصرا فى الدهون الحيوانية[2].

ولابد أن يكون القبط قد ورثوا عنهم تلك الصناعة التى أدت بطبيعـــة الحـــال إلـــى التفنن فى صنع الأوانى الصغيرة والعلب التى كانت تحفظ فيها تلك العطـــور والطيـــوب . وقد ظهرت منها مجموعة نادرة جميلة الصنع من العاج أو العظم أو الخشـــب . وكـــانت تزين سطوح تلك الأوانى برسوم زخرفية ونقوش بارزة دقيقة . ومن بيـــن تلـــك الأوانـــى قارورة أنيقة لعلها من نوع خاص من الخشب ، فريدة النقوش البارزة التـــى تزيـــن كـــل سطحها بأزهار ووريدات جميلة كما شملت منظرا رائعا من المناظر الدينية الهامـــة وهـــو يمثل البشارة بالإضافة إلى أشكال دينية أخرى[3] .

---

(١) الزيوت العطرية زيوت ذكية الرائحة وهى الأساس الأول فى عمل الروائح ، وسميت بالزيوت لأنها تشبه الشحوم والزيوت الأخرى فى الأثر الذى تتركه ، فإذا وضعت نقطة منهما على الورق تركـــت بقعة شفافة غير أنها لا تلبث أن تتطاير . ولذا أطلق عليهما اسم الزيوت الطيارة .
عصمت عزيز عوض : صناعة العطور ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص ٩ .
وبعض الزيوت العطرية تتكون فى النبات نتيجة لأعراض مرضية ناشئة عن تجريح النبات كما هـــو الحـــال فى بلسم بيرو وبلسم طولو والجاوى والميعة السائلة . محمد أحمد حمـــادة : مســـتحضرات التجميل ، ص ١٩٩ .

(٢) الفريد لوكاس : المواد والصناعة عند قدماء المصريين ، ترجمة د. زكى أسكندر ومحمد زكريا غنيم مراجعة عبد الحميد أحمد، القاهرة ، ١٩٤٥ ، ص ١٤٥ .

(٣) رءوف حبيب : المرجع السابق ، ص ٥ .

ويحب المصريون الطيب رجالاً ونساء . فيتطيبون بدهن الورد وبالمسك والعنـــبر ، وقد يبالغ بعض النساء فيه .

وقد لا يتحرج الرجل من التطيب ، وقد يضع شيئاً فى منديلـــه فتفـــوح رائحتـــه إذا أخرجه . وقد يقدم الطيب للضيوف كالقهوة[1] .

وقد عنى المسلمون منذ فجر الإسلام بالطيب ، ومن أمثالهم فى ذلك " ثلاثة يحكـــم لهم بالنبل حتى يدرى من هم ، رجل رايته راكبا أو سمعته يعرب كلامه أو شـــممت منـــه طيبا " كما شاع بينهم ما ذكره رسول الله ﷺ من أن " طيب الرجال مـــا ظـــهر رائحتـــه وخفى لونه ، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه وأطيب الطيب المسك . وحث النبـى المسلمين على التطيب وخاصة عند صلاة الجمعة حتى يظهر المسلمون بما يليق به وســـط أخوانه فتأنس إليه النفوس . وقد حافظ المسلمون على هذا التطيب حرصـــا علـــى طاعـــة التعاليم النبوية، وطمعا فيما ينتـــظـــر المتطيب من ثواب الآخـــرة . كمـــا يفســـر رغبـــة المسلمين الصادقة فى الإقبال على الروائح والعطور ما ورد فى القرآن الكريم عن طيـــب ربح الجنة " فروح وريحان وجنة نعيم"[2] .

وكان الرسول الكريم يتطيب ، وقد قال ﷺ فى ذلك : قد حبب إلى من دنياكم هـــذه النساء والطيب[3] .

وفى حديث لعائشة أم المؤمنين أنه كان يتطيب بذكارة الطيب والذكارة بالكسر مـــا يصلح للرجل كالمسك والعنبر وهى جمع ذكر والذكور مثلـــه (ومنـــه الحديـــث) كـــانوا يكرهون المؤنث من الطيب ولا يرون بذكورته بأسا هـــو مـــالألون لـــه ينفـــض كـــالعود والكافور والعنبر والمؤنث طيب النساء كالخلوق[4] والزعفران[5] .

---

(١) أحمد أمين : المرجع السابق ، ص ٢٧٨ .

(٢) أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق ص ٨٧ – سورة الواقعة الآية ٨٩ .

(٣) ابن قتيبه : كتاب الأشربة ، تحقيق محمد كرد على ، دمش ١٣٦٦هـ /١٩٤٧م ، ص ٨٣ ، ٨٤.

(٤) هو طيب معروف مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتغلب عليه الحمرة والصفـرة وقد ورد تارة بإباحته وتارة بالنهى أكثر وأثبت وإنما نهى عنه لإنه من طيب النســـاء وكـــن أكـــثر استعمالا له منهم ابن الأثير : النهاية ، جـــ١ ، ص ٣٥٢ .

(٥) المرجع نفسه ، جـــ٢ ، ص ٤٩ .

وفى حديث ثان لعائشة " طيب رسول الله ﷺ لإحرامه بذريره هو نوع من الطيب مجموع من إخلاط[1] .

وقد ورد فى حديث آخر لعائشة رضى الله عنها ذكر الدرج بكسر الدال وفتح الراء جمع درج وهو كالسفط الصغير تضع فيه المرأة خف متاعها وطيبها (وفى حديث أم سليم) قال لها خضلى قنازعك أى ندى شعرك بالماء ، والدهن ليذهب شعثه والقنازع خصل الشعر[2] .

وتنقل لنا المصادر استخدام العطور والأدهان بكثرة عبر العصور الإسلامية ، فكان عمر بن عبد العزيز من أجود الناس غالية ، كما كان ابن العباس يلطخ بالمسك على يا فوخه فيرى كأنه الرب (الدب) ، وقال ابن أخى الزهرى : كنت أشم المسك من سوط ابن شهاب[3] .

ويبدو أن النساء كن يتزين ويتعطرن بإسراف يلفت نظر الرجال إليهن فقد ذكر البلوى أن بعض الصالحين نظر إلى امرأة تتزين وتتعطر لما فرغت من زينتها ظهرت محاسنها وزاد جمالها فقال لمن حوله إنما المرأة مثل النار إذا زيد فى حطبها تأججت واشتد حرها وضاءت للناس فهى حسنة المنظر تحرق من دنا منها[4] .

ومن الجدير بالذكر أن أول من عبأت الطيب فى الإسلام هى شميلة زوج عباس[5].

---

(١) المرجع نفسه ، ص٤٦ .

(٢) المرجع نفسه جـ١ ، ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

(٣) ابن قتيبة : المرجع السابق ، ص ٨٣ ، ٨٤ .

(٤) البلوى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٣٩٥ .

(٥) القلقشندى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٣٥ .

هذا وقد عملت النساء ببيع الطيب فيروى أن أسماء بنت مخربة وقيـــل مخرمـــة ، كانت عطارة يأتيها العطر من اليمن وتبيعه بالمدينة[١] . ويذكر ناصر خسرو وهو يصـــف مكة أنه كان بها سوقاً جميلة البنايات ولكها عطارون يطلق عليها سوق العطارين[٢] .

وقد ازداد الإقبال على الروائح والعطور فى الدولة العباسية فى ق ٣ هـ/٩م بقـــدر إقبال بعض الخلفاء ورجال البلاط على معاقرة الخمور فى ندوات خاصة يحضرها القـــوم بثياب معطرة كما يعطر المضيف ضيوفه من آن لآخر .

من الجدير بالذكر أن العطور كانت تفرق أو تنثر فـــى حفـــلات العـــرس فيذكـــر الشابشتى أن الرشيد فرق فى ليلة عرسه – فى المحرم سنة ١٦٥هـ/ م فـــى قصـــره المعروف بالخلد — نوافج المسك وجماجم العنبر والغالية فى بواطى الزجاج وفرق علـــى كل نساء بنى هاشم دارهم ودنانير وصوانى كبيرة من الفضة فيها طيب[٣] .

كما نثر الحسن بن سهل أوعية المسك فى عرس ابنته بوران على سائر الناس[٤] .

هذا وكان المستحب أن يشمل المهر على كمية من العطر . فممـــا يذكـــر أن مـــهر الخليفة المعتضد إلى ابنة خمارويه كان مليون درهم وعطر نادر من الصين والهند[٥] .

كما كانت العطور من أهم الهدايا فقد أهدت قطر الندى إلى زوجها المعتضد بـــالله ، فى يوم نيروز[٦] ، من سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م هدية كان من بينها مسك يزيـــد وزنـــه عـــن ثلاثين رطل[٧] .

---

(١) الأصفهانى : الأغانى ، جـ١ ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) ناصر خسرو : سفرنامة – ترجمة يحيى الخشاب ، ط١ ، ص ٧٧ .

(٣) الشابشتى : الديارات ، بغداد ١٩٦٦ م ، ص ١٥٦ – ١٥٧ .

(٤) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

(5) Lane - Pool, S. : A History of Egypt in the Middle Ages London 1925, p. 94.

(٦) كانت العادة عامة فى الاحتفال بعيد النيروز – وهو مبدأ السنة الشمسية تتبادل الهدايا ، فكان الخليفـة فى بغداد يفرق على الناس أشياء منها صور مصنوعة من عنبر ، منها ورد أحمر مثلا .

آدم متز : المرجع السابق ، ص ٢١٤ .

(٧) الرشيد بن الزبير : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

وقد قيل فى استهداء المسك :

الطيب يهدى وتستهدى طرائفـــه وأشرف الناس يهدى أشرف الطيب

والمسك أشبه شئ بالشباب فهـب شبه الشباب لبعض العصبة الشيب[1]

كما اشتهر الاخشيد بحبه للطيب وكانت خزائن الطيب تحمل فى سفره علـى نيـف وخمسين جملاً[2] .

وفى العصر الفاطمى اهتمت المراة بتعبئة المسك فى جرات كبيرة كما فعلت سـت الملك التى تزتكت فيما تركت ثمان جرات ملأى بالمسك وهذا أن دل فإنمـا يـدل علـى اهتمام المرآة بالتطيب وادخارها له بكميات وفيرة ربما للحفلات أو المناسبات[3] .

وجاء بكتاب الذخائر والتحف أن ست الملك أهدت إلى أخيها الحاكم بأمر الله هدايـا منها أسفاط كثيرة من طيب[4] .

وكان من مستلزمات التجميل أيضاً استعمال دهانات خاصة لتنعيم بشرة الوجـه أو للشعر ، وكانت توضع فى مداهن مصنوعة من مادة ذات قيمة[5] .

---

(١) أبو منصور الثعالبى النيسابورى : الإيجاز والإعجاز (رسالة ضمن رسائل فى مجلد واحـد) ط١ ، مطبعة الجوائب القسطنطينية ١٣٠١هـ ص ٦٩ .

(٢) محمد أمين صالح : دراسات اقتصادية فى تاريخ مصر الإسلامية ، عصر الولاة ط٢ ، نهضة الشرق / ١٩٨٠م ، ص ١١٩ .

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى، ط٣ ، جـ٣ ، ص ٤٤٧ .

على إبراهيم حسن : الأيوبيين والمماليك ، ص ٤٨١ .

(٤) الرشيد بن الزبير : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٥) وجد فى تركة السيدة عبدة بنت المعز العبيدى مدهن ياقوت أحمر وزنه تسعة وعشـرون مثقـالا أو سبعة وثلاثون درهما ونصف درهم. وقيل ان هذا المدهن سرقة اليازورى من موجود السيدة عبدة. الخالديان : كتاب التحف والهدايا ، ص ٢٥٧ .الرشيد بن الزبير : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .

والخلاصة أن استخدام العطور كان شائعاً فى المجتمع الإسلامى ، الأمر الذى دعـا إلى التفكير فى تنويع هذه العطور والأدهان[1] ، كما أدى إلى البحث عـن وسـائل كفيلـة بحفظها وانتقالها بسهولة فاستخدمت أوان مختلفة لهذا الغرض ، وعصر المماليك يعتـبر بحق – بما وصلنا منه من قماقم[2] وقنينات صغيرة وكبيرة مصنوعة من النحاس المكفـت بالذهب والفضة ومن الزجاج المموه بالمينا المختلفة الألوان أو مـن الزجـاج المزخـرف بالقطع أو الحفر أو الإضافة أو من الخزف المرسوم تحت الطلاء ومن أحقـاق الأدهـان النحاسية المزخرفة بالحفر أو الزجاجية ذات الشكل المضلع أو الأسطوانى أو الكـروى ، وتمتاز جميعها بأن رقبتها تستدق كلما اتجهت إلى الفوهة حتى تحافظ علـى العطـر مـن الانسكاب أزهى عصور مصر الإسلامية فى إنتاج العطور والاهتمـام بحفظـها وبالتـالى باستخدامها .

---

(١) ومن هذه الأدهان ما يسمى بدهن الحماحم " الحبق البستانى العريض الورق " وهو الريحان – وقـد ذكر الخالديان أن محمد بن بشر أهدى إلى أحمد بن يوسف الكاتب قارورة فيها دهن الحماحم وكتـب معها :

هو دهن الحماحم الطيب النشـ ـركأرواحكم إذا كان صرفـا
أن ظرفـا هديتى لـك هـذا وإذا مـا قبلتـه ازددت ظرفـا

فقبلها أحمد بن يوسف وكتب إليه :

قـد أتانا دهن الحماحم صرفا مرحبـا بالحمول ألفـا وألـف
دهنـة لو تشمها جنح ليـل قلت ألـف مخاطـر زار ألفـا

انظر : كتاب التحف والهدايا ، دار المعارف بمصر ، ص ٣٧ .

(٢) مفردها قمقم وهو يعنى الجرة والحلقوم ، وآنية العطار ، وآنية من نحاس يسخن فيها الماء ويسـمى المحم وقنينة يجعل منها ماء الزهر ونحوه يرش منها على الضيف وغيره ، معرب كمكم بالفارسية .
انظر : بطرس البستانى : قطر المحيط ، جـ٢ ، ص ١٧٧٨ ، ١٧٧٩ .

ومن الجدير بالذكر أن مهر الأمير أنوك كان به " مائة وعـــاء لحفـظ المســك "[1] ومائة مثقال عنبر خام "[2] .

ومن الجدير بالذكر أن جهاز عروس مصر المملوكية كان لابد من اشـــتماله علـــى إحقاق نحاسية مكفتة لحفظ الاشنان[3] . فقد ذكرها المقريزى[4] وهو يعدد ما فـــوق الدكـــة النحاسية المكفتة التى لابد من وجودها فى شورة العروس .

---

(١) المسك من الزيوت العطرية الحيوانية ويستخلص من أفراز حيوان يسمى غزال المسك ، وهو مـــن أقدم الروائح العطرية ، وأكثرها استعمالا، ويستعمل مخففا فى تعطير الصابون والورائح ، وهو غالى الثمن ويذوب المسك فى الماء بنسبة كبيرة ويحضر المسك صناعيا ، ولكنه أقل جودة مـــن المســك الطبيعى . عصمت عزيز عوض : صناعة العطور ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٢١ .
وكانت النوبة موردا هاما لمادة المسك الذى يستخرج من حيوان يطلق عليها " فأرة المسك " ويعيـش ذلك الحيوان فى الجهات المدارية على نبات السنبل الذى ينمو بكثرة على التلال والهضاب ، وتـووج تجارة المسك زمن الحج إذا يتهافت عليه الحجاج ليتضمخوا به وأحيانا حرقه فى الحـــرم الشـريف لرائحته العطرة .
د. محمود الجويرى : أسوان فى العصور الوسطى ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٢) محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد ، ص ٢٤٩ .

(٣) الاشنان فارسى معرب . وقال أبو عبيدة : فيه لغتان " الاشنان " و " الاشنان " وهو الحرض بالعربية وهمزته أصل ، الجواليقى ، المعرب ص ٢٣ .
اشنان : بضم الأول عشب تبرى سوقه ويستخدم كالصابون ، د. حسين مجيب المصـــرى : المعجـم الفارس العربى الجامع مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٤ ، ص ٣٥ .
الاشنان بالضم والكسر نافع للجرب والحكة وجلاء منق مدرر للطمث . وتأشن غسل يده به . الفيروز أبادى : القاموس المحيط ، جـ٤ ، ص ١٩٦ .
الاشنان بالضم هو الذى تغسل به الثياب .
ياقوت : المرجع السابق ، مجلد ١ – ط١ ، ص ٢٦٢ .
اشنان نبات كان يستخدم قديما لغسل الألبسة عوضا عن الصابون.
د. محمد التونجى : المعجم الذهبى ، فرهنك طلائى ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الأولـــى ، ١٩٦٩م ، ص ٣٧٩ .

(٤) الخطط ، جـ٢ ، ص ١٠٥ .

حجر الخفاف[1] " حجر الحمام " :

وتقتنى العروس أيضا حجر الخفاف ولاغنى عن وجوده بحمـــام منزلـــها كـــالليف والصابون تماما . فبه تحك باطن قدميها فتجعلهما فى غاية النظافة كما تمحو ما بهما مـــن تشققات .

ويكون هذا المحك من الطين المحروق . وهو نوعان : أحدهمـــا ذو مســـام خشـــن الملمس مخطط السطح . والآخر من الصلصال المحكم المسام الناعم الملمس ، مـــا عـــدا الناحية المستعملة فتخشن . وكلا الحجرين قاتم يضرب إلى السواد وتستعمل النساء أحجـــار تكسى بالفضة الرقيقة المنقوشة ، ما عدا السطح الأسفل الذى يحك به . والمحـــك الخشـــن لازم لمن لا يلبس الجوارب وذلك حال أغلب المصريين . أما المحك الآخر فيستعمله مـــن هو أكثر رقة . وكثيرا ما يستعمل فى ذلك الأطراف لتنعيم الجلد[2] .

وتضم مجموعة الدكتور هنرى أمين عوض الخاصة حجر للحمام مخلف من حفـائر الفسطاط (لوحة رقم ١٨٥) .

وقد بلغ من اهتمام الفنان المسلمين بكل صغيرة وكبيرة أن جعـــل لحجـــر الحمـــام كسوة أو مقبض من النحاس المزخرفة بشتى الزخارف . ويضم متحف الفـــن الإســـلامى بالقاهرة مجموعة من هذه المقابض منها مقبضين يرجعان إلـــى إيـــران أن فـــى القـــرن

---

(١) حجر الخفاف (خرفش) : صخر بركانى زجاجى خفيف تملوءه الثقوب الناتجة عن احتباس بعـــض فقاعات الغازات اثناء تصلبه من الطفح البركانى ، يستعمل كمادة ساحجة ويدخـــل فـــى كثـــير مـــن مستحضرات الطلاء ، أهم موطن وجوده فى جزائر ليبارى على شواطئ إيطاليا .
محمد شفيق غربال وآخرون : الموسوعة العربية الميسرة ، دار الشعب صورة طبق الأصـــل عـــن طبعة ١٩٦٥ ، ٧٥٤ .
، خفاف : الحجر الأبيض الخفيف
Dozy, Op. Cit., I. P. 385.
يوجد بالحمامات العامة أحجار خفيفة يحك بها المستحم رجليه .
أحمد أمين : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .
(٢) لين : المرجع السابق ، ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

٧هـ/١٣م ، وكل منهما على هيئة تمثال سبع رابض ، الأول برقم سجل ١٥٢٨٠ ومقاسه ١٥ × ٩ سم ، عليه شريطان من كتابة كوفية نصها : (اليمن والبركة) و (الدولة والسلامة) وبين الشريطين زخرفة نباتية محفورة (لوحة رقم ١٨٦) .

والثانى برقم سجل ١٥٢٦٢ ومقاسه ١٤ × ١٦,٢ × ٨ سم ، عليه ثلاثة أشرطة من كتابة نسخية نصها : (العز والإقبال) و (السعادة والبقا) و (العز والإقبال) وبين هذه الأشرطة زخارف نباتية محفورة . (لوحة رقم ١٨٦) .

وبالزغم من عدم العثور على مقابض لحجر الحمام ترجع إلى مصر فى عصر المماليك فيرجح أنها كانت بنفس شكل المقبضين السابقين الذين يرجعان إلى إيران فى القرن ٧هـ/١٣م ، فمن المعهود أن شكل التحف فى البلاد الإسلامية فى فترة ما كانت متشابهة مثال ذلك الشماعد وقنينات العطر والأهوان النحاسية .

هذا ويوجد بمتحف الفن الإسلامى أيضا صحن من الخزف ذى البريق المعدنى برقم سجل ١٣٠٨٠ يرجع إلى مصر فى القرن ٥هـ/١١م ، وتمثل رسومه الاهتمام بتدليك الأرجل فهى توضح سيدة تقوم جاريتها بتدليك أرجلها .

السواك[1] :

كانت العناية بالإسنان كبيرة ، فاستعمل السواك فى تنظيفها وإخراج ما علق بينها من بقايا الطعام ، فضلا عن أن التسوك من السنة ، فقد قال الرسول ﷺ (طهروا أفواهكم فإنها مسالك التسبيح)[2] (السواك نصف الإيمان) ، (لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) ومعناه لولا خوف الحرج لجعلت السواك شرطا للصلاة كالوضوء[3] .

وقد كان النبى ﷺ يستن بعود أراك . وعن حذيفة ابن اليمان رضى الله عنه قال " كان النبى ﷺ إذا قام من الليل يشوص) بالشين المعجمة والصاد المهملة أى يدلك أو يغسل ويحك (فاه بالسواك) لأن النوم يقتضى تغيير الفم لما يتصاعد إليه من أبخرة المعدة والسواك آلة تنظيفية[4] .

---

(١) السواك المسواك ، قال أبو زيد السواك يجمع على سوك مثل كتاب وكتب قال الشاعر : اعز الثنايا أهم اللثات تمنحه سوك الاسحل ، وسوك فاه تسويكا وإذا قلت استاك أو تسوك لم تذكر الفم.
انظر : الجوهرى : الصحاح (غير محقق) ١٣٧ .
السواك عود الإراك والجمع سوك بالسكون والأصل بضمتين مثل كتاب وكتب والمسواك مثله وسوك فاه تسويكا وإذا قيل تسوك أو استاك لم يذكر الفم والسواك أيضا مصدر ومنه قولهم ويكره السواك بعد الزوال قال ابن فارس و(السواك) مأخوذ من (تساوكت) الأبل إذا اضطربت أعناقهم من الهزال .
وقال ابن دريد (سكت) الشئ (أسوكه) سوكا) من باب قال إذا دلكته ومنه اشتقاق السواك .
المقرى : المرجع السابق ، مجـ١ ، جـ١ ، ص ٢٩٧ .
والسوك بكسر السين مذكر وقيل مؤنث وجمع السواك سوك ككتاب وكتب ويجوز بالهمز والسواك مطهرة للفم مرضاه للرب .
القسطلانى : إرشاد السارى ، جـ١ ، ص ٣١٠ .

(٢) أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق ، ص ١٦ .

(٣) محمد بن مصطفى : اللباب فى أحكام الزينة واللباس ، الجزائر ، ١٣٢٥هـ، ص ١٢ .

(٤) القسطلانى : أشارد السارى بشرح صحيح الخبارى ، الطبعة السادسة ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣٠٤هـ ، الجزء الأول ، ص ٣١٠ .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال (السواك مطهرة للفم مرضاة للـــرب) وللاستياك فوائد كثيرة فهو يبيض الأسنان ويوقى اللثة ويطيب النهكة[1] .

ومن آداب العرب فى ذلك عدم استعمال السواك فى الخلاء والحمـــام والمجتمعـــات وعلى قارعة الطريق . وقد بلغت العناية بالإسنان حدا تعدى مجرد استعمال السواك ، فقـــد أمدتنا المراجع التاريخية بأن الخليفة عثمان بن عفان كان يشد أسنانه بالذهب حرصا علـــى سلامتها وحسن مظهرها[2] .

وقد اتخذ أهـــل الظـــرف للمساويك طسوتا لطافا ، وأبـــاريق الشـــبة الخفـــاف ، وكراسي الأبنوس المصدفة والخيزران المشبكة ، والأحقاق المخروطـــة ، والســـواكدانات المدهونة ، والسنونات المعمولة ، ووقتوا له الأوقـــات المعلومـــة ، ولا يســـتعملون رأس السواك مدة طويلة ، وذلك عندهم من الأفعال الذليلة ، ويتخـــذون لـــها اللفـــائف الخـــز ، وعصائب القز لحفظها[3] .

والمراة التى جبلت على حب الزينة والرغبة فى الظهور بأبهى صورة كان لابد لـها من استعمال السواك لجمال أسنانها وبياضها وأن تحمله معها ملفوفا فى قطعة مـــن أنفـــس أنواع الحرير وتضعه فى علبة خاصة به تسمى مسواكدانه مع حق بـــه المســـحوق الـــذى تدلك به الأسنان ، وكلاهما مدهون ومزخرف – إلى بيت عريسها .

---

(١) ابن الأثير : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٢٠٣ .

(٢) أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٣) الوشاء : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٨٥ ، ص ١٨٦ .

ومن وسائل الزينة الأخرى الحناء والوشم والحفوف :

الحنـــــاء :

تزينت المرأة بالحناء[1] منذ القدم فكانت المرأة المصرية القديمة تصنع من مســحوق أورق الحناء عجينة تستعملها فى خضاب يديها وقدميها وصبغ شعرها وهـــو مــا تفعلــه القرويات اليوم للتجميل .

وقد وجدت أصابع اليدين والقدمين فى بعض المومياات مخضبة بالحناء كمــا يــرى ذلك فى المومياات التى عثر عليها فى إحدى قبور الشيخ عبد القرنة بالدير البحرى بطيبـــة من الأسرة العشرين .

وكانت الحناء تزرع فى الحدائق لرائحة زهورها الزكيـــة وقــد ذكرهــا الكتــاب الأغريق فى مؤلفاتهم[2] .

---

(١) مما يذكر أن الحناء كانت تنمو على حدود فارس (إيران) ، وقد جلب المصريون القدماء أشــجارها من غرب آسيا . وقد أدخلوا الحناء ضمن المواد التى استخدمت فــى التحنيــط وتخضيــب الأيــدى والأظافر والأقدام وصبغ الشعر للتجميل وصناعة العطور واستخلاص صبغتها . وقد قلدهم فى ذلــك اليونان والرومان فاتخذوا اكاليلهم الجنائزية من أعضائها المزهرة . وقد عثر علـــى بعــض أوراق الحناء فى سلة صغيرة من العصر اليونانى الرومانى محفوظة بقســم الزراعــة القديمــة بــالمتحف الزراعى .

وكانت شجرة الحناء تسمى بالهيروغليفية (بوكر Bouker) وهو اسم كانت تسمى به شجرة مقدســة زعموا أنها كانت تظلل قبر أوزيريس سيد أهل الجنة . ولا يزال بعض الناس فى مصر يعتقــدون أن شجرة الحناء أصلها من الجنة وهو زعم قد ورثوه عن أجدادهم الفراعنة فنشاهدهم ينثرون مســحوقها تحت موتاهم مبشرين إياهم بدخول الجنة .

انظر : وليم نظير : الثروة النباتية عند قدماء المصريين ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشـــر ، ١٩٧٠م ، ص ٩٦ ، ٩٧ . وليم نظير : العادات المصرية ، ص ١٩ .

(٢) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ١٧١ ..

وقد عرفت المرأة العربية التلوين بالحناء منذ العصر الجاهلى ، وذلك بصبغ الأيـدى والأرجـــل . أمـــا عن استعماله فى صبغ الشعر فقد كان يمزج أحيانًا بمادة أخرى تعـــرف « الكتم » وخى خلطة قيل عنها أنها تجعل الشعر أشد سوادًا ونعومة[1] .

وهناك إشارة إلى أن المرأة الجاهلية قد خضبت شـــــعرها بمـــادة أخـــرى عرفـــت بالوسمة .

والتفسير اللغوى للفظ الوسمة أنها نبت وقيل شجر باليمن يختضـــب بورقـــة وهـــو أسود اللون[2] .

وعرفت المرأة الجاهلية أصباغًا تلون بها بشرتها . ذكر منها خليطًا مـــن الطيـــب يتضمخن به فيكسب وجوههم حمرة وإشراقًا ولا يكون ذلك إلا فى ذوات العز والـــثراء . ويطلق العرب على تلك النساء العواتك[3] .

وفى الإسلام أقر الرسول ﷺ الخضاب بالحناء والكتم ، فقد روى عنه أنه قـال: « أن أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم »[4] . « استوصوا بالخضاب بالحناء فى شـعوركم وأباشركم وأظفاركم »[5] .

واستعملت المرأة الأموية الخطاب بالحناء طوال ذلـــك العصـــر . وفـــى العصـــر العباسى استخدمت الحناء بالإضافة إلى مادة أطلق عليها « الخطر » وربما أنـــها كـــانت الوسمة نفسها[6] .

---

(١) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٧١

(٢) زكية العلى : المرجع السابق ، ص٦١ ، ٦٢

(٣) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، ص١٧١

(٤) محمد بن مصطفى : المرجع السابق ، ص١٧

(٥) عطا الله بن عبيد الاسكندرانى : الأربعون حديثًا فى فضل الحناء ، مخطوط بدار الكتب المصريـة ، رقم ٢١٦٣١ ب ، ظهر الورقة رقم ٤ ، السطر الثانى .

(٦) زكية عمر العلى : المرجع السابق ، ص٦٢ ، ٦٣

كما استخدمت المرأة العباسية أصباغًا للبشرة والشفاه والأظافر ومن الحلى[1] أنهن أخذن فن صبغ الشفاه والخدود عن الفارسيات اللواتى كن يستعملنه منذ أقدم العصور ، مع أن نقطة الحسن الاصطناعية كانت مما يتجمل بها الأعرابيات .

واستمر اهتمام المرأة بطلاء الأظافر فى العصر الفاطمى .

ووصل الإتقان فى استخدام المرأة للحناء إلى كتابة أشعار الحب والهيام بها ، وقد شاع ذلك لدى الجوارى فى العصر العباسى :

فقرأ على راحة « قائد » – جارية لبعض جوارى المأمون – اليمنى :

فديتك قد جبلت على هواكا فقلبى ما ينازعنى سواكا

وعلى اليسرى :

أحبك لا ببعضى بل بكلى وأن لم يبق حبك من جراكا[2]

وفى عصر المماليك استخدمت المرأة الحناء لتخضيب يديها وأظافرها وينقل لنا ذلك الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر فى ذلك العصر .

فيذكر الرحالة اليهودى ميشلام بن مناحم « أن نساء مصر قد اعتدن تخضيب أياديهن بألوان ثابتة قلما استطاع الماء إزالتها قبل مضى ستة أشهر وذلك على الرغم من اغتسالهن اليومى فى الحمامات العامة[3] .

ويذكر شيفر أن السيدات المصريات يرسمن أيديهن وأظافرهن باللون الأحمر (الحناء)[4] .

---

(١) سيد أمير على : المرجع السابق ، ص٣٨٩

(٢) الوشاء : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٣٨

(3) Dopp, Le Cairo Vu par les Occidentaux du Moyen Age Bsrge, XXVI, P. 26.

(4) Schefer, C.; Le Voyage d' Outermer, P. 211.

ويذكر فييت نقلاً عن تريفيرانو أن النساء المصريات كـــن يلبســـن ثيابًـــا بيضـــاء ويمتطين الحمير . وتشاهد أيدى بعض النساء وأظـــافرهن مطليـــة بالحنـــاء[1] وورد فـــى النجوم الزاهرة أن خوند بنت صرق مطلقة السلطان فرج بن برقوق عنـــد مقتلـــها كـــانت أصابعها مقمعة بالحناء[2] .

وللحناء شأن كبير عند العروس قبل الزفاف . ولها ليلة خاصة وهى الليلـــة التـــى تسبق ليلة الزفاف « ليلة الحناء »[3] .

ومن الأغانى المشهورة عند المصريين « الحنا يا الحنا يا قطر النـــدى .. وربمـــا كانت الأغنية القديمة ترجع إلى قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون لمـــا زفـــت إلى الخليفة فى بغداد ، وقد كانت الأغنية موجودة بالفعل فى عصر محمد على ، إذ ســـجل بعض المستشرقين نوته لغنائها[4] .

ويتم الخضاب بالحناء بسحق أوراق الحناء وعجنها بالماء ، ثم تبسيط على راحـــة الكف وأجزاء اليد الأخرى ، ثم تثنى الأصابع وتقبض اليد ، وتربط برباط من الكتان ليلـــة بطولها ، وكذلك القدم . والحناء على الأظافر تكون أكثر لمعانا وأشد صفاء وأطول بقـــاء . كما أن تخضيبها أو تخضيب الأصابع يعتبر بحق زينة للنساء ، إذ يحســـن لـــون البشـــرة ويكسبه رقة[5] .

* * *

(١) جاستون فييت : القاهرة مدينة الفن والتجارة ، بيروت ١٩٦٨م ، ترجمة مصطفى العبادى ، ص١٤٧

(٢) ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص٢٥٤

(3)Dozy, Op. Cit., I., P. 330.

، أحمد أمين : المرجع السابق ، ص١٨٢

(٤) المرجع نفسه ، ص١٨٣

(٥) لين : المرجع السابق ، ص٤٠ ، ٤١

الوشم[1] الدق :

عرفت المرأة العربية التجمل بالوشم منذ ما قبل الإسلام فاستخدمته المرأة فى العصر الجاهلى استخدامًا كبيرًا وكان الوشم فى ذلك العهد يأخذ أشكالاً زخرفية منها الكفف وهى الدارات فى الوشم . والأكثر من ذلك أن كشفت أعمال الحفر والتنقيب على أن الوشم كان معروفًا لدى المصريين القدماء والساسانيين .

ويعتقد علماء الأجناس أن للوشم فوائد سحرية أهمها أبعاد العين الشريرة ، أو قد تحمى صاحبها مما يتعرض له من أذى أو مكروره . وهو اعتقاد كان سائدًا عند الناس بصورة عامة[2] .

ويتم الوشم بأن يوخز الجلد بمجموعة من الإبر تكون سبعًا فى العادة ، على الشكل المراد رسمه حتى يسيل الدم ثم يحشى الموضع بالنيلة والكحل والنورا أو فحم أو عظم مسحوق أو مزيج من سناج الخشب أو الزيت ويلتئم الجرح فيبقى محله أخضر أو أزرق .

وأكثر ما تشم المرأة ذراعها وشفتاها ولثاتها وقد تجاوزهن إلى غيرهن . ويصور الوشم بشكل نبات أو حيوان أو صليب أو ترس أو كتابة ككتابة اسم المحبوب[3] .

وقد شاع الوشم لدى بعض القرويات المصريات . وتعرفه العوام بالدق[4] وعندما جاء الإسلام لم يقر هذا الضرب من الزينة . وأصبح الوشم مكروهًا .

---

(١) الوشم ما تجعله المرأة على ذراعها بالأبرة ثم تحشو بالنؤور – وهو دخان الشحم : الجمع وشوم وقد توشمت واستوشمت ووشمتها ووشمتها .
انظر : ابن سيدة : المرجع السابق ، الجزء الأول ، السفر الرابع ، ص٥٧

(٢) زكية عمر العلى : المرجع السابق ، ٢١ ، ٢٢

(٣) أحمد بن أحمد بن إسماعيل الحوانى : كتاب الوسم فى الوشم ، ص٤ ، ٥
، عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٧٠ ، هامش (١) .
، النؤور ما تجمع من دخان الشحم .

(٤) كلوت بك : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٠٥

وجاء ذلك بأحد الأحاديث النبوية قوله ﷺ « لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة » ، عن إبراهيم بن علقمة عن عبد الله ، قال : لعن رسول الله ﷺ الواشمات والمستوشمات والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن ، المغيرات لخلق الله[1] .

ولكن رغم كراهية الوشم فإن بعض نساء العصر الأموى كن يتزين به . كما تزينت به أيضًا نساء العصر العباسى والفاطمى[2] .

ويبدو أن طريقة الرسم هذه قد أثارت ثائرة فقهاء عصر المماليك ، لأنهم كثيرًا ما أشاروا فى كتاباتهم إلى قول الرسول ﷺ لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله . ويفهم من هذا الحديث الشريف أيضًا أن المرأة فى ذلك العصر قد اعتادت على نقش الحواجب حتى ترقها ، كما درجت على تفليج أسنانها بالمبرد للتحسين وعلى جردها لتبيض[3] .

وقد وجدت عادة الوشم بعد عصر المماليك وكانت شائعة بين نساء الطبقة الدنيا وكانت تعرف بالدق[4] .

* * *

---

(١) ابن ماجه : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٦٣٩

(٢) زكية العلى : المرجع السابق ، ص٢٤

(٣) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٤٩

(٤) كلوت بك : المرجع السابق ، جـ١ ، ص٦٠٥

، لين : المرجع السابق ، ص٤١

الحفوف :

سبق أن ذكرنا أن المرأة العربية اهتمت بتدقيـــق حاجبيـــها وأطالتـــهما بـــالأثمد ، وعرفت تلك الطريقة بالترجيج . وما زالت هذه الطريقة مستعملة عند النساء فـــى معظـــم أقطار العالم . والحاجبان بصورة عامة على نوعين :

« المقرونة » وهى التى يلتقى طرفاهما .

و « البلج »[1] وهى أن ينقطع الحاجبان ويكون ما بينهما نقيًا من الشـــعر . وقـــد مالت العرب إلى هذا اللون من الحواجب .

ويبدو أن المرأة لم تكتف بإزالة الشعر عـــن الحـــاجبين فقـــط ، بـــل شـــمل رفـــع الشعر المتناثر فى وجهها . ويســـمى هـــذا النـــوع مـــن الـــتزين بـــ « التنمـــص » أو الحـــف » .

وينســـب إلى الرسول ﷺ حديث — سبق ذكره — ينهى فيه عن التنمـــص . إلا أن بعض المصادر أوردت على لسان أم سنان الاسلمية التى حضرت زواج النبى من صفيـــة قولها : « أننا مشطناها وعطرناها ونمصناها وعندما أعرب بها رسول الله غدونـــا عليـــها فسألتها عما رأت ففكرت أنه سر بها ولم ينم تلك الليلة ، ولم يزل يتحدث إليها » .

وعن عائشة رضى الله عنها فى جواب لها عـــن ســـؤال لامـــرأة عـــن التنمـــص قالت « إن كان لك زوج فاستطعت أن تـــنزعى مقلتيـــك فتصنعيـــها أحســـن ممـــا همـــا فـــافعلى » .

---

(١) ازج الحواجب زججهما طولهما مع دقة وتقوس .
من غير قرن بالتحريك أى اتصال بينهما وعدمه يسمى بالبلج .
الشبلنجى : أسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين بـــهامش كتـــاب نـــور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار للشبلنجى ص٥٢ ، هامش أيمن .

ويبدو مما تقدم أن التنمص كان مكروها فقط عند مزاولته من قبل الفتيات غير المتزوجات[1] .

ويطلق على عملية إزالة الشعر النابت على الوجه ونحوه أيضًا (الحفوف) ويتم ذلك بواسطة نوع من اللبان الأسود ، يسيح على النار وتأخذه المرأة ساخنًا وتضعه على وجهها ثم تشده بقوة فيخرج معه الشعر من جذوره . وتفعل ذلك فى عنقها وحواجبها وغيرها . وهناك طريقة أخرى وهى أن تأخذ الرماد الحار وتدعك به الوجه دعكا شديدًا ، فيكون له مثل هذا التأثير . وقد يعقد العسل الأسود أو السكر على النار ، وبعد أن يعقد قليلاً يستعمله النساء استعمال اللبان . وهو نوع من التجميل اعتدنه بين حين وآخر فإن المرأة لا تستلطف إذا ظهر فى وجهها أو عنقها أو نحو ذلك شعر غزير[2] .

وجدير بالذكر أن المرأة القاهرية فى عصر سلاطين المماليك تفننت فى مختلف الوسائل التى تظهر بها جمالها وفتنتها ، فحرصت على العناية بنفسها وجسمها ، فأبت على أن تأخذ شعر وجهها وجسدها بالتحفيف ، وشعر حواجبها بالمساواة والزينة[3] . وقد استرعى نظر الرحالة طافور الذى زار مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى ذلك العدد الكبير من العبيد السود الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والثانية عشرة ، ويسرون فى الشوارع صائحين : « من يريد الزيانة ؟ »

---

(١) زكية عمر العلى : المرجع السابق ، ص٦٩ ، ٧٠

(٢) أحمد أمين : المرجع السابق ، ص١٧٣

(٣) ابن الحاج : المدخل ، جـ٢ ، ص١٦٧

، د. سعيد عبد الفتاح عاشور : نساء القاهرة فى عصر المماليك- أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (مارس - إبرايل ١٩٦٩م) الجزء الثانى ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧١م ، ص٥٧٢ ، ٥٧٣ ، أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٣٩ ، ١٤٠

فلما استفسر عن حقيقة أمرهم قيل له أنهم يقومون بتحفيف النساء اللائى لا يرغبـــن فـــى إتمام هذه العملية فى الحمامات العامة[1] .

وتتم عملية الحفوف ضمن عدة أشياء أخرى لزينة النساء ، فى الحمامـــات العامـــة فتقوم البلانـــة بتدليكهن وتحميتهن وتضفير شعورهن ونتف[2] شعر البدن إلخ . وكثيرًا مـــا تصطحب السيدة الغنية « بلانتها » أو « ماشتطها » عند ذهابها إلـــى الحمـــام . ويؤجـــر الحمـــام فى مناسبات عديدة ، عند الاحتفال بعرس مثلاً ، لعائلتين أو أكـــثر مـــن صفـــوة النساء . فتذهب العروس قبل الزفاف بيوم وهناك تقوم البلانة بتحفيفها وتدقيـــق الحـــاجبين ومساواتهما بالإضافة إلى الاهتمام بشعر رأسها ونظافة جسدها[3] .

* * *

---

(١) طافور : رحلة طافور فى عـــالم القرن الخامس عشر الميلادى ، ترجمة وتقديم د. حسن حبشـــى ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ ، ص٩٧

(٢) (نتف) نتف الشعر نتفًا فانتتف الشعر وتناتف ونتفت الشعور شدد للكثرة والمنتاف المنتاخ والنتافة ما سقط من النتف والنتفة ما نتفته بأصابعك من النبت أو غيره والجمع النتف .

الجوهرى : الصحاح ، جـــ٢ ، ص٥٩ (غير محقق) .

(٣) لين : المرجع السابق ، ص٢٩٨ ، ٢٩٩

كرسى الحمام :

تستغرق السيدة مدة طويلة عند القيام بعمليات التجميل مـــن حفـــوف وحـــك القـــدم بالحجر والاستحمام وتسريح الشعر وتكحيل العينين وتزجيج الحاجبين ووضـــع الدهانـــات على الشعر والوجه والتعطر . فكان من الضرورى أن تؤدى هذا وهى جالسة مســـتريحة على كرسى منخفض قريب من الأرض ، يعرف بكرسى الحمام .

ويصنـــع هذا الكرسى من الخشب المزخرف بالحفر والتطعيم ، ويحتفـــظ متحـــف الفن الإسلامى بالقاهرة على نماذج من كراسى الحمام (لوحة رقم ١٨٧) ، (لوحة رقـــم ١٨٨) .

ونظرًا لأهمية هـــذا الكرسى للمرأة فكان لا بد من وجوده بجهاز كـــل عـــروس ، ويبدو أنه كان ضمن الكراسى اللطاف التى كانت بجهاز بنت أحد أمراء عصر المماليك .

* * *

المبخرة :

ويجـدر بنا ونحن نتحـدث عن أدوات التجميل أن نذكـر المبخـرة التى تسـتخدم بما يحرق بداخلهـا من مواد ذات رائحـة عطرية فى تعطير المنـــازل والمـــلابس . والمرأة بمـا عهـد فيهـا من حب للتجميل حرصت على التبخير كى تعطر ثيابها ، كمـا أن إيمانهـا بالحسـد جعلهـا تداوم على التبخر لدفـع الشـر والعوذة من العين وتبخـر أثاثها لحفظه من التلف .

وتقبل النساء عادة على التبخـر مـن بـاب التطيـب والتجمـل وربمـا لمـآرب أخرى ، وقد اعتبر ذلك من محاسنهن . وقد وصف حميـد بـن ثـور الـهلالى امـرأة ملازمة للطيب فقـال :

لا تصطلى النار إلا مجمرًا ارجـا قد كسرت من يلنجوج له وقصـا

(واليلنجوج العود والوقص كسار العيدان)[1] .

وانشد ابن الأعرابى :

فجـاءت بكافـور وعـود الـوة شـآمية تذكـى عليهـا المجامـر

والمبخرة هى الأداة التى يحرق فيها العود ليستجمر ويتطيب به أو يتدخن ببخـوره وتسمى أيضًا المجمرة ، وقد اصطلح على تسميتها بالمبخرة .

والبخور هى الدخنة التى تنتج من حرق بعض أنواع الطيب كالعود الهندى والألـوة واللية وهى نوع من العود ، وقد يطرى العود بعنبر أو مسـك أو كـافور أو غـيره مـن الطيب[2] .

---

(١) د. حسن الباشا : المبخرة ، بحث بكتاب القاهرة تاريخها ، فنونها ، آثارها ، مؤسسة الأهرام ١٩٧٧م ، ص٦٠٢ ، ٦٠٣

(٢) المرجع نفسه ، ص٦٠٢

ومن أنواع البخور الأخرى بخور البر وبخور جـــاوى وبخـــور جـــورى وبخـــور سودانى وبخور مورشلة[1] .

وقد دعت المبخرة بما ينبعث منها من عطر أخاذ إلى أن يمتدحها الشـــــعراء فقـــال أحدهم فيها :

عطـــرت مجلســـى بنيـــة طيـــب اعربوا شكلها بحســـن البخـــارى

وإذا اعتـــــل للنســـــيم بخـــــار اسندوا نحوهـــا صحيح البخـــارى[2]

وللشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فيها :

ومبخرة تحكى المتيم فى الهـــوى تبـــوح بما تلقاه من شدة الكـــرب

تقول وقد نمت بعـــرف بخورهـــا أكتم ما ألقـــاه والنـــار فى قلبـــى[3]

وقد حظيت المبخرة كقطعة فنية بعناية الصناع والفنانين المسلمين نظرا لما كان لـــها من أهمية فى المجتمع .

وتمثل المباخر المملوكية أهمية بالغة فى فن صناعة المعادن فى هذا العصـــــر مـــن تقدم ورقى ، وهى لا تختلف فى شكلها العام وأسلوب صناعتها عن المبـــــاخر الأيوبيـــة . ويحتفظ كثير من متاحف العالم بمجموعات من المباخر المملوكية يمتـــــاز معظمـــها بـــها يغطى سطحها من رسوم جميلة مكفتة تكفيتا وافرا ومتقنا بالفضة والذهب . (لوحات رقـــم ١٨٩ - ١٩٢) .

وتمتاز زخارف المباخر المملوكية - شأنها شأن غيرهـــا مـــن التحـــف المعدنيـــة المملوكية - بمميزات زخرفية خاصة مثل رسم أزواج من الطيور مرتبطة بطرق مختلفـــة

---

(1) Dozy, Op. Cit., T. I., P. 54.

(٢) الغزولى : المرجع السابق ، جـــ١ ، ص٦٣

(٣) النواجى : حلبة الكميت ، ص١٥١

ورسم مناطق دائرية مفصصة ، ورسوم الرنوك والشارات التى شاع اتخاذها فى عصـــر المماليك ، وزخرفة السطح بخطوط دقيقة مزواة ومتداخلة ومتشابكة[1] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بنماذج للمباخر المملوكية منها مبخرة مـــن النحـــاس المكفت بالفضة باسم أحد مماليك الســـلطان محمـــد بـــن قـــلاوون المتوفـــى فـــى ســـنة ٧٤١هـــ/١٣٤١م عليها زخارف نباتية كثيرة ومتنوعة سواء فى الأشـــرطة المســـتديرة أو الجامات ع : ٣٠ – قطر ١٤ سم برقم سجل ٤٠٢٤[2] .

ومنها مبخرة من النحاس عليها زخارف مكفتة بالفضة والذهب ، ويـــدل أســـلوبها الفنى على أنها صنعت فى مصر فى أواخر القرن ٧هـــ/١٣م .

وعلى بدن هذه المبخرة جامات بها رسوم طيور خيالية ، بعضها له رؤوس آدميـــة ، والبعض الآخر يشبه الطائر الخرافى الرخ . وتعلو الغطاء قبة صغيرة . وتزينها محـــاريب بها صور قديسين وصلبان . ويظهر أن هذه القبة قد أضيفت إلى المبخرة فيما بعد ، تحقيقـــا لرغبة عميل من الأوربيين[3] .

* * *

---

(١) حسن الباشا : المبخرة ، ص٦٠٥ – ٦٠٦

(2) Wiet: Album, Du Musse Du Caire, P. 49

(٣) د. محمد مصطفى : مناظر دينية على التحف الإسلامية ، مجلة المجلة ، العدد ٤٨ ديسمبر ١٩٦٠م ، ص٤١

الزهرية :

يعد إناء الزهور من أدوات الزينة التى أقبلت على اقتنائها النساء ، وذلك لتزين بـــه - بما فيه من زهور متنوعة فى الألوان والأصناف - أماكن كثيرة من منزلها بأن تضعـــه فوق شكمجيتها (لوحة ٢١٧) وفوق صندوق ملابسها أو فوق كرسى منشورى فى ركـــن من أركان منزلها أو فوق الصفة أو فى داخل خورنق من خورنقات الدواليـــب الحائطيـــة بحجرتها . (لوحة ١٩٦) .

وقد وصلنا من عصر المماليك مجموعة من الزهريات البديعة الصنـــع والزخـــرف والتى توضـــح الاهتمام باقتناء الزهور . ومنهـــا زهريـــة من النحاس المزخرف بـــالحفر (لوحة ١٩٣ ، ١٩٤) محفوظة بمتحف كلية الآثار جامعة القاهرة ، زهرية من الخـــزف المرسوم تحت الطلاء (لوحة ٤٢) بمتحف الفن الإســـلامى بالقـــاهرة ، وزهريـــة مـــن الزجاج المموه بالمينـــا المتعـــددة الألـــوان ، محفوظـــة بـــدار الأثـــار العربيـــة بالكويت (شكل ١٩) .

كما نلاحظ أن المصورين فى عصر المماليك قد ضمنوا بعض تصـــاويرهم رســـم لإناء الزهور وفى أحدى هذه التصاوير نجد شخصين قد أمسكا بإناء للزهور[١] .

وإذا علمنا أن مصر كان ينبت بها فى ذلك العهد الرياحين والأزهار على اختـــلاف أنواعها ، كالورد بأصنافه والنرجس والبنفسج والنيلوفر والأقحوان والياســـمين[٢] ، لتيقنـــا من أن هذه المزهريات تملأ بازهى الورود والأزهار .

* * *

---

(١) عفيف البهنسى : الفن الإسلامى ، لوحة ٧٣

(٢) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص٢٨٢ - ٢٨٤

الفصل الأول

سادسًا : الحلـــى

سادسًا : الحلى[1]

إذا كان – من المعهود – إن إعداد الأثاث الخشبى وأدوات المطبخ ومفارش الأرض وأدوات الإضاءة من اختصاص والد العروس ووالدتـها ، فـإن اختيـار الحلـى وأدوات التجميل والملابس فيقع على عاتق العروس نفسها . فالمرأة بطبيعتها تنشأ فى الحلية منـذ طفولتها وتظل مولعة بها طوال حياتها .

واشتهرت المرأة القاهرية بصفة خاصة بالمبالغـة فـى اتخـاذ الحلـى واقتنائـها واستحداث الأنواع الجديدة منها . وقد ذكر المؤرخون مثلاً أنه استجد فى عـهد النـاصر محمد اتخاذ النساء للخلاخيل الذهب والأطواق المرصعة بالجواهر الثمينة بالإضافة إلى مـا كن يعرفنه من عقود وقلائد وأساور ودلايات وأقراط وخواتـم وغيرهـا . وقـد كشـفت الحفائر عن نماذج تشهد – رغم قلتها – بما وصله هذا الفن من مستوى رفيع مـن حيـث الجمال والأناقة[2] .

---

(١) اسم لكل ما يتزين به من مصاغ الذهب والفضة .

انظر : السيوطى : الدر النثير تلخيص نهاية ابن الأثير ، الجزء الأول ، ص٢٩٠

والحلى (بضم الأول وتشديد الثانى وكسره جمع حلى وهو ما يتخذ للزينة من ذهب ونحوه ، يقال فى اللغة تحلت المرأة أى لبست ، فهى حلية وحالية .

أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، المجلد الثانى ، ص١٣٩

والحلى ما تزين به من مصوغ المعدنيات والحجارة .

ابن سيدة : المرجع السابق ، جـ١ ، السفر الرابع ، ص٤٠

وقد وردت لفظة (الحلى) فى القرآن الكريم ففى سورة فاطر الآية ١٢ جاء قوله تعـالى : « ومـا يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ، ومـن كـل تـأكلون لحمًـا طريًـا وتستخرجون حلية تلبسونها » .

وفى سورة الرعد آية ١٧ قوله تعالى : « انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فـاحتمل السـيل زبدًا رابيًا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع» .

(٢) حسن الباشا : أثر المرأة فى فنون القاهرة ، بحث بكتاب القاهرة تاريخها فنونها – آثارها – مؤسسـة الأهرام ١٩٧٧م ، ص١٧٢

ولعل السر فى ندرة النماذج التى وصلتنا من العصـــر المملوكـــى هـــو أن الحلـــى والمعادن النفيسة كانت تصهر ويعاد سبكها عندما يتقادم بها العهد ، فضلا عن أن قيمتـــــها المادية تدعو إلى التصرف فيها ، ولا سيما فى الأوقـــات التـــى يســـود فيـــها القحـــط أو يضطرب فيها حبل الأمن(١) .

ونظرًا لثراء المماليك وما عرف عنهم من حب للأبهة والمغالاة فى تجهيز فتياتـــــهم نجد أن كل عروس تصطحب معها الكثير من الحلى ، فتنقل لنـــا المصـــادر أن الســـلطان الناصر محمد جهز إحدى عشرة ابنة له احتوى أقل جهاز منها على« جواهر ولآلئ »(٢).

وأنه كان بجهاز ابنة بكتمر الساقى عروس ابن السلطان الناصر محمد الكثير مـــن الصناديق التى فيها المصاغ ، وكان الزركش والمصاغ ثمانون قنطارًا بالمصرى ذهـــب(٣) ما بين حلى وجوهر ومصوغ(٤) .

فنحن إذا علمنا إن الأوانى والشماعد كانت مـــن الذهـــب والملابـــس والعصـــائب والنـــاموسيات (البشاخين) والمفارش كانت مزركشة ومزينة بالذهب ، حتـــى القبـــاقيب كانت مرصعة بالذهب ، تيقنا أن حلى عروس عصر المماليك كانت من أفخم وأبدع وأثمـن ما صيغ لعروس . وكان من المعروف فى الدول المحاربة لمصـــر المملوكيـــة أن أكـــبر غنيمة يغنمها الجندى المقاتل إذا استطاع أن يقتل جنديًا مصريًا هى الاستيلاء على ملبوســـه وسلاحه وفرسه وسرجه وكلها منزلة بالذهب مصنوعة من الحرير فإذا كان لباس الرجـــل

---

(١) أحمد عبد الرازق : المرأة فى مصر المملوكية ، ص١٦١ ، ١٦٢

(٢) المقريزى : السلوك ، جـ٢ / قسم ٣ ، ص٥٣٦

(٣) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٦٨

على مبارك : الخطط ، جـ٢ ، ط. ٢ ، ص٣٢٩

(٤) ابن حبيب : تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه ، تحقيق د. محمد محمد أمين ، الهيئـــة المصريـــة العامة ١٩٨٢م ، جـ٢ ، ص٣١٧

أكبر غنيمة فكيف كان لباس السيدة وحليها وجواهرها[1] . وتنقل لنا المصادر أنه كان لـدى بعض السلاطين والأمراء المماليك كميات كبيرة من الجواهر والحلى ، فيروى أن شـجرة الدر عندما أوشكت على الوقوع فى أيدى أعدائها جمعت معظم ما لديها من جواهر ولآلئ واتلفتها بأن كسرتها فى الهاون[2] .

وعندما أحصيت أموال النشو فكانت ١١٥ ألف دينار و ١٥٠ حبة لؤلؤ و ٧٠ فـص بلخش وقطعة من زمرد زنتها رطل و ٦٠ حبلا من لؤلؤ كبار زنته ٤٠٠ مثقـال و ١٧٠ خاتمًا من ذهب وفضة لها فصوص مثمنة وكف مريم مرصع بجوهـر وصليب ذهـب مرصع وغيرها[3] .

كما وجد عند الملك المظفر بيبرس ٧٠٩هـ/١٣١٠م « جواهر عظيمة القـدر »[4] وأورد كلاً من المقريزى وابن أياس بيانًا عن ثروة الأمير سيف الدين سلار نائب السـلطنة فى عهد السلطان بيبرس الجاشنكير والذى أمر السلطان الناصر تقبله عقب عودتـه إلـى السلطنة الثالثة – يتضمن ما اشتملت عليه تركته عندما ضبطت فى جمادى الأولـى سـنة سبعمائة وعشرة هجرية ، فوجد له فى يوم ياقوت[5] أحمر زنة رطلين ونصف ، وبلخـش زنة رطلين ونصف ، وزمرد تسعة عشر رطلاً ، وستة صناديق فيـها جواهـر ، ومـن الماس وعين الهر ثلاثمائة قطعة ، ولؤلؤ زنة كل حبة ما بين مثقال إلى درهم عـدة ألـف

---

(١) حسن محمد الهوارى : أثر المرأة فى الفن الإسلامى بحث بمجلة الهندسة – العـدد الأول – ينـاير ١٩٣٤م – مطبعة الاعتماد – ص٤٢٦

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشـام ، دار النهضـة العربيـة ١٩٧٦م ، الطبعة الثانية ، ص٢٢

(٣) محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد بن قلاوون ، ص٢٨٩ ، ٢٩٠

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٨ ، ص٢٧٦ ، ٢٧٧

(٥) أصل الياقوت ثلاثة الأحمر والأصفر والكحلى ولكل واحد منهم فى جنسه حجارة تقاربه فى اللـون والمنظر والأحمر أنفسها وهو حجر إذا نفخ عليه فى النار ازداد حسنًا وحمرة .
Julius Ruska: Das Steinbuch des Aristoteles Heidelberg, 1912, P.

ومائة وخمسين حبة ، وذهب عين مصرى مبلغ مائتى ألف وأربعة وأربعين ألف دينـــار ، وفضة دراهم مبلغ أربع مائة ألف واحد وسبعين ألف درهم ، ووجد له أيضًـــا فـــى يـــوم فصوص مختلفة زنة رطلين ، وذهب عين مصرى مبلغ خمسة وخمســـين ألـــف دينـــار ، ودراهم فضة ألف ألف درهم ومصاغ من الذهب ما بين خلاخيل وأساور أربعـــة قنـــاطير مصرى[1] .

وقد كان الناصر يعنى بجمع أصناف الجواهر ، وعرف التجار عنه ذلك فتنافســـوا فى إحضارها إليه من شتى الأقطار[2] . وقد وجدت فى تركته كميات كبيرة مـــن اليـــاقوت المختلف الألوان ، والبلخش[3] والزمرد ، وعين الهر واللؤلؤ ، والحلى المختلفة المصنوعـــة من الذهب[4] .

وعندما تغير السلطان الناصر محمد (٧٤٠هـــ/١٣٤٠م ، على المقر السيفى تنكـــر نائب الشام ، واحتاط على موجودة كان فيه من الفصوص الياقوت والبلخش واللؤلؤ الكبـــار ثلاثة صناديق بالإضافة إلى حلى نسائه[5] . هذا ومما يذكر إن الأمير بشتاك قد فرق علـــى ممالكيه وأجناده – فى عام ٧٤٣هـــ/١٣٤٣م ، فى سلطنة المنصور أبو بكـــر بـــن الملـــك الناصر محمد – وأخرج ثمانين جارية من جواريه اعتقهن وزوجهن من مماليكه بعـــد مـــا

---

(١) المقريزى : السلوك ، جـــ٢ ، القسم الأول ، ص٩٧

(٢) محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد بن قلاوون ، ص٢٦١

(٣) يسمى اللعل بالفارسية وهو جوهر أحمر شفاف صافى يضاهى فائق الياقوت فى اللون والرونـــق ، ويختلف عنه فى الصلابة وكان يباع فى أيام بنى بويه بقيمة الياقوت ، وليس لهذا الجوهـــر منفعـــة كالياقوت بل يشترى لحسنه .
محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصارى : نخب الذخائر فى أحوال الجواهر ، ص٦ ، ٧ – مخطـــوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم طبيعيات تيمور رقم ٨٦

(٤) المرجع نفسه ، نفس الصفحة .

(٥) ابن أياس : المصدر السابق ، جـــ١ ط. ١ ، ص٤٧٧ ، ٤٧٨

شورهن باللؤلؤ والزركش ، وغير ذلك مما له قيمة كبيرة جـدًا ، وبعـث إلـى الأمـراء الخاصكية شيئًا كثيرًا من الذهب والجوهر واللؤلؤ[1] والتحف[2] .

وفى رمضان سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م فى سلطنة المظفر زيـن الديـن حـاجى بـن الناصر محمد بن قلاوون - قدمت أموال يلبغا اليحياوى من دمشـق وكـان مـن بينـها الجواهر والحلى واللؤلؤ والمصاغ[3] .

هذا ويذكر المقريزى أنه ساعة القبض على ابن زنبور - فى عام ٧٥٣هـ/١٣٥٢م فى سلطنة الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد بن قلاوون - أوقعـت الحوطـة على حريمه وختمت بيوته وبيوت أصهاره وكانت حريمهم فى الفـرح وعليـهن الحلـى والحلل[4] . وفى رمضان عام ٧٨٥هـ فى سلطنة الظاهر برقوق - قبض السلطان علـى سعد الدين نصر الله البقرى ، ناظر الخاص ، وهو واقف فى الخدمة ، وكان قـد اجتمـع نساؤه فى داره لفرح عندهم ، وعليهن من اللؤلؤ والجواهر ، والذهب والثياب والحريـر ، ما يجل قيمته ، فنزل الأمير قرقماس ، الخازندار ، والأمير بهادر ، الاستادار ، وأحاطـا بداره ، وقبضًا على نسائه وغلمانه وحاشيته وجميع من فى داره ، فبلغت قيمة مـا علـى نسائه من الحلى بنحو من مائتى ألف دينار[5] .

---

(١) عرف اللؤلؤ منذ القدم ، وهو حجر شريف ، وجوهر ثمين معدنى حيوانى . وهو من أجل الأحجـار قيمة وقدرًا مرتفعًا ، وحلية تلبس ، واللؤلؤ نوعان كبير ويسمى الدر وصغير ويسمى اللؤلؤ . وأجـود اللؤلؤ النقى المستدير . وهو ألوان فمنه أصفر مستدير ومنه أخضر وأزرق .
انظر : عبد الرحمن زكى : الأحجـار الكريمة فى الفن والتاريخ ، المكتبـة الثقافيـة ١٠٨ - مـايو ١٩٦٤م ، ص١٣٦ ، ١٣٧

(٢) المقريزى : السلوك ، جـ٢/قسم ٣ ، ط. ١ ، ص٥٦٠ ، ٥٦١

(٣) المصدر نفسه ، ص٧٤١

(٤) المصدر نفسه ، ص٧٧٨

(٥) ابن أياس : المصدر السابق ، جـ١ / قسم ٢ ، ص٣٣٦

أما عن أوصاف الحلى فنادوا ما تحوى المصادر التاريخية عن وصف دقيق للحلى يمكننا عن طريقه أن نقف على طرزها ونوع زخارفها وأسلوب صناعتها على وجه سليم . ولعل مرجع هذا القصور أن أكثر هؤلاء المؤلفين لم ير تلك الحلى والجواهر التى عنى بالكتابة عنها ، أما لأنها كانت محفوظة فى خزائن لم يكونوا يستطيعون الوصول إليها ، أو لأنها كانت زينة للخوندات وزوجات الأمراء والمحظيات والجوارى وأما لأن ما كتبوه كان منقولاً عن مصادر ليس لها بالحلى والجواهر دراية كبيرة[1] .

ونستشف مما وصلنا من حلى يرجع إلى عصر المماليك ومما جاء بالمصادر أنه وجدت حلى للرقبة والأذن واليدين والرجلين .

* * *

(١) أحمد عبد الرازق : المرأة فى مصر المملوكية ، ص١٦٢

أنواع الحلى

فطرت المرأة محبة للزينة وحب الظهور ، ولقيمة الذهب فى نظر العالم ولمكانتـــه الممتازة آثرت أن يتخذ منه زينتها وحليها فاختارت القرط زينة لأذنيـــها والســـوار حليـــة لمعصميها والقلادة ليزدان بها جيدها ، ومن الخواتيم حلية لأصابعها ، وما إلى ذلـــك مـــن مستلزمات المرأة للحلى والتزين باختلاف الأوقات والأزمات[1] .

حلى الرقبة

العقود – اللبة – القلائد – الشعاير – الأطواق

تعتبر العقود[2] من أقدم أنواع الحلى ، وقد استخدمت فى مصر منذ عصر البـــدارى حوالى سنة ٥٠٠٠ ق. م .

وهناك أكثر من رأى يقول ، أن الدافع الأول للإنسان لاستخدام العقود يرجـــع إلـــى محاولته ، لإيجاد وسيلة مريحة لحمل بعض العناصر الطبيعية أو القائم التى يعتقـــد بأنـــها تحمل فى طياتها قوى سحرية ، قادرة على حمايته من أهوال الطبيعة والأرواح الشـــريرة ، كما تهبه الصحة والقوة . لذلك نجد أن أكثر العقود تتكون من صـــف مـــن الخـــرزات أو الدلايات أو أكثر ، وعادة نجد أن العقد إذا كان سلسلة بسيطة فإنه تتوسطه دلاية هى رمـــز التميمة أو التميمة ذاتها[3] .

ويتخذ العقد أنماطًا كثيرة ، فمنها ما يقتصر علـــى الذهـــب ، ومنـــها مـــا يرصـــع بالأحجار الكريمة[4] .

---

(١) محمود السرجانى : فى الصاغة ، ص٣

(٢) وعن أشكال العقود والدلايات فى العصر الفرعونى– انظر :

- Cyril Aldred: Jewels of the pharaohs Egyptian Jewelry of the Dynastic Period.

(٣) على زين العابدين : المصاغ الشعبى ، ص١٣٩

(٤) عبد الرحمن زكى : الحلى ، ص٤٢

ومن الغريب أن العقود كانت من الهدايا التى تتبادل بين الرجال فيذكر الجهشـــيارى أن زياد أهدى إلى معاوية هدايا كثيرة ، وكان فيها عقـــد جوهـــر نفيـــس ، فـــأعجب بـــه معاوية[1] .

وأيضا وهب المأمون للحسن بن سهل عقدا قيمته ألف ألف درهم[2] .

ووصلنا من حلى نساء عصر المماليك بعض العقود الذهبية منـــها واحـــد محفـــوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة يتألف من عشرين سملكا شغل شفتشـــــى أى ذو زخـــارف مخرمة تشبه الدانتلاء شكلها بيضاوى ، وبأعلى كل منها لؤلؤة صغيرة الحجـــم . ويتدلـــى من العقد ثلاث دلايات مستديرة بوسط كل منها حجر مستدير ، والوسطى منها مثبتة فـــى شكل هلال صغير مطعم بالمينا يعلوه كتابة دعائية نصها « عزدائم »[3] .

وقد تعددت وتنوعت أشكال العقود ومادة صنعها ، من ذلك ما كانت تتزين به نســـاء القاهرة من عقود طويلة تتكون من قطـــع الجنيه الذهبية وكان يعرف هـــــذا العقـــد باســـم البندقى . ومن المعروف أنه شاع فى عصر المماليك الجراكســـــة التعـــامل بالمســـكوكات الأوروبية ومن بينها النقود البندقية (الدوكات) التى أطلق عليها أحيانا فى أسواق القـــاهرة اسم البندقى وربما اتخذت هذه العقود من قطع من هذه العملات المسماه بـــــالبندقى ، كمـــا كانت تستعمل بعض قطع النقود الذهبية التركية أو المصرية فى صنع بعض أنواع العقـــود والقلائد . ومن أنواع العقود أيضا النوع المعرف باسم « لبه »[4] وهو يتكون مـــن عـــدة

---

(١) الجهشيارى : الوزراء والكتاب – تحقيـــق مصطفى السقا وآخرون ، الطبعـــــة الأولـــى ، القـــاهرة ١٩٣٨م ، ص٢٧

(٢) الخالديان : التحف والهدايا ، ص٢٥٧

(٣) أحمد عبد الرازق : المرأة فى عصر المملوكية ، ص١٦٤

(٤) اللبة واللبب من الصدر أوسطه ولبة القلادة واسطتها والتلبيب ، ما فى موضع اللبب من ثياب الرجل ولببته جعلت فى عنقه ثوبا وقبضت عليه .

، البلوى : ألف با ، جـــ١ ، ص٣٣٥

، والمتلبب موضع القلادة واللبة موضع الذبح .

، ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث ، جـــ١ ، ص١٤٠

خرزات ذهبية مجوفة أى غير مصبوبة ، وقد شاع استعمال هذا النوع من القلائـــد لـدى نساء الطبقات الفقيرة لانخفاض ثمنه[1] .

وتصنع اللبة من الفضة أو النحاس المطلى للطبقات الشعبية البسيطة ويحتفظ متحـف الفن الإسلامى بنماذج منها لبة رقم سجل (٧٥٥١) لوحة (١٩٩) ومن حلـــى الرقبـة القلائد ، ويسمى موطن القلادة بالمقلد وأنفسها ما كان من اللؤلؤ وحده أو مفصلاً مع غـيره من الجواهر ، ومنها الزمرد والزبرجد والياقوت والمرجان ، وقد يضاف إلى ذلك الشـــذر وهو حبات من الذهب . والجمان وهى لألئ من الفضة وهم يسمون اللؤلؤة التـى تتوسـط حبات العقد بالواسطة .

ويطلق على القلادة اللاصقة بالعنق التقصار أو المخنقة وتسمى الأهـداب المتدليـة من القلادة على الصدر بالسعوط ، وواحدها سعط ، والسعط أيضًا الخيط ينظم فيه اللؤلـــؤ وغيره[2] .

ومما يذكر أنه كان للسيدة خديجة زوجة الرسول قلادة وهبتها لابنتها زينـــب حيـن زواجها[3] .

ومن أنواع القلائد أيضًا البريم والمناطق الذهبية . والبريم خيطان مختلفـــان أحمـــر وأبيض مزينان بالجوهر تشدهما المرأة على وسطها وعقدها .

ويمكن اعتبار المناطق الذهبية النسائية ضمن الحلى التى اســتعملت فـى العصـــر العباسى .

ومن أوضح نماذج المناطق ما نراه فى إحدى منمنمـــات نسـخة اكسـفورد مـن مخطوط الصوفى . وقوام النطاق فى هذه المنمنمة شريط معدنى يزينه جامـــات زخرفيـة تتألفمن خطوط مستقيمة وحلزونات ويحتوى هذا النطاق على قفل فى وسطه .

---

(١) حسين عليوه : الحلى ، بحث بكتاب القاهرة تاريخها ، فنونها ، آثارها ، مؤسسة الأهرام ، ص٥٧٥

(٢) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ١٣٠ ، ١٣١

(٣) أحمد شلبى : المرجع السابق ، ص٣٤٢

ويبدو لنا نموذج آخر من المناطق فى رسم سيدة على جرة مزججه مـــن صناعـــة قاشان تعود إلى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى وقوام النطاق فيـــها شـــريط معنى خال من الزخرفة غير أن حافاته السفلى مسننة[1] .

وتعتبر العقود والقلائد من قطع الحلى الهامة التى كانت المرأة القاهريـــة تحـــرص على التزين بها ، وقد أنتجت القاهرة الكثير من العقود ذات الأشـــكال المتنوعـــة الكبـــيرة والصغيرة ، وكانت العقود والقلائد تصنع غالبًا من الذهب كما كانت فى بعـــض الأحيـــان ترصع بالأحجار الكريمة ، وتتكون العقود والقلائد فى العادة مـــن أكـــثر مـــن صـــف ، والصف يتكون من سلسلة ذهبية تتصل بها قطع صغيرة أو كبيرة من الذهب ذات أشـــكال مستديرة أو هلالية وتنتظم هذه القطع فى السلسلة بترتيب خاص فيما بينها وبين الصـــف أو الصفوف الأخرى المماثلة له ، ويتكون من هذه الصفوف – المرتبة ترتيبًا معينًا – شـــكل العقد « أو القلادة »[2] .

وفى عصر المماليك شاع التحلى بالقلائد العنبرية إلى جانب القلائد الذهبية ، فيذكـــر المقريزى فى معرض حديثه عن سوق العنبريين أنه « لا يكاد يوجد بأرض مصر امـــرأة وأن سفلت إلا ولها قلادة من عنبر »[3] .

ومن حلى القلائد الدلايات وهى من أجمل قطع الحلى ، وتتخـــذ أشـــكالاً ســـاذجة وأخرى رائعة وهذه الأشكال كثيرة جدًا ، فمنها ما هو على شـــكل الـــهلال أو النجـــم أو الصليب ومنها ما يتألف من آية قرآنية أو عبارة دعائية أو شكل حيوان ، أو قفل صغـــير أو حدوة الفرس .

ومن الدلايات أنواع ذات أشكال معقدة تثبـــت فيـــها الأحجـــار الكريمـــة كالمـــاس والفيروز والزبرجد[4] .

---

(١) زكيه عمر العلى : التزيق والحلى ، ص١٧٤ ، ١٧٥

(٢) حسين عليوه : الحلى ، ص٥٧٣

(٣) الخطط ، الجزء الثانى ، ص١٠٢

(٤) عبد الرحمن زكى : الحلى ، ص٤٤

ويضم المتحف العراقى مجموعة من الدلايات ربما من أهمها دلايـــة مـــن الذهـــب هلالية الشكل تقريبًا الزخرفة فيها رسوم هندسية ونباتية محورة بارزة ويحتفظ متحف الفـن الإسلامى بالقاهرة بدلاية مشابهة لها إلى درجة كبيرة سواء فى الشكل أو الزخرفة وهـــى منسوبة إلى القرن ٥ أ ، ٦هـ – ١١ أ ، ١٢م[١] .

وتتشابه معهما دلاية ذهبية ترجع إلى مصر فى القرن ١١م وهى مخلفـــة بوصيـــة عن مستر دافيس محفوظة بمتحف المتربوليتان بنيويورك[٢] . هذا ويحتفظ متحـــف الفـــن الإسلامى بالقاهرة بدلاية ذهبية ترجع إلى ق٧هـ/١٣م تقريبًا تزخرفها كتابة نسخية نصـــها « عز دائم » ونفذت هذه الزخرفة بالمينا المتعددة الألوان .

وبمناسبة ذكر الدلايات نرى أن نشير إلى استعمال نساء الفلاحين لهذا النـــوع مـــن الحلى وقد كانت الدلايات الخاصة بهن تتألف من سلاسل تعلق على الأصداغ وترخى إلـــى الصدر ، ويجعل فى آخرها جلاجل من فضة وبرق ونحو ذلك[٣] .

ويبدو أن نساء عصر المماليك اعتـــدن أن يزيـــن أعناقـــهن ، بقلائـــد أو سلاســـل مصنوعة من البلور أو الحجارة الكريمة كالعقيق أو الجزع أو الذهب أو اللؤلـــؤ ، فتذكـــر إحدى الوثائق أن سلسلة المرأة كانت من الكهربا وهو نوع من الصموغ ويسمى مصبـــاح الروم توجد قطرات كالصموغ تقطر من الدوم عند طلوعه وتكون شبه العسل وقد تكـــون السلسلة من الذهب أو من خرز الكارب ذات حبات عشرة[٤] .

ومن حلى الرقبة الذهبية نوع يسمى الشعاير وهـــى ضـــرب مـــن الحلـــى أمثـــال الشعير[٥] . ولم تكن زينة الرقبة قاصرة على العقود والقلائد فقد عرفـــت نســـاء القـــاهرة الأطواق التى تزين الرقبة وكان الطوق[١] ، يصنع عادة من الفضة أو النحاس الأصفر وقـــد

(١) زكيه عمر العلى : التزيق والحلى عند المرأة ، ص١٧١

(2) Manlyn Jenkins, Manuel Keene: Islamic Jewelry in the Melropolitan Museum of Art, the Molropolitan Museum of Art, New York, 1982.

(٣) الشربينى : المرجع السابق ، ص٦٠

(٤) صالحية : المرجع السابق ، ص٣١

(٥) ابن الأثير : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٤٤

تزين الرقبة وكان الطوق[1] ، يصنع عادة من الفضة أو النحاس الأصفر وقد صنعت من الحديد أيضًا أطواق صغيرة تتحلى بها الفتيات الصغيرات[2] .

وقد كانت الأطواق المرصعة والأطواق الفضية شائعة لدى نساء الفلاحين وكانت تعرف عندهم باسم « الضامن »[3] .

ويبدو أن الأطواق المصنوعة من الفضة والنحاس الأصفر والحديد كانت خاصة بنساء الطبقات السفلى والشعبية والفلاحين . أما الطبقات العليا فكانت نسائها يلبسن الأطواق الذهبية ، فيذكر ابن تغرى بردى فى أحداث سنة ٧١٠هـ/١٣١١م أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون هو أول من اتخذ من ملوك مصر ديوانًا للاسطبل السلطانى ، وأنه كان يرغب فى الفرس المجلوب إليه أكثر مما توالد عنده ، فعظم العرب فى أيامه لجلب الخيل وشمل الغنى عامتهم ، وصاغ السلطان لنسائهم الأطواق الذهب المرصع »[4] .

---

(١) الطوق حلى للعنق وكل ما استدار بشئ جمع أطواق .

، الفيروز ابادى : القاموس المحيط ، ط٥ ، جـ٣ ، ص٢٥٩ .

، الطوق والعقد حلى يجعل فى العنق وكل شئ استدار طوق كطوق الرحى الذى يدير القطب ونحو ذلك .

، ابن سيدة : المخصص ، جـ٤ ، ص٤٤

(٢) حسين عليوه : الحلى ، ص٥٧٥

(٣) الشربينى : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص١١٥

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، مطبعة دار الكتب ١٩٤٤م ، جـ٩ ، ص١٦٨

، المقريزى : السلوك – جـ٢ ، قسم ٢ ، ص٥٢٧

القـــــــرط :

هو نوع من الحلى تتزين به النساء ، ويتدلى من الأذنين ، وعادة يعلـــق وبخاصـــة فى المجتمعات المتمدينة — بواسطة مشبك أو دبلة تمر من فتحة تثقب فى شحمة الأذن فـى سن الطفولة يترك بها عود ثقاب من الخشب حتى يندمل الجرح[1] .

ولبس الأقراط فى الأذن عادة قديمة جدًا عرفها الشـــرقيون . وانتقلـــت مـــن آســـيا موطنها الأصلى إلى أوروبـــا عن طريق أسـيا الصغـــرى وعرفـــها العـــرب وانتقلـــت بواسطتها إلى أسبانيا وصقلية ، وكان الجرمان والغالة القدماء ذكوراً أو نســـاء يضعـــون الأقراط فى آذانهم . وكان ذلك يتطلب أحياناً ثقب شحمة الأذن أو الاقتصار علـــى تثبيـــت القرط فيها[2] .

وقد ثقبت سارة أذن هاجر أم إسماعيل وجعلت فيهما قرطين[3] . ويتخذ القرط عـــادة أما شكل حلقة بسيطة أو دلاية صغيرة .

ولتباين أشكال الأقراط واختلاف أنواعها أطلق على كل شكل اسم خاص مميز لـــه . (حلق ساقية) يمثل شكل الساقية تمامًا ، ويطلق عليه اسم حلق (ترس) لمشابهته للـــترس الذى كانت تلبسه العرب فى صدر الإسلام ، فكان الرجل يتمنطق بالترس والمرأة تتحلـــى بحلق الترس كى تذكره دائمًا بالحرب .

(حلق خنجر) على هيئة قبضة الخنجر وهو فى الأصل صناعـــة إيطاليـــة نقلـــها عنهم المصريون .

---

(١) على زين العابدين : المصاغ الشعبى فى مصر ، ص١٦١

(٢) عبد الرحمن زكى : الحلى فى التاريخ والفن ، ص٤١

(٣) مما يذكر أن أول امرأة خفضت هاجر أم إسماعيل ، وذلك أنها حين تغيرت عليها ســـارة لتســـرى إبراهيم عليه السلام بها حلفت لتقطعن شيئا من جسدها فأشارَ عليها إبراهيم أن تخفضها وتثقب أذنيها ، وتجعل فيهما قرطين ففعلن فزادت حسناً .

، انظر : القلقشندى : صبح الأعشى ، مطبعة دار الكتب بالقاهرة ، ١٩٢٢م ، الجزء الأول ، ص٤٣٤

(حلق مشرف) على شكل المشرفى (السيف) قد اعتادت نساء العرب أن تتحلى به تشجيعا لرجالها على حمل السيف[1] .

والأقراط كما يقول ابن سيده حلق تعلق فى أسفل الأذن[2] .

وكان للأقراط عند العرب تسميات مختلفة منها الخرص[3] ، والخرص والخرصة كما يقول ابن سيدة هى القرط الذى يتدلى من جزئه السفلى حبة واحدة ، وقيل هى الحلقة من الذهب[4] . ومن اشهر ما عرفه التاريخ قرطا مارية بنت ظالم ابن وهب وكانت عليها درة تشبه بيض الحمام لم ير مثلها فكانت مضرب الأمثال « خذه ولو بقرط ماريه »[5] .

ومن تسميات الأقراط الأخرى « الرعاث » التى لم يقتصر استعمالها على النساء بل تعدى ذلك إلى الرجال . وسمى « القرط » الخلدة وقد ورد ذكر لها فى القرآن الكريم : « ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا » .

وسمى الخيط الذى يربط طرفى القرط بعد تثبيته بالأذن « المعقاب » أو « العقاب » .

واستمر استعمال الأقراط الذهبية فى صدر الإسلام وما بعده[6] ..

وفى عصر المماليك وعلى الرغم من أن أغلب فقهاء هذا العصر قد نادوا بضرورة تحريم ثقب الأذن والأنف فقد وصلتنا بعض الأقراط الذهبية والفضية من العصر المملوكى ومنها قرط كبير من الذهب محفوظ بمتحف الفن الإسلامى على شكل دائرة يتوسطها

---

(١) محمود السرجانى : فى الصاعة ، ص٣ ، ٤

(٢) المخصص : المرجع السابق ، الجزء الأول ، السفر الرابع ، ص٤٣

(٣) ابن منظور : المرجع السابق جـ٣ ، ص٧ ، ٢٢

(٤) ابن سيدة : المرجع السابق ، الجزء الأول ، السفر الرابع ، ص٤٣

(٥) ومارية هذه بنت ظالم بن وهب ابن الحارث بن معاوية الكنيدى وابنها الحارث الاعرج .

، الثعالبى : ثمار القلوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر ١٩٦٥م ، ص٦٢٩

(٦) زكيه العلى : المرجع السابق ، ص١٣٩ - ١٤٨

شريط مستطيل به زخارف ذات أشكال نباتية وهندسية مفرغة وتتدلى من أسفله حليتين تكتنفان دائرة صغيرة بها زخارف مخرمة .

كذلك يحدثنا أحد الرحالة الأجانب بأن النساء قد اعتدن أن يثقبن آذانهن لتزيينها بالأحجار الثمينة ، وبأن هذه الثقوب تتراوح ما بين ثمان وعشر ثقوب(١) .

هذا ، وقد جاء بوثائق الحرم القدسى المملوكية أنه وجد عند امرأة متوفاه حلق ذهب بشمائج أربع لؤلؤات ، وعند أخرى حلق ذهب بفص جميز ، ومن الأقراط التى تلبس فى أسفل الأذن كانت امرأة تلبس قرط ذهب بلؤلؤ ومنمقة بأحرف هجائية(٢) .

ومن حلى الأذن الأخرى الشنف(٣) وهى قرط يعلق فى أعلى الأذن . وتكون غالبًا من الذهب أو الفضة .

ويبدو أن العرب عرفوا الشنوف قبل الإسلام(٤) . واستعملت أيضًا فى العصر الأموى ليس فقط للنساء بل للرجال أيضًا . كما وجدت فى العصر العباسى(٥) .

والواقع أن المصورة الوحيدة التى فيها رسم سيدة تبدو فى الجزء العلوى من أذنيها حلية قد تكون الشنف ممثلة على إناء خزفى من صناعة قاشان من القرن ٦هـ/١٢م(٦) .

---

(١) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٦٦

(٢) صالحية : ص٣١

(٣) القرط الأعلى : والجمع شنوف ، مثل فلس وفلوس ، وشنفت المرأة تشنيفًا من تشنفت هى مثل قرطتها فتقرطت .

انظر :

الجوهرى (إسماعيل بن حماد) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا ، الجزء الرابع ، دار الكتاب العربى بمصر ، ص١٣٨٣ الشنف ، ما علق فى أعلى الأذن والجمع أشناف وشنوف . ابن سيدة : المرجع السابق ، جـ٤ ، ص٤٣

(٤) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٣٠

(٥) زكيه العلى : المرجع السابق ، ص١٣٩ ، ١٤٠

(6) Pope, A survey of persion Art, Vol. X, PL. 52.

ومن الجدير بالذكر أن التزين بالأقراط فى أعلى الأذن ظاهرة تتميز بها المرأة النوبية إذ تتزين بقرط أو اثنين فى أعلى الأذن ، فضلاً عن القرط الذى فى أسفل الأذن أى فى شحمتها[1] .

---

(١) على زين العابدين : فن صياغة الحلى الشعبية النوبية– الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١م ، ص٧٦ ، لوحة رقم ٩

حلى اليدين والرجلين :

وإذا ما انتقلنا فى الكلام إلى حلى اليدين عند المرأة نجد أنها على أنـــواع مختلفـة منهـا الخواتيم التى استخدمها الإنسان لزينة أصابعه منذ أقدم العصور فى جميـــع بلـدان العالم . وكان يعتبر من حسن الذوق أن يقتصر على خاتم واحد ، وفى الوقت ذاتـــه كـان بعض الناس يزينون أصابع أيديهم بكثير من الخواتم . وكـــانت الخواتـم تلبـس للتحلـى والزينة ، كما أنها استخدمت أيضا رمزا للخطوبة أو علامة للنفوذ والسلطان .

واتخذ الخاتم أشكالا عدة ، فمنها الساذج الذى صيغ على شكل حلقة من المعـــدن أو من الحشائش المجدولة[1] .

ويطلق على الخاتم[2] البسيط الذى لافص له « الفتخ » أو « الحلق » وهذا النوع كان يلبس فى أصابع اليد والرجل على السواء .

وقد ذكر أنه كان لام حبيبة زوجة الرسول خواتيم من فضـــة كـــانت فـــى أصـــابع رجليها[3] .

ومن الخواتم أنواع معقدة اتخذت أشكال رؤوس الحيوان أو صورة انسية . ومنـــها ما يثبت فيها فصوص من الأحجار الكريمة كالماس والياقوت أو الزمرد وغيرها وقد قيـــل أنه كان للنبى خاتم من هذا النوع .

وعلى العموم ، فقـد بذل الصائغ غاية مهارته ، فأبدع وأجاد فـــأنتج العديـد مـن الأنماط الجميلة التى دلت على حســن ذوقـه وحبه للابتكار تلبيـة لرغبـات العمـــلاء . ولس بخاف أن الخواتم المصنوعة من الخزف الملون عرفت فى مصر القديمة[4] .

---

(١) عبد الرحمن زكى : الحلى ، ص٣٢

(٢) الخاتم جمعه خواتم أو خواتيم.

Dozy, Op. Cit., T. I., P. 351.

(٣) زكى عمر العلى : المرجع السابق ، ص١٧٧

(٤) عبد الرحمن زكى : الحلى ، ص٣٢ ، ٣٣

والظاهر أن المرأة فى العصرين الجاهلى وصدر الإسلام كانت تتختم فى أكثر من أصبع واحد . فقد روى عن عائشة بنت سعد بن أبى وقاص أنها كانت تتختم فى الأصبعين اللذين يليان الخنصر .

ولم توضح المصادر أشكال تلك الخواتيم ولكننا لا نستبعد أنها كانت تزين بنقوش مختلفة بالإضافة إلى الكتابات التى هى على الأغلب ما يعرف « بالختم » أو « التوقيع » ذكر منها أن خاتم الرسول ﷺ كان منقوشا بجملة « محمد رسول الله » وكان النبى يضع خاتمه فى يده اليمنى – وهو من الفضة – ويقال أنه اتخذ هذا الخاتم فى المحرم سنة ٧هـ[١] . هذا وقد وجاء فى صحيح البخارى أن السيدة عائشة كانت تلبس خواتيم من ذهب[٢] .

ويفهم من كتابات الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر فى العصر المملوكى أن أصابع النساء كانت مزينة بخواتم من الذهب والفضة المحلاة بالفصوص الثمينة . ويبدو أن إقبال النساء على هذا النوع من الحلى كان شديدا لدرجة أن المحتسب كان كثيرا ما يحلف باعة الخواتيم أن يصدقوا فى أوزان أثمانها للزبائن ، كما كان يحرم عليهم أن يعملونها باليسير من الفضة ، ويحشونها بالرصاص ، والزفت حتى لا تكون سريعة الكسر والتهشيم . وكان عليه أيضا أن يجبرهم على أن يصدقوا فى نعت فصوصها ، « فإن أكثرها زجاج مصنوع ومطبوخ فى دهان الزبادى »[٣] .

وقد أمدتنا حفائر الفسطاط بنماذج قليلة من الخواتم الذهبية المزخرفة برسوم نباتية دقيقة وترجع إلى صناعة القاهرة فى العصر الفاطمى كما يحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بخاتم من الذهب تحليه رسوم نباتية منفذة بطريقة الحفر البارز بالإضافة لاشتماله على فص مثبت به ويرجع هذا الخاتم إلى صناعة القاهرة فى القرن ٨هـ/١٤م . رقم سجل ١٦٣٥٤[٤] .

---

(١) زكية العلى : المرجع السابق ، ص١٧٧ ، ١٧٨

(٢) ابن حجر : فتح البارى ، جـ١٠ ، ص٣٤٢ ، ٣٤٣

(٣) أحمد عبد الرازق : المرأة فى مصر المملوكية ، ص١٦٥

(٤) حسين عليوه : الحلى ، ص٥٧١

هذا وقد قيل فى الخواتم :

يقــول انــاس فــى الخواتيــم أنهــا تقطـــع أسـباب الهـوى وأقـــول

بــأن خــواتيــم المــلاح وصولــة وخاتم من تهـوى المـلاح وصــول[1]

وقد ورد بوثائق الحرم القدسى المملوكية أن أدوات زينة الأصابع اقتصــرت علــى الخواتيم بأنواعها وأشكالها المختلفة ، وكان معظمها مصنوعا من الذهب أو الفضة ، وقــد تكون سدحا أى لا فص فيها ومقتصرة على الذهب أو تضاف لها الفصوص الحمـــراء أو الزرقاء البلورية ، أو فصوص العقيق[2] .

الأســـــورة :

ومن حلى المعصم الأسورة – وقد شاع استخدامها بالنسبة للمـــرأة والرجــل منــذ العصور القديمة فكان الرجل يزين بها ذراعه أو ذراعيه .

وأبسط الأساور ما كان على شكل حلقة معدنية تستدير وتلف حول المعصم ويســهل تحركها وتكون هــذه الحلقــة أما مغلقــة أو يمكن فتحها وغلقها حسب رغبـــة المــرأة . وقد تكون هذه الحلقة من السلك المجدول[3] .

واتخذت الأسورة عدة أشكال ، عرف منها الطراز العريض الذى يطلق عليه اســـم « الدمالج » ، ويبدو أنه كان لها غرضا عمليا إذ كانت تستخدم كدرع أو وقايــة لليــد أو الذراع عند القتال .

وهناك الأساور التى تتكون من وحدات متحركة متصلــة ببعضــها يمكــن فتحــها وغلقها ، وقد تكون الأساور من الأسلاك المجدولة وعرف منها ما ينتهى برأس حيــوان أو ثعبان .

---

(١) الموشى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٦٦

(٢) صالحية : ص٣٢

(٣) عبد الرحمن زكى : الحلى ، ص٤٤ ، ٤٧ ، شكل (٤) .

كما يوجد منها الطراز الرفيع ، ويطلق عليها اسم « الغوايش » وهى عبارة عن حلقات من أسلاك أو شرائط مختلفة المقطع ، ومزخرفة بنقوش ورسوم متنوعة ، وتقبل عليها كثير من النساء الشعبيات ، وغيرهن فى المدن والريف ، وهى كثيرة الأشكال والأسماء لدرجة أنه من الصعب حصرها وتتبعها[1] .

وقد تحلت المرأة العربية بالأساور . وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم « وحلوا أساور من فضة » وفى موضع آخر « جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير » .

وفى تفسير ابن سلام ليس من أهل الجنة أحد إلا وفى يده ثلاثة أساور أسورة من ذهب وأسورة من فضة وأسورة من لؤلؤ . وجمع أسوار أسورة وجمع أسورة أساور فأن زدت هاء وقلت أساورة فهو جمع أسوار .

وقد جاء فى رؤيا النبى ﷺ قال رأيت فى يدى أسوارين من ذهب وفى البخارى فى بعض الروايات أسوارين بالألف وجاء فى الهداية قال المكى واحد الأساوره أسوار ، وفى قراءة أبى أساوير بياء قال وهذا يدل على أن الواحد أسوار ولكن لما دخلت الهاء فى أساور حذفت الياء لأنهما يتعاقبان ، وفيه ثلاث لغات أسوار وسوار ، وسوار بمعنى أن أساورة جمع أسورة وأسورة جمع سوار أو سوار والقلب من الأسورة ما كان فلذا واحد وقد يكون من فضة والوقف يكون من الفضة وغيرها وأكثر ما يكون من الذبل ، والذبل ظهر سلحفاة البحرية تتخذ منه الأسورة والمسك أيضا جمع مسكة أيضا يصنع من الذبل ومن العاج[2] .

والسوار أو الأسورة هو نطاق المعصم . وهو من خصائص الحرائر وفى أمثالهم
* لو ذات سوار لطمتنى * .

والمعضد أو الدملج طوق العضد . وهو شبيه بالسوار لليد[3] .

---

(١) على زين العابدين : المصاغ الشعبى ، ص١٧٩ ، ١٨٠

(٢) البلوى : ألف باء ، الجزء الثانى ، ص١٨٢ ، ١٨٣

(٣) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص١٣١

وقد كان للأسورة تسميات مختلفة منها « الجبارة » . وربما يرجع السبب فى تلك التسمية هو كبرها بالنسبة لغيرها من الحلى .

ومن أسمائها أيضا « الوقف » وذكر بأنه السوار المصنوع من العـــاج . والـــذى كان يعرف بالمسك أيضا . ومن تسميات الأسورة أيضا « القلب » وهو ســـوار المـــرأة المصنوع من الفضة وعرف نوع آخر من الأسورة بـــ « البـــارق » ومـــن ضـــروب الأسورة الأخرى « المزدوجة » ومن الأمثلة عليها ما نراه فى منمنـــة مـــن منمنمـــات مقامات الحريرى التى زوقها الواسطى .

ويبدو السوار فيها كالسوارين الملتصقين ، كما أنه يحتوى على قفل . وهناك نـــوع آخر من الأساور وهو المعروف بـــ « الملوى » قوامه سلك معدنى غليـــظ ومفتـــول . ويعتبر ما جاء فى إحدى منمنمات نسخة اسطنبول مـــن مخطـــوط « الكواكـــب الثابتـــة المنسوب إلى القرن ٦هـــ/١٢م المثال الوحيد لهذا النوع من الأسورة فى المصورات[١] .

والأساور من الحلى التى أقبلت عليها المرأة فى مصر المملوكية ، وكـــانت تصنـــع من الذهب المفرغ أو المجدول وينتهى طرفاها برؤوس حيوانيـــة كالأســـد أو التنيـــن[٢] ، ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بسوار من الذهب (لوحة ٢٠٩) ينتهى طرفاه برأس ثعبـــان يضمـــان بينهما محبسا يمكن فتحه وغلقه عند وضع ينتهى طرفاه بـــرأس ثعبـــان يضمـــان بينهما محبسا يمكن فتحه وغلقه عند وضع السوار فى اليد أو نزعه منها ، ومـــن الجديـــر بالملاحظة أن محبس السوار لم يخل من الروح الزخرفية التى اتسم بها الصائغ القـــاهرى فنـــراه يزخرفه برنك الكأس الذى اتخذه بعض الأمراء فى العصر المملوكى شـــارة لـــهم ومن المحتمل أن يكون هذا السوار لإحدى زوجات أحد الأمراء المماليك . وقد اســـتخدمت الكتابة العربية أيضا فى زخرفة محابس الأساور الذهبية ومن أمثلة ذلك الكتابـــة النســـخية على محبس سوار ذهبى آخر بنفس المتحف ونصها « العز لك والبقا » وينســـب هـــذا السوار إلى صناعة القاهرة فى القرن ٨هـــ/١٤م وهو برقـــم ١٤٨٠٢ . وكـــانت بعـــض

---

(١) زكيه عمر العلى : المرجع السابق ، ص١٨٣ - ١٨٧

(٢) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٦٤

محابس الأساور تتسع لعبارات كتابية طويلة ومثال ذلك العبارة المكتوبة على محبس سوار من الذهب مصنوع بطريقة تشبيك وجدل الأسلاك الذهبية بعضها ببعض ، أما المحبس نفسه فيأخذ شكل دائرة وتزخرفة نجمة مسدسة الشكل تشغلها كتابة عربية تضم القول المأثور « عز من قنع وذل من طمع ، وهذا السوار محفوظ بمتحف الفن الإسلامى أيضا وهو برقم ١٦٤٣٥ ويمكن إرجاعه أيضا إلى القرن ٨هـ/١٤م (لوحة ٢٠٧)[١] . هذا عدا الغوايش الزجاجية الملونة التى أمدتنا الحفائر الأثرية بكميات كبيرة منها ، والتى لا شك فى أنها كانت بمثابة أساور نساء عامة الشعب[٢] . ويحتفظ كل من متحف الفن الإسلامى ومتحف كلية الآثار بجامعة القاهرة بمجموعة ليست قليلة منها . (لوحات ٢٠٥ ، ٢٠٦) ، وفى عصر المماليك رصعت الأساور الذهبية بالجواهر واللؤلؤ فيذكر ابن تغرى بردى (٧١٠هـ/١٣١١م) أن من بين ما عمله السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لنساء الأعراب العرب « الأساور المرصعة بالجوهر واللؤلؤ »[٣] .

(١) حسين عليوه : الحلى ، ص٥٧٥ ، ٥٧٦

(٢) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٦٤

(٣) ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٩ ، ص١٦٨أ

الدماليج :

ومن حلى الذراع « الدماليج » وسميت بالمعاضد وذلك لتزيينها « العضد وقد وردت أولى الإشارات لها فى العصر الجاهلى .

ومما هو جدير بالملاحظة أن الدملج كان يعرف بالسوار أيضا . والأمثلة القليلة التى وصلتنا منها ليست من العراق بل من مصر ومن مخلفات العصر الفاطمى بالذات[1] .

وتظهر نساء تلبسن الدماليج فى لوحات مصورة من مصر فى القرن ١٣هـ/١٩م[2] وبما أن الدماليج عرفت قبل العصر المملوكى وبعده . وبالرغم من عدم عثورنا على دماليج ترجع إلى مصر فى عصر المماليك ، فإننا نرجح أنها عرفت فى ذلك العصر .

---

(١) زكيه عمر العلى : المرجع السابق ، ص١٩١ – ١٩٤

(٢) انظر : Ebers: Op. Cit., T. I., P. 91.

، لوحة رقم (٢١١) من هذا البحث .

حلية الساق : الخلخال[1] :

الخلخال حلية نلبسها المرأة فى الرجل ، وهو يكون أما من ذهب أو فضة أو نحـلس مطلى بالذهب .

والمرأة المستهترة تلبس الخلخالين فى رجل واحدة ، فإذا مشت كان للخلخال صوت يلفت إليها الأنظار[2] .

يقال تخلخلت المرأة إذا لبست الخلاخيل . ويسمى موضع الخلخـــال مـــن الســاق المخلخل[3] والخلخال حلية يختص بها الشرق ، تعرفها المرأة جيـــدا فـــى معظـــم البـــلاد الأسيوية والأفريقية ، والخلخال يتكون من قطعتين مســتديرتين مـــن المعـــدن الأصـــم أو الأجوف ، النحاس أو الفضة أو الذهب ، وتنتهى واحدتهما بقطعتين كرويتين ، ويثبت فـــى الخلخال بعض الجلاجل الصغيرة فتحدث صوتا رنانا فى أثناء السير ، ويســـتلفت اهتمـــام المارة[4] .

ولقد تحلت المرأة العربية بأشكال مختلفة من الخلاخيل منها « الحجـــل » ويبـــدو هذا النوع من الخلاخيل واضحا فى المخلفات الفنية التى تعود إلى العصر الأموى ، كمـــا نراه واضحا أيضا فى مخلفات العصر العباسى الفنية فمثلا فى بعض تصاوير نســـخة أيـــا صوفيا من « مخطوط الكواكب الثابتة » .

---

(١) الخلاخيل مفردها خلخال والأحجال مفردها حجل وهى الحلقات المعدنية التى تلبسها النساء ، وينتقـد صوتها غالبا . وتوجد فى الليالى إشارة إلى المرح الموسيقى المبهج لإحدى الجوارى ، ذلك المـــرح الذى احتد حتى أسكت صوت خلخالها . وهناك أيضا نصيحة بألا يزور الشاب البالغ الحريم حيـــث ربات الحجال .

، انظر : هنرى فارمر : الموسيقى والغناء فى ألف ليلة وليلة ، ترجمة حسين نصـــار ، دار الفكـــر الحديث ، ص٤٨

(٢) أحمد أمين : قاموس العادات ، القاهرة ، ١٩٥٣م ، ص١٩٤

(٣) ابن سيدة : المخصص ، الجزء الرابع ، ص٤٩

(٤) عبد الرحمن زكى : الحلى ، ص٤٧

ومن أنواع الخلاخيل الأخرى ما هو معروف بـ « الرسوات » ومفردها رسوة ، والتى تتخذ من نظم الخرز والتى ورد ذكر لها فى مصادر فجر الإسلام .

وبالإضافة إلى ما تقدم فهناك إشارات واضحة إلى ضرب من الخلاخيل النسائية ذات الصوت ، أتى الجاحظ على ذكرها عندما وصف جارية كانت « قد خالط صرير نعلها أصوات خلخالها » . ويعتقد أن مثل تلك الخلاخيل كانت تصاغ مجوفة ثم تحشى بقطع معدنية أو حجرية وهذه القطع المحشو بها الخلخال هى التى تسبب فى أحداث تلك الأصوات فى السير[1] .

وكانت العادة الشائعة عند العرب أن تلبس الفتيات أو النساء الصغيرات السن خيطا من الأجراس فى أقدامهن[2] .

ومن الطريف أن العرب كانوا يرون أن تعليق الحلى وخشخشة الخلاخيل على السليم مما لا يفيق ولا يبرأ إلا به ، وقيل فى ذلك :

أيم يكون النعل منه ضجيعة كما علقت فوق السليم الخلاخل[3]

والخلخال إنما يطلق على ماله رنين ، فإن لم يكن له رنين فهو الفتح فإن غاص فى الساق فهو الخدمة . وعند العرب صنف من الحلى يصاغ مجوفا ويحشى بالطيب ويسمى ذلك بالكبيس .

ويسمى صوت الحلى بالوسواس أو النقنقة[4] .

والخلخال مشتق من الخلخلة أو من الخبلاء أو من خلخلة الهواء ومصدره الخلخلة يقال خلخل يخلخل خلخلة[5] .

---

(١) زكيه عمر العلى : المرجع السابق ، ص١٩٥ ، ٢٠١

(٢) على زين العابدين : المصاغ الشعبى فى مصر ، ص١٢٣

(٣) الجاحظ : الحيوان ، القاهرة ، ١٩٠٦م ، الجزء الرابع ، ص٨٢ ، ٨٣

(٤) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص١٣١ ، ١٣٢

(٥) الشربينى : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٦٤

ومن الأشعار الطريفة والغريبة التى أوردها كاتب هز القحوف فى تشبيه الخلخـــال هى : * رقاص طحونتا يشبه لخلخالك * أى رنة خلخال محبوبته وســـماعه إذا خطـــرت ومشت يشبه رنة رقاص الطاحونة ، خصوصا إذا كان خلخالـــها مـــن النحـــاس المطلـــى بالقصدير كما تفعله نساء الأرياف أو من الحديد ، وهذا تشبيه بعيد عن الصحة فالطاحونـــة لها صوت مزعج عند دوران الحجر كما أنها من الخشب[1] .

وفى عصر المماليك اعتادت النساء أن تتخذ من الخلاخيل زينة لأرجلها . ويـــروى لنا ابن الحاج كيف جعلت نساء العصر المملوكى الخلخال فوق الســـراويل حتـــى تظـــهر للعيان « وقد ضرب برجلها فى الغالب فيسمع له حس » . كذلك اتخذت نساء الفلاحيـــن خلاخيل لها من النحاس أو الحديد المطلى بالقصدير[2] .

وقد أصبح الخلخال الآن أقل شيوعا ويصنع من الفضة الصمـــاء تلبســـه زوجـــات الريفيين الأغنياء ومشايخ البلد . وهو بالطبع ثقيل جدا ، ويحدث رنينا باصطدامه الواحـــد بالآخر عند المشى . ومن ثم يقال فى إحدى الأغانى : « رنة خلخالك سلبتنى عقلى »[3].

ويحض الإسلام النساء على إخفاء زينتهن عن الرجال خلا بعض الأقارب وغـيرهم وما يلفتهم إلى شخصها وزينتها : « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصـــارهن ويحفظـــن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبـــهن ولا يبديـــن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانـــهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت إيمانهن أو التابعين غير أولى الإربـــة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مـــا يخفين من زينتهن .. »[4] .

---

(١) المرجع نفسه ، ص٦١ ، ٦٢

(٢) أحمد عبد الرازق : المرأة فى مصر المملوكية ، ص١٦٦ ، ١٦٧

(٣) لين : المرجع السابق ، ص٤٨٥

(٤) القرآن الكريم : سورة النور : الآية ٣١

وتشير نهاية الآية إلى عادة رن الخلخال الذى كان يستعمله نساء العرب من عـــهد الرسول ﷺ ، ولا تزال بعض النساء المصريات يتحلين به[1] .

ويحتفظ متحف الإسلامى ومتحف اندرسون بمجموعة من الخلاخيل والتى ترجـــع إلى مصر فى العصر العثمانى ، كذلك المتحف الاثنوجرافى .

* * *

(١) على زين العابدين : المصاغ الشعبى ، ص١٢٣

حلية الأنف : الخزام :

خاتم الأنف يستعمله قليل من القاهريات من الطبقات الدنيا ، وكثير من الريفيات خاصة النوبيات ، والخزام عبارة عن حلقة توضع فى الأنف . وهو يصنع عادة من النحاس ويبلغ قطره من بوصة إلى بوصة ونصف ، ويعلق به عادة ثلاثة خرزات أو أكثر من الزجاج الملون الأحمر والأزرق على العموم . وهو يكاد يوضع دائما فى الجانب الأيمن من الأنف ، ويتدلى بعضه أمام الفم مما كان يضطر لابسته إلى أن تمسكه بيدها عندما تأكل وقد يصنع الخزام من الذهب . وترجع هذه الحلية إلى عهد سيدنا إبراهيم . وهو زينة ليست بالجميلة[1] .

وتذكر زكيه العلى أن الخزامة كحلية من حلى الأنف لم تكن معروفة خلال العصور الإسلامية المختلفة انتهاء بالعصر العباسى . إلا أنها عرفت فيما بعد فى شبه القارة الهندية أبان العصر المغولى أى على الأقل منذ القرن الثالث عشر الميلادى حيث تظهر فى كثير من تصاوير المخطوطات التى تعود إلى ذلك القرن .

ويحتفظ المتحف العراقى بخزامة ذهبية تعود إلى مطلع العصر العثمانى فى العراق[2] .

---

(١) أحمد أمين : قاموس العادات ، القاهرة ، ١٩٥٣م ، الطبعة الأولى ، ص١٩١ . لين : المرجع السابق ، ص٤٨٧

(٢) حلى إسلامية اقتناها المتحف العراقى – مجلة سومر – الجزء الأول والثانى المجلد الثلاثون ، سنة ١٩٧٤م ، بغداد ، ص٢٨٤ ، ص٢٨٥

الحجـــــــاب :

جمعهـا أحجبة . وقـد اشتهر بين العـوام المصريـــن اسـتعمال الأحجبـــة . وتكتب الأحجبة بحبر أحمر أو أخضر[1] ، ثم تطبق الورقة وتغطى بقماش مشمع لحمايتـها من النحس أو الرطوبة وتوضع فى علبة صغيرة من الذهب أو الفضة للتـــبرك . ويعلـق بخيط من الحريـــر ، أو يعلق بسلســلة على الكتف الأيسر إلى الجانب الأيمـن ، فـــوق الحزام . وتنقش هــذه الأغلفــة بنقوش عربيــة أحيــانا ، مثل « ما شاء الله » و « يـا قاضى الحاجات »[2] .

وأكثر الأحجبة اعتبارا مصاحف القرآن . ويعزو المسلمون إلى المصحف وأكـــثر الأحجبة قوة كبيرة ، ويعتبرونها حافظة من الأمراض والســحر والحسـد وغيرهـا مـن المكاره .

ويبدو أن الأحجبة وأغلفتها تمثل جزءا هاما من الحلى والمصاغ الشعبى ، علـى أن هذه الأحجبة أو الأغلفة التى تحمل الرقى أو التمائم ليست وليدة القرن التاسع عشر ، بـــل كانت تستخدم منذ عصر الأسرات الفرعونية وما بعدها[3] ويفسر ليونارد كوتريل التميمـــة Amulet على أنها شئ يعتقد مقتنيه أن له القوة على درء الشر وأبعاد السوء .

وقد كانت التمائم فى بادئ الأمر أشياء طبيعية حســب البعـض أن لـها خـواص سحرية ، ومن أمثلة هذه التمائم الأحجار الثمينة أو نصف الثمينة ، أو قطعة غير مشـــكلة من الخشب أو الصخر يمكن أن يرى فيها الشخص الواحد المعبودات أو صورة الحيـوان . ومن هنا جاءت الخطوة التالية وهى نحت أو تشكيل شئ عن قصد ليكون صورة لشئ مـن المعتقد أنه يمتلك قوة لدرء الشر عن صاحبها أو لجلب الحظ له . وبعد اخـــتراع الكتابـة صارت التميمة مثل تعويذة تكتب على ورقة توضع فى حجاب على شكل دلاية[4] .

---

(١) أحمد أمين : قاموس العادات ، ص٢٥

(٢) لين : المرجع السابق ، ص٤٨٦ ، شكل ١٠٢

(٣) على زين العابدين : المصاغ الشعبى فى مصر ، ص١٢٥ - ١٢٦

(٤) الموسوعة الأثرية العالمية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ ، ص٣٦٢

والتميمة تحمل فى الجيوب أو تربط إلى السواعد أو تعلق فـــى الأعنـــاق أو علـــى الصدور أو تخيط إلى الملابس ، أو توضع فى مكان ما للوقاية مـــن مكـــروه أو تحقيـــق غرض يسعى إليه[1] .

(١) أحمد آدم محمد : التمائم والأحجبة ، مجلة الفنون الشعبية ، مارس ، ١٩٧١م ، العدد ١٦ ، ص٥٣

حلى الرأس والشعر :

تنوعت حلى الرأس والشعر ومنها ما كان مستعملا منذ العصر الجـاهلى واسـتمر حتى العصور الإسلامية المختلفة . ومنها ما لم يكن معروفا إلا فـى العصريـن الأمـوى والعباسى . فمن حلى الرأس والشعر التى عرفتها المرأة منذ العصر الجاهلى « النظـم » التى كانت تزين الضفائر والجبين ، وكانت متنوعة منها نظم الـودع ، ومنـها المنضـود بالياقوت والشذر .

ومن النماذج الأخرى لهذا النوع من النظم ما نراه متمثـلا فـى إحـدى تصـاوير مقامات الحريرى المحفوظة فى المكتبـة الوطنية بباريس والمؤرخـة سـنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م ، فالنظام هنا يزين شعر الرأس من جهة الجبين[1] . ويبدو أن مـا اسـمته زكيـه العلى بالنظم هو ما عرف عندنا بالصفا[2] .

ويذكر لين عنه أنـه من حلى الشعر وفيـه يضفر شعر الرأس جميعه – ما عـدا ما فوق الجبهة والصدغين – إلى ضفائر يكـون عددهـا فـردى دائمـا ١١ ، ١٣ ، ١٥ ويجدل بالشعر إلى ربـع طوله تقريبا ، خيوط سـوداء حريرية ثلاثة إلى كـل ضفـيرة تضم عند القمة أو تربـط إلى شريط من الحرير الأسود يشد حول الرأس ، فتدلى خيـوط فى هذه الحالة منفصلة تماما عن الضفائر وتكاد تغطيها ، ويسمى الخيط من تلك الخيـوط « قيطان » وهى تؤلـف معا وبعض الحلى الذهبيـة ما يسمى « صفـا » . ويربـط بطول الخيط الواحد ، ما عدا أعلاه إلى الربع تقريبا أو الثلث على الأقصى ، تسعة بـروق أو أكثر . وتكون البروق جميعا ذات شكل واحد عادة ، ويوضع الواحد بالنسبة للآخـر ، على بعد بوصة أو أكثر قليلا على حدة . ويتعمد وضع حلـى الخيـوط بحيـث لا يقـابل بعضها بعضا تماما .

وينتهى كل خيط بأنبوبة ذهبية صغيرة تسمى « ماسورة » ، أو تنتهى بنوع مـن الخرز الذهبى على شكل مكعب مقطوع الزوايا ، يسمى « حبـه » . ويوجـد أسـفل

---

(١) زكيه العلى : التزيق والحلى ، ص١١ ، ١٢

(٢) انظر لوحات ٢١٧ ، ٢٢٧

الماسورة أو الحبة حلقة صغيرة ، يعلق بها عادة نقد ذهبى تركى يسمى « ربع فندقلـــى » ذلك هو الوصف العام للصفا . غير أن هناك أنواع أكثر رقة ، حيث تفضل الحبـــة عـــادة على المـــاسورة . ويستبدل بالربـــع الفندقلى حليـــة ذهبيـــة مستوية تسمى ، تبعا لشـــكلها « كمثرى » وهناك أيضا عوضا عن النقد الذهبى حلى أخرى أكثر استحسانا . وأكثرهـــا شيوعا يسمى « شفتشه » ويكون من الذهب المخرم ، ويتوسطه لؤلؤة . ويستبدل بعـــض السيدات بالنقد الذهبى شرابة صغيرة من اللآلئ ، أو يعلقن على التعاقب لآلئ وزمرد إلـــى أسفل الخيوط الثلاثية ، ويربطن لؤلؤة إلى كل برق . ويسمى الصفا المكـــون هكـــذا مـــع اللؤلؤ « صفا لولى » . وقد يربط الخرز مع المرجان على طريقة اللؤلؤ . ويبـــدو ممـــا سبق أن الصفا المتوسط ذى الثلاث عشرة ضفيرة يتكون من ٣٩ خيطـــا و ٣٥١ برقـــا ، ٣٩ ماسورة أو حبة و ٣٩ نقدا ذهبيا أو حليا أخرى .

ويعقب لين على ما قاله بأن الصفا أجمل الحلى التـــى يســـتعملها ســـيدات مصـــر وأغربها[1] ، ومن حلى الرأس عند المرأة « التاج » وهو الأكليل ، والأكليل كما يقـــول الفيروزابادى شبه عصابة مكلل بالجوهر أيضا والتاج ما يصاغ من الذهـــب والجوهـــر . وقد عرفت المرأة العربية باستعمال التاج كحلية رأس منذ العصر الأموى .

هذا ونلاحظ أن أغطية الرأس قد تحلت بقطع من الحلى لتزيد المرأة جمـــالا ومـــن هذه الأغطية العصائب[2] .

ويذكر لين مجموعة من أغطية الرأس المزينة بقطع من الحلى فيقول عـــن غطـــاء الرأس أنه يتكون من طربوش وفروديه أو منديل ، ويسمى الأخـــير عندمـــا يلـــف حـــول السابق ربطه . وكثيرا ما تزين الربطة بصفائح من الفضة المذهبة أو الســـاذجة ، مرتبـــة فى نماذج تصويرية . وتكون الربطة نفسها فى هذه الحالة ،من الموصلى أو الكريشة مـــن اللون الأسود أو الوردى على العموم .

---

(١) لين : المصريون المحدثون ، ص٤٨٤ ، ٤٨٥

، كلوت بك ، لمحة عامة إلى مصر ، الجزء الأول ، ص٦١٠

(٢) انظر ص٢٥٩ – ٢٦١ ، من هذا البحث .

و « المزاجى » وهى حلية كثيرة الاستعمال ، وتتكون من شريط من الموصلى الأسود أو الوردى اللون ، تطوى جملة طيات ، بحيث تكون رباطا ضيقا ، بعرض الأصبع أو أقل . وطولها خمسة أقدام تقريبا . ويزين وسطها ، باتساع حوالى اثنتى عشرة بوصة ، أو ثلاث عشرة ، صفائح توضع متلاصقة ، أو على شكل معين ويزين طرفاه بالاتساع نفسه تقريبا ببعض صفائح أخرى ، ويحد كل منهما حاشية وشرارب صغيرة من الحرير المختلف الألوان .

(القرص) حلية محدبة مستديرة ، قطرها خمس بوصات تقريبا فى العادة وتلبسها على العموم عقائل النساء . وهى تخاط على قمة الطربوش . وهى نوعان :

النوع الأول : والذى تلبسه عقائل النساء وزوجات التجار ذوى الثروة المتوسطة وهو « قرص الماس » . وهو يتكون من ماسات تركب من ذهب على العموم ، وتكون على طرز المخرم ، على هيئة ورود وأوراقها . ويندر أن يكون القرص من الفضة . وإذا كان القرص من الذهب وعلق على طربوش[1] أحمر قان فإنه يعطى تأثيرا فخما .

(القصة) حلية يتراوح طولها بين سبع بوصات أو ثمان ، وتتكون من ماس مسكوب فى ذهب ، يضاف إليها أحيانا زمرد وياقوت ولؤلؤ ، ويعلق بها أقراط من الماس أو الزمرد . وتوضع القصة فى مقدمة الربطة . وتوضع القصة على رأس العروس خارج طرحتها ، كما يوضع القرص أيضا . ويلبس نساء الطبقتين العليا والوسطى القصة أيضا .

(العنبة) اسم آخر لنفس النوع يلبس بنفس الطريقة ، ويحيط أكثر من نصفه بغطاء الرأس .

« الشواطح » مفردها شاطح حليتان تتكون كل منهما من ثلاثة صوف من اللؤلؤ أو أكثر ، بطول القصة تقريبا ، تجمعها فى الوسط زمردة مثقوبة مثل عقد اللؤلؤ العادى . أو تتكون من لألئ مرتبة على هيئة شريط ضيق ويضاف إليها أحيانا بعض

---

(١) انظر لوحة رقم (٢١٦) من هذا البحث .

زمردات صغيرة . وتثبت الشواطح بالربط على هيئة اكليلين ، واحد على كل جانب مـــن الرأس ، من طرف القصة إلى خلف غطاء الرأس ، أو إلى القرط أحيانا .

وتلبس النساء بدلا من القصة والشواطح ، أو علاوة عليها أحيانا حليا أخرى منـها : « الريشة » حلية من الماس مركبة فى ذهب أو فضة . وتلبس فى صدر غطاء الـــرأس أو فى جانبه .

« الهلال » هلال من الماس مركب فى ذهب أو فضة ، ويلبس مثـــل الريشـــة . ويشبه فى الشكل القمر فى الليلة الثانية أو الثالثة من الشهر . وهو قليل الاتساع ، وطرفـــاه لا يتجاوزان نصف الدائرة .

« القمرة » حلية مكونة من صفيحة ذهبية بأشغال تصويرية ، وأحيانـــا بكلمـــات عربية ، وبها حوالى سبع قطع ذهبية مستوية صغيرة ، تسمى الواحدة منها برقـــا يربـــط بالجزء الأسفل ، أو تتكون من ذهب أو ماس وياقوت .

« الساقية » وتسمى كذلك لهيئتها وهى حليـــة مســـتديرة مســـتوية مـــن الذهـــب المخرم ، بها لآلئ صغيرة ، ويتوسطها ماسة أو حجر كريم آخر . ويعلق بالجزء الأســـفل منها بروق وزمردات ، وتلبس على طريقة القمرة أو معها .

« عود الصليب » نوع من الحلى لا شك مستعار من المسيحيين . والمدهـــش أن تلبس المسلمات هذه الحلية وتسميها هذه التسمية . وعود الصليـــب قطعـــة صغـــيرة مـــن الخشب تدق فى طرفيها أكثر من الوسط . وتغلف بغلاف ذهبى الشكل نفسه وتتكون مـــن قطعتين متصلتين فى الوسط ، ولها سلسلتان ومشبك تعلق منها ، وصـــف مـــن الـــبروق بطول أسفلها . ويلبس عود الصليب مكان الحليتين السابقتين أو علاوة عليهما .

« المشط » مشط صغير من الذهب ، يلبس بالطريقة نفسها مثـــل أنـــواع الحلـــى الثلاث الموصوفة ، علاوة على حلية أو أكثر من تلك الحلى[1] .

---

(١) لين : المصريون المحدثون ، ص٤٧٦ ، ٤٨١

الشـــكمجيـــــة :

من الطبيعى ، إزاء مـــا للحلى والجواهر من قيمـــة مادية كبيرة ، أن يفكر القـــوم فى طريقة للمحافظة عليها من العبث أو السرقة ، فشاع اســـتعمال علـــب خاصـــة لـــهذا الغرض[1] .

وصناديق حفظ الحلى خاصة بسيدة المنزل ولا يســـمح لأحـــد بلمســـها . ويرجـــع المظهر الحسن ولمعان هذه العلبة إلى تطعيمها بالعاج والأبنوس على الطراز العربى وفـــى العصور الوسطى حيث كان للبلاط الملكى أماكن خاصة لتخزين حلى النساء (الزوجـــة – الأبناء – الخدم) اللائى يطلق عليهن الحريم – والتى تبدو للغرب أنه سلوك ســـئ – ولا يسمح لأحد غريب بالدخول بهذه الأماكن وبذلك يمكن حفظ الحلى من السرقـــة وبذلـــك لا يكون من الضرورى غلق علبة حفظ الحلى وكان من العـــادة أن توضـــع مفتوحـــة علـــى منضدة من نفس الطراز أو تحفظ فى مخدع صغير للبنت البكر . وأحيانا كانت توضع فـــى كابولى أو فى حجرة الاستقبال وعلبة الحلى مستطيلة الشكل ذات خمـــس أوجـــه ويوجـــد الباب فى الوجه الأمامى وهو مزين بنقط ومتصل بالصندوق بمفصلتين وعند فتـــح البـــاب تستخرج الحلى ويوجد قفل صغير بمفتاح فى الجزء العلوى من الباب لأحكام القفل .

والدرج الذى يحفظ به الذهب والأحجار الكريمة فى المنتصف لأهميتها وعلى كـــل جانب من هذا الدرج يوجد حلقة أو حلقتين ثمينتين .

ويحتوى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة على مجموعة مـــن الشـــكمجيات ويشـــبه إحداهما المنضدة الصغيرة ، وتكون هذه الصناديق ذات تكاليف مرتفعة . ويحتفظ متحـــف المنيل بصناديق رائعة للحلى وأيضا نجد الكثير مـــن تلـــك الصنـــاديق بمتحـــف جـــاير اندرسون[2] . وجميعها ترجع إلى مصر أو سوريا فى العصر العثمانى وهذه الشـــكمجيات تأخذ شكل صندوق مستطيل وغالبا ما يكون غطائها على هيئة هرم ناقص .

---

(١) أحمد ممدوح حمدى : معدات التجميل بمتحف الفن الإسلامى ، ص١٢٧

(2) Hussein Rashed, The Casket for Jewels, Egypt Travel Mayazine, January 1957, No. 29, P. 34-37.

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بصندوق مستدير من العاج (لوحـــة ١٨٣) قاعه مزخرف بزخرفة عبارة عن طائرين متقابلين . كما يحتفظ بـــالمتحف البريطـــانى[١] بلندن بصندوق مستدير من العاج المخرم بزخارف هندســـية وكتابـــات نســـخية . وكـــلا الصندوقان من صناعة القاهرة فى القرن ٨هـــ/١٤م .

ويرجح أن تكون هذه الصناديق الصغيرة قد استخدمت فى حفظ الحلـــى وبـــالذات الأنواع المستديرة كالخلاخيل والأســـاور أو الأطـــواق . هـــذا وقـــد عرفـــت الصنـــاديق المصنوعة من العاج واستخدمتْ فى حفظ الحلى والمجوهرات فى أواخر العصر الأمـــوى فى الأندلس وعصر ملوك الطوائف .

ومن أقدم هذه العلب علبة أمر بعملها الحاكم المستنصر بالله للسيدة أم عبد الرحمـــن على يد درى الصغير سنة ٣٥٣هـــ/٩٦٤م[٢] .

ويرجع إلى عصر ملوك الطوائف صندوق عمل بمدينة قونكة بأمر الحاجب حســـام الدولة ابن محمد إسماعيل بن أمير طليطلة المأمون فى سنة ٤٤١هـــ/١٠٥٠م .

ولقد كانت هذه الصناديق العاجية ذات الزخارف المنقوشة أو المحفورة أو المفرغـــة تستخدم بجانب استخدامها فى حفظ الحلى كعلب للعطور أو للحلوى أو لأغـــراض أخـــرى مشابهة . وكانت فى أكثر الأحيان — كما تشهد بذلك العبارات التى قد تكون مكتوبة عليـــها تصنع لغرض الهدايا . وأقدم هذه الصناديق من اثمن وثائق الفن الإسلامى فـــى بدايتـــه ، وقد أعجب الغربيون بهذه الصناديق واقبلوا على حيازتها لحفظ الحلى وأصبحت من هدايـــا العرس الجميلة فى أفراح الأمراء[٣] .

* * *

(١) زكى محمد حسن ، أطلس الفنون والتصاوير الزخرفية . القاهرة سنة ١٩٥٦م ، ص١٤٥ شكل ٤٣٦

(٢) د. حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية ١٩٧٩م ، ص٤٤٣ – ٤٤٥

(٣) كرستى ، ارنولد ، بريجز : تراث الإسلام ، القاهرة ، ١٩٣٦م ، الجزء الثانى حاشية (١) ص٨٥

الفصل الأول

سابعًا : الملابس

سابعًا : الملابس

اهتمت المرأة المصرية فى العصر المملوكى – كسابقتها فى العصور السالفة – بأناقتها فارتدت الثياب المصنوعة من أنفس وأثمن المنسوجات . وقد أجمع الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر فى هذه الفترة بأن ملابس النساء كانت من الأقمشة الرقيقة الفاخرة الجيدة النسج ، المصنوعة من الحرير(١) أو التيل الرقيق أو القطن أو الكتان الإسكندرى(٢) .

وكلنا نعلم أن المماليك بمصر كانت لهم القصور الشامخة التى تعج بالحاشية والجوارى والخدم والمحظيات وكان من الشائع فى الدول المحاربة لمصر أن أكبر غنيمة يغنمها الجندى المقاتل إذا استطاع أن يقتل جنديا مصريا هى الاستيلاء على ملبوسه وسلاحه وفرسه وسرجه وكلها كانت منزلة بالذهب مصنوعة من الحرير فإذا كان لبس الجندى فى القتال – وليس فى الأحوال العادية – هكذا فكيف كان لباس المرأة وحليها وجواهرها(٣) .

ويذكر ابن شاهين وهو يتحدث عن الخوندات (زوجات السلاطين) أنه « لو أردنا وصف ملبوس كل منهن وتجمل بيوتهن لاحتاجنا إلى عدة مجلدات » وربما بدأ هنا بذكر الملبس نظرا لكثرته وتنوعه والاهتمام بزركشته ونسجه ولكنه للأسف لم يذكر لنا أية تفاصيل عنه(٤) .

---

(١) وقد أحل الشرع لبس الحرير للنساء إباحة تامة فينكر عن الرسول ﷺ أنه أخذ حريرا وذهبا وقال : « هذان حرامان على ذكور أمتى حل لأناثهم » .
، ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ، جـ١٠ ، ص٣٠٩ ، ٣١٠

(٢) Schefer (G): Le Voyage d'Outermer de Jean Thenaml Paris, 1884, P. 56, 57.
، جاستون فييت : القاهرة ، مدينة السفن والتجارة، بيروت ١٩٦٨م ترجمة مصطفى العبادى ص١٤٦
، سعيد عاشور : نساء القاهرة فى عصر المماليك ، ص٥٧٣
Aly Mazaheri: Op. Cit., P. 198.

(٣) حسن الهوارى : أثر المرأة فى الفن الإسلامى ، ص٤٢٦

(٤) ابن شاهين : المرجع السابق ، ص١٢١

ومن الجدير بالذكر أنه انتشر الطاعون فى عام ٨٤١هـ/١٤٣٧م فاستشار السلطان برسباى القضاة لمعرفة سبب هذا الوباء متسائلاً عن الأعمال السيئة التى أغضبت الله حتى أهله بهم . فجاءت الإجابة تشير إلى النساء اللاتى يتمشين ليلاً ونهاراً فى الشوارع بملابس غالية فاتخذوا قراراً بمنع السيدات من الذهاب إلى الأسواق ، وطلب تحديد هذا المنع فقط للسيدات اللاتى يتزين بشدة مع السماح للنساء الكبيرات السن والأرامل اللاتى يشتغلن بالأسواق وللعبيد من النساء بدلاً من السيدات وكان عليهن كشف وجوههن حتى لا تتخذ السيدة ملبس الجارية[1] .

وكان ابن الحاج من أنصار اتخاذ قوانين رادعة بالنسبة لوجود السيدات فى الأسواق لأن التاجر عليه أن يكون نشطًا فى حانوته ومركزًا على تجارته وليس مشغولاً بالملابس الشفافة أو الأكمام القصيرة أو بعض النبرات الناعمة فهو ضد خروج السيدات بملابس معتنى بها ومصاغ والمشى بخيلاء وسط الرجال والسيدات اللاتى يتمشين بملابس خفيفة على ضفاف النيل . ويرى أنه على الزوج شراء الملابس والمصاغ لزوجته[2] .

ويبدو أن زى النساء فى عصر المماليك ، كان دائم التغيير على حسب تغير الزى — فى ذلك الوقت . وليس تغيير الأزياء وتبديلها عند النساء فى الحقيقة إلا ضربا من مللهن للنظام الاجتماعى ، فهن أسرع الناس إلى الملل والرغبة فى التغيير ولعل مرجع تلون الأزياء والملابس وتنوعها لدى النساء فى مختلف أدوار التاريخ ، إلى اختلاف الذوق والأهواء ومراعاة البيئة المحلية خاصة عندما تلعب الظروف الاجتماعية دورا هاما فى تشكيل هذه الأزياء ، ومما لا شك فيه أن لكل عصر طابعه الخاص الذى يمتاز به من غيره وبخاصة فى أحواله الاجتماعية . فالمرأة فى مصر فى عصر المماليك كانت تختلف اختلافا كبيرا عنها بعد الفتح العثمانى لمصر[3] .

---

(1) Roymond et G. Wiet: Les Marshes du Caire, Caire, P. 81.

(2) Ibid, P. 78.

(٣) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٦٨ ، ١٦٩

، زينات طاحون : اللباس فى العصر المملوكى ، رسالة دكتوراه ، كلية الاقتصاد المنزلى ، ص٨٧

والواقع أن نساء القاهرة فى عصر المماليك كثيرًا ما بالغن فى ثيابهن سـواء مـن ناحية الهيئة أو القيمة[1] .

وتنقل لنا المصادر تنوع ملابس المرأة المملوكية من ملابس ترتديها داخل المـنزل وملابس خارجه بالإضافة إلى أغطية الرأس والحجب وملابس القدم .

ونحن إذا علمنا أن العروس في كل زمان ومكان تحمل معها إلـى بيـت عريسـها الكثير من الثياب الجديدة ، فيكون من المؤكد أن عروس مصر المملوكية – التـى خلقـت فى بلد اشتهر منذ القدم بتقدمه فى صناعة النسيج وفنونها المختلفـة وفـى عصـر سـاده الرخاء والثراء – كانت تحمل فى جهازها صناديقًا وبقجا عديدة مملؤة بأصنـاف الثيـاب الفاخرة من ملابس داخلية وخارجية وحجب وأغطية للرأس وأخفاف وسراميز وقباقيب .

ومن الملاحظ أنه بالملابس تكتمل زينة العروس فهى إذا ارتدت الثيـاب الموشـاة والمزركشة بالذهب والفضة والجواهر وتحلت بالأصناف المتعددة من الحلى والجواهـر ، وتمشطت وتكحلت وتعطرت ووضعت الدهانات والمساحيق تكون فى كامل فتنتـها التـى تحرص على أن تبدو بها دائمًا أمام عريسها .

* * *

(١) د. سعيد عاشور : نساء القاهرة فى عصر المماليك ، ص٥٧٣

وفيما يلى نعرض لأنواع تلك الملابس :

الملابس الداخلية :

أنه من الصعوبة بمكان تناول الملابس الداخلية للمرأة بالدراسة والسبب فـــى ذلـــك يرجع إلى مسميات هذه الملابس كما وردت فى المعاجم اللغوية وفى المراجع التاريخيـــة ، وأهم من ذلك أن المصورين للتحف الأثرية كان من الصعب عليهم أن يقفوا على الملابـــس التى ترتديها المرأة داخل منزلها وفى التحف الأثرية الأخرى كالمعـــادن والخـــزف كـــان الفنان يعرض نماذجه بصورة وبهيئة لا تجرح شعور المـــرأة فـــهو يصورهـــا محتشـــمة بملابسها الخارجية فى بلاطها أو قصرها أو خارج دارها[1] .

المئـــــــزر :

المئز نوع من السراويل[2] التى تصل إلى الركبتين ، ويعتبر ثوبا تحتانيا ، ويحتمـــل أنه يطابق فى طريقة تفصيله ما كان يلبسه الرجال ، فى الحمامات العامة[3] ، ومما يذكـــر أنه عند غسل الملك المؤيد — ٨٢٤هـ-١٤٢١م لم يجدوا له مئزرا يسترون بـــه عورتـــه حتى أخذوا مئزر بعض الجوارى النائحات وهو مئزرا أسودا خشنا[4] .

---

(١) زينات طاحون : اللباس فى العصر المملوكى ، ص٨٧ ، ٨٨

(٢) السراويل أعجمية أعربت وأنثت جمع سرواله أو سروال أو ســـرويل ، والســـراوين لغـــة أخـــرى والشروال لغة ثالثة حكاها السجستانى عن بعض العرب وخص به ما تسمى بالبنطلون ، وهو لباس ذو ساقين طويلين يستر النصف الأسفل من الجسم ومعه سراويلات .
أحمد رضا : معجم فن اللغة ، بيروت ١٩٥٩م ، مجلد ٣ ، ص١٤٦
ويطلق على السروال أيضا السريال ، وهو القميص من أى جنس كان قال ســـرابيلهم مـــن قطـــران سرابيل تقيكم بأسكم أى تقى بعضكم من بـــأس بعض الراغب الاصفهانى : مفـــردات فـــى غريـــب القـــرآن — فى الهامش الأيسر من الصفحة ١٤٧ ، من الجزء الثانى لنهاية ابن الأثير ص١٤٧

(٣) ماير : الملابس المملوكية ، ترجمة صالح الشيتى ، مرجعة وتقديم د. الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ١٩٧٤ ، ص١٢٤

(٤) دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة د. أكرم فـــاضل — وزارة الإعـــلام مديرية الثقافة العامة بغداد ١٩٧١ ، ص٤٠

وقد ورد فى أحد عقود الزواج التى ترجع إلى نهاية عصر المماليك ، أن المئزر كان يباع بستة دراهم مؤيدية[1] .

وبالرجوع إلى الآثار الإسلامية التى ترجع إلى العصر المملوكى لم نجد صورة لسيدة ترتدى هذا الإزار الداخلى وذلك لأنه قصير فلا يظهر من تحت الثياب الفوقانية[2] .

ويبدو أن استعمال النساء للسراويل الطويلة كان شائعًا ودليلنا فى ذلك ما أشارت إليه المصادر عند ذكرها مقتل شجرة الدر التى عثر على جثتها فى حفرة « اسفل القلعة بدون شئ يسترها سوى قميص وسراويل وقد شدت هذه السراويل إلى وسطها بواسطة رباط نفيس « تكة » استولى عليها بعض أراذل العامة[3] . وما ذكره المقريزى من أن السلطان الظاهر بيبرس قد قطع أيدى جماعة من النواب الولاة والمتقدمين والخفراء ، لأنه رأى بعض المتقدمين وقد أمسك امرأة وعراها سروالها[4] ، كما روى أيضًا فى حوادث سنة ١٤٢هـ/١٣٤١م أنه أبيع سراويل زوجة الأمير أقبغا بن عبد الواحد عقب مصادرته بمائتى ألف درهم فضة[5] . كما ذكر أنه عندما أوقعت الحوطة على علم الدين إبراهيم وجدت لديه أشياء كثيرًا جدًا منها أربعمائة سروال لزوجته[6] . وأشار ابن تغرى بردى — فى حوادث سنة ٧٧١هـ/١٣٧٠م فى سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين — أنه

---

(1) Ashtor: L' Evolution des prix dans le proche-orient a la basse-epoque, Jesho, IV (1961), P. 42.

، أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٧٠

(٢) زينات طاحون : اللباس ، ص٨٩ ، ٩٠

(٣) المقريزى : السلوك ، جـ ، ص٤٠٤

، ابن أياس : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٩٢

، ماير : المرجع السابق ، ص١٢٤

، أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٧٠

، زينات طاحون : اللباس ، ص٩٠ ، ٩١

(٤) السلوك : جـ١ ، ص٥٤٠

(٥) السلوك : جـ٢ ، قسم ٣ ، ص٥٦٤

(٦) المصدر نفسه جـ٢ ، قسم ٢ ص٣٤٨ ، ٣٤٩

عثر لدى الوزير الصاحب شمس الدين موسى بن أبى إسحاق على أشياء لا توصف منـــها أربعمائة سروال كانت ملكًا لزوجته[1] .

وهذه الإشارات تؤكد شيوع هذا الزى طوال عصر المماليك ، ومـــن الواضـــح أن السراويل استرعت انتباه الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر علـــى عصـــر الممـــاليك ، فسجلوها فى رسومهم النسائية التى دعموا بها كتب الرحلات[2] ، وذهب البعض منهم إلـــى الإدعاء بأن هذه السراويل النسائية كانت من الجلد[3] المزين بأشغال التخريـــم وأن النســـاء كن يرتدين هذا الزى دون الرجال[4] .

ويبدو أن إقبال النساء عمومًا على ارتداء السراويل كان بسبب حث الإســـلام علـــى لبسها[5] . ويتضح مما جاء فى كتاب المدخل لابن الحاج أن النساء فى عصر المماليك قـــد اعتدن ارتداء هذه السراويل خارج المنزل ، لأنه يعيب عليهن بقائهن « فـــى بيوتـــهن .. بغير ســـراويل ... ولا يلبسن السراويل إلا عند الخروج »[6] . ومـــع ذلـــك فقـــد شـــاع

---

(١) ابن تغرى بردى . المصدر السابق ، جـــ١١ ، ص١١٠ ، ١١١

(2) Arnold Von Harff: Die pilgerfahrt, Galn 1860, P. 106.

(3) Dopp: Le Caire vu par les Voyageurs Occidentaux du Moyen Age, P. 47.

(4) Ahmad Abd Ar-Raziq; Le Femme au temps des Mamlouks en Egypte, Le Caire, 1973, P. 253.

، أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٧١

(٥) ذكر د. عبد المنعم ماجد أنه وردت أحاديث عن الرسول ﷺ تدعو النساء إلى لبس السروال ، منها « يرحم الله المتسرولات من النساء » .

انظر : عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ، جـــ٢ ، ص٨٥ ، ٨٦

ولكنى بحثت فى كثير من كتب الأحاديث الشريفة كصحيح البخارى وسنن ابن ماجه فلم أجـــد هـــذا الحديث .

انظر : البخارى (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبـــه) : صحيـــح البخارى ، طبع دار الطباعة بالقاهرة ، ١٢٨٦هـــ جـــ٤ ، ص١٩

، ابن ماجه : المرجع السابق ، جـــ٢ ، ص١١٨٥

(٦) ابن الحاج : المدخل جـــ١ ، ص٢٤١ ، ٢٤٢

استخدام السراويل إلى درجة أن أطلق عليها فى فترة متأخرة من العصر الجركسى اسم « لباس » ويقصد بها ملبس وهذا يفسر شعبيتها(١) .

وكانت السراويل تصل إلى الكعب . وتطرز نهاية هذه السراويل بخيوط من الحرير أو الذهب أو الفضة ، أو تحلى بالأحجار الكريمة أو اللآلئ وضع السيدة فى المجتمع(٢) .

ونستشف مما جاء بأحد المصادر التى وصفت تكة شجرة الدر من أنها كانت من حرير وفيها ثلاثة اكرلولو وياقوت ومسك وند وغير ذلك "(٣) أن التكك فى عصر المماليك كانت تصنع من الحرير وتزين بالأحجار الكريمة (الجواهر)(٤) . وبقطع من المواد العطرة كالمسك والند وهى فى حالتها الصلبة . وفى الواقع لم تتوه « القوائم » التى تتضمن جهاز العرائس والمرفقة بعقود الزواج التى ترجع إلى العصر المملوكى بهذه السراويل أو حتى — وهو أكثر أهمية — بأربطة تلك السراويل النفسية(٥) .

---

(١) ماير : المرجع السابق ، ص١٢٥

(٢) جاستون فييت : القاهرة ، مدينة الفن والتجارة ، ص١٤٦

(٣) إبراهيم بن وصيف شاه : كتاب تاريخ أخبار الديار المصرية وما فى ذلك من جواهر البخور ووقائع الأمور وعجائب الدهور .
مخطوط بدار الكتب المصرية ، الخزانة الزكية رقم ٥٧ ص٨١ (وجه) ونلاحظ فى هذا المخطوط إطلاق لفظ الدكة على التكة .

(٤) يبدو أن التكك النفيسة المزينة بالجواهر ، كانت متوافرة بالأسواق فى زمن الطولونيين . فيذكر السيوطى فى أحداث سنة ٢٨٢هـ/٨٩٦م فى معرض حديثه عن زفاف قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون فى مصر إلى الخليفة المعتضد أنه كان بجهازها « ألف تكة بجوهر » .
ويذكر المقريزى نقلا عن القاضى القضاعى « أنه طلب لقطر الندى ابنة خمارويه بن أحمد بن طولون ألف تكة بعشرة آلاف دينار من أثمان كل تكة بعشرة دنانير فوجدت فى السوق فى أيسر وقت وبأهون سعى » .
انظر : السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص١٩٧
، المقريزى : الخطط ، جـ١ ، ص٣٣٠

(٥) ماير : المرجع السابق ، ص١٢٥

ومن الجدير بالذكر أنه ورد ذكر للتكة فى أماكن متفرقة من ألف ليلـــة وليلــة[1] .
ومن المعروف أن أفخر التكك وأثمنها هى التكك الأرمينية[2] .

وقد كانت التكة هى الهدية الأولى التى تهديها عشيقة لعشيقها ، ومن ثم كانت نبـــع غزير للنوادر والملح[3] .

هــذا وقد استمرت نساء مصر فى لبس السراويل بعــد عصر الممـــاليك (لوحــة ٢٢٤) وأطلق عليها لين اسم « شنتيان » وهى واسعة وتكون من الحريـــر أو القطــن المطبوع أو المطرز أو من الأبيض وتشدبتكة حول الوركين تحت القميص أمـــا أطرافــها السفلى فتشد من أعلى وتربط تحت الركبتين تماما إلا أن طولها يهبط بها حتـــى القدميــن وغالبا إلى الأرض[4] .

وعن ذكر السروال لا بد من ذكر رباطه ألا وهو التكة[5] فالسراويل لدى الشـــرقيين ليست لها فتحة من الأمام ومن ثم ليست بها أزرار ولربطها يستخدم تكة وتفسر هذه الكلمــة برباط السراويل .

والتكة هى شريط مشغول مطرز فى طرفيه بالحرير الملون بالرغم من أنه مخفـــى بالملابس التى فوقه وهو بالتفافه حول الجسد يساعد على ربط السروال[6] .

---

(1) Dozy: Vetement, P. 96, 97.
(2) Ibid, P. 97.

(٣) الوشاء المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٢٧

(٤) لين : المرجع السابق ، ص٤٢ ، ٤٣

(٥) التكة فى العامية الدكة ، دكك السراويل وضع فيها التكة ، إبراهيم مصطفـــى وآخــرون : المعجــم الوسيط ، جـ١ ، ص٢٩١
وجمعها تكك وتسمى الآلة التى تستك بها التكة بالمدك والصواب المتك .
وموضوع التكه يسمى بالحجزة والحبكة والحدل .
رشيد عطية اللبنانى : المرجع السابق ، ص١٣٦
ويسمى موضع التكة حجزة السراويل . ابن سيدة : المخصص ، ص٨٣

(6) Dozy: Dictionnaire Detaille des Names Vetements Cheg les Arabes, Amsterdam 1845, P. 95.

القميـــــص :

اعتادت النساء أن يرتدين فوق هذه السراويل قمصانا ، عدت أيضا مـــن الملابـــس الداخلية ، وكانت تظهر من تحت ملابسهن الفوقانية ، مما ترتب عليه غضب المســـئولين فى الدولة المملوكية إذ حدث سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م أثناء وزارة الأمير منجك « الخواتيـن نساء السلطان وجواريهن أحدثهن قمصانا طوالا تخب أذيالها على الأرض ، بأكمام ســـعة الكم منها ثلاثة أرذع ، فإذا أرضته الواحدة منهن غطى رجلها وعرف القميص منها فيمـــا بينهن بالبهطلة ومبلغ مصروفه ألف درهم فما فوقها وتشبه نساء القاهرة بهن فى ذلك حتـى لم يبق امرأة إلا وقميصها كذلك . فقام الوزير منجك فى إبطالها ، وطلب والـــى القـــاهرة ورسم له بقطع أكمام النساء ، وأخذ ما عليهن »[١] .

فاشتد الأمر على النساء وقبض على عدة منـــهن وأخـــذت أقمصتـــهن . ونصبـــت أخشاب على سور القاهرة بباب زويلة وباب النصر وباب الفتوح ، وعلق عليـــها تمـــاثيل نساء عليهن تلك القمصان بهيئة نساء قد قتلن عقوبة على ذلك إرهابا لهن وتخويفـــا[٢] بـــل وصل الحد بهذا الوزير إلى أن طلب والى القاهرة ورسم له بقطع أكمام النســـاء وأخذهـــا عليهن وبعث بعض أعوانه إلى بيوت أرباب الملهى حيث كانت توجد كثير مـــن النســـاء فهجموا عليهن وأخذوا ما عندهن من ذلك ، وبالغ منجك فى الفحص عن ذلك حتـــى أمـــر بالهجوم على مناشر الغسالين ودكاكين باعة الملابس وأخذا ما فيها مـــن قمصـــان النســـاء وتقطيعها ، كما وكل مماليكه بالشوارع والطرقات ، فقطعوا أكمام النساء ، وهدد بأنه متـــى وجدت امرأة عليها شئ ممانع ، أخرق بها وأخذ ما عليها[٣] ، فامتنعت النساء من لبس مـــا أحدثته من تلك المنكرات[٤] .

---

(١) المقريزى : السلوك ، جـــ٢ ، قسم ثالث ، ص٨١

(٢) المصدر نفسه ، جـــ٢ ، قسم ٣ ، ص٨١

، الخطط ، جـــ٢ ، ص٣٢٢

(٣) د. أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٧٢ ، ١٧٣

(٤) المقريزى : الخطط ، جـــ٢ ، ص٣٢٢

ويبدو مما ذكره المؤرخون أن هذا التشديد لم يدم طويلا فقط عـــادت النســـاء إلـــى ارتداء القمصان الطويلة ذات الأكمام الكبار حتى أفرطوا فى ذلك وخرجوا عن الحد ممـــا اضطر الأمير كمشبغا نائب الغيبة ٧٩٣هـ/١٣٩١م - الذى ساس الناس سياســـة حســـنة ومنع أى فسق أو فجور مدة مباشرته الحكم فى هذه الغيبـــة - ينـــادى - فـــى رمضـــان ٧٩٣هـ/١٣٩١م يمنع النساء من لبس القمصان ذات الأكمام الكبار ، وشدد فى ذلك إلـــى أن رتب مجموعة ليقطعوا أكمام من توجد أكمامها واسعة[١] . لأن النساء كانوا قد أفحشـــوا فى ذلك حتى خرجوا عن الحد[٢] . فقد عمدت النساء إلى توسيع الأكمام مع قصـــر الكـــم ليبدين جمـــالهن ورفع العلماء أصواتهن محتجين على هذا الزى ، واستنكر ابـــن الحـــاج قائلا : « ويجب أن يمنعن من توسيع الأكمام التى أحدثنها مع قصر الكـــم فـــإذا رفعـــت المرأة يدها ظهرت أعكافها ونهودها وغير ذلك وهذا من فعـــل مـــن لا خـــير فيـــه مـــن المتبرجات[٣] .

وقد كان القميص الواحد يفصل من اثنين وتسعين ذراعا من البندقى الذى عرضـــه ثلاثة أذرع ونصف ، فيكون مساحة القميص زيـــادة علـــى ثلثمائـــة وعشـــرين ذراعـــا . وامتنعت النساء عن لبس القمصان الواسعة مدة تولى الأمير كمشبغا نيابة الغيبة وارتـــدوا قمصانا صنعت بأمر هذا الأمير حملت اسمه فعرفت باسم « القمصـــان الكمشـــبغاوية » كانت تفصل من أثنى عشر ذراع فقط من البندقى وكانت أكمامها كالقمصان التى ترتديـــها البدويات . ثم عدن إلى ذلك بعد عودة السلطان برقـــوق مـــن بـــلاد الشـــام إلـــى الديـــار المصرية[٤] .

---

(١) ابن حجر العسقلانى : أبناء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق د. حسن حبشى القاهرة ، ١٩٦٩ ، جـــ١ ، ص٤١٨

، ابن اياس : المصدر السابق ، ط١ ، جـ١ / قسم ثانى ، ص٤٤٨ ، ٤٤٩

(٢) ابن الحاج : المدخل ، جـ١ ، ص٢٠٣

(٣) المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

(٤) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، المجلد التاسع ، الجزء الثانى ، ص٢٦٨

، ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ١٢ ، ص٣٠

ومن الجدير بالذكر أن الإفراط فى اتساع أكمام القمصان وطولها قد امتد إلى نساء الفلاحين . فقد ذكر أحد المعاصرين أن ملابس نسائهم « على شكل الشعراء فى وسع الأكمام وزيادة فإن كم المرأة منهن يسع الرجل يدخل منه ويخرج من الكم الثانى[1] .

وإلى جانب القمصان الطوال ذات الأكمام الواسعة عرفت نساء عصر المماليك القمصان القصيرة الضيقة التى عرفت بالقناديل ، وآخذ ابن الحاج على نساء مصر فى القرن ٨هـ/١٤م تلك البدعة التى أحدثتها فى قمصانهن من جعلها ضيقة وقصيرة فالضيق يصف من المرأة أكتافها وثدييها وغير ذلك ، والغالب منهن أن يجعلن القميص إلى الركبة فإن انحنت أو جلست أو قامت انكشفت عورتها »[2] .

ومما يذكر أنه من بين قود الأمير منجك اليوسفى نائب الشام – الذى قدم فى ربيع الأول سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٣م فى عهد السلطان شعبان – عدة قناديل من حرير ملون بتراكيب ذهب[3] .

ويلاحظ أن التشدد فى الملبس لم يكن بمصر فقط بل امتد إلى بلاد الشام أيضا فيذكر أبو الفداء فى حوادث يوم السبت عاشر المحرم سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م فى سلطنة الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون – أنه نودى بالشام من جهة نائب السلطان الأمير سيف الدين أرتيمش الناصرى عن كتاب وصله من الديار المصرية « أن لا تلبس النساء الأكمام الطوال العراض ولا البرد الحرير ولا شيئا من اللباسات والثياب الثمينة ، ولا الأقمشة القصار »[4] .

ومما سبق يتضح لنا ان أقمصة النساء لم تستقر على حال واحد طوال عصر المماليك بل تعرضت للتغيير والتبديل فمرة نجدها طويلة بأكمام طوال ومرة طويلة بأكمام

---

(١) الشربينى : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص١١٥

(٢) ابن الحاج المدخل : المدخل ، جـ١ ، ص٢٠٠ ، ٢٠١

(٣) ابن اياس : المصدر السابق ، ط١ ، جـ١ / القسم الثانى ، ص١١١

(٤) أبو الفداء : البداية والنهاية ، جـ١٤ ، ص٢٣٣

قصيرة واسعة ومرة نجد القمصان قصيرة وضيقة ومـــرة قمصـــان أكمامـــها كقمصـــان البدويات .

ويبدو أن الأكمام الطويلة قد شاعت بين نساء المسلمين بصفة عامة فـــى العصـــور الوســـطى فيذكر مظاهرى أن السيدات ارتدين لباسًـــا بأكمـــام طويلـــة جـــدًا متشـــبهة بالرجال[1] .

هذا وقـــد أطلق على القمصان السابلة أذيالها علـــى الأرض مقـــدار أذرع كثـــيرة وذات الأكمـــام الواســـعة الذى تصل ســـعة الكـــم ثلاثـــة أذرع – « جـــر الذيـــل[2] » « البهطلة » ، كما يلاحظ تعدد أسماء القمصان الداخلية للنساء كالاتب والأصدة والبقـــيرة والبهطلة والقنادير والدرع وهذه التسميات جميعها لمسمى واحد هو القميص ســـواء أكـــان طويلاً أم قصيرًا ذا أكمام قصيرة أو طويلة أو بدونها .

وقيـــل الأتب ثوب يؤخذ فيشق فى وسطه ثم تلقيه المرأة فى عنقها من غير جيـــب ولا كمين ، وقيل هو الأتب والعلقة والصدار والشوذر والجمع الأتوب ، والأتـــب أيضـــا درع المرأة ، وقيل الأتب من الثياب ما قصر فنصف الساق . وقيل الأتـــب غـــير الأزار لارباط له كالتكة وليس على خياطة السراويل ، ولكنه قميص غير مخيط الجـــانبين وقيـــل هو النقية وهو السراويل بدون رجلين .

ويشرح دوزى لفظ الأتب : البقير ثوب أو برد يشق فى وسطه فتلقيه المـــرأة فـــى عنقها من غير كم ولا جيب والجمع أتوب .. وأتب ومئتبة ثوب من النسيج يشق له فتحـــة من أولى وتلبسه السيدة من هذه الفتحة وهذا الرداء ليس له أكمام وليـــس مفتوحـــا علـــى الصدر وبساطة هذا الرداء تشير إلى أنه كان يلبس حتى قبل الإسلام وما زالـــت النســـاء يلبسنه فى مكة يلبسن هذا القميص والأغنياء منهن يتخذنه من الحرير المقلم تقليمـــا رفيعـــا ويرتبنه فى ثنيات على الأكتاف ويمسكنه حول الجسم بحزام[3] .

---

(1) Mazaheri: Op. Cit., P. 74.

(٢) د. على إبراهيم حسن : نساء لهن فى التاريخ الإسلامى ، مكتبة النهضة ، ١٩٥٠ ، ص١٣٦

(3) Dozy: Vetements, P. 21, 22.

وبالرجوع إلى الآثار الإسلامية التى ترجع إلى العصر المملوكى لـــم نعــثر علــى صورة للأتب وذلك لأنه يلبس تحت الثياب الفوقانية كما أنه قصير لا يظـــهر مـــن تحـــت الثياب الخارجية[1] .

والأصدة قميص صغير يلبسه الصبيان أو يلبس تحت الثوب وتلبسه أيضًا صغـــار الجوارى . وقيل الأصدة ثوب لا كمين له تلبسه العروس والجارية الصغيرة هـــذا وتقـــابل كلمة درع لدى العرب كلمة قميص ولكنها لا تنطبق إلا على قميص المرأة[2] وعن وصـــف القميص كما ورد فى وثائق الحرم القدسى المملوكية أنه على شكل لبـــاس بفتحـــة عنـــق دائرية وبدون فتحة أمامية ، وقد اختلفت أطواله باختلاف رغبات النـــاس فيـــه ، وكـــانت أكمامه أيضًا تتراوح بين الاتساع والضيق ، وكان الاتساع يوحى بالغنى[3] .

أما عن أنواع الأنسجة التى صنعت منها هذه الأقمصة فهى الحرير – كما جاء فـــى ألف ليلة وليلة فنقرأ « قلعت أثوابها وأتت فى قميص رفيع مطرز بطرز من الذهـــب »[4] – والحرير المشتهر الاسكندرى كما جاء فى وثائق القدس المملوكية ، والقطـــن والكتـــان والشاش الموصلى ومن – الحرير والقطن – ومن الكريشة الملونة وأحيانا السوداء . أمـــا ألوان القماش فكانت بيضاء أو زرقاء أو مختلطة بين الأزرق والأبيض . وكـــانت بعـــض النساء يطرزن قمصانهن وبعضهن الآخر يلبسن أنواعا من القمصان البندقية المكبوســـة[5] . وكان التطريز بالحرير وزركشة الحواش والفتحات من سمات أقمصة الموسرات . وكثـيرا ما طرزت القمصان وأكمامها بواسطة أبيات من الشعر .

وبالرجوع إلى الآثار الإسلامية التى تعود إلى عصر المماليك فإننا نادرا مـــا نـــرى هذه القمصان وذلك لأن النساء عند خروجهن يلتحفن بأغطية أخرى كالأزار ولكن بـــالبحث أمكننا أن نصل إلى صورة سيدة فى داخل المنزل وهى تمثل لمنظر الثانى مـــن المقامـــة

---

(١) زينات طاحون : اللباس ، ص٨٩

(2) Dozy: Vetements, P. 46-48.

(٣) صالحية : المرجع السابق ، ص٢١

(4) Dozy: Vetements, P. 48.

(٥) صالحية : المرجع السابق ، ص٢١

التاسعة والثلاثين من مقامات الحريرى وفيها نرى السيدة التى على يمين الصورة ترتـــدى قميصا طويلا أبيضا خاليا من الزخرفة يظهر من تحت ثيابها الفوقانية ومن المرجـــح أنـــه من النسيج القطنى[1] . ومن الملابس الداخلية التى جاء ذكرها بالوثائق والخاصة بالنســـاء كان الرفيق والفوطة والفصادية والكبر .

الرفيـــــق :

لباس داخلى قصير أو طويل ترتديه النساء ، ويمكن أن يكون للأطفال ، ويخاط مـن الكتان أو الحرير الطرح وألوانه الغالبة البيضاء والمخططة والمخفقـــة ، وقـد يكـون ذا حواش ومقصـا . ومن أنواعه التى وردت فى الوثائق ، رفيق طـــرح حريـر ورفيـق مقص ، ورفيق طرح مخطط ورفيق كتان دمشقى[2] .

الفوط : ومصغرها الفويطة :

وكلمة فوطة هندية الأصل ، استعملت من قبل حسب ما جاء فى المعـاجم العربيـة للإشارة إلى نوع من البز المجلوب من الهند . وبعد ذلك استخدمت للإشارة إلـــى أنـواع مختلفة من الملابس المصنوعة فى الأصل من هذا البز[3] . فهى تطلق علـــى نـوع مـن الألبسة الداخلية تلبس كالسراويل وتكون قصيرة ، وغليظة أو تكون من قماش طرى حتـــى تمتص الماء بسرعة ، والنوع الأخير يستعمل لتخفيف الجسم من الماء كالمناشف[4] .

وجـاء فى كتاب ابن بطوطة « فلبست فوطة منها عوض السراويل على عادتـــهم « وفى كتاب » ألف ليلة وليلة » « قامت الجارية على مهل وأخذت الفوطة يمانية وثنتـها مرتين وشمرت سراويلها » .

وكلمة فوطة تشير إلى المئز الذى يشد حول الوسط لدى الدخول إلى الحمام .

---

(١) زينات طاحون : اللباس ، ص١٠١

(٢) صالحية : المرجع السابق ، ص٣٥

(3) Dozy: Vetements, P. 339.

(٤) صالحية : المرجع السابق ، ص٢٥

وقد كانت تصنع هذه الفوطة من مختلف أنواع البز . ومـــن خـالص الحريـر أو الحرير والقطن والحرير الكتان[1] .

ويذكر صـالحيـــة أن فوطة المنـاشف ليســت هى المقصودة فى الوثائق ، فحســب إذ ورد ذكر فوط منسوجة من طرح ومن كتان وإحداها قفضت بحرير اسكندرى بحاشـــية زرقاء ، أما النوع الذى يحتمل أنه استخدم كمناشف هو الذى كانت خامتـــه مـن قمـاش المخمل[2] .

الفصـــاديـــــة :

شريط تجمع به النساء ضفائر شعرها مع بعضها البعض أى تربط به الجدائل وكـلن حسب ما جاء بالوثائق من الحرير ومطرز بألوان خضراء وزرقاء وبيضاء[3] .

ومن الغريب أن الشريط الذى تجمع به الضفائر لم يحرم من الزخرفة بالشعر فقـــد كتبت أحد الجوارى على وقاية تجمع بها ضفائرها الآتى :

جـــزى الله البـــراقـــع مـــن ثيـــاب عـــن العينيـــن شـــرا مـــا يقينـــا
يغطيـــن المـــلاح فـــلا تراهـــم ويســـترن القبـــاح فيســـتوينـــا[4]

الـــكـــبـــــــر :

وهى قطعة من القماش تشد به الملابس ويربط على الأغلب على البطن ويكون مـن القماش البعلبكى وجاء بالوثائق ذكر كبر من الطرح وألوانه الأبيض والأزرق .

ولشد الملابس استخدمت النساء الأحزمة ذات الألوان الزرقـــاء أو المشـــدات ذات اللون الأبيض المصنوعة من القطن[5] .

---

(1) Dozy: Vetements, P. 340, 341.

(٢) صالحية : المرجع السابق ، ص٢٥ ، ٢٦

(٣) المرجع نفسه ، ص٢٦

(٤) الوشاء : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٢٥

(٥) صالحية : المرجع السابق ، ص٢٦

وجاء فى كتاب وصف مصر وهو يصف زى النساء أن الحزام يكون فى الصيف من الحرير أو من الموصلى ، وفى الشتاء يكون من شال الصوف الكشميرى . وهو حين يربع يتدلى إلى الوراء على هيئة مثلث »[1] .

وقد تطلق كلمة حزام أيضا على خيطين من القماش سائبين ، يشكلان فى وسط الثوب ، ويستعملان لشد الوسط لإظهار نحولة الخصر[2] .

ويظهر ببعض التصاوير التى سجلها لنا بريس دافين عن بعض ملامح الحياة فى مصر فى القرن التاسع عشر بعض النساء بملابسهن داخل المنزل ويبدو الحزام من قماش ملون من أحمر وأصفر وأزرق[3] .

هذا وقد استعمل الحزام فى العصر الصفوى ، فصنع من مواد مختلفة كالقطن والكتاب والحرير ، وفى القرن ١١هـ/١٧م ظهر نوع جديد من الأحزمة أطلق عليه اسم « الأحزمة البولونية » ، ذلك أن مصانع النسيج الإيرانية ، أنتجت أحزمة حريرية طويلة ، قوام زخارفها أشرطة أفقية وتنتهى فى طرفيها بمنطقة أوسع مساحة وفيها خامان وزخارف نباتية وأمتاز هذا النوع من الأحزمة ، بأن نساجى جنوب شرقى بولندة ، قد أقبلوا على تقليده ، بعد أن استورد التجار الأرمن كميات منه من إيران وباعوها فى بولندة ، فشاع عليها اسم الأزمة البولغرنية ، نسبة إلى بولندة ويضم متحف الفن الإسلامى بالقاهرة مجموعة كبيرة من الأحزمة الحريرية المزخرفة بزخارف نباتية وهندسية والتى تعرف « بالأحزمة البولندية[4] » . (لوحة ٢٤٤) .

* * *

---

(١) شابرول : دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ، ترجمة زهير الشايب ، ط١ ، ص١٩٧٦م (وصف مصر الدولة الحديثة) ص١٠٣

(٢) أحمد محمد توفيق الزيات : الأزياء الإيرانية فى مدرسة التصوير الصفوية على التحف التطبيقية ، رسالة ماجستير ١٩٨٠م ، بكلية الآثار ص١٥٥

(٣) انظر : Prisse d' Avnnes: Op. Cit., Vol. 3, PL. 14.

(٤) أحمد الزيات : المرجع السابق ، ص١٥٦

الملابس الخارجية :

وارتدت المرأة - فوق الملابس الداخلية السابقة الذكر - نوعا من الـــزى الواســع عرف باسم الثوب . ويذكر ما ير أن الثوب يعتبر أكثر الملابس المألوفـــة عنـــد الشـــابات حسبما يبدو من قوائم الجهاز . وقد تكرر الاستخفاف بـــالقوانين فصنـــع الثـــوب قصـــيرا وبأكمـــام قصيرة ومتسعة ، وأشـــار ابن الحاج إلى ذلك على أنه من البدع المســـتحدثة ، وهو يقصد باكورة القرن الرابع عشر[١] ، وأخذ على بعض نساء عصره لبـــس الأثـــواب القصيرة ذات « الأكمـــام الواســـعة والقصيرة والوقوف بهذا الملبـــس بـــدون ســـراويل على الأســـطح فى باب الريح فمن رفع رأسه أو التفت رأى عورتـــها والشـــرع أمرهـــا بالتستر »[٢] .

وكانت المرأة تلتف جميعها بملاءة أو سبلة متسعة فضفاضة عرفت بعـــدة أســـماء تذكر منها البغلطاق والمرط والحلة والفرجية ، والكاميلية والملحفـــة والشـــاية أو الســـاية والأزار الذى كان اكثر السبلات شيوعا . وهو عبارة عن ملاءة طولها حوالى ثلاثـــة أذرع وعرضها يقرب من ذراعين وغالبا ما توقفت مقاييس هذه الأزر على حجم المرأة وعلـــى مدى طولها أو قصرها[٣] .

وجاء بوثائق الحرم القدسى المملوكية عن الأزار أنه قماش غير مطرز تلفه المـــرأة حول جسدها ويغطى الأرداف والعورة . وقد غلب على ألوان أزر النساء اللون الأبيـــض أو الأخضر المتخذ من قماش الجوخ[٤] .

---

(١) ماير : المرجع السابق ، ص١٢٥

(٢) ابن الحاج : المدخل ، جـــ١ ، ص٢٠٣

(3) Ahmed Abd Ar-Raziq: Le Femme, PP. 216-237.

، أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٧٧

(٤) صالحية ، المرجع السابق ، ص٢٠

وقد أحدثت النساء فى بداية القرن الثامن الهجرى الرابـــع عشـــر الميـــلادى الأزر الحريرية ووصل ثمن الواحد منها ألف درهم ، وقد لاقت الأزر[1] اعتراضًا كمـــا لاقـــت الأقمصة فقد نادى الوزير منجك « فى القياسر بأنه من باع أزار حريـــر مالـــه للســـلطان فنودى على أزار ثمنه سبعمائة وعشرون درهمًا فبلغ ثمانين درهمًا ولـــم يجـــر أحـــد أن يشتريه »[2] ، وامتنعت النساء من لبس ما أحدثته .

ومما يلاحظ أن هذا التحريم لم يستمر طويلا ، فقد أشار الرحالة الأجـــانب الذيـــن زاروا مصر فى عصر المماليك فيما سجلوه عن مصر فـــى كتـــب رحلاتـــهم أن المـــرأة المصرية أقبلت على ارتداء الأزر الحريرية الثمينة وكان لون هذه الأزر أبيـــض بالنســـبة للمسلمات جميعا[3] ، وهذا بخلاف ما كان يراعى فى بداية القرن التاســـع عشـــر مـــن ان تكون جدة السيدة المتزوجة من الحرير الأسود اللامع وغـــير المتزوجـــة مـــن الحريـــر الأبيض[4] .

وبالنســـبة لنساء أهل الذمة فقـــد تحتم عليهن ارتـــداء أزر مخالفـــة لمـــا ترتديـــه المسلمات فارتدت نساء النصارى أزر زرقاء ونساء اليهود أزر صفـــراء وتحـــدد اللـــون الأحمر لأزر السامرة . فيذكر ابن اياس فى حوادث يوم السبت خـــامس عشـــرة جمـــادى الأولى سنة ٨٠٣هـــ فى سلطنة الناصر فرج بن الظاهر برقوق أن الأمير يلبغا الســـالمى

---

(١) (أزر) أصل الأزر الإزار الذى هو اللبـــاس يقال أزار وإزاره ومئزر ويكنى بالإزار عن المـــرأة قـــال الشاعر ألا بلغ أبا حفص رســـولا فدى لك من أخى ثقـــة ازارى وتسميتها بذلك لما قال تعـــالى « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » ، وقوله تعالى : « أشدد به أزرى » أى أتقوى به والأزر القـــوى الشديدة وآزره أعانه وقواه وأصله من شد الإزار .

انظر : الراغب الاصفهانى : مفردات الراغب الاصفهانى فى غريب القرآن م كتاب النهايـــة لابـــن الأثير فى هامش الجزء الأول ص٢٩

(٢) المقريزى : السلوك ، جـ٢ / قسم ٣ ، ص٨١١

، المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٣٢٢

(3) Schefer: Voyage du Magnifique et tres Illustre Chevalier Domenico Trevison, Paris 1864, P. 211.

(٤) لين : المرجع السابق ، ص٤٥

أمر بالنداء فى القاهرة ومصر أن نساء النصارى يلبسن أزرا زرقا ، ونساء اليهود يلبسن أزرا صفرا »[1] .

ويذكر ابن حجر أنه فى السابع من جمادى الأولى سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م ، ألزمت نساء النصارى بلبس المصبغات وبعدم تمكينهم من ارتداء الأزر البيض[2] .

* * *

(١) ابن اياس : المصدر السابق ، جـ١ ، القسم الثانى ، ص٦٠٥

(٢) ابن حجر العسقلانى : أبناء الغمر بأبناء العمر ، جـ٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥

أغطية الرأس

اتخذت المرأة فى عصر المماليك أنواعًا مختلفة من أغطية الرأس فارتدت العصابة أو الشاش أو العمامة أو الشربوش أو الطاقية أو الطرطور .

العصـــــابـــة :

تعتبر العصابة أهم أغطية الرأس جميعًا ، وهى عبارة عن قطعة من القماش كانت تلف كالعمامة حول جزء من الإزار الذى كان يغطى شعر المرأة ، ربما تشبه فى هيئاتها تلك التى تستعملها البدويات فى وقتنا الحالى ، إلا أنه كانت تزينها أحيانًا زخارف غنية جميلة مطرزة ومحلاه بالأحجار الكريمة(١) .

ويذكر صالحية أن العصابة طرحة من الحرير ، مربعة الشكل لها حاشية حمراء أو صفراء ، وهى تطوى بصورة منحرفة ثم تلف على الرأس وتتدلى من الخلف عقدة وحيدة وقد تزين بالحلى واللؤلؤ ، والعصابات التى وصفتها الوثائق كانت بيضاء ومطرزة بأحمر أو أصفر(٢) .

وكانت العصائب مما يعرض فى جهاز العروسة فى عصر المماليك ، وكان يعتنى بتزيينها كما هو معتاد فى كل ملابس العروسة فكانت ترصع بقطع الذهب والأحجار الكريمة ، وكانت تعرض فى أطباق حتى يراها الناس فقد أورد ابن اياس فى حوادث يوم الأحد سلخ شهر ربيع الأول سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م فى سلطنة الظاهر برقوق حمل جهاز ابنة الأمير منجك زوجة السلطان إلى القلعة وأن من بين ما حمل « عشرة أطباق بها عصائب ، وكوافى ، مرصع ، وذهب ، ولؤلؤ ، وريش »(٣) .

---

(١) ماير : المرجع السابق ، ص١٢٦

(٢) المرجع السابق ، ص٢٤

(٣) ابن اياس : المصدر السابق ، الطبعة الأولى ، الجزء الأول ، القسم الثانى ، ص٣٤٥ ، ٣٤٦ وهذا يؤيد ما ذكره مظاهرى من أن السيدات لبست فى القرن الثالث عشر الريش على الرأس . انظر :

Mazahere: Op. Cit., P. 74.

وأورد ابن أيـاس فى موضـع آخـر - فى حـوادث شـهر ربيـع الآخـر سـنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م فى عهد سليم شاه العثمانى وبعد قتل آخـر سـلاطين المماليك السلطان طومـان بـاى - ذكر العصايب المزركشة ، وهو يعدد ما استولى عليـه وزراء ابن عثمان من موجود خوند ابنة الأمير أقبردى الدوادار ، زوجة طومان بـاى ، الـذى كان من بينه « عصايب ذهب ولؤلؤ ومرصع وكوامل ذهب ، وغير ذلـك مـن القمـاش الفاخر »[1] .

ولم تسلم العصابة من تدخل المسؤلين فى الدولـة المملوكية - كمـا كـان الحـال بالنسبة للقميص والإزار أو أى نوع من أنواع الملابس يرونه مبـالغ فيـه - ففـى سـنة ٨٧٦هـ/١٤٧٢م أمر السلطان قايتباى الأمير يشبك الجمالى القائم بشئون الحسبة بالمنـاداة فى القاهرة بمنع النساء من لبس العصابة المقنزعة أو السراقوش الحرير وأن تكون ورقـة العصابة طولها ثلث ذراع وأن تختم بختم السلطان من الجانبين ، وأبلغ بذلك بـائعى أوراق النساء ، وطافت أعـوان المحتسـب فى الأسـواق ، فإن قابلوا امـرأة ترتدى العصابـة أو السراقوش الممنوعين وجب عليهم ضربها وتعليقها من رقبتـها بالعصابـة ، فـامتنعت النساء عن لبسهما وصرن يلبسن عصائب طويلة أو يخرجن كاشفات الرؤوس ، ولكن كـن يلبسن العصائب المقنزعة فى داخل المنازل .

وكالعادة وبعد مدة ليست طويلة رجعت النسـاء إلـى لبـس العصـائب القصـيرة والسراقوش[2] .

هذا ومن العصائب الشهيرة فى عصر المماليك « عصابة اتفاق التى كمـا يقـول المؤرخين أنها » اشتهرت عند الأمراء ، وشنعت قالتها ، فإنه قام بعملها ثلاثة ملوك أخـوة من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، الملك الصالح إسماعيل والملك الكامل شـعبان

---

(١) ابن اياس : المصدر السابق ، ط١ ، جـ٢ ، ص٤٢٩

(٢) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص١٣٢

، أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٨١ ، ١٨٢

والملك المظفر حاجى وتنافسوا فيها واعتنوا بجواهرها حتى بلغت قيمتها زيادة على مائـــة ألف دينار مصرية »[1] .

ومن الجدير بالذكر أن العصائب المرصعة كانت من الأشياء التى تورث نظرًا لمـــا بها من ذهب وأحجار ثمينة ، فيروى المقريزى فى حوادث سنة ٧٤٣هـــ/١٣٤٣م عنـــد قدوم أولاد الأمير أيدغمش من دمشق وإلزامهم بتفاوت الاقطاعات التى انتقلت إلى أبيـــهم من مصر وحلب ودمشق فبلغت جملة كثيرة باعوا فيها خيولاً وعصابة مرصعـــة لأمـــهم بلغت مائة ألف درهم »[2] .

---

(١) عندما تغير السلطان الملك المظفر حاجى- عام ٧٤٧هـ/١٣٤٦ - على حظاياه الثلاث اتفاق العوادة وسلمى والكركية بسبب إنكار كبار الأمراء والمماليك شدة شغفه بالنسوة الثـــلاث واتلافـــه الأمـــوال العظيمة فى العطاء لهن أمر الطواشى مقبل الرومى أن يخرجهن من القلعة بدون الجوهر والزركشـــة وأن تقلع اتفاق عصبتها .

انظر : ابن تغرى بردى : النجوم ، جـــ١٠ ، ص١٥٦

، المقريزى : السلوك ، ط١ ، جـــ٢ ، قسم ٢ ، ص٧٢٥ ، ٧٢٦

ونلاحظ أن المقريزى أورد ذلك بتاريخ المحرم سنة ٧٤٨م

(٢) السلوك ، جـــ٢ ، قسم ٣ ، ص٦٣٣ ، ٦٣٤

وعن تاريخ العصابة فتروى لنا كتب التاريخ أن أول من استحدثت العصابة كانت عليه بنت الخليفـــة المهدى وأخت هارون الرشيد التى كانت من أجمل نساء دهرها لولا عيب فى جبينها وهو سعة غـــير مستحسنة فابتدعت العصابة المحلاه بصنوف الجوهر وبسلسلة ذهبية مطعمة بالأحجار الكريمة فسترت عيبها وزادت جمالاً فأحدثت بذلك زيا جديدًا أخذته النساء عنها ،

انظر :

، عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـــ٣ ، ص٨٨

، فيليب حتى وآخرون : تاريخ العرب ، جـــ٢ ، ص٣٨٩

، سيد أمير على : المرجع السابق ، ص٣٧٥

، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقـــافى ، جـــ٢ ، ص٣١٢ ، جـــ٣ ، ص٤٤٤

، مصطفى جواد : سيدات البلاط العباسى ، ص٢٥

، مليحة رحمه الله : الملابس فى العراق خلال العصور العباسية المجلة التاريخية المصرية ، مجلـــد ١٣ ، القاهرة ١٩٦٧م ، ص٢١٤

الشـــــعريـــة :

هذا وقد جاء بالوثائق ذكر الشعرية وهى عصابة من قماش خفيـــف يعصـــب بـــها الرأس مصنوعة من الشعر وخاصة شعر الحصان وتغطى العيون ، وتكون فوق النقـــاب أو الخمار ، وتتدلى فوق العيون حتى لا ترد عيون النساء ، والشعريات التى وجدت فـــى الوثائق كانت منسوجة من الصوف أو القطن أو الحرير بألوانها البيضاء والزرقاء . ويبـدو أنها تكون مع العصابة قطعة واحدة ، فقد تكون شعرية بعصابة بيضاء أو بصـــوف أزرق وأخرى بحرير أزرق وغيرها بقطن أبيض[1] .

الشـــــاش :

استخدمت النساء الشاش كنوع من أغطية الرأس ، وهو عبارة عن عصبة تلبســـها المرأة بحيث يكون أولها عند جبينها وآخرها عند ظهرها ويكون مظهرها العام مثل ســـنم الجمل ، فيبلغ طولها نحو ذراع وارتفاعها ربع ذراع ، وكثيرًا ما كن يبلغن فى زخرفتـــها بالذهب واللؤلؤ . وقد أشار المؤرخ ابن تغرى بردى إلى هذا الشاش بقوله : « وقد رأيـــت أنا هذا الشاش المذكور وكان على صفة الحلى الذى ، تحلى به العروس بل كان أكثر تعبًـــا فى تعديله »[2] .

وقد كان لبس الشاش من البدع الغير مستحبة ، فيروى ابن ايـــاس تحـــت حـــوادث شهر رجب من عام ٧٨٧هـــ/١٣٨٥ - فى بداية العصر المملوكى الجركســـى والســـلطان الظـــاهر برقوق - أنه وقعت حادثة غريبة وهى أن امرأة صالحـــة رأت النبـــىﷺ فـــى المنام، وهو يقول لها : « قولى للنساء ينتهوا عن لباس الشاش » ، وهو شئ قد اقترحتـــه النساء يلبسونه على رؤوسهن مثل سنم الجمل ، طوله نحو ذراع ، وارتفاعه نحـــو ربـــع ذراع ، يرخونه على ظهورهن ، ويزخرفونه بالذهب واللؤلؤ ، ويبـــالغوا فـــى ذلـــك ايـــة المبالغة ، وكانت هذه بدعة سيئة من النساء[3] .

---

(١) صالحية ، المرجع السابق ، ص٢٤

(٢) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٨٣

(٣) ابن اياس : المصدر السابق ، جـــ١ ، القسم الثانى ، ط١ ، ص٣٦٢

Dozy: Dictionnaire des Nomes des Vetements, P. 239.

العمـــــامـــة :

شاع فى بداية عصر المماليك استخدام النســـاء للعمامـــة كغطـــاء رأس متشـــبهات بالرجال ، ولم يلق هذا التصرف إقبالاً من السلطان الظاهر بيبرس الذى أصدر مرســـومًا عام ٦٦٢هـ/١٢٦٣م بالمناداة فى مصر والقاهرة بمنع أى امرأة من التعمـــم بعمامـــة أو التزى بزى الرجال[١] ، ويبدو أن النساء لم يمتنعن نهائيًا عن ارتداء العمامة بل عدن بعـــد فترة إلى ارتدائها بدليل ما أخذه ابن الحاج على نساء عصره فى القرن ٨هـــــ/١٤م مـــن استعمالهن لعمائم على هيئة « أسنمة البخت »[٢] إذ أن فى عمامة كل واحدة منهن ســـنامان وأقل ما فيه من الضرر أن رأسها يعتل بسب هذه العمامة لأنهن اتخذنها عادة مـــن فـــوق الحاجبين وفى ذلك مفاسد أحدها أن المرأة محل لاستمتاع الرجل وأعظم جمال فيها وجهـــها وهى تغطى أكثر فتقع بذلك فى الاسم لأنها تمنع زوجها حقه ولو رضى زوجها بذلك فإنـــها تمنع منه لمخالفتها للسنة والثانى أنها إذا كانت هذه المواضع مستورة فإذا احتـــاجت إلـــى الوضوء تحتاج إلى كشفها حتى تغسل ما يجب عليها فإذا غسلته فقد تستوى لأن الموضـــع قد اعتاد التغطية فإذا كشفته عند الغسل قد تتضرر فيكون ذلك سببًا لترك فرضين أحدهمـــا غسل الوجه والثانى مسح الرأس والثالث الزينة التى جملها الله تعالى بـــها فـــى وجهـــها سترتها عن زوجها وقد يفضى ذلك للفراق لأنها تبقى فى تلك الحالة بشعة المنظر فإن قيـــل أن فيه بعض جمال لها فهذا نادر والنادر لا حكم له فأن فرض إن الغالب فيه جمـــال لـــها فتمنع من ذلك لما تقدم من مخالفتها للسنة والخير كله فى الاتباع »[٣] .

---

(١) المقريزى : السلوك ، جـــ٢ ، ص٥٣

(٢) مفردها سنم أى الجارى المرتفع ويروى بالشين والباء وجزور سنمة عظيمة السنام وسنام كل شـــئ أعلاه ، ونساء على رؤوسهن كأسنمة البخت هن اللواتى يتعممن بالمقانع على رؤوسهن يكبرنها بـــها وهو من شعار المغنيات .

انظر : جلال الدين السيوطى : الدر النثير – مع كتاب النهاية لابن الأثير ، جـــ٢ ، ص٢٠١

(٣) ابن الحاج : المدخل ، جـــ١ ، ص٢٠١ ، ٢٠٢

وقد امتنعت النساء عن ارتداء العمامة مرة ثانية ويؤكد ذلك ما جاء على لسان أحد الرحالة الذين زاروا مصر فى عصر المماليك من أن النساء لا تلبسن العمامة ولكن يلبسها الرجال فقط[1] .

ومن الغريب أن زى العمائم المرتفعة لم تكن وليدة العصر المملوكى بل ترجع إلى عصر صدر الإسلام وكانت تسمى « الناهرة » ، وقد اخترعنها النساء فكن يعظمن رؤوسهن بالخمر والمقانع حتى تصير العمامة على رؤوسهن مثل أسنمة البخت وهى الإبل الخراسانية واتخذنها عادة من فوق الجبين وقد عابها النبى ونهى النساء عن فعلها كما ورد فى الحديث الشريف : « لا تقوم الساعة حتى يكون نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤوسهن مثل أسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وأن ريحها ليوجد فى مسيرة خمسمائة عام » .

وقال الشيخ الإمام أبو عبد الله القرطبى « أن النساء كن يعظمن رؤوسهن بالخمر والمقانع ويجعلن على رؤوسهن شيئًا يسمى عندهن الناهرة[2] » .

الشربوش :

اتخذت المرأة الشربوش غطاء لرأسها ، وهو أشبه بالتاج ، مثلث الشكل ، كان يجعل على رأس المرأة بغير عمامة[3] وقد أشار المقريزى إلى سوق الشرابشيين[4] .

هذا ويرتبط بالطربوش القمطه وهى قطعة من الموسلين ، تلف عدة لفات حوله وتتكون من جزئين الجزء العلوى يكون ذو لون أحمر أو من لون فاقع وكل هذا يكون من فوق الرأس نوع من قماط بارز يزين باللؤلؤ والأحجار الكريمة .

ومن الجدير بالذكر أن العروس كانت ترتدى الشربوش ليلة زفافها فقد جاء بالنجوم الزاهرة فى حوادث ٧٩١هـ/١٤٠٠م فى سلطنة المنصور حاجى الثانية أنه عندما زفت

---

(1) Dopp: Le Caire Vu par les Meyageurs Occidentaux du Mayen Age, P. 47.

(٢) على إبراهيم حسن : نساء لهن فى التاريخ الإسلامى نصيب ، ص١٢٧

(٣) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٩٩

(٤) المصدر نفسه ، ص١٠٣

خوند بنت الملك الأشرف شعبان أخت الملك المنصور على الأمير الكبير منطـــاش علـــق على شربوشها ديناراً زنته مائتا مثقال ، ثم ثانى مرة ديناراً زنته مائة مثقال[1] .

الطـــــاقيـــة :

بطل الشربوش فى العصر المملوكى الجركسى وحـــل محلـــه الطاقيـــة ، ويذكـــر المقريزى أنه شاع لبس رجال الدولة للطواقى وتركهم العمائم فى هذه الفترة بعد أن كـــان نزع العمامة عن الرأس عاراً وفضيحة وتشبه النساء بهم وتنوعت ألوان تلك الطواقى مـــا بين أخضر وأحمر وأزرق وغيرها من الألوان وكانت فى البداية ترتفع نحو ســـدس ذراع تنتهى من أعلى بقصة مدورة مسطحة . ثم تطورت فى عهد الناصر فرج إلى شئ عـــرف بالطواقى الجركسية يكون ارتفاع عصابة الطاقية فيها نحو ثلثـــى ذراع وأعلاهـــا مـــدور مقبب وقد بولغ فى تبطين الطاقية بالورق والكتيرة فيما بيـــن البطانـــة المباشـــرة للـــرأس والوجه الظاهر للناس وجعلوا من أسفل العصابة المذكورة زيقّا من فرو القـــرض الأســـود يقال له القندس فى عرض نحو ثمن ذراع يلـــف بالجبهـــة وأعلـــى العنـــق ، ويســـتطرد المقريزى ذاكرًا سببين لإقبال نساء المماليك على هذه الطواقى - التى عرفـــت بـــالطواقى الجركسية - وهما : « أنه فشـــا فى أهل الدولة محبة الذكـــران فقصـــد نســـاؤهم التشـــبه بالذكران ليستملن قلوب رجالهن فاقتدى بفعلهن فى ذلك عامة نساء البلد وثانيهما ما حـــدث بالناس من الفقر ونزل بهم من الفاقة فاضطر حال نساء أهل مصر إلى ترك ما أدركنا فيـــه النساء من لبس الذهب والفضة والجواهر ولبس الحرير حتى لبسن هذه الطواقى وأعقـــب ذلك بقوله وبالغن فى عملهـــا من الذهب والحرير وغيره وتواصيـــن علـــى لبســـها »[2] .
ويرى د. أحمد عبد الرازق أن المقريزى ناقض نفسه بهذا التعقيـــب[3] ولكنـــى أرى أنـــه ربمـــا قصد المقريزى بقوله أن النساء بالغن فى عمل الطواقى من الذهب والحريـــر بعـــد قوله أن بسبب ما نزل بالناس من الفقر تركت النساء لبس الذهـــب والفضـــة والجواهـــر والحريـــر - أن هـــذه الطواقى كانت تصنع من نسيج أقل من الحرير كالقطن أو الكتـــان

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ١١ ، ص٣٥١ ، ٣٥٢
(٢) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص١٠٤
(٣) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٨٥ ، ١٨٦

بل كانوا يشغلونها (يطرزونها) ببعض الخيوط الذهبية البراقة والخيوط الحريرية اللامعة كى تعوضهن ما كن يرصعن به أغطية رؤوسهن من قطع الذهب والجواهر .

هذا وتشبه الطاقية الكوفية التى كان يلبسها أصلاً الصبيان والبنات . ثم لبسها الرجال والنساء وحتى العسكر ، وقد تكون لها قمة مدورة ومسطحة وتنسج من الصوف أو الحرير أو الجوخ بألوان مختلفة ، ولكن أكثرها شيوعًا اللون الأزرق(١) .

ويبدو أن ارتداء النساء للطواقى بهذه الهيئة أثار حفيظة المسئولين حتى أمر ناصر الدين بن شبل بمجرد تعيينه محتسبًا للقاهر فى ٨٣٠هـ/١٤٢٧م بمنع النساء من ارتداء الطواقى(٢) .

الطـــرطـــور :

كان الطرطور من غطاءات الرأس التى اتخذتها نساء عصر المماليك وجاء ذكر ذلك فى كتاب السلوك للمقريزى فى معرض حديثه عن السلطان الملك الصالح عماد الدين ابن الملك الناصر محمد ٧٤٦هـ/١٣٤٥م الذى كان شغفًا بالجوارى السود ، وأفرط فى حب اتفاق حتى أنه إذا ركب إلى سرحة سرياقوس أو سرحة الأهرام ركبت أمة فى مائتى امرأة الأكاديش بثياب الأطلسى الملون ، وعلى رؤوسهن « الطراطير الجلد البلغارى المرصع بالجواهر واللآلئ »(٣) .

ومن هذه العبارة يتضح لنا أن هذه الطراطير كانت تصنع من الجلد المزين باللؤلؤ والجوهر .

ويبدو أن كلمة طرطور تشير إلى : طاقية عالية . وذكر أحد الرحالة أن نساء الشرفاء يضعن « شريطًا أخضرًا فى طرطورهن » لذلك فلا يستبعد أن ما ذكره بيلون

---

(١) صالحية ، المرجع السابق ، ص٢٥

(٢) ماير : المرجع السابق ، ص١٢٨ ، ١٢٩

(٣) المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، قسم ٣ ، ص٦٧٨ ، ٦٧٩

وقد أورد ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ما ورد فى السلوك ولكن تحت أحداث سنة ٧٤٣هـ

انظر : ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٠ ، ص٩٦ ، ٩٧

الرحالة الذى زار مصر فى العصور الوسطى الإسلامية عندما يتكلم عن الطرطور فـــهو يصف طاقية عالية تلبسها المصريات[1] .

منـــديـــل الـــرأس :

استعملت الناس بمختلف طبقاتهم المنديل ، وهو قطعة من القماش قد تكون كبـيرة أو صغيرة ، وإذا ما كان المنديل كبير فإنه يلف حول الرأس عند عـــدم وجـــود العصابـــة أو الشعرية وعدم وجود العمامة . وقد وجد فى تركات عصر المماليك أنـــواع مختلفـــة مـــن المناديل منسوجة بالكتان أو الحرير ، وألوانها الأبيـــض والأزرق والأحمـــر ، ومعظمـــها مطرز وله حواشى فمثلاً كانت المناديل بيضاء مخططة من الكتان ومناديل كتـــان زرقـــاء وأخرى مقفصة ومناديل بحاشية بيضاء وحمراء وبحواشى زرق وسود ومطرزة بحريـــــر أزرق وأخرى بحواشى كمونى حرير وبحواشى صفر[2] .

ومن الجدير بالذكر أنه ظهرت فى عام ٨١٤هـ/١٤١١م فى عهد سلطنة النـــاصر فرج بن برقوق - للنساء مناديل عصائب سميت « دموع بنت حرق »[3] . وكـــان يطلـــق على منديل الرأس العمـــر وكانت لا تلبسه إلا الحرائر[4] .

---

(1) Dozy: Vetements, P. 203.

(٢) صالحية ، المرجع السابق ، ص٢٢ ، ٢٣

(٣) سبب ذلك أن السلطان الناصر فرج ضرب عند أحمد بن الطبلاوى - ذو القعدة ٨١٤هـ - لأنه وشئ به أنه أفسد خوند بنت حرن ، زوجة السلطان ، فنزلت من القلعة فى غياب السلطان ، وهى متنكـــرة وباتت عند ابن الطبلاوى فلما بلغ السلطان ذلك ، قطع رأسها وأحفرها بين يدى ابن الطبلاوى فـــى طبق مغطى ، فلما كشف عنها ، قال له : « اتعرف هذه ؟ ثم قام السلطان وضرب عنقه بالســـيف ، وأمر أن يدفنا فى قبر واحد .

ابن اياس : المصدر السابق ، جـــ١ ، القسم ثانى ، ص٨١٥

(٤) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، ص٢٢ ، ٢٣

وبالإضافة إلى مناديل الرأس لا بد وأن استخدمت مناديل لليد[1] .

البخنـق[2]

عرفت النساء فى مصر فى عصر المماليك نوع من أغطية الرأس الصغيرة واشـتد إقبالهن عليه ألا وهو البخنق . وكان يصنع من القمـاش الـهرمزى[3] ، وجـاء بـالخطط المقريزية عن سوق البخناقيين أنه معمور جانبيه بـالحوانيت المختصـة ببيـع الكوافـى والطواقى التى ترتديها الصبيان والبنات . وكان بظاهر هذا السوق أيضًا عـدة حوانيـت لصناعة الطواقى وبيعها[4] .

ويرى دوزى أنه كان فى عصر المقريزى لفظ بخنق طاقيـة لأن المقريـزى فـى حديثه عن سوق البخناقيين لم يورد إلا تفاصيل عن الطاقية[5] .

---

(١) وقد قال صفى الدين الحلى على لسان قنديل :

أنـا منـديـل مليـح لمـلاح العـالميـن
أنـا لا أصلـح إلا لدمـوع العـاشقين

انظر : محمد عجاج وعلى موسى سعد : النبراس فى تاريخ الأدب العربى ، ١٩٣٢ ، ٣٥ ، ص١٤

(٢) البخنق جمعها بخانق – قالت العامرية البخنق خرقة تقنع بها المرأة وتحيط طرفـها تحـت صنكـها وتخيط معها خرقة على موضع الجبهة ، ومنه البخنق عند العامة وهو ما يلبس على مقدم أصل العنق من الحلى .

Dozy: Supplement, Tome I, P. 55.

(٣) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٨٨

(٤) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص١٠٤

، سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر ، دار المعارف ١٩٥٧م ، ص٧٦

(5) Dozy: Dictionnaire Detaille des nome des Vetements Chez les Arabes, P. 55.

الحجب

لم تكن كل نساء القاهرة يضعن الحجاب فقد كان هذا الترف قاصرًا على المنعمات منهن وكانت المسيحيات يرتدين النقاب أيضًا فهو إشارة إلى ارتفاع المكانة الاجتماعية على الدين[1] .

المقنعة :

وعرفت أيضًا باسم القناع وهى أغطية اتخذتها النساء للرأس والوجه معًا ، وقد يغطى رأسها وجسمها لإخفاء محاسنها ، وتثبت على الرأس بواسطة قطعة قماش ، والقناع أوسع من المقنعة ، ذاك أن الأخيرة تغطى الرأس ، وجزء من الرأس ، وكانت أقنعة النساء تنسج من قماش العصائب وتجعل لها حواشى ، وكانت فى إحدى الوثائق من الكتان الأزرق[2] .

ويذكر دوزى أنها كانت تصنع غالبًا من قماش الموسلين وتثبت تحت إزار المرأة بعد أن تلف بها وجهها تمامًا[3] .

الطرحة :

كانت توضع الطرحة[4] على الرأس وتنسدل على الوجه فتخفيه عن أعين الفضوليين من الرجال . ويفهم من كتابات أحد المعاصرين أن هذين النوعين من الحجب قد استجدا على عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأن ثمنها كان يبلغ عشرة

---

(١) أولج فولكف : المرجع السابق ، ص١٠٩

(٢) صالحية : المرجع السابق ، ص٢٤

(3) Dozy: Vetements, P. 203.

(٤) هى منديل تغطى به المرأة رأسها سموها بذلك لأنها تطرح أى تلقى على الرأس وفصيحها الخمار وهو ما تغطى به المرأة رأسها ويرادفه النصيف يقال نصف الجارية تنصيفًا خمرها . وتنصفت الجارية تنصفًا اختمرت .

رشيد عطيه اللبنانى : المرجع السابق ، ص٣٥٤

آلاف دينار ربما دون ذلك إلى خمسة آلاف درهم . وروى آخر أن الأمـير تنكـر نـائب الشام قدم لابنته زوجة السلطان المذكور مقنعة وطرحة بسبعة آلاف دينار . الأمـر الـذى يدل على أن هذا النوع من الحجب كان قاصرًا على نساء الطبقة الحاكمة ونعنى بها طبقـة المماليك[1] .

ويذكر مظاهرى أن الطرحة التى كانت ترتديها نسـاء المسـلمين فـى العصـور الوسطى عمومًا من الموسلين الأبيض المنقوش أو من الستان الخفيف وتتكون من قطعتيـن كبيرتين ملتصقتين القطعة الأولى الأمامية من الوسط تغطى الجونلـة ، والثانيـة تغطـى الظهر والأكتاف والرأس وعن طريق الأذرع تثبت هذه الطرحة بـالأذرع وتلـف فـوق الصدر ويوضع فوق الوجه برقع من الموسلين أو الدانتيل[2] .

وترتدى النساء الطرح ذات الألوان الرقيقة عند الخروج لزيارة صديقاتـهن وكـان المعتاد أن تخلع هذه الطرح عند دخول المنزل وتوضع فى شال من الحرير حتـى موعـد انصرافهن[3] .

ومما ذكره لنا الرحالة الأجانب أن نساء عصر المماليك كن دائمًا يغطين وجوهـهن بطرح[4] وكان لون هذه الطرح هو الأسود[5] .

البـرقـع :

ويذكر أحد الرحالة الأجانب أن نساء مصر فى عصر سلاطين المماليك اسـتخدمن نوعين آخرين من الحجب ، الأول عبارة عن منديل أبيض وأسود يطلق عليه عـادة اسـم

---

(١) المقريزى : السلوك ، جـ٢ ، قسم ٢ ، ص٥٣٦
، أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٨٩ ، ١٩٠

(2) Aly Mazaheri: Op. Cit., P. 73, 74.

(3) Ibid P. 66.

(4) Dopp: Le Caire vu par les Voyageurs.

(5) Occidentaux du Moyen Age, Septembere 1954, 7. XXVII, P. 47, Schefer (G.): Le Voyage d' Outeremer, P. 56.

البرقع وكان يغطى الوجه إلى ما تحت العينين[1] وقد شاع استخدامه بين عامة النساء ومن ثم فقد حرص فنانو عصر المماليك على إثباته على منتجاتهم الفنية التى احتوت على بعض رسوم النساء مثل تلك الرسوم التى تزين مخطوطة التريـاق المحفوظة بالمكتبة الأهلية بقينا ، والتى تزين مخطوطة دعوة الأطباء لابن بطلان . كذلك يمكن مشاهدة البرقع فى إحدى لوحات الرسام الإيطالى بلينى التى سبق لنا الإشارة إليها[2] .

وقد استخدمت المرأة البرقع لإخفاء وجهها عند خروجها إلى الطريق فلا يتمكن أحد من رؤيتها فى حيث تتمكن هى من رؤية كل ما يحيط بها[3] .

هذا ويبدو أن التبرقع ليس من مخترعات الإسلام فمن أطلع على الكتب التاريخية يعلم أن نساء اليونان كن يستعملن البرقع إذا خرجن من بيوتهن كما هو الآن عند المسلمين وعند غيرهن من النساء الشرقيات فى الشام ومصر[4] .

هذا وربما كان البرقع خطابا مكشوفًا تسجل عليه المراة عبارات الشوق والهيام إلى من تحب وتهوى . فقد كتبت إحدى الجوارى على برقعها بالذهب .

ألا حظها خوف المراقب لحظة فأشكو لطرفى ما ألاقى من الوجد .

فتفهم عن لحظتى عظيم صبابتى فتومى بطرف العيدانى على العهد[5]

ويثبت فى البرقع - فيما بين العينين - قصبة من الذهب أو من الفضة المطلية بالذهب أو من النحاس يطلق عليها عروسة برقع .

---

(١) ماير : المرجع السابق ، ص١٣٠

(٢) Ahmad Abd Arazaq: Le Femkne, PL. XII/A, Pl. VII/A.
، أحمد عبد الرزاق : المرأة ، ص١٩٠ ، ١٩١

(٣) سعيد عاشور . المجتمع المصرى فى عصر سلاطين ص٢١٨

(٤) محمد بن مصطفى ، المرجع السابق ، ص٨٥ ، ٨٦

(٥) الغزولى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص٢٧٩ ، ٢٨٠

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بنماذج لهذه العرائس منها عروسة برقع ترجع إلـــى عصر المماليك وهى من الفضة اسطوانية الشكل عليها كتابه بـــارزة . قطرهـــا ٢,٧سـم مصر ق ٨هـ/١٤م .

أما النوع الثانى فهو عبارة عن شبكة سوداء تغطى الوجه كله وقد اقتصر استعمالها على نساء الطبقة العليا ، وهى تظهر جلية فى رســوم النســاء التــى زود بــها الرحالــة الإيطالى ارنولد فون هارف ما كتبه عن مصر وقت زيارته لها فـــى عصـــر المماليك ، فنرى فى اللوحة ســيدة واقفــة تمســك بمسبحة[1] وتغطى وجهها بشبكة (لوحــة ٢٢١) (شكل ٣٧) . وسيدة أخرى تمطى حماراً ووجهها تغطيه شبكة أيضًا[2] .

النقـــاب :

ومن الحجب التى شاعت بين عامة النساء نذكر النقاب وهو عبارة عن قناع أســود اللون اكتفى فيه بعمل فتحتين للعينين . ويفهم من كتب الرحالة الأجـــانب المعــاصرين أن استعمال هذا النقاب قد امتد إلى نساء بدو مصر وفى هذا خير دليل على شعبيته وتفســير لعدم ظهوره على المنتجات الفنية المتعلقة بعصر المماليك التى احتوت على بعض الرسـوم النسائية[3] .

---

(١) المسبحة أو السبحة خرزات من الزجاج أو الحجر أو الخشب أو الكهرمان نستخدمها للتسبيح وتكـون هذه الحبات كروية أو بيضية ويختلف عددها بحسب التقاليد الدينية المرتبطة بها .
واستخدام السبح فى العبادة أشير إليه فى كثير من الديانات كالبوذية والمسيحية والإسلام .
أما عن عدد السبحة عند المسلمين فتتألف عادة من ٣٣ حبة أو ٩٩ بعدد أسماء الله الحسنى أو أضعاف ذلك عند بعض علماء المتصوفة ، وهى مما يتهادى به الحجاج لا سيما المصنوعة حباتها من خشـب الصندل لطيب رائحته .
انظر : أحمد عطية الله : دائرة المعارف الحديثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، المجلد الثـانى ١٩٧٩ ، ص٩٩٧

(2) Arnold Von Harff: Die pilgerfahrt, Coln, 1966, P. 106.

(٣) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٩١ ، ١٩٢

ويتضح مما جاء فى وثائق الحرم القدسى الشريف المملوكيـــة أن النقـــاب أمـــا أن يكون شـــفافًا أو مخرمًا ، وقـــد اعتادت النســـاء أن يلبسنه عند حضور مجـــالس الوعـــظ أو الطرب أو الأعراس . والأنقبة التى سجلت بهذه الوثائق غالبًا ما كانت بيضـــاء اللـــون ومطرزة بحرير أسود ولبعضها حواشى زرقاء أو زيتية[1] .

* * *

(١) صالحية : المرجع السابق ، ص٢٥

ملابس القدم

تنوعت ملابس القدم الخاصة بالمراة فى عصر المماليك ما بين خـــف وســرموزة ومداس وقبقاب .

الخـــف[1] :

توضح لنا المصادر المعاصرة لعصر المماليك أن أحذية النساء كانت تطـــابق فـــى أشكالها وخفتها وفخامتها أحذية الرجال المعروفة بالخف والتى كانت تصنع فى العادة مـــن جلد ملون[2] .

وقد بالغ الأساكفة فى تزيينها وزخرفتها حتى أطلق عليها بعـــض مؤرخـــى هـــذا العصر – كالمقريزى – الأخفاف المثمنة . تلك الأصناف التى أمر منجك بمنع الأســـاكفة من عملها[3] .

ومن الجدير بالذكر أن المراة الذمية – فى عصر المماليك – أجبرت على أن تلبـس خفين من لونين متباينين أحدهما أسود والآخر أبيض تميزًا لها عن المرأة المسلمة[4] .

---

(١) الخف Short Boot نوع من الأحذية مما يلبس فى القدم ساترًا لها مع الكعبين ويصنع عادة من جلد رقيق أو يتخذ من اللباد أو الجوخ أو الصوف السميك ويمكن السير به ، وقد يلبس فوق الخف حـــذاء من جلد سميك يعرف بالجرمون .

أحمد عطيه الله : القاموس الإسلامى : مكتبة النهضة ١٩٦٦ ، المجلد الثانى ص٢٦٤

(2) Arnold Von Harff: Op. Cit., P. 108.

، ماير : المرجع السابق ، ص١٢٩

، أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٩٢

(٣) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٢٢

(٤) أبو الفداء : البداية والنهاية ، جـ١٤ ، ص٣٠٥

، قاسم عبده قاسم : أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ، ص١٥٦

، أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٩٢

وتذكر الوثائق أن الخف نوع من الأحذية العالية المرتفعة الكعب المصنوعة من الجلد أو غيره كالجوخ وألوانه بيضاء أو سماقية (كلون نبات السماق) . أما النعل فيشبه الصندل العادى له شراك ، ويزين وجهه بحرير طرح[١] .

وقد احتذت المرأة العربية الخف منذ العصر الجاهلى إلى جانب القفش أو الكوث وهو القصير المكشوف من الأحذية[٢] .

واستخدمت الخفاف فى مصر كلبس قدم للرجال والنساء على حد سواء ومما يذكر أن الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى – ٤٠٨هـ/١٠١٨م – منع الأساكفة من عمل الخفاف للنساء وشدد فى ذلك[٣] .

وفى عهد كتاب ألف ليلة وليلة أى بعد غزو الأتراك لمصر ، يبدو أن خفاف سيدات القصور وخفاف الجوارى والأماء العائدات لسادة أغنياء مترفين كانت فى غاية الروعة والبهاء فنقرأ فى ألف ليلة – وقفت عليه امرأة – نجف مزركش بحاشية قصب وشريط لاعب – ونجد فى موضع آخر رجلا اشترى لجاريته الراحلة فى سفرة (خفا مزركشا بالذهب الأحمر مرصعا بالدرر والجوهر[٤] .

هذا واستمرت النساء فيما بعد العصر المملوكى يلبسن الأنعلة الجلدية وقد وصلت فى الشرق عموما إلى منتصف سيقانهن أو أعلى من ذلك . ويذكر لين أن الخف حذاء من الجلد الأصفر يدخل فى بابوج[٥] .

---

(١) صالحية : ص٢٦

(٢) عبد الله عفيفى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص١٢٨

(3) Dozy: Dictionnaire des noms des Vetements, P. 155.

؛ العينى : المرجع السابق ، ص١٥٨

(4) Dozy: Dictionnaire des Vetements, P. 155-157.

(٥) لين : المرجع السابق ، ص٤٥

السراموزة[1] :

وكانت النساء يلبسن فوق الأخفاف أحذية قصيرة تلبس خارج المنزل تعرف باسم « سراموزة » وهى تعنى النعل[2] وتشبه الصندل العادى وعادة ما يزن وجهه بحرير طرح[3] .

وكلمة سراموزة أصلها فارسى وتعنى رأس الخف فإن سر رأس وموزة خف[4] .

---

(١) سرموزة تقابل سرموزة وسرموز وسرموجة وسرموج . وجرموق وزرموزة .

Dozy: Supplement, T. I., P. 650.

Dozy: Vetements, P.202.

والسرموجة والسرموزة ضرب من الخفاف « فارسية دخيلة » . معناها رأس الخف .

أحمد رضا : مجلد ٣ ص١٤٥

السرماية فارسية معربة أصلها سرموزة عربها العرب . وفى الشفاء السرموزة نقل معروفة فارسية معناها رأس الخف والعامة تقول سرموجة .

قال الأزهرى :

مما طل رجلى شكيت تردى إليه

وكان لى سرموزة قطعتها عليه

رشيد عطية اللبنانى : المرجع السابق ، ص١٧٦ ، ١٧٧

(٢) النعل : الحذاء ، مؤنثة ، وتصغيرها نعيلة ، تقول : فعلت وافتعلت إذا احتذيت .

الجوهرى : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تحقيق أحمد عبد الغفور العطار ، دار الكتاب العربى بمصر ١٣٧٧هـ ، الجزء الخامس ص١٨٣١

جمعها نعال وكانت تسمى تاسومة ، وقد يطلق النعل على كل ما تعى القدم .

وتعنى كلمة النعال السبتية المدبوغة وقيل إلى حلق عنها الشعر أخذ من لفظ السبت لأن معناه القطع فالحلق بمعناه ، وقيل لها سبتية تسبتت بالدباغ أى لانت .

ابن حجر : فتح البارى ، جـ١٠ ، ص٣٢٠ ، ٣٢١

والنعال السبتية هى نعال أهل النعمة والسعة .

أحمد رضا : المرجع السابق ، جـ٣ ، ص٩٠

(٣) صالحية : المرجع السابق ، ص٢٦

(٤) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص١٠٥

ويبـــدو أن السراموزة كانت بيضاء اللون فيذكر فييـــت نقـــلا عمـــا رآه فريســـكو بالـــدى أن النساء كن يحتذين فى أقدامهن أحذية بيضاء ذات رقبة قصيرة[1] .

ويبدو أن سراموزة استعلمت بعد عصر المماليك لتشير إلى نـــوع مـــن الصنـــادل تلبسها النساء فوق الحذاء وتسمى بابوش[2] .

وقد وصف لنا السرموزة بالنثر شرف بن أسد المصرى أحد أدباء عصر المماليك وصفا طريفا فقـــال : « وأسألك أيها المولى أن تتحفنى بسرموزة أنعـــم مـــن المـــوزة ، وأقوى من الصوان ، وأطول عمرا من الزمان ... لا يتغير وشيها ... جلدها من خـــالص جلود الماعز ... ونعلها من جلد الأفيلة الخمير ، لا القطير !! »[3] .

المـــــداس :

عرفت نساء عصر المماليك أنواعا أخرى من الأخفاف التى كانت تلبـــس خـــارج المنزل منها « المداس » ، الذى استخدمته بعض النساء من عامة الشعب كسلاح ضد من يقع فى يدها من الضحايا التى تريد الانتقام منها[4] ، مثلما حـــدث عنـــد ضربـــهن لـــرأس الشجاعى بعد قتله سنة ٦٩٣هـــ[5] .

---

(١) جاستون فييت : القاهرة ، مدينة الفن والتجارة ، ص١٤٦

(2) Dozy: Vetements, P.202.

(٣) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٩٣

(٤) ماير : المرجع السابق ، ص١٢٩

، المرجع نفسه : ص١٢٩

(٥) كان علم الدين سنجر الشجاعى وزيرا ومدبرا للملكة المصرية وأتابكا للعسكر مـــن قبـــل السـلطان الناصر محمد ، وقد زاد ظلمه وعسفه ومصادراته للناس مما جعل بعض الأمـــراء وجماعـــة مـــن الخاصكية يدبرون لقتله فضربه آقوش المنصورى بالسيف فقطع يده ورأسه وحملت المشاعلية رأســـه على رمح وكانوا يدخلون بها البيوت فتضربه النسوة بالمداسات لما فى نفوسهم منه .

انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، الجزء الثامن ، ص٤١ – ٤٦

وقد استخدمت كلمة نعل وكلمـــة مداس معًا بدون تمييز أو تفريق ونستخلص من ذلـــك أن كلمة مداس تشير إلى الكلمة الفرنسية صندل Sandale كما تشير إليه كلمة نعل[١] .

والسقمان وعنه يذكر المقريزى أنه خف ثان ويتضح أنه يلبس فـــوق الخـــف الأول من قوله « وفى أرجلهم من فوق الخف سقمان »[٢] وكان يصنع السقمان من جلد بلغـــارى أسود ويلبسه النساء والجنود والأمراء وكذلك السلاطين[٣] .

والأوطية المرصعة التى ابتدعتها نساء طبقة المماليك فى عصر السلطان النـــاصر محمد بن قلاوون فى القرن ٨هـ/١٤م[٤] . وربما هى التى أطلق عليها فى وثائق الحـــرم القدسى المملوكية لفظ « المشاية » وهى ضرب من النعال الخفيفة التى تصنع من الخمـــل أو الجلد الأسود[٥] .

القبقاب :

اقبلت المرأة فى عصر المماليك على اتخاذ القباقيب الخشبية ذات القوائم المرتفعـــة والتى كانت ترصع – فى الغالب – بالذهب والأحجار الكريمـــة أو بـــالصدف والعـــاج أو الأبنوس وقد تكون أيضًا مزينة برسوم اللاكيه[٦] .

واستخدم الرجال والنساء – على حد سواء – القبقاب فى الحمامـــات ولا يســـتعمله النساء فى المنزل إلا نـــادرا ، إلا أن بعضهن ينتعله حتى لا يسجى ذيـــل الثـــوب علـــى الأرض ، وبعضهن يتخذنه ليبدون طويلات[٧] .

---

(1) Dozy: Vetements, P.186.

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٩٨

(٣) Dozy: Vetements, P.209.

(٤) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٩٤

(٥) صالحية : المرجع السابق ، ص٢٦ ، ٢٧

(٦) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٩٤

أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق ، ص٥٣

(٧) لين : المرجع السابق ، ص٤٤

والبعض الآخر يلبسنه فى بعض الأحيان للكشف عن مفاتن أقدامهن التى كثيرا ما كانت تنقش بأشكال بديعة من الحناء[1] .

ومن الغريب أن تستخدم القباقيب فى قتل شخصيتين بارزتين من شخصيات دولة المماليك وفى حادثتين متتاليتين فقد اغتالت شجر الدر زوجها عز الدن أيبك بالقباقيب كما استخدم جوارى عز الدين أيبك القباقيب أيضا فى قتل شجر الدر عندما أرادت أن تعطى صولجان الحكم إلى الأمير عز الدين الذى رفض لعدم جرأته على اتخاذ خطوة كهذه وبعد ذلك ثار المماليك أنصار أيبك ونصبوا ابنه نور الدين على (الملك المنصور الذى لم يكن قد أتم سوى خمسة عشرة عاما ، وفى ربيع ثانى سنة ٦٤٨هـ ، ذهب المماليك المعزية إلى البرج الأحمر وقبضوا على شجر الدر وحملوها إلى أم السلطان المنصور على لكى تتولى قتلها بنفسها ، فضربها الجوارى بالقباقيب إلى أن ماتت وألقوها من سور القلعة إلى الخندق ، وبقيت فيه أياما ثم حملت فى قفة ودفنت فى تربتها قرب مشهد السيدة نفيسة[2] .

وذكر المقريزى فى أحداث سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م أن خوند بنت الناصر محمد بن قلاوون زوجة الأمير طاز توفت وتركت مالا عظيما منه قبقاب مرصع بيع بمبلغ أربعين ألف درهم أى ما يساوى ألف دينار مصرية[3] .

---

(١) أحمد عبد الرازق : المرأة ، ص١٩٥

(٢) المقريزى : السلوك ، ط٢ ، جـ١ / قسم ٢ ، ص٤٠٣ ، ٤٠٤

Devonshire (R. L. d' Egypte Musulinane Paris, 1926, P. 74, CL. Huart: Histoire des Arabes, Paris 1913, T. 11, P. 40.

، ماير : المرجع السابق ، ص١٢٤

، على إبراهيم حسن : الأيوبيين والمماليك ، ص١٧٤

(٣) السلوك جـ٢ / قسم ثالث ، ص٨١٤

ومما يجب ذكره أن القباقيب النساوية الملبسة بالذهب والمرصعة بفصوص مثمنة كانت من بين قود[1] الأمير منجك اليوسفى نائب الشام الذى قدم فى شهر ربيع الأول سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٣م فى سلطنة الملك الأشرف شعبان[2] .

ويبدو أن القباقيب ، كانت تزخرف بالألوان بالإضافة إلى كونها ملبسة بالذهب المرصع بالجواهر ، ويتضح ذلك مما ذكره شيفر عن نساء القاهرة أنهن كن يلبسن فى أرجلهن « المراكيب من التيل الموشى أو القبقاب الملون والمذهب »[3] .

ومن الجدير بالذكر أنه كانت توجد بالأسواق دكاكين خاصة ببيع القباقيب – وكان بائعها يعرف بالقباقيبى – مثلما كان الحال فى الشام فى عصر المماليك[4] .

وتلبس نساء الطبقة الوسطى فى أقدامهن حذاء يسمى بالمركوب يمكن أن يقال أن أقدامهن لا تشعرن فيه بضغط ما عليها[5] . أما نساء الطبقة الدنيا فلا ينتعلن الأحذية فى الغالب[6] . وإن كانت الفلاحات ينتعلن نعلاً واسعًا بسيطًا[7] .

الجوارب :

يذكر فييت نقلاً عن الرحالة فريسكو بالدى أن نساء القاهرة كن يلبسن فى أرجلهن جوارب طويلة[8] .

---

(١) قود الدابة مشى أمامها آخذا بقيادها ، قود جمع قائد من يقود فوجا من الجنود أو قطعة منهم أو كتيبة ، قائد الموقع وهو الذى يقود الجنود المرابطين فى مدينة أو غيرها . والقود : الخيل التى تقاد ولا تركب .
كرم البستانى : المرجع السابق ص٦٦٠

(٢) ابن اياس : المصدر السابق ، ط١ ، جـ١ ، قسم ثانى ، ص١١١

(3) Schefer, C.: Le Voyage d' Outremer, P. 56.

(٤) شمس الدين محمد بن طولون : مفاكهة الخلان ، القسم الأول ، ص٢٨٧

(٥) كلوت بك : المرجع السابق ، جـ١ ، ص٦١٤

(٦) المرجع نفسه : نفس الصفحة .

(٧) حسن خطاب : المرجع السابق ، ص٢٢

(٨) فييت : القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ص١٤٦

وفى العادة تلبس الجوارب فى الشتاء وتكون من الصوف أو القطـــن[1] والجـــورب كلمة فارسية الأصل ، وأصلها كورب أو كوربا أى (قبر الرجل) ومنه التركية والكرديـــة كورة . ويذكر ابن منظور ، وأن معناها لفافة للقـــدم . ويؤيـــددوزى ، الـــرأى الســـابق ، ويشير إلى أن الشرقيين كانوا يلفون أقدامهم بخرق صوفية كبيرة وفـــوق تلـــك اللفافـــات يلبسون خفافهم الواسعة .

وعن تاريخ الجوارب الإسلامية فقد ثبت أن الرجال والنساء – على حد سواء – قـد استخدموا الجورب ، منذ عهد الرسول ، حيث ثبت المســـح علـــى الجـــوارب ممـــا رواه المغيرة بن شعبة (من أن الرسول ﷺ ، مسح على الجوربين والنعلين) . ولقـــد ظلـــت الجوارب مستعملة طيلة العصور الإسلامية المتعاقبة ، وكان المسلمون يرتدون الجـــوارب حين يطوفون حول الكعبة[2] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامية ببعض الجوارب منها فردة جـــورب صغـــيرة مـــن القطن منسوجة باليد عليها ثلاثة أشرطة زرقاء من العهد المملوكى وطولها ٢٣٠م[3] .

---

(١) لين : المرجع السابق ، ص٣٥

(٢) أحمد الزيات : المرجع السابق ، ص١٦٢ ، ١٦٣

(٣) رقم سجل ١٥٦٠٩ (لوحة ٢٥٦) .

الفصل الثانى

الفنون والصناعات المرتبطة بجهاز العروس

فى ضوء الحياة الاقتصادية

الفنون والصناعات المرتبطة بجهاز العروس
فى ضوء الحياة الاقتصادية

تعددت الصناعات الخاصة بجهاز العروس فى عصر المماليك وما أقيم عليها من فنون ولا نكون مبالغين إذا قلنا أنها شملت معظم الصناعات والفنون المعروفة آنذاك تلك الصنائع هى صناعة الخشب وما ارتبط بها من فنون زخرفية كالأويمة والخرط والتطعيم والتلبيس والتلوين وصناعة المعادن من تشكيل المطبخ والتنانير والشماعد والمسارج والمناير والمباخر والمكاحل وما اتصل بها من حز وتفريغ وتكفيت وزخرفة بالمينا وصناعة الخزف والفخار وصناعة النسيج وفنونها من طبع وتطريز وصناعة الخياطة والتنجيد وصناعة السجاد وصناعة الزجاج والبللور والحصير والمقاطف وصناعة العطور . فقد كان إعداد الجهاز يتطلب شراء أشياء متنوعة قام بعملها العديد من الصناع أو التعامل مع هؤلاء الصناع لعمل الجهاز بمواصفات معينة . وتنقل لنا المصادر أن الصناعة – بصفة عامة – كانت مزدهرة فى عصر المماليك نتيجة كثرة الثروة فالمعروف أن الصانع أو الفنان يحاول دائما أن يرقى بإنتاجه إذا اطمأن أنه سيجنى ثمن أتعابه فى النهاية ومن ناحية أخرى فإن المستهلك إذا عظمت ثروته وفاضت عن مطالبه الأساسية فإنه يفكر فى اقتناء الكماليات ولا يضن بمال يبذله فى شراء التحف والحصول على النفائس .وكان هذا الوضع الذى أثر فى ارتقاء الصناعة والصناع فى عصر المماليك، عندما فاضت الخزائن بالثروة العظيمة، فانعكس أثر ذلك فيما خلفه ذلك العصر من مصنوعات راقية، بلغت شأوا بعيدا فى الدقة والإتقان(١) .

وبلغ من اهتمام الحكومة بالصناعات والصناع أن عهدت إلى المحتسب بالإشراف عليها ومنع الغش فيها، ونظرا لعدم تخصصه فى الصناعات، كان يجعل لكل صنعة عريفا من خيرة أهلها، خبيرا بصناعاتهم، بصيرا بغشهم وتدليسهم، مشهورا بالثقة والأمانة يكون مشرفا على أحوالهم، ويطالعه بأخبارهم، وما يجلب إلى سوقهم من السلع والبضائع، وما تستقر عليه الأسعار، وغير ذلك من الأسباب التى يلزم المحتسب معرفتها، فقد روى أن

---

(١) د. سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام، ط ٢، دار النهضة العربية ١٩٧٦ م، ص ٢٨٨، ٢٩٨ .

النبى صلى الله عليه وسلم قال : " استعينوا على كل صنعة بصالح أهلـــها " (١). وكـــانت الحياة الاقتصادية منتعشة فى أيام المماليك، والدليل على ذلك وجود كلمات تدل على ذلـك، مثل : دكاكين وحوانيت ومخازن وقياسر وخانات ووكالات وفنادق، وهذه الأخيرة كـــانت أكثرها، تتكون من عدة طوابق عبارة عن غرف مختلفة ومخازن لها فناء داخلى يحتـــوى على البضائع والدواب يسكنها غالبا التجار الأجانب، يرأسهم القناصلة وهم كبـــار الفرنـــج فكانت الفنادق توجد فى كل أنحاء المدن المصرية من الإسكندرية إلى أسوان (٢).

ومن المعروف أن التقدم الاقتصادى يقوم أساسا على تنمية موارد الثروة فى البـلاد، وتنمية هذه الموارد إنما تأتى من توجيه العناية إلى الزراعة وإلى الصناعة، وإلى التجـــارة سواء منها ما كان فى داخل البلاد أو كان بينها وبين الدول الأخرى(٣) .

ولا تعنى العناية بالزراعة ومرافقها فى عصر المماليك بأى حال تقدم أحد الفلاحيـن أو ارتفاع مستوى معيشتهم فالفلاح المصرى عاش فى ذلك العصر يفلح ويفنى عمره فـــى خدمتها وليس له من خيراتها إلا القليل . ذلك أن خيرات البلاد ومحصـــولات الأراضـــى الزراعية كانت فى الواقع نهبا موزعا بين السلاطين والأمراء ومماليكهم، فى حين لم يبـــق للفلاحين سوى الكد والعمل، ودفع ما يطلب منهم من أموال(٤) . وكـــانت الأرض تـــزرع مرة واحدة فى السنة عقب فيضان النيل، لأن البلاد لم تعرف فى ذلك العصـــر غـــير رى الحياض، كما أن الفلاح لم يعرف من وسائل الزراعة وأدواتها غـــير الوســـائل والأدوات العتيقة التى عرفت منذ أيام الفراعنة .

وعلى ذلك فإنه يبدو أن محصول الأرض الزراعية فى مصر ازداد علـــى عصـــر سلاطين المماليك نتيجة للعناية بمرافق الزراعة مـــن جســـور وتـــرع ومقـــاييس النيـــل وغيرها(٥) .

---

(١) الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، ص ١٢ .

حسن عبد الوهاب : توقيعات الصناع على آثار مصر الإسلامية، (مستخرج من مجلة المجمع العلمى المصرى) - المجلد ٣٦، (١٩٥٣ - ١٩٥٤) ص ٥٣٩ .

(٢) عبد المنعم ماجد : طومان باى آخر سلاطين المماليك فى مصر، الأنجلو المصرية، ١٩٧٨، ص ٧٧.

(٣) د . محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد، ص ٣٢٦ .

(٤) د . سعيد عاشور : العصر المماليكى، ص ٢٨٨ .

(٥) د . سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام .

هذا وقد تمتعت بعض الأراضى بنظام الرى الدائم وذلك لقربها من مجرى النيل أو فروعه مثال ذلك أرض الدلتا الواقعة بين فرعى النيل والتى كانت تروى عن طريق ألف ساقية كانت ترفع المياه لرى ريف الجزيرة طوال العام . وكانت هذه الجزيرة تمون القاهرة بحاجاتها من الخضروات والبقول(١) .

وكانت الأرض التى تزرع بطريقة رى الحياض تغل محصولا واحدا بين المزروعات التى عرفت باسم " المحاصيل الشتوية " ومن أهمها : القمح والفول والبصل .

أما أراضى الرى الدائم فكانت تنتج المحاصيل الصيفية وأهمها قصب السكر، والقطن والبطيخ، كذلك كانت الفواكه والخضروات والأزهار والرياحين تزرع فى البساتين والحدائق التى انتشرت على ضفاف النيل فى عصر سلاطين المماليك، كما كان الأرز يزرع فى بعض الأماكن التى تتوفر فيها مياه الرى بكثرة مثل إقليم الفيوم، وكانت الذرة تزرع فى مصر العليا. وفى أراضى الرى الدائم كان يمكن زراعة ثلاثة محاصيل وفقا لتتابع زمنى معين (٢).

وقد كان الكتان من أهم مزروعات مصر فى عصر المماليك . وقد حرصت الأقطار المجاورة على استيراد مقادير وفيرة منه لسد حاجة سكانها من المنسوجات الكتانية (٣).

كما كان ينبت بمصر الرياحين والأزهار على اختلاف أنواعها، كالورد وهو على عدة أصناف: الأحمر والأبيض والأزرق والأصفر – الذى كثيرا ما كان يغرس بحدائق الإسكندرية – والنرجس والبنفسج وهو نوعان : جبلى وبستانى فالجبلى دقيق الورق أزرق اللون، والبستانى عريض الورق حالك اللون وهناك نوع ثالث أبيض لا يوجد إلا بمصر ويسمى الكوفى .

ومن بين الأزهار التى انتشرت زراعتها بمصر فى ذلك العهد : اللينوفر ويكثر فى الأماكن المنخفضة التى يقف فيها الماء، وكانت الحدائق لا تخلو من الياسمين والأقحوان الذى قال فيه الجمال على بن ظافر المصرى :

---

(١) د . قاسم عبده قاسم : النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، ١٩٧٨ م، ط ١، ص ٢١ .

(٢) المرجع نفسه، نفس الصفحة .

(٣) د . محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق، ص ٢٨٢ .

انظـر فقـد أبـدا الأقـاح مباســما ضحكـت تهلـل فـي قــدود زبرجد

وقد كثرت زراعة أشجار السنط (١) فـي البهنسـاوية والأشـمونين والأسـيوطية والإخميمية والقوصية وكان لها حراس، يحولون دون المساس بها حتى يقطع منها الخشـب اللازم لصناعة الأسطول المصرى أما أطراف تلك الأشجار التى ينتفع بها فـي الوقـود، فيباع الحمل منها بأربعة دنانير للتجار، وقد جرت العادة ألا يباع مما فـي البهنسـا مـن أخشاب شجر السنط إلا ما يفضل عن حاجة السلطان (٢).

هذا وتدل جميع الشواهد على ان التجارة كان لـها المقـام الأول - رغـم أهميـة الزراعة والصناعة - فى النشاط الاقتصادى فى عصر المماليك وأنـها كـانت المصـدر الأول للثروة الهائلة التى عبرت عن نفسها فى أعمال المماليك وحياتهم وما تركـوه مـن آثار ومنشآت فخمة ويرجع السبب فى النشـاط التجارى الذى تميزت به مصر فـى ذلـك العصر إلى انسداد معظم طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب منـذ القـرن الثـالث عشر، بسبب حركة المغول التوسعية ، وبذلك لم يبق آمنـا إلا طريـق البحـر الأحمـر ومصر، مما جعل مصر تقوم فى ذلك بدور الوسيط بين الشـرق والغـرب، وقـد أدرك سلاطين المماليك ما يمكن أن تعود به عليهم التجارة من ثروة، فاهتموا بتنشيطها وتـأمين مسالكها وإنشاء المؤسسات اللازمة للتجارة كالفنـادق والخانـات والوكـالات والقياسـر والأسواق وغيرها كذلك حرصوا على التودد إلى قوى البحر الأحمر مـن ناحيـة، وإلـى التجـار الأوربيين المترددين على الإسكندرية ودميـاط من ناحيـة أخـرى(٣) . فكـانت منتجات الشرق ترد من الصين والهند واليمن عن طريق البحر الأحمر حتى مدينة عيـذاب ثم تفرغ المراكب حمولتها فى هذا الميناء ، وتحمل منـه على ظهور الإبـل إلـى مدينـة قوص - وقد كانت عاصمة مصر العليا فى ذلك الوقت - ومنها تنقل فى النيل إلى القـاهرة،

---

(١) أصل هذه الشجرة إفريقيا الاستوائية وآسيا وهى شجرة شوكية متوسطة الحجم سريعة النمو تزرع فى الأراضى الرملية وكان المصريون القدماء يسمونها " شند " أو " شنت " وبالقبطية " شونتى " ثم حرفت فى العربية سنط . ويمتاز خشبها بقوته وصلابته ولونه الداكن ومقاومته للماء وبخاصة بعد تعطينه لذا استخدم فى صناعة الأثاث وغيرها من الصناعات الخشبية . وتمتاز هذه الشجرة بأنها تزهر طـوال العام ولا تزال هذه الشجرة موضع تقدير الفلاح المصرى حتى اليوم كما كانت فى عهد أسلافه .

(٢) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق، ص ٢٨٢، ٢٨٤ .

(٣) د . سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك، ص ٣٥٠، ٣٥١ .

ومن القاهرة تواصل سيرها خلال فرع رشيد وخليج الإسكندرية (ترعة المحمودية) حتى ميناء تلك المدينة ومنه تصدر إلى أوروبا .

أما التجارة التى ترد من أوروبا فكانت تأتى عن طريق دمياط أو رشيد والإسكندرية وتسلك نفس الطريق السابق حتى قوص ثم عيذاب وفى البحر الأحمر تسير بالمراكب حتى موانئ اليمن والهند والصين . وكانت تجارة السودان وتجارة النوبة تحمل فى النيل حتى الجنادل ثم تنقل على ظهور الجمال إلى أسوان التى كانت مركزا هاما فى ذلك الوقت من مراكز التجارة (١).

وكانت القاهرة مدينة عامرة بالحياة والحركة لم تؤثر فيها الأوبئة المهلكة ولا الكوارث الطبيعية . وقد قال عنها فرسكو بالدى الذى زارها فى عام ١٣٨٤ م أن بمينائها عدد ضخم من المراكب الراسية يفوق كل ما رآها فى موانى جنوة والبندقية وانكونى معا. وقد ذكر أن عدد سكانها أكثر من سكان توسكانا . وقد قال بعض الرحالة الآخرين أن المدينة أكبر من باريس سبع مرات . وأكد بود جيبونس أن المركبة تحتاج إلى يومين تطوف بها . وكتب الراهب جاك دى فرون فى عام ١٣٢٥ م / ٧٢٥ هـ أن أهل القاهرة يتمتعون بثراء كبير نتيجة التجارة الهندية، فالمراكب تجلب كميات هائلة من التوابل والأحجار الكريمة عن طريق البحر الأحمر وعن طريق البحر المتوسط تجلب السنن من كل أنحاء العالم كل ما يمكن أن يروق للإنسان (٢).

أما التجارة الداخلية فكانت على درجة واسعة من النشاط، فاشتهرت المدن المصرية – وعلى رأسها القاهرة – بأسواقها العامرة . وكان التجار – كما كان الحال فى الشرق – يتجمعون فى أسواق حسب تخصصاتهم فوجد سوقا للسروجيين وسوقا للشماعين، وسوقا للفرايين(٣) وسوقا للنحاسين وسوقا للكفتيين وسوقا للخراطين وسوقا للصنادقيين وسوقا للنحاسين وسوقا للشرابيين وسوقا للحريريين وسوقا للصباغين وسوقا(٤) للعنبريين وسوقا للاخفافيين .

---

(١) د . محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد ٣٢٩، ٣٣٠ .

(٢) أولج فولكف : المرجع السابق، ص ٩٦ .

(٣) د . سعيد عاشور : العصر المماليكى، ص ٣٠٨ ، أولج فولكف : المرجع السابق، ص ١٠٤ .

(٤) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ٩٦، ٩٨، ١٠٠ – ١٠٥ .

ومن مزايا هذا التخصص أن التاجر لم يستطع أن يشذ عـن جيرانـه أو أن يرفـع أسعار السلعة التى يتجر فيها، لأن مناقسيه على مقربة منه، كما أن المشترى إن لم يعجبـه نوع السلعة أو ثمنها فإنه يستطيع أن ينتقل فى سهولة من متجر لآخر دون أن يتحمل أدنـى مشقة . أما عيوبه فأهمها أن الفرد إذا أراد شراء عدة أصناف متباينة من البضـائع فكـان عليه أن يقطع المدينة كلها طولا وعرضا حتى يقضى حاجاته . لأنه لن يجـد فـى السـوق الواحد إلا نوع واحد من البضائع(١).

ولا تزال آثار ذلك النظام التخصصى نشاهدها فى جهـة الغوريـة فـى سـوق " الفحامين " وسوق الخيمية وسوق العطارين وغيرها (٢).

وأكثر الأسواق المسقوفة التى يذكرها المقريزى – وقد أمكن تحقيـق مكـان تسـع عشرة من اثنتين وثلاثين – موجودة فى قطاع يشبه مثلثا متساوى الأضلاع، رأسه يصـل جنوبا إلى باب زويلة وقاعدته خط شمال يمتد بين ضريح السلطان الغـورى إلـى جـامع الأزهر . وقد اختصت هذه الأسواق ببيع جميع أنواع المنسوجات مـن صـوف وكتـان وأقمشة شعبية وحرير ثمين وشورة العروس ولا زال اسما سوق العنبر وسـوق العصفـر يدلان بوضوح على نوع سلعهما . ومن الأسواق الأخرى ما ضمـت صنـاع الأخفـاف والسهام والصناديق .

وكان هناك بجوار ضريح السلطان قلاوون خمس أسواق مسقوفة، وسـبع أخـرى بالقرب من مسجد الحاكم (٤).

وكانت أسواق القاهرة فى العصور الوسطى تحتوى على حوانيت وكان أمـام هـذه الحوانيت مصاطب، وتبعا لذلك كانت أرضية الحانوت ترتفع عن مستوى أرضية الشـارع بمقدار متر تقريبا وتمتد خارج باب الحانوت نفسه كمصطبـة لعـرض البضـائع عليـها وخاصة فى الشوارع التجارية الرئيسية والأسواق فى المدن إبان العصـر الوسـيط فـى القاهرة وغيرها .

وقد تكون المصطبة عبارة عن عدة مجاديل من الحجر أو الرخام محمولـة علـى كباش أو حرمدانات بارزة أو قد تبنى بالآجر أو بالحجر وتبلط (٣).

---

(١) د . سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٣٠٨، ٣٠٩ .

(٢) د . محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد، ص ٣٢٩ .

(٣) د . عبد اللطيف ابراهيم : من وثائق دير سانت كاترين، ثلاث وثائق فقهية – مجلـة كليـة الآداب جامعة القاهرة ، مجلد ٢٥، جـ ١ مايو ١٩٦٣ م مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٧ م ص ١٢٦ .

وقد ظلت المصاطب شائعة الاستعمال فى مصر حتى أمر محمد على بإزالتها كـــى لا تضيق على المارة . وذلك فى سنة ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٥ م (١).

وكان يوجد فى الأسواق الصيرفى الذى يبدل العملة، وفى مكـــان يقـف عريـف السوق لينقل إلى المحتسب أنباء أى خلل أو غش . والمحتسب يراقب الأسعار والنظافـــة العامة والآداب العامة، خاصة وأن بعض الأسواق مثل أســواق الحلاويـن والدجـاج – تكون ملبئة بالنساء بل غالبا ما تكون أغلبية المتعاملين منهن (٢).

هذا وقد تميز النظام الاقتصادى بضروب من المصادر والاحتكـار كـانت تؤلـف العمود الفقرى لمالية الدولة، على الرغم من شجب الشرائع الدينية لها، واحتجاج الفقـــهاء على اصطناعها مرة بعد مرة . فكانت الدولة تبتاع بالإكراه معظـم المحـاصيل والمـواد الرئيسية ثم تبيعها من جديد إلى تجار التجزئة بأسعار محددة (٣).

ووصلت القاهرة إلى ذروة مجدها فى النصف الأول من القرن الرابع عشر تحـــت الإدارة الحازمة للسلطان الناصر محمد بن قلاوون . ومع الأمن الذى نعمت بـــه البـلاد، أتى الرخاء وتواكب نجاح سياسة السلطان الخارجية مع الداخلية فنعم الفلاح بـالأمن مـن طغيان الأمراء بفضل الإجراءات الصارمة التى اتخذها الســلطان أدى ثـراء الســلاطين والكبراء إلى إغراق المتاجر بالسلع المختلفة مما عاد بـــالربح علـى التجـارة وارتفـاع حصيلة الضرائب وأضفت الاحتفالات العديدة بالأعياد قدرا من البهجـــة علـى حيـاة البسطاء (٤).

وقد تعرضت الحالة الاقتصادية فى مصر فى ذلك العصر إلى بعض الهزات وذلـك بسبب المجاعات المخيفة التى اكتسحت مصر فى فترات متفرقة والتى كان من أسـبابها أن بعض الولاة كانوا يصلون إلى مناصبهم عن طريق الرشوة، وكانوا يفرضون على أهـــل الريف الضرائب ليعوضوا ما دفعوه، وهذه المغارم والأموال الأميريـــة، والاضطرابـات الداخلية فى البلاد جعلت الفلاحين يهجرون أراضيهم فتدهورت الزراعة تبعا لذلك وقلـت

---

(١) السيد الباز العرينى ناشر كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة للشيرزى.القـــاهرة ١٩٤٦ م، ص١١، حاشية٢

(٢) كارل بروكلمان : المرجع السابق، ص ٣٧٢، ٣٧٣ .

(٣) أولج فولكف : المرجع السابق، ص ١١٨ .

(٤) حسن عبد الرحمن خطاب : الزراعة والمجتمع الريفى فى مصر الإسلامية ص ٢١ .

الغلات، وبدأ شبح المجاعة فى الظهور(١) . ومن أسباب المجاعات أيضا انخفاض نـــهر النيل وأول هذه المجاعات حدثت فى عصر السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى فى عـــام ٦٦٢ هـ / ١٢٦٤ م والثانية بين عامى ٦٩٤ – ٦٩٥ هـــ / ١٢٩٤ – ١٢٩٥ م أثنـاء حكم السلطان العادل كتبغا وفى سنة ٧٠٩ هـ/ ١٣١٠ م فى عصر السلطان ركن الديـن بيبرس الجاشنكير حدثت مجاعة عقب توقف النيل عن الزيادة فى موسم الفيضـان، وفـى عام ٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م حدثت مجاعة أخرى، ثم جاء الوباء الرهيب الذى عـم أنحـاء المعمورة ما بين عامى ٧٤٩ – ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٨ – ١٣٤٩ م ابتداء بالشـرق الأقصـى وانتهاء بعصر أوروبا، وقد عرفه المؤرخون العرب باسم " القناء الكبـير " بينمـا أطلـق عليه مؤرخو أوروبا اسم " الموت الأسود " وصحب هذا الوباء الرهيب مجاعـة اسـتمر أثرها قائما حتى عام ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م .

وقد عاصر المقريزى المجاعة التى ألمت بالبلاد – بصورة متقطعـة – مـا بيـن عامى ٧٩٦ هـ و ٨٠٨ هـ / ١٣٩٤ و ١٤٠٦ م .

وفى أوقات المجاعات ترتفع الأسعار وبالتالى ترتفع أجور العمال وأرباب المـهن والصنائع .

ولم يكن سبب المجاعات هو هبوط النيل أو زيادته زيادة مفرطة فحسب بـل كـان اضطراب الأمن فى البلاد بسبب الحروب بين الطوائف المماليك من جهة، ونساء العربـان من جهة أخرى من الأسباب الرئيسية لارتفاع الأسعار، فقد أحل بمصر شدة عظيمة فـى سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م رغم وجود الغلال وزيادة الماء وكثرة الزرع وذلك بسـبب كـثرة الفتن بضواحى مصر من العربان وخروج العسكر مرة بعد مرة وفى كـل مـرة يحـدث الفساد فى الزرع ويقلل الأمن فى الطرقات .

وقد تسببت المجاعات فى كثير من الأحيان إلى انتشار الأوبئة والطواعين أو تكـون المجاعات نتيجة لهما فى أحيان أخرى، وربما يواكب كل منهما الأخر (٢).

وكانت أزمة النقد والعملة من أبرز مظاهر التدهور الاقتصادى فى العهد المملوكـى الثانى، وكانت معاناة الشعب بصفة عامة والتجار بصفة خاصة ناتجة عن تدهـور قيمـة

---

(١)المرجع نفسه ، نفس الصفحة ..

(٢) د . قاسم عبده قاسم : النيل والمجتمع المصرى فى عصر المماليك، ص ٥٣ – ٦٣ .

العملة وسك العملة النحاسية بدلا من العملة الفضية، بل وسك العملات المغشوشة وكـــان ذلك يؤدى إلى رفض الرعية استخدام تلك العملات فضلا عما كان يصيب الســـوق مـــن حالة توقف وارتفاع فى الأسعار يهوى بحجم التجارة إلى مستويات شديدة التدنى(١) .

وتولى الغورى حكم مصر فى فترة من أحرج فترات تاريخها إذ كـــانت تتـــهددها أخطار خارجية وأخطار داخلية على جانب كبير من الأهمية ففى الداخل تعرضت الدولـــة لضائقة اقتصادية بالغة الخطورة نتيجة تحول التجارة بين الشرق والغـــرب إلـــى طريـــق رأس الرجاء الصالح وفقدان مصر بالتالى للأرباح الطائلة التـــى كـــانت تحصـــل عليـــها كوسيط تجارى بين الهند وأوروبا . ولقد استفحلت الضائقـــة الاقتصاديـــة حتـــى عجـــز الغورى عن سد نفقات الجند من المماليك مما أدى إلى تذمرهم وتهديدهم بالفتنة .

أما فى الخارج فكانت مصر مهددة أثناء حكم الغورى بعدة أخطار أولها مـــن قبـــل الأوروبيين الذين كانوا يهددون السفن المصرية فى البحـــر الأبيـــض المتوســـط والبحـــر الأحمر والمحيط الهندى وثانيها من قبل الصفويين الشيعية فى إيـــران والعـــراق وكـــانوا يطمعون فى أملاك مصر فى آسيا ثالثها من قبل العثمانيين فى آسيا الصغـــرى، وكـــانوا يريدون أن يحلوا محل مصر فى زعامة العالم الإسلامى بل ويطمعون فى الاستيلاء علـــى مصر نفسها (٢).

وعندما استولى سليم الأول على مصر سعى إلى القضاء علـــى مقومـــات مصـــر الحضارية ففرغها من كل نابه وحاذق ونقلهم إلى اسطنبول، وهم من جميع نواحى مصـــر من المسلمين والقبط واليهود على السواء ومنهم أصحاب الحرف والصناعات كالمهندســـين والبنائين والنجارين والحدادين والسباكين وصناع النسيج والتجار والفعلة .

وما من شك فى أن هؤلاء المنفيين إلى اسطنبول وغيرها، هم الذين بنوا للعثمـــانيين أجمل عمائرهم الإسلامية وأروعها، كما قاموا بنشر الحرف والصناعات التى كانوا علـــى دراية بها وتفوق، فى حين بطل من مصر حوالى خمسين صنعة (٣).

---

(١) د . عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص ١٩٥ .

(٢) د . حسن الباشا : قانصوه الغورى، بحث بكتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، مؤسسة الأهـــرام ١٩٧٧ م، ص ١٤٣ .

(٣) عبد المنعم ماجد : طومان باي، ص ١٩١ - ١٩٦ .

الصناعات المرتبطة بجهاز العروس

« صناعة النجارة »

تعتبر صناعة النجارة[1] من أهم الصناعات المرتبطة بجهاز العروس ، فمن المعروف أن إعداد الأثاث الخشبى المنزلى من أسرة ودواليب وصناديق ودكك وأرائك وكراسى كبيرة وصغيرة ، هو العمود الفقرى للجهاز ، وهو ما تركز عليه الأنظار وأول ما يفكر فى إعداده والد العروس ، هذا بالإضافة إلى الموائد والخوانات ، وكراسى الصوانى وأوانى المطبخ من سلاطين وأطباق وأهوان وملاعق وغير ذلك من قباقيب أمشاط ومكاحل . وقد عدد ابن خلدون فوائد هذه الصناعة قائلا أنها : « من ضروريات العمران ومادتها الخشب وذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل للآدمى فى كل مكون من المكونات منافع تكمل بها ضرورياته أو حاجاتها وكان منها الشجر فإن له فيه من المنافع ما لا ينحصر مما هو معروف لكل أحد ومن منافعها اتخاذها خشبا إذ يبست وأول منافعه أن يكون وقودا للنيران فى معاشهم وعصيا للاتكاء والذود وغيرهما من ضرورياتهم ودعائهم لما يخشى ميله من أثقالهم ثم بعد ذلك منافع أخرى لأهل البدو والحضر فأما أهل البدو فيتخذون منها العمد والأوتاد لخيامهم والحدوج لظعائنهم والرماح والقسى والسهام لسلاحهم ، وأما أهل الحضر فالسقف لبيوتهم والإغلاق لأبوابهم والكراسى لجلوسهم »[2].

وتقوم هذه الصناعة على الخشب الذى نمت بعض أشجاره فى مصر مثل السنط والجميز والنبق والسرو والأثل والهجليج واللبخ والتوت ونخيل الدوم والبلح والسدر ، ونظرا لندرة الأخشاب المتينة الصالحة لصناعة الأثاث فى مصر فقد استوردت هذه الأخشاب من خارج البلاد كخشب الأرز من تركيا وسوريا ولبنان ، وأخشاب التاك والساج من الهند والأبنوس من السودان ، والصنوبر من بلاد الروم .

---

(١) سبق لى التحدث باسهاب عن تاريخ صناعة النجارة والأدوات والمواد الخام وطرق الزخرفة الصناعية فى رسالتى للماجستير .

انظر : فايزة محمود عبد الخالق الوكيل : المرجع السابق ص٥١ – ٦٥

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، جـ٣ ، ص٩٣٧

ومما يبدو أن صناعة الأثاثات الخشبية والنجارين قد تأثروا بندرة الخشـــب ، ففـــى الفترة التى كان فيها الخشب نادراً والتى صنعت فيها الأثاثات الخشبية قليلة فإننا نجـــد أن وظيفة النجارين من الوظائف المحدودة المجال ، وقد ورد بالوثـــائق أن طبقـــة النجـــارين كانت تشمل خمسة أنواع مختلفة أولها النجار الذى كان يقوم بعمل المشغولات الخشبية فـــى البيوت والثانى نشار الخشب الذى كان يذهب إلى البيوت قبـــل وصـــول النجـــار لأخـــذ المقاسات المطلوبة ثم بعد ذلك الصناع الذين يستعملون الأزاميل والمدق وكل من هـــؤلاء الصناع كانت لهم ورش أو حوانيت فى مصر فى العصور السالفة[1] .

هذا وتحتاج صناعة النجارة إلى أصل كبير من الهندسة فـــى جميـــع أصنافـــها لأن إخراج الصورة من القوة إلى الفعل على وجه الأحكام محتاج إلى معرفـــة التناســـب فـــى المقادير أما عمومًا أو خصوصًا وتناسب المقادير لا بد فيه من الرجوع إلى المـــهندس[2] . وذلك مثل زخرفة الأطباق النجمية المعقدة - وما يتبعها من أشكال هندســـية تمـــلأ فـــراغ القطعة المزخرفة - التى انتشر استخدامها فى عصر المماليك كـــان لا بد للصـــانع مـــن استخدام المساطر - والفرجار فى عمل الرسم المراد تنفيذه ثم نقله على الخشب .

ويستخدم النجار مجموعة من العدد والأدوات منها بنك النجـــار وهـــو مـــن العـــدة الرئيسية فبواسطته يؤدى الصانع جميع أشغاله من قشط ونقر وشق وبعض عمليات أخـــرى بكل سهولة[3] .

---

(1) Goitien: Studies in Islamic History and Institutions Leiden 1958, P. 257.

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٩٣٨

(٣) محمد عبد الحليم حسن : الخشب والنجارة والنحار ، مطبعـــة الســـماح بالقـــاهرة ١٩٢٨م ، الطبعة الأولى ، ص٢٦

طرق الزخرفة الصناعية على الخشب

ارتبط بصناعة الخشب العديد من طرق الزخرفة الصناعية التى بلغت فـــى عصـــر المماليك أعلى درجات التقدم والرقى، وإذا كنا نفتقد لوجود أثاث للمنزل يرجع إلى مصـــر فى عصر المماليك فى المتاحف اللهم إلا القليل مثل الكراسى المنشورية التـــى كـــان مـــن ضمن استخدامها حمل صينية الطعام وقت الأكل فإنه يشهد على ذلك التقدم ما وصلنا مـــن أمشاط وقباقيب ومكاحل وأوانى وأدوات للمطبخ هذا إلى جانب ما وصلنا من ذلك العصـــر من أثاث للمصحف الشريف يشمل دكك القراء والمصـــــاحف والكراســـى (الرحـــلات) والخزانات وصناديق المصاحف والربعات الشريفة، ومن المنابر والمشربيات .

نضف إلى ذلك ما يوجد بالمتاحف من أثاث للمـــنزل وغـــيره مـــن المصنوعـــات الخشبية التى ترجع إلى مصر فى عصر العثمانيين، فكلنا نعلم أن الطرق الزخرفيـــة فـــى عصر ما لا تنتهى بانتهائه بل تستمر تستخدم فى العصر الجديد .

ونظرا إلى تعدد طرق صناعة النجارة تفرعت هـــذه الصناعـــة إلـــى عـــدد مـــن التخصصات فعرف المطعم والمرصع أو الرصاع وصانع الزرنشان والصدفجى والخـــراط والأيمجى والنقاش والحفار والدهان . ووصلنا من أسماء النجارين المسلمين عـــن طريـــق المصادر الأدبية والكتابات ولا سيما بوصفها توقيعا على إنتاجهم [1].

طريقة الزخرفة الصناعية:

الأويمة :Oyma

كلمة تركية تطلق على الحفر عندما يكون بارزا Relief ولا تـــزال تســـتعمل بيـــن النجارين بمصر حتى الآن .

وهى تنشأ من أشكال متنوعة بالحفر والتفريغ على الأخشاب والأحجـــار والرخـــام والمعادن فى صناعة الأويمة العربية والأشغال البلدية .

---

(١) د . حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص ٤٤١ .

وقد لازمت صناعة الأويمة أو الحفر فى الخشب الفنون الإسلامية منذ القـرن الأول الهجرى، وأخذت فى الرقى إلى أن ازدهرت فى العصر الفاطمى . وظلت محافظة علـى تقدمها إلى نهاية دولة المماليك البحرية، ثم هبط مستواها إلى حد ما فـى دولـة المـماليك الجراكسة حينما انتشرت بجانبها صناعة الزرنشان .

ومن المعروف أن صنـاع الأويمة أنتجوا فى مصر إنتاجا رائعا سواء كـان فـى المنابر أو التوابيت أو الأبواب والكراسى وغيرها ولم يوقعوا على منتجاتهم، اللـهم إلا إذا اعتبرنا أن النجار قام بعملية الحفر أيضا [1].

ويستخدم الأويمجى الضفر بمقاسات مختلفة، والأزاميل والمطارق وأصغر مقاسـات فى الضفر تسمى دسلو، وضفرة بريمو أكبر من الديسلو وتعطى شكل٧ .

ويستخدم أيضا مسمار ترميل وهو يعطى الأرضية شكل حبات الرمل[2] وقد كـان لحفر الأويمة النصيب الأوفر فى زخارف المنقولات الخشبية المملوكية من أثاث وأمشـاط وغيرها[3] .

٢ – التطعيم :

توصل الفنان فى العصر المملوكى إلى أسلوب زخرفى جديد فى زخرفة الأسـطح الخشبية، وذلك بتطعيم هذه الأخشاب بأشرطة رقيقة من نوع آخر من أخشاب أغلى ثمنـا وأندر وجودا وذى لون مخالف . كما طعمت القطع الخشبية بطبقة دقيقة مـن الفسيفسـاء تتألف عادة من قطع صغيرة من العظم أو العاج أو الأبنوس أو الأصداف [4]. وهـو مـا يسمونه الترصيع Marqueterie . والفرق بينه وبين التلبيس أو التطبيـق أو التطعيـم أو

---

(١) حسن عبد الوهاب : توقعات الصناع، ص ٥٥١ .

(٢)توصلت إلى هذه المعلومات من زياراتى المتعددة إلى ورش النجارة العربية.

(٣) انظـر لوحـات أرقـام : ١٥٧ – ١٥٨، ١٢٥، ١٢٦، ١٤٥ – ١٥١، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٠ .

(٤) نعمت إسماعيل علام : فنون الشرق الأوسط فى العصور الإسلامية، ص ١٩٣ .

التكفيت Incrustation أن السطح المطعم تحفر فيه الرسوم ثم تملأ الشقوق التـــى تؤلـــف هذه الرسوم بقطع من مادة أغلى قيمة .

أما فى الترصيع فإن طبقة الزخرفة الجديدة تلصق على السطح كله [1].

وقد حفلت الأثاثات الخشبية المملوكيـــة بزخارفـــها المطعمـــة وكذلـــك الكراســـى المنشورية المستخدمة كحوامل للصوانى، كما كانت كراسى الحمـــام (١٤٧) وصنـــاديق العروس (٢٤، ٢٥) والشكمجيات (٢١٨، ٢١٩) والقباقيب (٢٤٨) والمكـــاحل (١٧١) تزخرف بالتطعيم.

٣ – الخرط :

لقد أبدع الصناع المسلمون طريقة أخرى فى صناعة الخشب، وهى طريقة الخـــرط التى استخدموها بصفة خاصة فى عمل المشربيات أو الشبكيات وكـــانت بعـــض فتحـــات المشربيات تملأ أحيانا بقطع من الخشب بحيث تؤلف صورا أو كتابات، وبلغ هذا الأسـلوب مستوى من الإتقان والذوق الفنى فى عصر المماليك والعثمانيين [2].

وأقدم قطعة عثر عليها من الخشب الخـــرط ترجـــع إلـــى مصـــر فـــى العصـــر الإسلامى تعود إلى الفترة الأيوبيـــة ، وقـــد تطـــورت هـــذه الصناعـــة ووصلـــت إلـــى أجمل نماذجها فى القـــرن ٩ هـــ/١٥ م .

وتعد صناعة الخشب الخرط من الصناعـــات القديمـــة ونلاحـــظ أن الرغبـــة فـــى الحصول على تأثيرها الجمالى بدأت فى بعض قطع الأثـــاث فـــى عصـــر تـــوت عنـــخ آمـــون [3].

---

(١) د . زكى محمد حسن : فنون الإسلام، ص ٤٧٤ .

(٢) د . حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص ٤٤٠، ٤٤١ .

(٣) د . أبو صالح الألفى : الفن الإسلامى، ص ٢٨٣ .

ويرجع قيام هذه الصناعة فى مصر إلى الأقباط الذين كانوا يجيدونها وتعتمد هذه الصناعة على خراطة تكعيبات أو كرات خشبية ذات زوايا وفواصل يرتبط بعضها ببعض[1].

ويبدو أن هذه الصناعة كانت وراثية يتوارثها الفرد أبا عن جد[2] ويذكر فييت وهو يصف مدينة القاهرة أنه كان بها سوق للنجارين حيث تباع المحفورات الخشبية ومن أشهرها، بطبيعة الحال، المشربيات التى لم يكن بمقدور صانعوها الذين استخدموا أصابع أقدامهم فى العمل أن يصلوا بصنعتهم إلى تلك الدرجة من المهارة والدقة والسرعة لو أنهم استخدموا أيديهم[3]. وهذا السوق هو سوق الخراطين الذى ذكر عنه المقريزى الآتى : " هذا السوق يسلك فيه من سوق المهامزيين[4] إلى الجامع الأزهر وغيره وكان قديما يعرف بعقبة الصباغين ثم عرف بسوق القشاشين وكان فيما بين دار الضرب والوكالة الأميرية

---

(١) نعمت إسماعيل علام : المرجع السابق، ص ١٩٣، ١٩٤ .

(٢) فمثلا يذكر ابن حجر العسقلانى فى كتابه أبناء العمر جـ ٢ ص ٢٨٤ . وحاشية (٥) تحت أحداث سنة ٨٠٦ هـ أن محمد بن سلمان بن عبد الله شمس الدين بن الحرانى الفقيه الشافعى الحموى نزل حلب وكان أصله من الشرق وأقدمه أبوه طفلا وسكن حماة وعلمه صناعة الخرط ولذلك يعرف أحيانا بابن الخراط .

(٣) جاستون فييت : القاهرة مدينة الفن والتجارة، ترجمة مصطفى العبادى، بيروت ١٩٦٨م، ص ١٦١ .

(٤) كانت حوانيته تبيع المهاميز التى تستخدم فى ركوب الخيل .

د . قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى، دار المعارف ١٩٨٣، ط ٣، ص٣١.

وعن هذا السوق يذكر المقريزى : " وهذا السوق معد لبيع المهاميز وأدركت الناس وهم يأخذون المهماز كله قالبه وسقطه من الذهب الخالص ومن الفضة الخالصة ولا يترك ذلك إلا من يتورع ويتدين فيتخذ القالب من الحديد ويطليه بالذهب أو الفضة ويتخذ السقط من الفضة وقد اضطر الناس إلى ترك هذا فقل من بقى سقط مهمازه فضة ولا يكاد يوجد اليوم مهماز من ذهب " .

انظر : المقريزى : الخطط جـ ٢، ص ٩٧، ٩٨ .

وبين المارستان ثم عرف الآن بسوق الخراطين وكان ســـوقا كبـــيرا معمـــور الجـــانبين بالحوانيت المعدة لبيع المهد الذى يربى فيه الأطفال وحوانيت الخراطين وحوانيت صنـــاع السكاكين وصناع الدوى يشتمل على نحو الخمسين حانوتا " [1].

والخرط نوعان :

١ – الخراطة البلدية الواسعة وتضم خرط البرامق وخرط أرجل الأثاث عموما من أســـرة وكراسى ودكك (لوحات ٧، ١٥، ٢٧)، كما نجد خرط البرامق فى الحشوات السفلى مـــن الكرسى المسدس (لوحة ١٢٥) .

٢ – الخراطة الدقيقة المعروفة بخرط المشربية [2].

---

(١)المصدر نفسه جـــ ٢، ص ١٠٣ ..

(٢) ربما تكون تحريف مشربة بمعنى غرفة عالية ومن ذلك قولهم أشرأب أى مد عنقه ليتمكـــن من النظر أو هى تحريف مشربة أى المكان الذى يشرب منه .

والمشربية (وتعرف بالتركية باسم المشبك هى فى الأصل المشرفية وتعنى الطاقة الخارجية فـــى المنزل القديم المشرفة على الطريق وتعرف بالروش، وهى تساعد علـــى إيجـــاد النـــور اللطيـــف الهادئ وتلطيف الهواء بداخل المنزل والذى يساعد على تبريد القلل التـــى كـــانت توضـــع علـــى قاعدتها.

نضف إلى ذلك أن المشربية كانت تحقق أحد أهداف المجتمع الإسلامى فى العصور الوســطى والتى تقضى بشدة بفرض الحجاب على النساء فهى تمكن النساء من رؤية المناظر التى تمـــر عليهن لتسليتهن دون التعرض لأنظار من بالخارج وذلك من خلال ثناياها الجميلة المصنوعـــة من الخشب المخروط الدقيق الصنع .

انظر : Herz, M.: A descriptive Cataloque of the objects Exhibited in the National Museum of Arabe Art, Second Edition, Cairo 1907, p. 69.

حسن الهوارى : رسالة فى وصف محتويات دار الآثار العربية ص ٣٧ .

زكى محمد حسن : فنون الإسلام، ص ٤٧٠ .

محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى . الهيئـــة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م ص ١٦٦ .

ومن الواضح أن أسماء خرط المشربية باختلاف أشكالها وفصوصها وأنواعها مثـل العرناس والوريدة والمتلوث ومسدس الدقماق والصليب الفاضى والمليان والميمونى العـدل والمائل والعريجة [1].

واستعملت خراطة المشربية فى عمل شبابيك المنازل والقصور المملوكية وطاقاتـها المشرفة على الفناء الداخلى أو المطلة على الطريق، كما استخدمت كإضافة زخرفية فـى تحلية أسوار الدكلة والكراسى، وفى بعض حشوات كراسى العشاء (لوحة ١٢٥) .

٤ – التجميع :

لقد ظهر تطور كبير فى الزخارف المحفورة على الخشب فى مصر فـى عصـر المماليك، حيث أغفل الفنان المصرى نهائيا استخدام الوحدات والعناصر الحية التى اشـتهر بها العصر الفاطمى، وأقبل على الأشكال الهندسية النجمية التى برع فى تكوين زخـارف منها [2].

وتعرف هذه الطريقة فى الزخرفة باسم التجميع أو التعشيق، وهى طريقة غاية فـى الدقة والجمال لتجميع الحشوات الخشبية الصغيرة، وقد رغب النجارون بهذه الطريقة فـى متانة الصنع وتنوع الرسوم، فاستطاعوا بتعشيق هـذه الحشـوات تـأليف أشـكال كـان المسلمون مولعين بها كل الولع ولعل هذه الرسوم المكونة من الحشوات الكثيرة الأضـلاع المعشقة حول أشكال نجمية هى أكثر ما ظهر عليه الطابع الإسلامى أو أكـثر مـا قدمـه الإسلام لفن الزخرفة [3].

يطلق على هذه الأشكال النجمية الأطباق النجمية . أما رسـوم الحشـوات فكـانت تمتاز بأنواع المراوح النخيلية والفروع النباتية والوريقات وما إلى ذلـك ممـا تبـدو فيـه الثروة الزخرفية جلية واضحة . وطبيعى أن استعمال هـذه الحشـوات المتكـررة جعـل

---

(١) رجب عزت : تاريخ الأثاث من أقدم العصور، الهيئة المصرية العامة للكتـاب، ١٩٧٨، ص ١٤٦، ١٤٧ .

(٢) نعمت علام : المرجع السابق، ص ١٩٣ .

(٣) كرستى وارنولد وبريجز : تراث الإسلام، جـ ٢، ص ٧٩، ٨٠ .

زخارف الخشب المملوكى خالية من أى موضوع زخرفى رئيسى يظـــهر بوضـــوح بيـــن تفاصيل زخرفية ثانوية تحف به[1].

ومن المعتقد أن طريقة التعشيق بالحشوات الخشبية ابتكار إسلامى دفع إليه من جهة ندرة الأخشاب فى بعض الأقطار مما يضطر الصانع إلى الإفادة من القطع الصغيرة، كمـــا أن التفاوت الكبير فى الجو بين الحرارة والبرودة يؤدى إلى تمدد الألواح الخشـــبية أحيانـــا وانكماشها أحيانا أخرى مما يترتب عليه تقوسها وتشوهها وقد أمكن تفادى ذلك باســـتعمال حشوات خشبية صغيرة، وترك فراغ يسمح بالتمدد [2].

واستخدمت طريقة التجميع فى زخرفة الدكك وصناديق العرائـــس وفـــى واجـــهات الدواليب الحائطية .

٥ – التلوين والتذهيب :

التلوين من الأساليب الزخرفية التى تنفذ على الخشب . وقد مارسه الفنـــان المســـلم منذ بداية الإسلام ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بلوحين من الخشب مزخرفيـــن بـــالألوان يرجع تاريخهما إلى القرن الأول الهجرى [3].وقد شاع هذا الأسلوب فى زخرفـــة أخشـــاب عصر المماليك ووصل فيه الصانع إلى درجة كبيرة من الدقة والإتقان حتى أطلق عليـــه " الدهان الحريرى " . وورد هذا المصطلح الفنى فى كثير من وثائق ذلك العصـــر . وهـــو يعنى أن الدهان كان أملسا كالحرير ويرجع ذلك إلى استعمال الزيت فى دهـــان الخشـــب المصقول وبعد أن يمتصه يرسم عليه ثم تغطى الزخارف النباتية والهندسية الملونة بطبقـــة رقيقة جدا من الشمع تكسبها مناعة ضد التأثيرات الجوية وتحافظ على الخشـــب والألـــوان المختلفة والتذهيب[4].

---

(١) د . زكى محمد حسن : فنون الإسلام، ص ٤٦٧ .

(٢) د . حسن الباشا : مدخل، ص ٤٤٠ .

(٣) فريد شافعى : الأخشاب المزخرفة فى الطراز الأموى، مجلة كلية الآداب جامعـــة القـــاهرة، مجلد ١٤، الجزء ٢، ديسمبر ١٩٥٢ م، ص ١٠٩، ص ١١٠ .

(٤) عبد اللطيف إبراهيم : وثيقة قراقجا الحسنى، ص ٢٣٢، ٢٣٣ .

وقد تبقى من العصر المملوكى نماذج عديدة من التحف[1] التـــى مـــن الممكـــن أن تندرج تحت جهاز العروس والمصنوعة من الخشب المزخرف بالألوان منـــها مجموعـــة ملاعق بكل من متحف الفن الإسلامى بالقاهرة (لوحة ٧٤، ٧٥) ومتحف كلية الآثـار (لوحة ٧٣)، سلطانية وغطائها (لوحة ٥٩، ٦٠) وأهوان وعلب من الخشب (لوحـات ٧٦، ١١٠، ١١٢) ويبدو أن أثاثات المنزل والمصحف كانت تزخرف بالألوان ويحتفـــظ متحف الفن الإسلامى بصندوق للمصحف من الخشب المذهب والمزخرف بالألوان يحمـــل كتابة نسخية باسم السلطان الغورى [2].

هذا وقد ظهرت فى العصور الإسلامية المتأخرة مثل العصر العثمـــانى والعصـــر الصفوى، طريقة جديدة لصنع الأخشاب لم تكن معروفة من قبل هـــى اســـتعمال اللـــك أو اللاكيه فى الصباغة وهو مادة صمغية شفافة تستخرج من عصير شجر السماق [3].

---

(١) فريد شافعى : الأخشاب المزخرفة فى الطراز الأموى، مجلة كلية الآداب جامعـــة القـــاهرة، مجلد ١٤، الجزء ٢، ديسمبر ١٩٥٢ م، ص ١٠٩، ١١٠ .

(٢) رقم سجل ٤٣٦ .

(٣) محمد عبـــد العـــزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمـــانى، ص ١٦٥ حاشية ٢.

طرق صناعة بعض قطع جهاز العروس

صناعة صندوق العروسة والشكمجية

ولصناعة صندوق العروسة (صندوق حفظ الثياب) ، يحضر النجار ٤ ألواح كل لوحين متقابلين فى الصندوق يكونان متساويين وتثبت هذه الألوان معًا بواسطة تعاشيق النصف[١] على نصف والتعشيقة الغنفارى[٢] .

---

(١) تعرف بالتعشيقة المنطوية ، ولهذه التعشيقة أنواع عديدة ولكن أكثر الأنواع استعمالاً فى الأثاث وفى النجارة عمومًا هى تعشيقة الانطواء المتقاطع .

خطوات عمل هذه التعشيقة :

- تجهز القطع التى سوف تعشق وتصفى إلى المقاسات المطلوبة .
- توضع القطعتان فى موضعهما الصحيح وتحدد مواضع التعشيق بعلامات التشغيل .
- ترسم خطوط متعامدة بعرض وجهى القطعتين اللتين ستزدوج واحدة مع الأخرى بسكين وزاوية فحص قائمة .
- يمد خط علامة السكين على جوانب كل من القطعتين بواسطة قلم رصاص مدبب وزاوية فحص قائمة .
- يحدد العمق الذى يفرغ ، ويجب أن يكون العمق مساويًا لنصف سمك القطعة ، ذلك لأنه يجب أن تكون الأوجه فى مستوى واحد عند التجميع النهائى .
- تنشر عند داخل خط علامة السكين بالضبط على كل من القطعتين إلى العمق المطلوب بواسطة سراق ظهر .
- تقطع عدة قطعيات أخرى إضافية داخل خطوط العلامات إلى العمق نفسه تقريبًا وذلك لتيسير عمل الأزميل .
- ينزل الخشب المستهلك بالأزميل ثم تركب القطعتين معًا .

انظر : كريس هـ . جرونمان : النجارة العامة ، ترجمة عباس عبد القادر ، مراجعة حسن حسين فهمى ، مكتبة النهضة المصرية . ط٣ ، ١٩٧٩م ، ص٧٣

(٢) والتعشيقة الغنفارى هى أقوى تعاشيق الأركان .

انظر : و. ب. ماتيو : أشغال النجارة المنزلية ، ترجمة عبد الغنى النبوى الشال ، مراجعة د. محمد خليفة بركات ، مكتبة نهضة مصر ومكتبتها ، ١٩٥٧ ، ص٤٤

ويجهز الغطاء ويكون مساويًا تزيد عليه سدايب بأحرف الغطاء - يثبت الغطاء مـــع الجانب الخلفى للصندوق بواسطة مفصلات (ورقيات) .

ويقسم داخل الصندوق إلى جزء متسع لحفظ الثياب وأدراج صغيرة لحفـــظ الأبـــر والخيط وكل ما يلزم العروس - وخاصة الريفية الذى يعتبر الصندوق أهم ما فى جـــهازها - وذلك بواسطة قطع خشبية .

ويصنع صندوق حفظ الحلى (الشكمجية) على هيئة علبة مستطيلة أو مربعة يفتـــح فى واجهتها فتحات متعددة تؤدى إلى أدراج صغيرة يحكم قفلها نظرًا لما تحويه من ذهـــب ومجوهرات ثمينة القدر وربما كان تعدد هذه الأدراج مرجعه إلى كثرة ما يوضع بها مـــن حلى وللتخصص فمثلاً كان أحدهم للأساور والثانى للخواتم والثـــالث للأقـــراط والرابـــع للدلايات والخامس للأطواق والسادس للخلاخيل وهكذا .

ويثبت فى مقدمة كل درج حلقة صغيرة ليســـهل على السيدة فتحـــه بجذبـــه إلـــى الخارج .

وتثبت أجزاء الشكمجية بواسطة التعاشيق أيضًا .

ومن الجدير بالذكر أن الصناديق وما شاكلها كانت تبـــاع بقيســـارية ابـــن ميســـر الصغرى بسوق القشاشين[1] .

* * *

(١) ابن دقماق : الانتصار ، ط١ ، جـ٤ ، ص٣٨ ، ٣٩

صناعة الملاعق :

كان صناع الخشب – فى العصور الوسطى – يقومون بصناعة الملاعق والمغارف من الخشب المطلى بطبقة من البريق وكانت اليد تزخرف بالورد أو برسومات مفرغـــة ، كما كانت اليد تحمل – أحيانًا – اسم صانعها محفورًا أو مكتوبًا بالألوان[1] .

طريقة صناعة الملعقة[2] :

يحضر النجار قطعة مستوية مسطحة من الخشب طولها يتراوح ما بيـــن ١٠ – ٢٠ سم وسمكها حوالى ٥ سم . ثم يرسم عليها شكل الملعقة المراد تنفيذها (أ) .

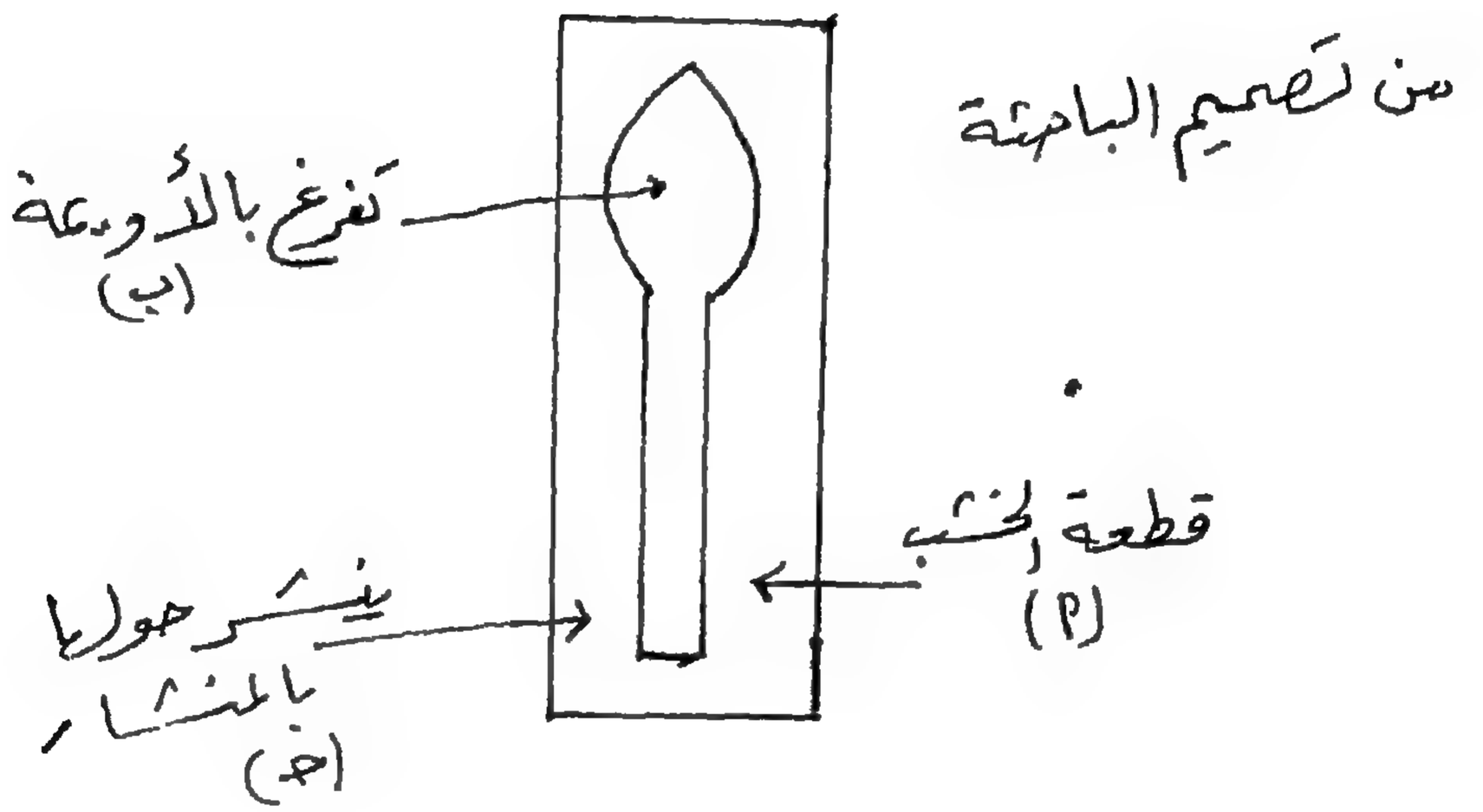

(1) Mazaheri: Op. Cit., P. 219.

(٢)تصميم صناعة الملعقة من عمل الباحثة وينشر لأول مرة .

صناعة السلاطين والصحون الخشبية :

تصنع السلطانية أو الصحن الخشبى من عـدة قطـع تلصق بالغراء ثـم توضـع على المخرطة وتخرم من منتصفها ويحـدد شكل القـاعدة أو الظهر المستدير أو المقعـر أو غيرها .

صناعة الهاون الخشبى[1] (المعروف بالجرن) :

يشكل الهاون الخشبى من قطعة مستديرة قطرها حوالـى ١٥ سم وارتفاعها ٢٠سـم – يعهد بها إلى الخراط لتحديد قاعدة الهاون يجعل حز دائرى على ارتفاع ٥ سم تقريبًـا – ثم يعهد بها إلى الأويمجى لتفريغ داخل الجزء العلوى بواسطة أزميل .

ويد الهاون من قطعة خشبية طولها حوالى ١٥ سم تقريبًا وهى مسـتديرة قطرهـا حوالى ٣ سم .

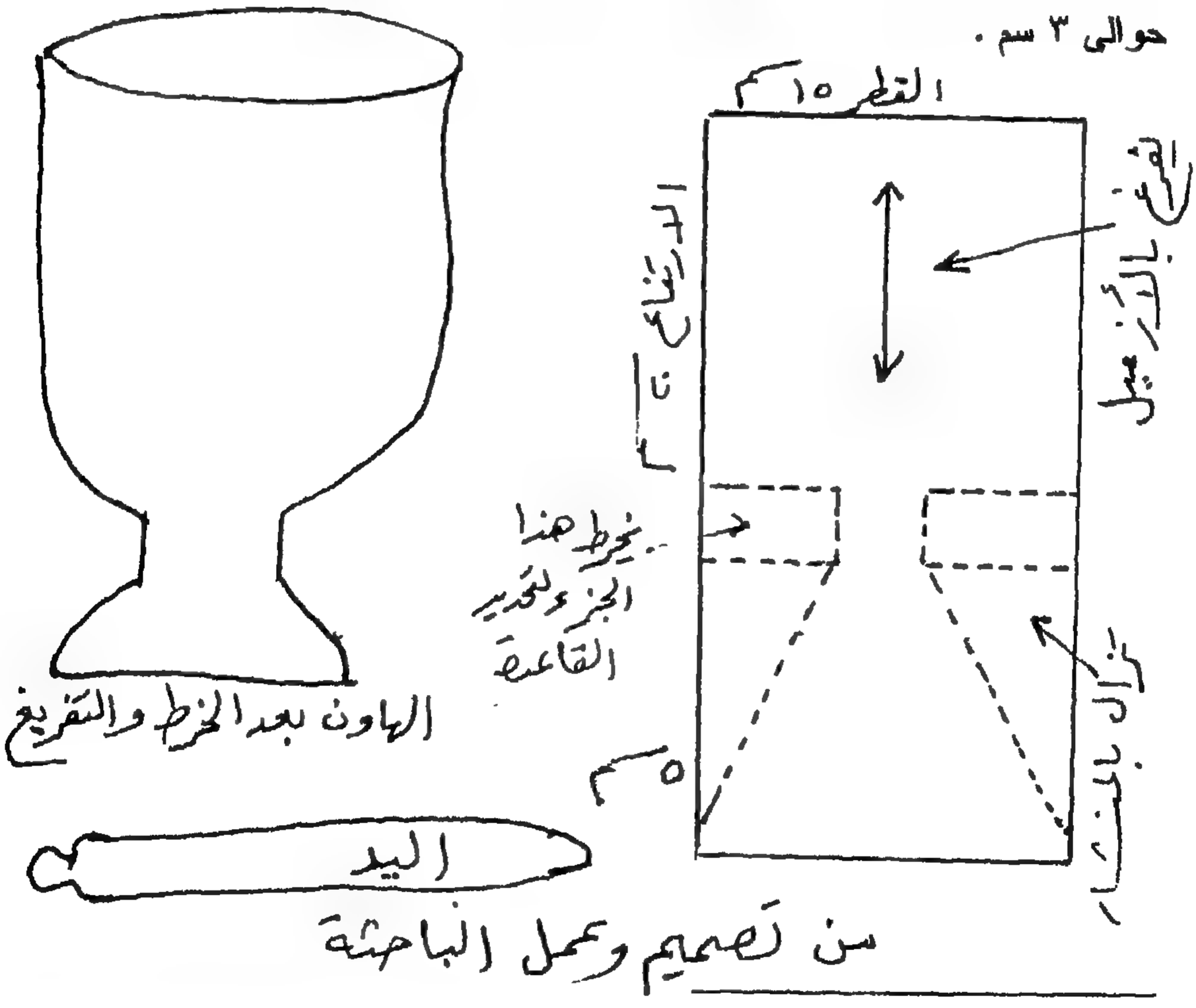

من تصميم وعمل الباحثة

(١) تصميم صناعة الهاون الخشبى من عمل الباحثة وينشر لأول مرة .

صناعة الأمشاط :

كان صناع الخشب – فى العصور الوسطى – يصنعون الأمشاط إما من الصدف أو من خشب شجر البرتقال أو خشب البقس ولهذا الخشب قيمته فهو أثمن من خشب البرتقال وكان يستخدم فى صناعة الحفر والتنزيل[1] .

وكان يعرف صناع الأمشاط بالأمشاطيين الذين كانوا يعملون طبقًا لتعليمات المحتسب الذى كان يأخذ عليهم « ألا يعملوا الأمشاط الرجالية والنسائية إلا من خشب البقس الرومى فإنه أنفع ما يعمل لهذا وألا يكون أخضر فإنه إذا جف يتعوج ويتكسر وأعلاه مشط الرمل ومتى عمل من غير هذا الخشب كخشب النارنج وغيره ، فإنه يظهر فى تسريحة شعرات من الخشب تنتف شعر الآدمى ، ويلزم الصناع بالصناعة الجيدة وأن يكون صحيح الشرح ويكون قد مكث مدة قائمًا عقب القطع مع صحة إنزاله ، ويعتمد على المخرزة لأنها لا تمشى إلا على الصحيح ويصح التبطين بأن يكون فمه رقيقًا حتى ترق رؤوس الأسنان فينزل فى الشعر مع تدوير ويتجنب الشعث[2] .

---

(1) Mazaheri: Op. Cit., P. 219.

(٢) ابن الأخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة ، ص٣٣١

رسم تخطيطى لخطوات صناعة المشط المستطيل الشكل[1] :

١ – يحضر النجـار قطعة مستطيلة من الخشب طولها حوالـى ١٠ × ٨ سـم وسـمكها حوالى $\frac{١}{٢}$ سم .

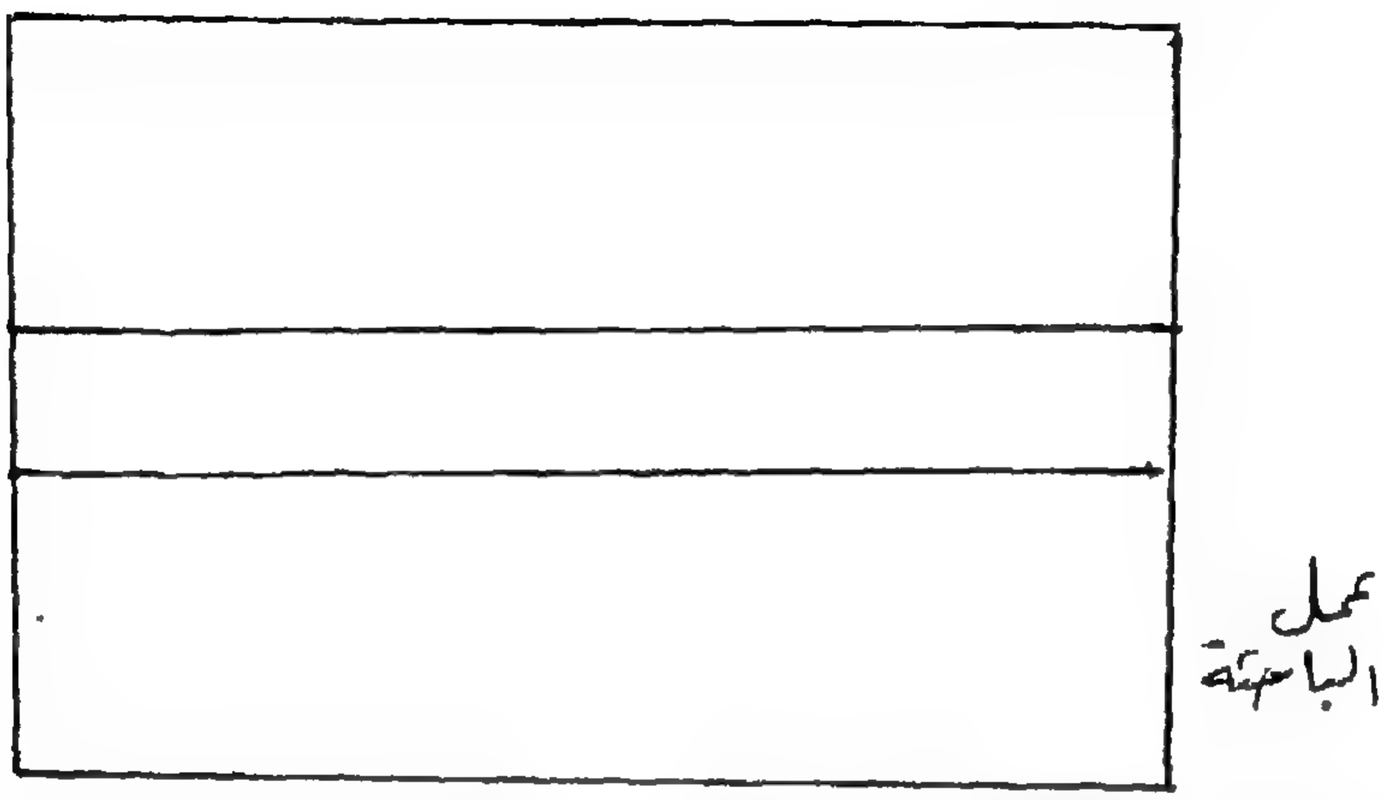

٢ – يقسم المشط بالقلم الرصاص إلى قسمين متساويين قسم علوى وقسـم سـفلى بينـهما مسافة وهى الجزء الأوسط للمشط .

٣ – يحدد بالقلم أيضًا فقط على الجزء العلوى ، الجزء السفلى لتحديد عدد أسنان المشـط الضيقة والواسعة .

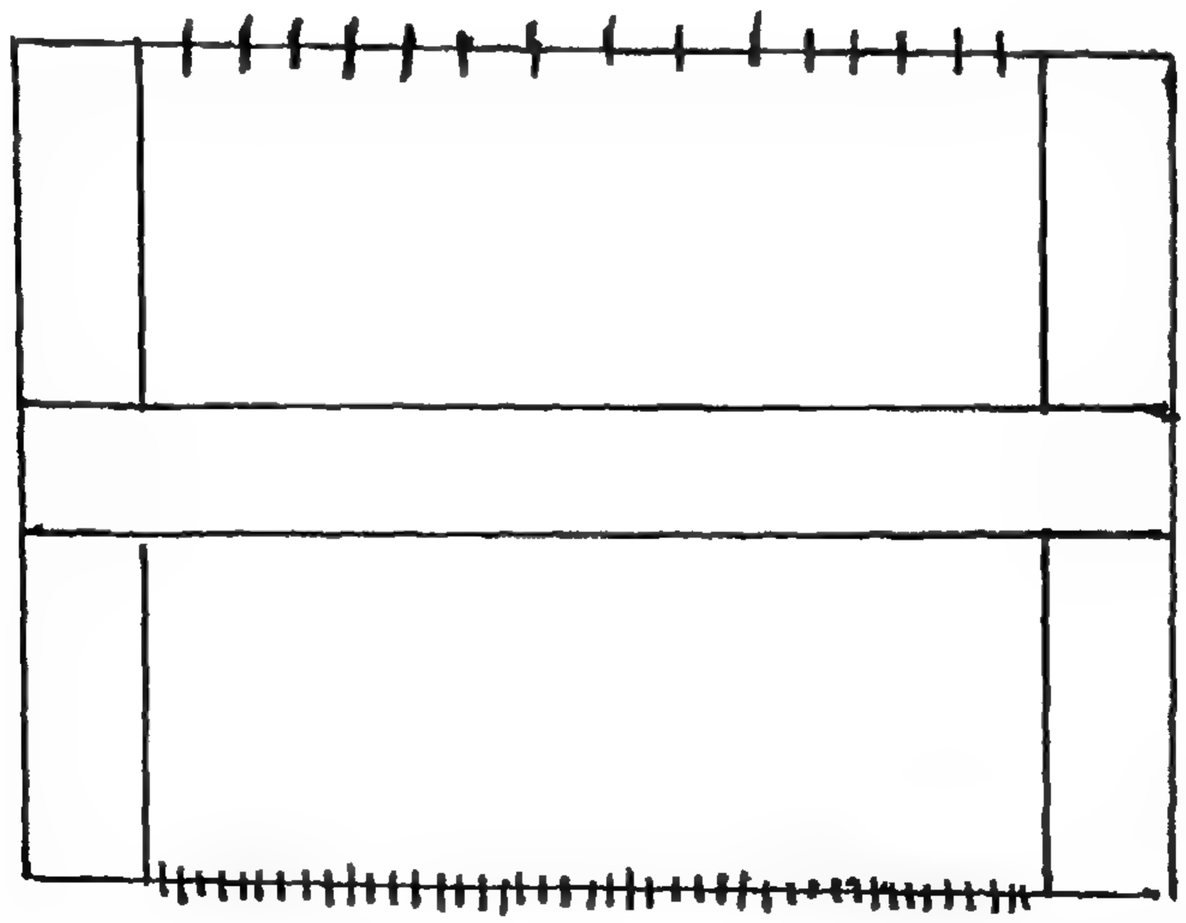

(١) هذا الرسم والتصميم من عمل الباحثة وينشر لأول مرة .

٤ – ثم يقوم بواسطة منشار الأركت بتفريغ مكان النقط لتظهر الأسنان .

٥ – بعد ذلك يقوم بتنعيم أوجه المشط بالسنفرة مثلاً .

٦ – وكان يعهد بالمشط إلى الأويمجى لحفر الزخارف .

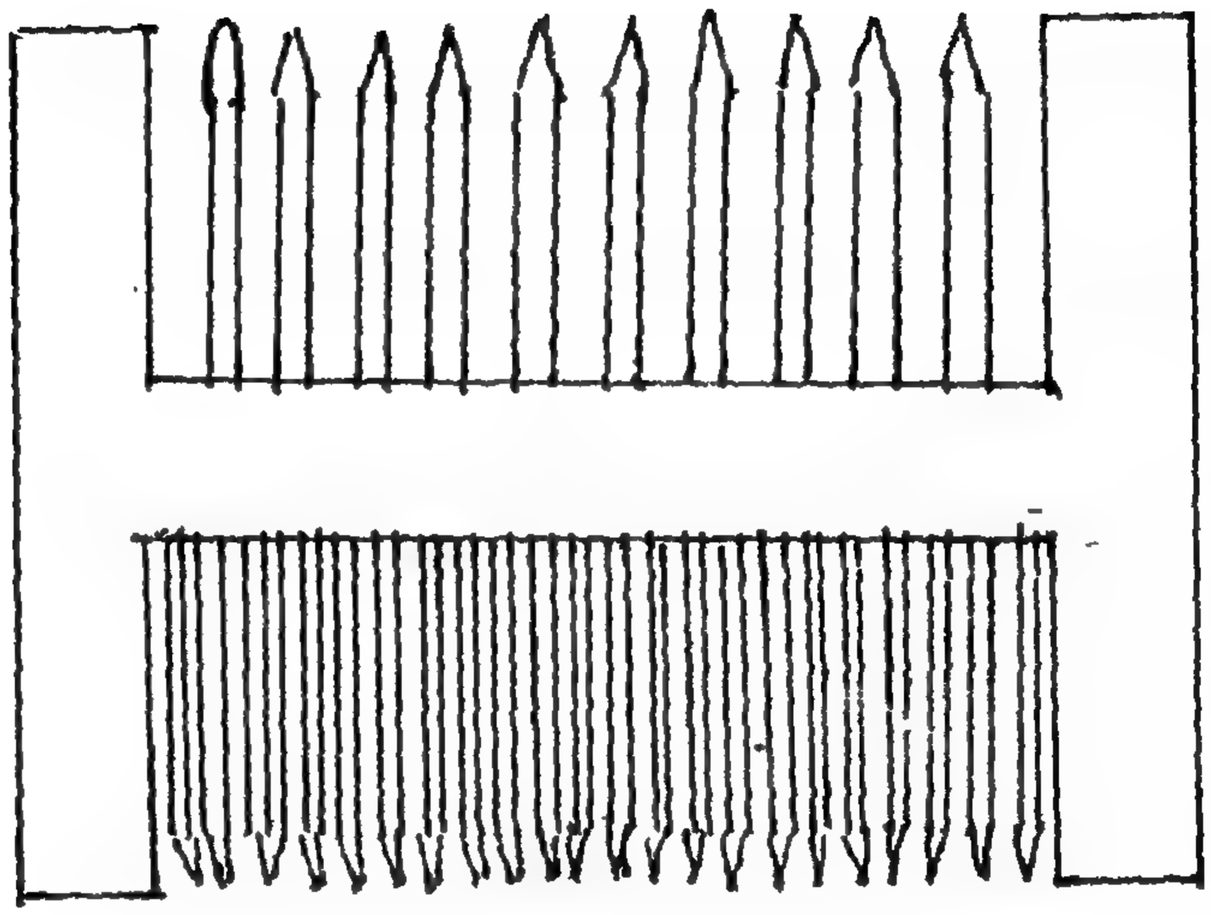

من تصميم الباحثة

صناعة القباقيب[1] :

- يحضر الصانع قطعة من الخشب .
- يرسم عليها شكل القدم .
- يزيل ما حول الرسم بالمنشار وبهذا يتحدد شكل القبقاب من النوع البسيط المنخفض (أ) .

أما إذا كان القبقاب من النوع المتوسط الارتفاع (ب) .

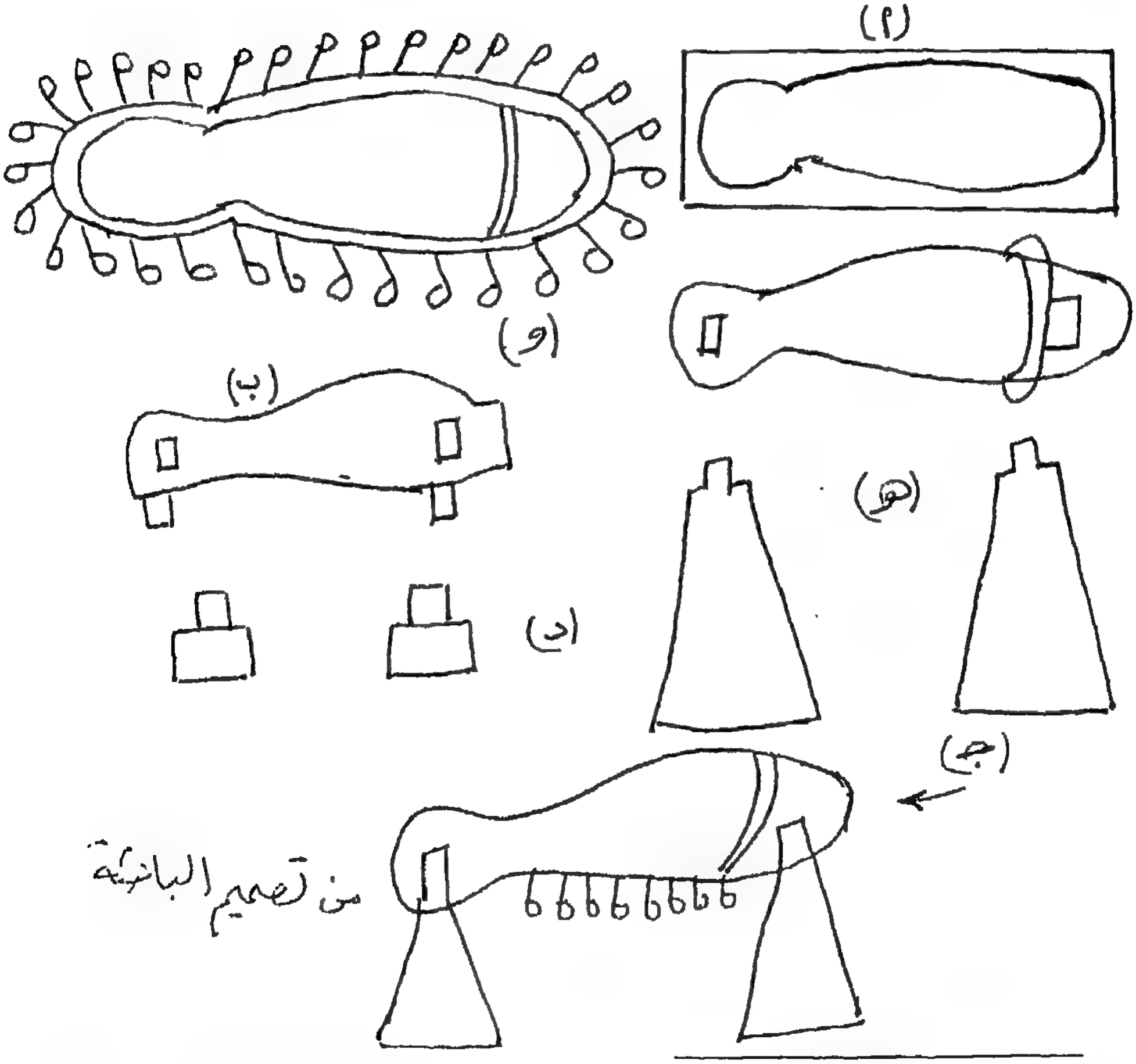

(١) تصميم صناعة القباقيب من عمل الباحثة وينشر لأول مرة .

أو النوع المرتفع جدًا (شكل جـ) فإنه يضاف للقبقاب المتوسط الارتفاع قطعتـــان خشبيتان مستيطلتان (د) ويضاف للقبقاب المرتفع قطعتان تأخذًا شـــكل مثلـــث متســـاوى الأضلاع شكل (هـــ) – وذلك بواسطة نقر يحفر فى القبقاب ولسان يكون فى قطع الخشـــب المضافة .

ثم يركب وجه القبقاب إذا كان من الجلد أو الجلد الملبس بالمعدن .

وأحيانًا تثبت قطع مستديرة من المعدن فى سلاسل حول القبقـــاب بمســـامير علـــى شريط معدنى يصفح بدائر القبقاب وذلك حتى تعطى صوت عند سير الفتاة أو السيدة التـــى تلبسه .

الأدوات المستخدمة فى صناعة النجارة :

ومن الأدوات التى تستخدم فى قطع الأخشاب المنشار الذى يعتبر أقدم العـــدد التـــى عرفها الإنسان، وشكله البدائى يرجع إلى العصر الحجرى عندما كـــان يســـتعمل الحجـــر الصوان ذو الحافة غير المنتظمة فى عمليات القطع [1].

ومن المناشير الشائعة بين النجارين، منشار القطع، منشار بسلاح رقيق ويســـتعمل بصفـــة خاصة لتشكيل القطع الصغيرة المستعملة مثل ألـــواح الخشـــب الرقيقـــة الســـمك ومنشار الدوران تؤدى به عمليات القطع الثقيلة غير المنتظمة ومنشار الزوانـــة ويســـتعمل بصفة خاصة لقطع المنحنيات الداخلية التى لا يمكن استعمال منشار الأركت فيـــها بســـبب ضيق إطاره ومنشار الشق الطولى وسراق الظهر ومنشـــار الأركت اليـــدوى . وســـكين البرامق وهى أداة تصمـــم للقطع والتشكيل وقـــد استعملها قديما أصحاب الحرف الخشـــبية بصفة خاصة فى صناعة برامق العجلات .

وآلات المسح وتشمل الفارة بأنواعها وسكين البقشيش (سكين جـــر) ويســـتعملها العمال لإزالة كميات كبيرة من الخامة بســـرعة وآلات ثقـــب الأخشـــاب ومنـــها البنطـــة والمثقاب .

كما يستخدم النجار آلات مختلفة كى يتمكن من أداء عمله منها الجاكوش والدقمـــاق · والمنقار والأزميل والدفرة والمفك والقادوم والسمبك [2].

---

(١) كريس هـــ . جرونمان : المرجع السابق، ص ٢٢ .

(٢) محمد عبد الحليم حسن : المرجع السابق، ص ٤٥ – ٥٣

كريس هـــ . جرونمان : المرجع السابق، ص ٢٢ – ٣٩ .

صناعة المعادن

إذا تحدثنا عن صناعة المعادن كإحدى الصناعات المرتبطة بجهاز العروس فنحن نتحدث عن صناعة من أهم الصناعات فهى ترتبط بصناعة أوانى المطبخ المعدنية من طشوت وأباريق وصدريات وصحون وطاسات خضة وسلاطين وأهوان ومصافى وحوامل وأعمدة طعام وكراسى حمل الصينية وأدوات الإضاءة من مناير وسرج وتنانير وشماعد وأدوات التجميل من مرآيا وقماقم العطر والمكاحل والمباخر وأحقاق الأشنان، كما ترتبط هذه الصناعة بالأثاث فقد صنعت بعض الكراسى المتقاطعة الأرجل من المعدن وصفحت بعض الأسرة برقائق الذهب والفضة بالإضافة إلى دكك النحاس المكفت بالإضافة إلى صياغة الحلى .

وقد كان العصر المملوكى العصر الذهبى للصناعات المعدنية ، فى القاهرة إذ وصلت فيه إلى قمة مجدها لدقة الصنع وإبداع الفن، وقد ساعد على ذلك اهتمام السلاطين بها ورعايتهم للفنانين وتشجيعهم مما كان له أكبر الأثر فى كثرة ما أنتجته القاهرة فى هذا العصر من الصناعات المعدنية التى اتسمت بجمال صنعها وغناها بالزخارف المبتكرة المنوعة المعتمدة على العناصر النباتية والهندسية ورسوم الكائنات الحية الآدمية، والحيوانية والطير المحلقة بأجنحتها فى الهواء مما كان يبعث فى الزخارف حياة وحركة .

وقد تميزت الصناعات المعدنية القاهرية بكثرة ما عليها من كتابات عربية بالخط الكوفى الزخرفى والخط النسخ والخط الثلث وتعتبر الكتابات العربية بصورها المختلفة من الخصائص الهامة التى تميز المنتجات المعدنية القاهرية فى العصر المملوكى من سواها فى أى قطر آخر كإيران أو العراق مثلا [1].

---

(١) سميحة محمد الجبالى : صناعة المعادن وزخرفتها فى العصور الإسلامية، منبر الإسلام، العدد ٢، السنة ٣٤، صفر ١٣٩٦ هـ / فبراير ١٩٧٦ م، ص ١٣٣، ١٣٤ .

وقد استخدم النحاس بصفة خاصة فى صناعة الثريات والأوانى المنزلية والأباريق والصحون والطسوت وغيرها [١]. كما استخدمت شرائح من النحاس فى تغطية أبواب المساجد والقصور الخشبية بعد نقشها بزخارف هندسية جميلة . واتبعت نفس الطريقة فى تصفيح صناديق الربعات الشريفة فى ذلك العصر [٢].

وكان على النحاسين ألا يعملوا الطاسات المفرغة الأرزينة حتى إذا وقعت لم يصيبها شئ ولهم ضرائب الحمراء الكبيرة رطلان ونصف بالمصرى والوسطانية رطل ونصف والقربة رطل وربع، والصينية رطلان وربع، والسراج ستة أرطال ومنارة السراج ثمانية أرطال [٣].

ولا يجوز للنحاسين " أن يمزجوا النحاس بالحبق الذى يخرج للصاغة وسباكى الفضة عند السبك ، فإنه يصلب النحاس ويزيده يبسا فإذا أفرغ منه طاسة أو هاون انكسر سريعا مثل الزجاج ، وينبغى ألا يمزجوا النحاس المكسور من الأوانى وغيرها بالنحاس المعدنى الذى لم يستعمل بل يسبك كل واحد منهما على انفراده ، ويعمل مفردا " [٤] .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بنماذج كثيرة من التحف النحاسية المزخرفة بالحفر منها مدك نحاس وله حلقة وبه زخرفة بسيطة ١٤٥ر م طول، ١٧٠ر م عرض[٥].

ومدكان من النحاس بدن كل منهما مربع ومقسم إلى مناطق بها دوائر وينتهى بجزء أملس طرفه مكسور . الطول الأكبر ٩ر٧ سم طول ، الأصغر ٧سم[٦] . صدرية من النحاس مضلعة عليها منطقتان كتابة نسخية باسم (خوند زوجة قايتباى) تتخلها

---

(١) نعمت علام : فنون الشرق الأوسط فى العصور الإسلامية، ص ١٩٤ .

(٢) فايزة محمود عبد الخالق الوكيل : المرجع السابق، ص ١١٥ .

(٣) ابن الأخوة : معالم القربة، ص ٢٣١ .

(٤) الشيزرى : نهاية الرطبة فى طلب الحسبة، ص ٧٩ .

(٥) رقم سجل ٥٩٦٥ .

(٦) رقم سجل ٢٠٤٠٧ .

مناطق زخرفية ودوائر ورنكان مركبان وهى مزخرفة مـــن الداخـــل والخـــارج بصـــور حيوانات وطيور – طول ٠,١٥٠، عرض ٠,٣٢٠ [١].

وقنينة عطر من نحاس قاعها فاقد ق ٠,١١٠ م ، عرض ٠,٥٠٠ م [٢]. وقد كـــان على الحدادين ألا يضربوا سكينا ولا مقراضا وما أشبه ذلك من الأرمهان ويبيعونه علـــى أنه فولاذ[٣].

هذا واستخدم البرونز فى صناعة بعض الأدوات المعدنية وكانت تزْخرف بطريقتـــى النقش والتكفيت، وتقدمت صناعة التكفيت تقدما كبيرا فى ذلك العصر .

والتكفيت كلمة فارسية، تعنى من الناحية الصناعية، حفر رسوم وزخـــارف علـــى سطوح المعادن المراد زخرفتها، حفرا عميقا وعريضا ثم تملأ الحفـــر المؤلفـــة للرســـوم والزخارف المطلوبة بمعدن آخر يكون عادة أغلى من المادة الأصلية ومختلفا فـــى اللـــون حتى يعطى الفائدة المطلوبة، وهى إظهار الرسوم والزخارف بلون مخالف للـــون المعـــدن المشكل منه الآنية [٤].

ولم يرد ذكـــر التكفيت إلا فى المعـــادن ويقال لصانعه كفتـــى [٥] . ومنـــه قـــول بعضهم :

بـــى كفتـــى ســـــبانى حســـــنه　　لا أرى من حبـــه لـــى مخرجـــا

مـــد تبـــرا فـــى حديـــد فحكـــى　　قمـــرا طـــرز بالبـــرق الدجـــى

---

(١) رقم سجل ١٥٠٨٦ .

(٢) رقم سجل ١٥٢٣٣ .

(٣) الأرمهان لفظ فارسى أصله نرم آهن ومعناه الحديد اللين .
انظر الشيزرى : المرجع السابق ص ٧٩ وحاشية (٧) .

(٤) سعاد ماهر : مشهد الإمام على بالنجف وما به من الهدايا والتحف، ص ٣٢٨ .

(٥) ميخائيل عواد : صناعة الصفر، بغداد ١٩٦٢ م، ص ٤ .

وقول آخر :

لله كفتـــى أطـــاع صبـــابتى فيـــه الفـــؤاد وخالـــف اللوامـــا

مد الشريط على الحديـد فخلتـــه قمـــرا يطـــرز بالبـــرق غمـــاما[1]

وكان الصانع القاهرى يمر منقاشه المهمازى الشكل بسرعة علـــى المعـــدن الـــذى يرغب فى زخرفته فيركب خيط الفضة بالمدق على تلك الأجزاء المعدة [2]. وقد بلـــغ فـــن تكفيت المعادن عند المسلمين غايته من الإتقان فى منتصف القـــرن الثـــانى عشـــر وظـــل محافظا على هذه المنزلة زهاء قرنين من الزمان . ومن التحف التى تمثلـــت فيـــها هـــذه الصناعة أصدق تمثيل تحفة تعتبر من أجمل ما وصل إلينا . وهى إبريـــق مـــن النحـــاس محفوظ الآن فى المتحف البريطانى وحول عنق الإبريق كتابة تدل على أنـــه صنـــع فـــى الموصل سنة ١٢٣٢ هـــ على يد شجاع بن هنفر [3].

ولقد انتقل فن التكفيت من الموصل [4] إلى مصر وسوريا كما علمنا فـــى العصـــر الأيوبى، وذلك عن طريق الصناع الذين هجروا الموصل فى القرن الثالث عشر الميـــلادى

---

(١) محمد عبد الجواد الأصمعى : تصوير وتجميل الكتب ص ١١٣ هامش ١ .

(٢) د . غوستاف لوبون : حضارة العرب، نقله إلى العربية محمد عادل زعيتر، دار إحيـــاء الكتـــب العربية، ١٩٤٥ م، ص ٥٤١ .

(٣) كرستى وبريجز : تراث الإسلام، جـ ٢، ص ٢٧، ٢٨ .

(٤) خضعت مدينة الموصل خلال المدة بين سنة ٥٢١ - ٦٦١ هـ / ١١٢٧ - ١٢٢٤ م، لسلطان أسرة أتابكية هى أسرة زنكى السلجوقية التى اشتهرت فى التاريخ برعايتها الكبيرة للفنـــون والصناعـــات، ولذلك ظهر غير واحد من الصناع الأساتذة الفنانين المجيدين فى هذه الصنعة الجميلة تناثرت أخبارهم هنا وهناك، وصنعوا تحفا فنية رائعة من النحاس والبرونز، مزخرفة ومكتوبة ومنقوشـــة ومحفـــورة حفرا بارزا . ويزيد فى روعتها ما كفتت به من قطـــع الفضـــة والذهـــب كالأبـــاريق والطســـوت والسلطانيات والزهريات والمصابيح والقناديل والمسارج والثريات والمباخر والصوانى والصنـــاديق والشمعدانات والهواوين وضروب الأسلحة والمقالم والمرايا ومقارع الأبواب، والاسطرلابات وكرات الأرض ونحوها من الآلات مما لا يحصى ولا يعد .
انظر : ميخائيل عواد : صناعة الصفر، سلسلة الثقافة الشعبية ٣٨، بغداد ١٩٦٢ م، ص ١ .

– بتشجيع من الحكام الأيوبيين [1] وأقاموا مناطق صناعية لهم فى القاهرة ومعهم أسرار الصناعة والأساليب الزخرفية التى تمثلت فى العناصر الطبيعية بكل ما فيها من طبيعة والكتابات العربية وهى تماما نفس الزخارف التى كانت موجودة على أعمال المعادن المصنوعة من البرونز فى مدينة الموصل بصفة خاصة .

كما أن هؤلاء الصناع برعوا أيضا فى رسم الزخارف الآدمية والحيوانية داخل جامات وهى زخارف مكتملة فى تشكيلها وصناعتها وقد وجدت الزخارف على الأوانى المنزلية والكراسى والأبواب والخزانات [2].

ولذلك نرى تقاليد الموصل واضحة فى إنتاج مصر وسوريا فى هذه الفترة [3].

ومن الجدير بالذكر أن فن تكفيت المعادن عندما انتقل إلى الجنوب تغيرت زخارفه وحدثت فيه تطورات جديدة أصبحت من مميزات مدرسة أخرى كان مركزها القاهرة فى القرن الرابع عشر فالجامات التى كانت تتكرر فى الأشرطة الزخرفية أصبحت لها حافات من الرسوم النباتية الدقيقة، وبعد أن كانت الكتابات شيئا ثانويا أصبحت أهم الزخارف فى هذه المدرسة [4].

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بنماذج عديدة من المعادن المكفتة منها وعاء من نحاس شكل صدرية ممنطق من الظاهر بشريطين زخرفة نباتية دق بينهما شريط عريض من كتابة نص أولها (المقر الكريم العالى) وآخرها (الشهابى أحمد بن برق الملكى الناصرى) وبقاعها زخرفة أيضا ويرى عليها أثر تكفيت بالفضة القطر ٠,٢٧م والارتفاع ٠,١٤م[5] وطشت من نحاس عليه من الداخل والخارج سطر كتابة نسخية باسم

---

(١) أبو صالح الألفى : المرجع السابق، ص ٢٨٨ .

(٢) Garel J . du Ry : Die Welt des Islam Germany, 1970, p. 147,149 .

(٣) أبو صالح الألفى : المرجع السابق، ص ٢٢٨ .

(٤) كرستى وبريجرو ارنولد : المرجع السابق، جـ ٢، ص ٣١، ٣٢ .

(٥) رقم سجل ٣٤٠٠ .

(قشتمر) تتخلله جامات بها رنك النسر وبها بقايا تكفيت بالفضة طـول ١٨٥ر٤٤٠ وق[١] ومبخرة من نحاس أصفر مستديرة الشكل على حافتها كتابة بها أثر تكفيت بالفضة والذهـب نصها (لا إله إلا الله محمد رسول الله إبراهيم خليل الله أمر بعمل هذه المبخرة المباركـــة مولانا السلطان الملك الظاهر محمد) والكتابة داخل ستة مستطيلات يفصلها ســت دوائــر المقاس ٠٤ر طول، ١١ر عرض[٢] .

هذا وقد وجد فى قاهرة المماليك سوقا للكفتيين ذكر عنه المقريزى أنه اشتمل علـــى عدة حوانيت لعمل الكفت وهو ما تطعم به أوانى النحاس من الذهب والفضة وكـــان لـــهذا الصنف من الأعمال بديار مصر رواج عظيم وللناس فى النحاس المكفت رغبـــة عظيمـــة أدركنا من ذلك شيئا لا يبلغ وصه واصف لكثرته فلا تكاد دار تخلو بالقاهرة ومصر مـــن عدة قطع نحاس مكفت ولا بد أن يكون فى شورة العروس دكة نحاس مكفت [٣].

(١) رقم مسجل ١٥٠٣٨ .

(٢) رقم سجل ٣٣٣٥ .

(٣) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ١٠٥ .

صناعة الحلى

كانت صناعة الحلى فنا من أقدم وأرقى الفنون التى عرفها الإنسان، ولعل قطع الحلى التى نعثر بها فى المخلفات الحضارية لشعب من الشعوب دليل على ما بلغته تلك الحضارة من سمو، وما بلغه ذلك الشعب من فراهة فى الذوق، وحذق فى الصناعة وتذوق للفن .

وقصة الحلى قديمة قدم الإنسان نفسه ، ولعلها بدأت مع تدوين التاريخ على الحجارة . أما القدماء المصريين فقد اشتهروا بالمهارة والدقة فى صناعة الحلى الجميلة منذ خمسة آلاف سنة بفضل ما عثر عليه من الذهب فى الصحراء الشرقية فى جبال البحر الأحمر وما اكتشفوه من الأحجار الكريمة فى سيناء كالفيروز مثلا (١).

ويضم المتحف المصرى بالقاهرة قاعات خصصت لحفظ الحلى التى تبين لنا مدى ما وصل إليه القدامى فى هذا المضمار سواء فى الدولة القديمة أو الوسطى أو المدينة . ومما يسترعى النظر آثار توت عنخ آمون تلك التى لا مثيل لها فى العالم ، من عقود وأساور وقلائد ذهبية مرصعة بالأحجار النفيسة وأمتعة وتيجان وأسرة وبعض الأدوات المنزلية المصفحة بالذهب ليس هذا فقط بل أن هناك مئات أخرى من قطع الحلى المصرى التى تعرض اليوم فى أبهاء دور التحف الكبيرة فى أنحاء العالم .

أما فى العصر البطلمى (حوالى سنة ٣٣٢ ق.م إلى سنة ٣ ق.م) وهو العصر الذى ابتدأ بعد فتح الإسكندر الأكبر لمصر، فقد تقدمت صناعة الحلى تقدما كبيرا، وأسهم فى ذلك المصريون والأغريق، وكان شأن الإغريق فى مصر كشأنهم فى أى بلد آخر اتصلوا به بأساليب الحضارة الرفيعة، وقد اقتبسوا أولا فن الصياغة الوطنية، وتعلموا ما لم يكونوا يعلمونه، ثم أخذوا بعض الوحدات الزخرفية والأساليب التشكيلية حتى استطاعوا صبغ كل ذلك بالصبغة الإغريقية (٢) .

---

(١) عبد الرحمن زكى : الأحجار الكريمة ص٣، ٤ .

(٢) على زين العابدين : المصاغ الشعبى فى مصر، ص ٥، ٢٦ .

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الرومانى (سنة ٣٠ ق.م – سنة ٦٤٠ م) وجدنا انتشار الفضة والمعادن الرخيصة مثل البرونز والنحاس الأصفر تستخدم فى صنع الحلى الشعبية وذلك نظرا لما أصاب مصر من الفقر تحت الاحتلال الرومانى [١].

وفى العصر القبطى (البيزنطى) الذى يعتبر امتدادا للعصر الرومانى كانت المسيحية قد دخلت إلى مصر حوالى سنة ٦١ م وابتدأت فى الانتشار بعد ذلك وصارت الديانة الرسمية للدولة البيزنطية فى القرن الرابع الميلادى، فانتشرت انتشارا كبيرا ولقد تأثرت الفنون والحرف الشعبية بالديانة الجديدة ، ومنها مصاغنا الشعبى فى تلك الفترة فقد ظهرت رموز الديانة المسيحية فى هذه الفنون، وأهم هذه الرموز الصليب الذى رسم بأشكال عديدة ، والأسماك والحيوانات الوديعة ومنها الحمامة وأوراق الكروم وعناقيد العنب ومناظر الرسل والقديسين[٢] .

وفى بداية القرن السابع الميلادى سطع نور الدعوة الإسلامية من أرض الجزيرة العربية، وجاء الإسلام بتعاليمه الرشيدة وقيمة الرفيعة ليصلح من شأن المجتمعات، وكان من ضمن هذه التعاليم والقيم ما خص به الحلى والمصاغ والذهب والفضة . فنحن نعلم أن المصاغ كان يستخدمه النساء والرجال على حد سواء منذ أقدم العصور إلى نهاية العصر الفرعونى، وإن كان يبدو أن استخدام الرجال له قد قل فى العصر البطلمى وما تلاه إلى الفتح الإسلامى . وقد جاء الإسلام بتعاليم وشرائع فى هذا الشأن.

فالحكم الشرعى بالنسبة للتحلى بالذهب والفضة هو إجازة استخدام الحلى للمرآة إطلاقا، أما بالنسبة لرجل فقد أباح التختم مع ترجيح الفضة[٣] .

أما التحلى بالفضة فجائز استعماله عند النساء والرجال على حد سواء، إذ ورد هذا فى أحاديث نسبت إلى النبى صلى الله عليه وسلم منها قوله : " يا معشر النساء أما لكن فى الفضة ما تحلين به .. الخ .

---

(١)على زين العابدين : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٢) المرجع نفسه ص ٣١ .

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٦، ٣٧ .

كما قيل عنه (صلى الله عليه وسلم) قوله عليكم بالفضة فالعبوا بها [١] .

ويحمل لنا التاريخ الإسلامى تمسك المرأة بالحلى والمعادن الثمينة خلال العصـــور الإسلامية المختلفة لدرجة أنها لم يقتصر وجودها لزينة العروس أو المرأة بصفـــة عامـــة فحسب بل استخدمت فى تصفيح وتزيين قطع الجهاز أيضا كما هو الحال بالنســبة لقطــر الندى بنت خمارويه التى كان فى جهازها دكة أربع قطع من ذهب عليها قبة مـــن ذهــب مشبك فى كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة جوهر لا يعرف لها قيمة ومائة هـــون من ذهب [٢] .

كما زينت المرأة أيضا ملبوسها بالجواهر والحلى مثلما فعلت زبيدة بنت جعفر ابـــن أبى جعفر المنصور – وابنة عم الرشيد أخى أبيه تزوجها سنة ١٦٥ هـــــ/ ٧٨٢ م فقــد اتخذت الخفاف المرصعة بالجواهر، وأضاءت شمع العنبر على منائر من الذهب[٣].

ويروى المقريزى تحت ما كان من أم القصرين والمناظر بعد زوال الدولة الفاطميــة أنه كشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر فقيل أن الموجود فيه مائـــة صنــدوق كســوة فاخرة من موشح ومرصع وعقود ثمينة وذخائر فخمة وجواهر نفيسة وغـــير ذلــك مـــن ذخائر [٤].

وفى عصر المماليك بلغ الترف أقصى درجاته وبلغـــت مخلفــات المماليك مـــن الجواهر والحلى وسائر التحف ما لا يمكن حصره . ويكفى للدلالة على ذلـــك مـــا ذكــره المقريزى عن نهب قصر قوصون وما وجد فيه من الذخائر والبسط والحريـــر والمصـــاغ والصينى والبللور[٥].

---

(١) زينات طاحون : المرجع السابق، ص ١٩٤ .

(٢) المقريزى : الخطط، جـ ١، ص ٣١٩ .

(٣) جرجى زيدان : العباسة أخت الرشيد، دار الهلال، ص ١٥٥ – ١٥٧ .

(٤) المقريزى : الخطط، جـ ١، ص ٤٩٦ .

(٥) أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق، ص٧، ٨ .

هذا ورغم ارتفاع ثمن الجوهر واللؤلؤ فى أيام الناصر محمد بن قلاوون فقد جمع من المال والجوهر واللؤلؤ ما لم يجمعه ملك من ملوك الترك قبله، وعرفت رغبته فى الجواهر، فجلبها إليه التجار من الأقطار [1].

وقد كانت الحلى من أهم أدوات التجميل التى لا غنى عنها للمرأة فى مصر المملوكية غير أنه من المؤسف حقا أن تكون النماذج التى وصلتنا نادرة جدا . ولعل السر فى ذلك أن الحلى والمعادن النفيسة كانت تصهر ويعاد سبكها عندما يتقادم بها العهد فضلا عن أن قيمتها المادية تبعث على التصرف فيها . وما أكثر الأوقات التى كان يساد فيها القحط أو يضطرب فيها حبل الأمن[2] .

ويذكر المقريزى فى كتابه السلوك تحت أحداث سنة ٧٤٢ هـ / ١٣٤٢ م أن الأمير بشتاك الناصرى كان قد فرق على مماليكه وأجناده وأخرج ثمانية جارية من جواريه أعتقهن وزوجهن من مماليكه بعد ماشورهن باللؤلؤ والزركش، وغير ذلك مما له قيمة كبيرة جدا وبعث إلى الأمراء الخاصبكية شيئا كثيرا من الذهب والجوهر واللؤلؤ والتحف [3] .

وفى العصر المملوكى وجد سوق القفيصات وكان معد لجلوس إناس على تخوت تجاه شبابيك القبة المنصورية وفوق تلك التخوت أقفاص صغار من حديد مشبك فيها الطرائف من الخواتيم والفصوص وأساور النسوان وخلاخيلهن وغير ذلك »[4].

وتلعب المعادن دورا أساسيا فى صناعة الحلى ولا سيما الذهب والفضة والنحاس . وعند صياغة الذهب يضاف إليه نسبة ضئيلة من معادن أخرى كالفضة أو النحاس أو النيكل، كما يضاف إلى الفضة أيضا كمية من النحاس أو الزنك أو الرصاص [5].

---

(١) محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد بن قلاوون، ص ٢٦١ .

(٢) أحمد عبد الرازق : المرآة، ص ١٦١، ١٦٢٠ .

(٣) المقريزى : السلوك . جـ ٢ . قسم ٣ . طبعة ١ . القاهرة ١٩٥٨، ص ٥٦٠، ٥٦١ .

(٤) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ٩٧ .

(٥) حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية ص ٣٩٨ .

وقد برع المصريون فوق ذلك فى صناعة سبائك الذهب من التبر الذى يكثر وجوده فى بلدة العلاقى التى تقع على مسيرة خمس عشرة مرحلة من أسوان فيتجولون بهذه المنطقة فى الليالى التى يضعف فيها ضوء القمر ويعلمون على المواضع التى يرون فيها شيئا مضيئا علامة يعرفونها، ويبيتون هناك، فإذا أصبحوا حملوا أكوام الرمل التى علموا عليها ومضوا بها إلى أبار هناك فغسلوها بالماء واستخرجوا التبر ثم يمزجونه بالزئبق ويسبكونه [1].

ولصياغة الحلى وتشكيلها أساليب وطرق صناعية كثيرة منذ ظهر هذا الفن فى مصر . ونذكر فيما يلى بعض الأساليب الصناعية الشائعة فى صنع المصاغ :

١ – طريقة الشفتشى :

إن أصل هذه الكلمة غير معروف تماما . ولكن يبدو أن هذه التسمية جاءت من طبيعة هذه الطريقة التى تظهر ما خلفها أو تشف عما وراءها، فهى تشكيل بالسلك المشبك الذى لا يستند إلى قاعدة ، أى أنها " تشف عن الشئ " الذى تحتها ، ويظهر أن هذه العبارة أو هذا الوصف قد نطق محرفا أو مندمجا فأصبح كلمة واحدة تنطق " شفتشى " .

ومن المرجح أن أصل هذه الطريقة أو بدايتها ظهر فى مصر الفرعونية فى عصر الدولة الحديثة (حوالى ١٥٨٠ – ١٠٨٠ ق . م) .

وتقوم هذه الطريقة على التشكيل بالسلك أى استخدام وحدات من السلك وتشكيلها باللحام فى تشكيل القطعة المطلوبة . وعادة يقوم بهذا العمل مجموعة من الأيدى تعمل بعضها حسب خطوات العمل، كما يكون الإنتاج بأعداد كبيرة أو صغيرة وليس إنتاجا مفردا [2] . وفيما يلى وصف هذه الخطوات :

---

(١) محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون، القاهرة ١٩٤٧ م ص ٣٠٧ .

(٢) على زين العابدين : المصاغ الشعبى فى مصر، ص ٢٣٤ – ٢٣٨ .

(أ) لإنتاج عدد من القطع من المصاغ مثل قرط[1] أو دلاية بالشفتشـــى، تعمـــل فورمـــة للخط الخارجى للشكل من شريحة من المعدن السميك (سمك حوالى ٢ مم)، وذلك لعملها كضبعة لتشكيل (لتضبيع) السلك أو الإطار الخارجى للشكل عليها، ويسـمى " الجدار " ويكون أغلظ الأسلاك المكونة للقطعة أو أعرضها، وهو عادة مســـتطيل المقطع، ويشكل غالبا على سيفه ثم يلحم، والغرض من الضبعة، هو عمل عدد مـــن الإطارات الخارجية " الجدار " للقطعة أو الشكل متماثلة تماما .

(ب) يؤخذ الجدار وهو يمثل الخط الخارجى للشكل، فإذا كانت مســاحة الشــكل تســمح بعمل تقاسيم داخلية لتوجد تنوعا فى المساحات وفى أشكالها، وفى التشكيل الخطـــى بالسلك، كما تشاهد فى الهلال الكبير من الكردان الهلالات مثلا، فإن هذه التقاســـيم تشكل من أسلاك سمكا من الجدار وتسمى هذه الأسلاك " العروق "، وهـــى عـــادة مستطيلة المقطع أيضا وتشكل على ضبع من الأشرطة المعدنيـــة الســـميكة حســـب الشكل المطلوب . وبعد تشكيلها ترص داخل الجدار فى أماكنها .

(جـــ) فى هذه الخطوة تحشى المساحات بين الجدار والعروق، أو بين العروق وبعضـــها بوحدات من الأسلاك الرفيعة، وأهم هذه الوحدات هى :

١ – عين واحدة .

٢ – عين وقنطرة .

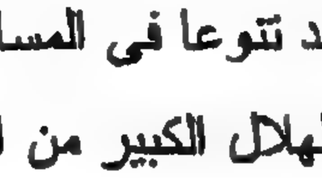

٣ – لوزة .

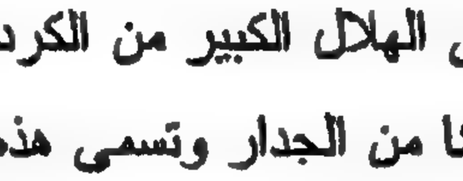

٤ – كريشة .

وتشكل هذه الوحدات من سلك مبطط رفيع محزوز يتكون أصلا من سلكين رفيعيـن من المعدن المطلوب (ذهب ـ فضـــة ـ نحاس) ، ق = ٣٥ ـ ٠ر٥٠ مم ، يفتـــلان جيدا (فتلة غامقة) ، وذلك على مرتين ، فتلة أولى ثم تحمى وتفتل ثانية ، وبهذا يصير ســـلكا

---

(١) انظر لوحة (٢٣)، شكل (٢٣) .

واحدا يدرفل (يبسط) فنحصل على سلك مبطط محزوز الطرفين، هو سلك الشفتشى الـــذى يستخدم فى الحشو الدقيق، ويشف عن الشئ الذى خلفه .

والوحدات الثلاثة الأولى تشكل بواسطة جفت (شفت) كبير له طرفان مســـتديران أو زرديات تناسب هذا التشكيل . والجدير بالذكر أن كل صانع يقوم بإعداد العدد المناســبة له والتى تساعده فى إنجاز عمله . وتشكل كل وحدة من هذه الوحـــدات بمجموعـــة مـــن الأسلاك تمسك بجوار بعضها، للحصول على عدد من هذه الوحدة، إذ تلف وتصبغ جملـــة ثم تقص، فتعطى مثلا عشر وحدات من نوع واحد .

أما الأخيرة وهى الكريشة فإنها ليست وحدة بالمعنى الذى رأينـــاه فـــى الوحـــدات الثلاث السابقة، إذ أنها عبارة عن سلك من النوع نفسه فى الغالب، أو مـــن نـــوع مبطـــط سادة، ويشكل بشكل متموج بواسطة بكرتين مسننتين (ترسين) يدوران داخل كامه، ولـــها مقاسات مختلفة للأسنان حسب سلك الكريشة المطلوب . والسلك يعمـــل بـــأطوال كبـــيرة، ويأخذ الصـــائغ منه الطول المناسب الحشو والتشكيل ونرى فى (اللوحة رقم ٦٨) آلتيـــن يدويتين لتشكيل السلك الكريشة، أحدهما للمقاس الكبير، والأخرى للمقاس الصـــغير، وهـــو أغلب المستخدم حاليا، وإن كان يستخدم فى الماضى أدق وأصغر من ذلك .

٢ – شغل الحبيبات :(Granulated Work)

يعتبر شغل الحبيبات إحدى الطرق القديمة المعروفة فى صياغة الحلى، فقد كـــانت عند قدماء المصريين، وذلك فى الأسرة الثانية عشرة .

وقد مارس الصياغ هذا الفن فى العصر الإسلامى أيضا . ويوجـــد بمتحـــف الفـــن الإسلامى عقدا يرجع إلى عصر المماليك (لوحة ١٩٧) .

وللأسف اختفى هذا الفن، نظرا لفقد الكثير من أسرار صناعتـــه الدقيقـــة، ولقيمـــة الوقت والمجهود فى حياتنا الحاضرة [١].

---

(١) على زين العابدين : فن المصاغ الشعبى . ص ٢٣٩ – ٢٥٠ .

٣ – طريقة الشفتشى، وأشغال السلك الدقيقة : Filigree

تختلف طريقة الشفتشى عن طريقة الزخرفة بحلزونيات الأسلاك الدقيقة (Filigree Work) - التى برع فيها الإغريق، فى نقطة هامة، وهى أن الفيليجرى خيوط من الأسلاك قد تكون مفردة أو مجدولة تشكل منها زخارف خطية أكثرها تأخذ شكل الحلزونيات تلحم على سطح القطعة المصاغة غالبا من الذهب فى تكوين دقيق، فالأسلاك فى هذه الطريقة تستند إلى أرضية تحتها، فى حين أنها فى طريقة الشفتشى – كما عرفنا – لا تستند إلى ساند تحتها .

وعرف الصياغ فى العصر الإسلامى طريقة الفيلجرى، وهناك بعض القطع التى اتبع فى تشكيلها هذه الطريقة ومنها الدلاية ذات الشكل الهلالى من العصر الفاطمى سجل رقم ١٢١٣٧ بمتحف الفن الإسلامى .

٤ – طريقة صنع الخرز المعدنى :

يعتبر الخرز المعدنى من العناصر الهامة الداخلة فى تكوين كثير من مصاغنا الشعبى ، وبخاصة فى العقود والكرادين ، وهناك أشكال مختلفة من الخرزات (الحبات) ، منها الخرزات الكروية المجوفة من الذهب، التى تعتبر من أقدم الحبات المعدنية المستخدمة فى مصر منذ أقدم العصور بعد معرفة النحاس والذهب واستخدامها [١].

هذا وقد تميزت صناعة الحلى الإسلامية بجملة خصائص (مع أن أعمال الصياغة كانت من الصناعات المتوارثة بين طوائف معينة بعضها لم يدخل فى الإسلام مع وجوده فى قلب الدولة الإسلامية كالكلدان واليهود وبعض الفرق الهندية) من هذه الخصائص اختفاء الصور الآدمية وإحلال الرسوم الحيوانية والزخرفية مكانها، ومن الحيوانات التى شاع استخدامها الغزال والطاووس والثعبان وبعض هذه من الحيوانات التى تعتبر حارسة أو حامية لأصحابها ضد أعمال السحر والعين الشريرة، ومن خصائص الحلى الإسلامية

---

(١) على زين العابدين : المصاغ الشعبى، ص ٢٥١ – ٢٥٣ .

نقشها ببعض الأدعية مثل : " ما شاء الله "، " الله خير حافظا "، " عز دائم " " العز لـــك "، كما اختفت الإشارات المسيحية لا سيما الصليب وحل مكانها الهلال [1].

هذا وقد لاقى الصياغ مراقبـــة شديدة من قبل المحتســـب الـــذى ألزمـــهم ببعـــض التعليمات منها : " إن باع شيئا من الحلى لأحد ، فلا يسبكه فى الكور إلا بحضـــرة صاحبـــه ، بعد تحقيق وزنه ، فإذا فرغ من سبكه أعاد الوزن ، وإن احتاج إلى لحام فإنه يـــزن قبـــل إدخاله فيه ، ولا يركب شيئا من الفصوص والجواهر على الخواتم والحلى إلا بعد وزنـــها بحضرة صاحبها . وبالجملة أن تدليس الصاغة وغشوشهم خفيـــة لا تكـــاد تعـــرف ، ولا يصدهم عن ذلك إلا أمانتهم ودينهم "[2] . فيجب على كل مسلم مراقبة الله ســـبحانه وتعـــالى ، ولا يزغل على المسلمين شيئا بهذا ولا بغيره ، وكذلك أكوار السبك لا تكون مرتفعـــة بـــل تكون فى قصارى مبنية على وجه الأرض حتى لا يخفى ما يسبكه فيها عن صاحبه مـــن ذهب أو فضة ولا يسرق من البوتقة شيئا بالماسك يسمى نسل النار ، ولا يدس فيها نحاســـا ولا غيره من السرقة والخيانة وكذلك صناع الخواتم يؤخذ عليهم أنهم لا يثقلـــوا الخواتـــم بالرصاص تحت الفصوص ويبيعوها للناس بفضة وأن يصدقوا فى نعـــت فصوصـــها لأن أكثرها زجاج مصبوغ ، فإن عثر المحتسب بأحد يفعل هذا " لاقى أشد العقاب "[3] .

ويرى ابن الحاج أنه يتعين على الصائغ فى عصره – عصر المماليك – ألا يعمـــل فى صياغته شيئا من الصور فإن ذلك محرم . وليحذر ممـــا يفعلـــه بعضـــهم مـــن أنـــهم يتعاملون بالربا المتفق على منعه شرعا وهو أنهم يبيعون الخلخال والسوار أو غيرها ممـــا عمل من فضة الحجر الخالص بهذه الفضة المغشوشة اليوم وذلك عين الربا [4].

---

(١) أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى – المجلد الثانى، ص ١٤٠ .

(٢) الشيزرى : المرجع السابق، ص ٧٧ .

(٣) ابن الأخوة : المرجع السابق، ص ٢٣٠ .

(٤) ابن الحاج : المدخل إلى الشرع الشريف، جـ ٣، ص ٢٢٩ .

ويرى أنه على الصائغ أيضا أن لا يدنس نيته التى نواها بشئ مما يفسدها مثـــل أن يعمل أو يبيع أو يشترى لامرأة متهمة بالبغاء أو متبرجة وان لم تتهم بذلك . فإن فعل هـــذا مما يفسد به قلوب كثير من المؤمنين (١).

ومن الجدير بالذكر أن الحلى والجواهر كان لها شأن عظيم فى الحياة الاجتماعيـــة الإيرانية وغيرها من البلاد كالعراق – ولا سيما فى البلاط، وفى ملابس أهل الطبقـــة العاليـــة . وقد تخصص فى صناعتها مهرة الفنانين فى زنجان وأصفهان وتبريز وسلطانية وغيرها .

ولكن لم يصل إلينا من الحلى الإيرانية شئ يستحق الذكر، اللهم إلا عدد من الخواتم والأساور والأقراط قيل أنه كشف فى بعض الحفائر التجارية فى مدينة الـــرى . ويمكـــن نسبته إلى القرن ٦ أو ٧ هـــ / ١٢ – ١٣ م، وقد استعمل الفنانون فى هذه التحـــف نفـــس الطرق الزخرفية التى استخدمها صناع الحلى فى مصر فى عصر المماليك وهى الزخرفـــة بالأسلاك الذهبية والتخريم والحبيبات الصغيرة والحفر .

وقد استخدم الحفر فى زخرفة أبزيم محفوظ فى متاحف الدولة فى برليـــن،وتتـــألف زخرفته من حيوانين وطائرين متواجهين ويرجع إلى القرن ٧ أو ٨ هـــ / ١٣ – ١٤م.

وقد نسب كل من أكرمان وديماند إلى العصر التيمورى خاتما من الذهب محفـــوظ بمتحف المتربوليتان بنيويورك وتشمل زخارفه رسوم نباتية وكتابات مجوفة ورؤوس تنيـــن وكتابة كوفية على سطح الخاتم ولكن د . زكى حسن يخالفهما فى هذا الرأى ويرجح نســـبة هذا الخاتم إلى عصر متأخر وذلك لأن موضوعاته الزخرفية قديمة ولكن أسلوب تنفيذهـــا وطراز الكتابة يجذمان بأنها ليست قديمة وإنما هى تقليد فى القرن ١٢ أو ١٣ هـــــ / ١٨ – ١٩ م للأساليب القديمة (٢).

* * *

---

(١) المرجع نفسه، جـ ٣، ص ٢٢٧ .

(٢) زكى محمد حسن : الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى، الطبعـــة الثانيـــة، القـــاهرة ١٩٤٦ م ص ٢٩٠، ٢٩١ .

Ackerman, p. : Jewelry in the Islamic Period (A survey of Persian Art) Vol . 3 , Oxford University press , London and New York 1939 , p. 2666 .

ديماند : الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، دار المعارف ١٩٨٢ الطبعة الثالثـــة ص ١٥٩ شكل ٩٣، أرجع الخاتم إلى عام ١٣٠٠ آخر العصر المغولى وبداية التيمورى .

صناعة الزجاج

أنشئت صناعة الزجاج فى مصر وبقيت متميزة فيها مدة الفراعنة وملـــوك الـــروم البطالسة والخلفاء وما بعدهم . واستمرت فى العصر الإسلامى حتى يقال أن المسلمين هـــم الذين علموا الشرق هذا الفن الذى كان يصنع بمزيد من الغرابة(١) .

وطبيعى أن يكون صناع الزجاج فى الإسلام ورثوا قسطا كبيرا من الأساليب الفنيـــة عن أجدادهم القدماء ، وأن يكون التطور فى هذه الصناعة تدريجيا حتى أننا لا نســتطيع أن نجزم فى أكثر الأحيان بنسبة تحفة زجاجية إلى العصر الإسلامى ، إلا إذا كان فى شـــكلها أو فى أساليب زخرفتها ما ينطق تماما بأنها إسلامية . ولا غرو فإن الحفائر فـــى أطـــلال المدن الإسلامية كشفت عن عدد كبير من القنانى والقوارير والآوانـــى الزجاجيـــة هيأتـــها هلينستية أو رومانية . وقد يكون عليها من الكمخ والتقزيح ما تراه علـــى الأوانـــى التـــى صنعت فى العصور القديمة(٢) .

وطور المسلمون صناعة الزجاج فى الأقطار التى فتحوهـــا مثـــل مصـــر والشـــام والعراق وإيران ، وعنوا بها عناية كبيرة نظرا لحاجتهم إلـــى الأوانـــى الزجاجيـــة التـــى استخدموها فى وظائف كثيرة مثل حفظ العطور التى رغـــب فيـــها الإســـلام ، والإنـــارة والشرب وغير ذلك .

وصهر المسلمون الزجـــاج بنفس الطريقـــة القديمة التى تتمثل فى صهر الرمـــل . (أوكسيد السليكون) بعد خلطه بنسب معينة من الحجر الجيرى « كربونات الكلســـيوم » بالإضافة إلى نسب من كربونات الصوديوم وأكاسيد أخرى(٣) ثم تشكل بواسطة الســـحب أو الضغط أو الثنى أو النفخ ابتداء من فقاعة صغيرة بازدياد النفخ والتحريك الكروى إلـــى أسطوانة نمطية الحجم تأخذ الشكل الذى يراد بها حتى ينتهى المطاف بها إلى دمجانة وقـــد يصل قطرها إلى المتر . أما إذا ضغطت هذه العجينة فى قالب خاص وبواســـطة مكبـــس

---

(١) سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر ، ص٦٩

(٢) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، ص١٧٧

(٣) حسن الباشا : مدخل إلى الآثار ، ص٤١٥

خاص فإنها تصير هى والقالب شكلا واحدا تأخذ حجمه ونقوشه وتـــرى قطعـــة العجيـــن أمامك عبارة عن طبق جميل ذى نقوش ورسوم ، فى لحظات معـــدودة وإذا شـــدت هـــذه العجينة بواسطة شخصين يتباعدان بعضهما تدريجيا مع بعض النفخ البسيط صارت هـــذه العجينة أنبوبة زجاجية يتوقف طولها وسمكها وقطرها حسب حجم قطعة العجينـــة نفســـها وقد يبلغ طول هذه الأنبوبة خمسين مترا ثم تقطع بعد ذلك قطعا طول الواحدة منها حوالـــى متر ونصف(١) . واستخدم فى زخرفة الزجاج طرق صناعية مختلفة منها طريقة القـــالب والختم والملقاط والزخرفة بالأقراص والخيوط المضافة والحفر والقطع والبريق المعدنـــى والتذهيب والتمويه بالمينا والتعشيق(٢) ، وقد يلون الزجاج باستخدام مركبات تحتوى علـــى أملاح الفضة وتعريض الزجاج للهب ضئيل ، وتكسب أملاح الفضة الزجاج لون أصفـــر قاتم ويمكن تغيير اللون إلى لون أحمر عقيقى باستخدام أملاح النحاس(٣) .

وعند تشكيل الحلى الزجاجية أو أشكال الطيور فإن الأمر يستلزم اســـتخدام أنـــابيب زجاجية ذات ألوان متعددة تلحم بالزجاج بواسطة المشعل(٤) .

ومهما يكن من شئ فإن صناعة الزجاج تقدمت فى العصر الفاطمى تقدما عظيمـــا ، كان سبيلا إلى بلوغها الذروة العليا فى عصر المماليك ، الذى صنعـــت فيـــه المشـــكاوات المموهة بالمينا وهى فخر الزجاج عند المسلمين(٥) .

وقد ذكر لنا أحد كتاب القرن الثامن الهجرى وجود مســـابك للزجـــاج فـــى مصـــر آنذاك(٦) .

وقد ازدهرت صناعة الزجاج المموه بالمينا فى مصر والشام فى القرن الثالث عشـــر ثم بلغت أقصى درجات الكمال فى القرن الرابع عشر . واشـــتهرت الأوانـــى الزجاجيـــة

---

(١) فؤاد سعودى : صناعة الزجاج ، ص٤٢

(٢) حسن الباشا : مدخل إلى الآثار ، ص٤١٥

(٣) فؤاد سعودى : المرجع السابق ، ص١٣٣

(٤) المرجع نفسه ، ص١٣٤

(٥) زكى حسن : كنوز الفاطميين ، ص١٨٠

(٦) الحسن بن عبد الله : آثار الأول فى ترتيب الدول ، ص١٦٥

المموهة بالمينا فى البلاد الأوربية وبلاد الشرق الأقصى والأوسط فكان يشتريها الحجـــاج الأوربيون من بلاد الشام ، كما كانت ترسل إلى بلاد الصين واليمن وإيـــران . واســتخدم الزجاج المموه بالمينا فى صناعة المشكاوات التى كان سلاطين المماليك وأمراؤهـــم قـد أوقفوها على المساجد التى بنوها فى القاهرة . كما استخدم فى صناعة أدوات منزلية مثـــل الطشوت والزهريات والصوانى والأباريق ، والدوارق التى تستخدم فـــى حفـظ العطـــور وماء الورد . ومن هذه دورق - بمتحـف الفن الإسلامى بالقـــاهرة - ذو رقبـــة رشـيقة طويلة . ومزخرف بثلاث وردات كبيرة مموهة بالمينا المختلفة الألوان على أرضية مـــن فروع نباتية مملوءة بصور الحيوانات(١) .

ومن الزهريات زهرية بدار الآثار بالكويت من زجاج شفاف مائل إلى الاخضـــرار ترجع إلى مصر فى القرن ٨هـ/١٤م لها بدن كروى وتستدق عند بداية الرقبة ثـم تتسـع عند الفوهة ولها يدان وقاعدة ومزخرفة بالمينا الزرقاء والحمراء والخضـــراء والصفـراء والبيضاء وعليها كتابة نسخية نصها « عز لمولانـــها الســلطان / الملـك العـالم (أ) » بالإضافة إلى الزخارف النباتية المزهـــرة المتماوجـة والرســوم الحيوانيـة أو الطيـور والزهرية مشكلة بالنفخ ، وقد تمت إضافة المقبض بعد الإنتهاء من نفخ الزهريـــة وقلـب شفتها وقاعدتها إلى الخارج(٢) ، كما صنعت من الزجاج الملون أيضـــا أســاور بســيطة لتتحلى بها نساء عامة الشعب (لوحات ٢٠٥ ، ٢٠٦) .

وصنعت من الزجاج المكاحل وقنينات العطر الصغيرة التى يـأخذ بعضـها شـكل الدرس والبعض الآخر ذو بدن شبه بيضاوى أو كروى - وقد شاع استخدام هذين النوعين من القنينات فى العصور الوسطى بصفة عامة - وهى توضع فى الملابـــس لتعطرهـا . بالإضافة إلى القمائم التى كانت تعبأ بالعطور والروائح فيمتلئ المكان برائحتـها الزكيـة .

---

(١) محمد مصطفى : زجاج مموه بالمينا .

(٢) هبة عنايت : نبض التاريخ فى دار الآثار الإسلامية بمتحف الكويت الوطنى ، مجلة العربى ، مـــايو ١٩٨٣م ، ص١٠٠

، غادة حجاوى قدومى : التنوع فى الوحدة (دار الآثار العربية بالكويت) مؤسسة فـــهد المـرزوق للطباعة ، الكويت ، الطبعة الأولى ، يناير ١٩٨٧ ، ص١١٦

ويرجح أنها كانت لاستخدام عامة الشعب والعطر المحفوظ بداخلها كان من النوع العـــادى عكس المصنوعة من البللور .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بمجموعة كبيرة من القنينات الزجاجيـــة المصنوعـــة بطرق مختلفة من نفخ فى القالب مثال ذلك رقم ١٤٩٧٥/٣ ، ١٤٠٩٧٣/١٣ أو المنحوتـــة أو المقطوعة أو المحزوزة فى جدار الإناء بعد برودتـــه مثـــال ذلـــك رقـــم ١٤٩٧٥/١ ، ١٣٤٣٤ . وقنينات تتألف زخارفها من أسلاك من زجاج ملون ضغطت على سطح الإنـــاء حتى صارت فى مستواه ، ونتج عن ذلك خطوط متموجة تكسب التحفة نوعًا من زخـــارف المرمر مثال ذلك القنينتان رقم ٨٤٧٩ ، ١٧٤٣٨ وقنينات نفذت زخارفها بالبريق المعدنـــى المعدنى مثال ٥٦٣٢ وقنينات زخارفها مطبقة من زجاج ملون مثال ذلك رقـــم ١٣٥٠٤ ، ٦٩٦٩/٢ .

وتؤرخ جميع تلك القنينات ما بين القرنين ٨/١هـ ، ١٤/٧م ، وقد صنعت القنينـــات الزجاجية الخاصة بحفظ أدهان الشعر ومساحيق الوجه بأحجام صغيرة بعضها مضلـــع أو اسطوانى وبعضها كروى ولجميعها فوهة متسعة .

وهنا يجب أن نذكر أن المصنوعات الزجاجية كانت مما يحمل فى جهاز عـــروس عصر المماليك . فيذكر المقريزى أنه كان بجهاز بنت أحد الأمراء « الزجـــاج المذهـــب أثنى عشر حمالاً »(١) وربما كانت هذه الأحمال عبارة عن صوانى وطشـــوت وأبـــاريق وأكواب وقنينات وقماقم وأحقاق للعطر والأدهان .

* * *

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٦٨

، على مبارك : الخطط ، جـ٢ ، ص٣٢٩

صناعة البللور الصخرى

يوجد البللور الصخرى فى الطبيعة متحجرا(١) ، وهو يعرف بـــالمرو والكوارتــز وهو من الأحجار المعدنية الشائعة استعمالا . وهو يوجد فى معظم أنواع الصخـــور كمــا يوجد بكثرة بين الرمال فى أشكال جذابة .

وقد عرف استعماله فى الزينة منذ أقدم العصور . ومن أنواعـــه الصـــوان الــذى صنعت منه الأسلحة البدائية وبلورة الكوارتز سداسية ويندر وجود بلورات منه ذات شــكل هرمى ، وقد اكتشف لهذا الحجر أكثر من ١٤٠ من أنواع البلورات وبعضـــها منحنيــة أو ملفوفة(٢) .

ويذكر التيفاشى أن أجوده ما وجد ببرية العرب بالحجاز . ومنه ما يؤتى بـــه مــن الصين ، وهو أقل جودة من العربى . ومنه ما يكون ببلاد الأفرنجة ، وهو جيـــد أيضـــا . ومنه معادن بناحية أرمينية يميل بلورها للصفرة الزجاجية (كأنه مطبوخ بالنـــار وظــهر بالمغرب الأقصى على مقربة من مراكش معدن نقى اللون وكثر عندهم حتى فـــرش منـــه لملك المغرب مجلس أرمنا وحيطانا(٣) . هذا وقد احتفظ المسلمون بالتقـــاليد التـــى كـــانت تمارسها الشعوب القديمة من نحت الأحجار الصلبة ومن اســـتخراج أوانـــى جميلـــة ذات زخرفة كتابية من البلور الصخرى محفورة ومنحوتـــة بالآلـــة(٤) ، فاســـتخدموا البلـــور الصخرى فى عمل الكؤوس والأباريق والتحف الثمينة .

ومما يذكر أن الخليفة الراضى بالله (٣٢٢ - ٣٢٩هـ/٩٣٣ - ٩٤٠م) كان مولعـا بجمع التحف المصنوعة من البلور الصخرى .

وقد ازدهرت صناعة البلور فى مصر فى عصر الفاطميين بدليل ما ذكـــره نـــاصر خسرو من أنه رأى بها : « معلمين مهرة ينحتون بلور غاية فى الجمال وهم يحضرونـــه

---

(١) التيفاشى : أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧م ، ص٢٠١

(٢) عبد الرحمن زكى : الأحجار الكريمة فى الفن والتاريخ ، ص١٠٩ .

(٣) التيفاشى : المرجع السابق ، ص٢٠١

(4) Migeon: Les Arts Musulmans, Paris et Pruxelles, 1926, P. 35.

من المغرب . وقيل أنه ظهر حديثًا ؛ عند بحر القلزم ، بلور ألطف وأكثر شفافية من بلـور المغرب »(١) .

وجاء فى كتاب التحف والهداية أنه وجد فى تركة السيدة بنت المعز العبيدى طسـت وإبريق من البلور ، وكان الناس يستعظمونها إلى أن وجد عنـد ابـن اليـازورى وزيـر المستنصر – عندما قبض عليه – تسعون طستا بأباريقها من صافى البلور وجيـدة فـهان عليهم ما استعظموه(٢) .

وقد وصف المقريزى الكنوز الضخمة للخليفة الفاطمى المستنصر بالله والتى كـانت تحتوى على أعداد وفيرة من كؤوس البلور الصخرى ترجع إلى القرن العاشـر والحـادى عشر ، وكل من عرفها على نمط وطابع الزخرفة الفاطمية فى هذا العصر تبعًا لمـا جـاء على النسيج خاصة يتوافق مع الزخرفة الموجودة على بعض الكؤوس البديعة من البلـور الصخرى الموجودة فى المتاحف وبعض كنوز الكنائس حيث اسـتخدمت للديانـة مكسـية بالفضة وهذا السبب فى بقائها .

ومن تحف البلور التى ترجع إلى مصر فى العصر الفاطمى إبريق من كنوز سـان مارك فى فينسيا ويحمل اسم الخليفة الفاطمى العزيز بالله(٣) .

ويحتفظ المتحف الجرمانى بمدينة نورنبرج بألمانيا بحلقة من البلـور علـى شـكل هلال عليها كتابة باسم الخليفة الظاهر(٤) .

وتضم دار الآثار الإسلامية بمتحف الكويت الوطنى زجاجة من البلـور الصخـرى ترجع إلى مصر فى القرن ٥هـ/١١م حفر عليها رسم طائرين متقابلين(٥) . وقـد سـاعد

---

(١) سفرنامه : ص٥٩ ، ٦٠

(٢) الخالديان : كتاب التحف والهدايا ، ص٢٥٧

(3) Migeon: Op. Cit., P. 35.

(٤) زكى حسن : كنوز الفاطميين ، ص١٩٠

(٥) هبة عنايت : نبض التاريخ فى دار الآثار الإسلامية بمتحف الكويت الوطنى ، مجلة العربى ، رجـب ١٤٠٣هـ / مايو ١٩٨٣م

استخراج البلور من مصر على خفض ثمنه وإنتاج التحف الكثيرة منه التى حرص كبـــار رجال الدولة فى عصر المماليك أن يزودوا بها قصورهم كما كان الحال فى قصر الأمـــير قوصون(١) .

ويبدو أن صناعة البلور وفنونه قد وصلت إلى قمة ازدهارها فى عصر الممـــاليك إذ كانت تصنع منه الدكك والأوانى كالأزياء وغيرها المزخرفة بالحفر بصور ثابتة على شـبه الوحوش والطيور التى كانت من ضمن جهاز العرائس من بنـــات الســـلاطين - كبعـــض بنـــات السلطان حسن بن محمد بن قلاوون التى زفت على بعض الأمراء فى دولة الملـــك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون - الذى كان من جملته دكـــة مـــن بلـــور تشتمل على عجائب منها زير بلور يسع قربة ماء(٢) .

وإلى جانب ذلك أنتجت صناعة البلور أيضًا قنينات العطـــر والمكـــاحل الصغـــيرة الحجم الجميلة المنظر .

* * *

(١) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص٧٢ ، ٧٣

، سرور : المرجع السابق ، ص٣١٢

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص١٠٥

، حسن محمد الهوارى : أثر المرأة فى الفن الإسلامى ، ص٤٢٦ ، ٤٢٧

صناعة الفخار

تعد صناعة الفخار من الصناعات القديمة التى عرفها الإنسان، فالأوانى المعدنية لـم تكن معروفة فى العصور القديمة والوسطى، ومن الفخار صنع الإنسان الأزيـار والقـدور والأباريق وأوعية الخل والعسل والنبيذ والسمن، وغير ذلك من الأوانى التى لا غنى عنـها فى الحياة اليومية . وفى بعض العصور صار يطلى الفخار أحياناً بالمينا، وقد انتشر هـذا الأسلوب فى عصر المماليك، ويصنع هذا النوع من الفخار من طينة لونـها يميـل إلـى الحمرة مغطاة ببطانة بيضاء عليها طلاء بالمينا الصفـراء أو الخضـراء أو ذات اللـون البنى، وكانت الزخارف تحفر فى القشرة حتى تصل إلى الطينـة المائلـة إلـى الحمـرة، وكثيراً ما نجد توقيع الصانع على هذا النوع من الخزف وتتكون زخارفـه مـن عنـاصر نباتية وكتابات بالخط الثلث الذى شاع استعماله فى عصر المماليك، بالإضافة إلى صـور رنوك وشارات أصحاب هذه الأوانى، وتشابه هذه الرنوك مثيلاتها التـى وجـدت علـى الأوانى المعدنية ولقد استمر إنتاج هذا النوع من الأوانى حتى نهاية القرن الخامس عشـر الميلادى .

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بنماذج عديدة من هذا الفخـار منـها آنيـة مطلية بالميناء الصفراء مزينة من الداخل والخارج بكتابة صفراء منقوشة تحت طبقة مـن المينا ومقسمة إلى مناطق بدوائر بها رنوك مموهة بالمينا باللونين الأحمر والبنى الغـامق وهذه الكتابة باسم مملوك من مماليك السلطان الملك الناصر محمد المتوفى سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤١م. الارتفاع ١٧ سم – العرض ٢٦ سم (١). كما يحتفظ كل من المتحف القبطـى ومتحف كلية الآثار بنماذج من هذا الفخار . وإذا تحدثنا عن صناعة الفخار يجب أن نذكـر صعيد مصر، فيبدو أن أهالى أسوان برعوا فى صناعة أنواع جيـدة مـن الفخـار الـذى استخدم فيه الطين الأسوانى .

ويؤخذ ذلك الطين من جبل أطلق عليه المؤرخون العرب اسم " جبل الطفل " وكـان ذلك الطين مفضلا فى صناعة " كيزان الفقاع "، وهى أوان استخدمت فى شرب نوع مـن

---

(١) رقم سجل ٣٩٤٥ .

النبيذ يتخذ من الشعير . وكذلك مهر أهالى أسوان فى صنع أوعية من الفخار التى تسمى " البرام " امتازت بجودة الطبخ فيها، وهى تصنع من حجر يسمى " حجر البرام " فيجوف ذلك الحجر نحو ثلاثة أو أربعة سنتيمترات وأحيانا يسخن قدر معين منه، ويضاف إليه مثله من الطين الأسوانى ويمزج ويعجن حوالى أربع ساعات ثم يعمل منه أوعية البرام . وتجفف فى الشمس والهواء مدة يومين، ثم توضع على نار خفيفة فى حفرة مخصصة لذلك تسع نحو عشرة أبرمة أو اثنى عشرة دفعة واحدة (١).

هذا وقد ورثت قنا صناعة الفخار عن الآباء والأجداد، وحافظت على تراثها حتى أصبحت أهم مراكز لصناعته فى البلاد وقد عاونها على ذلك طبيعة تكوينها الجيولوجى إذ أحاطت بها من الناحية الشرقية جبال طفلية تسقط عليها السيول فتجرف هذه الطبقة الطفلية وتحملها معها إلى الوديان العربية من المدينة . وهذه الطبقة الراسبة التى تمون مصانع الفخار فى قنا وعددها بين الخمسين والستين وهى تنتج جميع أنواع الفخار، وأهمها القلل والأزيار(٢).

وكان من أشهر الصناع فى مدينة الأقصر صناع الفخار الذين امتازوا بالمهارة والدقة فى صناعتهم هذه التى فرضتها عليهم بيئة الأقصر حيث كانت تتوافر فيها الطينة التى يصنع منها هذا الفخار فى زمن المماليك (٣).

ويستخدم الفخرانى الدولاب – فى تشكيل أوانيه – وهو عبارة عن قرص مثبت على عمود من الخشب فى أسفله قرص صغير يدار بالقدم (٤).

ويرجع بعض المؤلفين استعمال دولاب الفخار للأسرة الأولى فى حين يرجعه البعض الآخر إلى الأسرة الخامسة .

وطريقة استخدام الفخار مبنية على جدران مقبرة فى سقارة من مقابر الأسرة الخامسة، وعلى جدران مقبرة أخرى من مقابر الأسرة الثانية عشرة ببنى حسن وفى

---

(١) محمود محمد الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى، ص ٩٠، ٩١ .

(٢) عزيز مرقس منصور : أمجاد من تراثنا – الألف كتاب – مكتبة الشرق، ص ٦٦ .

(٣) محمد عبده الحجاجى : الأقصر فى العصر الإسلامى ص ٣٨ .

(٤) عزيز مرقس : المرجع السابق، ص ٦٧ .

المقبرة نفسها نرى أفران الفخار موقدة، وهى دائرية الشكل كالتى توجـــد حاليـــا بالوجـــه القبلى، وقد صور رجلان يعجنان الطين بأرجلهم على الطريقة المتبعة للآن (١).

طريقة صناعة القلل :

توضع قطعة كبيرة من الطين على القرص العلوى، ويشكل منها بطـــن القلـــة ثـــم تعرض للهواء مدة ٤ ساعات حتى يجف الجزء الذى سيكون عليه شباك القلـــة، ويوضـــع عليها رأس القلة الذى يشكل فوق الدولاب على حدة، وبعد أن تتجمد يلحم الرأس مع بطـــن القلة وفى اليوم التالى توضع القلة على فوهتها فوق أصيص مثبت على الدولاب ليشـــكل كعبها (قاعدتها)، ثم توضع على فوهتها يوما كاملا حتى تجف، ثم تنقل القلـــل وأوانـــى الفخار بعد جفافها إلى الفرن لحرقها (٢)، والفرن عبارة عن حجرة أرضية تعلوها حجـــرة أخرى أكثر ارتفاعا . وتتصل الحجرتان بفتحات فى العقد الفاصل بينـــهما، كمـــا تتصـــل الحجرة العليا بالهواء الخارجى بفتحات مماثلة فى أعلاها .

وتسوى الأوانى بوضعها فى الحجرة العليا وسد بابها بالبناء، ثـــم إشـــعال الوقـــود بالحجرة السفلى " بيت النار "، فيدخل اللهب إلى حجرة الأوانـــى عـــن طريـــق الفتحـــات المتخصصة . ويمر على الأوانى فيسويها . ويخرج من الفتحات العليا إلى الخـــارج(٣) . وتستمر عملية الحرق حوالى أسبوع وتكتسب القلة الصلابة والمسام التى كلمـــا كـــثرت، كانت أقدر على تبريد المياه .

وقد ظهر من حفائر الفسطاط بقايا فرن يرجع تاريخه إلى ما بين القرنيـــن الرابـــع عشر والخامس عشر الميلاديين، طوله ١ر٦٥ متر، عرضه ١ر٥٠ متر ولكـــن الارتفـــاع من الصعب تحديده لسقوط القبوة ومن المفروض أن يكون الارتفاع ٢ر٤٠ متر .

---

(١) سعد الخادم : الصناعات الشعبية، دار المعارف ١٩٥٧ م، ص ٤٨، ٤٩ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٧٧ .

(٣) محمود صابر : الخزف، ص ٥٥ .

ويفصل الموقد عن حجرة الحرارة قبوبه فتحة مركزية يخرج منها النـــار والجـزء العلوى من هذا القبو على هيئة أفقية تستخدم كقاعدة توضع فوقها الأوانى والقبـــو العلـــوى كان لا بد أن يكون به فتحات لخروج الدخان إلى الخارج .

والقمة المقببة للفرن تجعل النار تحيط كلية بالأشياء وفى طريقها تـــوزع الحـــرارة اللازمة لاتخاذ المينا وتكوين ناتج أكسيد فى الأماكن المحددة التـــى كـــانت توضـــع فيـــها الأوانى وبالارتفاع الذى تحتلـــه داخل الفرن (١) . هذا وكـــان يصنـــع - مـــن الفخـــار - الأدوات المنزليـــة كالمسارج والبرام والقـــدور والأوانى الكبيرة التى يعبـــأ فيـــها النيلـــة والعسل وكذلك لتخزين الزيوت والحبوب فى المنازل . (لوحات ٩٧، ٨٢، ١٣٥) .

وقد كانت الزبادى الفخارية مما يجعل فى جهاز العروس المملوكية (٢) مما يشـــترط علىالفاخرانيين ألا يعملوا الزبادى إلا من الحصى المطحون وأن تكون الزبدية معتدلة(٣).

ومما يذكر أنه كان بسوق الفخارين لدى مسلمى العصور الوسطى متخصصين فـــى إصلاح الأوانى الفخارية المكسورة (٤).

ويحتفظ متحف الفن الإسلامى بنماذج كثيرة للأوانى الفخارية منها قلة صغيرة مـــن فخار رقيق تشبه القدر لها بدن قصير مستدير يضيق من أسفله ليرتكز على قاعدة صغـــيرة مستديرة، ورقبتها اسطوانية متسعة طويلة بظاهرها تضليع دائرى ولـــها مقبـــض . وبـــها تآكل وبحافتها شطوف . ١٢ سم - ق الفوهة ٨ سم(٥)، بلاص من فخار أحمر اللون أحـــد مقبضيه وجزء من رقبته مفقودان يزخرف أعلى البدن دوائر بارزة متوازية وعلـــى بدنـــه زخرفة هندسية عبارة عن مجموعة من خطـــوط متوازيـــة متموجـــة تقطعـــها بـــالعرض

---

(١) Aly Bahgat : Les Fouilles de Foustat Decouverte d, un Four de potier Arabe Datant du XIVe Siecle - Exirait du Bulletin de I,Institut Egyptien, 5e Seri, T. VII

(٢) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ٦٨، على مبارك : المرجع السابق جـ ٢، ص ٣٢٩ .

(٣) ابن الأخوة : معالم القربة ص ٣٢٦ .. Mazaheri : Op . cit , P . 220

(٤) Mazaheri : Op . cit . , p . 220 .

(٥) رقم سجل ٢٣٤٥٨ .

مجموعة من دوائر متوازية وهى منفذة بالحز . ٥ر٣٥ ق الفوهة ١٠ سم من حفائر القسطاط (١).

وحمالة من فخار مطلى بوسطها شريط كتابى نسخى مملوكى وهى مكسورة وملصوقة وينقصها بعض أجزاء الارتفاع ٢٤٠ر - القطر ١٩٠ر(٢) .

* * *

(١) رقم سجل ٢٣٤٨٠ .

(٢)رقم سجل ١٤٧٥٤ .

صناعة الخزف

من المعروف أن الخزف هو فن صناعة الأوانى من الطين المحروق (١). وهذه الصناعة من أقدم المصنوعات التى عرفها الإنسان، والخزف من أهم الأشياء التى يعثر عليها المنقبون عن الآثار، والتى يستنبطون منها درجة المدنية ونوع الحضارة التى بلغتها الشعوب المختلفة فى شتى العصور(٢) . وتذكر المعاجم أن الخزف هو " ما عمل من الطين وشوى بالنار فصار فخارا . وقد أطلق الباحثون كلمة الخزف على الفخار المزجج حيث شاع استعمالها . ولعل من أهم الدوافع التى حثت الصناع على استعمال التزجيج هو سد المسامات لمنع تسرب السوائل منها، كما يجعل المصنوعات ثقيلة جميلة المظهر(٣) .

وكانت مصر من بين المراكز الصناعية التى انتشرت منها نماذج مختلفة من الخزف فى العالم الإسلامى . وقد بدأت هذه الصناعة تزدهر بمصر فى العصر الطولونى، ثم أخذت فى سبيل التقدم حتى بلغت مبلغا عظيما من الرقى فى عهد الفاطميين، فأصبح يصنع من الخزف الفناجين والقدور والصحون وبعض المواعين، ولا أدل على رواج هذه الصناعة من أن التجار المصريين كانوا يستخدمونها عوضا عن الورق فى الوقت الحاضر، فيضعون فى الأوانى الخزفية ما يبيعونه ويأخذها المشترون بالمجان(٤) وازدهرت هذه الصناعة فى مصر وسوريا فى العصر المملوكى وبلغت الزخارف النباتية الطبيعية درجة كبيرة من الدقة والإتقان. على أننا نلاحظ أن إنتاج الأوانى الخزفية ذات البريق المعدنى قد توقف إنتاجه فى مصر، فى حين استمر فى الظهور فى سوريا، حيث عثر بها على أوان ترجع إلى القرن السادس عشر مزخرفة بزخارف البريق

---

(١) محمود صابر : الخزف صناعة وفن وتاريخ، ط ٢، مطبعة مصر ١٩٥٠ م، ص ١ .

(٢) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١٤٧ .

(٣) خليل حامد حمودى الأعظمى : خزف سامراء الإسلامى، مجلة سومر الجزء الأول والثانى المجلد الثلاثون - ١٩٧٤ م، ص ٢٠٤ .

(٤) جمال الدين سرور : المرجع السابق، ص ٣١٣ .

المعدنى المتعدد الألوان (١). وقد وصلت إلينا أسماء الكثيرين من الخزافين، منهم غيبى وغزال والهرمزى وأبو العز(٢) .

ويعتبر غيبى بن التوريزى أشهر خزافى العصر المملوكى فى أواخر القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر، وهو يتزعم مدرسة كبيرة من خزافى هذا العصر ممن سجلوا أسماءهم على منتجاتهم، وتربطهم به صلة الصانع بأستاذه أو الناسج على منواله، ويشبه غيبى فى هذا الخزاف أبا القسم مسلم بن الدهان ومدرسته فى العصر الفاطمى .

وقد كشف لنا الحفائر فى منطقة الفسطاط وفى أنحاء أخرى من القاهرة، عن عشرات من القطع الخزفية الجميلة تحمل اسم(٣) هذا الخزاف النابه، ويضم متحف الفن الإسلامى بالقاهرة مجموعة طيبة من منتجاته، ويتوزع الباقى فى عدد كبير من المتاحف العالمية ضمن مجموعات الخزف المصرى بها .

وبالرغم عن ندرة المعروف من تحفه الكاملة، فإن العدد الكبير من أجزاء الأوانى التى تحمل توقيعه تمدنا بمعلومات كافية عن هذا الخزاف وأسلوبه الفنى، وتكشف لنا عن مدى تأثير الخزف المصرى فى هذه الفترة بأشكال وزخارف أوانى البورسلين الصينى التى كانت القاهرة تستورد كميات كبيرة منها فى هذا العصر، وكانت ترد إليها رأساً من بلاد الصين عن طريق البحر(٤) .

وقد أدى الإقبال على استيراد هذه الأوانى الصينية وشغف سراة القوم إلى إشعال جذوة المنافسة فى صدور الخزافين المصريين فأنتجوا أوانى ورسوم جميلة يغلب عليها اللون الأزرق على أرضية بيضاء تحاكى الرسوم والزخارف

---

(١) نعمت إسماعيل علام : فنون الشرق الأوسط فى العصور الإسلامية، ص ١٩٥ .

(٢) محمد مصطفى : الخزف الإسلامى،ص ١٧ .

(٣) انظر لوحة رقم (٦٧) .

(٤)عبد الرءوف على يوسف : غيبى بن التوريزى – مقالة بكتاب القاهرة، مؤسسة الأهرام، ص١١٥

الصينية، وغطوا هذه الأوانى بطلاءات(١) زجاجية شـــفافة رقيقـــة غايـــة فـــى الرونـــق والإتقـــان .

وتبين لنا منتجات غيبى بن التوريزى ومدرسته كيف استطاع الخزافون المصريـــون فى هذه الفترة مجاراة أسلوب العصـــــر فـــى صناعـــة الأوانـــى وزخرفتـــها، ومنافســـة البورسلين(٢) الصينى مع الاحتفاظ بأصالتهم الفنية وطابعهم المصرى . وقـــد قـــاد غيبـــى الخزاف هذا الاتجاه ونجح إلى حد كبير فى أن يجعل من منتجاته مع زملائه سلعة رائجـــة تنافس الأوانى المستوردة من أنواع البورسلين المصنوع فى بلاد الصين(٣) لا ســـيما فـــى عهد أسرة مينج (١٣٦٨ – ١٦٤٤ م)، سواء فى ألوانه أو فيما يمتاز بـــه مـــن رســـوم الحيوانات والطيور والنباتات، القريبة من الطبيعة فى شـــكلها ومـــا فيـــها مـــن حركـــة، والمرسومة بالألوان الأزرق والأخضر على أرضية بيضاء(٤)، ومـــن الملاحـــظ أن هـــذه الرسوم من نباتية وحيوانية قريبة الصلة من زخارف الخزف المنسوب إلى سلطانباد مـــن العصر نفسه . كما وصلنا من إنتاجه رسوم آدمية قليلة على الخزف ترجع إلـــى حوالـــى منتصف القرن ٨ هـــ / ١٤ م . وهذه تتميز بالسحنة والملابس ذات الطابع الصينى(٥) .

ويدل الأسلوب الفنى لهذا الخزاف على أنه عاش فى أواخر القرن الســـابع وأوائـــل القرن الثامن الهجرى (١٣ و ١٤ م) .

---

(١) الطلاءات الزجاجية هى مواد تحضر على شكل مسحوق يخلط بالماء وتطلى به الأوانى الخزفية التى أحرقت إحراقاً أولياً . ومن طبيعة هذه الطلاءات الانصهار تحت تأثير الحرارة العالية فتكون طبقـــة زجاجية رقيقة متحدة بسطح الآنية .

وتسد الطلاءات مسام الأوانى فتمنعها من ترشيح السوائل وفوق ذلك تكسبها نعومة ورونقاً .

محمود صابر : الخزف، مطبعة مصر ١٩٥٠ م، ص ٢٧ .

(٢) البورسلين من أنواع الخزف الذى شاع استعماله فى بلاد الصين فى العصور الوسطى واكتشف فـــى أنحاء عديدة من العالم . ويصنع هذا النوع من الخزف من طينة خاصة تمتاز بأنها تتحمـــل درجـــة مرتفعة جداً من الحرارة، ومن هنا كان لها رنين كرنين الأوانى المعدنية إذا ما نقر عليه . ومن أبرز خصائص البورسلين الصينى هو لونه الأبيض الجميل وخلوه من الزخارف والنقوش .

انظر : خليل خالد الأعظمى : المرجع السابق، ص ٢١٤ .

(٣) عبد الرءوف على يوسف : غيبى بن التوريزى، ص ١١٥ .

(٤) محمد مصطفى : الخزف الإسلامى، ص ١٧ .

(٥) حسن الباشا : فنون التصوير الإسلامى فى مصر، ص ١٣٢ .

ووجد فى عصر المماليك أسلوب فنى آخر فى زخرفة الخزف احتفظ بالتقاليد الفنيـة المستوطنة فى مصر منذ العصر الفاطمى (١).

وقد صنع من الخزف الأوانى الخاصة بالمائدة مـن أطبـاق وسـلاطين وأكـواب وأباريق وقدور وملاحات بالإضافة إلى أوانى الزهور والزمزميات وتماثيل الزينـة التـى كانت تستخدم أحياناً - بعد عمل ثقوب بها - كمباخر أو شماعد .

ومن الجدير بالذكر أن المحتسب كان على دراية تامة ببعض أساليب الغـش التـى يقوم بها باعة الخزف ليروجوا بعض بضاعتهم الغير سليمة فكان يأخذ على باعـة قـدور الخزف والكيزان والأوانى أنهم لا يطلون ما كان مثقوبـاً منـها، أو مشـقوقاً أو معمـولاً بالجبس المعجون بالشحم، وبياض البيض، والخزف الأحمر المسحوق، ويبيعونه على أنـه سالم، فإذا وجد عند أحد منهم خزفاً على هذه الصفة أدبه ليكون ردعاً لغيره (٢).

ومن المحتمل أن العروس المملوكية أقبلت على شراء الأوانى الخزفيـة - لتكـون من ضمن أدوات المائدة بجهازها - لما حفلت به من رسومات نباتية وحيوانيـة وكتابيـة وآدمية ملونة تسر العين وتبهج النفس . ومما يذكر أنه كان بجهاز ابنة أحد الأمراء بعصـر المماليك "من الصينى ثلاثة وثلاثين حمالاً "(٣) وهذا يدل علـى كثرتـها، وربمـا يقصـد بالصينى الأوانى تقليد البورسلين التى ازدهرت صناعتها فى ذلك العصر .

* * *

---

(١) محمد مصطفى : الخزف، ص ١٧ .

(٢) ابن الأخوة : المرجع السابق، ص ٣٢٥ .

(٣) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ٦٨ .

صناعة العطور

كانت العطور فى مصر القديمة تتألف – على الخصوص من الزيـــوت والشـــحوم (الدهانات) العطرية وكثيراً ما نص فى الكتابات المصرية القديمة وفيمـــا خلفـــه بعـــض مؤلفين من اليونان والرومان على استعمالها (١). ومما يذكر أن صناعة العطور لم تتغـــير على مدى القرون، إذ ما زالت تسحب عصارة لحاء الشجر والأغصان الطريـــة ويحـــرق الخشب مثلاً . وقد استطاع العالم العربى ابن سينا فى القـــرن الرابـــع الـــهجرى العاشـــر الميلادى استخلاص العطر من الزهور بواسطة التقطير فقد سخن بتلات الورد فى المـــاء وتمكن من فصلها وحفظها وبذلك توصل إلى صناعة عطر دائم الأثر . وكان اكتشافه هـــذا بمثابة تغيير جذرى فى صناعة العطور تطور بفعل التجارب المطردة عليه، منـــها أيضـــا استخلاص العطر من غزال المسك بواسطة غدة صغيرة قريبة من سرته لا يزيـــد طولـــها على بوصتين ، استطاع العلماء إزالة هذه الغدة دون قتل الحيوان، وللمســـك المســـتخلص من هذه الغدة فائدة أكبر من كونه عطر ذا رائحة طيبة فقد توصـــل العلمـــاء إلـــى أن للمســـك خاصية كيميائية تجعله مادة مثبتة للعطور . فدخل المسك المستخلص مـــن الغـــدة كمـــادة أساسية فى صناعة بقية العطور وذلك بأن نضيف لها خاصية الثبـــات والحفـــظ لســـنوات طويلة (٢).

ويستخلص زيت العنبر(٣) من معدة حوت العنبر ... وقد يحضر العنـــبر صناعيـــا ولكن رائحته تختلف عن رائحة العنبر الطبيعى، كما أنه أقل جودة منه .

---

(١) لوكاس : المواد والصناعات، ص ١٤٥ .

(٢) نجلاء العزى : الإنسان والعطور (بحث بمجلة الدوحة – العدد ١٢٤ – رجب ١٤٠٦ هـــ / إبريـــل ١٩٨٦ م)، ص ٨٨ .

(٣) العنبر نوع من الطيب كالزعفران والورس وهو نوع من الأعطار ذو رائحة طيبة .
أحمد تيمور باشا : الموسوعة التيمورية من كنوز العرب، القاهرة ١٩٦١ م، ص ١٤٤ .
وهو مادة طيبة شهباء اللون تشبه الشمع، إذا سخنت تخرج منها رائحة طيبة .حسام الدين السامرائى، ص ٩٦ حاشية (٤) .

وللعنبر عدة ألوان مختلفة، وإذا أذيب فى الكحل أعطى رائحة مقبولـــة نوعـاً وإذا وضع على الملابس ظل محتفظاً برائحته مدة طويلة حتى بعد غسيل هذه الملابـــس ومـــن خواص العنبر أنه أقل كثافة من الماء، ولا يذوب فيه (١).

وتختص بإنتاج معظم الزيوت العطرية عائلات نباتية تمتاز أفرادها برائحتها الزكيـة التى تبلغ أوجهها وقت الأزهار وتفرز هذه الزيوت . وقد عرفت الدهون والزيوت البســيطة بعـد تعطيرها من قديم الزمان واســتعملت كمرطبـات أو كمغنيـات للجلـد ثـم نمـت وارتقـت مـع الحضارة(٢).

ومن الطبيعى فى جو حار كجو مصر أن توضع الزيوت والشـــحوم علـــى الجلـد والشعر وهذه عادة شائعة فى العصر الحاضر فى النوبة والسودان وجـهات أخـرى مـن إفريقيا وهناك أكثر من نوع من الزيوت، أما الزيت الذى كان يستعمله الفقراء فهو زيـــت الخروع، كما يقول استرابو ولا يزال هذا الزيت مستعملاً لهذا الغرض ببلاد النوبة . أمـــا الشحوم والدهون الجامدة فكان مجـال الاختيـار فيـها ضيقـاً منحصـراً فـى الدهـون الحيوانية(٣).

وتختص بإنتاج معظم الزيوت العطرية عائلات نباتية تمتاز أفرادها برائحتها الزكيـة التى تبلغ أوجها قامت الأزهار . وتفرز هذه الزيوت العطرية إما بواســـطة غـدد قـد لا تفترق فى شكلها أو تركيبها عن بقية الخلايا النباتية المحيطة بها، وإما بواسطة غدد تتـألف من خلايا متميزة فى شكلها وتركيبها عما يحيط بها من الخلايا الأخـرى . ومعظـم هـذه الزيوت العطرية توجد فى الخلايا النباتية ممتزجة بمواد راتنجية وصمغية ومـواد دهنيـة ومواد زلالية أو مواد دباغية .

وتتكون بعض الزيوت العطرية فى النبات نتيجة لأعراض مرضيـــة ناشـئة عـن تجريح النبات كما هو الحال فى الجاوى والميعة السائلة وبلسم بيرو والبعـــض الآخـر لا

---

(١) عصمت عزيز عوض : صناعة العطور، القاهرة ١٩٦٣ م، ص ٢١ .

(٢) محمد أحمد حماده : مستحضرات التجميل، ص ٤٤ .

(٣) لوكاس : المرجع السابق، ص ١٤٥ .

يوجد فى النبات الحى بل تنشأ فيه بعد تجفيفه مثال ذلك زيت السوسن، فالنبات الأخضـــر ليس له الرائحة الزكية التى تشمها بعد تجفيفه (١).

وقد حبا الله مصر بطبيعة رائعة تساعد على زراعة الكثير من الزهور فيذكر ابـــن ظهيرة عن بساتين مصر أنها " عظيمة كثيرة، ومناظرها عالية، ومياهها جاريـــة غزيـــرة، فيها كثير من الأشجار النقرة، والأزهار العطرة والرياحين " (٢).

وعن أنواع الرياحين التى تجود زراعتها بمصر يذكر ابن فضل الله العمـــرى أنـــها كثيرة " كالحبق، والآس، والورد، والنيلوفر، والنسرين، والبـــان، والتمرحنـــة، والمنثـــور، والياسمين"(٣). واعتمادا على هذه الطبيعة وما أنتجتها من زهور اشتهرت مصر بصناعـــة الزيوت العطرية المستخرجة من الزهور، وكان زيت الياسمين من العطـــور التـــى تقبـــل عليها النساء وكان يصنع فى دمياط (٤).

كما تركز صناعة ماء الورد فى الفيوم، حيث كانت مصانع التقطير تستعمل أزهـــار الورد التى تنتجها تلك المنطقة (٥).

وكانت طريقة استخراج العطور النباتية تنحصر فى عصر قشـــور ثمـــار بعـــض النباتات التاريخية أو فى تقطيرها بالأنبيق أو فى تشبع زيت الزيتون وزيت البان بها (٦).

ويتم تقطير المياه العطرية بأن يسخن الماء لدرجة الغليان كأداة لنقل الزيوت النباتيـة الطيارة وحملها إلى قابلة التكثيف – ويستخدم فيها الأنبيق – وتتطلب هذه الطريقة عنايـــة شديدة حتى لا تتعرض الأجزاء النباتية للاحتراق أثناء التقطـــير عنـــد ملامســـتها لســـطح

---

(١) محمد أحمد حماده : المرجع السابق، ص ١٩٩ .

(٢) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة، ص ٢٠١ .

(٣) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، ص ١٦ .

(٤) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب – الجزء الأول من القسم الخاص بمصر نشره د . زكى محمد حسن، د . سيد إسماعيل، د . شوقى ضيف مع مقدمة للدكتور زكى محمـــد حســـن، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٣ م، ص ١١ .

(٥) أحمد أحمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادى، ط ٣، ص ٢٠ .

(٦) أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق، ص ٩٠ .

الأنبيق الساخن أو انخفاض الماء عن سطحها، وهذا يؤدى إلى تلـــف الزيــوت الطيــارة واكتساب المياه العطرية رائحة وطعما غير مقبولين . وهذه هى الطريقة القديمة التى مـــا زالت تستخدم فى مصر والبلاد الشرقية حيث المياه العطرية هى الناتج الرئيســـى مــن هــذه الطريقة(١).

وكان من مستلزمات التجميل استعمال دهانات خاصة لتنعيم بشرة الوجه . وكـــانت أيسر الطرق للحصول على هذه الدهانات تتلخص فى تحضير كمية من مادة دهنية يضــاف إليها مقدار من مسحوق الملح والشب وماء عطرى لتنقيتها وتترك العجينـــة هكــذا حتـــى تزول رائحة الدهن ثم تسخن على حمام مائى وتلقى الأزهار فى هذا المزيج وبعـــد مــدة تفصل الأزهار عن الدهن بالتصفية فى شبكة رقيقة ثم تلقى فيه أزهار حديثة وهكذا حتـــى بالرائحة العطرية للأزهار ويصير صالحا للاستعمال (٢).

هذا ولتكوين عنبر ممسك يحل المسك بكثيره قــد نقعت بماء خلاف ويعمـــل منــه تفافيح كالعنبر وماء الخلاف يذكيه ولا يستعمل فيه ماء الورد فإنه يقطعـــه (نــوع ثــانى أفضل من الأول) واذكارايحه يحل العود بماء الورد على حجر الصندل فإذا صـــار منــه شياجيد يحضر فى خرقة حتى لا يبقى فيه ماء ويترك فى زبديـــة ويحــل أيضــا صنـــدل مقاصيرى ويعمل به كالعود اجزاين متساويين ويخلط الجميع ويحل بمـــاء ورد فــى إنــاء ويبسط فى الانارقيقا ويبخر دفعات بعود ودفعات بعنبر وبين كل تبخيرتين أو ثلاثة يـــرش عليه ماء ورد ويحيل ويبسط كالأول ويعاود البخور فإذا أخذ حده يجعل فيه قليل من زبـــاد وقليل من المسك وينشف فى الانا ويحيل بكثيرة منقوعة فى ماء ورد ويعمل منـــه عنــبر بنــادق صندل ، وكلمــا انقطع يرش عليــه ماء ورد ويبخر فإنــه يزكى رائحته(٣) أمـــا فى طريقة استخراج دهن البان فهى كالآتى :

---

(١) عصمت عزيز عوض : المرجع السابق، ص ١٧ .

(٢) أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق، ص ٩٢ .

(٣) الوصلة إلى الحبيب فى وصف الطيبات والطيب، مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة – صناعــة تيمور رقم ٦١ .

٦ – يأخذ حب البان يقشر ويطحن فى أرحيـــة كارحيـــة الـــبزر يعرفونـــها فـــى الشام بالحلاحل فإذا طحن يجعل فى قـــدر نحـــاس كبـــيرة تســـع عشـــرة كيـــالج بكيلـــج الشام فإن لم رحا تطحنه فتدق فى الهاون أو الجرن حتـــى يلعـــب دهنـــه ويضـــع منـــه فى القدر ما علا إلى ثلثيها ويصب عليه فى الماء مـــا يغمـــره وزيـــادة بـــأربع أصـــابع مفتوحة ويوقد تحته بالحطب الحرك الغليظ حتـــى يغلـــى ويطبـــخ نصـــف يـــوم وكلمـــا نقص الماء يزاد حتى إذا كان الظهر يقطع عنه الوقـــود ويـــترك حتـــى يـــبرد وتنطفـــى ناره ثم يلتقط ما طلع فوقه من الدهن فى آنية حتى لا يبقـــى لـــه مـــن الدهـــن شـــئ ثـــم يرمى التفل والقشور بما فيه من الماء ويجعل الدهـــن فـــى إنـــاء حتـــى يجلـــس ويرفـــع رايقه فإن أردت طبخه بالأقاوية وفيه تظـــهر الصنعـــة فقـــد ذكـــر أحمـــد بـــن يعقـــوب مولى ولد العباس أنه يجعل دهن البان المذكور فـــى قـــدر بـــرام كبـــيرة ويطبـــخ بمثلـــه من الماء الصافى حتى ينشف الماء نفعـــل بـــه ذلـــك ثـــلاث مـــرات ويطبـــخ بـــالورد ويطبخ بماء الورد والصند الأصفر المقاصيرى مدقوقـــاً منخـــولاً حتـــى ينشـــف المـــاء يفعل به ذلك ثلاثة مرات ثم يطبخ بالمسك الجيـــد المحلـــول فـــى المـــاء الـــورد حتـــى ينشف ويصفى ويؤخذ رايقه ثم يجعل من المسك المحلـــول فـــى مـــاء الـــورد ويطبخـــه حتى ينشف فهذا دهن بان الغاليـــة (١).

وقد تعرض باعة العطـــر وصـــانعوه إلـــى المراقبـــة الشـــديدة مـــن المحتســـب، ويذكر ابن الأخوة أنه يجـــب علـــى المحتســـب أن لا يمكـــن أحـــد مـــن بيـــع أصنـــاف العطر إلا من له معرفة وخبرة وتجربة، ويكون ثـــقـــة أمينـــا فـــى دينـــه (٢).

ويذكر ابن بسام " أنـــه ينبغـــى أن يعـــرف عليـــهم عريفـــا ثقـــة، فـــإن غشـــوش العطر أشياء كثـــيرة، مختلفـــة بحســـب غشوشـــها، واختـــلاف أنواعـــها، فمـــن ذلـــك المسك، يعمل من اثنى عشر صنفا مغشوشـــة كلـــها، فمنـــه يعمـــل مـــن زراوندورامـــك ودم الأخوين، ويعجن بمثله مسك جيد، ويعمل منه أيضا عنـــبر، ومنـــه مـــا يعمـــل مـــن سنبل الطيـــب ويولـــد بـــالعود، وقرنفـــل وشـــادروان، وزعفـــران ويعجـــن بمـــاء ورد

---

(١) الوصلة إلى الحبيب، الورقة ٦ القسم ٢ السطور من ٥ – ٢٣ .

(٢) ابن الأخوة : المرجع السابق، ص ١٩٩ .

ويخلط بمثله مسك جيد خالص . وقد عملت نوافج مسك من قشور الأملج والشيطرج الهندى، ومثله شادوران، ويعجن بماء صمغ الصنوبر، ويخلط مع كل أربعة مثاقيل من هذه العقاقير مثقال واحد مسك، ويحشى فى النافجة، ويسد رأسها بماء صمغ، وتجفف على رأس تنور، ويباع " (١).

---

(١) الزراوند نبات ورقة طيب الرائحة، الرامك مادة سوداء كالقار تخلط بالمسك ويسمى هذا المزيج السك، العنبر مادة صلبة شهباء اللون تشبه الشمع إذا سخنت خرجت منها رائحة طيبة .
العود خشب شجر طيب الرائحة، وهو معروف فى التجارة والطب والصيدلة وصناعة الأثاث من قديم الزمان فى الشرق والغرب .
الشادروان حجر أسود براق يتكون فى تجويفات أصول الأشجار العتيقة مثل الجوز، فإذا قطفت الشجرة وجد فى وسطها .
النوافج جمع نافجة، وهو الجلد الذى يجمع فيه المسك .
الأملج شجر ينمو ببعض أقاليم الهند وثمرته تشبه الكمثرى الصغيرة، وكانت تستخدم فى العقاقير .
الشيطرج، نبات هندى ينمو فى القبور والحيطان العتيقة، وله رائحة حادة جدا .
انظر : حسام الدين السامرائى محقق نهاية الرتبة لابن بسام، ص ٩٦ الحواشى من ٢ - ٩ .

صناعة الكحل

من المعروف أن الكحل شاع استعماله فى العصر الإسلامى فى التجميل والعـــلاج ولذلك كان يحضر حسب مواصفات خاصة . فكانت المادة سواء نباتية أو معدنية تدق ثـــم تعجن بالصمغ العربى أو الكتيرا (تنقع فى الماء وتصفى ثم تسحق مرة ثانية) .

وتشمل مجموعة د . هنرى أمين عوض التى أهداهـــا إلـــى المتحـــف الإســـلامى بالقاهرة ٢٠ مكحلة زجاجية بيضاوية الشكل ذات ألوان مختلفة أزرق فاتح وأزرق غامق وعســـلى كستنائى وأبيض وفروزى وبنفسجى غامق وبها قطع متماسكة من الكحل لأنها عجائن ثـــم جفت.

وقد قام الدكتور هنرى(١) بتحليل هذه الأكحال فوجد أنها من مواد نباتية أو معدنيـــة وتخلو من المواد الدهنية .

وبالنسبة للمواد النباتية فهى :

١ – انزروت وهو صمغ يكثر شجره فى فارس شبيه بـــالكندر وقـــد ذكـــره جـــالينوس وديسقوريدس وابن سينا وهو ذو قوة تقطع الرطوبة السائلة فى العين والكحل يســـمى الكحل الفارسى .

٢ – الرازيانخ وهو نبات له حب كالكمون وقد لوحظ منذ قديم الزمان أن الهوام والأفـــاعى عندما تخرج من أوكارها بعد فترة من البيات فى أحجارها المظلمـــة تدلـــك عينـــها بالرازيانخ حتى تكتسب حدة فى البصر .

٣ – العصفر وهو زهر القرطم .

٤ – الكندر قشر اللوز .

المواد المعدنية :

١ – أثمد وهو حجر يخالطه كبريتيد الرصاص (جالينا Galena) كحـــل حجـــر والأنتيمون استعمل من عصر البدارى حتى العصر الإسلامى (ولون الحجر كحلى غـــامق – أسود) وهو براق فى صفائح ملساء والكحل الناتج منه يسمى الكحل الأســـود – قـــال

---

(١) بحث مطبوع للدكتور هنرى أمين عوض فى :. Washington, 1976

ديسقوريدس أن له قوة مخففة للدموع ويقوى عصب العين وينفع المشايخ والعجائز الذيـــن ضعفت أبصارهم من الكبر، وقال ابن البيطار أنه يمنع من الحرارة والرطوبـــة العارضـــة للعين وقال الرازى أنه يحفظ صحة العين .

المواد الحيوانية :

أحيانا يجعل فى الكحل شئ من المسك لأنه يقوى العصب .

وبالإضافة إلى الكحل المصنوع من سناج قشر اللوز يصنع الكحل من سناج اللبـــان العطرى المحروق . وهذان النوعان، مع الاعتقاد بفائدتهما للعين، يستعملان للزينة فقط .

أما الكحل المستعمل لخواصه الطبية الحقيقية فأهمها الكحل المصنوع من مســـحوق الرصاص، المضاف إليه العنزروت وعرق الذهب وسكر النبات ومسحوق الذهب البندقـى، وأحيانا مسحوق اللآلئ (١).

هذا وقد ذكرت وثائق الجينيزا الكثير من صناع الكحل (الكحالين)، حيـــث كـــان الكحل من هدايا الزواج التى كانت تتمتع بمنزلة خاصة وكان يوضع فى قنينات مصنوعـــة من مواد ثمينة مثل الذهب والفضة والبللور (٢).

ومن الجدير بالذكر أن أهالى أسوان برعوا فى صناعة الكحل التـــى عرفـــت فـــى العصور الوسطى باسم " صناعة اليد " ومن الذين أجادوا تلك الصناعـــة، ونبغـــوا فيـــها، الطبيب هبة الله بن صدقة الأسوانى – ت ٦٤٢ هـــ / ١٢٤٥ م إذ تـــوارث أبنـــاؤه تلـــك الصناعة، واشتهروا بها فى القاهرة (٣).

---

(١) لين : المرجع السابق، ص ٣٨، ٣٩.

(٢) Goitien : Op . cit ., P . 259.

(٣) محمد محمد الحويرى : المرجع السابق ص ٩٢ .

صناعة الحصير

كانت صناعة الحصر وما زالت من أهم الصناعات الصغيرة بمصـــر، فقـــد وجـــد الحصر فى تسيان والبدارى فى عصر ما قبل الأسرات، واستمرت منذ ذاك العهد البعيـــد حرفة يدوية أصيلة حتى عهدنا الحاضر . ويلاحظ أن طريقة صناعة الحصر عند القدمـــاء المصريين مصورة على أحد جدران مقبرة من الأسرة الثانية عشرة ببنى حسن .

هذا وقد قورن حصير وجد بجهة كفر عمار ويرجع تاريخه إلى الدولة الحديثـــة، أى حوالى سنة ثمانمائة قبل الميلاد بحصير حديث الصنع فوجدت طريقة صناعتهما متطابقـــة، عدا فارق بسيط فى طريقة لحمة الحصير، ففى النماذج القديمة تستخدم أنـــواع لينـــة مـــن القش، فى حين تستخدم فى الأنواع الحديثـــة منـــها ســـيقان الحلفـــاء الصلبـــة(١) وزاول المصريون هذه الصنعة فيما تلى ذلك من عصور حتى تعددت مناسجه وصنعوا حصـــيرا ملونا فى عصر الفواطم (٢).

ومن الواضح أن هذه الصناعة انتشرت فى عصر المماليك حتى أهلت لوجود مكـــان لبيعها عرف بفندق الحصر كانت تباع فيه الحصر الرفيعة والحصـــر القطبـــان(٣) التـــى اشتهر إقليم الفيوم بصناعتها فى عصر سلاطين المماليك (٤). ويبدو أن الرهبان المســـيحين كانوا يساهمون فى هذه الصناعة إذ شكا أحد المعاصرين من أن الرهبان كـــانوا يبيعـــون الحصر التى يضفرونها فى المساجد .

وبالنسبة لصناعة الحصر فى سنة ١٧٩٨ م نجد أن الأنواع الممتازة مـــن الحصـــر كانت تصنع من السمر الذى ينبت على ساحل برك وادى النطرون، ويصبغ قش الحصـــر عادة بألوان متعددة (٥).

---

(١) سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر، ص ٥٠ .

(٢) ونستشف ذلك مما ذكره ناصر خسرو : سفر نامه ص ٥٩ .

(٣) هذا الفندق بموردة الخلفاء عمره المقر الأشرف المرحوم السيفى تنكز الحسامى .
ابن دقماق : المرجع السابق، جـ٤، ص ٤٠ .

(٤) قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ص ١٢٤ .

(٥) سعد الخادم : الصناعات الشعبية، ص ٨٨ .

وأنواع الحصير بسيطة للغاية، فهى أنواع ترتفع ارتفاعا بسيطا عن سـطح الأرض، ويستعين الصناع بخيوط الدبار لتسديتها .

ويصنع الحصر بالقاهرة والفيوم ومنوف، وأجودها وأغلاها ما يصنع من أعشـــاب السمار الذى ينمو فى الفيوم فى حواف بحيرة قارون، كما ينمو فى منطقة الطرانـــة علـــى شواطئ بحيرات النطرون، ومقر صناعة هذا النوع هى قرية طامية بـــالفيوم التـــى تقـــع بالقرب من بحيرة قارون هذا وتصبغ هذه الأعشاب بالألوان المختلفة . وبعضها يصنع مـن الحلفا التى يتكاثر وجودها فى الأراضى البـــور، ويمتـــاز حصيرهـــا بالخشـــونة ويشـــيع استخدامه فى الصعيد .

كما تصنع الحصر – فى كل مكان – من سعف النخيل، تلك الشجرة التى يعود كـــل جزء من أجزائها على الناس بالنفع ويوجد هذا النوع من الحصير فى كل المناطق الآهلـــة ابتداء من أسوان حتى الإسكندرية، ويحصل عليها الناس بثمن زهيد يجعلها فـــى متنـــاول الفقير (١).

ويصنع الحصير بطريقتين :

الطريقة الأولى هى الطريقة البدائية التى لا يستعمل فيها نول، بـــل تقـــوم اليـــدان مكانه. ولذلك فهى تعتمد اعتمادا كليا على مهارة العامل وخبرته وطول مرانه . وتعـــرف هذه الطريقة باسم النسج المزدوج أو الضفر المزدوج . وتتم هذه العملية بأن يوضع خيـــط من البوص أو الحلفا أو مجموعة منها، ثم تشبك بعضـــها ببعـــض بخيطيـــن مـــن القـــش المجدول ولهذه الطريقة أشكال متعددة .

والطريقة الثانية أكثر تقدما من الطريقة الأولى، إذ يستعمل فـــى إنتاجـــها الأنـــوال اليدوية . ويشبه نول الحصر إلى حد كبير نول النسيج اليدوى الأفقى .

---

(١) علماء الحملة الفرنسية : وصف مصر – المجلد الرابع – الحياة الاقتصادية فى مصر فـــى القـــرن الثامن عشر – الجزء الأول – الزراعة والصناعات والحرف والتجارة ترجمة زهير الشايب، مكتبـــة الخانجى بمصر – ط ١، ١٩٧٨ م، ص ٢١٣ .

وتتم عملية نسج الحصير(١) بطريقتين : الطريقة القديمة وهى أن يجلس النساج على الأرض ورأس النول إلى صدره، ويأخذ فى نسج خيوط القش نسجا عاديا، فيمرر خيوط القش فوق سدايتين وتحت سدايتين، وينتج بذلك نوع من الحصر على شكل مربعات. أما إذا كان النول كبيرا مثل ذلك الذى يستخدم فى إنتاج حصر كبيرة كفرش المساجد مثلا . فإننا نجد فى هذه الحالة عاملين جالسين بجانب بعضهما البعض، ويقومان بعملية النسج فى وقت واحد، وبسرعة واحدة حتى لا يحدث أى انبعاج فى النسيج .

ويمكن لهذه الأنوال أن تنتج نوعين من الحصر . النوع الأول وهو الذى يشبه النسيج العادى إذ أن خيوط اللحمة تمر فوق سداه وتحت أخرى وتقطعها فى زوايا قائمة، وهكذا اللحمة التى تليها حتى يتم عمل الحصير . والنوع الثانى يشبه النسيج المبردى الذى يمتاز بأنه يظهر على سطح المنسوج خطوط مائلة بزوايا مختلفة الدرجات (٢).

ولم تقتصر صناعة الحصر على إنتاج الحصر الكبيرة الحجم الذى تفرش بها المساجد والمنازل فحسب بل أنتجت قطعا صغيرة الحجم دقيقة الصنع استعملت كمراوح ومذاب . كما يرجح أن تكون الأنواع الممتازة منها ذات الأحجام المتوسطة المحتوية على كتابات قد استعملت كمعلقات وستور، أما القطع التى لا تحتوى على كتابة وتقتصر كتاباتها على جمل دعائية فليس من المستبعد أنها كانت تستعمل كمصليات (٣).

ومن الجدير بالذكر أنه كان مما يأخذه العريف المخصص بصناع الحصر العبدانى والكركر ألا يصنعوا من السمار إلا القلزمى، ولا يصنعوا من السمار القطوى ولا الكراعى ولا شيئا من الأسمرة الماوية فإنها تتهرأ ولا تمسك شيئا، وألا يصبغوا إلا بالفوة القبرصية ولا يصبغوا بالبقم لأنه يتغير صبغه، وإذا وقع عليه شئ من الحموضة أصفر وتطبع فإن عزت الفوة وقلت، جعلت الثلثين فوه والثلث بقم .

---

(١) انظر لوحة رقم (٢٦٠) . وهى توضح صناع الحصير كما جاء فى كتاب وصف مصر .

(٢) سعاد ماهر : الحصير فى الفن الإسلامى، ص ٢٧ – ٣٨ .

(٣) المرجع نفسه، ص ٨١ .

وأما صباغ السمار الأسود، فيكون صبغة بماء الحديد والقلقند ويجفف مكانـــه فـــى الحوض لئلا تضعف جبلة، وتكون مياهه ظاهرة فإن الناس يتخذون منه الحصر للمســـاجد يصلون عليها، ويكون جميع قيامه من غزل الكتان المعتدل الخيط، وألا يقطعـــوا حصـــيرا حتى يداخلوه مداخلة جيدة فإنه إذا لم يداخل سمارة يصير مثل الغربال، وهو أبيات أعلاهـــا مائة وما دونه تسعون وما دونه ثمانون وما دون سبعون، و (أقله) ستون، والكركـــر لا اعتبار به »(١).

ويمثل الحصير للفلاح أهمية خاصة فهو عندما يريد أن يؤثث منزله – منذ القـــدم – يهتم بادئ ذى بدء بشراء الحصير لينام عليـــها . ويجلـــس ويســـتقبل ضيوفـــه(٢) عليـــها ويستخدمها كمائدة يضع عليها أطباق الطعام عند الأكل . ولذا يعتبر الحصير أهم ما يحمـــل فى جهاز العروس الريفية (٣).

* * *

---

(١) ابن الأخوة : المرجع السابق، ص ٣٣٩، ٣٤٠ .

(٢) حسن خطاب : المرجع السابق، ص ٨٥ .

(٣) علماء الحملة الفرنسية : وصف مصر، المجلد الرابع، ١٩٧٨ م، جـ ١، ص ٢١٣ .

صناعة السلال

وجدت هذا الصناعة فى مصر قبل العصر الفرعونى وبلغ من مهارة الصانع ودقته أننا نجد نماذج باقية منها فى غاية الدقة والجمال (١).ومما يذكر أن صناعة السلال من الخوص فى بداية العهد المسيحى ولا سيما فى القرن الثالث الميلادى ، كان يقوم بها رهبان الأديرة المصرية، وكان من أهم منتجات تلك الأديرة المسيحية - إلى جانب صناعة السلال - إنتاج الحصر - وجدل الحبال، وصناعة الغرابيل، والشباك والنعال والأحذية إلى جانب نسيج الأنوال .

وكان إنتاج تلك الصناعات أو الحرف فى الأديرة لا يهدف إلى كسب اقتصادى بقدر ما يتخذ وسيلة للتصرف وتهذيب النفس وإنكار الذات وهناك أساطير وقصص عديدة تحوم حول مثابرة الرهبان فى أثناء إنتاجهم الحصير أو السلال أو غيرها (٢). واستمرت هذه الصناعة فى العصر الإسلامى، فهى من الصناعات الريفية الأولى . وقد استخدم فى صناعتها سعف النخيل وألياقه وقش المحاصيل الزراعية وأفرع الحنة والجريد، فتصنع المقاطف من الخوص والسلال من أفرع الحنة . وقام الصانع بصناعة السلال الجميلة والمقاطف " المكتل " والقفف لاستخدامها فى حفظ الطعام أو الثياب أو الحبوب ونقل مواد المعيشة المختلفة، وفى نقل الأتربة كما صنعت الأبراش التى تشبه الحصير، بجدل أو تصفير سعف النخيل (٣).

ويبدو أن هذه الصناعة استمرت حتى عصر المماليك فقد ذكر المقريزى فى معرض حديثه عن مقتل شجرة الدر أنه عندما ألقيت جثتها فى خندق أسفل القلعة نقلت فى قفة لتدفن(٤) .

ونشاهد فى كتاب وصف مصر الذى ألفه علماء الحملة الفرنسية فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى، صانع السلال فى منزله أو دكانه، وقد جلس على حصير مجدولة

---

(١) حسن عبد الرحمن خطاب : المرجع السابق، ص ٨٦ .

(٢) سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر، ص ٥٩ .

(٣) حسن خطاب : المرجع السابق، ص ٨٦ .

(٤) المقريزى : الملوك، جـ ١، ص ٤٠٤ .

من سعف النخيل، ويقوم بصناعة السلال بجدل السعف " الخوص " وضفـره، كمـا نجـد بعض القطع وقد فرغ من صناعتها وعرضها للبيع(١) .

طريقة صناعة القفف :

تصنع القفف الخشبية من سعف النخيل الأخضر والقديم على حد سواء، أما القفـف الناعمة فتصنع من السعف الصغير الذى يأخذ اللون الأصفر عند تجفيفه، والوريقـات أى الأوراق الصغيرة الموجودة بجريد النخل هى التى تستخدم فى صنع جدائل، تخـاط بعـد ذلك لتصنع منها القفف . أما الخيط الغليظ المستخدم فى حياكة هذه الجدائل معاً، فيمر فـى الطية التى تتركها كل وريقة على حافة الجديلة، ويصنع هذا الخيط مـن ألياف عنقـود النخلة(٢) .

* * *

---

(١) حسن خطاب : المرجع السابق، ص ٨٦ .

انظر لوحة رقم (٢٦١) من هذا البحث .

(٢) وصف مصر، اللوحات ترجمة زهير الشايب، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى، ١٩٨٦ الشكل ٢ .

صناعة الجلود

بلغ المسلمون فى صناعة الجلود عامة درجة الكمال . وقياسا على ما وصـــل إلينـــا من أمثلة عديدة من جلود الكتب التى تجمع إلى دقة الصناعة ورقى الفن وجمـــال النقـــش، نستطيع أن نقرر فى اطمئنان أنهم أتقنوا صناعة الأحذية من الجلود وتفننوا فى زخرفتـــها إلى أبعد حد يؤيد ذلك فردة الحذاء المهداة إلى دار الأثار العربيـــة مـــن المســـتر رالـــف هرارى والتى تدل زخرفتها على أنها من العصر الفاطمى .

ولقد كانت صناعة النعال رائجة عند المسلمين وكانت زخارفها متنوعة على حد مـــا أشارت إليه كتب التاريخ والأدب فمنها المزخـــرف بـــالذهب، ومنـــها المرصـــع بـــالدر والجواهر، ومنها المزركش بالقصب (١).

وقد ظهرت طبقة صناع الأحذية بشكلها المتخصص (فى مصر وسوريا) حيـــث سجل فى وثائق الجينيزا أن هذه الطبقة كانت مقسمة إلى عدد من الصناع المهرة وإحـــدى هذه الوثائق ذكرت أن هناك ثلاث أنواع لصناع الأحذية وخاصـــة فيمـــا يتعلـــق بـــأنواع صناعة القالب بالإضافة إلى أنواع أخرى لصناعـــة الجلـــود (الدبـــاغين) وصنـــاع السروج(٢) .

ومما يذكر أنه كان لدى مسلمى العصور الوسطى أسواقا لصـــانعى الأحذيـــة فيـــها كانت تصنع الأحذية أمام راغبى شرائها وكان من جلد البقر والزراف والظبـــاء للفرســـان وكانت غالبية الشعب تلبس المركوب من الجلد وهو يصنع من جلد حمار حتـــى جلـــد زراف وظهر هذه المراكيب يتكون من طبقات مُتعددة من الجلد المخاطة بخيط الكتـــان اللزج . وكانت توضع فى بعض الأحيان – للركوب حديدة من أسفل الكعب تســـمى " توحدة " (٣).

---

(١) محمد عبد العزيز مرزوق : حذاؤنا فى العصر الإسلامى (مقالة فى عدد المصور الخاص بمشروع الحفاء – إبريل ١٩٤١ م .

(٢) Goition : Studiees in Islamic History , p . 257 .

(٣) Mazaheri : Op . cit ., P. 199 .

ومن الأسواق التى وجدت فى عصر المماليك سوق الأخفافيين الذى عاصره المقريزى ويذكر عنه أنه " يباع فيه خفاف النسوان ونعالهن وهو سوق مستجد أنشأه الأمير يونس النوروزى دوادار الملك الظاهر برقوق فى سنة بضع وثمانين وسبعمائة ونقل إليه الأخفافيين بياعى أخفاف النساء من خط الحريرين والزجاجين " وكان به " سكن بياعى أخفاف النساء ونعالهن التى يقال للنعل منها سرمزة " (١).

ومن الجدير بالذكر أنه مما يؤخذ على صناع أوطئة النساء " ألا يكثروا حشو الخرق فيما بين الشباك والبطانة ولا بين النعل والظهارة ويشدوا حشو الأعقاب ولا يشدوا نعلا قد أحرقته الدباغة " (٢).

ويذكر مؤلف نهاية الرتبة فى طلب الحسبة أنه على الأساكفة أن " لا يعملوا الورق واللبد وأشباهه فى أخفاف النسوان، لكى لا تصر عند المشى، كما يفعله نساء بغداد، فإنه قبيح، وشهرة لا تليق للأحرار "(٣).

هذا ولم تقتصر صناعة الجلود على صناعة الأحذية فحسب بل شملت صناعة القرب والسروج والسفر الجلدية (مفارش المائدة) .

وتعتمد صناعة الجلود على الدباغة تلك الصناعة التى يزاولها المدابغية الذين يعملون فى أحواش متسعة، وينتجون أنواعا أسفنجية من الجلود تسد حاجة الأسواق المحلية إذ يستخدمها الإسكافية والبراذعية والقربية فى عمل الأحذية والبراذع بكافة أنواعها ثم القرب وأقساط الزيت (٤).

وقد حدد المحتسب للدباغين عدة تعليمات منها ألا يدبغوا الجلود بدقيق الحنطة، وألا يدبغوا بالنخال وألا يجلدوا بواطن الأسفاط إلا من الجلود التى يجلدون بها ظواهرها ويمنعوا من دباغ جلود المعز، إلا بالقرط اليمانى، ويكون دباغها بوزنها من القرط، لأنه

---

(١) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ١٠٥ .

(٢) ابن الأخوة : المرجع السابق، ص ٢٣٣ .

(٣) الشيزرى : المرجع السابق، ص ٧٣ .

(٤) سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر، ص ٨٦ .

قد تقدم على كل وزن مائة جلد صغير أربعون رطلاً بالمصرى، وتقدير كل مائة جلد كبير وزناً ستون رطلاً بالمصرى ، وما زاد يدبغ بوزنه على وزنه على عود الجلود ، وتنقع فى الحوض بالقرض ثلاثة أيام وتنقل إلى حوض آخر، وعليه من القرط مقدار وزنه الأول يفعل ذلك أربع دفعات متوالية ، لتنقى من شحومها وغشها ، ودباغ الدست ثلاث دفعات ، ويغش الرابع بالعفص وهو مضر بالجلود مهلك لها، وعلامة غش الدست أن جلوده تسود من الشمس، ودباغ الصيف خير من الشتاء، والعفص فيه عيب وكذلك القرط المصرى، وأما جلود البقر فيمنعوا أن يخلطوا الميتة بالمدبوغة (١).

ويذكر دى شابرول بكتاب وصف مصر أن الجلد الذى يستخدم فى صنع نعال الأحذية هو عادة من جلد الجاموس ويصل هذا الجلد عادة إلى المدبغة وهو مملح ويوضع فى أحواض مليئة بماء الجير ويمكث هناك لمدة حوالى عشرة أيام وبعد ذلك ينزع شعره ويوضع من جديد لمدة يومين أو ثلاثة أيام، ويجرده العامل بسكين ذات مقبضين ويغسلها بالماء عدة مرات وبعد ذلك يضعها فى أحواض حجرية مع نوع من الحب المصحون، ويبدو أن هذه الحبوب هى والجير المجففان الوحيدان اللذان يستخدمان، وتبقى الجلود لمدة ١٥ يوماً فى الحوض الأخير ثم تسحب لتغسل بعناية ثم يرش ببذر الكتان وبعد أن يمر الجلد بهذه العملية . وبعد أن يجفف يباع لصناع الأحذية (٢).

* * *

(١) ابن الأخوة : المرجع السابق، ص ٣٣٥ .

(٢) ج . دى شابرول : المرجع السابق، ص ٢٨٠، ٢٨١ .

صناعة السجاد

يبدو أن مصر القديمة لم تعرف السجاد المعقود وإذا كان القبط قد أظهروا براعتهم في فن نسيج القباطى إلا أنهم لم يصنعوا سجادا حقيقيا معقودا (١).

وقد كشفت لنا حفائر الفسطاط عن أجزاء من سجاجيد جميلة ذات كتابة كوفية - منها جزء من سجادة محفوظ بمتحف الفن الإسلامى برقم سجل ١٤٦٨٠ مقاس ٣٢ x ١٩سم ، صنعت من سداة من خيوط الكتان غير المصبوغ واللحمة من خيوط الكتان المصبوغ . والعقدة من نوع جورديز وصفوف العقد مرتبة بحيث يلى كل صف منها أربعة صفوف من خيوط اللحمة ويتفاوت عدد العقد فيما بين ١٨ - ٢٠ فى السنتيمتر المربع، الخميلة من الصوف من هذه القطعة من نوع السجاد الوبرى المعقود ومثل هذا النوع من السجاجيد لا يمكن إنتاجه دون شد خيوطه على النول لأنه الوسيلة الرئيسية لشد خيوط السداة لعقد خيوط الخميلة عليها فى صفوف متبادلة مع الضغط على خيوط اللحمة أثناء النسج للحصول فى النهاية على أجمل السطوح الوبرية وقد ظهر من فحص هذه القطعة أنها لا تختلف فى نسجها عن السجاجيد التى تنسب إلى جورديز بآسيا الصغرى فى القرن ١٠هـ/١٦م وما بعده .

وتحمل هذه القطعة كتابة كوفية نصها " لرحمن ... بن سديج " ، وهذه السجادة ذات خيوط مغزولة فى اللحمة والسداة وخميلة معقودة على خيوط السداة ولذلك كله تعتبر نقطة الارتكاز فى صناعة السجاجيد فى مصر الإسلامية فى العصر الأموى (٢) . وقد أمدتنا حفائر الفسطاط أيضا بقطع من السجاد التى تؤرخ بما عليها من زخارف وكتابات إلى العصر العباسى ومنها قطعة رقم ١٤٩٣٩ بمتحف الفن الإسلامى - مقاس ٤٦ x ٣٨ - عليها كتابة أقرب تفسير لقراءتها هو : " مد ولأنبتت معشباو "(٣) .

---

(١) Gaston Migeon : Manual d, Art Musulman , VOL .II , Paris 1927 , P . 350 .

(٢) د . عبد الرحمن فهمى : أقدم السجاجيد الإسلامية فى مصر، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، عدد ٢٠، سنة ١٩٦٠، ص ١٠٥ - ١٠٧ .

(٣) المرجع نفسه : ص ١١٠ ، ١١١ .

هذا وقد كانت صناعة السجاد مزدهرة فى مصر فى العصر الفاطمى، وكـــان مـــن أهم مراكزها مدينة أسيوط (١).

ويذكر بريس دافين أن السجاد فى القرنين الـــ ١٠، ١١ م (فى عصـــر الخلفـاء الفاطميين) زين بأشكال آدمية وحيوانية تلك الزخارف التـــى لا نجدهـــا اليـوم إلا فـــى إيران(٢).

وأنتجت القاهرة فى عصر المماليك سجادا تميز بزخارفـــه الهندســية التـــى تشـــبه الرسوم الهندسية التى نراها على كثير من التحف التى ترجع إلى هـــذا العصـــر كجلـود الكتب ورسوم الفسيفساء الرخامية ونقوش التحف المعدنيـــة ويعتقـد أن هـــذه الســـاجيد الهندسية المصرية صنعت أواخر ق ١٥ م أوائل ق ١٦ م .

وقد شاهد الرحالة البندقى برباروا سجاد القاهرة وأيضا جون مايلز الذى تكلم عـــن سبعة لوحات ظهرت عليها سجاجيد مملوكية وهذه اللوحات رسمت فيما بين ســـنة ١٥٠٦، ١٦٠١ م وأقدم هذه اللوحات يرجع إلى ١٥٠٧ م (٣).

ومن الجدير بالذكر أن المماليك قد وضعوا منذ أوائل القرن ٩هـــــ/١٥م اتفاقيـــات تجارية مع حكام الأناضول الشرقى وأيضا مع جنوه والبندقيـــة لتجـــارة النســـيج وليـــس بمستبعد أن أدخل فى هذا الاتفاق تجارة السجاد .

ومما يذكر أن عصر الازدهار بالنسبة للبلاط المملوكى بمصر فى النصف الثـــانى من القرن ٩هـــ/١٥م اتفاقيات تجارية مع حكام الأناضول الشـــرقى وأيضـــا مـــع جنـــوة والبندقية لتجارة النسيج وليس بمستبعد أن دخل فى هذا الاتفاق تجارة السجاد .

ومما يذكر أن عصر الازدهار بالنسبة للبلاط المملوكى بمصر فى النصف الثـــانى من القرن ٩هـــ/١٥م تحت حكم السلطان قايتباى فقد كان محبا للفنون ولكن هذا الازدهـــار

---

(١) د . أبو صالح الألفى : الفن الإسلامى، ص ٢٩٨ .

(٢) Prisse D, avennes, op. Cit,p.229 .

(٣) د . أبو صالح الألفى : المرجع السابق ص ٢٩٨، د . عبد الرحمن فهمى : السجاد، كتاب القـــاهرة، ص ٥٨٤ .

والنهضة لم تظل وفى سنة ١٥١٧م استولى الأتراك العثمانيين على مصر وظـل السـجاد يصنع فى مصانع القاهرة بنفس الخامات وبنفس الطريقة ونفس الألـوان ولكـن بعنـاصر عثمانية بيضاوية ونعتقد اليوم أن النمط الجديد للسجاد الهندسى تطور أثناء حكـم قايتبـاى واستمر حتى منتصف القرن ١٠هـ/١٦م . ويوجد ما يقرب من مائة سجادة مملوكية كلـها فى متاحف غريبة بعض منها فى حالة جيدة، وفى متحف النسيج بواشنطن ١٦ مـن هـذه السجاجيد بعض منها مهلهل (١).ومن بين أسواق المسلمين فى العصور الوسـطى يذكـر مظاهرى سوق السجاد الذى كانت تفرد فيه السجاد وتلم كـل يـوم لإبـراز متانـة هـذه السجاجيد(٢) . وتعتمد صناعة السجاد على بعض المواد الأولية أهمها الصوف فـإن ٥٠% من السدى واللحمة فى صناعة السجاجيد الشرقية هى الصوف، ٩٠% من الوبرة صـوف بحت والبقية إما من الحرير، وإما من القطن، وأكثر الأصواف استعمالا صوف الغنم، يليـه صوف الجمال، ثم صوف الماعز، ويجود الصوف بجميع أنواعـه فـى البـلاد الجبليـة الباردة.

وتجز الحيوانات عادة فى الربيع، وبعد جز الصوف يعالج معالجة خاصـة فيغسـل بالماء الدافئ أو البارد، ويضرب بين حجرتين حتى تزول منه أكثر المواد الدهنية، وبعـد الغسيل يجفف الصوف فى الشمس، والهواء ويمشط ثم يفرز بحسب اللون والصنـف كـل على حدة، ثم يندف بالقوس على الطريقة التى يتبعها المنجد فى ندف القطن ثم يغزل إمـا بالمغزل العادى وإما على عجلة خشبية بسيطة، وقد لا يكتفى بالفتيلة الواحدة المغزولة، بـل تصنع مزدوجة، والأخيرة إذا أريد استعمالها فى صنع وبرة السجاد، فإنها تزوج ثم تثلـث وقد تربع أحيانا (٣).

---

(١) Le tapis d'orient dans les collections Francaises est un supplement special publie par Hali , 1982 , p . 30 .

(٢) Mazaheri : Op . cit., p . 199 .

(٣) أحمد سعيد الدمرداش : فن السجاد، مجلة منبر الإسلام، العدد ١١، السنة ٢٢، ذو القعدة ١٣٨٤ هـ / مارس ١٩٦٥ م، ص ١٩٤ .

وبالنسبة للتلوين فمن الملاحظ أن الصوف كان فـــى أول الأمـــر يســـتعمل بلونـــه الطبيعى، ثم بدأت الصباغة تلعب دورها، فاتخذت الألوان من النباتـــات : مـــن الجـــذور والأوراق والثمار، كما اتخذت أيضا من الحشرات، فاللون الأحمر – على سبيل المثـــال – كان يتخذ من حشرة القرمز، وهى دودة صغيرة تعيش على شجر البلوط فى البلاد المطلـــة على البحر المتوسط، وتجمع هذه الحشرة وتجفف، وتعتبر صبغتها أفضل من صبغة الفـــوة لا سيما فى تلوين الصوف والحرير . أما نبات الفوة، وهو يستعمل أيضا فـــى الحصـــول على اللون الأحمر، فيزرع بكثرة فى الأناضول وأواسط آسيا وتقطع جذوره ثم تخفـــف . واللون الأصفر كان يتخذ من جذور شجر الكركم ومن زهرة نبـــات الزعفـــران، واللـــون البنى كان يتخذ من الحناء (يميل إلى الإحمرار) أو من نبات البوص (يميل إلـــى الســـواد)، واللون الأزرق كان يتخذ من نبات النيلة .

وقد نجح الأقدمون فى توســـيع دائرة الألوان الطبيعية عندما اهتدوا إلـــى إحـــداث ألوان جديدة توصلوا إليها بتغطيس الصوف فى لون معين ثم إعادة تغطيسه فى لون آخـــر غير اللون الأول فيأخذ لونا جديدا ، وفى الزخرفة نلاحظ أنها هى الأخـــرى قـــد مـــرت بخطوات مختلفـــة حتى وصلت إلى تلك الصورة الرائعة التى نشـــاهدها فـــى الطنـــافس الشرقية عادة (١) .

ويتم نسج السجاد على نول خشبى(٢) عمودى مكون من عضادتين قائمتين ورأســـه وقاعدته اسطوانيتان على العضادتين، مثبتتان وتشد عليهما الخيوط وتسمى السدى، وهـــى عادة أقوى وأمتن خيوط السجاد وتلف هذه الخيوط على الاسطوانة السفلى، وتلـــف عليـــها الأجزاء التى ينتهى العمل فيها من السجاد حتى يبقى الجزء القائم به العمـــل دائمـــا علـــى مستوى واحد والسجاد الكبير يشتغل به جملة عمال جالسين الواحد إلى جانب الآخر .

---

(١) د . محمد عبد العزيز مرزوق : دراسات أثرية وتاريخية – مستخرج من مطبوعات جمعية الآثـــار بالإسكندرية – عدد رقم ٥، ١٩٧٤ م، ص ٤٠ .

(٢) وعن شكل النول انظر ص ٥٩، ٦٧، ٦٨، من كتاب : دورثى درج : عمل السجاد، ترجمة محمـــود النبوى الشال، دار نهضة مصر .

وعند أسفل الاسطوانة العليا، وعلى مسافة قريبة منها، توضع اسطوانة أو اثنتان من الخشب أصغر منها حجماً، فتقسم الخيوط قسمين أى خلفية، خيطاً بعد الآخر، واحداً من أمامها، والآخر من خلفها، ثم تثبت الخيوط الأمامية مع بعضها على مسطرة من الخشب مستعرضة على الخيوط الخلفية وحدها فى الغالب(١) .

ويوجد أسلوب صناعى آخر استخدم فى نسخ الطنافس القصيرة الأجل نعنى به أسلوب التطريز حيث تحال خيوط اللحمة المتعددة الألوان مع خيوط السدى فقط فى المكان الذى يحتاج فيه التصميم إلى لون معين .

وهكذا يتم بناء الشكل جزءاً جزءاً كلوحة الفسيفساء أو الخريطة المتعددة الألوان، وكلا الأسلوبين الصناعيين يتطلب من النساج إذا توافرت لديه المهارات الأساسية لليد والعين، أن يحقق جميع أنواع التصاميم سواءً كانت هندسية خالصة أو طبيعية بحتة .

ويمكن لشخص واحد أن يقوم بنسج الطنافس الضيقة فى حين تحتاج الطنافس العريضة إلى عدة نساجين يعملون جنباً إلى جنب، ويعتبر نساجوا ومصممو الطنافس الإسلامية ورثة تقاليد العصور القديمة لإنتاج الطنافس فى آسيا، إذ أن نسج الطنافس وأساليب تطريزها كانا يمارسان هناك منذ مئات من السنين وربما منذ آلاف من السنين قبل بزوغ الإسلام .

ومن تقاليد ما قبل الإسلام التى ما زالت مزدهرة فكرة اشتمال الطنفسة على موضوعات تمثل مناظر طبيعية إما على شكل حديقة مملؤة بالزهور أو على شكل غابة صيد بها طيور ووحوش حقيقية أو أسطورية ومثل هذه التصميمات لا تشير فقط إلى مباهج الحياة ولكن أيضاً إلى الأمل فى الجنة بعد الموت (٢).

* * *

---

(١) أحمد سعيد الدمرداش : المرجع السابق، ص ١٩٦ .

(٢) دونالد كنج : الطنافس والمنسوجات (مقالة فى كتاب كنوز الفن الإسلامى) جنيف ١٩٨٥ م ص٣١٨، ٣١٩ .

صناعة النسيج

تعتبر صناعة النسيج من أقدم الصناعات التـــى عرفـــها الإنســـان، فقـــد اشـــتهر المصريون القدماء بدقتهم فى صناعة المنسوجات وخاصة الكتانية التى بلغت مـــن الدقـــة ذروتها .

وقد ذاعت شهرة مصر فى المنسوجات قبل ظهور الإسلام ولقد وصلت هذه الشهرة إلى بلاد العرب فى الجاهلية، ولذلك نجد العرب عندما فتحوا هذه البلاد كانوا يعملون علـــى الاستفادة منها فى هذه الناحية .

ولقد كان من تقاليد العرب وميولهم ما ساعد على تقدم صناعة النسيج علـــى أيدهـــم فى العصور الوسطى، فنجد كسوة الكعبة، ومنح الخلع، وميلهم إلى اقتنـــاء الفـــاخر مـــن الثياب تلك العوامل التى كان من شأنها أن تمهد السبيل للوصول إلى درجة الكمال فى هـــذه الصناعة (١).

واشتهرت مصر فى العصور الأولى الإسلامية بمصانع نسيج الطراز وهـــى التـــى كانت تصنع لبس التشريف للخليفة، وكلمة طراز تطلق أيضاً بشئ من على رباط الســـاعد مزين بالخيوط المذهبة وبكتابات كما نراه فى المخطوطات العربية، وكان الأمراء يجعلونـــه مع أثواب التشريفة (٢).

وفى العصر العباسى أنتجت مصر بعض أنواع من الأقمشة منها القلمونـــى وهـــو نوع من القماش ذو ألوان براقة تتلألأ إذا انكسرت عليها أشـــعة الشـــمس . وقـــد نقلـــت صناعته من بلاد اليونان إلى مصر حيث أصبح فى دمياط وتنيس خاصة (٣).

---

(١) ثريا سيد أحمد نصر : تاريخ النسيج وأنواعه فى العصر الإسلامى، مجلة منبر الإسلام، العـــدد ١٢، السنة ٣٢، ذو الحجة ١٣٩٤ هـــ ص ٢٢٢ .

(٢) Papadopoulo , A . : L'Islam et l'Art Musulman, Paris 1979 p . 194 .

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى جـــ ٣، ط ٣، ص ٣٢٣، ٣٢٤ .

ونقل لنا ناصر خسرو ما رآه فى بعض المدن المصرية كتنيس ودمياط من إنتـــاج أنواع الأقمشة التى بهرت العالم فى ذلك الوقت ذاكرا الآتى : " وينســج بتنيــس القصــب الملون من عمامات ووقايات ومما يلبس النساء، ولا ينسج مثل هذا القصب فى جهــة مــا غير تنيس والأبيض منه ينسج فى دمياط " .

" وينسجون فى مدينة تنيس هذه البوقلمون، الذى لا ينسج فى مكان آخر من جميــع العالم . وهو قماش يتغير لونه بتغير ساعات النهار وتحمل أثوابه من تنيس إلى المشــرق والمغرب"(١).

وكان بمدينة تنيس خمسة آلاف منسج يضعون بها الشرب التى لا يصنع مثلها فــى الدنيا وكانوا ينسجون بها أثوابا تسمى البدنة تنسج بالذهب صناعة محكمة يباع الثوب فيــها بمائة دينار وكانت تحمل منها إلى بغداد، وكان يحمل بها طرز من الكتان بغير ذهب يبــاع كل طراز منها بمائة دينار وهو بغير ذهب (٢).

وازدهرت صناعة الأقمشة والمنسوجات والحرف المتصلة بالملابس ازدهارا كبـيرا فى عصر المماليك . ويتضح من مدى تنوع الحرف المتصلة بالملابس مدى حرص النــاس على أناقتهم بشكل عام (٣).

كما اشتهرت مصر فى ذلك العصر بصناعة الفرش والستور، وكانت تصنــع مــن الديباقى وتزخرف برسوم الحيوانات المختلفة . وقد مهر أهل دمياط فــى عمــل الفــرش القلمونية المطرزة، كما أن الفرش القرمزية التى كانت تصنع بأسيوط تشبه الأرمينية مــن حيث جودة صوفها ودقة صنعها، وهناك إلى جانب ذلك مراكز أخرى لصناعــة الســتور كالبهنسا التى يعمل بها الستور البهنسية (٤).

---

(١) ناصر خسرو : المرجع السابق، ص ٣٨ .

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٨، حاشية ٢ .

(٣) قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى، ص ١٢٤ .

(٤) سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص ٢٩١.

جمال سرور : المرجع السابق، ص ٢٩٨، ٢٩٩ .

وقد دخلت صناعة الأقمشة والمنسوجات والحرف المتصلة بالملابس بشـــكل كبـــير فى جهاز العروس المملوكية فمن الأقمشة تصنع العروس ثيابها ومفارش السرير والدكـــك والأرائك وأكياس اللحف والمراتب والحشـــايا والمخـــاد والمســـاور والمســـاند والســـتائر والناموسيات .

وقد تنوعت فى قاهرة المماليك طرق الإنتاج فى الأقمشة فمنها ما هو منسوج مـــن القطن أو الحرير أو الصوف ومنها ما هو مطـــرز بخيـــوط حريريـــة تشـــكل العنـــاصر الزخرفية فوق ثوب القماش مباشرة أو فوقه بعد تنجيده بطبقة مـــن القطـــن أو الصـــوف المندوف توضع بين طبقتين من القماش قبل تطريزه ومنها ما هو مطبق بأن تثبت قطعـــة من القماش ذات زخرفة معينة على قطعة أخرى مغايرة لها فى اللـــون أو الخامـــة وهـــى طريقة لا زالت تعيش فى حى الخيامية بالقاهرة حتى اليوم، وتستعمل فـــى إنتـــاج الخيـــام وستائر المنابر فى المساجد. ومنها ما هو مطبوع بقوالب خشبية تنقـــش فيـــها الزخـــارف بالحفر الغائر وتغمس القوالب فى الأصباغ قبل الختم بهـــا على الثوب المنسوج فى أمـــاكن متعددة فى نظام زخرفى بديع(١).

وقد قل الإقبال على نسيج الكتان فى قاهرة المماليك بينمـــا ازدادت العنايـــة بنســـج الحرير وتطريزه وطبعه (٢).

والحق أن نسج الحرير فى عصر المماليك تأثر إلى حد كبـــير بمنتجـــات الشـــرق الأقصى التى أدخلها المغول فى العصر الإسلامى إلى الشرق العربـــى خـــلال ســـفاراتهم وهداياهم لسلاطين المماليك . ونجد بعض منسوجات القـــاهرة المملوكيـــة محفوظـــة فـــى كنائس أوروبا وهى تذكرنا بما أوردته المراجع التاريخية عن البعثات التى تبادلتها القـــاهرة مع المغول بالصين ومغول القفجاق حول البحر الأسود بروســـيا الحاليـــة لتحمـــل إليـــهم المنسوجات النفيسة، وتذكرنا هذه القطع المحفوظة بأوروبا كذلك بما أســـفرت عنـــه هـــذه البعثات من رباط المصاهرة من سلاطين مصر وسلاطين البيت المغولـــى ومـــن أشـــهر

---

(١) عبد الرحمن فهمى : النسيج، بحث بكتاب القاهرة، ص ٣٩٤ .

(٢) زكى محمد حسن : فنون الإسلام، ص ٣٦٥ .

عرائس المغول بالقاهرة طولبية زوجة الناصر محمد بن قلاوون التى عاشت فى قاهرة المماليك راعية لفنونها وعمارتها (١).

ويبدو التأثر بالعنصر الأجنبى أكثر وضوحا فى صناعة الأقمشة الحريرية التى تعرف باسم " الكمخة " وكانت تصنع بمصر نفسها وتصدر إلى أوروبا، ففى هذه الأقمشة تدل تموجات العرانيس ومراوح اللوتس والجدائل وغيرها دائما ومكررا على أصلها الصينى (٢).

وزخرفت المنسوجات الحريرية أيضا بالوحدة الزخرفية المعروفة باسم شجرة الحياة، وقد ظهرت فى مصر من قبل عصر المماليك وتتألف هذه الزخرفة من شجرة محورة يحف بها حيوانان أو طائران متماثلان إما فى تقابل أو تدابر .

وعلى عكس أسلوب رسم الشجرة المحورة يتسم رسم الطيور والحيوانات بالقرب من الطبيعة، وبالتعبير عن الحركة، وإن لم يخل من تنسيق زخرفى (٣).

وقد ظهر فى عصر المماليك أسلوب مبتكر فى تطريز(٤) زخارف المنسوجات الحريرية، وذلك عن طريق عمل غرز جميلة متتابعة متدرجة ولقد انتقل هذا الابتكار إلى أوروبا وعرف باسم غرزة هولباين، وهى ترسم المحيط بصورة أدق وإلى هذا الأسلوب يرجع الفضل فى طائفة من التطريزات الفائقة الروعة فى عصر المماليك (٥).

---

(١) عبد الرحمن فهمى : النسيج، ص ٣٩٥ .

(٢) كونل : الفن الإسلامى ، ص ١٢٥ .

(٣) حسن الباشا : فنون التصوير الإسلامى فى مصر، ص ١٣٣ .

(٤) التطريز فن ملحق بصناعة النسيج، وهو معرف منذ أقدم العصور فقد عثر على قطع من الأقمشة المطرزة، يرجع قدمها إلى الدولة الوسطى الفرعونية كما وجدت قطع مزخرفة بالتطريزمنذ الدولة الفرعونية الحديثة .

حمدى محمد الغرباوى : التطريز فى النسيج والزخرفة، مكتبة الأنجلو ١٩٦٥ م، الطبعة الأولى ص٢٧ .

(٥) كونل : الفن الإسلامى، ص ١٢٦ .

وقد عرف صناع الحرير باسم " الحريريين " وكان أولائك هم الذين يقومون بتصنيع الحرير وصبغه، كما كان بعضهم يبيع الحرير غزلا لمن يطرز به، والبعض الآخر ينسجونه ويبيعونه أثوابا، على حين كان البعض يعمل منه الحاشية التى تستخدم فى صناعة الملابس، والبعض الآخر يمزج مع الغزل ثوب الطرح لإكسابها رقة الملمس ونعومة وليونة تتفق مع استخدامها كغطاء للرأس والكتفين (١).

ومن بين الأسواق التى وجدت فى عصر المماليك كان سوق الحراريين الشراربيين(٢).

وكان من الحريريين من يغش سلعته فمنهم من يثقل الحرير بالنشا المدبر ومنهم من يثقله بالسمن أو الزيت (٣).

وسواء كانت الأقمشة التى صنعت فى مصر فى عصر المماليك من الحرير أو القطن أو الصوف أو الكتان، فإنها امتازت جميعا بدقة الصناعة وثبات الألوان وجودة الخامة ومتانة النسيج (٤).

ويبدو أن عمليات تصنيع القماش فى مراحله المختلفة قد عرفت باسم " القزازة " كما عرف أصحاب هذه الحرفة باسم " القزازين " فى مصطلح ذلك العصر . ويستفاد من بعض المصادر أن الصناع فى هذه الحرفة كانوا ينقسمون إلى قسمين، قسم يعمل بالأجرة لدى غيره من أصحاب المصانع الصغيرة، والقسم الآخر يعمل لحسابه .

وكان القسم الأخير ينقسم بدوره إلى فئتين : فئة تأخذ الغزل من الناس لكى تنسجه لهم لقاء أجر معلوم، وهذه العملية التى عرفت آنذاك باسم " القبالة "، وفئة تشترى الغزل وتنسجه وتبيعه أثوابا جاهزة .

---

(١) قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ص ٢٥ .

(٢) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ١٠٢ .
سعد الخادم : الصناعات الشعبية، ص ٧٥ .

(٣) الشيزرى : المرجع السابق، ص ٧١ .

(٤) سعيد عاشور : العصر المماليكى، ص ٢٩١ .

وقد أطلقت بعض كتب الحسبة اسم " الحائك " على من يقوم بهذا العمل (١). ومـــا جاء بنهاية الرتبة فى طلب الحسبة للشيزرى(٢) ومعالم القربة فى أحكـــام الحســبة لابــن الأخوة(٣) يؤيد ذلك .

وعرف الدكتور حسن الباشا النساج بالحائك أو المشتغل بصناعة النســيج . ووردت هذه الصيغة فى عقد زواج على بردية من مصر مؤرخة فى العشر الأواخر من جمـــادى الثانية سنة ٢٧٩ هـ باسم " يعقوب بن اسحق النساج الساكن مدينة أشمون " (٤).

كما عرف ابن خلدون صناعة النسيج بالحياكة قائلاً أنها " لنسج الغزل من الصــوف والكتان والقطن اسداء فى الطول والحاما فى العرض لذلك النسج بالالتحــام الشــديد فيتــم منها قطع مقدرة فمنها الأكسية من الصوف للاشتمال ومنها الثياب مـــن القطــن والكتــان للباس"(٥).

وكانت المرحلة التى تلى عملية نسج القماش تعرف باسم " القصـــارة " فقــد كــان النسيج يتم بواسطة أنوال يدوية مما كان يستدعى القيام بعمليات تكميلية حتى تتداخل لحمــة النسيج وسداه تداخلاً كاملاً . فكان القماش بعد نسجه يرش بالماء، ثم ينشر حتـــى يجــف، ويعاد رشه ونشره عدة مرات حتى يبيض . ومن الظريف أن بعض " القصارين " فى ذلــك الزمان يتصرف فى قماش الناس بشكل يدل على افتقاره للأمانة (٦).

وتتصل بصناعة الملابس أيضاً حرفة الصباغة، فقد كان الناس يرســلون أقمشــتهم إلى الصباغ لكى يقوم بصباغتها ويبدو أن العرف قد جرى علـــى إلــزام الصبــاغ بدفــع التعويض المناسب إذا أفسد لأحد الناس قماشه وقد أتهم ابن الأخوة، الذى عاش فى القـــرن

---

(١) قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى، ص ١٢٥ .
(٢) ص ٦٥ .
(٣) ص٢١٨ .
(٤) حسن الباشا : الفنون والوظائف، جـ ٣، ص ١٢٧٨ .
(٥) المقدمة، جـ ٣، ص ٩٣٩ .
(٦) قاسم عبده قاسم : تاريخ مصر الاجتماعى، ص ١٢٥ .

٨ هـ / ١٤م، غالبية الصباغين فى زمنه بأنهم يرهنون أقمشة النـاس، ويعيرونـها لمـن يلبسها ويتزين بها، وهذه خيانة وعدوان(١) .

وقد أكثر صباغى الحرير الأحمر - وغيره من الغزل والثيـاب - يصبغـون فـى حوانيتهم بالحناء (٢) عوضاً عن الفوة (٣)، فيخرج الصبغ(٤)حسناً مشرقاً، فـإذا أصابتـه الشمس تغير لونه، وزال إشراقه (٥).

وكان على الصباغ ألا يصبغ بمحرم . ولقد كثر منهم الصبغ بالدماء وذلك محرم(٦).

ومن الأصباغ المستخلصة من الطبيعة والمستخرجة من البيئة المصرية هى :

١ - صبغة الأرخيل وهى صبغة أرجوانية تستخرج من بعض الطحالب البحريـة التـى توجد على الصخور فى البحر الأبيض المتوسط .

٢ - القانت : وهى صبغة حمراء تستخلص من جذور نبات حناء الفول .

٣ - فوة الصباغين وهى صبغة حمراء تستخلص من نبات Rubia tinctorium

٤ - القرمز وهو صبغ أحمر يستخلص من إناث الحشرات القرمزيـة المجففـةRubia Peregrina

٥ - النيلة البرية وهى صبغة زرقاء تستخلص بالتخمير من أوراق شجر النيلة البرية .

ومن المعروف كذلك أن الكركم وقشر الرومان والحناء كلـها مـن المـواد التـى استعملت فى الصباغة وهى تزرع بمصر منذ أزمان بعيدة (٧).

---

(١) المرجع نفسه نفس الصفحة .

(٢) المستخلص من أوراق الحناء بالمـاء المغلى يستعمل أحيانا لصبـغ الأقمشـة . الفريـد لوكـاس : المرجـع السابق ، ص ٤٩٨ .

(٣) الفوة : عروض يصبغ بها .
الشيزرى : القاموس جـ ٣ ص ٣٦٨ .

(٤) الصبغ والصبغة ما يصبغ به والجمع أصباغ .
الجوهرى : المرجع السابق، جـ ٢، ص ٥ .

(٥) الشيزرى : المرجع السابق، ص ٧٢ .

(٦) السبكى : معيد النعم ومبيد النقم، ط ١، ١٩٤٨ م، ص ١٣٦ .

(٧) عبد الرحمن عمار : تاريخ فن النسيج المصرى، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٤م، ص١١٧.

هذا وقد كانت هناك مجموعة من حوانيت " الرفائين " و" الحباكين " و " الرسامين " و " الفرائين " (١) والخياطين فى سويقة أمير الجيوش التى كانت من أكبر أسواق القاهرة آنذاك، كما كان هناك مكان مخصص فى الفسطاط لسكن رفائى الثياب عرف باسم " خوخة الرفايين " ويبدو أن الحباكين، كانوا مثل الرفائين متخصصين فى مداوة عيوب الثياب .

أما الرسامون فكانوا يرسمون الأشكال الزخرفية التى تطرز بها الملابس، وقد ذكر المقريزى أنه كانت توجد بخط البندقانيين عدة حوانيت لرسم أشكال ما يطرز(٢) من الذهب والحرير على الملابس (١).

---

(١) كان للفرائين سوقا فى عصر المماليك يعرف بسوق الفرائين كان يسلك فيه من سوق الشرابشين إلى الأكفائيين والجامع الأزهر وغير ذلك كان قديما يعرف بسوق الخروقيين ثم سكن فيه صناع الفراء وتجاره فعرف بهم وصار بهذا السوق فى أيام الملك الظاهر برقوق من أنواع الفراء ما يحل أثمانها وتتضاعف قيمتها لكثرة استعمال رجال الدولة من الأمراء والمماليك لبس السمور والوشق والقماقم والسنجاب بعد ما كان ذلك فى الدولة التركية من أعز الأشياء التى لا يستطيع أحد أن يلبسها ولقد أخبرنى الطواشى الفقيه الكاتب الحاسب الصوفى زين الدين مقبل الرومى الجنس المعروف بالشامى عتيق السلطان الملك الناصر الحسن بن حجر بن قلاوون أنه وجد فى تركة بعض أمراء السلطان حسن قباء بفرو قاقم فاستكثر ذلك عليه وتعجب منه وصار يحكى ذلك معدة لعزه هذا الصنف واحترامه لكونه من ملابس السلطان وملابس نسائه ثم تبذلت الأصناف المذكورة حتى صار يلبس السمور أحاد الأجناد وكثير من العوام ولا تكاد امرأة من نساء بياض الناس تخلو من لبس السمور ونحوه وإلى الأن عند الناس من هذا الصنف وغيره من الفرو شئ كثير.
المقريزى : الخطط، ج ٢، ص ١٠٣ .

(٢) ظهر التطريز فوق النسيج بالأسلاك المعدنية منذ العصر القبطى، وربما يرجع إلى أقدم العصور، حيث استخدمت القطع المعدنية كالحليات والخرز والترتر منذ فجر التاريخ، أى منذ " العصر الفرعونى " ثم برز التطريز بالمعادن فى العصر الإسلامى، ذلك العصر الذى يعتبر أزهى العصور وأكثرها عناية بفن التطريز فمثلا ظهر التطريز بالمعادن فى العصر الفاطمى والمملوكى وكذا استمر استخدام الخيوط اللامعة والأحجار الكريمة فى التطريز حتى العصر العثمانى من مصر حيث أكثروا من استعمالها إلى درجة أصبحت المنسوجات الغالبة تطرز بهذا النوع من التطريز فقط، ولم يقتصر تطريز المنسوجات الغالية على تلك الخيوط فى ذلك العصر، بل استخدم أيضا التطريز باللؤلؤ =

ويبدو أن التطريز بالذهب والأحجار الكريمة كان من أهم الحرف المتصلة بملابس العروس المملوكية، فكانت ملابسها وعصائبها تطرز بقطع من الذهب أو اللؤلؤ، وأيضاً مفروشاتها مثل البشخاناه ودايز البيت وقد تغالوا فى ذلك عن الحد فمثلاً كان " زنة البشخاناه الخاصة بابنة السلطان الناصر محمد عروس الأمير قوصون مائة ألف مثقال ذهب (٢). ودايز البيت الخاص بابنة الأمير أحمد بن بكتمر الساقى كان زنة زركشة ستون ألف مثقال من الذهب (٣).

كما يبدو أن هذه المفروشات والملابس الخاصة ببنات السلاطين والأمراء كانت تنسج بخيوط من الذهب .

ومن المعروف أن خيوط الذهب كانت تستخدم فى كتابة أسماء الملوك والسلاطين وعلاماتهم فى نسج أثوابهم الحاما وأسداء أو ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب وككان ذلك يعرف بالطراز .

وكانت المناسج التى تنسج فيها هذه الأقمشة تعرف بدور الطراز (٤). تلك الدور التى كان يعمل بها مجموعة من العرفاء يرأس كل عريف منهم مجموعة من الرقامين . وكان كل عريف يقوم بنفسه بعمل رسم الزخارف والمناظر المراد رقمها بخيوط الذهب على الأقمشة، ويعلق هذا الرسم أمام الرقام ويطلب منه تنفيذه . وكانت خيوط القصب الذهب المغزول تسلم من إدارة دار الطراز من الناظر أو المشارف إلى العرفاء الذين يقومون بدورهم بتوزيعه على الرقامين بعد تحديد ما هو مطلوب من ذهب لكل رسم قرين كل رقام . ويبدو أنه كان لكل نوع من الأقمشة طريقة فى رقمها بخيوط الذهب(٥) .

= والأحجار الكريمة واستخدام الترتر والخرز، كما شاعْ أيضاً التطريز بغرزة السلسلة وغرز الحشو البارز المسطح وكذا التطريز بالأوية فى تزيين عصائب وتيجان الرأس .
حمدة محمد الغرباوى : التطريز فى النسيج، مطبعة مصر، ١٩٥٠، ص ٣٧، ٣٨ .

(١) د . قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى، ص ١٢٦ .

(٢) المقريزى : السلوك، جـ ٢، القسم الأول ص ٢٨٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٨٩ .

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق، جـ٢، ص ٦٤٦ .

(٥) د. صلاح الدين البحيرى : (نص هام عن أحوال دار الطراز المصرية فى أوائل عصر الدولة الأيوبية) بحث بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية جامعة الكويت-العدد١٣ - المجلد٤ - ١٩٨٤م ص٤٧

أما عن الطراز فى عصر المماليك فيذكر ابن خلدون : " وأما دولة الترك بمصـــر والشام لهذا العهد ففيها من الطراز تحرير آخر عن مقدار ملكهم وعمـــران بلادهـــم إلا أن ذلك لا يصنع فى دورهم وقصورهم وليست من وظائف دولتهم، وإنما ينســـج مـــا تطلبـــه الدولة من ذلك عند صناعه من الحرير ومن الذهب الخـــالص ، ويســـمونه المزركـــش(١) لفظة أعجمية – ويرسم السلطان أو الأمير عليه ويعده الصناع لهم فيما يعدونه للدولة مـــن طرف الصناعة اللائقة بها " (٢).

نضف إلى ذلك أن بعض مفروشات المنزل فى عصر المماليك كانت تزين بقطـــع من العنبر الصلب ودليلنا فى ذلك ما ذكره المقريزى فـــى معـــرض حديثـــه عـــن ســـوق العنبريين حيث قال عن العنبر " كان يتخذ منه المخاد والكلل والستور وغيرها " (٣).

أما الفراءون فكانوا يتولون تركيب قطع الفراء فى الملابس، ويبدو من مصادر تلـــك الفترة أن جميع أهل مصر كانوا مولعين باستخدام الفراء لـــتزيين ملابســـهم وكـــان مـــن المألوف، حتى فى عصر الجراكسة الذى شهد تطور الأحوال الاقتصاديـــة أن يرتـــدى الجنود والكتاب وعامة الناس وكل امرأة مـــن الشـــرائح الاجتماعيـــة الدنيـــا الفـــراء المستورد (٤).

---

(١) مصدرها زركش وهى لفظة فارسية وتعنى المطرز بالذهب . معربة زركشية .
انظر : د . محمد التونجى : المعجم الذهبى فارس عربى " فرهنك طلائى " دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٩ م ص ٣١٣ .
(٢) ابن خلدون : المصدر السابق، جـ ٢، ص ٦٤٧، ٦٤٨ .
(٣) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ١٠٣ .
وحيث أنه من غير المعقول أن تصنع المخاد والكلل والستور من العنبر، إذاً فمن المرجح أنه كـــانت تضاف قطع العنبر الصغيرة بأشكال مختلفة إلى المخاد وغيرها من المفروشات لتزيدها جمالاً ورائحة عطرية " .
(٤) المقريزى : الخطط، جـ ٢، ص ١٠٣ .
ماير : المرجع السابق، ص ١٣١ .
د . قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى، ص ١٢٦ .

صناعة الخياطة

صناعة الخياطة من الصناعات الهامة ، وعنها يذكر ابن خلـــدون أنـــها « لتقديـــر المنسوجات على اختلاف الأشكال والعوائـــد ، تفصـــل أولاً بـــالمقراض قطعًـــا مناســـبة للأعضاء البدنية ، ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلا أو تتبيتا أو تفســـحًا علـــى حسب نوع الصناعة (وهى) مختصة بالعمران الحضرى ، لما أن أهل البـــدو يســـتغنون عنها وإنما يشتملون الأثواب اشتمالاً ، وإنما تفصيل الثياب وتقديرها والحامـــها بالخياطـــة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها »(١) .

ومن الجدير بالذكر أنه وجدت فى عصر المماليك أسواقًا تباع بها لـــوازم الحياكـــة مثل « سوق الأبارين » ، الذى كانت تباع به أبر الخياطة وغيرهـــا(٢) . كمـــا وجـــدت حوانيت للخياطين وغيرهم وذلك لخياطة الملابس حسب الطلب أو لعمل ملابـــس جـــاهزة وبيعها فيذكر المقريزى فى معرض حديثه عن سويقة أمير الجيوش أن « هذه السويقة مـــن أكبر أسواق القاهرة بها عدة حوانيت فيها الرفاؤون والحباكون وعدة حوانيـــت للرســـامين وعدة حوانيت للفرايين وعدة حوانيت للخياطين ومعظمها لسكن البزازين والخلعيين وفيـــها عدة من بياعى الأقباع ويباع فى هذا السوق سائر الثياب المخيطة والأمتعة مـــن الفـــرش ونحوها »(٣) .

ويبدو أن أسواق الخياطين وجدت لدى مسلمى العصور الوسطى بصفة عامة لتأديـــة الغرضين وهى خياطة الملابس وبيع الملابس المخيطة وكان المعتـــاد أن يتســـلم الخيـــاط القماش بالوزن خاصة إذا كان من قماش ثمين كالحرير(٤) .

وكان المحتسب يأمر الخياطين بجودة التفصيل ، وحسن فتح الجيب واعتدال الكميـــن والأطراف ، واستواء الذيل ودقة الخياطة .

---

(١) ابن خلدون ، المصدر السابق ، جـــ٣ ، ص٩٣٩ ، ٩٤٠

(٢) د. قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ، ص٣٤

(٣) المقريزى : الخطط ، جـــ٢ ، ص١٠١

(٤) Mazaheri: Op. Cit., P. 198.

ويجب على الخياط أن يزن الثوب الذى له قيمة كالحرير والديباج عندما يأخذه من صاحبه فإذا خاطه رده إليه بذلك الوزن .

وكان المحتسب يمنع الخياطين من أن يماطلوا الناس بخياطة أمتعتهم وحبس الأمتعة عنهم . ولا يتكلفون للناس عملاً أكثر من الأسبوع إلا أن يشترطوا لصاحبه أكثر من ذلك الوقت(١) .

* * *

(١) الشيزرى : المصدر السابق ، ص٦٧

التنجيد

تعد صناعة التنجيد من الصناعات الهامة المرتبطة بجهاز العروس وهى تعتمد على القماش والقطن الذى يقوم المنجد بندفه بواسطة القوس والعصا لتنقيته من البذور والتراب ثم يحشو أكياس المراتب واللحف والمخاد والحشايا والشلت والمساور والمساند – التى قصها وخاطها (من ثلاث جهات فقط وترك جهة ليدخل منها القطن) بمقاسات معينة تتناسب مع مقاسات الأسرة والأماكن التى تفرش فيها ثم يخيط الجهة الباقية . وبعد ذلك يثبت القطن مع القماش بغرز عديدة منتشرة فى الشئ المراد تنجيده . ثم يكسو هذه الأكياس من نسيج أثمن من الأول كالحرير وكثيرا ما يكون مطرزا .

وكثيرا ما يكون التنجيد آخر ما يعد من الجهاز وذلك لرغبة أهل العروس فى أن تكون الأشياء المنجدة زاهية لامعة عندما تعرض فى الجهاز على العربات أو على أكتاف الحمالين عكس ما تكون قد مضى عليه فترة .

ولدخول المنجد فرحة كبيرة فى منزل العروس فهو إعلان لقرب الزفاف وكثيرا ما تقابله النساء بالزغاريد ويقدم إليه الأقارب والأصدقاء النقوط ولذا يعتبر التنجيد فرح صغير قبل الفرح النهائى .

وقد جاء بوصف مصر لوحة تمثل الحلاج أو النداف الذى يعد القطن بواسطة القوس الكبير ، الذى يرى وهو ممسك به بيده اليسرى ، ومن خاصية الوتر المشدود بين طرفى القوس أو يهتز أو يتموج فى كل مرة يضربه فيها النداف بالبيزر ، التى يمسك بها بيده اليمنى .

وبالشكل طفل قريب من النداف يقوم بوضع القطن المعد للندف فوق قطعة من الخشب(١) .

* * *

(١) زهير الشايب : المرجع السابق ، اللوحات (الدولة الحديثة) لوحة ١٥

الفصل الثالث

جهاز العروس فى ضوء الحياة الاجتماعية

جهاز العروس فى ضوء الحياة الاجتماعية

يجدر بنا قبل أن نتحدث عن جهاز العروس فى ضوء الحياة الاجتماعية أن نذكـــر لمحة عن طبقات المجتمع فى مصر فى عصر سلاطين المماليك والعــادات المتبعــة فــى الخطبة والمهر وعقد القران وحفلات العرس .

أولا : طبقات المجتمع :

كان المجتمع فى عصر السلاطين المماليك مجتمعا طبقيا وضحت فيه كل طبقة مــن طبقات المجتمع وضوحا أملاه مركزها ونوع نشاطها .

وقد لاحظ المؤرخون المعاصرون أمثال ابن خلدون (١) والمقريزى هــذه الفــوارق فحاولوا تقسيم أهل مصر تبعا لذلك فقسم ابن خلدون ملك مصر إلى " سلطة ورعيــة " أى طبقة تملك النفوذ والسلطان ومن يدور فى فلكهم من الرعاية المحكومين المغلوبيــن علــى أمرهم من أهل مصر .

وقسم المقريزى الناس فى مصر إلى سبعة أقسام الأول أهل الدولة والثـــانى أهــل اليسار من التجار وأولى النعمة من ذوى الرفاهية والثالث الباعة وهم متوسطو الحال مــن التجار والرابع أهل الفلح وهم أهل الزراعات والحرث وسكان القرى والريــف والخــامس الفقراء وهــم جل الفقهاء وطلاب العــلم والكثير من أجناد الحلقة (٢) ونحوهم والســادس

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق جـ٢ ، ص ٥١٤ .

(٢) أصبحت المماليك البحرية فى عهد الفــاتح نجــم الدين أيوب جزءا لا يتجزأ من الحلقة الســلطانية فكانوا يقومون فى وقــت السلم بحراســة القلعــة والأماكن التى كان يسكن فيهــا السلطان هو وآلــه أما فى أثناء المعارك الحربية فكانت هذه الحلقة تحارب بالقرب من أو حول دهليز أو خيمة الســلطان وذلك من أجل حمايته فى ميدان المعارك وبعد نهاية العصر الأيوبى أصبح أمراء البحرية فى الحلقــة يشكلون خطرا حقيقيا بالنسبة لعز الدن أيبك التركمانى ولذلك نرى هذا الأخير يضع نهاية لهذا الخطر فى سنة ٦٥٢هـــ / ١٢٥٤-١٢٢٥م بأن أصدر أمرا باعتقال كل المماليك البحرية الذين كانوا يتبعون الصالح نجم الدين أيوب واستطاع بعض منهم الفرار نحو غزة . =

أرباب الصنائع والقسم السابع ذو الحاجة و المسكنة (١) .

وقد قام الدكتور سعيد عاشور (٢) بعمل دراسة لبناء المجتمع فى مصر فى عصر سلاطين المماليك قسم فيها سكان مصر إلى سبع فئات هى المماليك الذين كونوا طبقة ارستقراطية منفصلة عن سائر السكان بالبلاد المصرية لديها ثروة طائلة جعلتها تعيش فى ترف ونعيم فائق النظير (٣) والمعممون أو المتعممون (أهل العمامة) وهم أرباب القلم من أصحاب الوظائف الديوانية والإدارية والمالية والقضائية الذين لعبوا دورا هاما فى مساندة السلطة الحاكمة وتمتعوا بحياة هانئة رغدة واقتنوا الثروات الكبيرة والتجار الذين كونوا ثروات جعلت منهم طبقة ممتازة إلى حد بعيد حتى قربهم السلاطين بل أنعموا على بعضهم بأمرة طبلخانة وهذا لا يتأتى لغير المماليك وكانوا أكثر إتصالا بغيرهم بحكم سفرهم إلى داخل مصر وخارجها وقد تأثروا بهذا الاتصال والاختلاط دون الخروج عن المألوف والصناع وأرباب الحرف والعوام الذين عاشوا فى العاصمة والمدن فى عسر وضيق بالقياس إلى المماليك وغيرهم من الطبقات المنعمة . وكان بالقاهرة عدد كبير من العوام يسيرون شبه عرايا ليس لهم مأوى غير الطرقات . (٤) وفى مثل هذا المجتمع

= وفى أثناء العصر المماليكى انتشر استخدام تعبير الحلقة شيئا فشيئا حتى انتهى به الأمر بأن تخلى من صفته المملوكية فبعد أن كانت تعنى فرقة ملكية سلطانية تقوم بحماية شخص السلطان وقت السلم والحرب وتتكون من خاصته وإلزامه أصبحت الآن تتخذ شكلا شعبيا بسبب انتشار إنشاء هذه الحلقات لصغار الأمراء ولذلك كانوا يسمون فى العصر المماليكى (بأجناد الحلقة) وبرجال الحلقة . وذلك مما دعى Lapidus إلى القول بأن الحلقة فى عصر المماليك أصبحت مجرد فرقة عسكرية ثانوية

Salah El Bbeheiry : Les Institutions de l, Egypte au Temps des Ayyubides Lille, France, 1972, PP. 16,17 .

(١) المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، نشر محمد مصطفى زيادة ، وجمال الدين محمد الشيال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤ ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصرى فى عصر المماليك ، ص ١٠-٥٧ .

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور: الأيوبيون المماليك فى مصر والشام، دار النهضة العربية ١٩٦٩ ص٣٥٣.

(٤) د. سعيد عاشور : المجتمع المصرى ، ص ٣٨ .

برزت أهمية الوقف فى توفير الرعايا الاجتماعية لتلك الطبقات المحرومة من كثـــير مـــن أسباب الحياة (١) وأهل الذمة ، ثم الفلاحون الذين كانوا يحيون حياة البؤس والحرمان ومـــا ذكره ابن خلدون عن الفلاحة والفلاحين ليعبر عـــن ذلـــك حيـــث قـــال " أنـــها معـــاش المستضعفين ويختص منتحلها بالمذلة (٢) " فقد كانت الأرض الزراعية مقسمة إلى أربعـــة وعشرين قيراطا اختص السلطان منها بأربعة قراريط والأمراء بعشرة وما تبقى خصـــص للأحفاد ، ولم ينل الفلاح مما تخرجه الأرض إلا الكفاف . (٣)

كما يرى د. قاسم عبده قاسم فى دراسته عن المجتمع فى ذلك العصر أن المجتمـــع كان يقوم علىنظام طبقى حاد ، فثمة طبقة من الحكـــام العســـكريين لـــهم كـــل الحقـــوق والامتيازات ، ويمتلك أفرادها الأرض الزراعية التى قام عليها اقتصاد البلاد ، ولهم فقـــط حق الحكم والإدارة ، فى مقابل الرعية التى اقتصـــر دور ابنائـــها علـــى الإنتـــاج ودفـــع الضرائب والخضوع المتكرر لإبتزاز المماليك . (٤)

ونخلص من ذلك كله إلىْ أن المجتمع كان ينقسم من الناحية المادية إلـــى طبقـــات أربع وهى :

- طبقة عليا أكثر ثراء (المماليك : السلطان – الأمراء – الأجناد)
- طبقة ثرية (المعممون وأكابر التجار)
- طبقة وســـطى .
- طبقة سفلى : العوام والفلاحون .

ومن البديهى أن يؤثر هذا التفاوت المادى بين هذه الطبقات الأربع فـــى أن يكـــون هناك تفاوتا فى قيمة المهر وشكل ونوع وكمية جهاز العروس بين طبقة وأخرى .

* * *

---

(١) د. محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ، دراسة تاريخية وثائقية ، دار النهضة العربية بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠ ، ص ١٣٣ .

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٩١٤ .

(٣) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، جـ٣ ، ص ٩١٤ .

(٤) قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك ، ص ١٧ .

عادات الزواج الشهيرة فى مجتمع مصر فى عصر المماليك :

العادات التى تسبق اعداد الجهاز هى : الخطبة – المهر – كتـــب الكتـاب (عقـد القران) ثم اعداد الجهاز ونقله فى زفة واحتفال إلى بيت الزوجية وبعدها يبدأ حفل العـرس (زفة الحمام – ليلة الحنا – ليلة الدخلة – زفة العروس) .

الخطبة :

تعتبر الخطبة(١) من مقدمات الزواج ، فهى تواعد بالزواج فى المستقبل نظرا لمـا لعقد الزواج من أهمية وخطورة اجتماعية ، وتكون الخطبة بصريح العبارة ، كـأن يقـول الخاطب لمن يريد التزوج بها : " أطلب أن تكونى زوجتى "(٢) . وقد كان من المعتاد فـى عصر المماليك ، توسيط " الخاطبة " كما هو مألوف فى بعض البيئات المصرية حتى الآن(٣).

وبالنسبة للخطوبة فلم تسعفنا المصادر المملوكية بالكثير من المعلومات الخاصة بـها إلا أنه من الواضح أن الخاطبة قد قامت بدور كبير فى اتمام مهمة الخطوبـة فـى ذلـك العصر ، وصور هذا الدور بوضوح ابن دانيال الموصلى فى بابـه " طيـف الخيـال" ، فوصف كيف يقصد راغب الزواج الخاطبة لأنها " تعرف كل حرة وعاهرة وكـل مليحـة بمصر والقاهرة " . ذلك أنها تتظاهر ببيع الطيب والبخور وغير ذلك من لوازم النسـاء ، وبذلك يتاح لها دخول البيوت والإطلاع على أسرار الحريم فتسـتطيع أن تـأتى للعريـس

---

(١) الخطبة (بكسر الخاء) فى اللغة العربية طلب المرأة للزواج . .

أحمد إبراهيم : الأحكام الشرعية ، الطبعة الثالثة القاهرة (١٩٣٨م، ص ٣ ، فيقال فى اللغة خطـب الرجل امرأة خطبا (بفتح الخاء) ، وخطبة بكسر الأول فهو خاطب وهى خطيبة .

أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، المجلد الثانى ص ٢٥٩ .

ويقال أيضا فلان اختطب المرأة فهو خاطب . أما قولهم اختطب القوم فمعناه دعـوة إلـى تزويـج صاحبتهم ، والمصدر خطبة بالضم والجمع خطب والفاعل خطيب .

بدران أبو العينين بدران : الزواج والطلاق فى الإسلام ، مطبعة دار التأليف ١٩٥٧م ، ص ٢٨ .

(٢) أحمد عطية الله : المرجع السابق ، مج ٢ ص ٢٥٦ .

(٣) محمود رزق سليم : الأشرف قانصوه الغورى ، الدار المصرية للتأليف والترجمة . أعلام رقـم ٥٢ ص١٥ ، ١٦ .

بالعروس التي تتفق مع رغباته ومطالبه . (١) ويفهم أيضا من تمثيلية ابن دنيال ، أن هـذه المرأة قد اعتادت أن تبالغ فى المعلومات التى تمد بها كلا الطرفين ، فعندمـا أراد الأمـير وصال الزواج التفت إلى أخيه طيف الخيال وقال له : " يا أخى طيف الخيال قـد عزمـت على ترك مسلك الخلاعة والتوبة لله المخلصة ، والعمل بالسـنة والجماعـة ، فقـد دنـا الرحيل، وما بقى إلا القليل ، وأنا استغفر الله من القنوط .. وقد عزمـت علـى الـزواج والنسل والاستنتاج .

ويطلب إلى أخيه أن يستدعى له الخاطبة أم رشيد ، التى أسرفت فى وصف جمـال العروس ، ويقتنع الأمير وصال بصحة هذا الوصف ، ويقبل أن يعقد قرانـه ، وينكشـف الأمر فإذا بهذا الأمير لا يملك شيئا ، وهو يعلل موقفه بقوله " لابد مـن تدبـير الحـال ، وتجهيز المال " . فيقول له طيف الخيال : " يا أمير وصال ، عهدتك ذا مـال ، وجمـال وخيل وبغال ، فيجيبه الأمير وصال بهذه الفقرة التى تجمع بين الحزن والسـخرية " مـال المال ، وحال الحال ، وذهب الذهب ، وسلب السلب ، وفضة الفضة ، وقعـدت النهضـة وفرغت الكأس ، بطون الأكياس ، وبعت العقار برشف العقار ، وأنشد يقول مصـورا دارا لا يمكن أن تكون مسكن لآدمى .. الآتى :

أمسيت أفقـر من يروح ويغتـدى ما فى يـدى من فاقتى إلا يـدى
فى منزلى لم يبـق غيرى قاعـدا فإذا رقـدت رقـدت غير ممـدد
لم يبـق فيـه سـوى حصيـرة ومخـدة كانت لأم المهتـدى
ملقـى على طراحة فى حشوهـا قمـل شـبيه السمسـم المتبـدد

كما تكون المفاجأة الكبرى عندما تزف إليه عروسة مستورة الوجه بمنديل مذهـب منقوش ويكشف عن وجهها الخمار ، فيدرك أن أم رشيد قد خدعته ودلست عليه وقدمـت إليه امرأة جمعت أوصاف الدمامة كلها فهى من أكبر الدواهى ، بأنف كالجبل ، ومشـافر

---

(١) ابن دنيال الموصلى (شمس الدين محمد) : طيف الخيال ، مخطط فى مجلد بدار الكتاب المصرية ، لخزانة التيمورية ١٦ آلعاب ، سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصرى فـى عصـر سـلاطين المماليك ص ١١٩ .

مشافر الحمل ولون كلون الجمل ، وأجفان مكحولة بالعمش ، وخدود مضرجة بـــالنمش ، وأسنان كأسنان التمساح " ، فأغمى على الأمير وصال من هول بشاعة عروســه المخيفــة الشوهاء ، وبعد أن فاق حاول الانتقام من الخاطبة وزوجها فإذا بها قد جاءها أمر الله فـــى دارها وزوجها (الشيخ عفلق) رجل هرم على أبواب القبر . (١)

وجرت العادة أنه إذا رضى الراغب فى الزواج بالمعلومات التى قدمتها له الخاطبــة فإنه يسرع إليها ثانية مقدما لها هدية ويرسلها من جديد إلى عائلة الفتاه لتبلغها رغبته فـــى الاقتران بابنتها .(٢) وعلى الرغم من أن الشريعة (٣) الإسلامية قد نصت على ضـــرورة استئذان الفتاة والأخذ برأيها فى اختيار شريك حياتها ، إلا أنه فى الغـــالب أن الفتـــاه فـــى العصر المملوكى لم يكن لها رأى فى اختيار شريك ، بـــل ظـــل الـــرأى الأول والأخـــير لوالدها ، وربما شاركته فى ذلك أمها (٤) .

* * *

---

(١) ابن دانيال : المرجع السابق ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

د. فؤاد حسنين على : قصصنا الشعبى ، الناشر دار الفكر العربـــى ، ١٩٤٧ م ، ص ٥٨ .، عبـد الحميد يونس : خيال الظل ، المكتبة الثقافية ١٣٨ ، أغسطس ١٩٦٥م ، الـــدار المصريـــة للتـــأليف والترجمة ، ص ٣٨ .

(٢) السخاوى ، التبر المسبوك ص ٣٩١ .

(٣) فقد روى أبو هريرة عن الرسول □ أنه قال : " لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح الكـــبر حتـــى تستأذن ، قالوا يا رسول الله وكيف إذنها ؟ قال أن تسكت " .

، عن أبى عمرو مولى عائشـــة " عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : يا رســـول الله أن الكـــبر تستحى ، قال : رضاها صمتها "

انظر : ابن حجر : فتح البارى ، جـ٩ ، ص ٩٨ .

(٤) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٣٩١ . ،

سعيد عاشور : المجتمع المصرى ص ١١٩ ، ١٢٠ .

المهـــــر(١) :

من المعروف أنه بعد اختيار العريس لشريكه حياته وإتمام الخطبة بقـراءة الفاتحـة يأتى دور الاتفاق على قيمة المهر وعقد القران . ذلك المهر الذى يعتبر حق مـن حقـوق الزوجة على زوجها (٢) . وهو مقدار من المال فرضه الله تعالى على الرجال للنساء عنـد عقد الزواج وهو حق مقدس من حقوقهن اثبته لهن الإسـلام إعـلاء لقدرهـن وتشـريفا لمكانتهن ، وتعويضا ومكافأة لهن عند دخولهن بعقد الزوجية تحت رياسـة الرجـل التـى تقتضيها الفترة ونظام المعيشة (٣) .

ولا يشترط فى المهر أن يكون من جنس النقدين بل يجوز أن يكون من كـل مـال متقوم عقارا أو منقولا عرضا أو مكيلا أو موزونا أو حيوانا . ويجوز أيضا أن يكون مـن منافع الأعيان التى يستحق بمقابلتها المال . فإذا أعطى الزوجة أرضـا زراعيـة وجعـل مهرها أن تنتفع بها بأن تزرع تلك الأرض ثلاث سنين مثلا كـانت تلـك المنفعـة التـى تستوفيها مهرا لها (٤) .

---

(١) المهر : الصداق ج مهـور .
أحمد رضا : المرجع السابق – المجلد الخامس ص ٣٥٧ . وأصدق الرجل المرأة سمى لها صداقـا ، الصدقة والصدقة والصدقة والصدقة مهر المرأة .
بطرس البستانى : قطر المحيط جـ ١ ص ١١٢٠ .
وللمهر أسماء تسعة : الصداق ، والصدقة ، والنحلة ، والأجر والفريضة والعلائق ، والعقر (وهـو غالب فى الأماء) والمهر والحبأة .
بدران أبو العنين : الزواج والطلاق فى الإسلام ص ١٢٥ .

(٢) عبد الله المراغى : الزواج والطلاق فى جميع الأديان ، الكتاب ٢٤ ، ١٩٦٦م ، ص ٢١٢.
(٣) حسين سامى : حقوق المرأة وواجباتها فى الإسلام ، القاهرة ١٩٣٤ ، ص ١٩ .
(٤) أحمد ابراهيم : الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية ، القاهرة ١٩٣٤ ، ص ١٩ .

ويقال – ساق (١) إلى المرأة صداقها حينما كانوا يدفعون فى الصداق إبـــلا وغنمـــا وتلك الإبل لها النافجة (٢) ، فمنهم من تزوج على مائة ناقة (٣) وكان ذلك فى حالـــة ذوى الجاه والسؤدد واليسار (٤) ومنهم من دفع ثلاثين شاه (٥)

وكان من الممكن أن يكون المهر زجاجة خل أو عبيد أو مساوى لأيـــة ســـيدة مـــن طبقة العروس (٦) .

---

(١) (ساق) سوق الإبل حلبها وطردها يقال سقته بالساق فانساق والسيقة ما يساق من الدواب وسقت المهر إلى الموت وذلك أن مهورهم كانت الإبل .

الراغب الأصفهانى : مفردات الراغب الأصفهانى فى كتاب ابن الأثير النهاية هامش أيسر ص ١٩٣ ، هامش أيمن ص ١٩٤ .

وقيل للمهر سوق لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهرا لأنها كـــانت الغـــالب علـــى أموالهم ثم وضع السوق موضع المهر وإن لم يكن إبلا وغنما بمعنى البدل كقوله تعالى : " ولو نشـــاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون أى بدلكم .

انظر : ابن الأثير ، النهاية جـــ٢ ص ٢١٠ .

(٢) الجاحظ : الحيوان القاهرة ١٩٠٧م جـــ١ ، ص ٢١٠ .

الجاحظ ، البخلاء ، بيروت ١٩٥٧م ص ٢٤٨ .

التنوخى : المستجاد من فعلات الأجواد ، نشر وتحقيق محمد كرد على ، مطبعـــة الـــترقى بدمشـــق ١٩٤٦م ص ١٧٤ .

وكانت العرب يأخذ الرجل مهر ابنته إبلا فيدخلها فى ماله فينفجه ولذلك كانوا يقولون للرجل تولد لـــه الجارية هنيئا لك بالنافجة .

البلوى : ألف باء ، جـــ١ ص ٢٩٥ .

ويطلق على ما يأخذه الرجل من مهر ابنته " الحلوان " .

البلوى : السابق ص ٥٢٧ .

(٣) ابن منظور : مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى جـــ ٢ ص ٢٢٩ .، زينب فواز : الدار المنثـــورة ص ٥٢٥ .

(٤) عبد الله عفيفى : المرجع السابق جـــ ١ ص ١٥٨ .

(٥) الجاحظ : الحيوان ، جـــ ١ ص ٣٨ .

(6) Sidi Khalil : Mariage et Repodiation, Traduction avec Commentaires par E. Fagnan Alger, 1909, p. 54.

وربما كان المهر ما يحفظه العريس من القرآن (١) أو أبسط ما يملكه مثل الـدرع ، كما كان الحالى فى مهر فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقد أصدقها على بـن أبـى طـالب درعا (بدنا) من حديد باعها الرسول بثلاثمائة وثمانية أو أربعمائة درهم كما يقال. (٢)

ومما يذكر أن صداق فاطمة وغيرها من بنات الرسول كان خمسـمائة درهـم (٣) وقد جعل الله المهر حقا خالصا للمرأة ونهى عن مسه بأى سبيل كان ، فقـال تعـالى : " وآتو النساء صدقاتهن نحلة " (٤) و " آتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا " وفى الآيـة الأخيرة أشار إلى جواز كثرة المهر (٥) .

ويرى الإسلام أن يسر الصداق ييسر الزواج ويقضى على العزوبة قال الرسـول : "خير الصداق أيسره " ، و " أن أعظم النكاح بركة أيسـرة مئونـة " ، " وخـير النسـاء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا (٦) . وقال ﷺ فى حديث آخر : " اللهم اذهب ملـك غسان (٧) .

---

(١) عن سهل بن سعد قال جاءت امرأة إلى رسول الله □ فقالت إنى وهبت من نفسى ، فقـامت طويـلا فقـال رجل زوجنيها إن لم تكن لك بها حاجة ، فقال عليه الصلاة والسلام هـل عنـدك مـن شـئ تصدقهـا ؟ قـال ما عندى إلا إزارى ، فقـال أن أعطيتها إياه جلست لا إزار لك فـالتمس شـيئا ، فقـال ما أجد شـيئا ، فقال لتمس ولو كان خاتما من حديد فلم يجـد ، فقال أمعك من القرآن شـئ ؟ قال نعم سورة كذا وسورة كذا لسور سماها ، فقال قد زوجناكها بما معك من القرآن .
ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ، جـ٩ ، ص ٩٧ .

(٢) ابن قتيبة الدينيوى : عيون الأخبار ، ط١ ، دار الكتب المصرية ١٩٣٠ ، مجلد ٤ص ٧٠.

(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى جـ١ ص ٥٩١ .

(٤) سعيد الأفغانى : الإسلام والمرأة ، مطبعة الترقى بدمشق ١٩٤٥م ص ٣٤ .

(٥) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ، جـ ٩ ص ١١١ .

(٦) محمود بن الشريف : الإسلام والأسرة ص ٣٩ .

(٧) غسان : يجوز أن يكون فعلا ، بالفتح ، من الغس وهو دخول الرجل فى البلاد ، أو من غسـته ، أو من قولهم للشئ الجميل : هو ذو غسن ، وأصل الغس خصل الشعر من المرأة أو الفرس . وهو اسم ماء نزل عليه بنو مازن ابن الأزد بن الغوث وهم الأنصار وبنو جفنة وخزاعة فسموا به، وفى كتـلب =

وضع مهور كندة (١) " (٢) .

وفى حديث لعمر بن الخطاب رضى الله عنه " لا تغالوا فى الصدقات "(٣) .

والمهر نوعان الأول المسمى ، وهو ما اتفق عليه عنـــد العقــد أو فــرض بعــده بالتراضى ، الثانى مهر مثل المرأة ، وهو مهر امرأة من قوم أبيـــها ، كأختــها وعمتــها تماثلها فيما يعتد به من صفات النساء : من السن ، والجمال والمال ، والديـــن ، والأدب ، والعقل ، والعلم ، والبكارة ، والثيوبة والولادة والعقم وما إلى ذلك ، ويراعى مع ذلك حــال الزوج . (٤)

= عبد الملك بن هشـــام : غسان ماء بسد مأرب باليمن كان شربا لبنى مازن ابن الأزد بـــن الغــوث ، ويقال غسان ماء بالمشلل قريب من الجحفة ، وقال نصر : غسان ماء باليمن بين رقع وزبيد وإليـــه تنسب القبائل المشهورة ، وقيل هو : اسم دابة وقعت فى هذا الماء فسمى الماء بها ، فأما الأنصـــار فهــم الأوس والخزرج أبنا حارثة بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث وأما جفنة فهو ابن عمـــرو ابن عامر ابن حارثة بن امرئ القيس.

وقال ابن الكلبى : وغسان ماء باليمن قرب ســد مأرب كان شربا لولد مازن بن الأزد بـــن الغــوث نزلوا عليه فسموا به ، ويقال : غسان ماء بالمشــلل قريب من الجحفة والذين شربوا منه ســموا بــه فسمى به قبائل من ولد مازن بن الأزد ، وقد ذكرتهم الشعراء ، قال حسان ، وقيل سعد بن الحصيـــن جد النعمان ابن بشير :

يا بنت آل معــاذ اننــى رجــل من معشر لهم فى المجد بنيــان
شم الأنوف لهــم عز ومكرمــة كانت لهم جبال الطــود أركــان
أما سألت فأنــا معشــر نجــب الأزد نســبتنا والمــاء غســان

انظر ياقوت : المرجع السابق ، المجلد الرابع ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(١) كندة : بالكسرة ، اسم قبيلة باليمن .

انظر الياقوت : المرجع السابق ، المجلد ٤ ، ص ٧١ .

(٢) ابن قتيبية الدينورى : المرجع السابق ،جـ ٢ ، ص ٢٧٩ .

(٣) ابن الأثير : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٢٧٩

(٤) على حسب الله : الزواج فى الشريعة الإسلامية ، دار الفكر ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

ولمقدار المهر نهاية صغرى وليس له نهاية كبرى بالاجمـــاع فنهايتـــه الصغـــرى عشرة دراهم فضة وزن سبعة مثاقيل سواء أكانت الدراهم مضروبـــة أم غـــير مضروبـــة والأصل فى ذلك الحديث " لا مهر أقل من عشرة دراهم " وقيمتهما الآن خمسة وعشـــرون قرشا(١).

ويقسم المهر قسمين متساويين أو غير متساويين : يدفع أولهما مع توقيع العقـــد ويســـمى المهر المعجل ، ثم يستحق الباقى عند وفاة الزوج أو عند الطلاق ، ويسمى المؤجل(٢) .

ولا يدخل فى المهر ثمن الجهاز أو المتاع الذى تجلبه المرأة معها إلى بيت زوجـــها من ثياب أو أثاث ، إلا إذا كان هذا باتفاق بين الزوجين عند العقد ، فـــإن الإنفـــاق علـــى المرأة من حين العقد يقع على الزوج ، و " الجهاز داخل فى النفقة الواجبة على الـــزوج ، لذلك لا تجبر المرأة على شراء " الجهاز " من مهرها ، إلا إذا تبرعت هى بذلك ، وكذلـــك لا يجبر والد المرأة على تجهيزها " ، وإذا فعل كان ذلك هبة منه لابنته. ومتاع المرأة فـــى الأصح ملك لها سواء اشترته من مالها أو من مال أبيها أو كان زوجها قد اشتراه لها (٣)

وقد جرت العادة فى عصر المماليك أن يدفع جزء من المهر مقدما قبل عقد القـران، أما الباقى الذى اصطلح على تسميته بمؤخر الصداق فكان يسدد على أقساط مؤجلـــة كمـــا يفهم من أغلب عقود الزواج التى وصلتنا من عصر المماليك والمحفوظة بمتحـــف الفـــن الإسلامى بالقاهرة (٤) .

---

(١) أحمد إبراهيم : الأحكام الشرعية ط ٣ القاهرة ١٩٣٨م ، ص ٢٩ .

(٢) عمر فروخ : الأسرة فى الشرع الإسلامى ، ط ٢ ، بيروت ١٩٧٤م ، ص ٩٢ .

(٣)المرجع نفسه ، ص ٩٤ .

(4) Ahmed Abd Ar- Raziq, Un document concernant le Mariage des Esclaves au temps des Mamluk, Jesho XIII PP. 310–312.

سعاد ماهر : عقود الزواج على المنسوجات الأثرية ، ص ٣٩– ٥٤ .

أحمد عبد الرازق : المرأة ص ٦٩ .

هذا وتحمل لنا المصادر مغالاة المماليك فى المهور فتذكر على سبيل المثال لا الحصر مقدار بعض من هذه المهور . فقد جاء فى تاريخ ابن الفرات فى أحداث الثانى عشر من ذى الحجة سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٦م أنه عقد قران الملك السعيد بن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى على صداق خمسة آلاف دينار المعجل منها ألفا دينار والمؤجل ثلاث آلاف دينار (١) . وذكر ابن الفرات أيضا فى تاريخ ذو الحجة سنة ٦٨١هـ/١٢٣٨م أنه تزوج الملك الصالح علاء الدين على بن الملك المنصور سيف قلاون بالست منكبك ابنة الأمير سيف الدين نوكية وتقرر العقد على خمسة آلاف دينار عينا قدم منها ألف دينار (٢) .

وذكر أبو الفداء بتاريخ ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة (١٣٢٠م) أنه تم عقد السلطان الملك الناصر محمد على طولباى المغولية القادمة من بلاد القبجاق وهى من ذرية جنكزخان على صداق قدره ثلاثين الف دينار المعجل منها عشرون ألف دينار.

وذكر المقريزى بتاريخ الثانى من شعبان سنة ٧٢٢هـ/١٣٢٢م أنه عقد عقد خوند بنت السلطان على الأمير أبى بكر بن الأمير أرغون النائب على صداق قدره اربعة آلاف دينار (٣) .

هذا وكان مهر الأمير أنوك ابن السلطان الملك الناصر محمد إلى بنت المقر السيفى بكتمر الساقى الذى حمل خزانة الخاص بالقلعة يشمل كما ذكر المقريزى الآتى : عشرة آلاف دينار ، ومائتان وخمسون تفصيلة حرير مثمنة ، ومائة ناقجة مسك وألف مثقال عنبر خام ، ومائة شمعة موكبية وثلاثة أرؤس من الخيل مسرجة ملجمة ، وخمسة مماليك على يد كل مملوك بقجة " (٤) .

---

(١) ابن الفرات:تاريخ ابن الفرات ، المجلد السابع ، تحقيق د. قسطنطين رزيق ، بيروت ١٩٤٣، ص ٥١

(٢) المرجع نفسه ص ٢٥١ .

(٣) المقريزى السلوك ، جـ٢ / القسم الأول ص ٢٣٧ .

(٤) المصدر نفسه ص ٣٣٣ .

، محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد ص ٢٤٩ .

وقد وصف ابن أيبـك مهـر أنوك ببعض الاختلاف عما ذكره المقريزى فقد ذكـر " حمل مهر النجل الشريف السلطانى انوك بن خوند طغاى إلى بيت المقر السيفى بكتمـر الساقى على ثلاثة بغال . الأول صندوقين ضمنها خمسة آلاف دينار ، وبغلين قمـاش وثلاثـة أرؤس خيل فحل ، وحجرتين بروج ذهب ، وخمسة مماليك على يد كل مملوك بقجة "(١) .

وذكر ابن إياس بتاريخ ١٧ ربيع الأخر سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٩م أن صـداق خونـد سارة أخت السلطان شعبان كان " خمسة عشر آلف دينار مصرية " (٢)

وذكر ابن تغرى بردى في حوادث ربيع الآخر سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م فى سـلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر-أنه عقد للسلطان على الخاتون تندى بنت حسـين ابن أويس وكانت قدمت مع عمها السطان أحمد (٣) بن أويس ، ومبلغ الصداق ثـلاث آلاف دينار وكان صرف الدينار إذ ذاك ستة وعشرين درهما ونصف درهم (١) .

---

(١) أبو بكر ابن أيبك الدوادارى : كنز الدرر ، جـ٩ وهو الدر الفاخر تحقيق هانس روبرت رويمـر - القاهرة ١٩٦٠ ، ص٣٥٨ .

(٢) ابن إياس : السابق جـ١ / قسم ثانى ، ص٨٢

(٣) أحمد ابن أويس بن الشيخ حسن بن حسين بن اقبغا بن أيلكان السلطان غياث الدين صـاحب بغـداد وتبريز وغيرهما من بلاد العراق .. ٨١٣هـ/١٤١٠م .

ملك بعـد موت أخيه الشيخ حسن بن أويس سنة أربع وثمانين وسبعمائة ، واستمر بممـالك العـراق حتى سنة خمسة وتسعين وسبعمائة . خرج من بغداد فارا من تيمورلنك لما استولى علـى بغـداد ، وقصد نحو البلاد الحلبية وصحبته نحو أربعمائة فارس من أصحابه . ونجا ابن أويـس فـى طائفـة وقصد حلـب لائذا بجناب الملك الظاهر برقوق سلطان مصر الذى طلب اسـتدعائه إلـى القـاهرة فوصلها فى يوم الثلاثاء سابع عشر ربيع الأول سنة ست وتسعين وسبعمائة .

ثم تزوج الملك الظاهر بالخاتون تندو بنت حسين بن أويس ابن أخى القان غياث الدين أحمد هـذا ، ومبلغ الصداق ثلاثة آلاف دينار ، وبنى بها ليلة الخميس عاشر الشهر المذكور وليلة سفره .

انظر ابن تغـرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، تحقيق د. محمد محمـد أمـين ، دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٥ ، ص ٢٤٨ ، ٢٥٣ . -

كما ذكر ابن تغرى بردى فى حوادث سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م فى سلطنة الملك المؤيد شيخ المحمودى أنه " عقد السلطان عقد الأمير الكبير الطنبغا القرشى على ابنته بصداق مبلغه " خمسة عشر الف (٢) دينار هرجة " (٣) .

وذكر ابن إياس فى أحداث شوال سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م فى عهد الغورى أنه تم عقد المقر الناصرى محمد بن السلطان على ابنة ملك الأمراء سيباى نائب الشام على صداق جملته نحو عشرون ألف دينار من ذلك عشرة آلاف دينار معجلا وعشرة آلاف دينار حال (٤) .

هذا ونجد من المهور ما هو أقل من ذلك بكثير وذلك ليس فقط فى غير طبقة السلاطين والأمراء فحسب بل فى طبقة السلاطين والأمراء أيضا فمثلا نقرأ فى تاريخ ابن الفرات فى أحداث رمضان سنة ٦٨١هـ/ديسمبر ١٢٨٣م أنه تم عقد فتح الدين بن المولى محيى الدين بن عبد الظاهر على جاريته التى عتقها على مائة دينار عينا حال(٥).

وذكر أبو الفداء فى أحداث ذى الحجة سنة ٦٩١هـ/١٢٩٢م دخول الأمير سنقر الأعسر على بنت الوزير شمس الدين بن السلعوس على صداق ألف دينار عجل لها خمسمائة (٦) .

= وبعد أن فارقها الظاهر برقوق تزوجها ابن عمها شاه ولد ابن شاه زادة بن أويس فلما رجعوا إلى بغداد ومات أحمد أقيم شاه ولد فى السلطنة فدبرت مملكته حتى قتل وأقيمت هى بعده فى السطنة حتى ماتت فى سنة ٨٢٢هـ فقام بعدها ابنها أويس بن شاه .

انظر : ابن العماد : المصدر السابق ، جـ ٧ ص ١٥٥ .

(١) ابن تغردى بردى : المصدر السابق ، جـ١٢ ص ٥٢ ، ٥٣

(٢) المصدر نفسه : جـ١٤ ، ص ١٠٠ .

(٣) الهرجة تعنى سبيكة من الذهب لها عيار مخصوص لابد أن تجوزه وإلا تعتمد ، فإذا جازته ضربت دنانير ذهبية . انظر : د. عبد الرحمن فهمى : دار الضرب المصرية ص٦٧ - ٧١

(٤) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

(٥) ابن الفرات : المرجع السابق ، مجلد ٧ ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٦) أبو الفداء : البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٣٣٠ .

كما احتوى عقد زواج ابن عبد الله المتملك بدنقله على الأميرة الجليلة الرئيسة ابنـــة عمه الست بشرية المؤرخ فى ٢ ذى القعدة سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م على صداق قدره مـــن الذهب العين المصرى المثاقيل المسكوكة مائتا دينار وخمسون دينارا حالا ومؤجلا الحـــال من ذلك مائة دينار (١) .

وذكر ابن تغرى بردى فى أحداث ذو الحجة سنة ٧٩١هنـــ/١٣٨٩م فـــى ســلطنة المنصور حاجى الثانية على مصر أنه استدعى منطاش القضاة إلى الريدانية ثم طلبوا إلـــى عند السلطان ، فعقدوا عقده على بنت الأمير أحمد ابن السلطان حسن بصداق مبلغه ألـــف دينار وعشرون ألف درهم (٢) .

وجاء فى مفاكهة الخلان فى حوادث يوم الثلاثاء مســـتهل جمـادى الآخـر ســنة ٨٨٥هـ /سنة ١٤٧٩ أنه عقد عقد رضى الدين بن الغزى الشافعى على بنـــت المرحـوم شيخ الإسلام زين الدين خطاب البكر على " مبلغ ذهب مائة وخمسين " (٣).

وذكر شمس الدين ابن طولون أنه كتب ابن رزيق بن البصروى فى ليلـــة الاثنيـن تاسع عشر رمضان سنة خمسة عشر وتسعمائة /١٥٠٩م على بنت كمال الدين بن حمـــزة على مائتى دينار (٤) .

ومن الجدير بالذكر أنه كان يكتب لكل زيجة عقد زواج يدون فيه قيمة المهر المقـدم منه والمؤخر .

ومما يجب ذكره أن الزواج فى بداية الإسلام كان يتم مشافهة ولـــم تكـن العـرب تعرف عقود الزواج المكتوبة .

---

(١) حسن محمد الهوارى : عقد زواج قديم مضى عليه ٦١٨سنة ، مجلة الهلال الســـنة ٤١ – مـارس ١٩٣٣ – ص ٦٢٩ .

(٢) ابن تغرى بردى : السابق ، جـ١١ ، ص ٣٦٥ .

(٣) شمس الدين محمد بن طولون : مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان ، القسم الأول ، القاهر ة ١٩٦٢م، ص ٢١ .

(٤)المرجع نفسه ، ص٣٥٦

أما فى مصر فيذكر البعض أن عقود الزواج عرفت منذ فجر التاريخ ، ويستدلون على ذلك بأن أول عقد زواج عثر عليه يرجع تاريخه إلى سنة ٣٦٥ ق.م، وأن النص المدون فى هذا العقد يعطى بيانا عن قيمة الهبة المالية من الزوج إلى زوجته ، وهو ما يعبر عنه فى الشريعة الإسلامية المهر أو الصداق ويبدو أن هذه الحالة فريدة ، لأنه لم يصلنا حتى الآن عقود زواج أخرى يرجع تاريخها إلى هذه العصور التاريخية القديمة ، أو الملاحقة بها حتى تعطينا انطباعا بأن عقود الزواج كانت شائعة فى المجتمعات المصرية القديمة (١) .

وفيما يختص بعقود الزواج فى الإسلام ، فلدينا مجموعة ليست بالقليلة من عهود اسلامية مختلفة معظمها مكتوب على ورق بردى ، وقليل مدون على ورق مشرقى أو على رق غزال ، أو جلد حيوان ، وكلها تنتمى إلى مركز صناعة البردى منذ فجر التاريخ ، مصدر الاشعاع الفكرى الذى كانت تصدره مع المادة الوحيدة للكتابة التى عرفها العالم حينذاك وهى البردى .

وأقدم عقد زواج تحت أيدى الباحثين يرجع تاريخه إلى نهاية القرن الثانى الهجرى، وما يؤخذ على هذا العقد من ناحية النقد العلمى ، عدم تدوين السنة التى كتب فيها ، ويبدو أن جروهمان ألحقه بهذا التاريخ قياسا على مميزات الكتابة المدونة على البردية ، إذ أن لكل عصر من العصور الزمنية خصائصه ومميزاته الكتابية المعلومة للمشتغلين بوثائق البردى ، وفى دار الكتب والوثائق بالقاهرة مجموعة من عقود الزواج ترجع إلى عصور زمنية مختلفة تنحصر فيما بين القرن الثالث والخامس الهجرى (٢) .

وأنه لمن حسن الحظ أن استطعت الوصول إلى أقدم عقد زواج يرجع تاريخه إلى نهاية القرن الأول الهجرى . (لوحة ٢٦٣) .

---

(١) د. أحمد الشامى : التطور التاريخى لعقود الزواج فى الإسلام ، سلسلة تاريخ العرب والإسلام – ١٩٨٢م ، ص ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

(٢) أحمد الشامى : المرجع السابق ، ص ١٤ .

وقد جرت العادة أنه إذا تزوج سلطان أو ولده أو بنته أو أحد من الأمـراء الأكـابر وأعيان الدولة أن تكتب له خطبة صداق تكون فى الطول والقصر بحسب صاحب العقـد ، فتطال للملوك وتقصر لمن دونهم بحسب الحال .

وأورد القلقشندى عدة نسخ لخطب الصداق منها خطبة صداق الملك السـعيد بركـة ابن السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى على بنت الأمـير سـيف الديـن قـلاوون الصالحى الألفى قبل سلطنته وهى من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر .

ونسخه صداق المقام الشريف العالى السيفى أنوك ، ولد السـلطان الشـهيد الملـك الناصر محمد بن قلاوون على بنت المقر المرحوم السيفى " بكتمر الساقى " ، وكان العـاقد قاضى القضاه جلال الدين القزوينى ، والقابل والد الزوج السطان الملك الناصر .

ونسخة صداق المقر الشريف إبراهيم بن السلطان الشهيد الملك الناصر محمد بـن قلاوون ، من إنشاء المقر الشهابى بن فضل الله .

ومن نسخ صداق (خطب نكاح) الرؤساء والأعيان وأولادهم ذكر القلقشندى نسـخة صداق جمال الدين عبد الله بن سيف الدين أبى سعيد أمير صـاحب علـى بنـت بيدمـر العمرى ، ونسخة صداق ناصر الدين محمد بن الخطيرى ، ونسخة صداق القـاضى تقـى الدين ، ونسخة صداق من انشاء الشيخ صلاح الدين الصفدى للقاضى بدر الديـن خطيـب بيت الآثار على بنت شمس الدين الخطيب من بيت الآثار تسمى سوسـى ، فـى مسـتهل جمادى الآخرة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، فى مجلس مولانا قاضى القضاه تقى الديـن السبكى الشافعى . ونسخة صداق زين الدين صدقه السيفى أزدمـر ، علـى بنـت أمـير المؤمنين " المتوكل على الله " (١) .

هذا وتضم خطبة النكاح أربعة خطب تكون بألفاظ تشتمل على حمـد الله والصـلاة على رسوله وآية مشتملة على أمر بتقوى ، وتكون الأولى من راغب الزواج عن إرادتـه ،

---

(١) القلقشندى : المرجع السابق ، ص ٣٠٠- ٣٢١ .

ويجيبه ولى الزوجة أو وكيلها بالإجابة أن وافق على الخطبة . وهذه هى الخطبة الثانيـــة . وعند العقد يخطب ولى المرأة أو وكيلها فيجيبه الـــزوج بالموافقـــة . وهاتـــان الخطبتـــان تكونان عند الإيجاب من ولى المرأة أو وكيلها وعند القبول من الزوج .

والمأثور فى مثل هذه الخطب : الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بـــالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هـــادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله " يا أيـــها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا ونســـاء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا " ... " يا أيها الذيـــن آمنـــوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطـــع الله ورســـوله فقد فاز فوزا عظيما " (١) .

ويستجيب للخاطب إطالة الكلام وللمخطوب إليه تقصيره (٢) ، وحـــدث ذلـــك فـــى خطبة محمد بن الوليد بن عتبة بن ابى سفيان عند زواجه مـــن أخـــت عمـــر بـــن عبـــد العزيز(٣) فقد أطال الأول واختصر الآخر .

ومن الجدير بالذكر أن الخطباء لم تكن تخطب قعودا إلا فى خطبة النكـــاح وكـــان يستحسن أن يكون فى الخطب يوم الحفل وفى الكلام يوم الجمع آى من القرآن فـــإن ذلـــك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وحسن الموقع (٤) .

ويبدو مما جاء بالمصادر أن معظم الأنكحة كانت تعقد فى المساجد فمثلا ذكر ابـــن حجر فى أحداث شعبان سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م أن عقد الطنبغا القرشى على بنت الملـــك المؤيد كان بالجامع المؤيدى (٥) .

---

(١) عبد الله المراغى : الزواج والطلاق فى جميع الأديان ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد – ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٣م ، جـ ٤ ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٣) ابن قتيبة الدينورى : عيون الأخبار ، مجلد ٤ ، ط ١ ، دار الكتاب ١٩٣٠م ، ص ٧٣ .

(٤) الجاحظ : البيان والتبيين ، ط ١ ، جـ١ ، ص ٥٠ .

(٥) ابن حجر العسقلانى : أبناء العمر بأنباء الغمر ، جـ ٣ ، ص ٢٢٣ .

وذكر ابن إياس بتاريخ المحرم سنة ٨٧٤هـ/١٤٧٩م فى سلطنة الأشرف قايتبـــاى أنه عقد للأمير يشبك الدوادار على خوند فاطمة ابنة الملك المؤيد أحمد بن الأشرف اينـــال وكان العقد بالجامع (١) الذى بالقلعة (٢).

كما ذكر ابن إياس بتاريخ جمادى الآخرة ٨٩٢هـ/١٤٨٧م فى عهد قايتباى أيضا أنـــه عقد لقانصوه خمسمائة على ابنة الأتابكى أزبك من خوند ابنة الظاهر جقمق بجامع القلعة(٣) .

وذكر بتاريخ الجمعة عاشر رجب سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠ م فى عهد السلطان طومـلن باى أنه عقد للسلطان طومان باى على خوند فاطمة ابنة العلاى على بـــن خـــاص بـــك ، بجامع القلعة (٤) .

وذكر بتاريخ الجمعة ثامن جمادى الآخر سنة ٩٠٥هـ/١٤٩٩م أنه عقـــد لأتـــابكى جان بلاط على خوند أصل باى الجركسية أم الملك الناصر وأخت الملك الظاهر قـــانصوه بجامع القلعة . (٥)

وذكر بتاريخ الجمعة الرابع عشر من شوال سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م أنه تم عقد المقـر الناصرى محمد بن السلطان الغورى على ابنة سيباى نائب الشام بجامع القلعة . (٦)

هذا وكانت أنكحة أبناء وبنات السلاطين تعقد فى الغالب فى قلعة الجبل مقر الحكـــم كما كان الحال بالنسبة لعقد الملك السعيد ابن الملك الظاهر بيبرس وبنـــت الأمـــير ســـيف الدين قلاون . (٧)

---

(١) وأما الجامع الكبير الذى بالقلعة ليس له نظير قيل أنه يصلى فيه خمسة آلاف نفر وبه عمد عجيبة فى الغلظ وبه منارتان " وهو من إنشاء المقام الشريف الملك الناصر محمد بن قلاوون .
ابن شاهين : المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(٢) ابن اياس : المصدر السابق ، ط٢ ، جـ٣ ، ص ٣٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٤١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٦٩ ، ٤٧٠ .

(٥)المصدر نفسه ، ص ٤٢٨

(٦) المصدر نفسه ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

(٧) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات مجلد ٧ ص ٥١ .

وعقد ابنة السلطان الظـــاهر أبو سعيد جقمق (فى المحـــــرم ٨٥٤هـــــ/١٥٤٠م) بالأمير أزبك من ططخ أحد الأمراء العشروات (١) (كان بالدهيشة). (٢)

وعقد أنوك ابن السلطان الناصر محمد (٣) (بالقصر الأبلق) (٤)

وعقد ابنة السلطان (الاثنين جمادى الآخر سنة ٧٢٧هـ//١٣٢٧م) علـــى الأمـــير سيف الدين قوصون. (٥)

وكان العقد فى حالة أبناء ونبات السلاطين والأمراء يتم فى احتفال فخـــم يحضـــره القضاة الأربعة وأعيان الناس وتقام وليمة . فيذكر ابن أيبك أنه فى كتـــب كتـــاب " أنـــوك حضر الأربعة ايمه وفرق السكريج على المنوالى الأمرا "(٦) .

وذكر ابن إياس أنه فى يوم عقد قانصوه خمسمائة جمادى الأخر ٨٩٢هـــــ/١٤٨٧م فى سلطنة قايتباى أحضر السلطان عدة زبادى صينى فيهم سكر ومشنات فاكهة ، فرقـــت فى الجامع ، فكان كما يقال فى المعنى:

---

(١) أما الدهيشة فهى من العجائب وعمارتها حسنة من خواص مجالس السلاطين وهى من إنشاء المقـام الشريف الملك الناصر محمد بن قلاوون .
ابن شاهين المرجع السابق ج ٢ ص ٢٦ .

(٢) ابن اياس : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٧ .

(٣) أما القصر الأبلق به ثلاث قصور شريفة وخرجاه برسم المواكب السلطانية الجميع مفروش بالرخـــام الملون والسقوف المدهونة بالذهب واللازودو والنقوش العجيبة إنشاء المقام الشريف الملك النـــاصر محمد بن قلاوون .
والدهيشة والأبلق من قصور المملكة بقلعة الجبل " ابن شاهين " : المرجع السابق ص ٢٦ .

(٤) المقريزى : السلوك جـــ٢ القسم ص ٣٤٣ .
، أبو بكر ابن أيبك الدوادار : كنز الدرر جـــ ٩ وهو الدر الفاخر .
تحقيق هانس رويمر القاهرة ١٩٦٠م ص ٣٦٠ .

(٥) المقريزى : السلوك جـــ٢ القسم الأول ص ٣٨٣ .

(٦) ابن ايبك : السابق ص ٣٦٠ .

على ايمن الساعات عقد مبـــارك بهى كما شـــاء الإلـــه وأظهـــرا (١)

سنى المعـــالى يســـرت حركاتـــه إذا الله ســـنى أمر عقـــد تيســـرا

كما كان عن يوم عقد محمد بن السلطان الغورى على ابنة ملـــك الأمـــراء ســـيباى نائب الشام وهو يوم الجمعة ٤ من شوال ٩٢٠هـــ/١٥١٤م حضر القضاة الأربعـــة وهـــم علاء الدين الأخميمى الشافعى والقاضى شمس الدين السمديسى الحنفى والقـــاضى جـــلال الدين ابن قاسم المالكى ، والقاضى شهاب الدين الفتوحى الحنبلى وحضر ســـائر الأمـــراء من الأكابر والأصاغر ، وحضر القاضى كاتب السر محمود بن أجا وأعيـــان المباشـــرين قاطبة فلما فرغ السلطان من صلاة الجمعة فرشت له مرتبة على باب المقصـــورة فجلـــس عليها ، وجلست الأمراء حوله بالشاش والقماش والقضاة الأربعة وجلس نواب القضاه عنـــد المحراب ثم خطب قاضى القضاه الشافعى خطبة النكاح وطافوا علـــى الحـــاضرين مـــن الأعيان بنحو عشرين سلطانية صينى فيها سكر ، ثم أن الســـلطان اخلـــع علـــى القضـــاة الأربعة كوامل صوف أبيض بصمور ، وأخلع على الأتابكى ســـودون العجمـــى والأمـــير طومان باى الدوادار كوامل مخمل أحمر بصمور كونهما وكلاء فى العقد ، وأخلـــع علـــى صحب الدين الحلبى أما السلطان كاملية صوف بصمور (٢) .

وكان يتم عقد قران الطبقة الثرية وهى طبقة المعممين وغيرهم من المقربيـــن إلـــى السلطان باحتفال كبير يحضره الأمراء والقضاء مثال ذلك ما ذكره أبى الفرات فى أحـــداث يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان سنة ٧٩٠هـــ ١٣٨٨م أنه كتب كتاب القـــاضى جمال الدين محمود القيصرى الحنفى قاضى العساكر المنصورة بالديار المصرية فى بيـــت الأمير شرف الدين يونس الدوادار داخل القاهرة المحروسة على بنت الجنـــاب النـــاصرى محمد بن أحمد الشهير بابن الطيلونى المهندس السلطانى وكانت زوجته قـــد توفيـــت فـــى فصل الطاعون الذى كان وقع فى هذه السنة وارتفع (وشاع) أن السلطان الملك الظـــاهر برقوق أمر القاضى جمال الدين أن يتزوجها ودفع عنه مهرها وأن الأمير جمـــال الديـــن

---

(١) ابن إياس المصدر السابق ط ٢ جـ٣ ص ٢٤١ .

(٢) المصدر نفسه جـ ٤ ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

محمود أستاذ الدار العالية السلطانية حمل عنه " الشطرنج " (١) وأن الأمير أيتمش حمل عنه السكر وأعطاه عشرة آلاف درهم بسبب توابل الكتاب وحضر هذا العقد القضاه وجميع أرباب الدولة من الخليفة إلى المهمندار ولم يكن غائبا عن الحضور فى هذا العقد سوى السلطان لا غير (وأخبرنى) من كان حاضر هذا العقد أن شخص قام وأنشد قصيدة مدح فيها السلطان والأمراء والقضاة وغيرهم ولم يخل بأحد ممن كان حاضرا من أرباب الدولة (٢) .

(١) الشطرنج شطرنجات : لعبة مشهورة معرب شترنك بالفارسية " أى ستة ألوان وذلك لأن له ستة أصناف من القطع التى يلعب بها فيه . وهى الشاه والفرزان والفيل والفرس .. الخ – والبيذق .
انظر : كرم البستانى وآخرون : المرجع السابق ، ص٣٨٧ .

(٢) ابن الفرات : المرجع السابق ، مجلد ٩ ، جـ ١ ص ٣٤ .

حفل العرس

ومن الخصائص البارزة اتصفت بها الحياة المنزلية فى عصر سلاطين المماليك كثرة الاحتفالات والأفراح ، والتفاخر فى أحياء هذه الأفراح حتى بلغ الأمر ببعض الناس أن يبيع الواحد ثيابة ويقترض الأموال بالربا ليتباهى أمام الناس ويقال طعام فلان أكثر من طعام فلان . (١)

ومن ذلك يذكر الشعرانى : " وأما أطعمة العرس الواسعة فإن الغالب على صاحبه التكلف فيه فيطبخ ما ليس من عادته أن يطبخه مما هو فوق طاقته فترى أبا العريس وأم العروسة أو أم العريس يبيع أحدهم ثيابه فى عمل الطعام أو يقترض غالب ذلك ولو بالربا ، ويقول : قد تجونت فى عمل هذا العرس وما بقى إلا عمله فيعمل ذلك الطعام متكرها له ، ومتفاخرا به ، حتى أنه بعد ذلك ربما سمع بعض الناس يقول : كان طعام فلان أكثر من طعام فلان فيتأثر لذلك " . (٢)

وقد توسع المماليك فى أحياء حفلات الزواج ، ولاسيما ما كان خاصا بالأمراء والسادة فلقد كانت هذه الحفلات تمتد عدة ليالى ، أو قد تمكث شهرا ، وفى كل ليلة كان يعرض غير ما يعرض فى الليالى الأخرى ، فإذا امتدت تلك الحفلات شهرا مثلا رأيت فى كل ليلة من ليالى ذلك الشهر جديدا ، ولقد كان الغناء هو أهم ما تعمر به تلك الليالى ومعه الزمر والطبل . (٣)

ويذكر ابن دقماق أنه كانت توجد هناك قاعة لعمل الأفراح عرفت بقاعة ابن اليزيدى وكانت تقع بحارة ابن اليزيدى التى كانت بين سوق بربروزقاق القتلى ولها ثلاث مسالك الأول من سوق بربر الثانى من درب القسطلانى الثالث من شارع يجمع سويقة الغنم والعكامين وزقاق القتلى . (٣)

---

(١) د. سعيد عبدالفتاح عاشور : المجتمع المصرى ، ص ١١٨ .

(٢) د. زكى مبارك : التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق ، الطبعة الأولى ، مطبعة الرسالة ١٣٥٧هـ، ١٩٣٨م الجزء الأول ، ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

(٣) محمد قنديل البقلى : الطرب فى العصر المملوكى (الغناء– الرقص الموسيقا) المكتبة الثقافية ٣٨٩ – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م ، ص ٣٥ .

(٣) ابن دقماق : الانتصار – لواسطة عقد الأمصار ، ط ١ ، ج٤ ، بولاق ١٣٠٩هـ ص ١٣ .

وقد كانت المدة ما بين عقد القران والزفاف – فى الغالب – لا تتجاوز عشرة أيـــام تكون كلها ليالى أفراح متصلة وأيام سرور متوالية . ومن بينها يوم الحمام " حيث تمضـــى العروس إلى حمام عام فى موكب نسوى من قريباتها والأتراب من صديقاتها فى أحسن مـا تتجمل به فتاه يتقدمها حشد من الموسيقيين والمغنيات والراقصات ثم تعود العـــروس فـــى مثل هذا المظهر من المسير إلى بيتها وذلك قبل الزفاف بيومين فهى تذهب ظهر الأربعـــاء إذا كان الزواج ليلة الجمعة ويوم السبت إذا كان الزواج ليلة الاثنين وقـــد يتقـدم حاشـية العروس رجلان يحملان الأوانى والملابس التى تســتعمل فـــى الحمـــام علـــى صنيتيـــن مستديرتين تغطيان بنسيج من الحرير المطرز أو الساذج . ويوجد أيضاً سقاء يروى ظمـــأ السائرين من وقت لآخر . (٢) ويحمل الآخر مبخرة من الفضة يحرق فيها العـــود وغـــيره من المواد العطرية وتكون حاشية العروس من صديقاتها وقريباتها المتزوجـــات ، يتقدمـــن اثنين وتتلوهن الفتيات العذارى ، تلبس المتزوجات الملابس العاديـــة ويتدثـرن بـــالحبرة الحريرية السوداء ، أما الأخريات فيلبسن الحبرة الحريرية البيضاء أو الشال ثـــم يتبعـــهن العروس تحت مظلة حريرية ذات ألوان زاهية ، قرنفلية أو ورديـــة أو صفـــراء ويحمـــل المظلة من قوائمها الأربعة ، المعلق على كل منها منديل مطرز أربعـــة رجـــال ، ويفتـــح صدر هذه المظلة .

وتتدثر العروس من قمة الرأس إلى أخمص القدمين ، بشال من كشـــمير أحمـــر أو نادرا بشال أبيض أو أصفر . ويتوج رأسها بغطاء من الورق المقوى ، يوضع عليه الشـــال فيحجب عن الأنظار وجهها وملابسها الثمينة وحليها خلا قصة أو قصتين وحلـــى أخـــرى تعلق على هذا الموضع من الشال الذى يغطى الجبهة .

ويرافق العروس تحت المظلة اثنتان أو ثلاث من قريباتها ، وامرأة أخـــرى تـــروح عليها بمروحة كبيرة من ريش النعام الأسود يزين أسفلها مرآة صغيرة , وقـــد تقـــام زفـــة واحدة لعروسين معا تحت مظلة واحدة وتسير الزفة ببطء شديد وتتبع طريقا ملتويا ليطـــول العرض .

---

(٢) محمود أحمد الحفنى : موسيقى القاهرة فى ألف عام مجلد للفنون الشعبية ، مارس ١٩٧١م – العـــدد ١٦ ، ص١٢ ، ١٣ .

وتتوجه إلى اليمين عند البدء فى السير . ويأتى فى ذيل الزفة فرقة موسيقية أخــرى مثل الأولى أو فرقة من طبالين اثنين أو ثلاثة . (١)

وتوجد فى حمامات السيدات الماشطة والبلانة وهما يقومان بجميع وسائل التجميــل المعروفة من تصفيف للشعر وإزالته من الجسم وتزيين الوجه بكافة الطرق ، وبذلك تبــدو السيدة عند مغادرتها للحمام فى أجمل زينة وأكمل هيئة . (٢)

ومن الجدير بالذكر أن عادة مرافقة النساء والفتيات للعروس بكثرة إلى الحمــام لــم تقتصر على مصر فقط بل وجدت فى حمص أيضا فيذكر أبو الفداء فــى حــوادث عــام ٧٣٣هـ/١٣٣٢م أنه وقع بحمص سيل عظيم هلك به خلائق ومات بحمــام تتكــز نحــو مائتى امرأة وصغير وصغيرة وجماعة رجال دخلوا ليخلصوا النســاء ، وكــان بالحمــام عروس فلهذا كثر النساء بالحمام " . (٣)

ويذهب العريس أيضا إلى الحمام ويعود بين أصدقائه وأقاربه من المدعويــن فــى موكب موسيقى بديع ، حيث أن الحمام فى ذلك اليوم يكون خاصا بالعرسين. (٤)

ويقيم العريس بعد عودته من الحمام مأدبة ، فيها يجلس كل مجموعة من المدعويــن على سجادة حول صينية موضوعة على حامل وأمامهم الطعام والعيش والسلطة والماء.(٥)

وتعود العروس من الحمام إلى منزل أهلها – بنفس الزفة السابقة فتتناول العشاء مع رفيقاتها ، وتصحبهن القيان لاستئناف اللهو . وبعد ذلك تعجن بعض الحناء فى إناء فبعــد الحمام تكون الحناء .

---

(١) لين : المرجع السابق ص ١٤٧ – ١٤٩ .

(٢) أحمد ممدوح حمدى : المرجع السابق ص ٤٤

(٣) أبو الفدا : تاريخ ابى الفدا ، جـ٤ ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٤) محمود أحمد الحفنى : المرجع السابق ص ١٢ ، ١٣ .

(٥) Ebers : L' Egypte du caire Aphilae, Paris 1881.P.225.

ليلة الحنـاء

من المعتاد أن الليلة السابقة على الزواج هى " ليلة الحناء " ولـــهذه الليلـــة أهميـــة كبرى ، وخصوصا عند الفلاحات أما فى الحضر فالحناء أقل أهميـــة لنظافتـــهن ، وعـــدم تقديدهن بقيود الفلاحات . (١)

وتتحنى العروس بالحناء المدقوقة المعجونة مع صديقاتها ، فتضع قطعة من العجيـن فى يدها ، ثم تتناول النقوط الذهبية عادة فى تلك العجينة حتـــى لا يبقـــى موضـــع فيـــها فتقشطها العروس حينئذ بعيدا عن يدها على حافة وعاء مملوء بماء ثـــم تضيـــف بعـــض الحناء إلى يدها وقدميها وتربطها بالكتان حتى الصباح وقد يضعن فتلا فى الأيـــدى حتـــى تظهر كأنها منقوشة فتصبغ بلون غامق أو أحمر برتقالى قان .

(١) أحمد أمين : المرجع : السابق ، ص ٣٤٩ .

ليلة الدخلـة

وفى الليلة التالية ليوم الحمام والحناء تكون ليلة الدخلة ، وفيها يقام حفل الزفاف .

وقد أطنب المؤرخون المعاصرون لأحداث عصر المماليك فى وصفـــهم لحفــلات العرس فى ذلك العصر . وما يقام فيها من ولائم ينفق عليها ببذخ يفوق الحد فذكـــر ابــن إياس تحت أحداث ٦٧٣هـــ/١٢٧٥م فى سلطنه الظاهر بيبرس البندقدارى دخـــول الملــك السعيد ابن السلطان على بنت الأمير قلاون الألفى غازية خاتون(١) وأقيم المـــهم بالقلعــة لمدة سبعة أيام(٢) وذكر المقريزى بتاريخ يوم الاثنين الثــامن عشــر مــن شــعبان ســنة ٧٢٣هـــ/١٣٢٣م " وفيه كان عرس أمير على بن أرغون النائب علــى ابنــة الســلطان " وعمل المهم مدة ثلاثة أيام حضره نساء الأمراء بتقاديمهم : وهى ما بين أربعمائــة دينــار سوى تعابى القماش – إلى مائتى دينار وكان فيه ثمانى جـــوق مــن مغــانى القــاهرة ، وعشرون جوقة من جوارى السلطان والأمراء خص على كل جوقه مــن جــوق القــاهرة خمسمائة دينار ومائة وخمسون تفصيلة حرير ، ولم يحصر ما حصل لجوارى الســـلطان والأمراء لكثرته فلما انقضى المهم بعث السلطان لكل من نساء الأمراء بتعبية قماش علـــى قدرها ، وعم جميع الأمراء بالخلع ، وفضل من الشمع بعد ما استعمل منه مـــدة العــرس ألف قنطار مصرى ، وأنعم (السلطان) على الأمير أرغون النائب بمنية بنـــى خصيــب زيادة على إقطاعه (٣) .

هذا وقد قام السلطان الناصر محمد – فى جمادى الأخرة من سنة سبع وعشـــرون وسبعمائة / ١٣٢٦م حفل(٤) زواج ابنته عروس الأمير قوصون الناصرى – وهى البنـــت الثانية التى تزوجها الملك الناصرى لمماليكه فى سنة ٧٢٧هـــ / ١٣٢٧م (٥).

---

(١) أبو الفداء : المرجع السابق جـ ٤ ص ٩ .

(٢) ابن إياس :المصدر السابق جـ١ / القسم الأول ٣٣٥ .

(٣) المقريزى : السلوك جـ٢ / القسم الأول ، ص ٢٤٩ .

(٤) يعبر عنها بالعرس فى حال ما إذا أقيمت فى عشيرة الرجل وبالعمرة فى حالة مـــا إذا أقيمـت فـى عشيرة المرأة .

عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٥) ابن تغرى بردى : السابق جـ١٠ ص ٤٦ ، ٤٧ .

، شمس الدين الذهبى : دول الإسلام جـ١ ص ٢٣٥ .

وفيه أقيمت الأفراح مدة سبعة أيام ذبح فيها خمسة آلاف راس من الغنم والضـــأن ، ومائة رأس من البقر ، كما ذبح فيه أيضا خمسون فرسا ومن الدجاج والأوز ما لا يحصـى كثرة .

وقد يبدو ذبح الفرس غريبا أمام القارئ فى عصرنا الحديث ولكن غرابته تـزول إذا ما عرف أن لحم الخيل كان يقدم فى عصر الناصر بل فى عصر المماليك عامـــة ، فـى الولائم الكبرى ، وليس بعيدا أن يكون ذلك راجع فى أصلة إلى عوائد المماليك فى البـــلاد التى كان معظمهم يجلبون منها (حول نهر الفولجا) فقد كانت لحـــوم الخيـــل فـــى تلـــك الجهات تقدم فى ولائم الأعياد والمواسم .

وقد استعمل أيضا فى هذا الحفل من الســـكر برســـم الحلـــوى وتحـــالى الأطعمـــة والمشروب كميات هائلة .

وبلغ وزن الشمع الذى أحضره الأمراء ثلاثمائة وإحد عشر قنطارا ، وعمـــل بـــرج بارود ونفط ، أى ألعاب نارية بلغتنا الحديثة ، وحصل المغنيات على نقوط بلـــغ مقـــداره عشرة آلاف دينار وقدم جميع أمراء مصر والشام هدايا جليلة . (١)

وأقام السلطان الملك الناصر محمد أيضا – فى شعبان سنة ٧٣٢هـ ١٣٣٢م حفـــل عرس ابنه آنوك ، ويقال كان اسمه محمد ، على بنت الأمير بكتمر الســـاقى وفيـــه رســـم بإحضار جميع من القاهرة ومصر من أرباب الملهى إلى الدور السلطانية ووقع الشـــروع فى عمل الأخوان ، فأقام المهم سبعة أيام بلياليها . واستدعى (الســـلطان) حريـــم جميـــع الأمراء إليه فكان أمراء عظيما . (٢)

وذبح فى هذا العرس من الأغنام والدجاج والإوز والخيل نحو من عشـــرين ألفـــا " وحصلت حلوى بنحو ثمانية عشر ألف قنطار بالمصرى من السكر وحصل له من الشـــمع ثلاثة آلاف قطار ، (٣) وصرف فى كلفته ما يفوق الحصر ، (٤) .

---

(١) محمد عبد العزيز مرزوق ، الناصر محمد ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٢) المقريزى السلوك جـ ٢ / قسم ٢ ص ٣٤٥ .

(٣) ابن حبيب : تذكرة النبيه جـ٢ ص ٢٢١ .

(٤) أبو الفداء البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٥٧ .

ثم جلس السلطان فى ليلة الجمعة حادى عشر شعبان – وهى ليلة العرس على بـاب القصـر ، وأشعلت تلك الشموع بأسرها وجلس ابنه الأمير آنوك تجاهـــه وأقبـل الأمـراء جميعاً وكل أمير يحمل بنفسه شمعـــه وخلفه مماليك تحمل الشمع ، فتقدمـــوا علـــى قـــدر رتبهم ، وقبلوا الأرض واحداً بعد واحد طول ليلهم ، حتى (إذا) كان آخـــر الليـــل نـــهض السلطان وعبر إلى حيث مجتمع النساء ، فقامت نساء الأمراء بأســـرهن ، وقبلـــن الأرض واحدة بعد أخرى ، وهى تقدم ما أحضرت من التحف الفاخرة والنقـــوط حتـــى انفضـــت تقادمهن جميعاً ورسم السلطان برقصهن عن آخرهن ، فرصن أيضاً واحدة بعد واحـــدة ، والمغانى تضرب بدفوفهن ، وأنواع المال من الذهب والفضة وشقق الحرير يلقـــى علـــى المغنيات فحصل لهن ما يجل وصفه ، ثم زفت العروس . (١)

ومن المعروف أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون قد أشرف فى حفلات عـــرس أبنائه وبناته وكان الأمراء وزوجاتهم يحملون إليه الكثير من الهدايا والتحف مثلمـــا حـــدث فى زواج ابنته عروس الأمير قوصون وابنه آنوك ولذا عندما حل عـــرس ابنـــه الأمـــير طغاى تمر قال " ما نعمل له عرسا ، لأن الأمراء يقولون هذه مصادره بحســـن عبـــارة " فلاحظ الناصر تغير طغاى تمر فلذا أمر القاضى تاج الدين اسحاق ناظر الخـــاص بعمـــل ورقة بمكارمة الأمراء فى عرس قوصون فوجد جملتها خمسون ألف دينار فأمر بإعطـــاء طغاى تمر نظيرها من الخزانة هذا سوى ما داخل مع الزوجة من الجهاز . (٢)

ويذكر ابن تغرى بردى فى مستهل شعبان سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م فى سلطنة الملـــك الكامل شعبان ابن السلطان الملك الناصر محمد الآتى :

" عمل السلطان مهمه على بنت الأمير طقزدمر الحموى سبعة أيام بلياليها ، ويذكـــر المقريزى بشأن هذا العرس أنه اجتمع فيه نساء الأمراء جميعا . وكانت فيه عـــدة جـــوق مغانى ، حصل لهن من الذهب والفضة تفاصيل الحرير شئ يجل وصفه ، (و) بلغ نصيـب ضامنة المغانى بمفردها ثمانية ألف درهم ، سوى بقية المغانى " . (٣)

---

(١) المقريزى : السلوك جـ٢/قسم ٢ ص ٣٤٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ٥٣٥ .

(٣) ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ١٠ ص ١٢٣ .

وذكر المقريزى فى أحداث ذو القعدة سنة ٧٤٦/١٣٤٥م فى سلطنة الملك الكامل شعبان ابن الملك الناصر محمد الآتى : " وفيه أعرس بعض الطواشية ببعض سرارى السلطان بعد عقده عليها ، فعمل له السلطان مهما حضره جميع جوارى بيت السلطان وجليت العروس على الطواشى ، ونثر السلطان عليها وقت الجلا الذهب بيده فكان أمرا شنيعا "(١) .

ويذكر ابن إياس بتاريخ ذى القعدة سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م فى سلطنة الملك المظفر زين الدين حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون : " وفيه دخل السلطان على زوجته بنت نتكز ، وعمل المهم سبعة أيام جمعت سائر أرباب الملهى ، فخص كل جوقه خمسة آلاف درهم . ونثر (السلطان) على العروس عند جلائها الذهب صبحها من الغد بألفى دينار".(٢)

ويذكر المقريزى فى حوادث سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م الأمير برلغى الصغير ، قريب السلطان الملك المنصور قلاون الذى قدم إلى القاهرة محبة القازانية سنة أربع وسبعمائة فأنعم عليه بأمره وتزوج ابنه الأمير بيبرس الجا شنكير قبل سلطنته وعمل له مهم عظيم أشعل فيه ثلاث آلاف شمعة . (٣)

ويذكر المقريزى أيضا بتاريخ ربيع الآخر سنة ٧٥٤هـ/١٣٥٣ " وفيه أعرس الأمير جنتمر أخوطاز بابنة الأمير أقسنقر وأنعم عليه بسبعة آلاف دينار ومائتى قطعة قماش وعمل له مهم جليل " .

ويذكر ابن حجر بتاريخ شوال سنة ٧٩١هـ /١٣٨٩ وفيه " تزوج منطاش ستيته بنت الملك الأشراف أخت السلطان المنصور فزفت عليه " وعلق برأسها ليلة الزفاف دينار زنته مائتا مثقال ثم دينا زنته مائة مثقال . (٤)

---

(١) المقريزى : السلوك ، جـ ٢ . قسم ٣ ص ٦٩٠ ، ٦٩١ .

(٢) المصدر نفسه جـ ٢ . قسم ٣ ص ٦٩٦ .

(٣) المصدر نفسه ص ٧٩٣

(٤) ابن حجر : أبناء العمر وأبناء العمر جـ١ ص ٣٧٩ .

ويذكر ابن الفرات بشأن هذا العرس أنه كان عرسا حفلا أخبرنى من اثـــق بـــه أن الأمير منطاش أمر أن يعمل من الذهب المصرى دينارين أحدهما زنتـــه مـــائتين مثقـــال والثانى زنته مائة مثقال وأنه لما استجلاها علقها بكلاليب فى شربوش العروســـة وجلاهـــا عليه خوند الست سمرا زوجة الملك الأشرف شعبان وأسكن الأمير منطاش زوجتـــه ابنـــة الأشرف الأشرفية بقلعة الجبل وجعل للقصر باب من الأسطبل السلطانى من عنـــد بـــاب السر . (١)

ويذكر كل من ابن حجـــر وابـــن إيـــاس فـــى حـــوادث ٢١ مـــن المحـــرم ســـنة ٨٠٤هـــ/١٤٠٢م . فى سلطنة الناصر فرج عبد الظاهر برقوق واتم فـــى حفـــل عـــرس الأمير الكبير نوروز بخوند سارة ابنة الملك الظاهر بالآتى " كانت الوليمة هائلة ذبح فيـــها ثلاثمائة رأس من الغنم ، وستة عشر فرسا " . (٢) وفى شهر صفر من نفس السنة يذكـــر ابن إياس " وفيه كان دخول إينال باى بن قجماس ، على خوند ، أخت السلطان الصغـــرى بنت الملك الظاهر برقوق ، وكان لها مهما حافلا. (٣)

ويذكر كل من ابن حجر وابن إياس بتاريخ رجب سنة ٨١٦هـــ/١٤١٣م أنه فيـــه " تزوج إبراهيم بن المؤيد بنت الناصر التى كانت زوجة بكتمر جلق ودخـــل بـــها فوجدهـــا بكرا وعمل له مهم كبير ". (٤)

ومن الجدير بالذكر أنه فى شوال سنة ٨٣٢هـــ/١٤٣٩م أمر السلطان بمنع النـــاس من الأعراس والزفف ، خوفا على الناس من فساد مماليكه ، فإن فى تلـــك الأيـــام تزايـــد شرهم ، وحصل منهم غاية الضرر فخشى السلطان من هجم جماعة من الممـــاليك علـــى النساء فأمر بإبطال الأفراح مطلقا . (٥)

---

(١) ابن الفرات : المرجع السابق ، مج ٩ ، جـــ١ ، ص ١٤٥.

(٢) ابن حجر : جـــ٢ ص ١٩٩ ، ابن إياس المصدر السابق جـــ١/ قسم ٢ ص ٦٣٩ .

(٣) المصدر نفسه ص ٦٤٠ .

(٤)ابن حجر : المصدر السابق ، جـــ٣ ، ص١٣ .

(٥) ابن إياس : المصدر السابق جـــ٢ ص ١٢٥ .

ويذكر السخاوى بتاريخ يوم الأربعاء سادس عشر من شهر ربيع الأول سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م أن السلطان أبو سعيد جقمق عمل وليمة عرس ابنته " وهى مدة هائلة للأمراء بالحوش السلطانى ثم كان المهم الكبير من الغد للنساء ببيت كاتب السر خال العروس وللرجال ببيت الزوج وهو المكان الذى عمره قزطوغان الأستادار خارج بابى زويلة وركب منه بعد صلاة المغرب إلى قاعة بالقرب من الخيميين فأقام بها حتى صلى العشاء ثم ركب وهو لابس أطلس مرا وكاتب السر وناظر الجيش وناظره الخاص ومن شاء من الأعيان والأمراء بين يديه مشاة بل وحمل الأمراء الشموع أمام فرسه ودخل قاعة الفرح فحصل الجلاء ثم بنى بها"(١)

ويذكر ابن إياس بتاريخ شعبان سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م فى سلطنة الملك الأشرف أبى النصر سيف الدين إينال العلائى الظاهر أنه عملت فيه " وليمة عرس خوند فاطمة بنت السلطان علي الأمير يونس البواب أمير داودار كبير وكان مهما حافلا بالقلعة استمر ثلاثة أيام متوالية ثم نزلت فى محفة إلى دار زوجها وكانت ليلة حافلة عند نزولها من القلعة »(٢) .

وذكر ابن إياس أيضا تحت حوادث شهر رجب سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٧م فى سلطنة الأشرف قايتباى أنه فيه كان دخول « قانصوه خمسمائة على ابنه الأتابكى أزبك ، ولما كان ليلة العرس عمل بالأزبكية ، وكان حافلا ، ومدت هناك الأسمطة الحافلة ، ثم أن قانصوه خمسمائة ركب بعد العشاء من باب السلسلة ، ومشت قدامه الأمراء المقدمين وهم بالشاش والقماش ، ومشت الخاصكية قدامه وبأيديهم الشموع الموقدة ، فشق من القاهرة حتى وصل إلى الأزبكية ، وعدت هذه الزفة من النوادر الغريبة ، لكن حصل تلك الليلة غاية الضرر من المماليك الجلبان ، خطفوا العمائم ، وخربوا جماعة من الأمراء المقدمين وخطفوا الشمع من أيدى الخاصكية ، وما حصل تلك الليلة منهم خير وكادت تكون فتنة عظيمة (٣).

---

(١) السخاوى : التبر المسبوك فى ذيل السلوك ، المطبعة الأميرية ببولاق ١٨٩٦م ، ص ٣٠٢ .

(٢) ابن إياس : المصدر السابق ، ص٣١٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٤٢

كما ذكر ابن إياس فى شهر شعبان سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٤م فى سلطنة الأشرف قايتباى أنه كانت فيه " وليمة (١) عرس الأمير جان بلاط ، على ابنة القاضى كاتب السر ابن مزهر ، وهى أخت البدرى كاتب السر ابن مزهر وكان مهما حافلا (٢) " .

كذلك ذكر ابن إياس فى حوادث شهر شعبان سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م فى سلطنة الغورى أنه كان فيه دخول الأمير طراباى رأس نوبة الثوب على أخت خوند الخاصبكية وهى زوجة الأمير أقبردى الدوادار ، فكان لها مهما حافلا(٣) .

كما ذكر ابن إياس فى حوادث ذى القعدة سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م فى سلطنة الغورى أيضا أنه " فى هذا الشهر كان دخول الأمير طومان باى قريب السلطان على ابنة الأمير اقبردى الدوادار ، فكان لها مهم حافل وزف لها الجهاز حافل حتى رجت له القاهرة ، فلما كان ليلة الدخول مشى فى زفة الأمير طومان باى الأتابكى قرقماس وسائر الأمراء قاطبة وبأيديهم الموكبيات الشمع الموقدة ، وكانت هذه الزفة تعادل زفة الأمير جانم قرابة الأشراف قايتباى لما تزوج بأخت خوند ابنة خاص بك "(٤)

وذكر ابن إياس أيضا فى حوادث شهر المحرم سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م فى سلطنة الغورى أنه " فى يوم الخميس ثامن عشرة كان دخول الأمير قايتباى أحد الأمراء

---

(١) الوليمة اسم للطعام الذى يصنع عند العرس وقال ابن سيده هى طعام العرس والأملاك وقيل هى كل طعام يصنع لعرس وغيره وقال النووى هى مشتقة من الولم وهى الجمع لأن الزوجين يجتمعان وقال ابن الأعرابى أصلها عام الشئ واجتماعه والفعل منها أو لم وقال أبو منصور النقيعة طعام الأملاك قاله النضر قال وربما نقعوا عن عدة من الإبل أى سخروه وقال إذا زوج الرجل فأطعم عيلته قلنا نقع لهم وعن الأصمعى النقيعة .

" وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن عبد الرحمن بن عوف جاء إلى النبى ﷺ وبه أثر صفرة فسأله رسول الله ﷺ فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار قال كم سقت إليها قال زنة نواة من ذهب قال رسول الله ﷺ أولم ولو بشاة " .

انظر العينى : عمدة القارى لشرح صحيح البخارى ، جـ٩ ، ص ٤٣٨ ، ٤٣٩ .

(٢) ابن اياس : المصدر السابق ص ٣٠٢ .

(٣) المصدر نفسه . جـ٤ ، ص٨٧

(٤) المصدر نفسه ، جـ٤ ، ص ٨٧ .

الطبلخانات وهو قريب زوجة الأتابكى قانم التاجر ، على ابنة الأمير طقطباى نائب القلعـــة أحد المقدمين ، فكان هذا العرس من الأعراس الحافلة ، قيل اجتمع فيه من المغانى خمســة وعشرون ريسة ، ومدوا فيه أسمطة حفلة من الأطعمة الفاخرة ، وصنعـــوا فيـــه شـــموعا مزهرة ما بين قصور وشمامات وكان من المهمات المشهورة " (١)

ومن الغريب أن الناس كان من عاداتهم فى الأعراس أن يلبســـوا العرائـــس لبـــاس الرجال من جندى وقاض وغيرهما " وذلك حرام لا يفعله فى داره من لـــه مـــروءة أهـــل الإيمان " (٢)

زفـة العروس

وبعد نهاية حفل العرس تأتى زفة العروس (٣) إلى منزل عريســـها وفيـــها تركـــب العروس محفة – إذا كانت من بناء السلاطين والأمراء – والمحفة محمل فى أعلاه قبـــة ، وله أربعة سواعد : ساعدان أمامها وساعدان خلفها ، تكون مغطاة بالصوف الجوخ تـــارة وبالحرير تارة أخرى ، تحمل على بغلين أو بعيرين ، يكون أحدهما فى مقدمتها والأخـــرى فى مؤخرتها ، إذا ركب منها الراكب صار كأنه قاعد على سرير ، وهذه كانت تصحـــب السلطان فى السفر ، فكان يتصدى للأشراف عليها موظف خاص اسمه " المحفدار "

---

(١) نفس المصدر السابق جـ٥ ، ص ٩

(٢) د. زكى مبارك : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٣٤٦ .

(٣) (زف) الزاء والفاء أصل يدل على خفة فى كل شئ ، ومنه زفت العروس إلى زوجها ، وزف القـوم فى سيرهم إذا أسرعوا .

زفة العروس نقلها من بيت أبويها إلى بيت زوجها .

أنظر : ابن الحسين أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة جـ٣ ، ص ٤ ، إبراهيم مصطفى وآخرون : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٣٩٧ .

وربما أطلق عليه " الكجاوات " جمع " كجاوة " وهى من أصل فارسى ، تعنى الهودج ، فكانت تخرج أيضا فى الأسفار ، كذلك توجد محفات مزخرفة مزركشة تستخدم لحمل حريم السلطان (١) .

ويطلق على الهودج الظعينة (٢) ، أما القماش الذى يغطى به الهودج فيسمى سلجط(٣) أو سديل وسدون (٤) .

وبدار الكتب المصرية مخطوط به صفحتان كتب عليهما صفة عمل الهودج . (لوحة ٢٧٣) .

وفى المتحف القبطى هودج ولكنه مكسور والجزء المكمل منه هو قمته ، وبالمتحف الأثنوغرافى هودج يرجع إلى القرن ١٣هـ/١٩م ، (لوحة ٢٧٣) .

ويذكر لين بالنسبة لزفة العروسة أنها تكون مثل زفة الحمام تماما ، وتتناول العروس الفطور مع حاشيتها ، ثم تبدأ الزفة بعد الظهر ، فتسير ببطء وانتظام ، سيرا طويلا خلال الشوارع الرئيسية لأجل العرض ، ولو كان منزل العريس قريبا ، وقد تدوم الزفة ثلاث ساعات أو أكثر عادة . هذا وتتم حفلات الزواج فى القاهرة عند الطبقات التى تعلو الطبقات السفلى وإن حقرت معيشتها ، بنفس طريقة الطبقة الوسطى . إلا أنهم يراعون البساطة عندما يستحيل تحمل نفقات مثل الزفة السابق وصفها ، فتسير العروس متدثرة بشال أحمر ، ويحيط بها فريق من قريباتها فى أحسن حللهن . ولا يبهج الموكب غير الزغاريد (٥) .

---

(١) عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ، جـ٢ ، ص ٩٦.
أحمد أمين : المرجع السابق ، ص ١١٤ .
(٢) بطرس البستانى : قطر المحيط ٢ ، ص ١٢٧٥ .
الأصفهانى : الأغانى جـ٣ ، ص ١٥٩:
(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٥٩ .
(٤) أحمد رضا : المرجع السابق ، مجلد ٣ ، ص ١٣٠ ، ١٣١ .
(٥) لين : المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

وبالنسبة لزفة العروس الفلاحة ، ففيها تركب العروس جملا ، وهى متدثرة بشال ، ... منزل العريس ، وقد يجلس معها على الجمل بعض النساء والبنات اثنتان على ... واحد أو ثلاثة وراءها ، ويتبع العروس جماعة من النساء يغنين ، وكثيرا ما يتخلل أصدقاء الطرفين وصديقاتهما فى منزل العريس ، مساء يسوم الاحتفال والأيام السابقة ، ويلهون فى الهواء الطلق طويلا بالأغانى والرقص الذى ينقصه المهارة على ألحان الدف والطبل(١) .

ويذكر الشربينى عن أعراس الفلاحين " أنها مثل قيام الغارات أو تعفير الكلاب فى الحارات يدوروا بالعريس دورة وهم فى غارة أو غورة وعائط وصرخات ودواهى وبليات وزعيق وعفرة وصياح وغبرة والكلاب تنبح والشعراء تمدح والطبل يضرب والمشاة حوله تلعب والجدعان تخبط بالنبابيت والأولاد تنط بالشلاتيت وربما كانوا فى هزل صاروا فى الجد وربما هشموا بعضهم البعض وقد يموت الواحد منهم والاثنين ، يحصل من هذا الفرح الهم والشين وتخرب من فعلهم البلد ويزيد الهم والنكد ثم بعد هذه الدورة يفرشوا للعريس جنب الجورة ويجلسوا على نخ أو حصير أو برش من أبراش الشير ويأتوا بالعروس كأنها فحل جاموس منقشة بالحبر والهباب وقدامها الشاعر بالرباب وخلفها الصبايا بالزغاريد تصيح والجدعان تمشى بالمصابيح ويرشوا عليها الملح خوف النظرة وقد خلبطوا وجهها بالسواد والحمرة ويكشفوا وجهها عند الجلا وصارت بهذه الفعلة مثله بين الملا وهذا من أقبح أفعالهم وأتعس أحوالهم إذ لا يجوز هذا فى الشرع ولا يقول به أصل ولا فرع ثم أنهم يجلسوها على شئ عال ويأتى إليها الطبال وينشدوها الأشعار مما هو مناسب بالاعتبار .

يا عروسة يا أم غالى * انجلى ولا تبالى انجلى يا وجه بومه * زاعقة وسط الليالى * وجهكى بالنقش يشبه * وجه ضبعة فى الرمال لك مسخة شعر يربط * فوق راسك لا حال * تشبهى به أم مجبر * دائرة وسط التلال يا عريس قم خد عروستك * واطلع بها فوق العلالى

تصلحى له يا عروسة * تم أمرك بالكمال(٢) .

---

(١) المرجع نفسه ، ص١٥٥

(٢) الشربينى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٩ ، ١٠ .

عرس أهل الذمة

كان من المعتاد لدى أهل الذمة أن يقيموا أعراسهم بالمغانى والملاهى فيذكـــر ابـــن حجر بتاريخ جمادى الأولى سنة ٧٨٥هـــ/١٣٨٣م ، وفيه عمل أهل برمة وهم نصـــارى – عرسا بالمغانى والملاهى على عادتهم " (١) .

وينقل لنا أحد الرحالة الذين زاروا مصر فى القرن ١٥م /٩هـــ أنه كان من تقـــاليد الأقباط فى ليلة العرس أن يذهب العريس والعروسة إلى الكنيسة تصحبهم ترانيم مع إيقـــاع على آلة موسيقية أو شاكوش من الخشب على قطعة خشبية أخرى ويذهب العريـــس إلـــى داخل المذبح حتى يطلب عليه الكاهن فى أول وآخر كل صلاة ثم يجلسهم تحت الصليـــب مغطى بعباءة ويربط حزاما وعلى رأسه مفرش أبيض ثم يؤخذ إلى العروس التى جلســـت خارج المذبح ثم يرش عليهما الزيت على الجبين وعلى الرســـغ (يرســـم صليـــب بـــهذا الزيت) ثم يستمعون إلى خطبة الزواج ممسكين بأيديهما وبعد تتويج العرسان يبدأ الغناء ثـــم القداس (٢) .

(١) ابن حجر : ابناء العمر : جـــ١ص ٢٧٣ .

(2)Grabriel Hanotoux : Histoire de la Nation Egyptienne. Tome I-introduction General par Gabriel Hanateux-la Geographie de 1' Egypte A travers les Ages par Charles de la Ropeiere, Paris 1931, P. 309.

جهاز بنات السلاطين – بنات الأمراء

بنات التجار – الطبقة المتوسطة – السفلى

لقد أدى التنوع بين طبقات المجتمع فى عصر المماليك ما بيـــن حكـــام ومعممين وتجار وصناع وأرباب حرف وعوام وأهل ذمة وفلاحين إلى التنوع فى الجهاز بين طبقـــة وأخرى فجهاز بنت السلطان أو الأمير من المماليك يختلف عن جـــهاز بنـــت التـــاجر أو الصانع أو الفلاح ، فكل يجهز ابنته حسب ثرائه ، وقـــد أســـعفتنا المصـــادر التاريخيـــة المعاصرة لأحداث العصر المملوكى فى مصر بوصف العديد من جهاز بنـــات الســـلاطين حكام البلاد والأمراء فى حين تجاهلت كلية هـــذا الشـــأن بالنســـبة للطبقـــات المتوســـطة والطبقات الدنيا من الشعب .

فبالنسبة لجهاز بنات السلاطين يذكر المقريزى ، فـــى أحـــداث ســـنة ٧٢٣هـــ/ ١٣٢٣م أن السلطان الناصر اعتنى بجهاز ابنته – عروس الأمير على بن أرغون النـــائب – عناية عظيمة وعمل لها بشخاناه وستارة وداير بيت زركش بمبلغ ألف دينـــار وآت (١) ذهب وفضة بما ينيف عن عشرة آلاف دينار " (١) .....

---

(١) آت AT كلمة تركية تعنى حصان ، آت الحصان .

انظر : د. الصفصافى أحمد المرسى ، د. إدريس نصر محجوب : اللغـــة العثمانيـــة والنصـــوص ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص٢٥ ، ٣٩ .

وجاءت آت على أنها كلمة تركية تعنى حصان فى كثير من قواميس اللغة انظر : ش. سامى : قاموس تركى ، الناشر : أحمد جودت ، درسعادت ١٣١٧ ص١٨ .

Artin Hindoglu: Dictionnaire Abrege Turc-Francais, Vienne 1838, P. 5, T. X.
Bianchi et J. D. Kieffer: Di Ctionnaire Turc.
- Francais, Tome I, paris MDCCCL 1753, P. 13.

فلا يعقل أن يكون من بين الجهاز حصان من الذهب ففى أى شئ ستستخدمه العروس ولكن يبـــدو أن كلمة آت هى (آتى) أو (آتاها) أو أعطاها أو ساق إليها ، ويتضح ذلك من قواميس اللغة – و (آتـــى) فلاناً الشئ : آتى به إليه .

قال الله تعالى : (قال لفتاه آتنا غداءنا) ، وأعطاه إياه ، قال تعالى : (وآتى المال علـــى حبـــه ذوى القربى واليتامى والمساكين).

=

وعمل سائر الأوانى من ذهب وفضة ، فبلغت زنة الأوانى المذكورة ما ينيف علـــى عشرة آلاف مثقال من الذهب . وتناهى فى هذا الجهاز ، وبالغ فى الإنفاق عليـــه ، حتـــى خرج عن الحد فى الكثرة فإنها كانت أول بناته (٢).

وبعد ذلك بأربع سنوات أى فى جمادى الآخرة من سنة ٧٢٧هـــــ/١٣٢٦م جـــهز السلطان الناصر محمد بنت أخرى وهى عروس الأمـــير قوصـــون – صـــاحب المســـجد المشهور بشارع محمد على بالقاهرة وكان جهازها شيئا عظيما (٣) : منه بشخاناه ودايـــر بيت زركش ، زنة البشخاناه بمفردها مائة ألف مثقال ذهبا (٤).

ومن الجدير بالذكر أن السلطان الناصر محمد جهز احدى عشر ابنه لـــه بالجـــهاز العظيم ، وكانت أقلهن جهازا بثمانمائة ألف دينار : منها قيمة بشخاناه ودايـــر بيـــت ومـــا يتعلق به بمائة ألف دينار ، وبقية ذلك ما بين جواهر ولآلئ وأوانى ونحو ذلك ، ثـــم أنـــه زوجهن من مماليكه : مثل الأمير قوصون ، والأمير بشتاك ، والأمير الطنبغا المـــاردينى والأمير طغاى تمر والأمير عمر بن النائب وغيرهم .

وجهز سراريه وجواريه ومن يحسن بخاطره من النساء كل واحـــدة بنحـــو ذلـــك وبأكثر منه (٥) .

= انظر : إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط جـــ١ ص ٤ ، ٥.
وآتى إليه الشئ بالمد إيتاء (ساقه) وجعله يأتى إليه وأتى فلانا شيئا إيتاء إعطاء إياه ومنه قوله تعالى ويؤتون الزكاة وفى الصحاح آتاه أتى به ومنه قوله تعالى (أتنا غداءنا) أى ائتنا به . قلت فهو بالمد يستعمل فى الإعطاء وفى الإتيان بالشئ وفى الكشاف اشتهر الإيتاء فـــى معنـــى الإعطـــاء واصلـــة الإحضار .
انظر : محب الدين أبى الفيض : شرح القاموس المسمى تاج العروس ، جـــ١٠ ص٨ .
(١) المقريزى : السلوك ، جـــ٢ / القسم الأول ، ص ٢٤٩ .
(٢) على مبارك : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـــ٢ ، ص ٣١٨ .
(٣) محمد عبد العزيز مرزوق : الناصر محمد ، ص ٢٤٨ .
(٤) المقريزى : السلوك جـــ٢ / القسم الأول ، ص ٣٨٨ .
(٥) المصدر نفسه ، جـــ٢ / قسم ٢ / ص ٥٣٦ .

ويذكر المقريزى بشأن جهاز بعض بنات السلطان حسن بن محمـــد بـــن قـــلاوون عندما زفت على بعض الأمراء فى دولة الملك الأشراف شعبان بأنه " كان شـــينا عظيمـــا من جملته دكه من بلور تشتمل على عجائب منها زير من بلور قد نقش بظـــاهره صـــورة ناتئة على شبه الوحوش والطيور وقدر هذا الزير ما يسع قربة ماء " (١) .

ويذكر ابن تغرى بردى من حوادث سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م فى ســـلطنة المنصـــور حاجى الثانية على مصر أنه حمل جهاز خوند بنت الملك الأشرف شـــعبان أخـــت الملـــك المنصور هذا – عروس الأمير الكبير منطاش – وكان على خمسمائة جمل وعشرة قطـــر بغال(٢) ومشى الحجال وغالب الأمراء أمام الجـــهاز ، فخلـــع عليـــهم منطـــاش الخلـــع السنية(٣).

جهاز بنات الأمراء

وبالنسبة لجهاز بنات الأمراء فهو لا يختلف عن جهاز بنات الســـلاطين وذلـــك لأن بنت الأمير أما كانت تتزوج من سلطان أو ابن سلطان أو أمير أو ابن أمير .

ويذكر المقريزى بتاريخ أول ذى القعدة سنة ٧٢٧هـــ/١٣٢٧م حضـــور قطلوملـــك بنت الأمير تنكز – نائب الشام – عروس الأمير أحمد بن بكتمر الساقى بجهاز عظيم فيـــه « داير بيت زنة زركشة ستون ألف مثقال من الذهب »(٤) .

كما ذكر المقريزى وصفا لجهاز ابنة الأمير بكتمر الساقى – وهو بصدد الحديـــث عن قصر هذا الأمير الذى خرج منه الجهاز الى قصر الســـلطان النـــاصر محمـــد والـــد العريس – قائلا أنه كان " عدة الحمالين ثمانمائة حمال المساند الزركـــش علـــى أربعيـــن حمالاً عدتها عشرة مساند والمدورات ستة عشر حمالا والكراســـى اثنـــا عشـــر حمـــالا

---

(١) المقريزى : الخطط ، جـــ٢ ، ص ١٠٥ ، حسن الهوارى : أثر المرأة ص٤٢٦ ، ٤٢٧

(٢) البغل : معروف وجمع بغلة أبغال وجمع الكثرة بغال والأنثى بغلة بالهاء والجمع بغلات وبغال أيضا.
انظر المقريزى : المرجع السابق ، جـــ١ ، ص٥٦
« وقطر بغال » تعنى مجموعة من البغال المتتابعة على هيئة القطار .

(٣) النجوم الزاهرة جـــ١١ ص٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٤) المقريزى : السلوك جـــ٢ / القسم الأول ، ص٢٨٩ .

وكراسى لطاف (١) أربعة حمالين وفضيات تسعة وعشرون حمالا وسلم الدكك أربعة حمالين والدكك والتخوت الأبنوس المفضضة والموشقة مائة واثنين وستين حمالا والنحاس الكفت ثمانية وأربعين حمالا ، والصينى ثلاثة وثلاثين حمالا والزجاج المذهب اثنى عشر حمالا والنحاس الشامى اثنين وعشرين حمالا والبعلبكى (٢) اثنين عشر حمالا والخونجات والمحافى والزبادى والنحاس تسعة وعشرين حمالا وصناديق الحوائج خانسماه ستة حمالين وغير ذلك تتمة العدة والبغال المحملة الفرش والتحف والبسط والصناديق التى فيها المصاغ تسعة وتسعين بغلا ، قال العلامة صلاح الدين خليل بن ايبك الصفوى ، وقيل أن " الزركشى والمصاغ ثمانون قنطارا بالمصرى ذهب " (٣).

وذكر ابن تغرى بردى بشأن هذا الجهاز " ورأيت الجهاز لما أن حمل من دار أبى العروس – من على بركة الفيل – ممدودا على رؤوس الحمالين ، وكان عددهم ثمانمائة حمال وستة وثلاثين قطار بغال ، غير الحلى والمصاغ والجواهر . ولكن رغم هذا كله لم يلق هذا الشوار (٤) استحسانا من جانب والد العريس (السلطان الناصر محمد) فيذكر ابن

---

(١) لطف الشئ بالضم لطافة أى صغير فهو لطيف .

الجوهرى : تاج اللغة وصحاح العربية ، الجزء الثانى (غير محقق) ص ٥٨ ومن هنا نستطيع أن نفسر كراسى لطاف أى كراسى صغيرة .

(٢) البلعبكى صحتها نعلبك أو نعلبكى وهى كلمة فارسية تعنى طبق الفنجان المدهون .د. شتا أستاذ اللغة الفارسية .

(٣) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ٦٨ .

(٤) الشوار : الشارة والزينة .

، الشوار : متاع البيت أو المستحسن منه . جهاز العروس .

إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، جـ١ ص٥٠١ .

انظر فى تفسير هذه الكلمة :

ابن منظور : لسان العرب ، جـ٦ ، ص١٠٥ ، المقرى : المصباح المنير جـ١ ، ص١٤٩ ، الفيروز أبادى : القاموس المحيط جـ٢ ، ص٦٤ ، وأبو الحسن أحمد ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، جـ٣ ، ص٢٢٦ ، ٢٢٧ .

وتستعمل كلمة « شوار » بمعنى « جهاز « ليقال » وشور رجل ابنته بشوار كثير حسن » .

Dozy, R.: Supplement aux Dictionnaires Arabes, Vol. I, Leide – Paris, 1927, P. 798.

تغرى بردى أيضا " ولما مدوا الشوار المذكور دخل السلطان رآه فما أعجبه ، وقال : أنـــا رأيت شوار بنت سلار وهو أكثر من هذا وأحسن ، على أن هذا يا أمير بكتمر ما يقابل بـــه آنوك ا والتفت إلى الأمير سيف الدين طقز دمر والأمير سيف الدين أقبغا ، وقـــال جـــهزا ابنتكما ولا تخاسسا مثل الأمير " (١).

ويذكر ابن حبيب أن قيمة هذا الشوار ألف الف دينار مصرية (٢) .

وتتضح المغالاة فى الإنفاق على الجهاز مما فعله السلطان الملك المظفر حاجى بـــن الناصر محمد قبل دخوله – ٧٤٧هـــ/١٣٤٦ م – ببنت الأمير تنكز وهو أنه " زاد لها فـــى جهازها بمبلغ ستين ألف دينار " فإذا كان هذا المبلغ الضخم هو مقدار زيادة فـــى الجـــهاز فما بالنا بثمن الجهاز كله .

وذكر ابن إياس بتاريخ ربيع أول سنة ٧٨٦هـــ/١٣٨٤م فى سلطنة الظاهر برقـــوق حمل جهاز ابنة الأمير منجك ، زوجة السلطان ، إلى القلعة ، وكانت قيمة ذلـــك الجـــهاز بنحو ثمانين ألف دينار ، فكان به ثلاثمائة حمال ، وعشرة أطباق بها عصائب ، وكوافـــى ، مرصع ، وذهب ولؤلؤ ، وريش ، وكان به سبعون بغلا ، عليها قماش وأثاث " .

وكان لهذا الجهاز زفة رائعة فقد سار فى مقدمته الأمراء وهم بالشـــاش والقمـــاش وجـــوق المغانى . وهم كما ذكر ابن إياس " وكان ماشيا قدام الجـــهاز الأمـــير أيدكـــار ، حاجب الحجاب ، والأمير قردم الحسنى ، راس نوبة النوب ، والأمير يونـــس ، الـــدوادار الكبير ، والأمير بهادر ، والأستادار والأمير قرقماس ، الخازندار الكبير ، وهـــم بالشـــاش والقماش(٣) ، وجماعة كثيرة من الأمراء العشروات والخاصكية والخدام ، وكـــان أمامـــهم

---

(١) ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى– تحقيق وحواشى نبيل محمد عبد العزيز ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦م جـــ٣ ص ١١٠ .

(٢) ابن حبيب : تذكره النبيه ، جـــ٢ ، ص ٢٢١ .

(٣) نصادف مرارا تعبير " الشاش والقماش " فى خلال عصر المماليك الجراكسة والـــذى كـــان يحمـــل بوضوح وفى معظم الحالات معنى " زى المواكب الحافلة " ، وإذا كان الافتراض صحيحا وهـــو أن كلمة " قماش" معناها الرداء الفوقانى الذى كان يلبس كثياب رسمية فإن التعبير يكون واضحا وجليـــا طالما أن الشاش .

=

جوق المغانى من رجال ونساء ، فلما شق من الشارع ، كان ذلـــك اليـــوم مشـــهوداً فـــى الفرجة"(١).

وذكر ابن الفرات بتاريخ شوال ٧٩١هـ/١٣٨٩م أنه " طلع إلى القلعة جهاز خونـــد ابنة الملك الأشرف شعبان أخت الملك المنصور حاجى زوجة الأمـــير منطـــاش الأتـــابك وكان جهازاً مليحاً إلى الغاية قيل أنه حمل على نحو خمسمائة حمال وعشر قطـــر بغـــال ومشى قدام الجهاز الحجاب وبقية الجيش والزمام والجمدارية الأشـــرفية جميعـــهم فـــأخلع الأمير منطاش عليهم الجميع ودخل بزوجته من ليلته " (٢).

وذكر ابن إياس أيضاً بتاريخ شعبان سنة ٨٠١هـ /١٣٩٩م فـــى ســـلطنة الظـــاهر برقوق – حمل جهاز خديجة بنت الأمير جهاركس الخليلى إلى دار زوجها الأمير بيـــبرس الدوادار ، ابن أخت السلطان – على ثلثمائة وستين حمالاً ، وعشرين قطاراً بغالاً (٣) .

وذكر السخاوى بتاريخ ٨٥٤هـ/١٤٥٠م بشأن جهاز ابنة السلطان الملـــك الظـــاهر أبو سعيد جقمق عروس الأمير أزبك من ططخ الظاهرى أنـــه كـــان فيـــه مـــن الأقمشـــة والبشاخين المزركشة والشراريب (٤) المكللة بـــاللؤلؤ وأنـــواع الفـــراء وأوانـــى البلـــور والمصاغ والتحف من الصينى المكتب وغير ذلك ما يفوق الوصف بحيث أخبر من يرجـــع

= (أ) يعتبر أولاً من الموسلين الطويل الذى يلف حول العمامة كلباس للرأس مألوف عند الأمير المملوكى أثناء الاحتفالات السلطانية ، أما الشربوش أو الكلفتاه فيلبسان دون شاش .

(ب) كما يعبر ثانياً عن الشال الذى يلف حول الرقبة كجزء من " الخلقة " وهكذا كان الارتباط بين الشاش و " القماش " يدل على أن المناسبة كانت احتفالاً بصفة خاصة .

انظر : ماير : الملابس المملوكية ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

(١) ابن الفرات : المرجع السابق ، مجلد ٩ ، جـــ١ ، ص ١٤٥ .

(٢) ابن إياس : المصدر السابق جـــ١ / القسم الثانى ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

(٣) المصدر نفسه جـــ١ رقم ٢ ص ٥٢١ .

(٤) الشراريب : (مفردها الشرابة) هى ضمة من خيوط يعلق طرفها الواحد بالطربوش وغيره ويتدلـــى الآخر .

كرم البستانى وآخرون : المرجع السابق ، ص ٣٨٠ .

إليه فى هذا أنه لم يعهد نظيره ولم يحمل على رؤوس الحمالين على العادة بل أخرج مـــن الحواصل" (١) .

وذكر ابن إياس بتاريخ رجب ٨٩٢ هـ/١٤٨٧م فى سلطنة الأشـــرف قايتبـــاى – حمل جهاز ابنة الأتابكى أزْبك من الأزبكي إلى دار قانصوه خمسمائة التى بقناطر الســباع. فلما شق من القاهرة كان له يوم مشهور ، فكان به من الحمالين التى عليها الأمتعة زيـــادة على أربعمائة حمال ، فدهش الناس لرؤيته ، ورجت له القاهرة ، وعد من النوادر ، قيـــل كان ما صرف عليه نحو من مائتى ألف دينار (٢).

كما ذكر ابن إياس بتاريخ رجب ٩٠٥هـ/١٤٩٩ك فى ســلطنة الظـــاهر قـــانصوه بشأن جهاز خوند أصل باى أم الملك الناصر على الأتابكى جانبلاط ، أنه نزل من القلعـــة وشق من القاهرة ، واستمر ينسحب من صحوة النهار التى وقت الظهر ، فتوجهوا به إلـــى الأزبكية ، فكان عدة الحمالين أربعمائة حمال ، والبغال نحو من مائتى بغل ، فرجـــت لـــه القاهرة ، وكان له يوم مشهود ، فكان به من الأمتعة والتحف ما يعجز عنه الواصفون(٣).

كما ذكر ابن إياس – فى شعبان ٩٠٦هـ/١٥٠٠م سلطنة العادل طومـــان بـــاى – طلوع جهاز خوند الخاصبكية إلى القلعة – فشق من الصليبة وكان له يوم مشهود.

هذا وبما أن من المعهود أن كل ما يوجد بالمنزل هو جهاز صاحبته إذا ففى الغـــالب أن كل ما أخذه وزراء ابن عثمان من حاصل خوند ابنة الأمير اقبردى الـــدوادار وزوجـــة السلطان طومان باى كان من جهاز هذه السيدة وعندما قتل زوجها آخر سلاطين الممـــاليك وأظهر وزراء ابن عثمان لها ولوالدتها أشد الضرر والقسوة فاضطرت إلى أن تخبـــأ مـــا تملكه فى حاصل بعيد عن أعين العثمانيين وكان ما وجد فى هذا الحاصل هو : بشـــاخين زركش وعنبر ومقاعد وسمور ووشق وعصايب ذهب ولؤلؤ مرصـــع وكوامـــل ذهـــب ،

---

(١) السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٣٠٢ .

(٢) ابن إياس المصدر السابق ، جـ١ / القسم الثانى ، ص٥٥٠ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٤٢٩ .

وغير ذلك من القماش الفاخر وأوانى بلور وأوانى فضة ونحاس مكفت وصينى لازورد وغير ذلك " (١) .

وذكر ابن شاهين أنه حكى أن بعض الخواندات (زوجات السلاطين) وهن فى الغالب بنات أمراء كما سبق أن ذكرنا – نصب القاعة الكبرى المعروفة بالعواميد فكان من جملتها مواعين من ذهب وفضة وبشاخين مزركشة مرصعة وتخوت مفضضة وتخت مرصع مذهب وغير ذلك من الآلات العجيبة ومنارة من ذهب عليها جوهرة تضئ بالليل"(٢) .

ويذكر المقريزى بشأن جهاز بنات الأمراء والوزراء أو أعيان الكتاب أو أماثل التجار أن العروس من بنات أى من هذه الطبقات كانت تجهز فى شورتها عند بناء الزوج عليها سبع دكك : دكه من فضة ودكه من كفت ودكه من نحاس أبيض ودكه من خشب مدهون ودكه من صينى ودكه من بلور ودمه كداهى وهى آلات من ورق مدهون تحمل من الصين " (٣) .

جهاز بنات التجار

وقد ذكر المقريزى بشأن ست العمائم وهى امرأة من بنات التجار كانت تعد للدخول بالقاضى علاء الدين بن عرب محتسب القاهرة " أى العروس بنت تاجر والعريس من المعممين) . أنها أرسلت إلى المحتسب مع وكيلها عندما اقترب موعد دخولها – بمائة ألف درهم فضة خالصة ليصلح بها لها ما عساه اختل من الدكة الفضة وبالوقت أمر المحتسب بصناع الفضة وطلائها وشرعوا فى إصلاح ما أرسلته ست العمائم من أوانى الفضة وإعادة طلائها بالذهب حتى أصبحت ذات منظراً بديعاً (٤) فإذا كان إصلاح ما اختل من الدكة المصنوعة من الفضة وما يتبعها من أوانى الفضة وطلائها وإعادة طلائها

---

(١) المصدر نفسه جـ٥ ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .

(٢) ابن شاهين : المرجع السابق ، ص ١٢١ .

(٣) المقريزى : الخطط ، جت ٢ ، ص ١٠٥ .

(٤) المصدر نفسه : جـ٥ ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .

يتكلف ١٠٠,٠٠٠ درهم فضة خالصة فما بالنا بتكاليف باقى الدكك والأثاث والمفروشـــات وكل ما يلزم هذه العروس . فمن هذا يتضح لنا الثراء الذى كان يعيش فيه أمـــاثل التجـــار فى عصر المماليك الذى انعكس على شوار بناتهن . نضف إلى ذلك أنه ربما أتى هـــؤلاء التجار بكل غالى وثمين من أوانى وملابس ومفروشات وحلى من أسواق البلاد التى كـــانوا يساقرون إليها بتجارتهم .

ومما سبق نلاحظ أن المؤرخين المعاصرين لأحداث العصر المملوكى لـــم يطنبـــوا فى وصف شوار العرائس فذكروا أهم ما فيه بصورة مختصرة أو ذكروا العدد الضخم من الحمالين والبغال التى حملته والوقت الكبير الذى استغرقه سير الجهاز أو ثمنه وهذا دليـــل على الكثرة ، ولم يذكروا تفاصيله الدقيقة من أثاث وملابس وأدوات مطبخ وحلـــى وأدوات تجميل ومفارش أرض وأدوات إضاءة .

جهاز بنات الطبقة المتوسطة

وبالنسبة لجهاز العروس من بنات الطبقة المتوسطة من الشعب فيتكون من حشـــية (طراحة) شبه مرتبة وسرير منخفض مصنوع من جريد النخل ، ومخدة للـــرأس ومـــلاءة تفرش فوق الحشية والمخدة وغطاءان أحدهما يسمى حرام وهو للصيف والثـــانى غليـــظ محشو بالقطن وهو اللحاف . وفى حالة عدم وجود سرير يوجد حشيتان لتوضعـــان فـــوق بعضهما على الأرض . وناموسية من قماش الكتان تعلق فوق السرير بأربعة خيوط تشـــد إلى مسامير تدق فى الحائط (١) وفرش الأرض السجاد .

وأدوات المطبخ عبارة عن أوانى من الخزف والفخار والنحاس والخشب .

أدوات الإضاءة مسارج وشماعد من النحاس

والحلى : حلق وعقد وأساور وخلخال وخواتم من الذهب والفضة .

أدوات تجميلها : المشط والمكاحل الزجاجية والخشبية وقنينات العطر الزجاجية .

---

(١) لين : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

أما بالنسبة لجهاز بنات الطبقة السفلى من الشعب (وهم العوام والفلاحيـــن) فـــهو ليس كما يجهز به ذوى اليُسار فتياتهن بل هو على شئ من الســـذاجة والبســاطة وذلـك لاقتصار الفقراء ، فى تأثيث بيوتهن ، على حصيرة سمار وطراحة وبعـــض المســاند أو المخدات (١) المحشوة بألياف نباتية ، كما يستخدم الفقراء جلد حيــوان رخيــص كفــراش للأرض كما يستخدمون بقايا أقمشة قطنية توضع طبقات فوق بعضها حتى تكــون فرشــه للنوم(٢) .

جهاز بنت الفلاح

يعتبر الصندوق الخشبى الملون بالألوان الخضراء والصفراء والحمراء من أهم مـــا يحتويه جهاز العروس الفلاحة (٣) . ففيه تضع العروس كل ما يلزمها من ملابس وحلـــى ونقود وغيرها من مستلزمات تجميلها .

والحصير الذى يستخدم كفراش للجلوس والأكل والنوم ، واللحاف كغطـــاء وقــت الشتاء وهو يلف فى الصباح ويوضع بجانب الحائط فى الحجرة وأدوات المطبـــخ وهــى عبارة عن أوانى من الفخار البدائى كالمترد ورحا من الحجر لطحـــن الحبــوب وســلال مصنوعة من الجبال ومنخل وغربال ومشنة وقفة ومترد.

وأدوات الإضاءة قناديل مصنوعة من الفخار – وحلى الفلاحة حلق ولبة أو عقد من الفضة أو النحاس المطلى بالفضة ، وغوايش من الزجاج الملون وخزام للأنف وقلادة مـــن العنبر (٤) .

وأدوات تجمليها مكحلة بسيطة للكحل وزجاجة عادية لماء الــورد وحجــر خفــاف ومشط .

---

(١) كلوت بك : لمحة عامة ، جـــ ٢ ، ص ٣٨ .

(2)Sadan : Le Mobilier, P. 29, 30.

(٣) لين : السابق ، ص ٢٥ ، على السيد على : القدس فى العصر المملوكى ،الطبعة الأول ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٢٧٧

(٤)ذكر المقريزى فى معرض حديثه عن سوق العنبريين أنه كان للعنبر فى وقته بديـــار مصــر نفــاق وللناس فيه رغبة زائدة ولا يكاد يوجد بأرض مصر امرأة وأن سفلت إلا ولها قلادة من عنبر .
انظر المقريزى : الخطط ، جـــ٢ ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

دراسة تحليلية للعناصر الزخرفية

الموجودة على قطع الجهاز

شملت الزخارف الموجودة على القطع المكونة لجهاز العروس فى عصر المماليك معظم الزخارف المعروفة فى ذلك العصر من زخارف كتابية ونباتية وهندسية وكائنات حية ورنوك وذلك لتنوع المواد والصناعات وطرق الزخرفة الصناعية بالجهاز .

(أ) الزخارف الكتابية :

يختص الفن الإسلامى وحده، دون غيره من الفنون باستعمال الكتابة العربية كعنصر زخرفى، لما تتميز به حروف الكتابة من جمال ورشاقة ومرونة، وقابلية على التشكيل والتصنيف(١).

وقد تنوعت الزخارف الكتابية على التحف المكونة لجهاز العروس ما بين آيات قرآنية وعبارات دعائية، وأخرى طريفة واسم من صنعت من أجله التحفة وتوقيع الصانع، فنجد الآية القرآنية تزخرف الجزء الأوسط بوجهى المشط رقم ٢٦١٤ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ونصها : " رب اشرح لى صدرى / ويسر لى أمرى "(٢) ونجد عبارات دعائية كثيرة ومتعددة، منها عبارة (عز دائم) فى الهلال المزخرف بالمينا فى الدلاية الذهبية من العقد رقم ١٣٧٤٩ بمتحف الفن الإسلامى أيضا . ونقرأ العديد من العبارات الدعائية على مجموعة من الأمشاط الخشبية والمرايا المعدنية المحفوظة بمتحف الفن الإسلامى منها (العز الدائم) فى مشط رقم ١١ / ٣٨٥٧، (العز الدائم والإقبال) فى مشط رقم ٤٩٢٠، (العز الدائم / الجاه القائم) فى مشط رقم ٤٩٣٠، (رب اختم

---

(١) د . محمد مصطفى : الكتابة العربية عنصر زخرفى (فصلة من مجلة عالم الفكر . الجزء ١٠، العدد ٣، الكويت / أكتوبر / ديسمبر ١٩٧٩ م، ص ٨٨٩ .

(٢) الآية ٢٥، ٢٦ من سورة طه .

بخير)(١) مشط رقم ٢ / ٣٩٥٧ . (العز الدائم والعمر السالم والإقبال الشـــامل، والســـعد الفاخر والجد الصاعد والدهر المساعد والأمر النافذ والبقاء أبدا) على مرآة رقـــم ١٥٣٤٩ ترجع إلى مصر فى القرن ٧ هـــ ١٣ م . و (العز والإقبال والسلامة والســـعادة) علـــى مرآة رقم ٠١٥٣٤٥، (العز والنصر والإقبال) تزخرف أحد أوجه صندوق العمامة رقـــم ١/١٧٧١ بمتحف كلية الآثار .

(عز دائم) بخط النسخ أيضا تزخرف دلاية من الذهب المزخرف بالمينا المتعـــددة الألوان بمتحف الفن الإسلامى برقم ٩٤٦٠ .

(العز لك والغنا) تزخرف محبس سوار ذهبى برقم ١٤٨٠٢ كما تزخرف عبـــارة (العز الدائم) بعض شبابيك القلل المحفوظة بنفس المتحف .

ونقرأ بالمشط الخشبى رقم ٢٣٤٩٧ (مقاسه ٨×٩.٥ سم) فى دائرة فـــى الجـــانب الأول بخط النسخ كلمة (عز) وفى الجانب الثانى فى دائرة أيضـــا كلمـــة (دام) فربمـــا قصد المزخرف بها (عز دائم) ونسى الهمزة أو أراد بـــــها (دام عـــزه)، (دام – فـــى الحياة) كدعاء بطول الدوام لصاحب المشط .

كما يزخرف المشط رقم ٤٩٢٨ عبارة "عز دائم " أيضا .

ومن العبارات الطريفة : عبارة (أنا مشط عملت للتسريح) (لا أســـرح إلا لكـــل مليح) نجدها تزخرف مشط رقم ٤٩١٩ بمتحف الفن الإسلامى وهى منفذة بالحفر بخـــط النسخ .

وعبارة (ما دعانى الهوا لمعصية إلا نهانى الحيا والكـــرم)

بخط النسخ على مشط رقم ٣٨٨٣، عبارة (تفكر فى ألم نشرح / إذا ضـــاقت بـــك العســـرى) تزخرف وجهى مشـــط رقم ٣/ ١٨٧٦٤ بمتحف الفن الإسلامى أيضا عبـــارة (لا) أمل مجلس، فعلا الرأس أحمل / أنا تاج على الجبين، أنـــا رحمـــة مـــن النظـــار)

---

(١) تزخرف العبارة الدعائية (رب اختم بخير) أيضا أحد الأمشاط المحفوظة بحجرة الأوسمة بالمكتبـــة الأهلية بباريس . انظر :

Ahmad Abd Ar-Raziq : Les Peignes Egyptienes, P . 402 ,Fig . 3 .

تزخرف وجهى مشط رقم ٢/ ٦٦٢١، عبارة (من كتم سرى / ملك أمـــرى) تزخـرف وجهى مشط رقم ٨٣٣٩، عبارة (من جد وجد) تزخرف مشط رقم ٨٣٢٣ .

كما نجد عبارتى (من كتم سره * ملك أمره)، (لا يفكر لـك مدبـر) تزخـرف مشطين من الأمشاط المملوكية المحفوظة بحجرة الأوسمة بباريس .

وبالنسبة للعبارات التى تحمل اسم من صنعت من أجله التحفة فهى كثيرة فمثلا نجـد فى أحد أوجه المشط الخشبى (رقم ٢٣٤٩٧) بمتحف الفن الإســلامى بالقـاهرة كتابـة نصها (برسم المولى الأجل) وفى الوجه الآخر (ناصر الدين محمـد) . وفـى نصـف المشط رقم ٤٩٢٦ بمتحف الفن الإسلامى كتابة نصها (سيف الدين باكتمر السـلحدار)(١) وطاسة الخضة النحاسية رقم ٣٨٦٢ المزخرفة بطلاسم وأشكال الـبروج وكتابـة عربيـة تحمل بيان منافعها صنعت برسم (العبد الفقير إلى ربه قطب الدين وذلك فى شهر شـعبان سنة ٧٣٨)، وبنفس المتحف وعاء من النحاس بيضاوى الشكل برقم ٣٣٦٨ نقـرأ علـى حافته وعلى غطائه كتابة منها (مم عمل برسم الزينى صنـدل السـاقى (٢) الأشـرفى)،

---

(١) سلاح دار أو سلحدار اسم وظيفة اشتهرت فى الدول الإسلامية ذات الطابع التركى..
ويتألف الاسم من لفظين هما سلاح العربى ودار الفارس – ومعناه ممسك السلاح .
وهو يطلق على كل من كان يحمل سلاح السلطان أو الأمير ويتولى أمر السلاح خاناه ومـاهو مـن توابع ذلك. كما كان السلاحدارية يقومون بحراسة السلطان : فكانوا مثلا يقف منهم مماليك صغار من السلاحدارية مع الجمدارية وراء السلطان فى حالة جلوسه لدار العدل .
وكان يقوم بهذه الأعمال عدد من السلاحدارية يسمى كبيرهم أمير سلاح وكان السلاحدارية يختارون من المماليك السلطانية، وقد وجد فى أواخر عصر المماليك أربعة سلاحدارية خاص مـن أصحـاب الوظائف من الخاصكية .
والسلاحدار من الموظفين الذين كانوا يتخذون رنوكا أو أشعرة وقد جرت العـادة أنـه إذا نصـب السلاحدار أمير منح رنكا أو شعارا على هيئة سلاح .

(٢) كانت مهمة الساقى فى عصر المماليك هى أن يتولى مد السماط، وتقطيع اللحم، وسقى المشروب بعد رفع السماط ونحو ذلك، وربما أطلق عليه اسم الساقى رغم قيامه بكل هذه الأعمال لأن وظيفته كانت تقتصر على سقى المشروب فى أول الأمر، ثم استحدثت له هذه الأمور الأخرى تبعا، أو ربما سـمى بالساقى نظرا إلى أن سقى المشروب كان هو آخر عمله الذى يختتم به مهمته أو هو أبرز أعمالـه . ويعتبر الساقى من الموظفين الذين اشتهروا باتخاذ رنك يرمز إلى وظائفهم، إذ كان المملوك إذ أمـر وهو ساق منح رنكا على هيئة كأس . =

مبخرة برقم ٣٣٣٠٥ (وهى من النحاس الأصفر ومستديرة الشكل) على حافتها كتابة بها أثر تكفيت بالذهب والفضة منها : (أمر بعمل هذه المبخرة المباركة مولانا السلطان الملك الظاهر محمد)، صدرية نحاس مضلعة برقم ١٥٠٨٦ عليها منطقتان مزخرفتان بكتابة نسخية باسم (خوند زوجة قايتباى) وصدرية نحاس برقم ٤١٢٠ نقش عليها من الخارج كتابة نسخية نصها (مما عمل برسم الست(١) المحجبة ذات الستر(٢) الرفيع والحجاب(٣) المنيع خوند الكبرى جهة المقام الشريف الملكى الأشرفى أبو النصر قايتباى سلطان الإسلام)، مشط رقم ٤٩٢٢ (مما عمل برسم الجناب المنيع الخاتونى دامت صيانته)، مشط رقم ٩٢٧٣ (مما عمل برسم الأمير سيف الدين)، مشط رقم ٣ / ٣٩٥٧ (الستر الرفيع)، تزخرف عبارة (الستر الرفيع) شباك قلة يرجع إلى مصر فى عصر المماليك محفوظ بالمتحف القبطى قاعة ٣ (لوحة ٨٤، ٨٦) هذا وتزخرف عبارة (مما عمل برسم * الستر الرفيع) الحافة اليسرى من وجهى أحد الأمشاط المحفوظة بحجرة الأوسمة بالمكتبة الأهلية بباريس (٤) وبالإضافة إلى ما سبق تحمل بعض التحف توقيع صانعها ونجد ذلك على العديد من التحف منها (عمل شرف) على إناء من الفخار المطلى بالمينا المملوكى يرجع إلى مصر فى ق ١٤ /١٥ م - ٨ / ٩ محفوظ بمتحف الفن الإسلامى برقم ٣٨٥٤، كما نجد على سلطانية من الفخار المطلى بالمينا المملوكى (محفوظة

= ومن الملاحظ أن رنك الكأس من أكثر الشعارات ظهورا على الآثار والتحف العربية سواء أكان الرنك مشتملا على مجرد كأس فقط أو مركبا من كأس ورموز أخرى .
انظر : حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية دار النهضة العربية ١٩٦٦م، ج ٢، ص ٥٧٧ - ٥٧٩، ٥٩٦، ٥٩٧ .

(١) الست لقب عام يطلق على المرأة، مثل" السيدة " . وقد ورد فى بعض النقوش .

(٢) الستر فى اللغة بمعنى الستارة . وقد استعمل كلقب للتعبير عن الخليفة ثم أطلق كلقب أصل للإشارة إلى المرأة الجليلة، وهو فى ذلك يشبه لقب الدار .
وكان " الستر الرفيع " أكثر ورودا لا سيما فى النقوش .

(٣) الحجاب فى اللغة الستر، وهو من ألقاب النساء، وكان يوصف بالمناعة فيقال " الحجاب المنيع " .
انظر : حسن الباشا : الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧ م، ص٣١٧، ٣١٨، ٢٥٦ .

(٤) Ahmad Abd Ar- Raziq : Les Peignes Egyptiens dans I 'Art de I"Islam, P . 400, PL . I

بمتحف الفن الإسلامى برقم ١٥٩٨٢) من الخارج سطر كتابة نسـخية بتوقيـع شـرف الأبوانى .

كما نجد توقيع الخزاف المملوكى الشهير " غيبى " على قطعة من قـاع إنـاء مـن الخزف المرسوم تحت الطلاء بمتحف كلية الآثار رقم ١٥٧٠ (لوحة ٦٧) كما نجد كتابـة تضم توقيع الصانع وهو " بدر الدين ابن أبى يعلا " على ثريا من النحاس المخرم مؤرخـة بسنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠، محفوظة بمتحف الفن الإسلامى .

* * *

(ب) الزخارف الهندسية :

يقصد بالزخارف الهندسية استخدام الأشـــكال الهندســية المســـتوية، أو المجســمة المرسومة بالمقاسات عناصر ووحدات زخرفية على التحف والمبانى أيضا . وقــد تمــزج الزخارف الهندسية بالزخارف النباتية أو الحيوانية أو الكتابية مبالغة فى زينتـــها وإظـــهار جمالها على الوجه الأكمل (١).

ويذكر د . زكى محمد حسن أنه من المستبعد أن يكون لدى المسلمين كتـــب فيـــها نماذج للزخارف الهندسية الإسلامية الذائعة، ولكن يرجح أن هذه الزخارف كانت سرا مـــن أسرار الصناعة، يتلقاه الصبيان عن معلميهم فى الفن والمهنة . فكانت تتعلم بالمران، كمـــا كانت تصنع لها قوالب ونماذج يستعملها الصناع والفنانون فى بعض الأحيان (٢).

ومن الملاحظ أن كل المحاولات التى بذلت من قبل الرحالة الأجـــانب أو دارســـى الفنون العربية الإسلامية فى نهاية القرنين الماضيين لجمعها بشكل أطالس أو تقليد أشـــكالها بالمرسومات والمصورات (٣) فإنها لن تصل إلى جوهرها أو أصـــول رســـمها وكشـــف

---

(١) د . كاظم الجنابى : حول الزخارف الهندسية الإسلامية، مجلة سومر المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، الجزء الأول والثانى، المجلد ٣٤، ١٩٧٨م، ص ١٤٣ .

(٢) د . زكى محمد حسن . فنون الإسلام، ص ٢٤٨، ٢٤٩ .

(٣) انظر عن هذه الأطالس والدراسات ما قام به العالم الفرنسى بورجوان بتحرير هذه الزخارف المعقدة إلى أبسط أشكالها واتضح من دراسته أن براعة الفنان المسلم فى الزخارف الهندسية قامت على علم وافر بالهندسة العلمية وليست على الموهبة الطبيعية فقط .

Bourgoin, J . : Arabic Geometrical Pattern, New York 1973 .

كما يرى العالم الفرنسى جابيه أن تخطيط هذه الزخارف منقول من علم الهندسة وليس له صلة بالفن وأن علماء الحساب قاموا بتوضيحها فى جمع كبير من المسائل وقد قام Wroick بتحليل هذه القواعد ولم يترك لمن أتوا بعده إلا تلخيصا لما عمله . كما يذكر جابيه استنادا للعديد من القواعد الحسابية والهندسية طريقة تقسيم محيط الدائرة لرسم طبق نجمى .

Gayet, A. : Les Art Arabe , Paris 1893 , PP . 93 - 98 , Fig . 2G .

وقام أيضا دانيد وايد بعمل تحليلات للزخارف الهندسية بصفة عامة ومنها تلك الزخارف النجمية البسيطة والمعقدة .

Wade,D . : Pattern in Islamic Art, London 1976 .

ومن الأطالس ما قام بعمله بريس دافين .

Prisse . D. Avennes : Arabic Art IN Color 141 Designs and Motifs on 50 Plates , PP . 5,6,21 .

مصطلحاتها وإنما كانت مجرد مستنسخات لها طبق الأصل لا نشك فى قيمتها الفنية لأنـــها قدمت فى الماضى صورا جميلة للعالم الأوروبى، عن فنون هذه الزخرفة التـــى مارســـها العرب المسلمون فى عز نهضتهم .

أما فكرة الزخارف الهندسية كما يهدى الظـــن فإنـــها تشـــبه المنظومـــة الشمســـية وتوزيعها فى قبة السماء كالقمر والنجوم، وبعض العوارض الجوية ومـــن بـــاب التشـــبيه يطلق عليها باحثوا الفنون فى مصر " الأطباق النجمية "(١) ومهما يكـــن مـــن أمـــر فـــإن تصوير النجمة يعتمد على تصوير الدائرة، ومن هنا كان رسم الفرجار أساسا لرسم النجـوم بجميع أنواعها . وتأويل ذلك أن الكواكب بمعانيها المختلفة إنما انبثقت عن الكون أو عـــن الإله الأكبر الذى يرمز له بشكل دائرة .

ولذلك فإن الدائرة تبقى أحيانا محيطة بالنجمـــة أو هـــى تتصـــدر مركـــز النجمـــة ثم هى تصبح زهرة . وللدائـــرة معنـــى ســـحرى عنـــد المســـيحيين، وعنـــد المســـلمين العرب الذين ابتكروا الصفر على شكل الدائـــرة، للدلالـــة علـــى دورهـــا التوليـــدى فـــى حساب الأرقـــام .(٢)

أن أهميـــة معنى النجمة عند العرب والمسلمين دفعـــهم إلـــى اعتبارهـــا العنصـــر الأساسى فى الرقـــش العربى الهندسى ، الذى ينطلق من شكل نجمى خماسى أو سداســـى أو ثمانى أو من مضـــاعفات ذلك . ولقد أسعفهم فى ذلك اســـتعمال الفرجـــار فـــى رســـم الدائرة وتقسيم محيطها إلى أقواس متساوية، ثم متابعة استعمال الفرجـــار لتوليـــد أشـــكال جزئية أو فرعيـــة تتشابك فيمـــا بينها لكى تقيم زخرفـــة رائعـــة تحمـــل دلالات قدســـية وفلسفية وفنية هامة (٣) .

---

(١) كاظم الجنابى : المرجع السابق، ص١٤٤ .

(٢) عفيف البهنسى : الفن الإسلامى، الطبعة الأولى، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر بدمشق، ١٩٨٦م، ص ١٠٣ .

(٣) المرجع نفسه ، نفس الصفحة.

هذا وقد احتلت الزخارف الهندسية القسم الأكبر من زخـــارف منتجـات العصـر المملوكى التى تدخل ضمن جهاز العروس . فيزخرف خارج الصدريـــة النحاسـية رقـم ٤١٢٠ بمتحف الفن الإسلامى شريط علوى به زخرفة عبارة عن معينات ودوائر صغـيرة متبادلة، ونجد زخرفة هندسية عبارة عن شريط دائرى مقسم إلى مثلثات متعاكسة بداخـــل سلطانية، ضخمة كأسية الشكل من الفخار المطلى بالمينا محفوظة برقم ٢٣٨٣٢ بمتحـــف الفن الإسلامى وفى الوجه الخارجى لقاع إناء من البرونز المكفت بالذهب والفضـــة باسـم السلطان المملوكى أبو النصر قايتباى – ترجع إلـــى مصـــر فـــى القـــرن ٩هـــ / ١٥م ومحفوظة بمتحف استانبول (١) – زخرفة هندسية عبارة عن طبق نجمى ١٢ فص يحيـــط به دائر القاع ٦ أنصاف أطباق نجمية ١٢ والجزء ما بين أنصاف الأطباق وبين الطبق بـــه زخارف من المعروفة ببيت غراب .

ونجد طبق نجمى من ١٢ فص يزخرف بعض جوانب كرسى منشورى (الخـــاص بحمل الصينية) من النحاس المكفت بالفضة، مصر ق ٨ هـ / ١٤ م والمحفوظة بمتحـف الفن الإسلامى برقم سجل ١٣٨ .

كما نجد أطباق نجمية من ١٢ فص أيضا – منفذة بالتخريم – تزخرف صفين مـــن الثريا النحاسية التى تحمل توقيع " بدر ابن أبى يعلا " .

كما نجد أطباق نجمية من ١٢ فص – منفذة بالتطعيم – تزخرف صنـــدوق خشـــبى محفوظ بمتحف أندرسون (لوحة ٢٥) .

ويزخرف وجهى المـــرآة رقم ١٥٣٣٧ بمتحف الفـــن الإســـلامى دوائـــر متحـــدة المركز . وبالنسبة لزخارف المرآة المعدنية رقم ٧٥٣٤٥ بمتحف الفن الإسلامى – مصـــر ق ٧ هـــ / ١٣ م – فمحيطها عبارة عن دائرة مفصصة مقسمة إلى أنصاف دوائر عددهـــا ١٢ وفى الظهر حفر عليها دائرتان متحدتان المركز والجزء المتكون بين الدائرتيـــن بـــه كتابة وأربع دوائر أخرى متعامدة على الدائرة الصغرى .

---

(١) زكى محمد حسن : أطلس الفنون، ص ١٦٩، شكل ٥١٥، ٥١٦ .

ويعلو زخرفة الطائرين فى السطح العلوى من قبقاب رقم ٤٩١٥ بمتحف الفن الإسلامى أيضا بقية زخرفة من أشكال هندسية مستوحاة من الرنوك المملوكية، عبارة عن معينات أو مثلثات صغيرة وفى أسفل الطائرين بقية شريطين، بالعلوى منهما دائرتان من سن وبالسفلى دائرة تكتنفها لوزتان .

والقبقاب رقم ١٥٦٦ بمتحف كلية الآثار مطعم بصدف يأخذ أشكال مثلثات متساوية الأضلاع ومتساوية الساقين وقائمة الزوايا تضمها حشوات بسيطة محفورة حفر بسيط على شكل خط منكسر، وتأخذ هذه الحشوات شكل معينات ومثلثات ومتوازيات مستطيلات (لوحة ٢٤٩) (شكل ٤٠) .

وفى كرسى الحمام رقم ٢٥٦٧٤ بمتحف الفن الإسلامى نلاحظ أن الصدف المستخدم فى التطعيم مقطع إلى مربعات ومثلثات (لوحة ١٨٧) واحتوى الكثير من أمشاط عصر المماليك على زخارف هندسية متنوعة، فيزخرف الجزء الأوسط من مشط رقم ٤٩٤٣ بمتحف الفن الإسلامى زخارف هندسية مختلفة مفرغة شغل المنشار عبارة عن دوائر ومعينات ومثلثات ويزخرف المشط رقم ١ / ١٨٧٦٥ – يرجع إلى مصر فى ق٩هـ/١٥م – زخارف هندسية محفورة حفرا بارزا وهى عبارة عن خطوط متداخلة مكونة فى الوسط معينات متجاورة يحيط بها من أعلى وأسفل خطان ينتهيان من اليمين واليسار بشكل قلب، ويحيط بهذه الزخرفة إطار به زخرفة متكررة عبارة عن معينات متساوية متجاورة محفورة حفرا بسيطا فى الخشب . ونجد هذه الزخرفة نفسها تحيط بالجزء الأوسط فى المشط رقم ٩٠١٥، ويحدد الجزء الأوسط فى مشط رقم ٤٩٣٢ – مصر ق ٩ هـ / ١٥ م – من أعلى ومن أسفل ١٤، ٥ خطوط، وهذا الجزء مقسم (فى جزء منه ربما بعد منتصفه لأن المشط غير مكتمل) بخطوط أيضا إلى مستويين علوى وسفلى يزخرفهما دوائر مفرغة فى ثلاث صفوف .

وفى المشط رقم ١ / ٧٠٩٠ – يرجع إلى مصر ق ٩ هـ / ١٥م ، وهو مزدوج بمفصلات من الخشب – على الجزء الأوسط والمفصلات المتشابكة خطوط منكسرة . (لوحة ١٦١، ١٦٢) .

ويزخرف الجزء الأوسط من مشط رقم ٥ / ٣٤ (بمتحف كلية الآثار) أربع دوائر بالحفر اثنتين منهما متباعدتين بداخل كل منهما خمس دوائر متحدة المركز، واثنتين أصغر من السابقتين وهما فى وضع رأسى بالنسبة للسابقتين متماستين، وبداخل كل منهما دائرتين متحدتين المركز .

ويزخرف الجزء الأوسط من مشط رقم ٥ / ٢٥ من هذه المجموعة أشكال هندسية مفرغة منها ٦ دوائر تكون شكل سداسى ودائرة فى مركز هذا الشكل بالإضافة لأشكال أخرى من مثلثات ومعينات وأشكال قلبية (لوحة ١٤٣) .

وبالنسبة للمكحلة العاج المطعمة ذات الشكل المسدس – محفوظة بمتحف الفن الإسلامى برقم ٤٠٥٠ – فكل زخارفها هندسية بديعة ففى أعلى البدن دوائر تحيط به فى إطار علوى وفى بعض أجزاء من البدن تزخرفه ٦ أشكال مسدسة متلاصقة (لونها أسود وبنى) تزخرفها ٦ نجوم سداسية بداخل كل شكل مسدس نجمة وأسفل البدن جزء يستدق عن البدن بانحناء به أشكال دوائر لونها بنى كالعلوى وينتهى الجزء المنحنى إلى رقبة ثم ينخفض إلى أسفل فينقسم إلى ٦ أجزاء مدببة بين كل جزء وجزء دائرة لونها بنى أيضا .

وبالنسبة للزخارف الهندسية على بعض قطع الحلى فنجد القرط (لوحة ٢٠٣) الذهبى ورقم ١٤٩٩١ بمتحف الفن الإسلامى – يأخذ شكل دائرة يتوسطها شريط مستطيل مقسم إلى أشرطة أصغر الشريط العلوى به أنصاف دوائر عددها ١٠، أسفله شريط به خطوط متقاطعة وأسفل هذا الشريط شريط آخر به دوائر متجاورة عددها ١١ أسفلها صف من دوائر صغيرة عددها ٣٢ دائرة .

أسفل ذلك شريط مثل الشريط الثانى مكون من خطوط متقاطعة أسفل الشريط الأوسط حلية مكونة من ٣ أجزاء الجزء الأوسط عبارة عن دائرة كبيرة يحيطها شريط عريض به زخارف هندسية مفرغة عبارة عن خطوط متقاطعة تضم هذه الدائرة بداخلها ٧ دوائر صغيرة فى ٣ صفوف ٢، ٣، ٢ – الجزء الأيمن والأيسر من الحلية يأخذ شكل واحد عبارة عن مثلث بداخله دائرة وبأركان المثلث الثلاث من الداخل دوائر صغيرة ينتهى المثلث من أسفل بشكل ورقة ثلاثية محورة .

وعلى يمين ويسار الدائرة شكل عبارة عن مثلث رأسه لأســـفل وقاعدتــه لأعلــى بداخله دائرة وبأطرافه الثلاثة ثلاثة دوائر صغيرة ويخرج من رأس المثلث دائرة صغيرة.

وبالنسبة للسوار الذهبى رقم ١٦٤٣٥ (لوحة ٢٠٧، ٢٠٨) فهو مشغول على هيئــة زخرفة مجدولة وعلى المحبس المستدير شكل نجمة مسدســـة هــذا ويزخــرف اللحـــاف المحفوظ بمتحف الفن الإسلامى برقم ٢٣٩٠٥ زخارف هندسية فيتوسطه زخرفـــة عبـــارة عن شكل معين داخله أشكال هندسية ويحد المعين من الجانبين القصيرين أشرطة متوازيـــة بها تقسيمات هندسية .

كما اشتهر السجاد فى عصر المماليك بزخارفه الهندسية التى تشابهت مع زخـــارف جلود الكتب القاهرية والنافورات الرخامية والتحف المعدنيـــة المملوكيـــة فكـــان تصميـــم السجادة مكون – فى الغالب – من تصميم هندسى لا تخطئه العين فيعرفه الرائى بمجـــرد النظر إليه أنه من صناعة مصر فى عصر المماليك هذا التصميم يتكون مـــن مربـــع فـــى وسط السجادة يتوازى أضلاعه مع أضلاع السجادة يتقاطع مع هذا المربع معين، ويتخلـــق من هذا التقاطع فى الأطراف مثلثات بداخل كل مثلث مثلث آخر وبداخل الأخير مثلثـــان بينهما زخرفة نباتية ويتخلق من هذا التقاطع فى الداخل شكل مثمن بداخله مثمنان بداخلـــه مربع وداخل هذا المربع مثمن صغير ويتناثر فى ساحة السجادة خـــارج هـــذا التصميـــم أشكال هندسية تتشابه مع هذا التصميم .

ويحيط بالسجادة إطار مزخرف بجامات مفصصة جامة صغيرة شبه دائرية وجامـــة مستطيلة كبيرة (خرطوش) بالتبادل وبداخل الجامة الصغيرة مثمن بداخله مربع ويتوســـط الجـــامة الكبيرة مربع بداخله معين ، ونجد زخارف هندسية، عبارة عن خطوط متجـــاورة أو دوائر صغيرة أو مثلثـــات وغيرها على الأساور الزجاجية الملونة التى كـــانت تتحلـــى بها عروس الطبقة الشعبيـــة البسيطة (لوحة ٢٠٥، ٢٠٦) ونجـــد زخـــارف هندســـية عبارة عن دوائر صغيرة محفورة فى العاج فى سكينة رقم ٤١٨٠ بمتحف الفن الإســـلامى (لوحة ٧٧) .

كما نجد زخارف عبارة عن خطوط منكسرة متكررة فى النصف العلوى من حـــامل صينية من الفخار المطلى بالمينا (لوحة ١٢٣)، وزخارف عبارة عن مثلثات متكررة فـــى

صفوف (صف من مثلثات معدولة وصف من مثلثات مقلوبة) فى النصف السفلى من هذا الحامل ونجد زخرفة عبارة عن نجمة من خمس فصوص تزخرف قاع صحن من الزجاج (لوحة ٧٢) .

كما نجد زخارف هندسية أخرى منها ما هو على هيئة حرف "Y" وتعرف عند أهل الصنعة باسم زخرفة دقماق وتوجد دائما متكررة فى صفوف فوق بعضها، ومنها ما هو على هيئة حرف "Z" وتعرف هذه الزخرفة باسم المفتاح . وتوجد دائما داخل دائرة تشع بعض خطوطها من مركزها والخطوط الأخرى تسير مع محيطها .

وقد شاع وجود هذين العنصرين الزخرفيين على الأوانى المعدنية المملوكية ونذكر مثال لذلك الزخرفة الموجودة على يد مصفاة معدنية من مصر فى عصر المماليك . (لوحة ٧٩، ٨٠) .

* * *

(جـ) الزخارف النباتية :

وجدت الزخارف النباتية على القطع المكونة لجهاز العروس فى عصـــر المماليك وعلى أدوات تجميلها وحليها بشقيها المحور عن الطبيعة والمحـــاكى للطبيعـــة وبالنســبة للزخارف المحورة فتتألف من فروع وعروق وأوراق نباتية متداخلـــة ومتشـــابكة وأوراق محورة، هى فى الواقع رسوم نباتية مورقة من ذلك النوع الذى يطلق عليه بعض الكتـــاب العرب " الرقش العربى " (١) أو" التوشيح العربى " (٢) وتعرف فى المصطلح الأفرنجـــى باسم " الأرابيسك " نسبة "إلى العرب (٣) – والأرابيسك هى الزخارف المكونة من فـــروع نباتية وجذوع منثنية ومتشابكة ومتتابعة (٤) وأوراق نباتية ذات فصين تتداخـــل وتتشـــابك معا بطريقة زخرفية منسقة تدعوا إلى الإغراق فى التخيل(٥)، ويطلق لفظ الأرابيسك أيضـــا على الزخارف الإسلامية الأصيلة مثل الزخـــارف الهندســية المتشـــابكة(٦) والزخـــارف الخطية وحتى الشخصية (٧).

والأرابيسك ابتكار إسلامى أصيل، اتخذ شكله الأصلى فى القرن التاسع فـــى ظـــل حكم العباسيين وفى أسبانيا الإسلامية وظهر بكامل تطوره فى القرن الحادى عشر فى ظـــل الحكم السلجوقى والفاطمى والمغربى ومنذ ذلك الحين طرأت على زخارف الأرابيسك فـــى العالم الإسلامى تغييرات لا حصر لها وعلى ذلك فمن الصعب جدا ترتيب هـــذه الأشـــكال المختلفة طبقا للترتيب التاريخى أو للترتيب المحلى أو الأسرى .

---

(١) عفيف البهنسى : دراسات نظرية فى الفن العربى، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ١٩، ٢٠ .

(٢) أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها – الجزء الأول، العصر الفاطمى، دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م، ص ١٨٢ حاشية (٢)، ص ١٩٠ .

(٣) حسن الباشا : مقدمة فى القاهرة بين الفنون الإسلامية (بحث بكتاب القاهرة تاريخها، فنونها، آثارها – الأهرام ١٩٧٠ م، ص ٢١٤ .

(٤) زكى محمد حسن : فنون الإسلام ص ٢٥٠ .

(٥) حسن الباشا : مقدمة فن القاهرة، ص ٢١٤ .

(٦) Purkherdt, T., Art of Islam Lenguage and meaning, World of Islam Festival, First Published 1976. P. 66.

(٧) Kuhnel, E . : Aarabesque, in the Encyclopedia of Islam, VOI . I, New Edition, Leiden - London, 1960, P. 558 .Kuhnel, E. : Op. Cit., p. 561 .

وعلى أية حال فقد تطورت هذه الزخارف فى مصر، ووصلت إلى قمة نضجها فى العصر المملوكى . وساد استعمالها فى ذلك العصر على معظم تحفه المنقولة . فنجد زخرفة نباتية عبارة عن فروع نباتية متموجة داخل مناطق رأسية تزخرف خارج زهرية من الخزف تحمل على حافتها من الداخل والخارج توقيع الخزاف " أبو العز " – ترجع إلى مصر فى ق ٩ هـ / ١٥ م – ومحفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم سجل ٤٥٧٧، وبنفس المتحف زهرية من النحاس المكفت بالذهب والفضة برقم ١٥١٢٥ – مصر ق ٨ هـ / ١٤م– عليها زخارف نباتية دقيقة .

ويزخرف ظهر المرآة المعدنية المحفوظة بمتحف الفن الإسلامى برقم ١٥٣٤٩ ثلاث دوائر متحدة المركز الدائرة الوسطى مملؤة بزخارف نباتية محورة متشابكة . كما يزخرف ظهر المرآة رقم ١٥٣٣٧ بنفس المتحف زخارف نباتية محورة، عبارة عن أنصاف مراوح نخيلية متبادلة مع وريدات من ثلاث بتلات فى إطار يحيط بدائرة أصغر مملؤة بزخارف نباتية محورة عبارة عن فروع وأوراق نباتية متداخلة، كما توجد زخرفة نباتية مرسومة بالألوان داخل قاع علبة من العاج رقم ١٢٦٣٣ بمتحف الفن الإسلامى .

ويزخرف الجزء الأوسط من المشط رقم ٩٠١٥ بالمتحف نفسه زخرفة نباتية محورة عن الطبيعة عبارة عن أوراق شجر مكررة . كما يزخرف الجزء الأوسط من المشط رقم ٤٨٣٣ بنفس المتحف فرع نباتى ينتهى بوريدة ويتفرع منه وريقات نباتية أخرى . كما توجد زخارف نباتية مفرغة بالمستطيل الذى يتوسط القرط الذهبى الذى يأخذ شكل دائرة والمحفوظ بالمتحف الإسلامى بالقاهرة برقم ٤٩٩١ (لوحة ٢٠٣) .

ويزخرف العقد الذهبى المحفوظ بالمتحف نفسه برقم ١٣٧٤٩ زخارف نباتية متشابكة مكررة فى كل سملك من سمالكة الواحد والعشرين (لوحة ١٩٧، ١٩٨) وبالمتحف نفسه خرزة من الذهب كروية الشكل مجوفة برقم ١٦٤٥٨ ترجع إلى مصر فى القرن ٨ هـ / ١٤ م وزنها ٧,٣ جرام – عليها زخارف نباتية بارزة .

ومن الزخارف المحورة أيضا، ما نجده بظهر المرآة المعدنية المحفوظة بالمتحف نفسه برقم ١٥٣٤٥ حيث يزخرفه أربع دوائر تتعامد على الدائرة الوسطى بكل منها زهرة ربما تكون زهرة اللوتس المتفتحة المعروفة فى عصر المماليك ولكنها هنا بشكل محور .

أما بالنسبة للزخارف النباتية المحاكية للطبيعة فنجد منها بعض الزهـــور كـــاللوتس المتفتح(١) وعود الصليب(٢) ، فيزخرف بدن الزهرية النحاسية المحفوظة بمتحـــف كليـــة الآثار جامعة القاهرة برقم ١٤٦٧ من الخارج ثلاث جامات موزعة بانتظام علـــى أبعـــاد متساوية على الشريط الكتابى بداخل كل جامة زهرة لوتس متفتحة، ونجـــد هـــذه الزهـــرة تزخرف الكثير من التحف المعدنية المملوكية فنجدها تزخرف – بالإضافة إلى زهور مـــن خمس بتلات – مبخرة من النحاس محفوظة بمتحف الفن الإسلامى برقم ٤٠٢٤ .

ونجد زهرة عود الصليب تزخرف الشريطين اللذين بأعلى وأسفل الشريط الكتـــابى الموجود بصندوق العمامة المحفوظ بمتحف كلية الآثار (لوحة ٢٣١ – ٢٣٦) .

* * *

---

(١) نلاحظ من خلال مشاهدتنا لرسوم زهرة اللوتس على المنتجات الفنية المملوكية أنها كانت ترسم دائما بخطوط مرنة حية تجعلها قريبة من الطبيعة إلى حد كبير، وقد عرفت زهرة اللوتس المرسومة بهذا الشكل باسم " اللوتس " الصينية " لكونها ضمن التأثيرات التى ظهرت نتيجة للعلاقات السياسية الطيبة بين المماليك والمغول .

وقد شاع استخدام زهرة اللوتس في زخرفة المنتجات الفنية فى مصر المملوكية منذ بداية القرن ٨ هـــ / ١٤ م فنراها على سبيل المثال تزخرف مقلمة من النحاس المكفت بالفضة والذهب باسم السلطان المنصور قلاوون وبشكل زهرة عبارة عن ورقتين متقاطعتين كالمقص .

انظر Shafi, I, F.: Simple calyx ornament En Islamic Art, P..

فريد الشافعي : العمارة فى مصر الإسلامية عصر الولاة، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠، ص ٢٧٩ .

Safadi, Y.H.: Islamic Calligraphyo, London, 1958, P. 89. N. 98 .

(٢) يرجع أصل زهرة عود الصليب إلى الصين حيث تنمو شجيراتها التى تتميز بطول ازدهارها وتباين ألوانها بين الأحمر الوردى والأبيض ومن المحتمل أن تسميتها بعود الصليب جاءت من شكل توزيع بتلاتها الثلاث والأربع بهيئة متعامدة كالصليب . ويطلق عليها أيضا اسم عود الريح أو Peony " بيونى " وهو اسمها العلمى . وقد نقل الفنانون المسلمون هذه الزهرة من التحف الواردة من الشرق الأقصى فوجدت على بعض التحف المملوكية كالصوانى والشماعد والمباخر والمشكاوات الزجاجية وصناديق المصاحف المصفحة .

انظر :

Bedevian, A.K.: Polyglotic Dictionary of , Plant Names Cairo 1936, P. 435,No. 2516, The Wise Garden Encyclopedia, New York 1936, pp. 918-200 .

(د) زخارف الكائنات الحية :

حفلت التحف المملوكية التى تدخل فى جهاز العروس بالكثير من زخارف الكائنات الحية كما صممت أرجل أو نهايات بعض هذه التحف على شكل حيوان معين .

ومن الجدير بالذكر أن رسوم الحيوان مما ورثته فنون الإسلام عن الفنون التى سبقتها فى بلاد الشرق الإسلامى . وقد أقبل المسلمون على استخدام رسوم الحيوان فى زخارفهم . ولعلهم لم يتمسكوا فى شأنها بالأحاديث التى تحرم تصوير الكائنات الحية . واستعمل المسلمون فى زخارفهم رسوم الأسد والفهد والفيل والغزال والأرنب والطيور الصغيرة بأنواعها وأخذ المسلمون عن فنون الشرق الأقصى رسوم حيوانات خرافية ومركبة . وطبيعى أنها لقيت منهم ترحيبا كبيرا لأنها كانت تتفق فى تركيبها مع البعد عن الحقيقة والطبيعة، ومع التجريد الذى نعرفه فى الفنون الإسلامية، على أن المسلمين، حين أخذوا تلك الحيوانات الخرافية عن الصين، لم يحتفظوا بمعانيها الرمزية بل أصبحت عندهم رسوما زخرفية فحسب.

فالتنين مثلا كان من شارات الملك فى الصين، ولكنه فى الفن الإسلامى لا يرمز إلى شئ بل هو زخرفى فحسب .

كما رسموا الأفاعى والحيات والحيوانات والطيور المجنحة (١). وقد استعملت عناصر الكائنات الحية فى زخارف الخشب والجص والنحاس والنسيج والبلور والخزف . ويغلب أن توضع هذه العناصر داخل أشكال ومناطق .

وتوجد صور الأشخاص ، ورسوم الطير والحيوان، على التحف الإسلامية منذ البداية، فى جميع العصور، وكل البلاد(٢) ، ولم يذكر فى القرآن الكريم أى شئ عن تحريم صور الكائنات الحية على المسلمين ولكن الفن الإسلامى ليس بالفن الدينى، ولذلك فإننا لا نجد فى المساجد أى صور وتماثيل لتوضيح القصص الدينية، فى حين نرى الصور الآدمية ورسوم الطير والحيوان، تزخرف جدران قصور الخلفاء وبيوت الناس

---

(١) د . زكى حسن : فنون الإسلام، ص ٢٥٣ .

(٢) أبو صالح الألفى : الفن الإسلامى، ص ١١٧، ١١٨ .

وتزين ما يتداولونه من تحف، ومن الطبيعى أن يكـــون رســـمها تبعـــا للأســـلوب الفنـــى المعاصر، ووفقا لرغبة الفنانين (١).

ومن هذه الزخارف نجد زخرفة تمثل طائرين متدابرين بالجسم متواجهين بـــــالرأس – وهذه الزخرفة مطعمة بالسن على السطح العلوى لقبقاب يرجع إلى مصر فى ق ٩هـــــ/ ١٥م محفوظ بمتحف الفن الإسلامى برقم ٤٩١٥، ونلاحظ أن هذا التقويم الزخرفـــى كـــان منتشرا فى زخارف التحف المملوكية . فنجد أيضا رسم طائرين بالألوان على داخل قـــاع علبة من العاج برقم سجل ١٢٦٣٣ بمتحف الفن الإسلامى أيضا، ونجد زخـــارف طيـــور متقابلة فى صفين فوق بعضهما فى كل صف ٦ أزواج وذلك فى شـــــراب رقـــم ١٥٦٠٩ بنفس المتحف (لوحة ٢٥٦).

ونجد زخرفة البط الطائر اثنتين متقابلتين واثنتين متدابرتين فى شكل شـــــبه معيـــن متكررة فى أشرطة تزخرف القمقم النحاسى المكفت بالذهب والفضة – محفـــوظ بمتحـــف الفن الإسلامى برقم ١٥١١١ – هذا غير ما يوجد به من بطة منفردة بيمين ويسار كتابـــــة وذلك يتكرر أيضا فى أشرطة على بدن القمقم (لوحة ١٨٢) .

وبنفس المتحف علبة اسطوانية الشكل من النحاس برقم ٣٩٨٥ تحمل كتابة نســـــخية باسم الأمير طغيتمر الساقى على بدنها، وعلى السطح العلوى للغطاء شريط من حيوانـــــات تجرى خلف بعضها مصر ق٨ هـــ / ١٤ م .

وبهذا المتحف أيضا صدرية من النحاس الأصفر مضلعة عليها كتابة نسخية باســـــم خوند زوجة السلطان المملوكى قايتباى رقم ١٥٠٨٦ – مزخرفة بصور طيور وحيوانات.

كما توجد رسوم البط الطائر ضمن زخارف كرسى من نحاس مخـــــرم منشـــورى الشكل باسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون – الذى كان من استخداماته حمل الصـــينيـــة وقت العشاء – وهذا الكرسى بمتحف الفن الإسلامى برقم ١٣٩ . ونجـــد صـــورة غـــزال يرفع رأسه كأنه يقتطف من النبات المحيط به فى قطعة من الخزف المزخرف بزخـــــارف

---

(١) محمد مصطفى : مناظر دينية على التحف الإسلامية، مجلة المجلة العدد ٤٨ ديسمبر ١٩٦٠ م ص ٣٩ .

ملونة تحت الطلاء الزجاجى محفوظة بمتحف الفن الإسلامى برقم ٥٧٠٧، ونجد صـــورة أوزة طائرة فى قطعة خزف مرسومة تحت الطلاء برقم ٤ / ٥٣٥٤ .

كما تزخرف أزواج من البط الطائر المتقابل صندوق العمامـــة النحاســى المكفــت المحفوظ بمتحف كلية الآثار رقم ١٧٧١ .

وتحتفظ حجرة الأوسمة بالمكتبة الأهلية بباريس بمشط مزين بســـمكتين متقــابلتين بينهما سمكة رأسية .

وتعود الزخرفة بالسمك إلى جذور عميقة فى القدم إذا اســـتخدمت فـــى العصـــور الفرعونية والقبطية ووجدت منذ القرن الأول الهجرى على حشوة من الخشـــب محفوظـــة بمتحف الفن الإسلامى ووجدت أيضا على التحف الفاطمية والأيوبية كمـــا وجـــدت علـــى الأدوات النحاسية والفخار المطلى فى عصر المماليك (١).

ومن الجدير بالذكر أن الزخرفة بالسمك استخدمت فى مشط آخر يرجع إلى مصـــر فى ق ٣ / ٤ هـ ٩ / ١٠ م(٢) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى برقم ٧٨٩٢، فقد زخـــرف كل وجه بسمكة حفرت حفرا بارزا .

هذا ونجد زخرفة عبارة عن سمكة فى قاع إناء من الفخار المطلـــى بالمينـــا فـــى المتحف البريطانى يرجع إلى مصر فى عصر المماليك ما بيـــن القرنيـــن الثـــالث عشـــر والخامس عشر(٣).

وبالإضافة إلى ذلك فقد تمثلت صور الكائنات الحية على التحف المعدنيـــة المكفتـــة بالفضة والذهب أيضا بطريقة أخرى فريدة فى نوعها : وهى تشكيل حروف الكتابات التـــى تزخرفها على هيئة كائنات حية آدمية وحيوانية ومن المرجـــح أن هـــذا الأســـلوب مـــن الزخرفة على التحف المعدنية المكفتة جاء إلى مصر من إيران .

غير أنه من الملاحظ أن فكرة تشكيل الحروف الهجائية على هيئـــة كائنـــات حيـــة نبعت فى مصر . ولن نذهب بعيدا إلى اللغة الهيروغليفية، ولكـــن يكفـــى أن نشـــير إلـــى

---

(١) Ahmed Abd - Ar - Raziq : Les Peignes Egyptiens P . 402,403,407 PL .XXII .

(٢) أنظر لوحة رقم ١٧ بمعدات التجميل لأحمد ممدوح حمدى .

(٣) زكى محمد حسن : أطلس الفنون، ص ٦٣، شكل ١٩٤ .

المخطوطات المصرية المكتوبة باللغة القبطية على الرق التى سبقت الإشارة إليها والتـــى ترجع إلى القرون الإسلامية التى زخرفت فيها بعض الحروف الأولى بصور مختلفة مـــن بينها رسوم نباتية عربية ورسوم حيوانية وآدمية . ومن المعتقـد أن هـذا الأسـلوب فـى زخرفة الحروف الهجائية قد انتقل على يد المصريين إلى الأيرلنديين والأرمن .

وليس من المستبعد أن يكون صناع المعادن المسلمون قد تأثروا بالكتابـة الأرمنيـة التى كانت تشكل أحيانا على هيئة كائنات حية، ومهما يكن من شئ فقد بلغ هذا الأســلوب من الزخرفة على التحف المعدنية المكفتة أوج ازهاره وتطوره فى مصـــر فـى عصـر المماليك . إذ كانت الصور التى تمثل الحروف الهجائية فى العادة من قبل يسودها الجمـود ويقتصر فيها غالبا على تشكيل رءوس المستقيمات فقط على هيئة رءوس آدمية، أما فـــى مصر فقد تطورت الزخارف بحيث صارت الكتابة بأجمعها تتألف من صور كائنات حيـة، فصارت الألفات واللامات تأخذ شكل صور آدمية كاملة فى حين كانت بـــاقى الحـروف تشكل على هيئة طيور وحيوانات وآدميين .

ويتمثل هذا النوع من الزخارف على رقبة شمعدان من النحاس المكفـــت بالفضـة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة برقم ٤٤٦٣ عمل برسم طشت خاناه المقر العالى المولـوى الزينى زين الدين كتبغا المنصورى الأشرفى فى سنة ٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م ويزخرف هـذه التحفة شريطان من الكتابة المكفتة بالفضة . أحدهما بالخط النسخ المملوكى ويلـف حـول جسم الفوهة والآخر بالحروف المشكلة على هيئة كائنات حية ويلف حول الرقبة .

وفى حين تفيد الكتابة النسخية فى نسبة الشمعدان إلى كتبغا فإن الكتابة المشكلة علـى هيئة كائنات حية تساعد على تأريخ التحفة، وفى الوقت نفسه تبهرنا بجمالـها وغرابتـها . ويتألف هذا النص من حروف شكلت على هيئة آدميـــن وحيوانـات وطيـور . وتمثـل الأشكال الآدمية جنودا محاربين تحيط برءوسهم هالات، وقد تسلحوا بمختلف الأسلحة مـن سيوف ورماح ودروع وأقواس وسهام، وفى حركات وأوضاع مختلفة كالـهجوم والدفـاع والضرب(١).

---

(١) حسن الباشا : فنون التصوير الإسلامى فى مصر، دار النهضة العربية ١٩٧٠ م ص١٣٨، ١٤٠، ١٤٢ .

ونجد الرسوم الآدمية أيضا على صينية من النحاس المكفت بالفضة ترجع إلى مصر فى عصر المماليك ق ٨ هـ / ١٤ م - ومحفوظة بالمتحف الإسلامى برقم ١٥١٤٧ فيتوسطها سبعة دوائر بها رسوم أشخاص يحيط بها سطر كتابة نسخية تتخللها أربع دوائر بها صور فرسان وذلك بين شريطين من مناظر طرب . هذا وقد صممت أرجل بعض التحف المملوكية على شكل أرجل حيوان أو رأس ثعبان، ومثال ذلك الحامل المعدنى المثمن الشكل المحفوظ بمتحف كلية الآثار جامعة القاهرة برقم ١٥١٥ فأرجله الثمانية بشكل أرجل حصان (لوحة ١٢١) ويشبهه فى ذلك الحامل المماثل له والمحفوظ بالمتحف القبطى . (لوحة ١٢٢).

وبالنسبة للتحف التى تأخذ أرجلها شكل رأس ثعبان مبخرة من النحاس محفوظة بمتحف فيكتوريا وألبرت وهى تحمل اسم السلطان محمد بن قلاوون - ق ٧ هـ / ١٣ م - وتشبهها فى الأرجل والتصميم مبخرة أخرى محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ترجع إلى حوالى القرن ٨ هـ / ١٤ م .

وبالنسبة للتحف التى ينتهى طرفاها برأس حيوان نجدها ممثلة فى أربع أساور من الذهب والفضة محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة فالسوار الذهبى رقم ١٥٤٤٦ ينتهى برأس أسد، والسوار الفضة رقم ١٥٤٩٥ ينتهى طرفاه على شكل رأس ثعبان .

والسوار الذهبى رقم ١٥٤٧١ - مصر ق ٨ هـ / ١٤ م - ينتهى طرفاه برأس تنين على المحبس، كما أن السوار الذهبى رقم ١٤٨٠٢ ينتهى طرفاه برأس تنين .

* * *

(هـ) الرنوك :

زخرفت العديد من التحف المنزلية المملوكيـــة وأدوات التجميـل وحتـى الحلـى برنوك(١) مرسومة .

وكان من المعتاد أن توضع هذه الرسوم فى تروس مستديرة الشكل أو تروس مدببـة عند قاعدتها أو مربعة، ولكن أكثر هذه الأشكال انتشارا هو الذى يتكون من دائرة يقسـمها خطان متوازيان إلى ثلاثة أقسام يسمى القسم الأوسط منها " الشطب " .

وكانت هذه الرنوك تلون بألوان زاهية حسب رغبة صاحبـها، إذا سـمحت بذلـك المادة المصنوعة منها، لأن ألوان الزنك كانت جزءا هاما منه(٢) .

وقد قسمت الرنوك إلى نوعين : رنوك بسيطة ورنوك مركبة . فالرنوك البسـيطة هى التى تحوى علامة أو أكثر على الشطب، أو على الرنك مباشرة إذا لم يكـن بوسـطه شطب، وهى رنوك شخصية تدل على الوظيفة التى كان يشغلها حاملها قبل ترقيتـه إلـى درجات الأمراء . أما الرنوك المركبة فيرى عليها علامات متعددة علـى أقسـام الرنـك الثلاثة، وهى ليست شخصية كما هى الحال فى الرنوك البسيطة، بل هى رنوك جماعـات

---

(١) مفردها رنك وهى كلمة فارسية بكاف معقودة كالجيم المصرية بمعنى لون . وقد استعمل المماليك هذه الكلمة فى مصر وسوريا منذ القرن ٥ هـ / ١١ م للدلالة على الشارة، أو الشعار أو العلامة التى يتخذها الشخص لنفسه وينفرد بها دون غيره وذلك عند تأمير السلطان له .

د . أحمد عبدالرازق أحمد : الرنوك على عصر سلاطين المماليك – مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية – المجلد ٢١ – سنة ١٩٧٤ م، ص ٦٧ .

وقد عرفت الرنوك فى الإسلام فى عهد الأتابكة والأيوبيين ولكنها انتشرت فى عصر المماليك، وأصبح الرنك تقليدا رسميا يحافظ عليه صاحبه ويعتز به، ثم صار فى هذا العصر امتيازا خاصا للسلطان والأمراء فقط . ويبدوا أن هيئة الرنك كانت ذات صلة بالوظيفة التى كان يشغلها صاحبه عند تأميره ومنحه الرنك .

د . حسن الباشا : المشكاة فى الفن الإسلامى (مقالة بمجلة منبر الإسلام، العدد ٣، السنة ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٨٧ هـ) ص ١٢٧ .

(٢) كرستى وأرنولد وبريجز : المرجع السابق، ص ٥٩ .

د . محمد مصطفى : الرنوك (مقالة بمجلة الرسالة، ص ٢٧٠) .

المماليك تنتسب كل جماعة منهم السلاطين أو أحد كبار الأمراء كالمماليك المؤيدية والأشرفية مثلا(١).

وقد شاع وجود هذه الرنوك فى زخارف أدوات المطبخ المصنوعة من الفخار المطلى بالمينا فى عصر المماليك، فنجد رنك السيف يزخرف قاع طبق من الفخار المطلى برقم سجل ١٥٤٧٠ بالمتحف الإسلامى، ورنك عصاتا البولو على سلطانية من الفخار المطلى برقم ٥١٨٥ بنفس المتحف، ونجد نفس الرنك على جزء من إناء ربما يكون سلطانية محفوظ بمتحف كلية الآثار برقم ٩٥، ورنك الجوقندار الناصرى يزخرف آنية مستديرة الشكل ذات حافة مصنوعة من الفخار الأحمر ارتفاعها ٠٫٠٥، قطر فوهتها ٠٫١، محفوظة بمتحف الفن الإسلامى برقم سجل ٣٦٣٠، ورنك زهرة الزنبق يزخرف قاع سلطانية من الفخار المطلى بالمينا الصفراء برقم ٣٧٤٣، كما يحتفظ نفس المتحف بسلطانية من الفخار المطلى برقم ٢٣٨٣٢ فى مركز دائرة صغيرة يتوسطها شريط مستطيل به هيئة شارة البوق .

ويحتفظ متحف برلين بكأس من الفخار المطلى بالمينا يرجع إلى مصر فى عصر المماليك مزخرف برنك البقجة .

وقد امتدت الزخرفة بالرنوك إلى شبابيك القلل فيحتفظ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ببعض هذه الشبابيك منها شباك مزخرف برنك الهدف وشباك مزخرف برنك الزهرة، وآخر برنك البقجة على شطب والثلاثة برقم سجل ٦١٠٥ .

ويزخرف رنك الكأس إبريق من النحاس المكفت بمتحف الفن الإسلامى برقم ٢٤٠٨٤ (لوحة ٣٨)، يزخرف طشت نحاس مكفت برقم (لوحة ٣٧) وبنفس المتحف طشت نحاس برقم سجل ١٥٠٣٨ عليه من الداخل والخارج سطر كتابة نسخية باسم (قشتمر) تتخلله جامات بها رنك النسر وصدرية من النحاس برقم ٣٤٠٢ (طول ٠٫٢٤، عرض ٠٫١٢) مزخرفة من الخارج بكتابة يتخللها ست دوائر داخل ثلاثة منها رنك زهرة الزنبق، وطاس نحاس برقم سجل ١٥١٠٣ عليها سطر كتابة نسخية تتخللها ست دوائر بكل منها رنك به شارة الدواة .

---

(١) La Mayer : Apropos du blason sous Les Mamluks Circassiens, Syria, 1937, p . 390 , F .

ويزخرف الصينية الزجاج المموهة بالمينا الملونة – التـــى ترجـــع إلـــى عصـــر المماليك والمحفوظة بالمتحف القبطى برقم ٣٢٥٢ – دوائر يتوســـط ثلاثـــة منـــهم رنـــك السيف. (لوحة ١١٩، ١٢٠) .

كذلك انتشرت الرنوك على الأمشاط الخشبية التى ترجع إلى عصر المماليك، فنجـــد رنك البقجة على مشط يرجع إلى مصر فى ق ٩ هـــ / ١٥ م - محفوظة بمتحـــف الفـــن الإسلامى برقم ٤٩٣٢، ورنك زهرة الزنبق على مشط رقم ٣٩٠٧، ورنك القبق يزخـــرف نصف مشط (مقاسه ٩٥ طول x ٦سم عرض) بمتحف الفن الإسلامى أيضا رقـم ٤٩٢٤ . بالمتحف نصف مشط (طوله ٩سم x ٤ سم عرضه) برقم ٤٩٢٦ بوسطه نصف رنـــك السيف، وبالمشط رقم ٤٩٢٨ عبارة (عز دائم) بينها رنك عبارة عن دائرة وشـــريطين، بوسط مشط من ضمن ٤ أمشاط برقم ٣٩٥٧ توجد زخرفة عبارة عن رنك زهرة الزنبـــق. (لوحة ١٥١) .

وتحتفظ حجرة الأوسمة بالمكتبة الأهلية بباريس بمشط مزخرف برنـــك مملوكـــى، يتكون من ٧ أشرطة بشكل حواجز، كما يوجد على نهايتى الجزء الأوســـط للمشـــط فـــى الحرفين المتعامدين على الجزء الأوسط ترس آخر مستدير بخمسة تقسيمات الواحدة جنـــب الأخرى، ويطلق على هذا الرنك رنك الشطف أو البريدى وهو من الرموز الغامضة (١).

هذا ومن الطريف حقـــا أن يزخرف الصـــائغ قطع الحلى بـــالرنوك فنجـــد رنـــك البقجة – بالبـــارز – على محيط خاتـــم رقم ١٦٣٥٥ بمتحف الفـــن الإســـلامى ورنـــك السيف على محبس السوار الذهبى رقـــم ١٥٤٧١ بنفس المتحف هـــذا ويوجد نوع آخـــر من الرنوك خاص بسلاطين المماليك فقط، ويسمى فى الاصطلاح العرفـــى – نقـــلا عـــن الغربيين – (خرطوشا) .

وهذا النوع على شكل دائرة مقسمة إلى شطب فى الوسط وقسمين آخرين أحدهمـــا أعلاه والآخر أسفله ولا توجد عليه علامات كما فى الرنوك الأخرى، بـــل عليـــه كتابـــات باسم السلطان(٢).

---

(١) Ahmed Abd Ar- Raziq : Les Peignes, P. 403 Fig . 4 .

أحمد عبدالرازق : الرنوك، ص ٨٠ شكل ٦ .

(٢) محمد مصطفى : الرنوك، ص ٢٧١ .

لوحة : (٧)

التحفة : سرير منخفض

المتحف : متحف جاير أندرسون

رقم السجل : ٦٢٧٠ (غرفة الحريم)

التاريخ : ق ١٢ هـ / ١٨ م

المادة : خشب وصدف وخيرزان

الشكل : ملة مستطيلة الشكل مقامة على أربع أرجل مخروطة

المقاسات : الطول ٢٠٢ سم، العرض ٥ر٧٨ سم، ارتفاعه ٢ر٥١ سم

الزخارف وطريقة تنفيذها :

معظمها هندسية عبارة عن معينان ودوائر منتشرة فى الأرجـــل والأربـــع ألـــواح المحيطة بالملة .

وتوجد زخرفة نباتية عبارة عن وريقات تخرج من فرع صغير وجميع الزخـــارف منفذة بالتطعيم بالصدف فى الخشب .

– ينشر لأول مرة .

لوحة : (٨)

التحفة : سرير

المتحف : متحف جاير أندرسون

رقم السجل : ٩٨٥ (الغرفة الفارسية)

المادة : خشب

الشكل : يأخذ شكل نقالة بأربع أرجل تشبه أرجل الحيوانات ذات الحوافر

المقاسات : ٢٠٠x ٩٥ x ٣٢

السرير خال من الزخارف

- ينشر لأول مرة .

لوحة : (٩)

التحفة : سرير

المتحف : متحف جاير أندرسون

رقم السجل : ١٠٠٤ (الغرفة الفارسية)

التاريخ : ق ١٢ هـ / ١٨ م

المادة : خشب

الشكل : مستطيل الشكل قائم على أربعة قوائم ، له سور شغل خرط من ٣ جهات (أى بظهر وجانبين) ، وبأعلاه تركيبة من خشب للناموسية علي خمسة قوائم شغل خرط وله ملة من حديد .

المقاس : ٢٣٠ x ١٣٢ x ٢٥٨

الزخارف وطريقة تنفيذها :

زخارفه هندسية عبارة عن مثلثات ومربعات مخلقة من الخرط الميموني المائل والعدل الموجود بسور السرير .

- ينشر لأول مرة .

لوحة : (١٠)

التحفة : سرير

المتحف : متحف جاير أندرسون

رقم السجل : ١٨١١

التاريخ : ق ١٢ هـ / ١٨ م

المادة : خشب

الشكل : مستطيل الشكل قائم على أربعة قوائم مربعة ومثبت بأعلاه عشرة أعمدة مستديرة، ورفيعة من الخشب الخرط .

المقاس : الطول ٢٠٠سم، العرض ٦ر١٣١ سم، ارتفاعه عن الأرض ٥ر ٢٤ سم، ارتفاعه الكلى ١٧٤ سم .

الزخارف وطريقة تنفيذها :

السرير مطعم بنقوش على شكل وريدات من العظم، كما أنه مزين بالمرآيا المحكمة الصنع من الأمام والخلف .

- ينشر لأول مرة .

اللوحة : (٢٥)

التحفة : صندوق

المتحف : متحف جاير أندرسون

رقم السجل : ١٦٤

التاريخ : ق ١٠ - ١١ هـ / ١٦ - ١٧ م

المادة : خشب أبنوس وعاج

الشكل : يتكون الصندوق من أربعة ألواح من الخشب كل اثنين متقابلين متساويين

المقاس : الطول ١٠١ سم - العرض ٥٠ سم - الارتفاع ٤٧ سم

الزخارف وطريقة تنفيذها :

زخارفه هندسية منفذة بتطعيم خشب الأبنوس المصنوع منه الصندوق بالعاج الأبيض وذلك فى الواجهة والغطاء وهذه الزخرفة عبارة عن طبقين نجميين كل منهما يتكون من ١٢ كندة و ١٢ لوزة يتوسطهم ترس ويحيط بكل طبق ١٢ بيت

غـراب 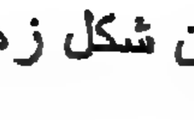 يتوسط المسافة بين الطبقين شكل زهرية أو قلة مزخرفة بأشـــكال مسدسات ومثلثات .

ويحيط بكل طبق من ٤ جوانب ٤ وريدات من ٨ بتلات ويضم هذه الزخارف كلـها إطار مستطيل تزخرفه وريدة من ٤ بتلات متكررة .

- ينشر لأول مرة .

لوحة : (٣٥)

التحفة : لحاف

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٢٣٩٠٥

التاريخ : عصر المماليك

المادة : نسيج وقطن

الشكل : مستطيل

المقاس : الطول ١٨٠ سم، العرض ١٤٠ سم

الزخارف وطريقة تنفيذها :

أحد أوجه اللحاف لونه أحمر غامق وعليه زخارف مطبوعة تتكون من شكل معيـن فى الوسط داخله أشكال هندسية وحوله أشكال مستديرة شبه زهـرات أو لوزيـة بداخلـها زخارف نباتية وعلى الجانبين الطويلين أشكال مستديرة شبه زهرات كبيرة ويحد المعيـن من الجانبين القصيرين أشرطة متوازية بها تقسيمات هندسية (تتشابه بزخارف السـجادة) وأزهار وشبه كتابة وذلك باللونين الأبيض والبنى الغامق .

- ينشر لأول مرة .

لوحة : (٤٥)

التحفة : صدرية

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٤١٢٠

التاريخ : مصر ق ٩ هـ / ١٥ م

المادة : نحاس

المقاس : القطر ٤٤ سم – الارتفاع ٢٠ سم

الزخارف وطريقة تنفيذها :

يزخرف الصدرية كتابة فوق أرضية من زخارف نباتية تقطعها أربع دوائر مسننة، باثنين منها كتابة، وبالآخرين زخرفة والكتابة نصها : (مما عمل برسم الست المحجبة ذات الستر الرفيع والحجاب المنيع خوند الكبرى جهة المقام الشريف الملكى الأشرف أبو النصر قايتباى سلطان الإسلام) .

– سبق نشرها أحمد ممدوح حمدى معدات التجميل ص ٤٩ لوحة ٥ .

لوحة : (٧٧)

التحفة : سكينة

المتحف : متحف الفن الإسلامى بالقاهرة

رقم السجل : ٤١٨٠

التاريخ : ق ٧ / ٨ هـ - ١٣ / ١٤ م مصر فى عصر المماليك

المادة : نصل السكينة من العاج واليد من خشب وهما مثبتان معاً بواسطة مسامير نحاسية صفراء وحمراء

الزخارف وطريقة تنفيذها :

- الزخارف عبارة عن دوائر صغيرة، وخط واحد منكسر .

- تنشر لأول مرة .

اللوحة : (١٠٣)

التحفة : شق رحى (الجزء العلوى)

المتحف : المتحف الزراعى بالدقى

رقم السجل : ١٦٤٦

التاريخ : (العصر المملوكى) ق ٨ / ٩ هـ - ١٤ / ١٥ م

المادة : حجر خال من الزخرف

الشكل : مستدير

المقاس : القطر ٣٤ سم

- تنشر لأول مرة .

اللوحة : (١٠٧)

التحفة : هاون ويده

المتحف : متحف الفن الإسلامى بالقاهرة

رقم السجل : ١٩٣٧٧ / ١، ٢

التاريخ : عصر المماليك

المادة : حجر الجرانيت الأسود

الشكل : مخروط مسطح من القاعدة - فاقد من فوهته ومن القاع أجزاء

الزخارف : خال من الزخارف

- ينشر لأول مرة .

اللوحة : (١١٩، ١٢٠)

التحفة : صينية

المتحف : المتحف القبطى

رقم السجل : ٣٢٥٢

التاريخ : مصر فى عصر المماليك ق ٩ هـ / ١٥ م

المادة : زجاج

الشكل : دائرى

المقاس : القطر ٣١ سم – الارتفاع ٨ر٣ سم

الزخارف وطريقة تنفيذها :

يزخرف الصينية ٣ دوائر متساوية تفتح على دائرة وسطى فى مركز الصينية بداخلها دائرة . وبكل دائرة من الدوائر الثلاث دائرة تتحد معها فى المركز ويتوسطها رنك السيف وبين الدوائر ٣ جامات مرسومة بخطوط بنية، وفى الخلفية خطوط غير منتظمة .

والزخارف مموهة بالمينا الملونة البيضاء والبنية والزرقاء والحمراء .

- تنشر لأول مرة .

اللوحة : (١٢٩)

التحفة : جزء من سجادة

المتحف : متحف كلية الآثار

رقم السجل : ١٧٥٢

التاريخ : عصر المماليك

الشكل : مستطيل

المقاس : القطر ١٨٦ سم – العرض ٥٨ سم

الزخارف : هندسية ونباتية محورة، وألوان السجادة خضراء وزرقاء وحمراء .

اللوحة : (١٣٤)

التحفة : حصيرة

المتحف : المتحف الزراعى بالدقى

رقم السجل : 1706 A

التاريخ : مصر فى العصور الوسطى

المادة : خصل من القش الغليظ منسوجة على النول بطريقة النسيج العادى

الشكل : مستطيل

المقاس : الطول ١٢٦ سم – العرض ٨٣ سم

– تنشر لأول مرة .

اللوحة : (١٤٠)

التحفة : شمعدان

المتحف : متحف جاير أندرسون

رقم السجل : ٢٨٤

التاريخ : عصر المماليك

المادة : نحاس

الشكل : مخروط ناقص

الزخارف وطريقة تنفيذها :

زخارف نباتية وكتابية منفذة بالحفر، الزخارف النباتية من بينـــها زهــرة اللوتــس المتفتحة، والزخارف الكتابية شريط بخط الثلث باسم السلطان الملك النــاصر محمــد بــن قلاوون.

- ينشر لأول مرة .

اللوحة : (١٤٦)

التحفة : مشط

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٣ / ٣٩٥٧

المادة : خشب

الشكل : مستطيل (يشبه الفلاية المعروفة فى الأوساط الشعبية الآن) له صفين من الأسنان صف رفيع وصف واسع يتوسطهما حشوة بها زخارف .

الزخارف وطريقة تنفيذها :

يحتوى الشريط الأوسط بالمشط على زخارف هندسية وكتابية، الزخارف الهندسية دوائر كبيرة بداخلها دوائر صغيرة منفذة بالحفر والتخريم، والزخارف الكتابية منفذة بالحفر بخط النسخ نصها " الستر الرفيع " وذلك على كلا الوجهين .

- ينشر لأول مرة .

اللوحة : (١٤٩)

التحفة : جزء من مشط

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٤٩٥٨

التاريخ : مصر فى عصر المماليك

المادة : خشب

المقاس : ١٠ X ٥ سم

الشكل : على كلا وجهيه زخرفة عبارة عن طائرين ملتصقين الجسد

– ينشر لأول مرة

اللوحة : (١٥٩ – ١٦٠)

التحفة : مشط

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٤٩١٩

التاريخ : مصر القرن ٨ هـ / ١٤ م

المادة : خشب

الشكل : مستطيل، يتكون من صفين من الأسنان – صف أسنان رفيعة والمسافة بينها ضيقة وصف أسنان كبيرة المسافة بين كل سن وسن واسعة – وبينهما جزء مستطيل .

الزخارف وطريقة تنفيذها :

يتوسط الجزء الأوسط من المشط مستطيل يخرج من طرفيه وريقة من ثلاث بتلات، حفر بداخله كتابة نسخية نصها بالوجه الأول للمشط (أنا مشط عملت للتسريح) وبالوجه الثانى (لا أسرح إلا لكل مليح) . والزخارف منفذة بطريقة حفر الأويمة .

– ينشر لأول مرة ..

اللوحة : (١٧٩)

التحفة : قنينتان للعطر ومكيال لتحديد كمية العطر

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٢٤٢٣٤ – ٢٤٢٣٥ – ٢٤٢٣٦

التاريخ : عصر المماليك ق ٨ هـ / ١٤ م

المادة : زجاج

الشكل : القنينتان ذات بدن متسع والرقبة ضيقة . والمكيال مخروطى الشكل .

– تنشر لأول مرة .

اللوحة : (١٨٠)

التحفة : ٣ قنينات للعطر ومكيال لصب الزيت العطرى

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٢٤٢٣٩ /٣٢ – ٢٤٢١٤ – ٢٤٢٣٨ / ٣١ – ٢٤٢١٥

التاريخ : عصر المماليك ق ٨ هـ / ١٤ م

المادة : زجاج

الشكل : القنينة رقم ٢٤٢٣٩ / ٣٢ صغيرة تأخذ قاعدتها شكل الدرس، القنينة رقم ٢٤٢٣٨ / ٣١ بدنها مستطيل وفوهتها مخروطية، القنينة رقم ٢٤٢١٤ بدنها كروى وفوهتها اسطوانية . المكيال مخروطى الشكل له مجرى لصب الزيت .

– تنشر لأول مرة .

اللوحة : (١٧٢)

التحفة : مكحلة ومرود

المتحف : متحف الفن الإسلامى بالقاهرة

رقم السجل : ١١ / ٦٨٨٢، ٢٢٥٩

التاريخ : مصر ق ٧ – ٨ هـ/ ١٣ - ١٤ م

المادة : خشب

الشكل : تأخذ المكحلة فى شكلها العام شكل زير الفخار المستخدم فى حفظ الماء فـــى ريفنا المصرى حتى الآن – فهى ذات فوهة شبه دائرية ثم تمتد إلـــى أســفل برقبة اسطوانية وتنتهى الرقبة بشريط بارز يحيط بها تخلق مـــن حفــر مـــا حوله ثم يتسع بدن المكحلة فى أعلاه ثم يستدق كلما اتجهنا إلى أسفل وفـــى وسط البدن تقريباً ثلاث خطوط بارزة محيطة به ويتوسط المسافة بين هـــذه الخطوط والقاعدة خط بارز آخر وتنتهى القاعدة المستدقة بجزء مسطح أفقـى ثم جزء صغير يتسع إلى أسفل .

– سبق نشرها :

أحمد ممدوح حمدى : معدات التجميل لوحة ٥٢ .

اللوحة : (١٨٥)

التحفة : حجر خفاف أو حمام

المتحف : مجموعة د . هنرى أمين عوض

المصدر : من مخلفات الفسطاط

التاريخ : مصر فى العصور الوسطى

المادة : حجر

الشكل : بيضاوى

الزخارف : زخارفه محفورة وهى عبارة عن أشكال مستطيلة

– ينشر لأول مرة .

اللوحة : (١٩٧ – ١٩٨)

التحفة : عقد

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ١٣٧٤٩

التاريخ : مصر عصر المماليك

المادة : ذهب مطعم بالمينا وبالأحجار الكريمة

النوع : حلية صدر

المقاس : ٠ر٢٤٠ م طول

الوصف والزخارف :

عقد من الذهب مكون من عشرين سملك شغل شفتشى شكلها بيضاوى بـــأعلى كـــل منها لؤلؤة صغيرة يتدلى منها ثلاثة دلايات مستديرة من ذهب شغل شفتشى بوســـــط كـــل منها حجر مستدير والأوسط منها مثبت فى شكل هلال صغير مطعم بالمينا ومكتوب بـــه " عز دائم " بخط النسخ .

اللوحة : (٢٠٩)

التحفة : سوار

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ١٥٤٧١

التاريخ : مصر – ق ٨ هـ / ١٤ م

المادة : ذهب

النوع : حلية لليدين

المقاس : القطر ٣ر٦ سم

الوصف والزخارف :

السوار مشكل من الأسلاك المجدولة ينتهى طرفاه برأسى تنين يقبضان على محبس عليه رنك به شارة السيف، وهذا يوضح التأثير الصينى فى صناعة عصر المماليك .

اللوحة : (٢١٣)

التحفة : عروسة برقع

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٧٨٠٦

التاريخ : مصر فى عصر المماليك

المادة : نحاس مطلى بالفضة

الشكل : تأخذ شكل اسطوانة بخارجها ثلاث عجلات مسننة

النوع : حلية ملابس

المقاس : ٤٧ ،ر٠ سم

- تنشر لأول مرة

اللوحة : (٢٢٥)

التحفة : متك (مدك)

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٥٩٦٥

التاريخ : ق ٨ - ٩ هـ / ١٤ - ١٥ م

المادة : نحاس

الشكل : يأخذ شكل قلم . وله حلقة

المقاس : ١٤٥ر٠ طول - ١٧٠ر٠ عرض .

الزخارف : بسيطة عبارة عن خطوط .

- ينشر لأول مرة .

اللوحة : (٢٢٦)

التحفة : متك (مدك)

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٥٠٤١

التاريخ : مصر فى عصر المماليك

المادة : خشب

الشكل : اسطوانى

الزخارف : يضم من طرفيه زخارف كتابية وزخارف هندسية عبارة عن دوائر صغيرة بها ثقب من مركزها .

- ينشر لأول مرة .

اللوحة : (٢٢٩)

التحفة : طاقية

المتحف : متحف الفن الإسلامى

رقم السجل : ٤٤٣٠

التاريخ : مصر فى عصر المماليك

المادة : خيوط حريرية ملونة

الشكل : نصف دائرى

الزخارف : نباتية وهندسية – الزخارف النباتية عبارة عن وريدات من ثمـــان بتـلات، والهندسية دوائر ومثلثات ومعينات وخطوط .

اللوحة : (٢٣١ – ٢٣٦)

التحفة : صندوق عمامة

المتحف : متحف كلية الآثار

رقم السجل : الصندوق ١٧٧١ / ١، الغطاء ١٧٧١ /٢

التاريخ : مصر فى عصر المماليك

المادة : نحاس مكفت بالذهب والفضة

الشكل : له ١٢ ضلع وغطاء

- ينشر لأول مرة .

اللوحة : (٢٤٧)

التحفة : قبقاب

نص العقد :

- السطر الأول : بسم الله الرحمن الرحيم
- السطر الثانى : ... ملك بن عامر المس عحلوه ... فصاهر عبدالله
- السطر الثالث : ... عوف بن نصر الدان فصاهر أباه فى سنة أحد وتســـعين وسهد
- السطر الرابع : ... إلى عبادة
- السطر الخامس : ... المنصور عباس وكتب .
- ينشر لأول مرة .

اللوحة : (٢٦٤)

عقد زواج

مكان الحفظ : متحف اللوفر

التاريخ : ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م

المادة : بردى

الشكل : مستطيل

المقاس : ٢٤ x ١٤ سم

وجه البردية :

- عدد الأسطر المتبقية : ١٧ سطر مشوهة - والحبر ممسوح
- نوع الخط : خط سريع اعتيادى .

ظهر البردية :

- الألياف أفقية ، والخط ممسوح حتى أنه يصعب قراءته وفى الغالب بيد أبـــى هريرة

– سبق نشره .

Yusuf Ragib: Contrat de Mariage (252 / 866) supplement aux Annales Islamalogiques No . 2

Marchands d, etoffes du Fayyoum Au IIIE / IX ^{E} Siecle pp. 33-35.

نص العقد :

١ – (بسم الله الرحمـــ) ن الرحيم

٢ – زكـــ) ريا بنى يونس البزاز أصدق امرأته محمدية ابنت

٣ – ستة الدنانير نقدها قبل (اصابته بها ودخوله عليها)

٤ – عـــ ند عقدة نكاحه اياها دينارين ...

٥ –) به واخرت عنه دينارين الى

٦ – ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين ومايتين فالذى

٧ – .. (اربـــ)ـــعة الدنانير دينارين معجل ودينارين

٨ – هذا الكتاب وولى عقدة نكاح محمدية

٩ – جعفر بن أحمد بن عبد الـــ) مومن بعد أن اشهدت له شاهدين

١٠ –) زكريا بن يونس و ... (...)

١١ –) ـــها جعفر بن أحمد بن عبد المومن

١٢ – وقبل زكريا بن يو) نس هذا النكاح ورضيه وعرفه

١٣ – سنة اثنتين) وخمسين ومايتين

١٤ – مـــ) ـــهرها المعجل وهو دينارين

١٥ – ... شهد على ذلك

١٦ –) ... عبد الله

١٧ –) .....

اللوحة : (٢٦٨)

التحفة : عقد زواج

المتحف : متحف الفن الإسلامى بالقاهرة

رقم السجل : ٤٢٢٥

المادة : مكتوب على قطعة من القطن المنشى

المصدر : الشراء (اشتراه المتحف من سعيد خشبة)

مقاس قطعة القطن : ٢٦ X ٢٧ سم

التاريخ : كتب فى جمادى الأولى سنة ٧٤٤ هـ / ١٣٤٣ م

الخط : مكتوب بالخط الأيوبى اللين (المستدير)

قيمة الصداق به : مائة وخمسين درهم

عدد الأسطر : ٨ أسطر + توقيعات الشهود

خطبة النكاح : لا يحتوى العقد على خطبة للنكاح

نص العقد :

١ – بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

٢ – هذا ما أصدق حسن تشكر بن عبدالله النوبى مملوك الأمير عز الدين هبـــة الله بن الأمير تاج الدين متوج ابن الكنز

٣ – لمخطوبته المرآة الكامل مليحة ابنة أيلم مملوكة أم الخير ابنـــة الأمـــير ركـــن الدين بن الكنز وبه تزوجها

٤ – اصدقها على بركة الله سبحانه وحسن توفيقه وسنة نبيه محمد صلى الله عليـــه وسلم تسليماً كثيراً صداقاً جملته .

٥ – من الدراهم النقرة المسكوكة مائة درهم وخمسون درهماً الحال من ذلك خمسون درهماً مقبوضة .

٦ – بيد سيدتها المذكورة والباقى مقسطاً سلخ كل سنة عشرة دراهم متواليـة ؟ ... السيدة المذكورة .

٧ – ما خص السيدية (كذا) ام الخير " له " فى حله بشهادة شهود بعد وضوح خلوها من جميع الموانع الشرعية .

٨ – قبل لنفسه النكاح باذن سيده له فى ذلك بتاريخ العاشر من شهر جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وسبعمائة .

– **الشاهد الأول** : حضرت العقد المذكور وشهدت على من سمى فيه بما نسب إليهم فيه فى تاريخه عبد الحليم بن حامد بن طه .

– **الشاهد الثانى** : حضرت العقد المذكور وشهدت على من سمى فيه بما نسب إليهم فيه فى تاريخه الشريف طاها (كذا) القرشى .

– سبق نشره – انظر :

Ahmad Abd Ar-Raziq, Un ducument Concernant Le mariage des esclaves au temps des Mamluks, Jesho III / 3 (1970), pp. 309-314.

اللوحة : (٢٦٥ – ٢٧٦)

التحفة : أوراق من مخطوط تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور قلاوون الأجزاء ١، ٢ عن نسخة حزانة باريس .

مكان الحفظ : (تاريخ تيمور ٢٢٢٦) (خط ١٣٤٥ هـ) .

مضمون الأوراق ذكر صداق الملك الصالح والاهتمام بكتب كتاب الملك الأشرف ولدى السلطان الملك المنصور على بنتى الأمير سيف الدين نوكيه.

أرقام الأوراق ٣٧، ٣٨، ٨٨

نص الأوراق

ص ٣٧ يمين ذكر صداق مولانا السلطان

ص ٣٧ يسار الملك الصالح

وفى هذه السنة اهتم مولانا السلطان الملك

المنصور بزواج مولانا السلطان الملك الصالح

ولما كان التاسع عشر من شهر رجب سنة

احدى وثمانين وستماية عقد العقد على بنت

الأمير سيف الدين نوكيه بن بيان بن قطوغان

أحد الأمر المغل فى خدمة السلطان * وحضر

٨٨ يمين :

- جميع الناس على اختلاف طبقاتهم * من

- أصحاب السيوف والأقلام والعلوم

- والأعلام واحتفل الاحتفال العظيم بالشموع

- والغوالى والبخورات وغير ذلك من المطعومات

- التى جرت العادة بها فى مثل ذلك وكان

- الوكيل عن مولانا السلطان الملك الصالح الأمير

- حسام الدين طرنطاى نائب السلطة المعظمة

٨٨ يسار :

- والوكيل عن الزوجة الأمير سيف الدين محمد بن

- أيدمر استاذ الدار الشريفة وكان

- الصداق خمسة الاف دينار قدم منها

- ألفا دينار وحضر مولانا السلطان العقد

– وعقد بين يديه * وانفصل هذا اليوم عل

سرور تام ودخل بيته مكتماً من عير

رهج ولا اشاعة ولا تكليف أحد تقدمة ولا شيا

٨٨ يمين ذكر الاهتمام بكتب كتاب مولانا

الملك الأشرف ولد مولانا السلطان

وفى هذه المدة حصل الاهتمام بزواج مولانا

الملك الاشرف صلاح الدنيا والدين خليلٰ على

٨٨ يسار بنت الأمير سيف الدين نوكيه صهر أخيه

فلما كان السادس عشر شوال اجتمع الناس

كاجتماعهم فى عقد أخيه المولى السلطان

الملك الصالح علاء الدنيا والدين * واحتفل

بالأمور والشموع والغوالى والبخورات

والمطاعم والسكرج، كما احتفل فى ذلك

وعقد العقد بحصور مولانا السلطان .

* * *

الخاتمة

تمخضت فصول هذه الدراسة عن بعض النتائج الهامة وهى :

١ – مغالاة المماليك فى قيمة المهور .

٢ – المباهاة والتعالى فى تجهيز بنات السلاطين والأمراء بمبالغ طائلـــة تزيـد أضعافـاً مضاعفة عن قيمة المهر المقبوض .

٣ – تنوع جهاز العروس فى عصر المماليك من ناحية مواد الصناعـــة والصنـــاع ومـــن ناحية الوظيفة فمن ناحية المواد الصناعية فقد صنع الجهاز ومستلزمات العروس مـــن معظم المواد الخام المعروفة من خشب وعاج ونحاس وبرونز وفضة وذهب وزجـــاج وبللور وفخار وخزف وأحجار كريمة ونسيج وقطن وصوف وكتان ونباتات عطريـــة وغيرها .

ومن ناحية الصناعة فقد دخلت فى صناعة الجهاز معظم الصناعات المعروفة فـــى ذلك الوقت من صناعة النجارة وما يرتبط بها من طرق زخرفة صناعية وصناعة الفخـــار والخزف والنسيج والسجاد والمعادن والحلى والزجـــاج والبلـــوْر والحصـــير والغرابيـــل والكحل والعطور وغيرها .

ومن ناحية الوظيفة اشتمل الجهاز على أثاث للمنزل تنوع بيـــن أســـرّة ومفـــارش وناموسيات ومخاد ومراتب ودايز للأسرة ودكك وأرائك وشلت ومفارش بالإضافـــة إلـــى سلالم للصعود إلى الدكك وكراسى للجلوس وكراسى للعمامة وصناديق لحفـــظ الملابـــس وحاجيات المنزل، بالإضافة إلى الحشايا والمساور والنمارق والمدوزات والمتكـــآت التـــى تنتشر فى أرجاء المنزل فوق مفارش الأرض وعلى الدكك . وأدوات المطبخ من طشـــوت وآباريق وصحون وسلاطين وملاعق ومغارف ومصافى وطاســـات وأكـــواب وكـــؤوس وقدور وسكاكين وأنخاخ وأنطاع وحصير وأدوات إضاءة مـــن ســـرج ومنـــاير وشـــماعد وتنانير .

بالإضافة إلى ما يخص استعمال العروس الشخصى من أدوات تجميل وحلى وملابس وشملت أدوات تجميلها الأمشاط بأشكال مختلفة منها نوع ذو أسنان جهة واحدة وبه ثقب فى أعلاه ليسهل تعليقه فى رقبتها أو فىْ مكان ما فيسهل استخدامه، ونوع له أسنان فى صفين فى جهتين صف به أسنان صغيرة والمسافة بينها ضيقة . وصف به أسنان كبيرة والمسافة بينها واسعة وبين الصفين حشوة وسطى كانت هى مجال الزخرفة فى المشط، ونوع ذو مفصلات خشبية يشبه فى طريقة صناعته طريقة صناعة كرسى المصحف (الرحل) .

ومن أدوات التجميل المكاحل ومراودها وتأخذ المكاحل شكلاً بيضاوياً أو مستطيلاً، ومن الأدوات أيضاً المرآيا المعدنية المستديرة الشكل ذات الأوجه المصقولة والظهور المزخرفة، وقنينات العطر وقماقم ماء الورد المعدنية المكفتة بالفضة والذهب والزجاجية المموهة بالمينا والزجاجية الخالية من الزخرف وأحقاق أدهان خشبية وبللورية ومعدنية وأحقاق أشنان من النحاس المكفت، وحجر الخفاف الذى يستخدم فى تنعيم الجلد الخشن، بالإضافة إلى بعض الأدوات المستخدمة فى التجميل ككرسى الحمام الذى تجلى عليه السيدة فى الحمام أثناء حك رجليها بالحجر ونتف الشعر منها بالحفوف .

ومن أدوات الزينة أيضاً المبخرة التى كانت تقتنيها النساء لاعتقادهن فى أن البخور يبعد الحسد ويجلب الخير بالإضافة إلى رائحة البخور المعطرة اللاتى كن يرغبن فى أن تعلق فى ملابسهن .

ومن الأدوات أيضاً إناء الزهور الذى كان يوضع به الزهور الطبيعية النضرة التى ينتشر شذاها فى أرجاء الحجرات .

والحلى من حلى للرقبة والأذن والشعر والأيدى والأرجل بالإضافة إلى الحلى التى تضاف إلى أغطية الرأس والملابس بصفة عامة .

والملابس وهى تنقسم إلى ملابس تلبس داخل المنزل وملابس تلبس خارجه وأغطية الرأس والحجب، وملابس القدم :

- الإسراف فى تزيين المفارش والناموسيات البشـــاخين والملابـــس بـــالذهب والأحجـــار الكريمة .
- استخدام قطع العنبر فى تزيين الستائر والمخاد .
- استخدمت النساء – من كل الطبقات – قلائد العنبر للتزيين .
- نقل الجهاز من منزل والد العروس إلى منزل العريس نهاراً فى زفة يسير فيها الأمـــراء بالشاش والقماش فى حالة بنت السلطان والأمير .
- ينقل الجهاز على البغال وعلى أكتاف الحمالين .
- نقل العروس فى نهاية الاحتفال بليلة العرس إلى منزل الزوجية فى محفة (هودج)
- الإسراف فى إقامة حفلات العرس واستخدام آلاف الشموع وكميات هائلة مـــن الســـكر وذبح الأعداد الضخمة من الطيور والحيوانات ومنها الحصان .
- كان عقد النكاح يتم فى أغلب الأحيان فى المساجد .
- كان المهر يدفع من خزانة الخاص فى حالة أبناء السلاطين كمهر آنوك ابـــن الســـلطان الناصر محمد .
- كان العصر المملوكى عصراً مزدهراً فى كافة الفنون وتشهد التحـــف المتبقيـــة بدقـــة الصناعة وإتقان طرق الزخرفة الصناعية .
- وجود سجاد متميز بزخارفه الهندسية يعرفه الرائى من أول وهلة أنه من صناعة مصـــر المملوكية .
- أن تجهيز العروس بالأطقم من أوانى وأدوات المطبخ لم يكن وليد العصر الحديث فقـــد سبقتها فى ذلك عروس مصر المملوكية التى كانت تجهز بطـــاقم (دســـت) طاســـات وطاقم أطباق . وكانت العروس من بنات الأمراء أو الوزراء أو الأعيـــان الكتـــاب أو أماثل التجار تجهز بطاقم دكك من فضة وكفت ونحاس أبيض وخشب مدهون وصينـــى وبللور وكداهى . وكان عدد الطاقم فى ذلك الوقت (٧) قطع :

- إلقاء الضوء فى المقدمة على أن جهاز العروس فى بداية العصر الإسلامى فى عصـــر الرسول وأثاث منزل الرسول وجهاز ابنته الزهراء كان غاية فى البساطة مما يوضـــح زهدهم وتقشفهم وبعدهم عن زينة الحياة وزخرفتها .
- كلما بعد العهد عن بداية الإسلام كلما قرب المسلمين من الأبهة والمغـــالاة فـــى أثـــاث منازلهم وملابس النساء وحليها مثلما كان فى العصر الأموى ووصل ذلك إلـــى غايتـــه فى العصر العباسى فى قصر الخلافة والطولونى والأخشيدى فى مصر .

لوحة (١) صورة توضح شكل السرير في العصر المملوكي

عن : Haldane, D. : Mamluk Painting, Pl. 28.

لوحة (٢) صورة توضح استخدام السرير وقت الأكل لا هـ/١٣ م

ثروت عكاشة : فن الواسطي لوحة وجه الورقة (١٦٦)

لوحة (٣) تصويرة توضح شكل السرير والمسند وكرسي المصحف في القرن ٧هـ/١٣م

Schulz. W. Die persisch-Islamische Miniaturmalerei, Leipzig. 1914.

لوحة (٤) تصويرة توضح شكل السرير ومفرشه والمدورة في ق ٧ هـ/١٣ م .

عن : ثروت عكاشة : المرجع السابق لوحة (ظهر الورقة ١٦٢) .

لوحة (٥) تصويرة يظهر بها إناء لوضع المياه كالزير مرفوعا على حامل ، بالإضافة إلى شخصين يجلسان على وسادتين كل منهما تأخذ شكل نصف بيضاوي (من التصوير المملوكي)

عن : Haldane, D. : Op. Cit., Pl. 48.

لوحة (٦) تصوير من العصر المملوكي يظهر بها كرسي ذو أربع أرجل بدون مسند ولا متكأين.

عن : Haldane, D. : Op. Cit., P. 69.

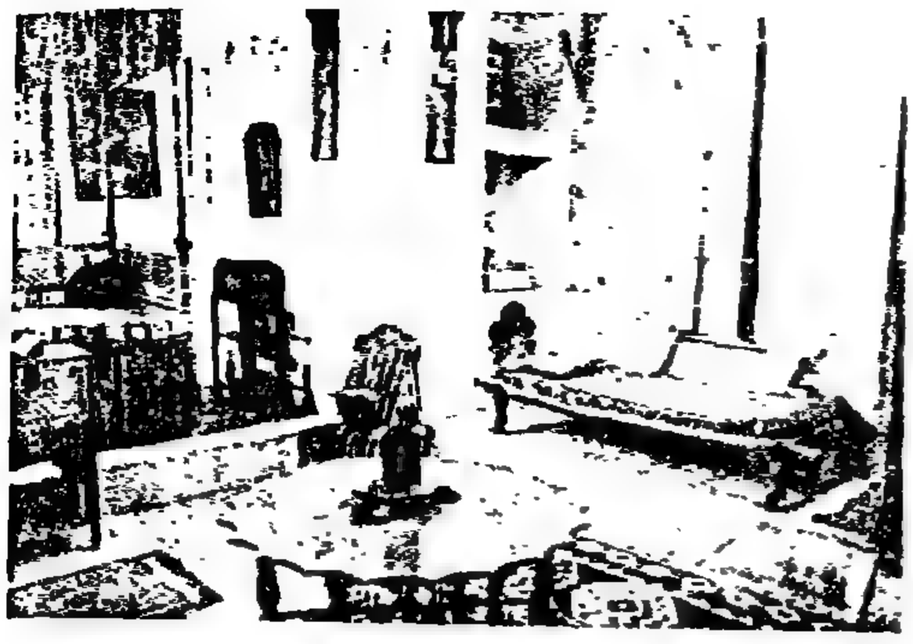

لوحة (٨) سرير من الخشب على شكل نقالة بأربع أرجل تشبه أرجل الحيوانات ذات الحوافر
محفوظ بمتحف أندرسون برقم ٩٨٥ ينشر لأول مرة .

لوحة (٧) سرير من الخشب بأربع أرجل وإطار من الخشب المطعم بالعاج والعظم
محفوظ بمتحف أندرسون برقم ٦٢٧ ينشر لأول مرة .

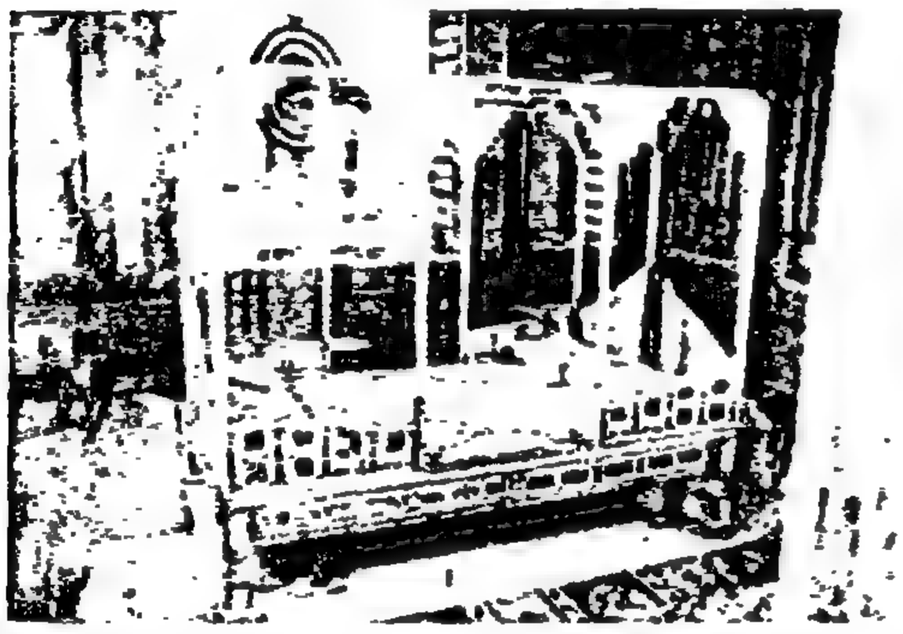

لوحة (١٠) سرير من الخشب المطعم بالعظم والمزين بالعرقيا
محفوظ بمتحف أندرسون برقم ١٨١١.

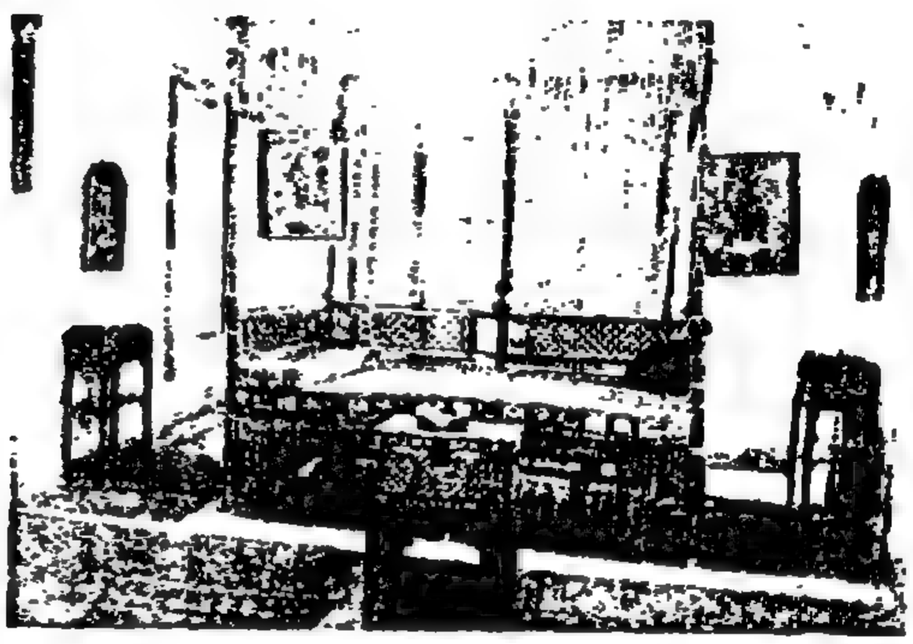

لوحة (٩) سرير من الخشب شكل خرط بظهر وجانبين مشربية وبأعلاه تركيبة خشب للتذهيبة
محفوظ بمتحف أندرسون برقم ١٠٠٤ .

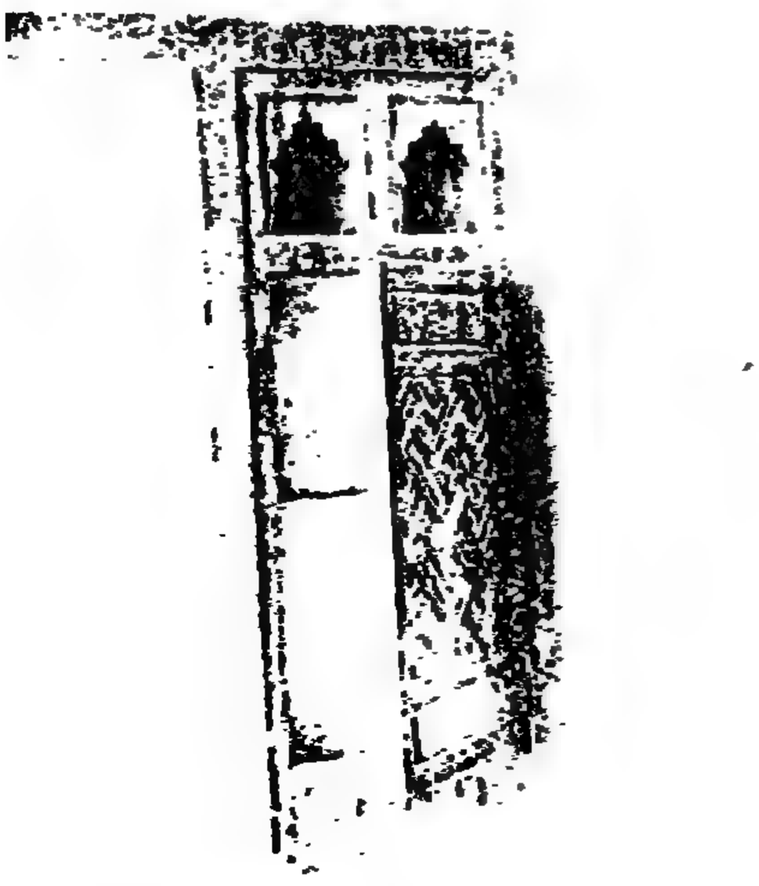

لوحة (١٢) دولاب حائطي ذو واجهة خشبية من منزل جمال الدين الذهبي

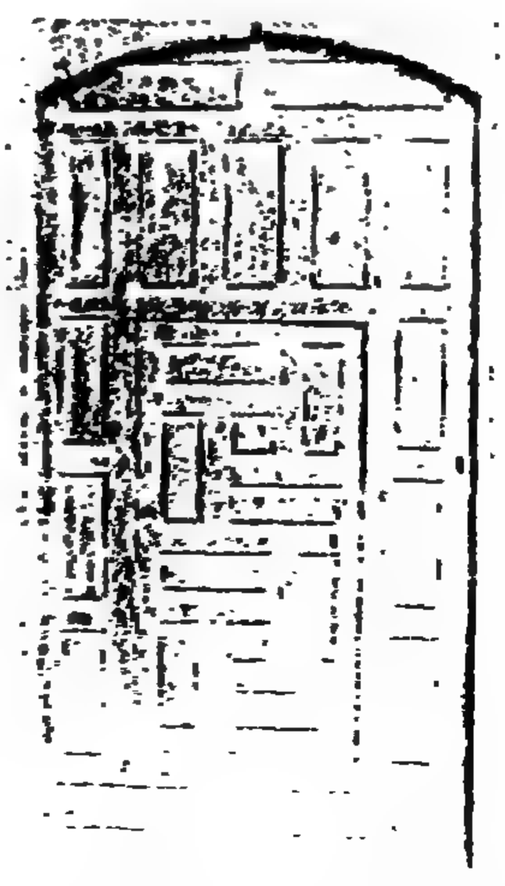

لوحة (١١) دولاب حائطي ذو واجهة خشبية من منزل السحيمي

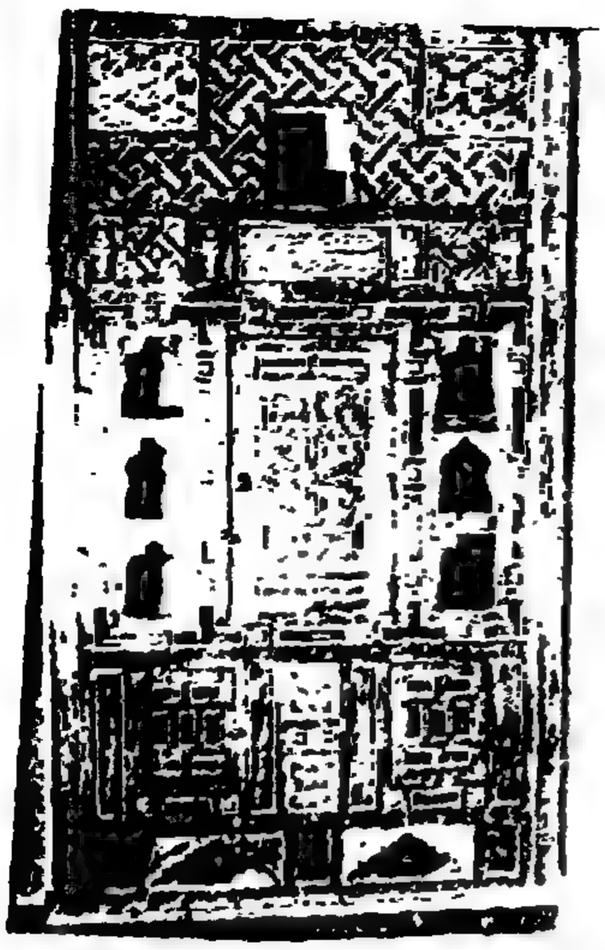

لوحة (١٤) واجهة خشبية لدولاب حائطي من العصر العثماني محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة

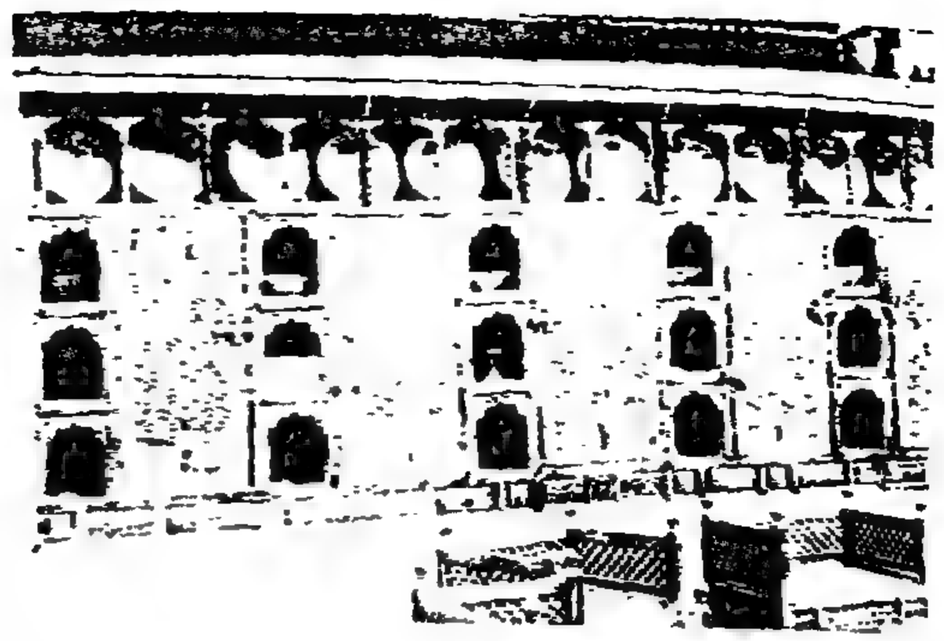

لوحة (١٣) دولاب حائطي ذو واجهة خشبية مقسمة إلى أبواب وخورنقات من منزل السحيمي

لوحة (١٦) منظر يمثل جناح الحريم وما به من دواليب حائطية ودكك مبنية على جدار المجلس عليها المخاد والمساند .

عن : Ebers : L'Egypte de Caire, T.II, P. 95

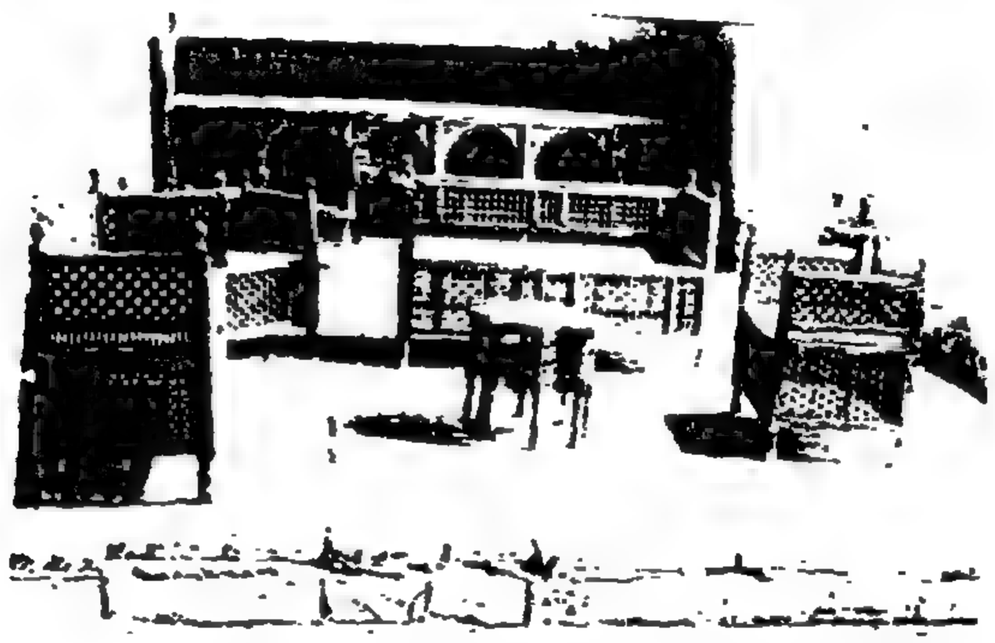

لوحة (١٥) دكك خشبية مزخرفة بأنواع مختلفة من الخرط بمنزل السحيمي

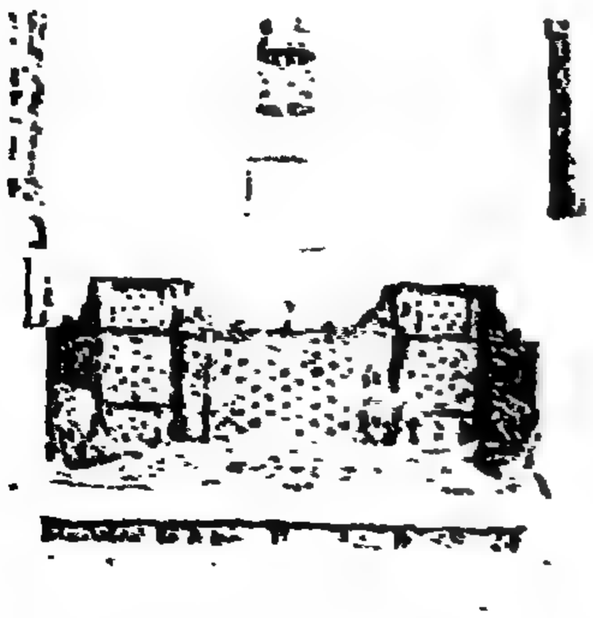

لوحة (١٨) دكة مبنية على جدار المجلس ذات مسند خشبي بمتحف جاير الدرسون

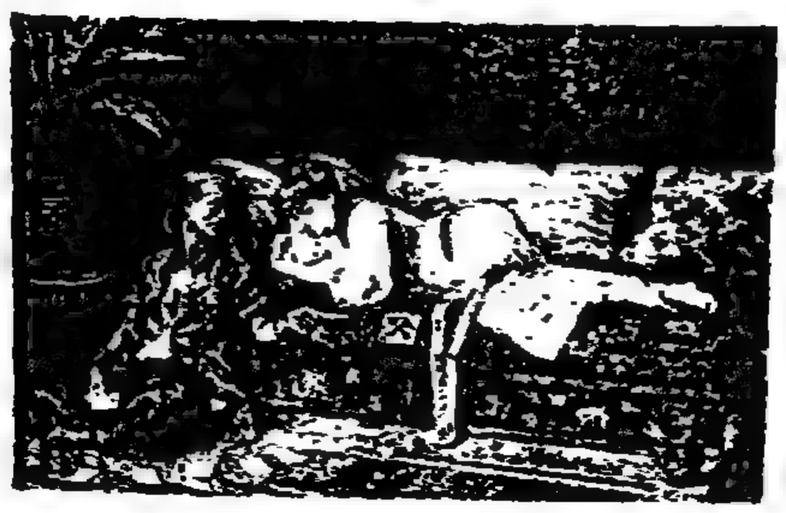

لوحة (١٧) سيدة متكأة على أريكة وحولها المخاد والمساند .

عن : Ebers : Op. Cit. T. 101

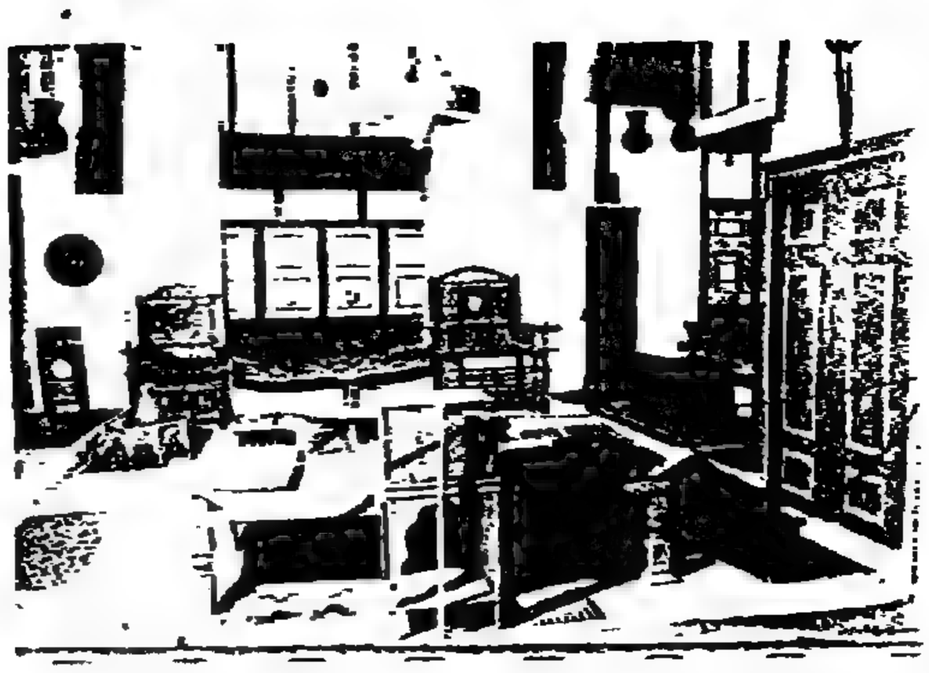

١٩ حجرة الحريم بمتحف حاير انترجون

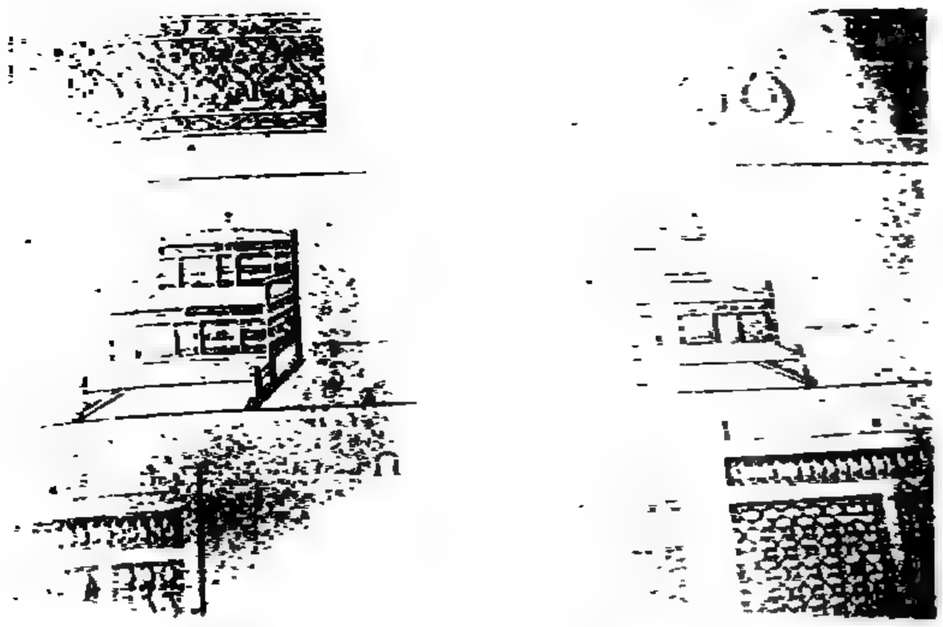

٢١ دكك مزخرفة بالخرط

Prisse D'Avennes : L'Art Arabe T.3 عن

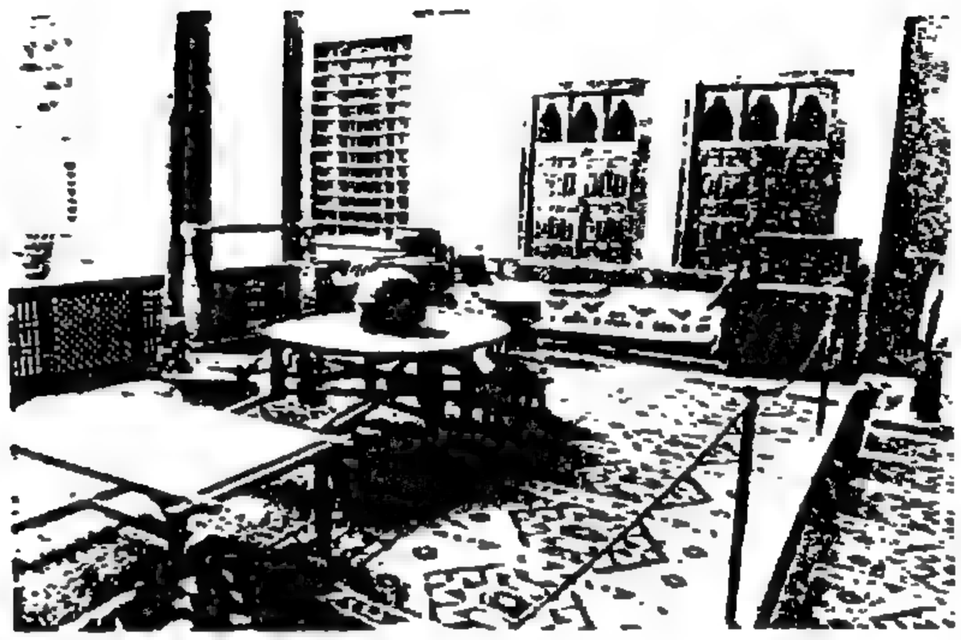

٢٠ المقعد وماله من دكك ودواليب حائطية بمتحف حاير انترجون

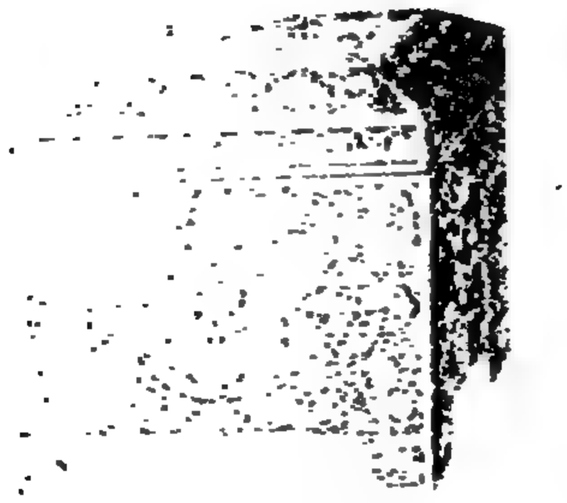

٢٢ صندوق من الخشب المكفت بالذهب والفضة (عصر المماليك) .

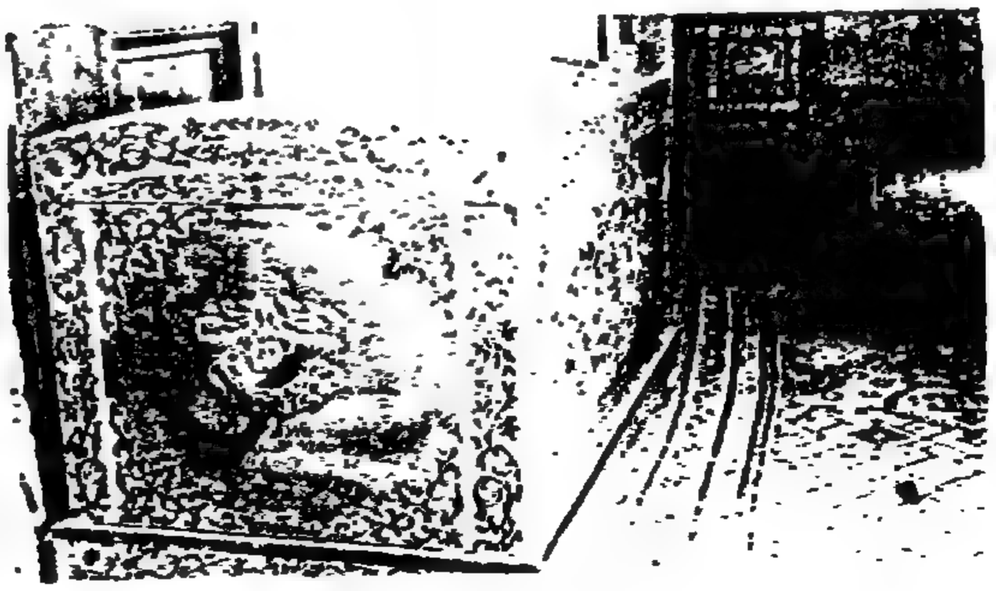

٢٣ صندوق من الخشب المزخرف بالألوان (صندوق العروسة) محفوظ بمتحف قصر المنيل (من ١١ – ١٢ هـ = ١٧ – ١٨ م)

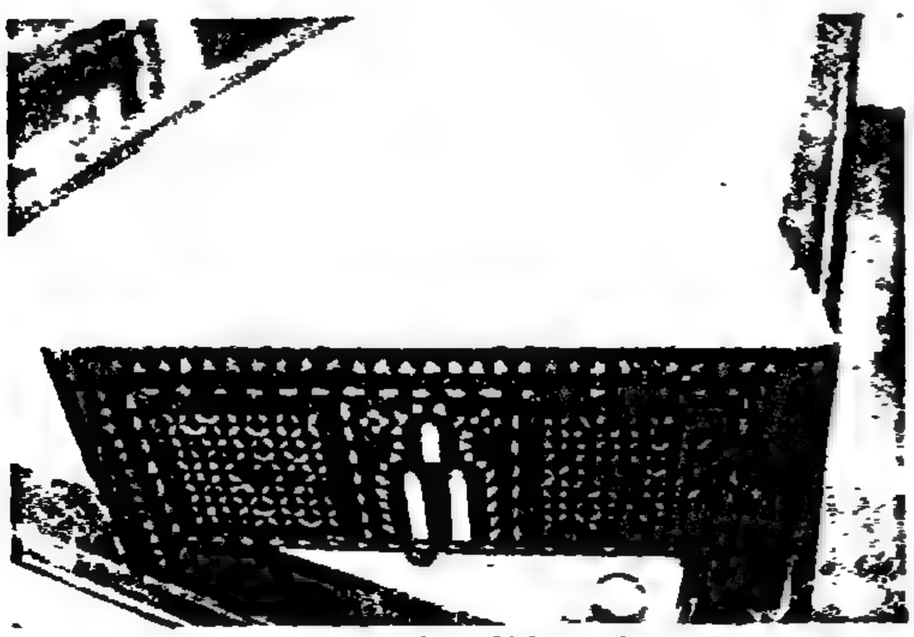

٢٤ صندوق من الخشب المطعم بالعاج ، المتحف الاشوجرافي بالقاهرة ، (ق ١٢ – ١٣ هـ = ١٨ – ١٩م)

٢٦ صندوق من الخشب المزخرف بالألوان ق ١٢/١١ هـ - ١٨/١٧ م بمتحف قصر المنيل بالقاهرة

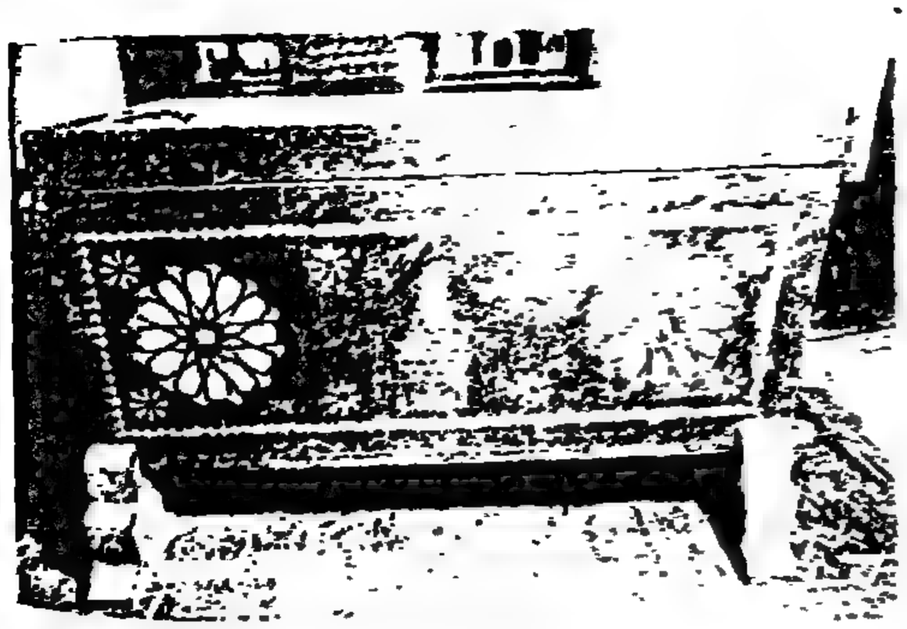

٢٥ صندوق من الخشب المطعم بالعاج الأبيض بشكل أطباق بحمية اثنى عشرية بينما شكل عليه من النوع المستخدم في حفظ الملابس والمعروف بصندوق العروس

محفوظ بمتحف اندرسون برقم ١٦٤

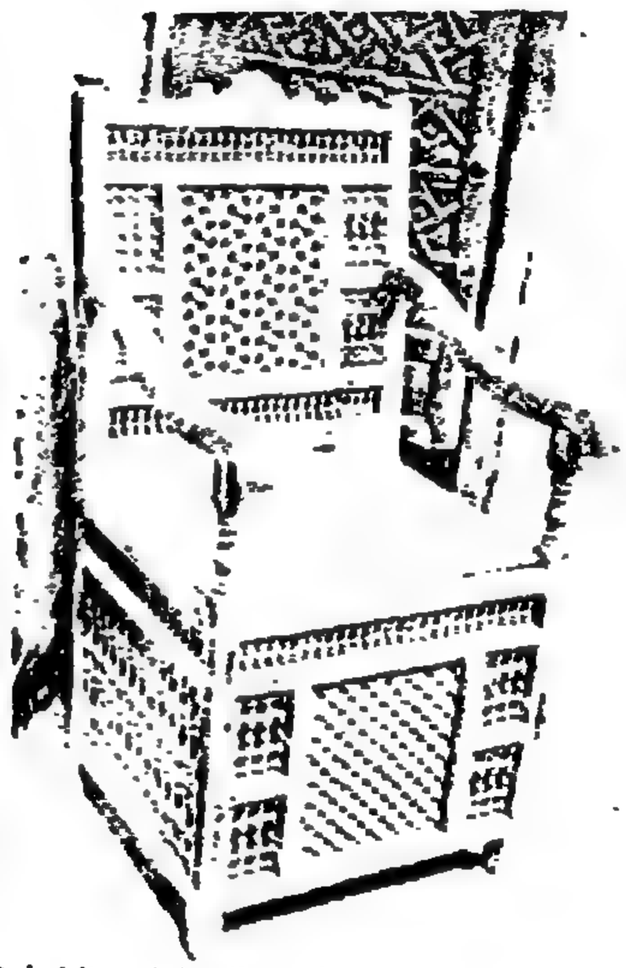

٢٧ كرسي من الخشب المزخرف بالخرط المسدس والفرساني له مسند ظهر ومتكأين بمنزل السحيمي

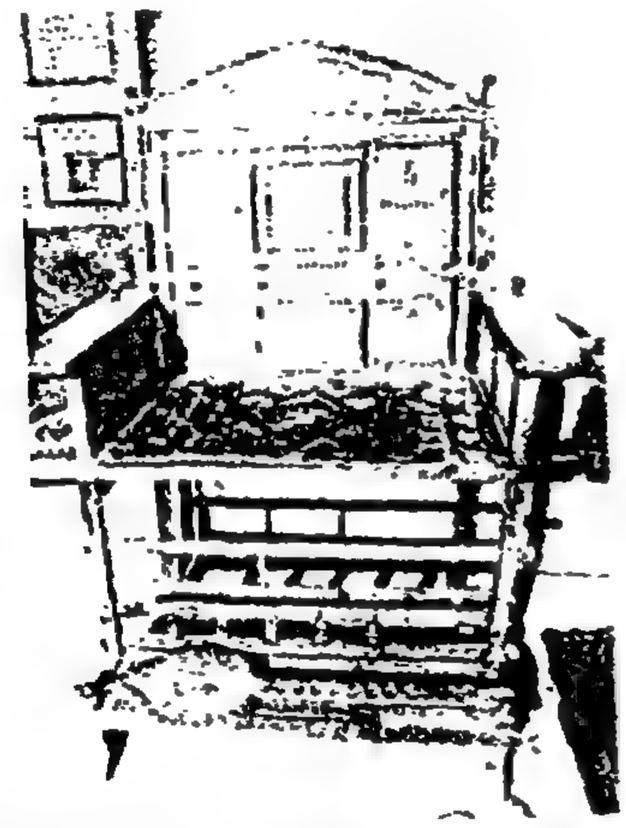

لوحة (٢٩) كرسي من الخشب المطعم بالعاج والمزين بالمرايا (النوع المعروف بكرسي الزينة أو كرسي العمامة أو منصة العروس) ق ١١هـ/١٦م محفوظ بمتحف اندرسون

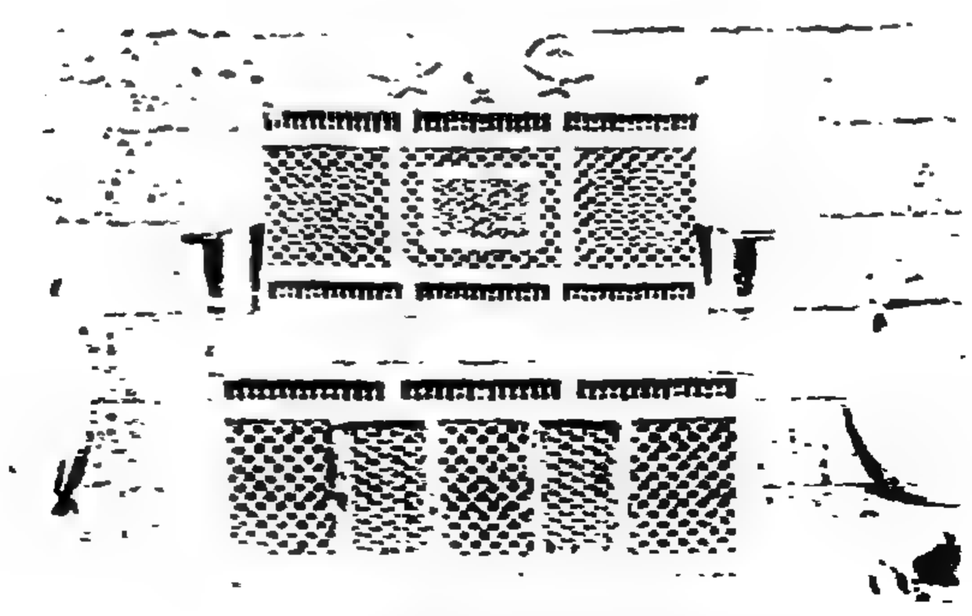

لوحة (٢٨) دكة من الخشب المزخرف بالخرط بمنزل السحيمي

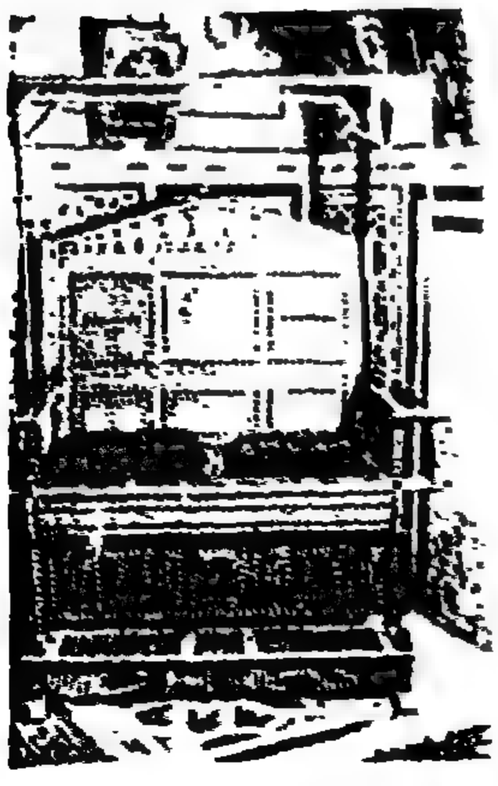

لوحة (٣٠) كرسي من الخشب المطعم بالعاج كالسابق بمتحف قصر المنيل

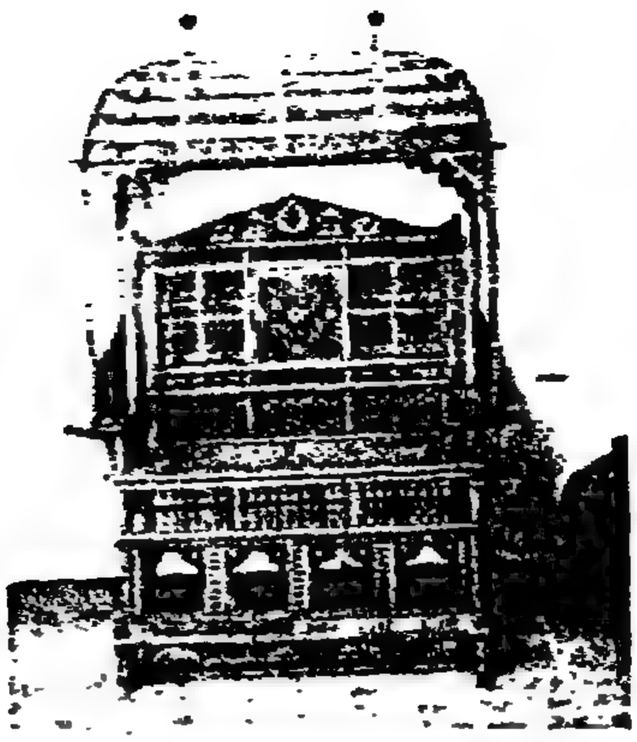

لوحة (٣١) كرسى من الخشب المطعم بالعاج كالسابق بالمتحف الاثوغرافى بالقاهرة

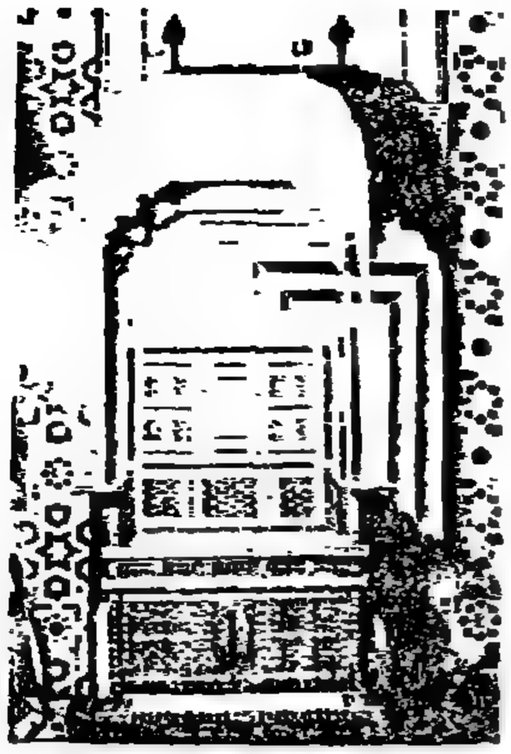

لوحة (٣٢) كرسى من الخشب المطعم بالعاج كالسابق بمتحف قصر المنزل

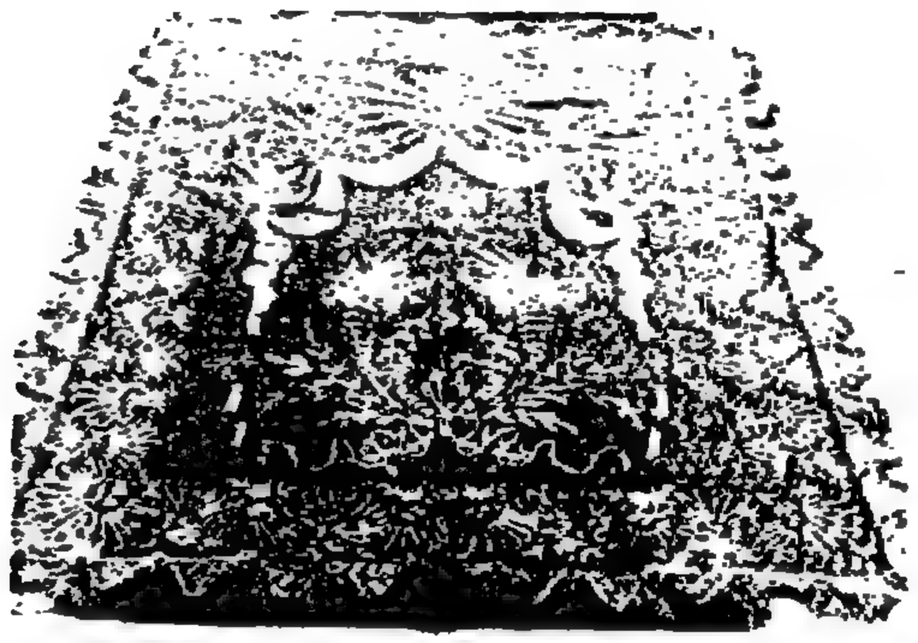

لوحة (٣٣) مفرش من الحرير المزين بالتطريز (ق١٢هـ/١٨م) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى

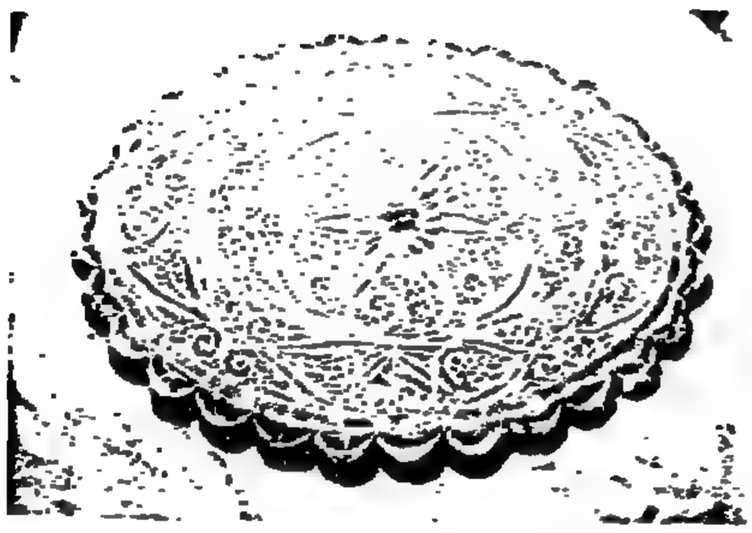

لوحة (٣٤) مفرش من الحرير المطرز (ق١٢-١٣هـ/١٨-١٩م) محفوظ بمتحف قصر ال

لوحة (٣٥) لحاف بوجه من التسوج القطنى ذو الألوان الأحمر والأصفر والنيلى المزخرف بزخارف هندسية ونباتية (عصر المماليك) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى برقم ٢٣٩٠٥

لوحة (٣٦) مفرشة بوجه من التسوج القطنى محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بمصر فى العصور الو-

لوحة (٣٧) طشت من النحاس المكفت يحمل كتابة نسخية باسم الأمير طيطق محفوظ بمتحف الفن الإسلامى برقم ٢٤٠٨٥

لوحة (٣٨) أبريق بيد وصنبور من النحاس المكفت يحمل كتابة نسخية باسم الأمير طيطق محفوظ بمتحف الفن الإسلامى برقم ٨٤٠٨٤

لوحة (٣٩) أبريق بيد وصنبور من النحاس المموه بالمينا الملونة يرجع إلى ق ١٣-١٤ هـ/١٩-١٥م محفوظ بالمتحف القبطى

لوحة (٤٠) تفصيل للزخارف النباتية الموجودة على بدن الابريق السابق

لوحة (٤١) إناء من الزجاج يحمل كتابة نسخية ترجع إلى عصر المماليك ، محفوظ بمتحف كلية الآثار جامعة القاهرة

لوحة (٤٢) إناءان من الخزف المرسوم تحت الطلاء يرجعان إلى (مصر فى عصر المماليك) ، محفوظ بمتحف الفن الإسلامى

مدرية من النحاس المكفت ، ترجع الى عصر المماليك .
Prisse D'Avennes: L'Art Arabe, 3, Pl. 167.

٤٣ ابريق بدون صنبور للبيت من النحاس المكفت يرجع الى مصر في عصر المماليك ، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي

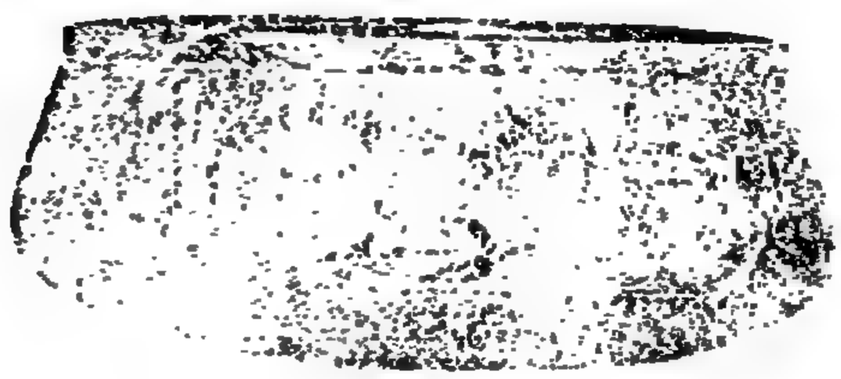

٤٥ مدرية من النحاس ، منقوش عليها زخارف نباتية وكتابة نسخية بانها (مما عمل برسم البيت المحجبة ذات الستر الرفيع والحجاب المنيع خوند الكبرى جهة المقام الشريف الملكي الاشرف أبو النصر قايتباي سلطان الاسلام) ، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي برقم ٤١٢٠ .

٤٦ مدرية من النحاس ، تحمل زخارف كتابية ونباتية ورنك بكأس كلها مفعمة بالحفر ، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي.

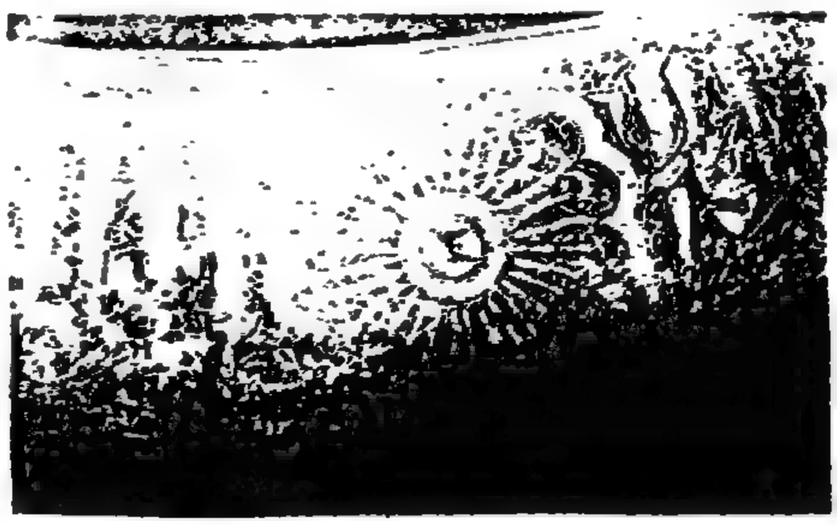

٤٧ تفصيل لحامة مفعمة بالمدرية السابقة ، تضم كتابة نسخية بعينها السلطان الملك الصالح الصامل... وبمركز الحامة دائرة بها رنك الكأس .

٤٨ مدرية بمبدأ من النحاس المزخرف بالحفر تحمل رنك مزدوج (نعم السفرة والدواة والكأس وكتابة نسخية باسم الامير [illegible]) محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة ، [illegible] لاول مرة .

٤٩ الرنك المركب الموجود بالحشرية السابقة (نسخة [illegible] الكأس) .

٥٠ [illegible] من التجاير المرخرف بالحجر [illegible] محفوظة بمتحف الفن الاسلامي .

٥٣ طاسة خفة من التجاير المرخرف بالحجر [illegible] وأشكال البروج . محفوظة بمتحف الفن الاسلامي ، ق ٧ هـ ١٣ م

٥٤ [illegible] من الطاسة السابقة [illegible] وأشكال البروج .

لوحة (٥٥) طاسة خضة من النحاس وزخرفها بالحفر صفوف من عقود مدببة متجاورة تضم كتابات نفسية وسحرية .

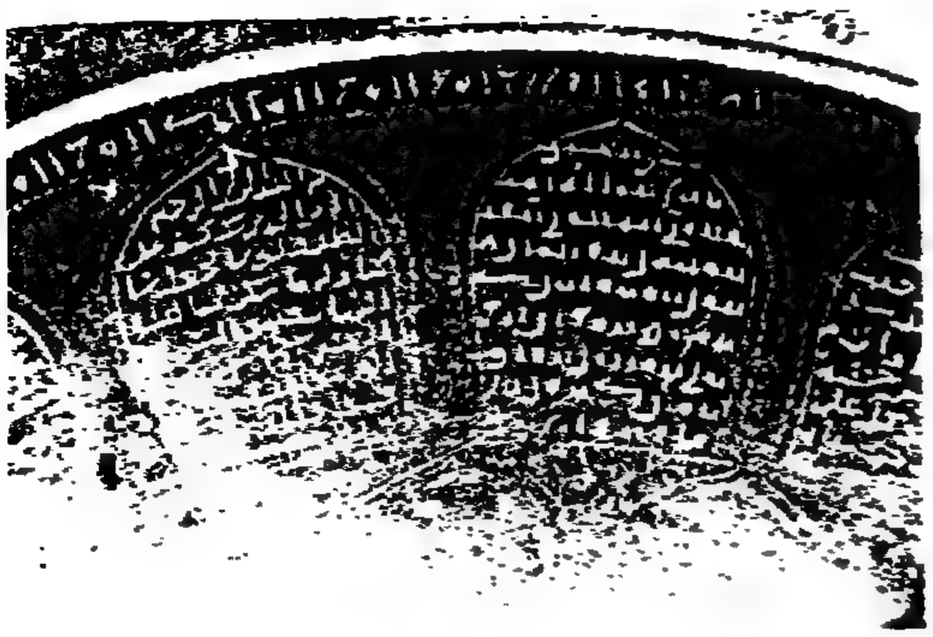

لوحة (٥٦) جزء من الكتابات على الطاسة السابقة .

لوحة (٥٧) سلطانية من الفخار المطلى بالمينا الملونة ترجع إلى مصر فى العصر المملوكى .
(من الخارج) محفوظة بمتحف الفن الإسلامى برقم ١٥٩٨٢ .

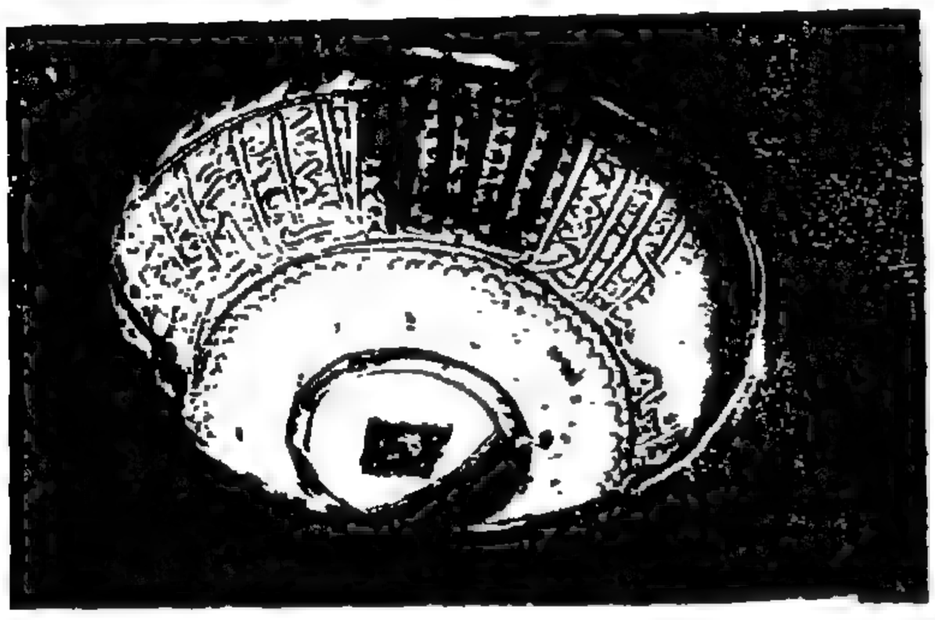

لوحة (٥٨) السلطانية السابقة من الداخل يظهر بها زخرفة البلجة

لوحة (٥٩) سلطانية من الخشب المزخرف بالألوان المختلفة ترجع إلى مصر فى العصر المملوكى . محفوظة بمتحف الفن الإسلامى .

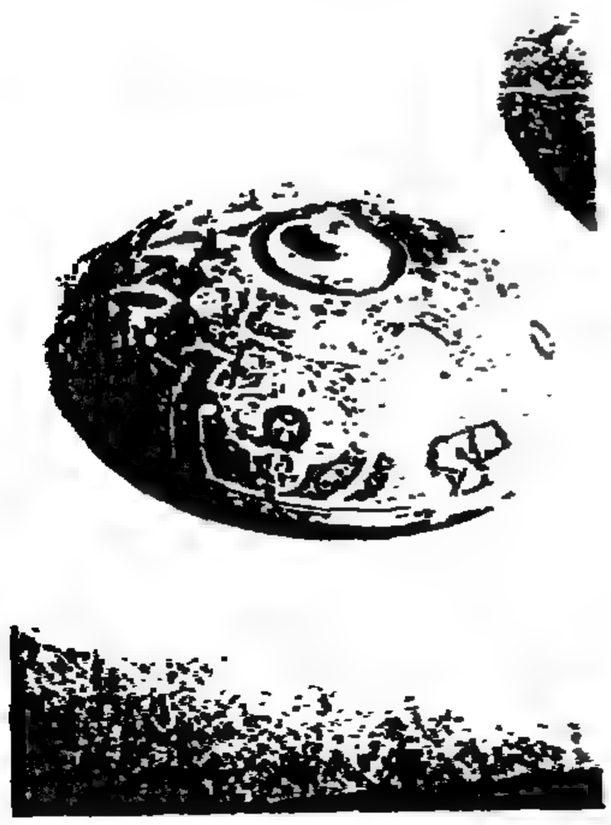

لوحة (٦٠) غطاء السلطانية السابقة .

لوحة (٦١) خمس قطع من خمس أوانى من الفخار المطلى بالمينا مزخرفة بالرنوك ، محفوظة بمتحف كلية الآثار بأرقام ١٤٤٢-٩٥-٢٠٢-١٧١-١٤٩.

لوحة (٦٢) قطعة من سلطانية من الفخار المطلى بالمينا عليها رسم سمكتين . محفوظة بالمتحف القبطى برقم ٣٢٠١ .

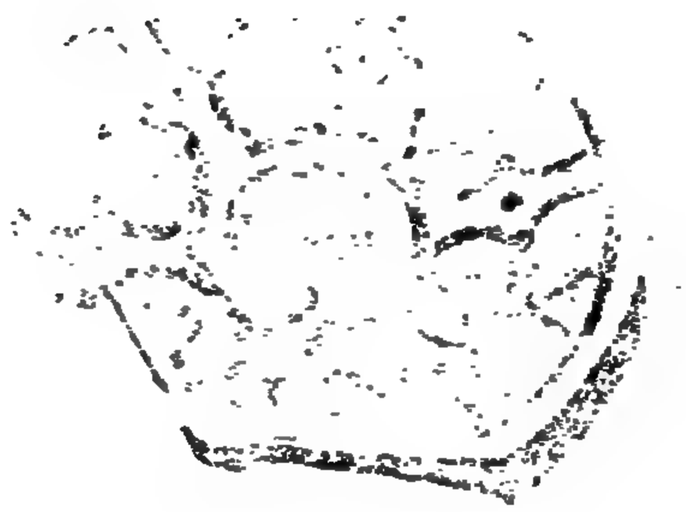

لوحة (٦٣) جزء من صحن من الفخار المطلى بالمينا مزخرف برنك محفوظ بمتحف الفن الإسلامى برقم ١٥٤٧٠ (الواجهة) .

لوحة (٦٤) الوجه الصحن السابق وتوسطه دائرة يداخلها رنك السيف .

لوحة (٦٥) كأس وصحن من الستلاتون-مصر فى عصر المماليك-محفوظة بمتحف الفن الإسلامى.

لوحة (٦٦) ٤ أجزاء من ٤ أطباق من الفخار المرسوم تحت الطلاء من مصر فى عصر المماليك محفوظة بمتحف كلية الآثار بأرقام سجل : ١٣٦٦ ، ٤٤٨ ، ٤٧٩ ، ٤٤٤ .

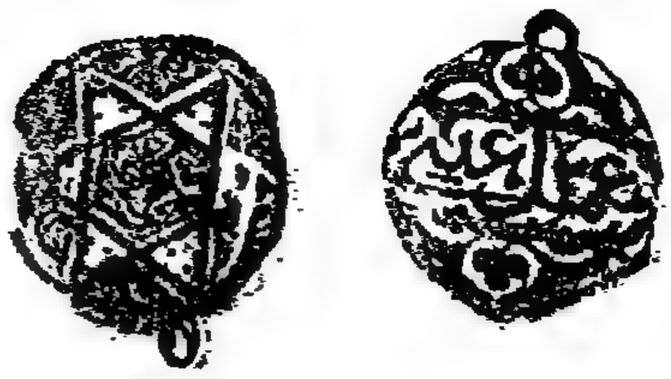

٦٧ قطعتان من الخزف المملوكي الأولى تحمل توقيع خزاف عصر المماليك الشهير "عمل عيسى" والثانية تحمل زخرفة هندسية نجمة بدائية بمتحف كلية الآثار .

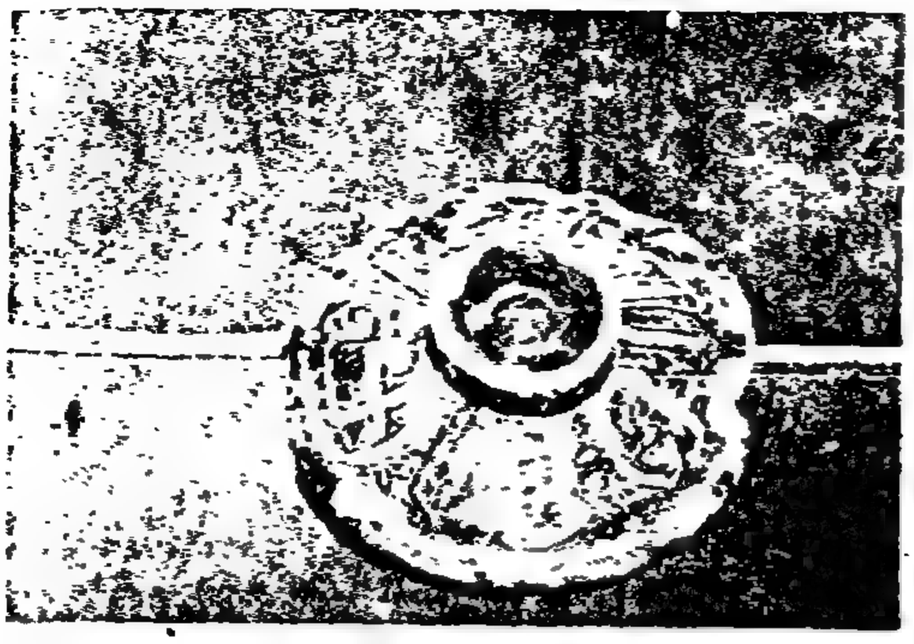

٦٨ غطاء أثناء من الفخار المطلي بالمينا محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ٧٨٨٣ .

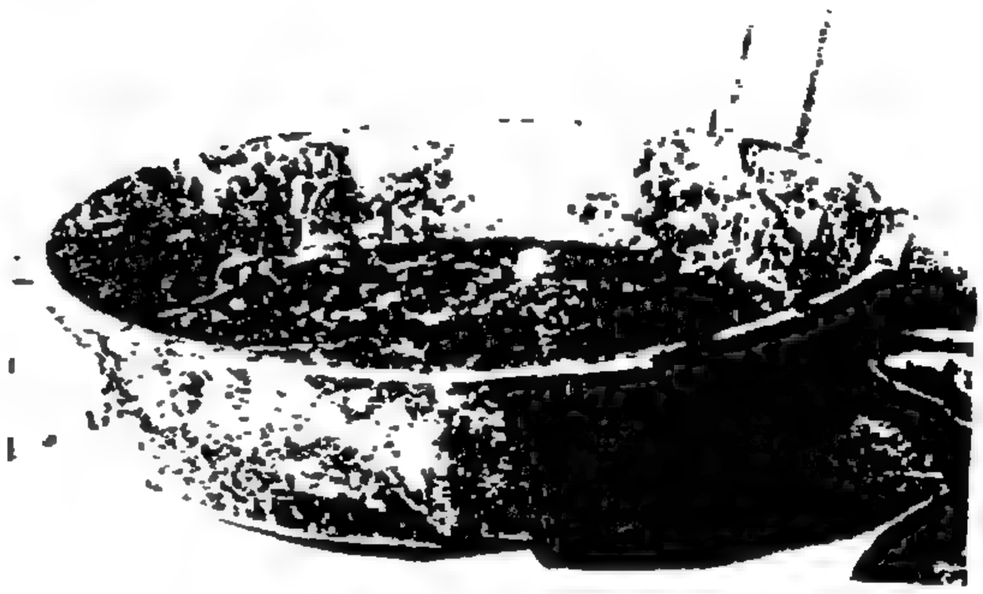

٦٩ طبق من حجر العقيق محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة برقم ١٠٤٥ — ينشر لأول مرة .

٧٠ طبق به كسر من الخزف المرسوم تحت الشراء بـ [illegible] ... ق ٨ هـ / ١٤ م محفوظة بمتحف الفن الإسلامي .

٧١ صحن من الزجاج — مصر ق ٧ هـ / ١٣ م بمتحف كلية الآثار .

٧٢ صحن من الزجاج بزخرف قاعة دائرة بداخلها نجمة خماسية — مصر من عصر المماليك بمتحف كلية الآثار [illegible]

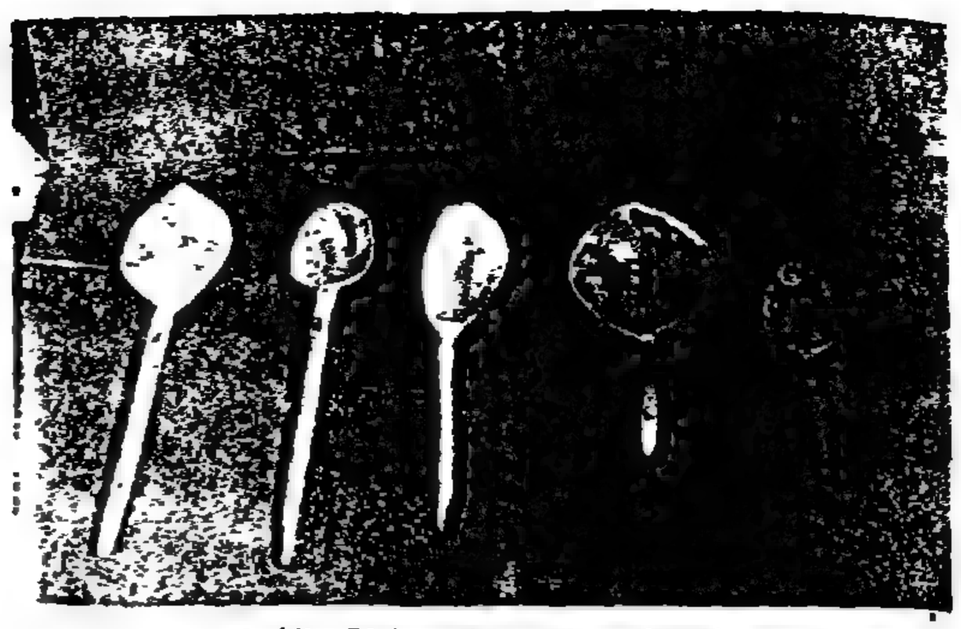

٧٣ ملاعق من الخشب على بعضها بقايا زخرفة بالالوان – مصر في ٨/٧ هـ ١٤/١٢ م . محفوظة بمتحف كلية الآثار – تنشر لاول مرة .

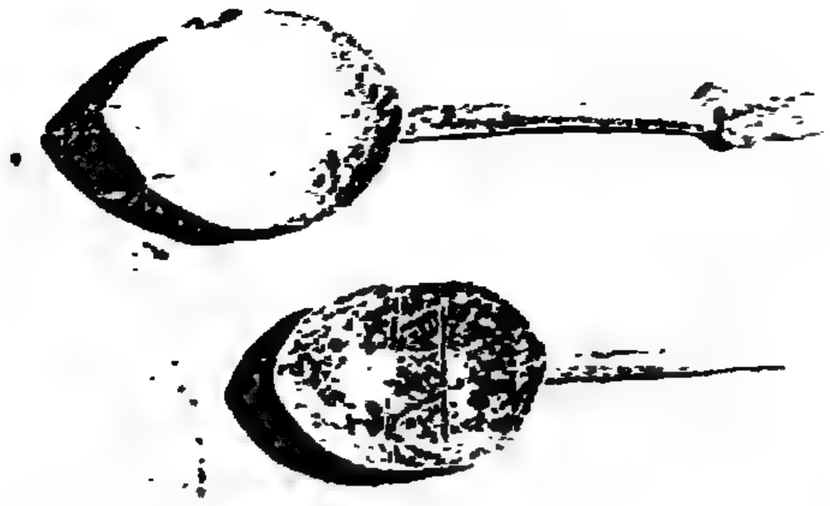

٧٤ منخفضان من الخشب المزخرف بالالوان – مصر في عصر المماليك بمتحف الفن الاسلامي – الكبيرة برقم ٤/٦٨٨١ تشبه يدها بشكل ورق شبه خماسية الفصوص . والمصغرة برقم ٢/٦٨٨١ تحمل زخارف [illegible] مشتقة بالالوان – تنشر لاول مرة .

٧٥ ملعقة من الخشب يدها تشبه شكل ورقة خماسية الفصوص – مصر في عصر المماليك – بمتحف الفن الاسلامي برقم ٧٥ . تنشر لاول مرة .

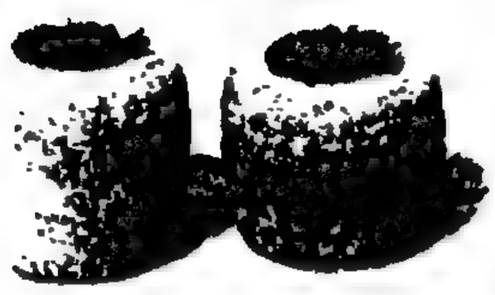

٧٦ خشبان من الخشب المحفور المتواصل عليهما بقايا زخرفة بالالوان – مصر في عصر المماليك – محفوظة بمتحف الفن الاسلامي – تنشر لاول مرة .

٧٧ سكينة عاج بيد خشب محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة برقم ٤١٨٠ – تنشر لاول مرة .

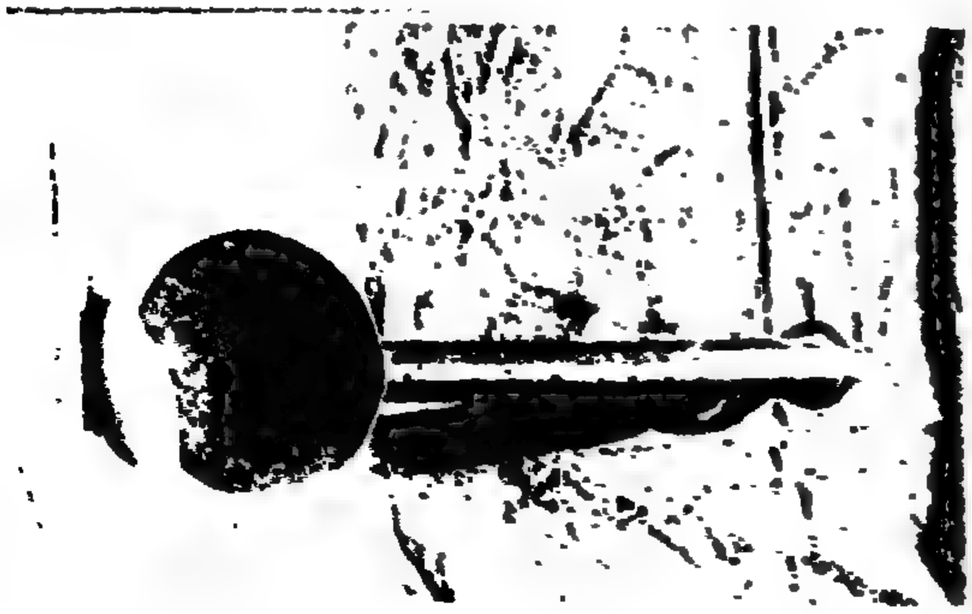

٧٨ مغرفة (كبشة) من المعدن لها حلقة في نهاية اليد محفوظة بمتحف الفن الاسلامي برقم ٢٤٤٢ .

لوحة (٧٩) مصلاة من النحاس – ترجع إلى مصر في عصر المماليك
محفوظة بمتحف الفن الإسلامي برقم ٦٥٧٣ .

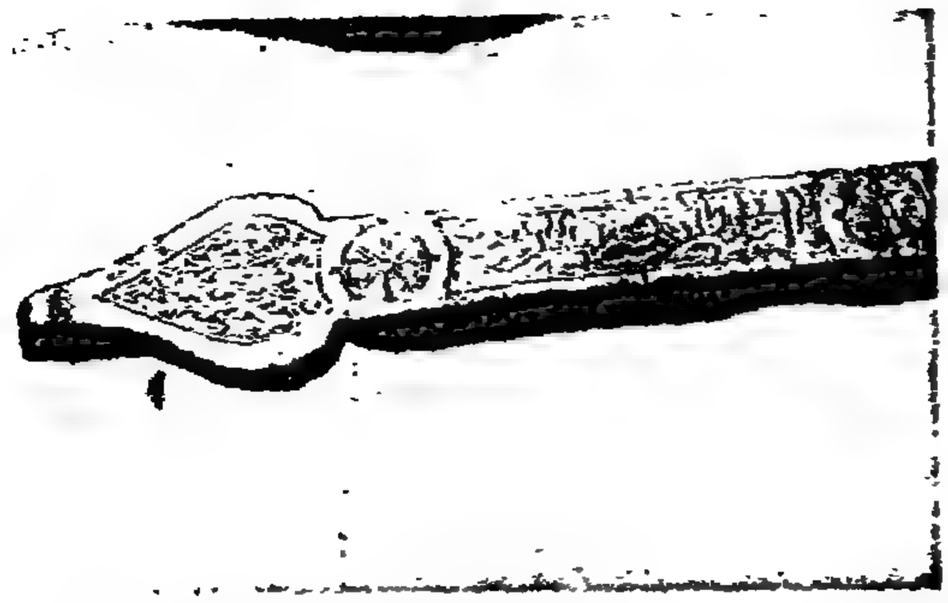

لوحة (٨٠) يد المصلاة يظهر بها زخارف كتابية وهندسية منفذة بالحفر .

لوحة (٨١) كأس من الفخار المرسوم تحت الطلاء – مصر في عصر المماليك –
بمتحف الفن الإسلامي .

لوحة (٨٢) ثلاثة أقداح صغيرة من الفخار – ترجع إلى مصر في العصور الوسطى – باسم
الزراعة بالمتحف الزراعي بالدقي برقم ١٦٦٢-١٦٦١-١٦٥٧ . تنشر لأول مرة .

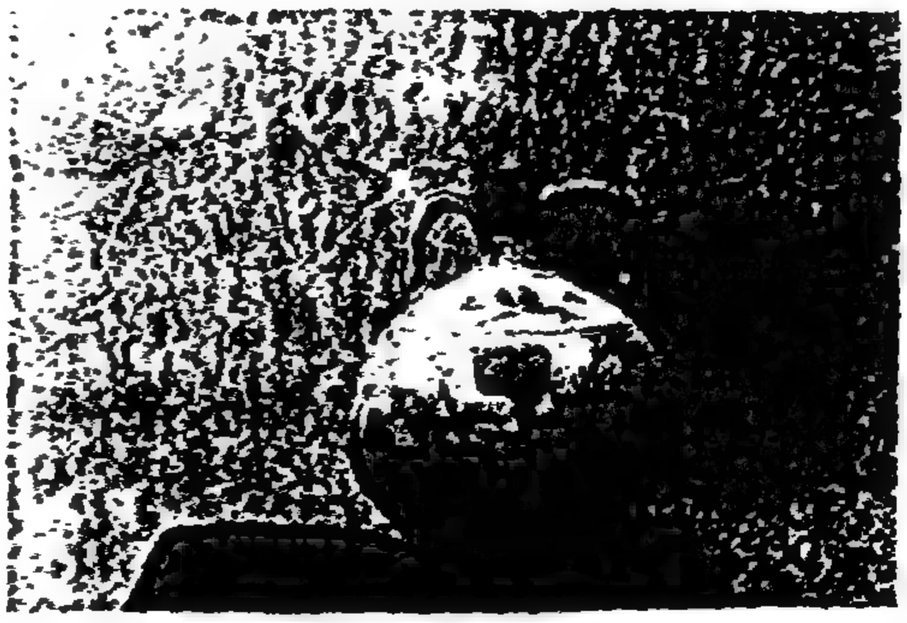

لوحة (٨٣) كأس من الفخار تحمل رنك السيف والكأس – مصر في عصر المماليك
محفوظة بمتحف الفن الإسلامي – تنشر لأول مرة .

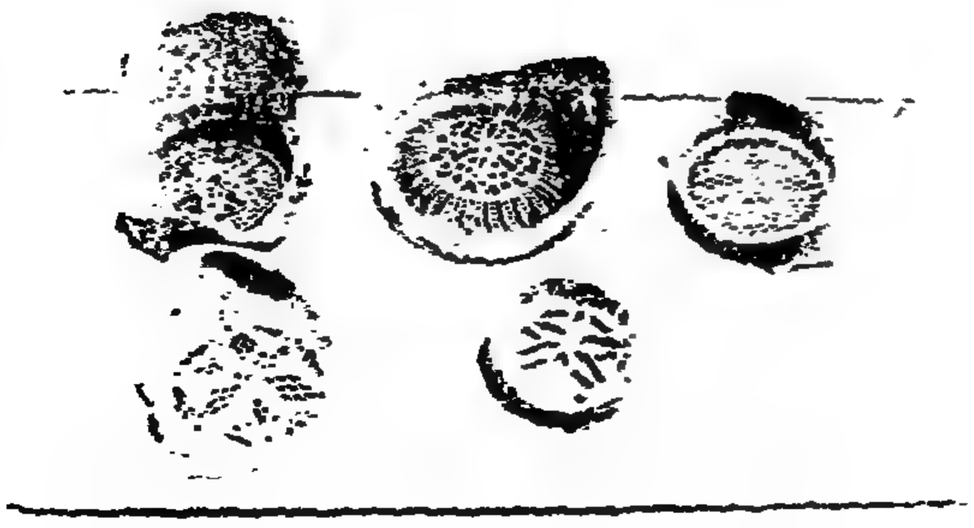

لوحة (٨٤) مجموعة من شبابيك الفخار – ترجع إلى مصر في العصور الوسطى –
محفوظة بالمتحف القبطي .

٨٧ صورة لبائعة جرار نقلا عن :
Ebers: L'Egypte du Caire, P. 245

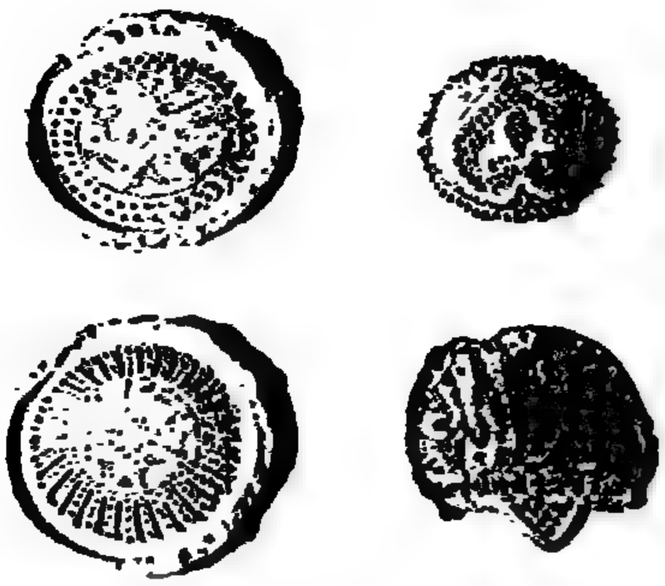

٨٥ مجموعة من شبابيك القلل ترجرفها رنوك ـ مصر في عصر المماليك ـ محفوظة بمتحف الفن الاسلامي .

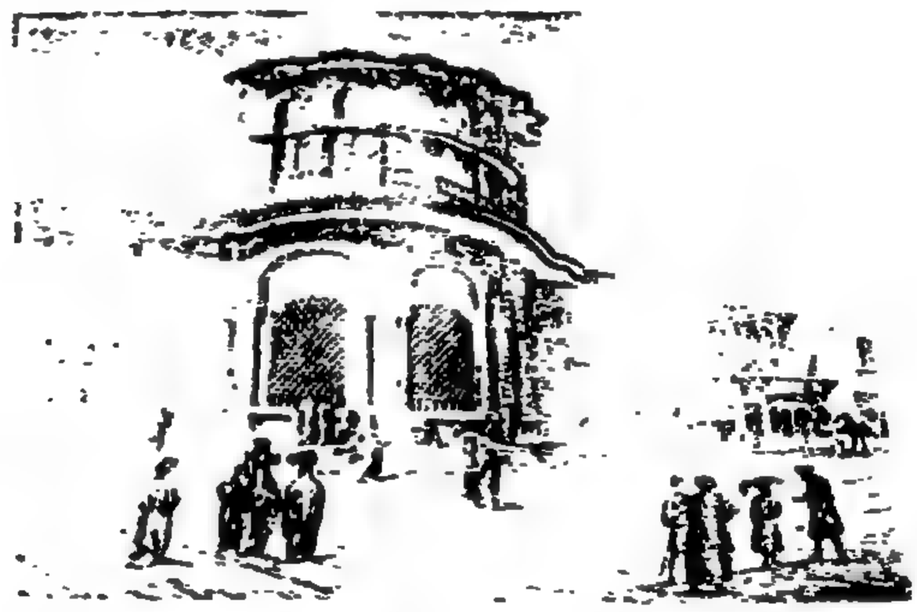

٨٨ نساء يحملن الجرار لملئها من النيل عن :
Pascal Cost: Architecture Arabe, Pl. III

٨٦ مجموعة من شبابيك القلل ترجرف بعضها كتابات سجية ـ مصر في عصر المماليك ـ محفوظة بالمتحف الوطني ـ نشر لاول مرة .

٨٩ سيدتان يحملان الجرار .

٩٠ صورة لسيدة تحمل جرة . نقلا عن :

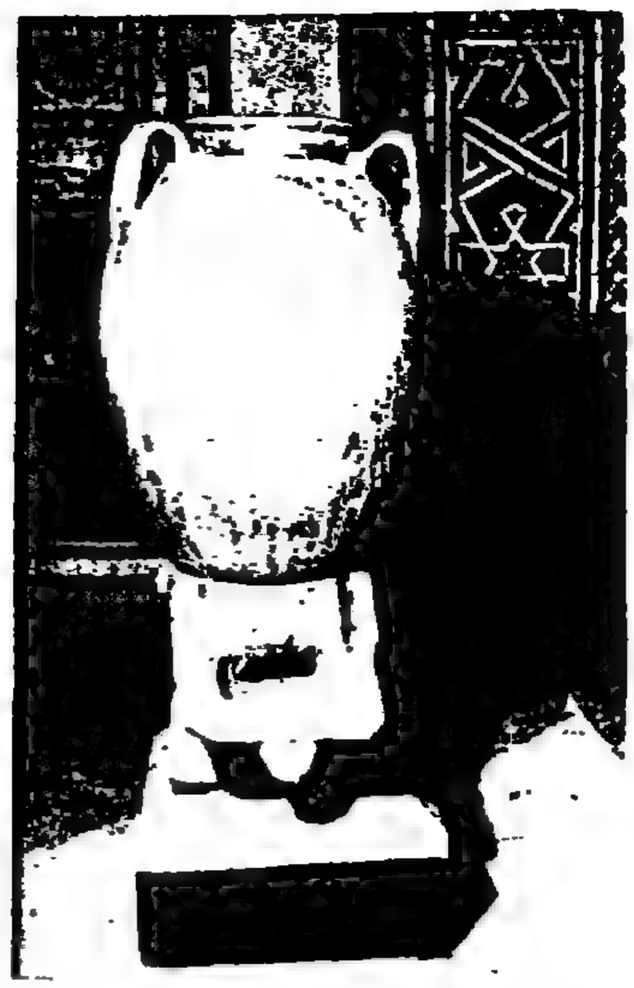

٩١ زير من الرخام يرجع الى مصر فى عصر المماليك محفوظة بمتحف الفن الاسلامى برقم يحمل كتابات فى شريط .

٩٣ باقى الشريط الكتابى نصه "مولانا السلطان الملك الأشرف"

٩٤ يتكلم النص "أبو النصر قايتباى عن نصره بمحفوظ وآلته .

٩٢ شريط كتابى يحيط بالجزء العلوى من الزير أسفل الفوهة نصه "أوقف هذا الزير على هذا السبيل المبارك" .

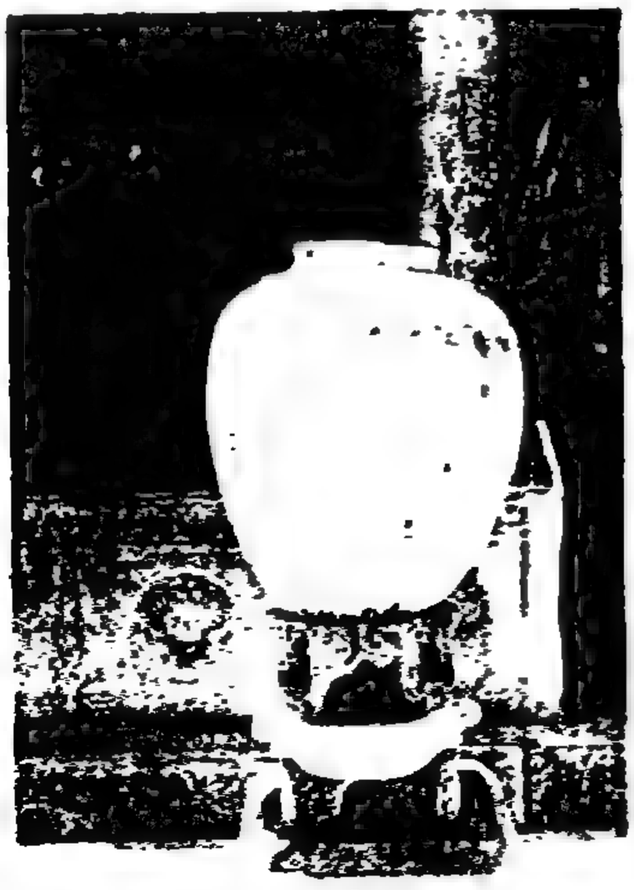

٩٥ زير من الرخام يرجع الى مصر فى عصر المماليك محفوظ بمتحف الفن الاسلامى .

٩٦ اناء من الجلد للمياه ـ مصر فى العصر الوسطى ـ مختلف من حفائر الفسطاط محفوظ بقسم الزراعة القديم بالمتحف الزراعى برقم ١٧٣٢ ينشر لاول مرة .

لوحة (٩٨) مكيالان من الخشب المصفح بالمعدن - مصر ق ١٠هـ/١٦م - بمتحف جاير اندرسون برقم ٢٥٥٧/١ ، ٢٥٥٧/٢ - تنشر لأول مرة .

٩٧ قدر كبير لحفظ الغلال من الفخار المطلي - مصر ق ١٠ هـ / ١٦ م محفوظ بمتحف الفن الاسلامي - تنشر لاول مرة .

لوحة (٩٩) إناء من الفخار كالمكيال - مصر في العصور الوسطى بالمتحف الزراعي بالدقي برقم سجل ١٧٢٩ .

١٠٠ غربال مصر يرجع الى مصر الفرعونية الدولة الحديثة حوالي ١٤٠٠ و م) محفوظ بالمتحف الزراعي بالدقي - تنشر لأول مرة .

١٠١ أختام فخارية لنقش الكعك - مصر ق ٧ هـ / ١٣ م - محفوظة بالمتحف الزراعي بالدقي - تنشر لاول مرة .

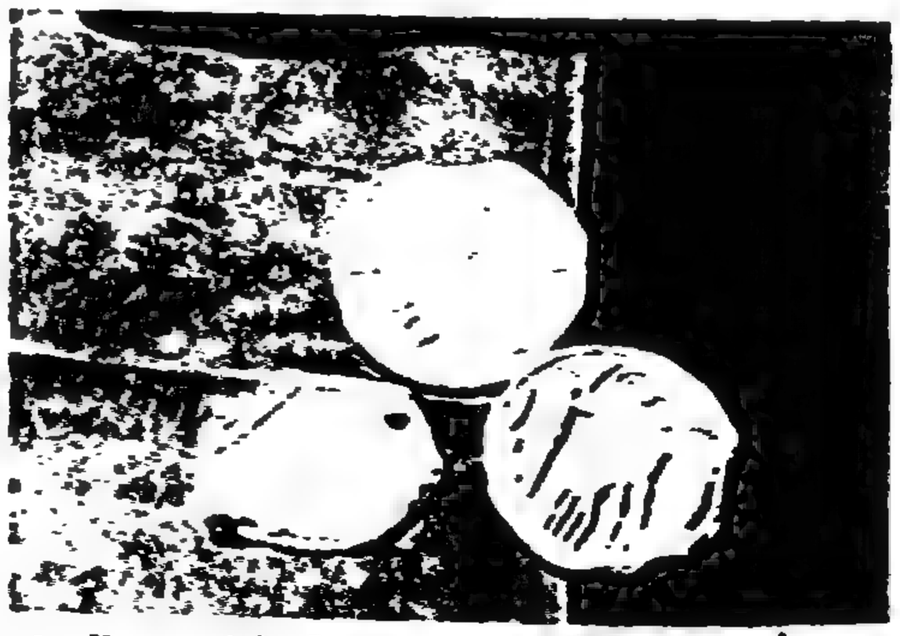

١٠٢ أختام فخارية للكعك - مصر في عصر المماليك - محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بأرقام سجل ٢٢٧٧ - ٧٩٤٢/١ - ١٨٧٢٢ .

١٠٥ هاون وبده من حجر الجرانيت ـ مصر فى عصر المماليك ـ محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة برقم سجل ١/١٩٢٧٧ ، ٢ ـ ينشر لاول مرة ٠

١٠٢ شق رحى من الحجر (الجزء العلوى) ترجع الى مصر فى العصور الوسطى محفوظة بالمتحف الزراعى بالدقى برقم ١٦٤٦ ـ تنشر لاول مرة ٠

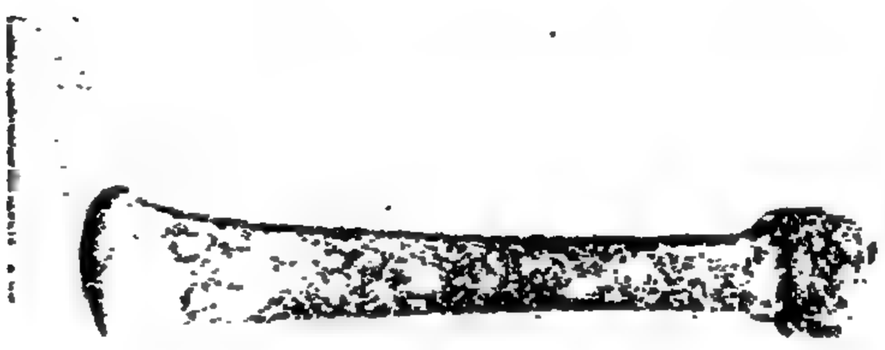

١٠٦ سد هاون من البرونز ـ مصر فى عصر المماليك ـ كشف تحت رقم ٤٨٧٥ ـ تنشر لاول مرة ٠

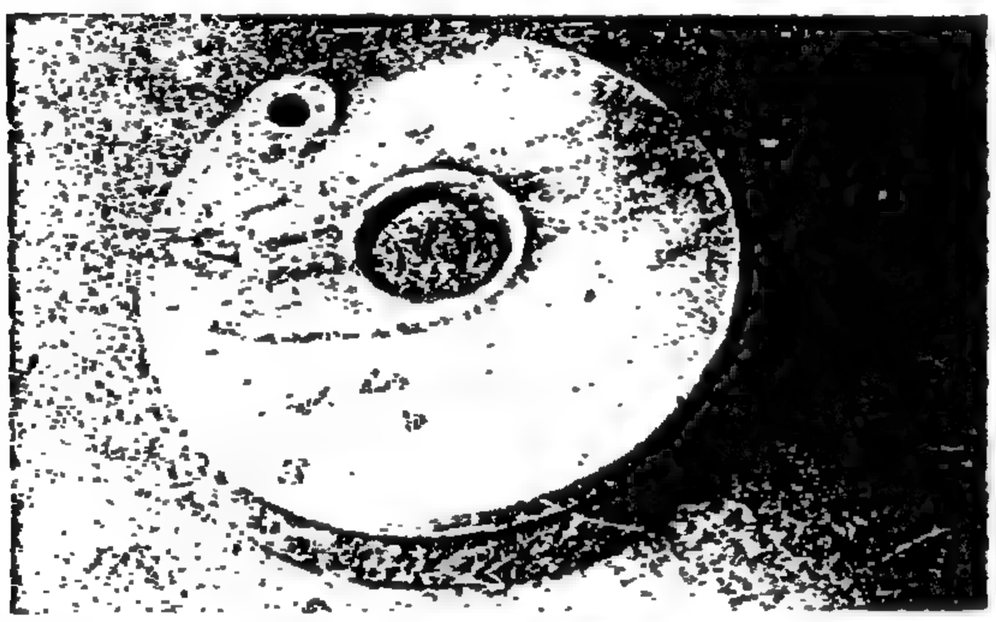

١٠٤ رحى شقها العلوى من الرخام وأسفلى من الحجر ترجع الى مصر فى القرن ١١/١٠ هـ ـ ١٦ ـ ١٧ م محفوظة بمصحف الندريون برقم ٢٣٨٨/١ ، ٢٣٨٨/٢ ـ ينشر لأول مرة ٠

١٠٧ هاون وبده من البرونز (مصر فى عصر المماليك) محفوظ بمتحف الفن الاسلامى برقمى سجل ٢٤٠٦٩/١ ، ٢٤٠٦٩/٢ ٠

١٠٨ شريط دائرى يحمل كتابة نسخية بأعمال الهاون السابق ٠

١٠٩ شاون من الخشب – مصر فى عصر المماليك – محفوظ بمتحف الفن الإسلامى برقم ٨/٢ ٦٨٦ – ينشر لأول مرة .

١١٠ شاون من الخشب – مصر فى عصر المماليك – محفوظ بمتحف الفن الإسلامى برقم ٤٨٦٢ .

١١١ شاون رقم ١٠٩ .

لوحة (١١٢) شاون من الخشب – مصر فى عصر المماليك – محفوظة بمتحف الفن الإسلامى .

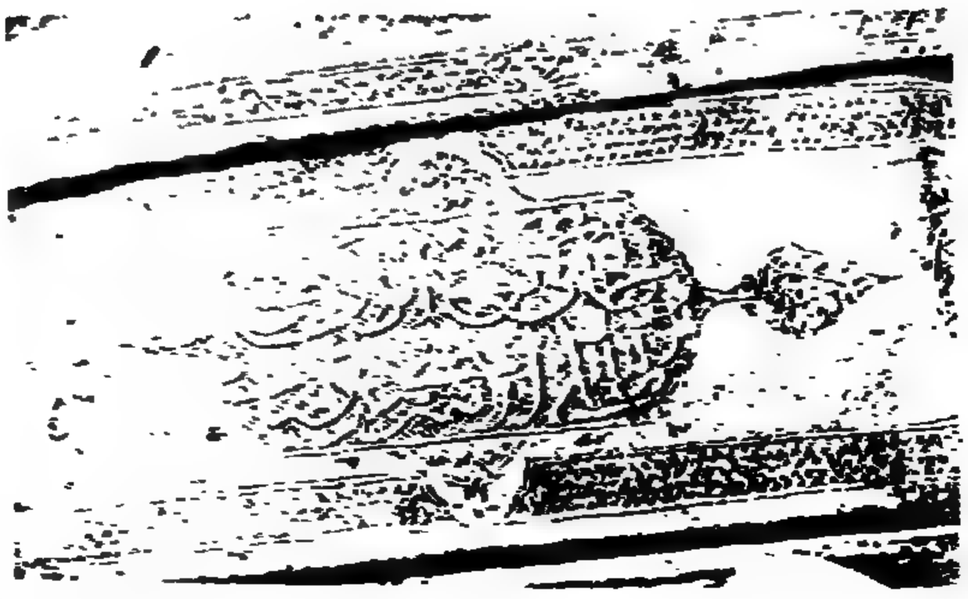

لوحة (١١٣) عمود طعلم من النحاس المزخرف بالحفر يحمل على جوانبه زخارف كتابية بخط الثلث المملوكى فى أشرطة . محفوظ بمتحف الفن الإسلامى برقم ١٥٠٦١ .

لوحة (١١١) تفصيل زخرفى .

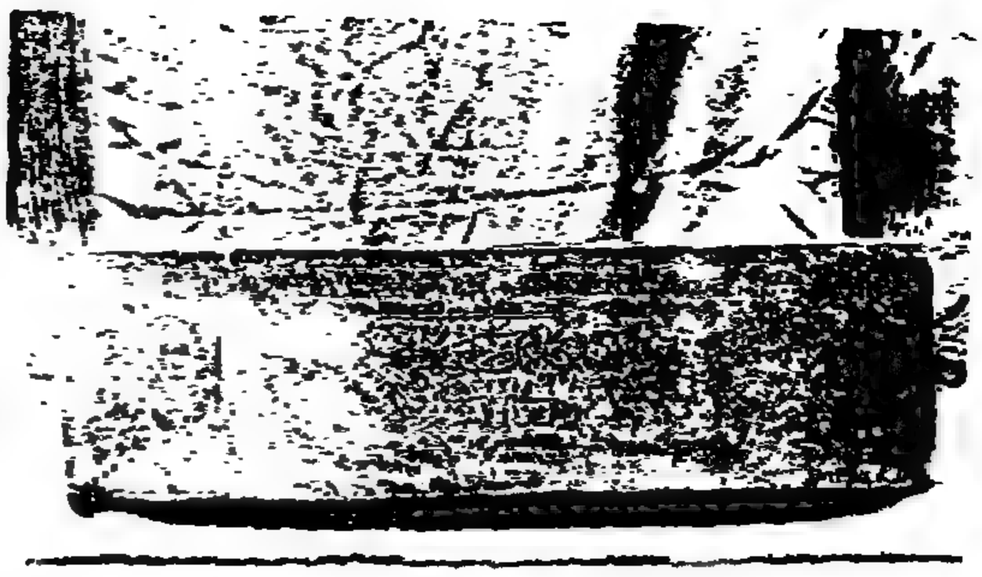

لوحة (١١٥)

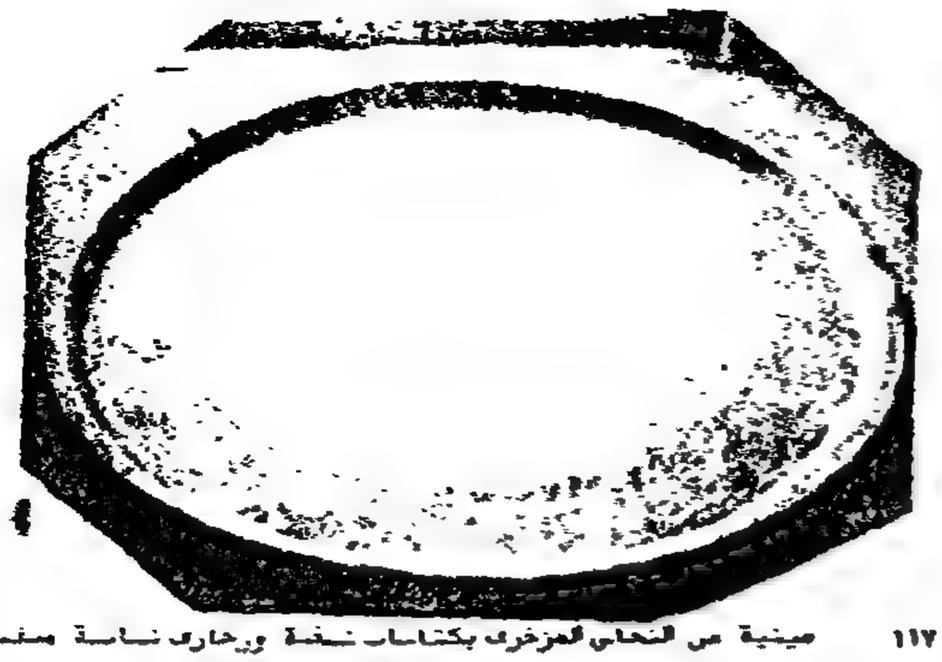

١١٧ صينية من النحاس المزخرف بكتابات نسخية وزخارف نباتية منفذة بالحفر - مصر عصر المماليك - بمتحف كلية الآثار برقم ١٢١١.

لوحة (١١٦)

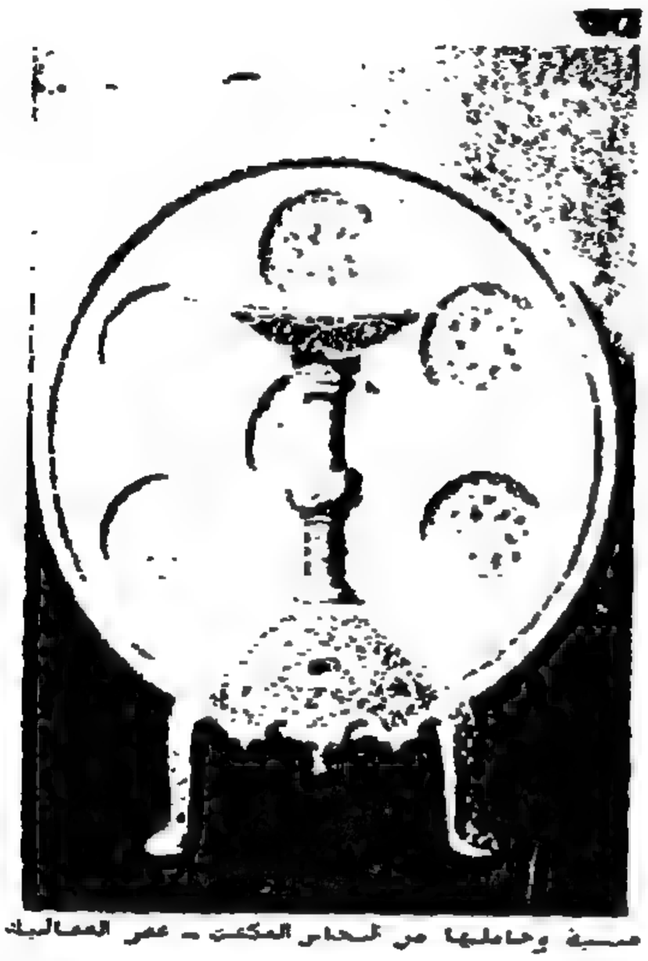

١١٨ صينية وحاملها من النحاس المكفت - عصر المماليك عن:
Prince D'Avennes: Op.Cit., T.3, p. [illegible]

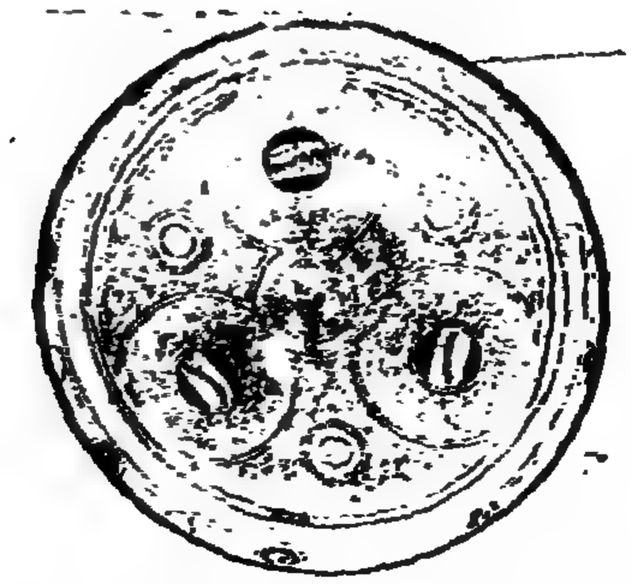

١١٩- صينية من الزجاج المعروف بالعيسا ، المنوبة - مصر عصر المماليك -
١٢٠ محفوظة بالمتحف القبطي برقم ٣٢٥٢ - تنشر لأول مرة .

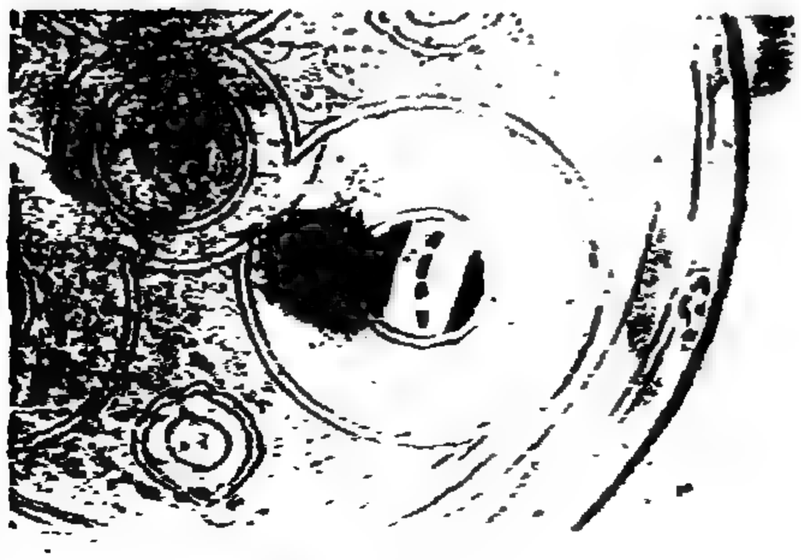

لوحة (١٢٠)

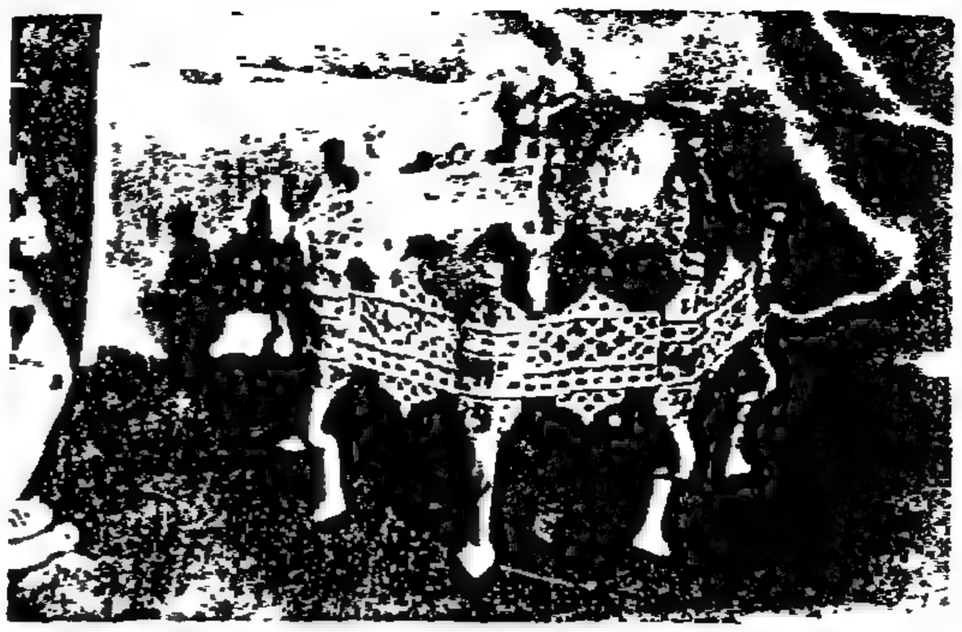

١٢٣ حامل من الفخار القطني بالهند [illegible] الفن الاسلامي .

١٢٤ حامل [illegible] من [illegible] وهو من [illegible]

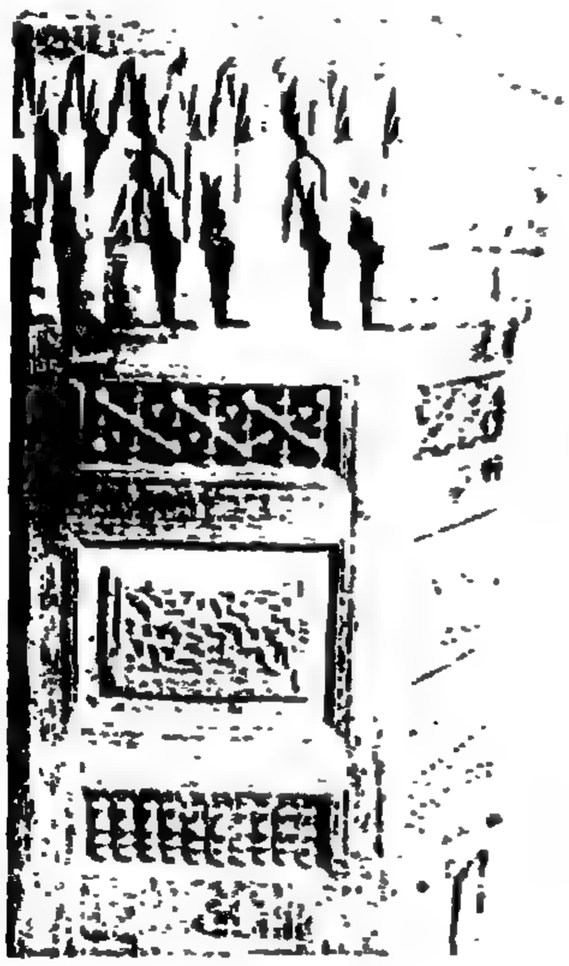

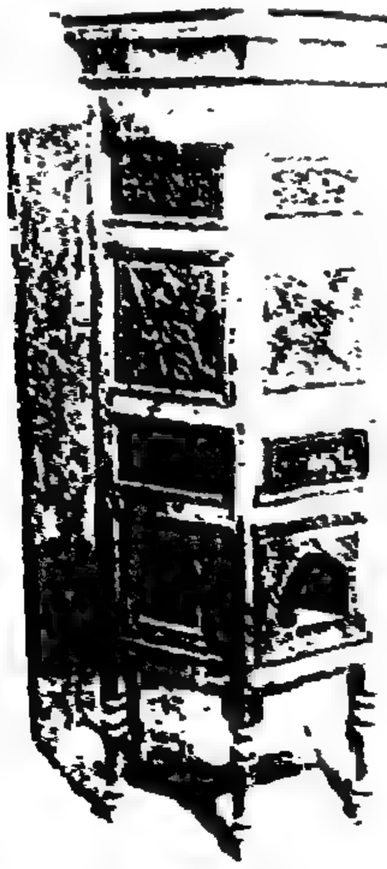

لوحة (١٢٦) كرسي صينية (كرسي عشا) من الخشب المزخرف بالأويمة . يرجع إلى مصر في عصر المماليك . محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ٤٤٣.

١٢٧ صورة توضح بعض أدوات المطبخ والمائدة في عصر المماليك عن:

Haldane, D. Op.Cit., Pl. 39

١٢٨ صورة توضح اثنين من أدوات المطبخ والمائدة في عصر المماليك عن:

[illegible] Op.Cit., Pl. 39.

١٢٩ جزء من سجادة ترجع إلى مصر في عصر المماليك محفوظة بمتحف كلية الآثار جامعة القاهرة برقم سجل ١٧٥٢ - تنشر لأول مرة.

١٣٠ سجادة مملوكية (أساسها ٩٨ x ٢١ سم) محفوظة في مجموعة [illegible]

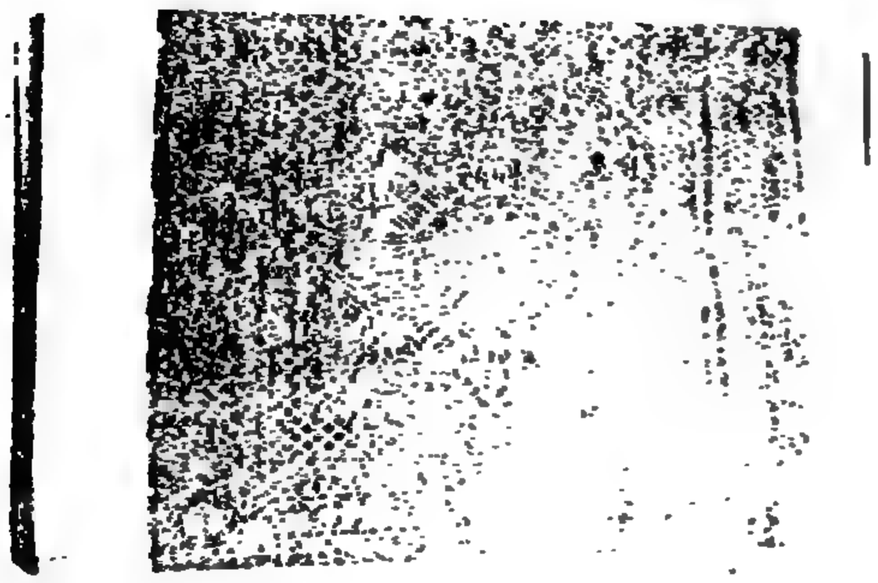

١٣١ سجادة ترجع إلى مصر في عصر المماليك بمتحف الفن الإسلامي

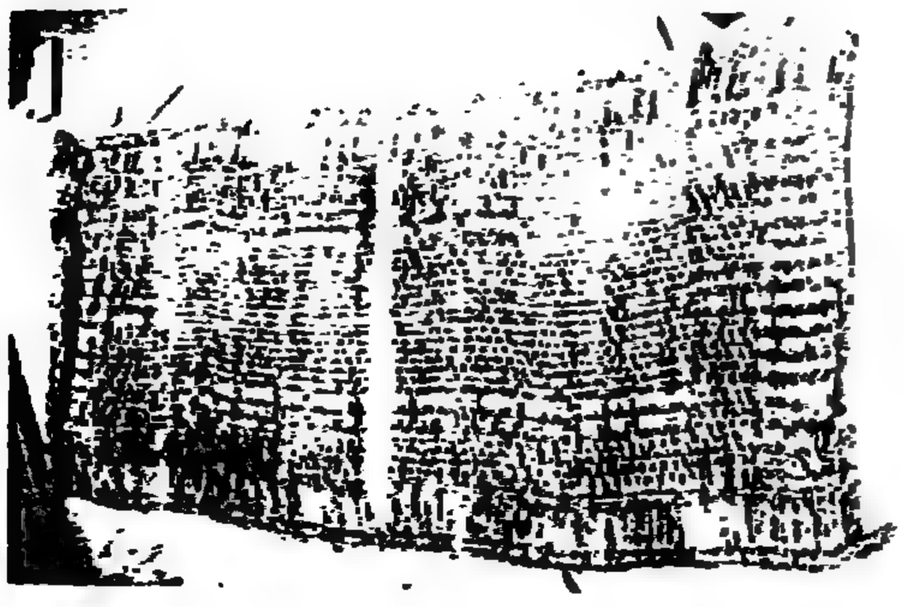

١٣٢ حصيرة - من مصر في العصور الوسطى - بمتحف الفن الإسلامي.

١١ جزء من حصيرة من الخش الغليظ – من مصر في ق ١ هـ حتى نهاية العصر الفاطمي – بمتحف الفن الاسلامي برقم ٨٤٤٢ عسس

د . سعاد ماهر : الحصير – لوحة ١٢

١٢٥ مسارج من الفخار والخزف – مصر العصور الوسطى – محفوظة بالمتحف الفني .

١٢٤ حصيرة – ترجع الى مصر في العصور الوسطى – محفوظة بالمتحف الزراعي برقم ١٧٠٦ – تسير لاول مرة .

١٢٦ مبرة وحاملها ، مسارج – مرخرمها عشب من البرونز مصر في العصور الوسطى – محفوظة بالمتحف الفني .

١٢٨ العصور الوسطى – محفوظة بمتحف الفن الاسلامي .

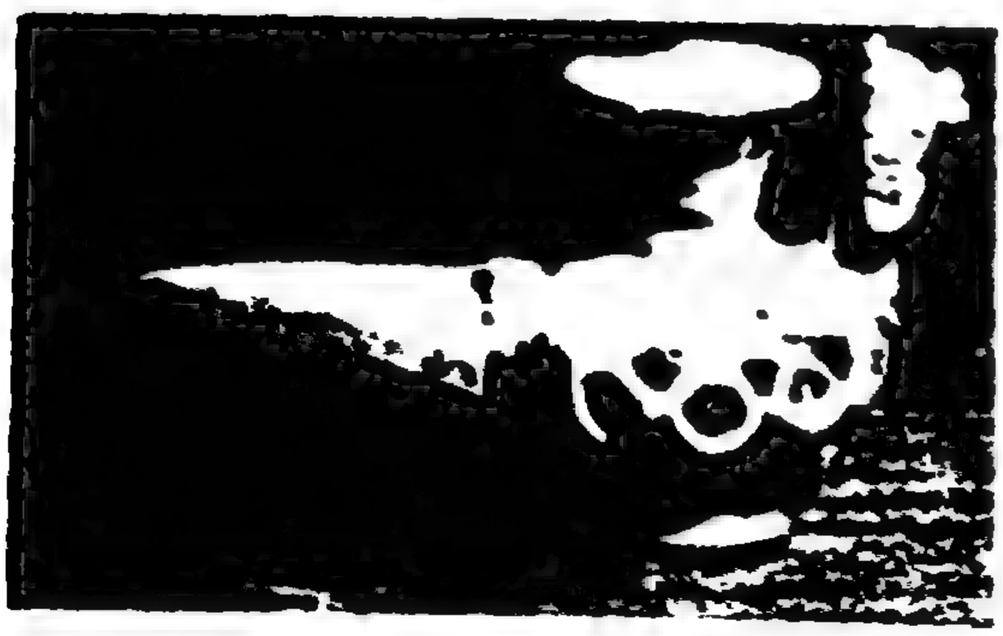

١٢٧ – مسارج خزفية وفخارية بأشكال مختلفة – ترجع الى مصر عسس

لوحة (١٣٩) شمعدان من النحاس المزخرف بالتخريم – مصر في عصر المماليك – محفوظ بالمتحف القبطي .

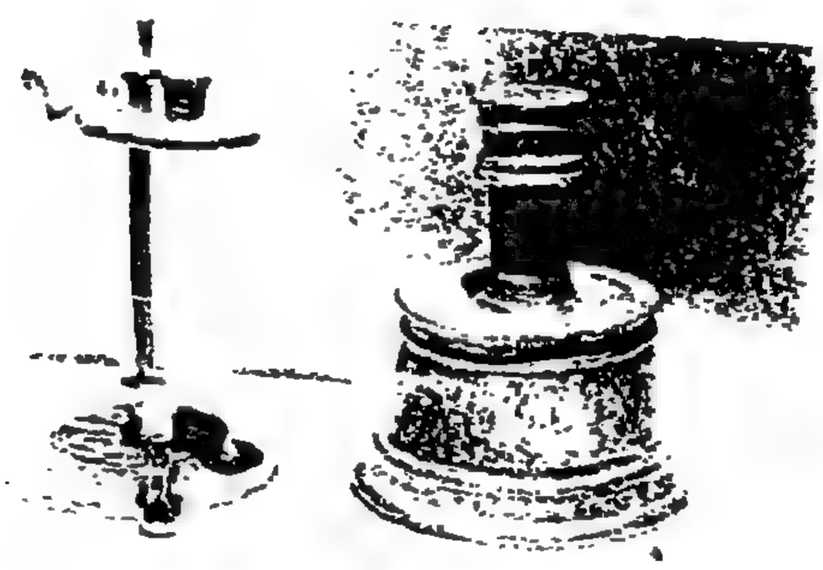

لوحة (١٤٠) شمعدان من النحاس يحمل زخارف منفذة بالحفر – يرجع إلى مصر في عصر المماليك – محفوظ بمتحف أندرسون برقم ٢٨٤ ، شمعدان أو حامل سراج (منارة) من النحاس يرجع إلى مصر في القرن ١٠هـ/١٦م محفوظ بمتحف أندرسون – ينشر لأول مرة .

١٤٣ جزء من مشط من الخشب (من النوع المزدوج) بالجزء الأوسط منه زخارف هندسية منفذة بالتخريم – مصر ق ٨/٧ هـ – ١٤/١٣ م – محفوظ بمتحف كلية الآثار – ينشر لأول مرة .

١٤١ يدن الشمعدان رقم ٢٨٤ يحمل شريط كتابي بخط الثلث المملوكي باسم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون .

١٤٢ تربة (شبور) من النحاس – مصر في عصر المماليك – محفوظ بمتحف الفن الإسلامي .

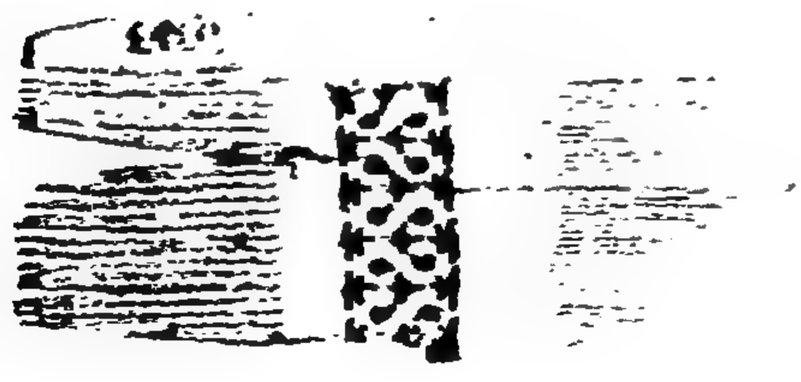

١٤٤ جزء من مشط من الخشب (من النوع المزدوج) بالجزء الأوسط منه زخارف منفذة بالتخريم – مصر ق ٨/٧ هـ – ١٣ – ١٤ م – محفوظ بالمتحف القبطي برقم ٤٩٤٥ – ينشر لأول مرة .

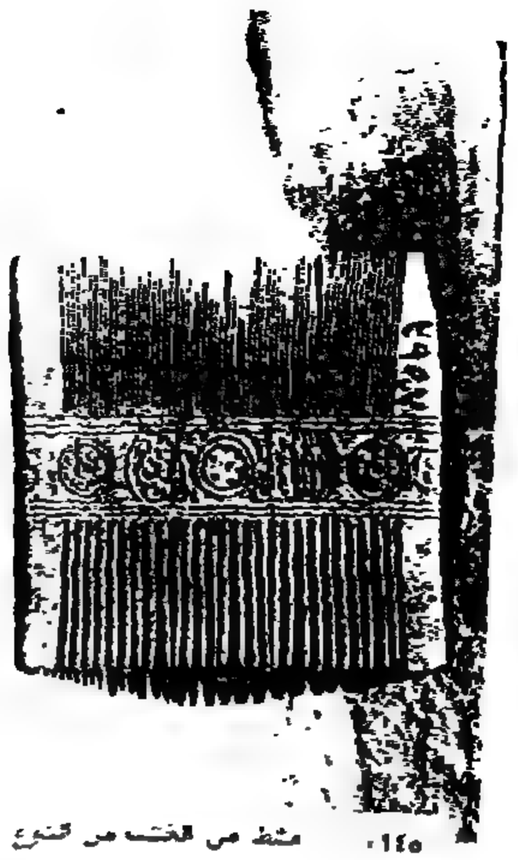

١٤٥ مشط من الخشب من النوع المزدوج يزخرف الجزء الأوسط منه زخارف هندسية منفذة بالتحريم بالإضافة إلى كتابة شبحية منها "السر الرفيع" وذلك بكلا وجهيه – مصر عصر المماليك – محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ٣٩٥٧ .

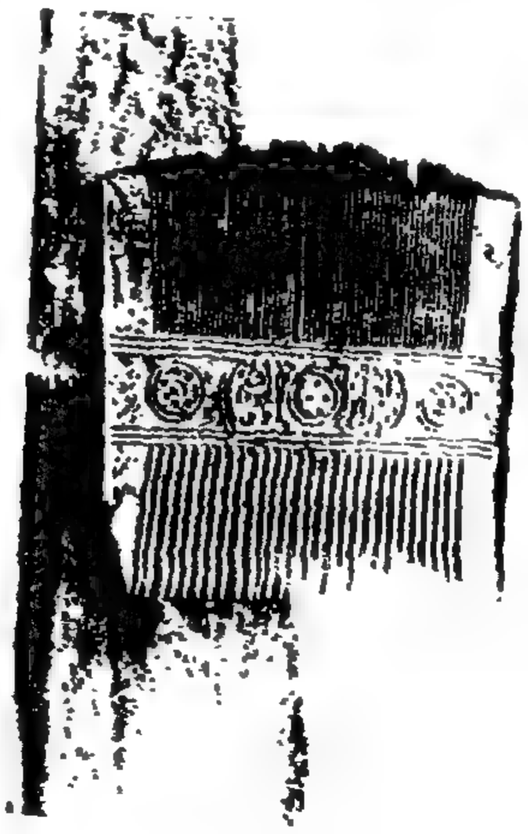

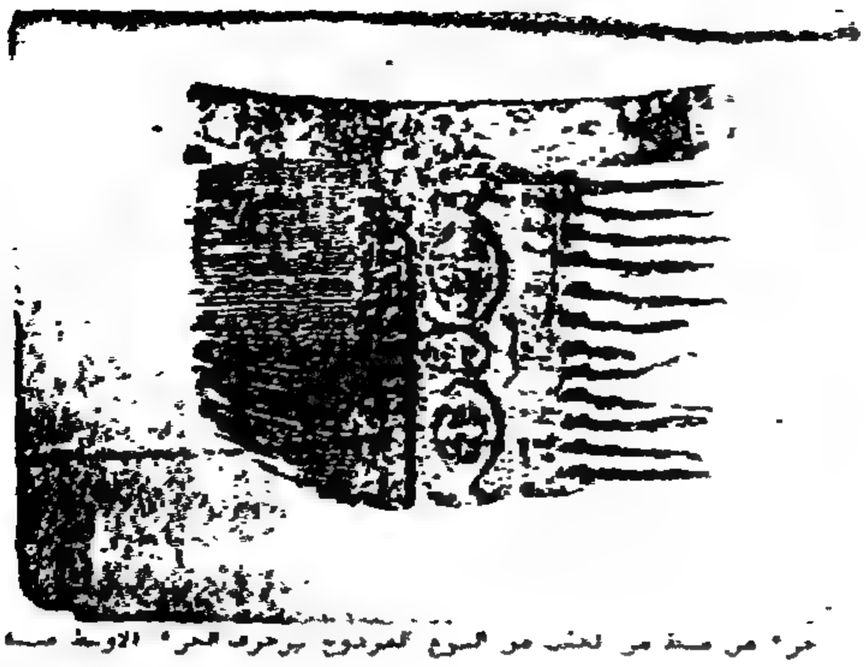

١٤٧ جزء من مشط من الخشب من النوع المزدوج يزخرف الجزء الأوسط منه شكل معكسر في وضع أفقي بينهما سمكة رأسية . و ٨ هـ/ ١٤ م محفوظ بحجرة الأوسمة بباريس – عن :

Bad Al-Hazia, A.: Les peignes Fayetiers dans l'art de l'Islam, Syria, XXIX (1952).

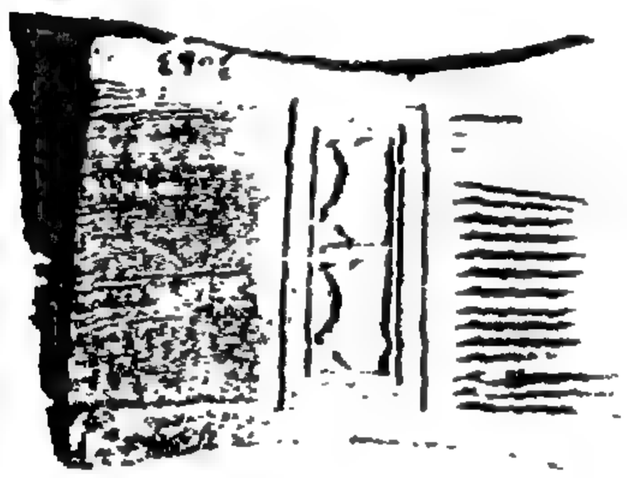

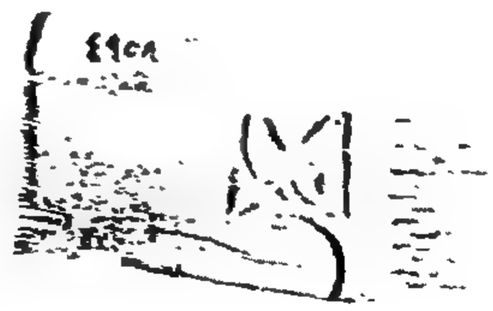

١٤٨ مشط من الخشب من النوع المزدوج يزخرف الجزء الأوسط منه معكسر مصر عصر المماليك – محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ٤٩٥٤ – ينشر ٤٠ مرة .

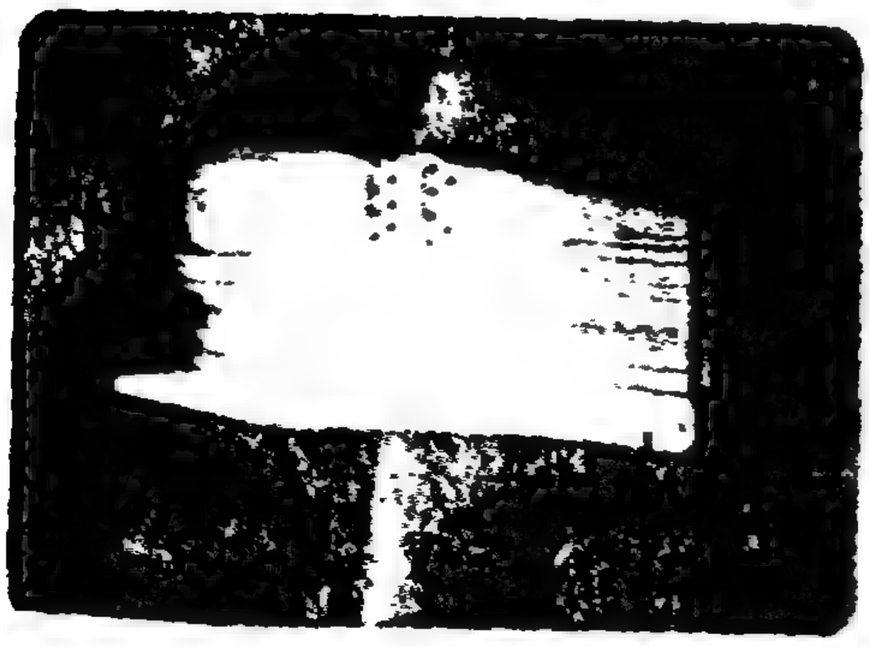

١٥٠ جزء من مشط من الخشب – يزخرف الجزء الأوسط منه داولمر محرفة . التي تكل شبه بحصن من ٤ زوايا – مصر من العصور الوسطى – محفوظ بمتحف كلية الآثار برقم ٣٧٤ .

جزء من مشط من الخشب من النوع المزدوج يزخرف الجزء الأوسط منه شكل طائرين – مصر عصر المماليك – محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ٤٩٥٨ .

١٥١ مشط من الخشب من النوع المردوج يزخرف الجزء الأوسط منه رنـــــك زهرة الزنبق ـ مصر عصر المماليك محفوظ بمتحف الفن الاسلامى .

١٥٣ مجموعة من الأمشاط الخشبية بعضها من النوع المردوج والأخـــــرى ذات أسنان من جهة واحدة يضم بعضها زخارف هندسية وكتابـــــية ونباتية ـ مصر عصر المماليك ـ محفوظ بالمتحف القبطـــــى ـ تنشر لاول مرة .

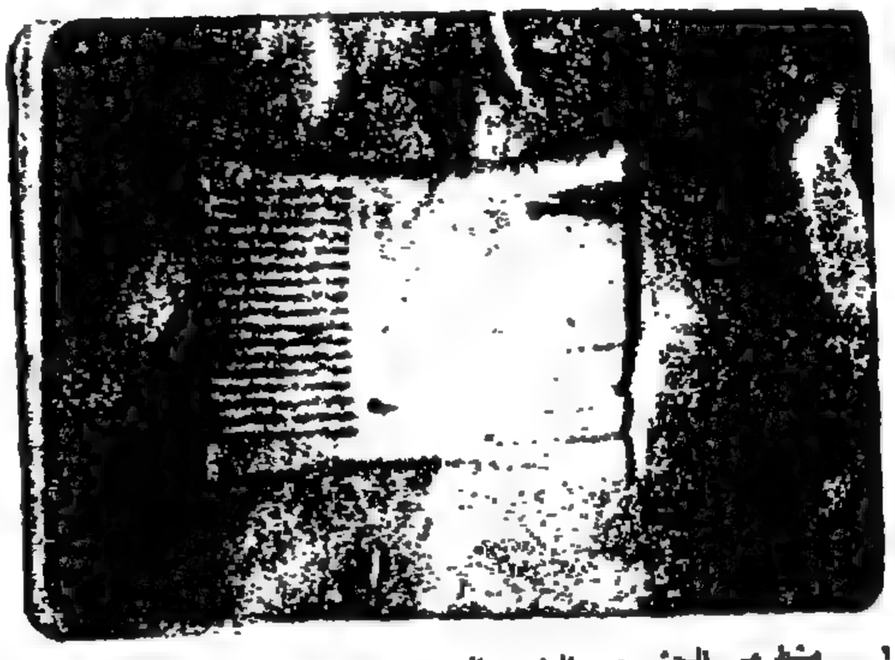

١٥٢ مشط من الخشب من النوع المردوج ـ مصر ق ٧ هـ / ١٣ م بمتحـــــف كلية الآثار ـ ينشر لأول مرة .

١٥٤ جزء من مشط خشبى (مردوج) ـ مصر ق ٧ هـ / ١٣ م بمتحف كليـــــة الآثار ـ ينشر لأول مرة .

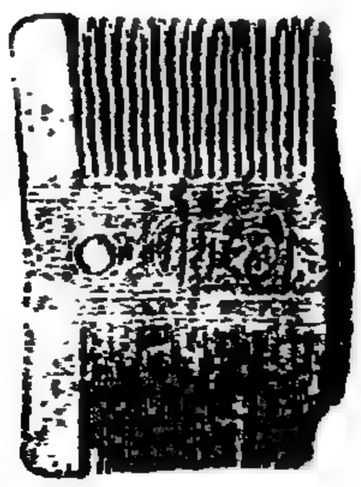

لوحة (١٥٥ ـ ١٥٦) جزء من مشط خشبى (مزدوج) يضم الجزء الأوسط منه زخارف منها رنك ـ مصر عصر المماليك ـ بمتحف الفن الإسلامى برقم ٤٩٢٤ ـ وينشر لأول مرة .
لوحة (١٥٦) الوجه الثانى

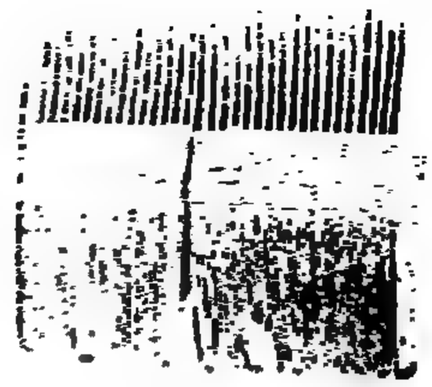

لوحة (١٥٧ – ١٥٨) مشط خشب مزدوج يضم الجزء الأوسط منها زخارف منها رتلة الشطب – مصر ق٨هـ/١٤م – محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ٤٩٢٨-مقاسه٨,٢ سم×٧,٢سم – ينشر لأول مرة .

لوحة (١٥٨) الوجه الثاني

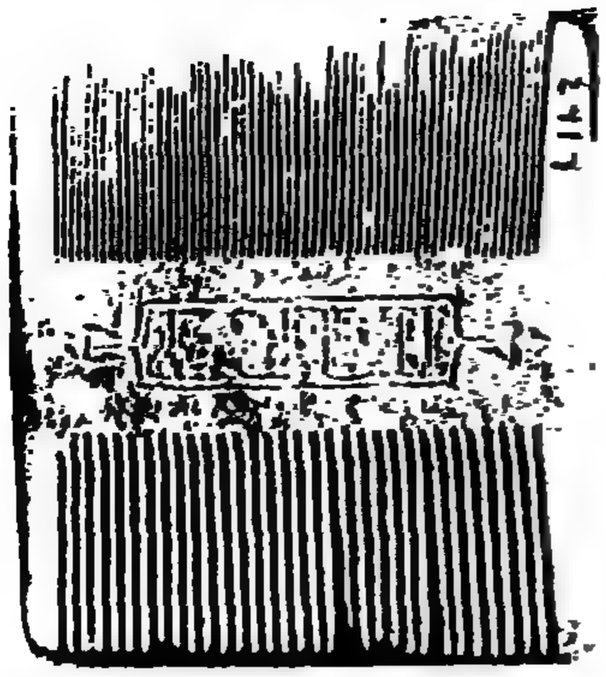

لوحة (١٥٩ – ١٦٠) مشط خشب مزدوج يضم الجزء الأوسط منه كتابة نسخية بالوجه الأول (أما مشط عملت للتسريح) وبالوجه الثاني (لا أسرح إلا الله ملوح) – مصر ق٨هـ/١٤م – محفوظ بمتحف الفن الإسلامي – برقم ٤٩١٩ – ينشر لأول مرة .

لوحة (١٦٠) الوجه الثاني

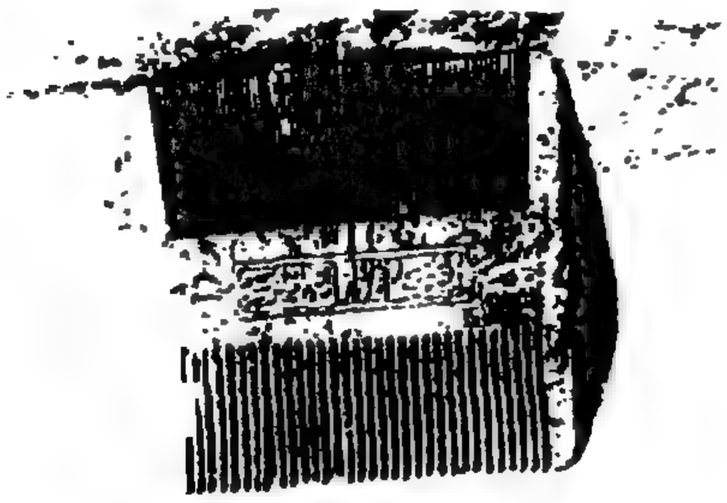

لوحة (١٦١ – ١٦٢) مشط للشعر مزدوج بمفصلات من الخشب مصر ق٩هـ/١٥م – محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ١/٧٠٩٠ .

لوحة (١٦٢) الوجه الثاني

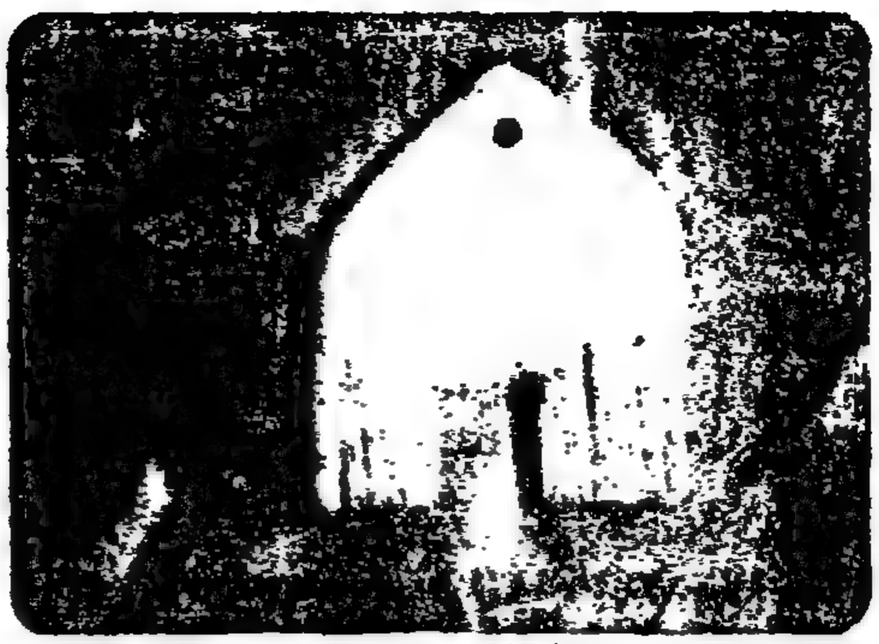

١٦٤ مشط كسابقه بمتحف كلية الآثار - جامعة القاهرة برقم وهما يرجعان الى مصر فى عصر المماليك .

١٦٣ مشط بأسنان من جهة واحدة وبه ثقب يعلق به ربما لتعلقه المرأة فى رقبتها أو فى الحائط بمتحف الفن الاسلامى

١٦٦ مكحلة زجاجية ذات بدن بيضاوى - مصر فى العصور الوسطى - مجموعة د. هنرى عوض .

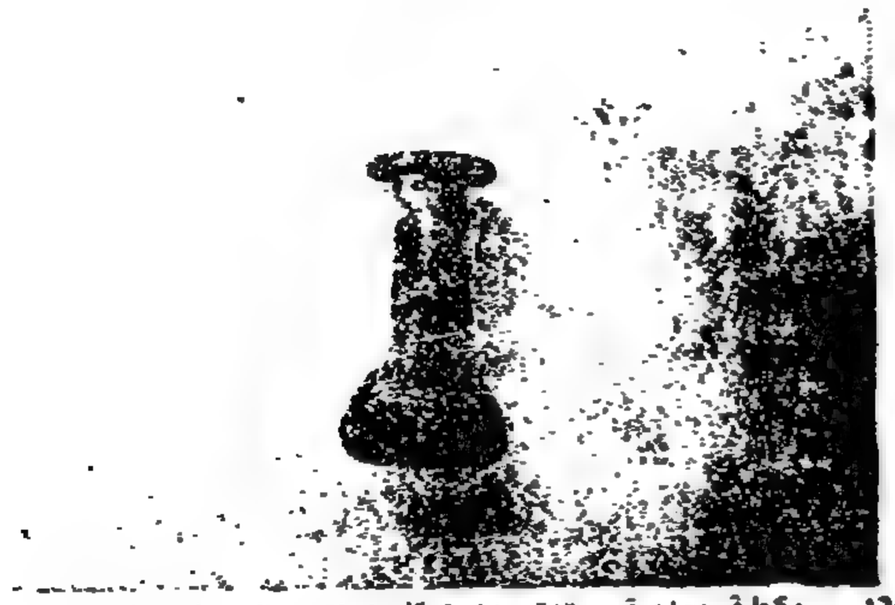

١٦٥ مكحلة زجاجية يستدق بدنها كلما اتجه الى الرقبة - مصر فى العصور الوسطى - مجموعة د. هنرى أمين عوض .

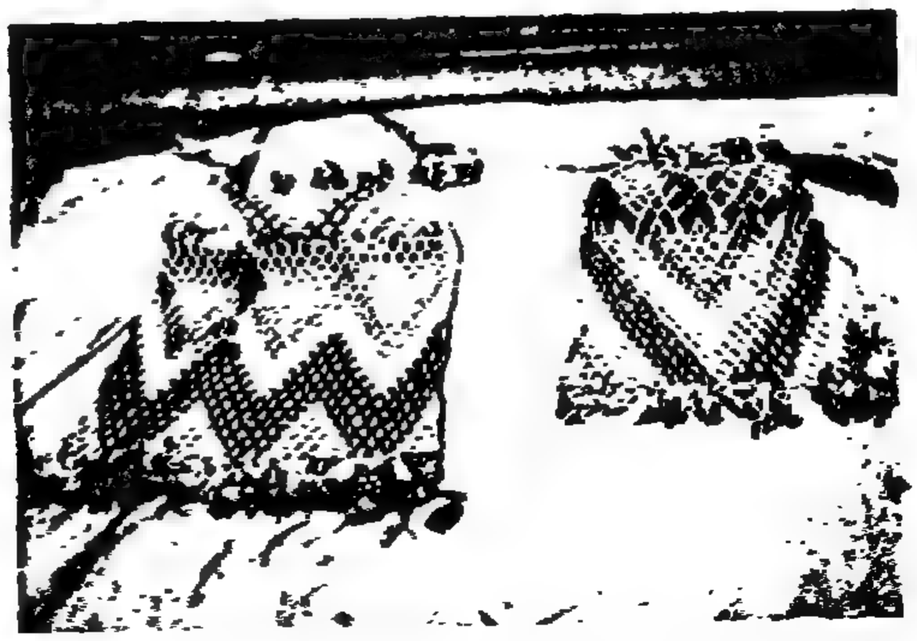

١٦٨ مكاحل زجاجية بداخل أكياس من الخرز بالمتحف الجغرافى ق ١٢ - ١٣ هـ / ١٨ - ١٩ م - تنشر لأول مرة .

١٦٧ ثلاث قسيمات زجاجية صغيرة احداهم بداخلها كحل محفوظة بمتحف الفن الاسلامى برقم ١٤٩٧٥/١٠ والاثنان الآخران للعطر رقم ١٤٩٧٧/٢٨ ، ١٤٩٧٧/١ ترجع الى مصر فى عصر المماليك - تنشر لأول مرة .

١٦٩ آنية من البللور الصخرى لحفظ العطور والأدهان الثمينة – مصر ق ٣ – ٤ هـ / ٩ – ١٠ م – مجموعة د. هنرى عوض – تنشر لأول مرة .

١٧٠ مكحلة من العاج المزخرف بالمطعم – مصر ق ٩ هـ / ١٥ م – محفوظة بمتحف الفن الإسلامى برقم ٤٠٥٠ .

لوحة (١٧٠) مرود خشبى وثلاثة مراود نحاسية الأخير متوج من أعلاه بشكل قفص أعلاه طائر – مجموعة د. هنرى عوض – تنشر لأول مرة .

لوحة (١٧٢) مكحلة ومرود من الخشب – مصر ق٧هـ/١٣م – بمتحف الفن الإسلامى برقمى سجل ٦٨٨٢/١١ ، ٢٢٥٩ .

١٧٣ مرآة زجاجية مستديرة الشكل بإطار خشبى مربع بوسطه من أسفل يد خشبية للإمساك بالمرآة وهى أقدم مرآة زجاجية معروفة محفوظة بالمتحف القبطى برقم ٨٧٣٥ .

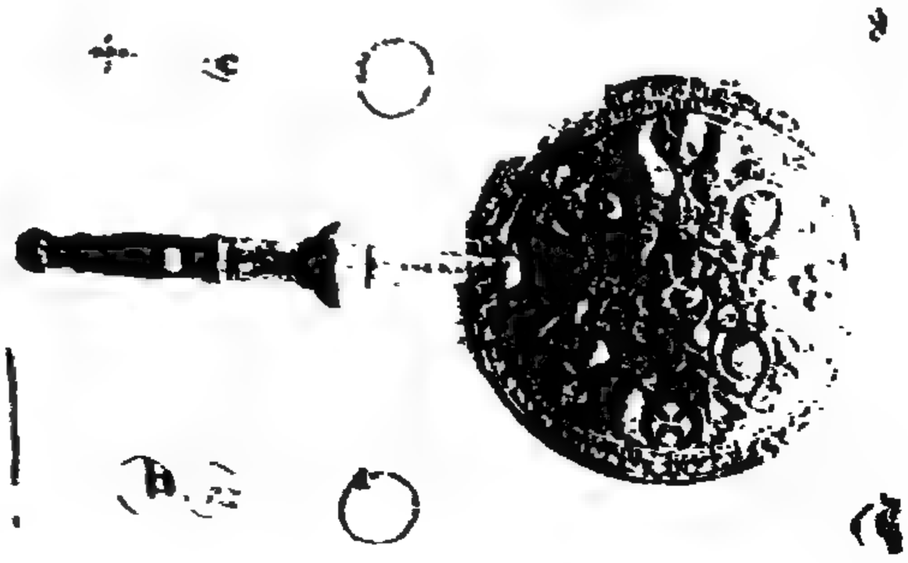

١٧٤ مرآة معدنية بها يد محفوظة بالمتحف القبطى .

١٧٦ مرآة من البرونز (الظهر) ـ مصر ق ٧ هـ / ١٣ م ـ بالمتحف الاسلامي برقم ١٥٢٤٥ .

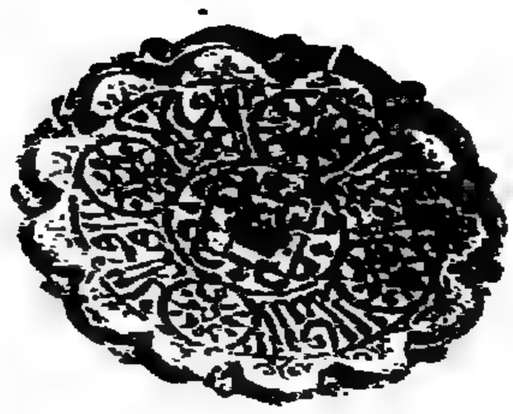

١٧٥ مرآة من البرونز (الظهر) ـ مصر ق ٧ هـ / ١٣ م ـ محفوظة بمتحف الفن الاسلامي برقم ١٥٢٤٩ .

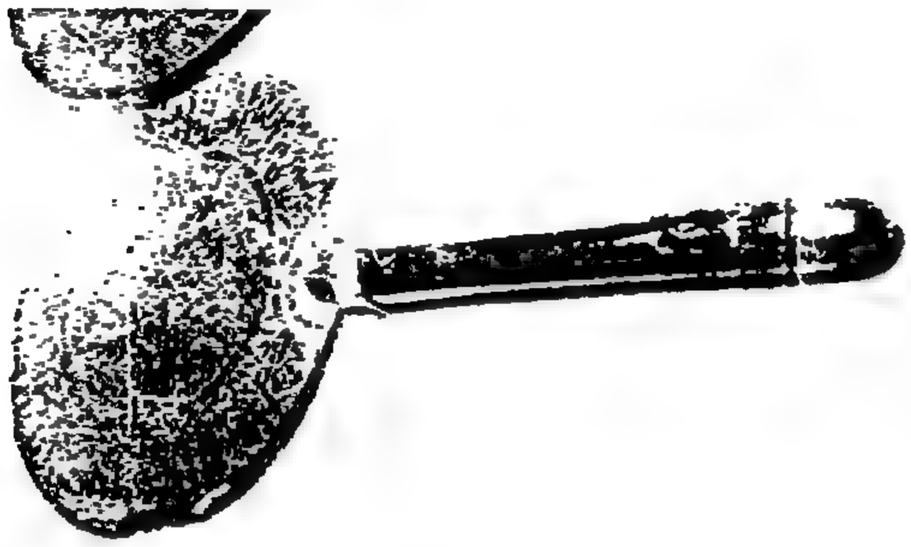

١٧٨ مرآة من البرونز لها يد ـ مصر عصر المماليك ـ بمتحف الفن الاسلامي برقم

١٧٧ مرآة من البرونز لها يد ـ مصر عصر المماليك ـ

١٧٩ قنينتان للعطر ومكيال لتحديد كمية العطر من الزجاج بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة برقم ٢٤٢٣٤ ـ ٢٤٢٣٥ ـ ٢٤٢٣٦ ـ مصر في العصور الوسطى ـ تنشر لأول مرة .

١٨٠ ٣ قنينات للعطر والكحل ومكيال لقياس الزيت العطري من الزجاج بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة بأرقام ٢٤٢٣٩ ـ ٢٤٢١٤ ـ ٢٤٢٣٨ ـ ٢٤٢١٥ ـ مصر ـ العصور الوسطى ـ تنشر لأول مرة .

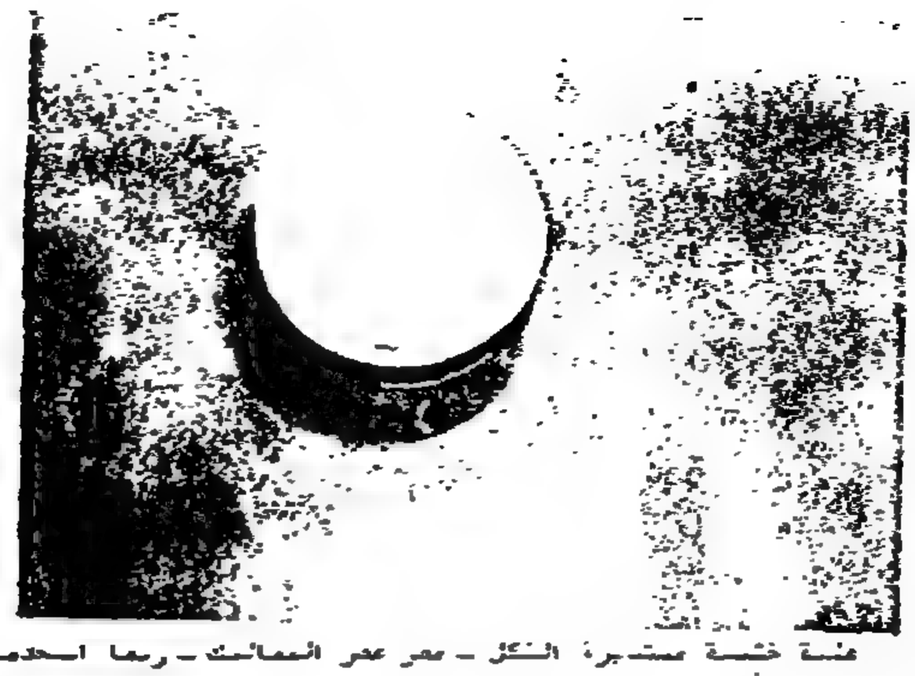

١٨٣ علبة خشبية مستديرة الشكل – مصر عصر المماليك – ربما استخدمت في حفظ بعض أدوات التجميل أو الحلي – بمتحف الفن الإسلامي برقم – تنشر لأول مرة .

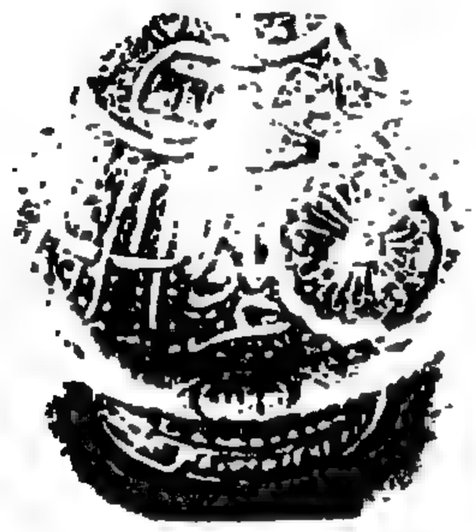

١٨٤ [illegible] – مصر عصر المماليك – [illegible] بمتحف الفن الإسلامي برقم [illegible] – تنشر لأول مرة .

١٨٥ حجر [illegible] – من [illegible] – [illegible] – مرجع إلى مصر في [illegible] – مجموعة د. [illegible] – تنشر لأول مرة .

١٨٦ [illegible] – [illegible] – [illegible] بمتحف الفن الإسلامي برقم [illegible] .

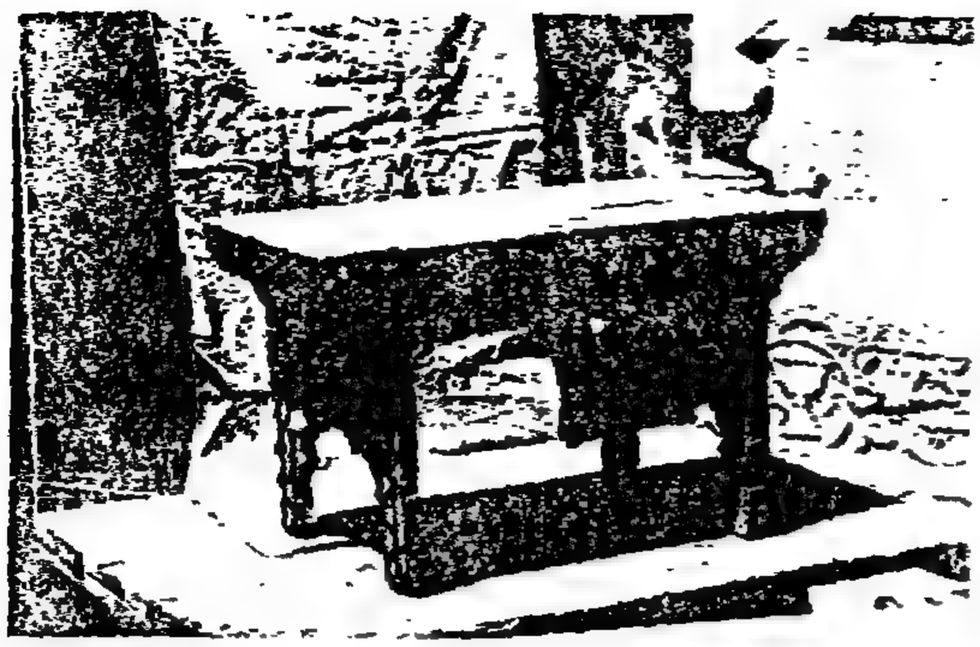

١٨٧ كرسي حمام من الخشب المطعم بالعظم – مصر ق ٩ – ١٠ هـ / ١٥ – ١٦ م – محفوظ بمتحف الفن الإسلامي – يشر لأول مرة .

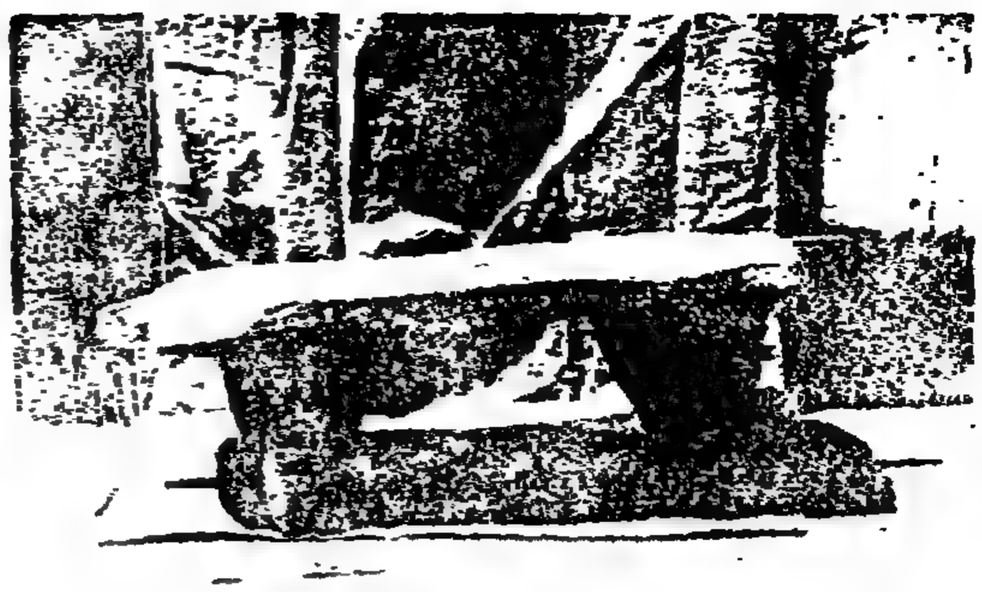

١٨٨ كرسي حمام من الخشب محلل من الزخرف – مصر ق ٨ – ٩ هـ / ١٤ – ١٥ م محفوظ بمتحف الفن الإسلامي – مصر لأول مرة .

لوحة (١٨٩ – ١٩٠) مبخرة من النحاس الأصفر المزخرف بالحفر – مصر عصر المماليك – محفوظة بمتحف الفن الإسلامي – برقم ٤٠٢٤ – تنشر لأول مرة .

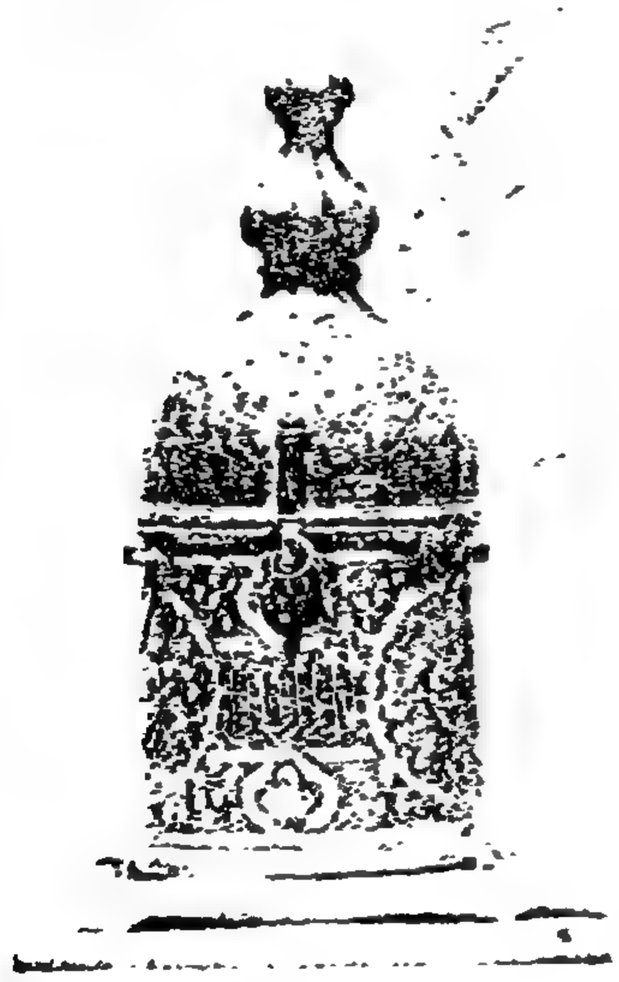

لوحة (١٩١)

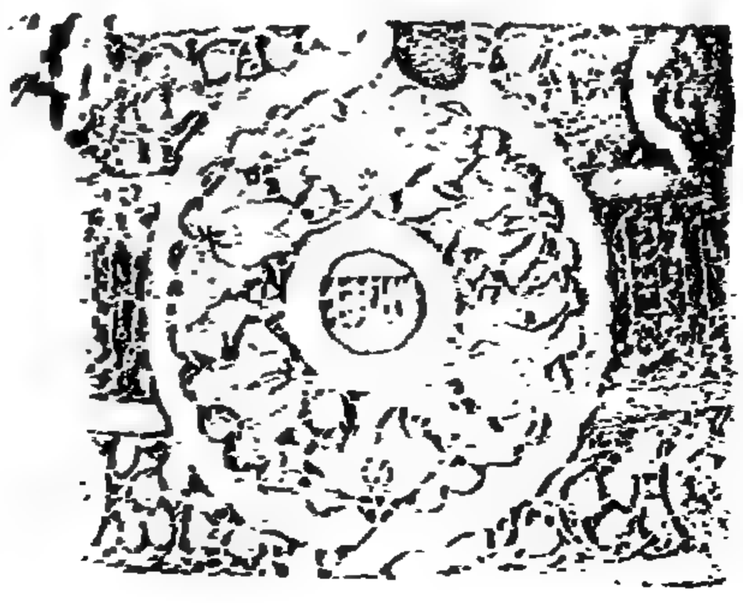

لوحة (١٩٢)

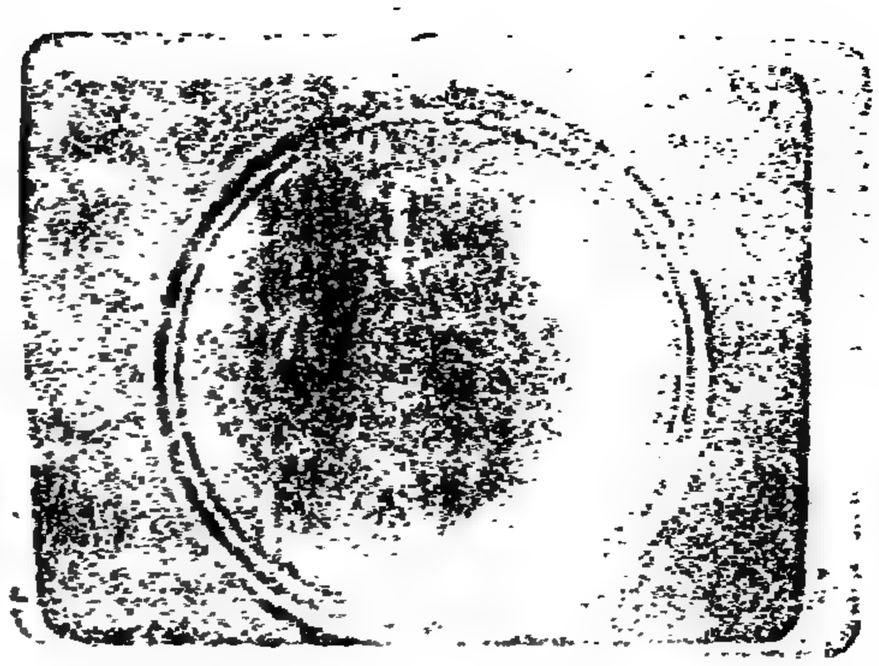

١٩٥ قوصرة الزهريـــــة .

١٩٣ زهرية من البلور المكتب بالبصرة - مصر عصر المماليك - محفوظة بمتحف كلية الآثار برقم ١٤٦٢ .

١٩٦ زهرية من الزجاج المنفوخ بالصنعة - مصر عصر المماليك - [illegible]

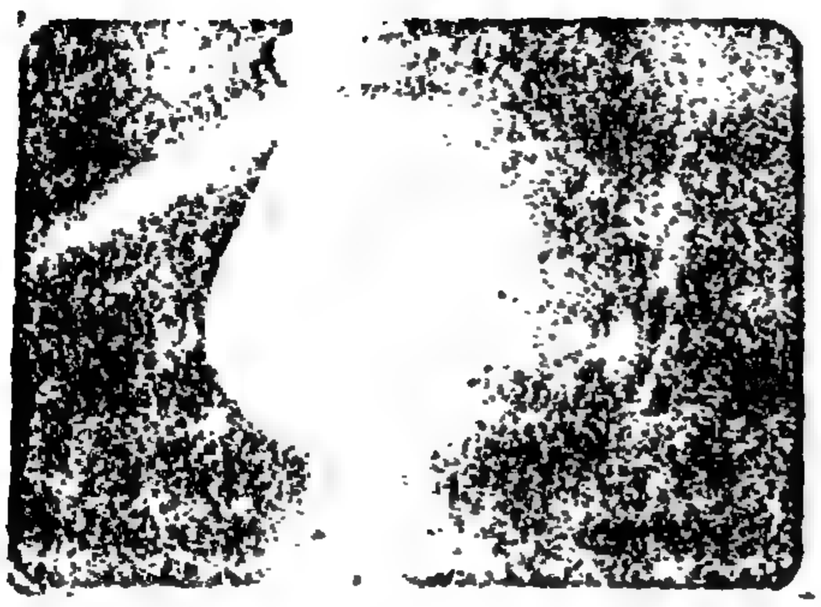

١٩٤ [illegible] الزهريـــــة .

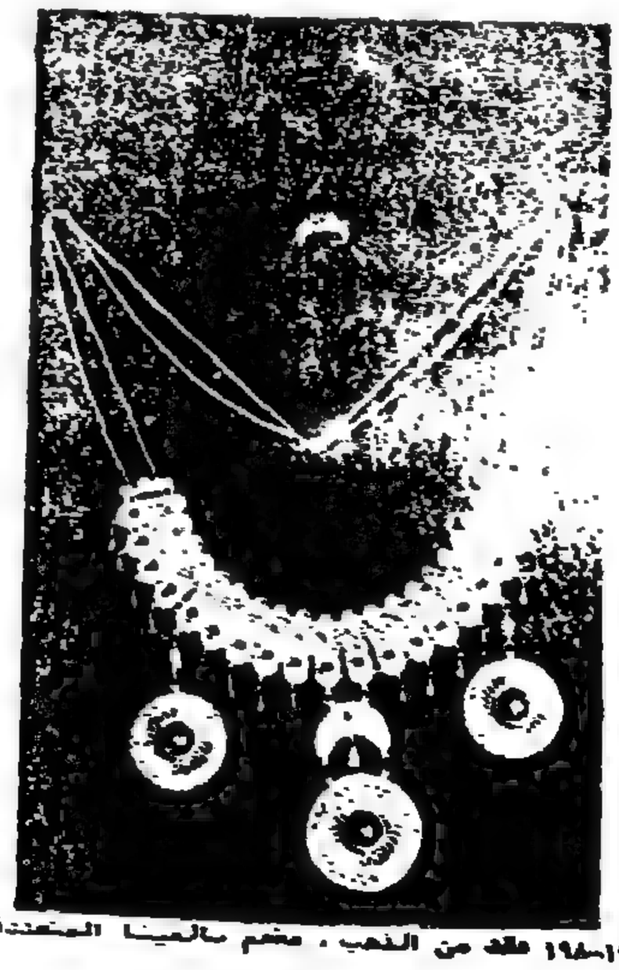

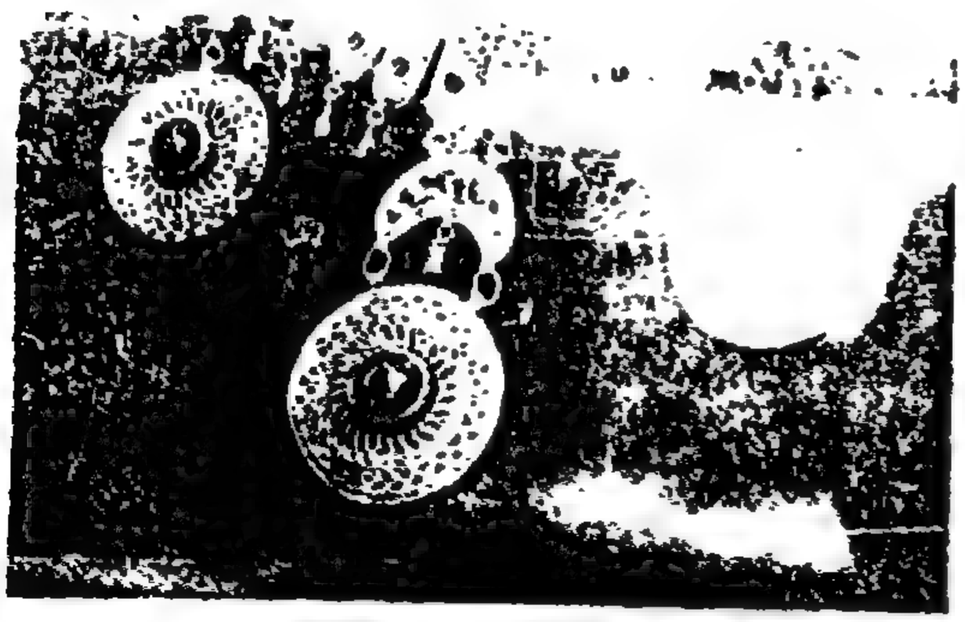

لوحة (١٩٨)

١٩٧-١٩٨ عقد من الذهب ، مطعم بالمينا المتعددة الألوان وبالأحجار الكريمة به حلية على شكل هلال كتب عليها بالمينا البيضاء " عز دائم " محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم سجل ١٤٧٤٩ . أعلى العقد حلية مزخرفة بالمينا ، كتب عليها " عز دائم " بخط النسخ المملوكي تأخذ شكل هلال يبدو أنها كانت جزءاً من قلادة أخرى .

١٩٩ لبنة من الفضة ـ مصر ق ١٠ هـ ١١ هـ / ١٦ ـ ١٧ م ـ محفوظة بمتحف الفن الاسلامي برقم ٧٥٥١ ـ تنشر لأول مرة .

٢٠١ سيدة تتحلى بمجموعة من الحلي ـ عقود من الحرز واسورة وقرط وخاتم بالاضافة الى قطع من الحلي تزين بها شعرها .

٢٠٠ عدد من حرز مختلف الاشكال والالوان ـ من العهد الاسلامي ـ [illegible] ـ محفوظ [illegible] ـ تنشر لأول مرة .

٢٠٢ فتاة تتحلى بقرط شعبي كبير ـ

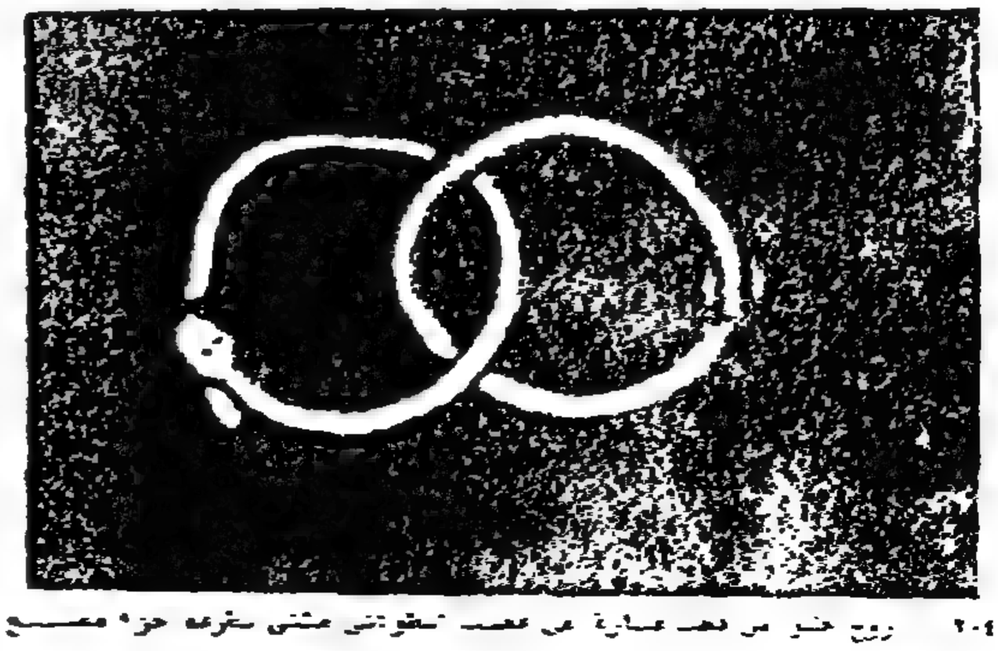

٢٠٤ زوج حلو من ذهب عبارة عن قصب انطوائي مثنى بطرفه جزء مصنع [illegible] مصر [illegible] ـ بمتحف الفن الاسلامي برقم [illegible] ـ تنشر لأول مرة .

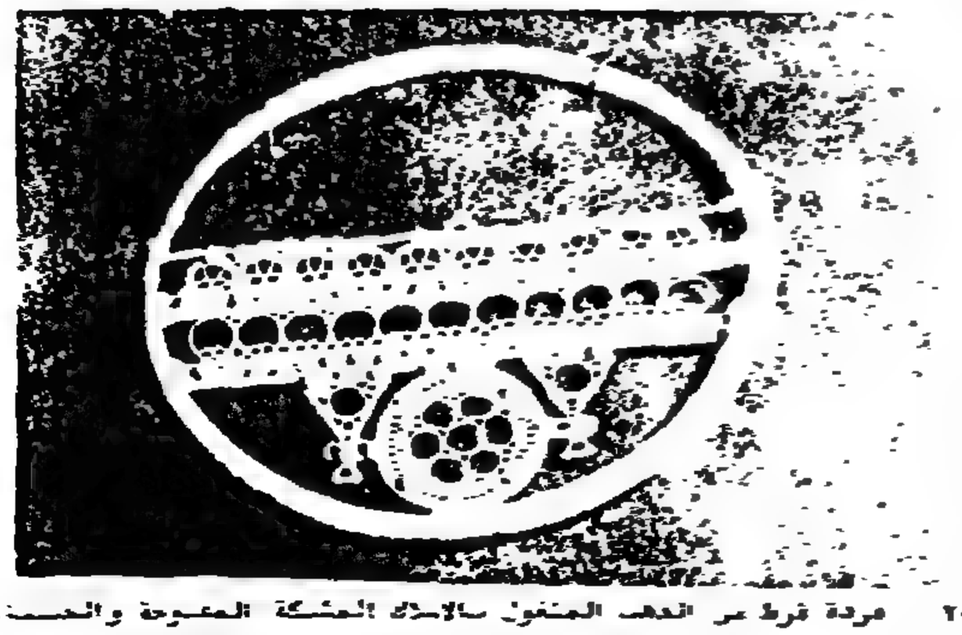

٢٠٣ فردة قرط من الذهب المشغول بالاسلاك المشبكة المفتوحة والحبيبات ـ مصر ق ٨ هـ / ١٤ م محفوظ بمتحف الفن الاسلامي برقم ١٤٩٩/١-٢ .

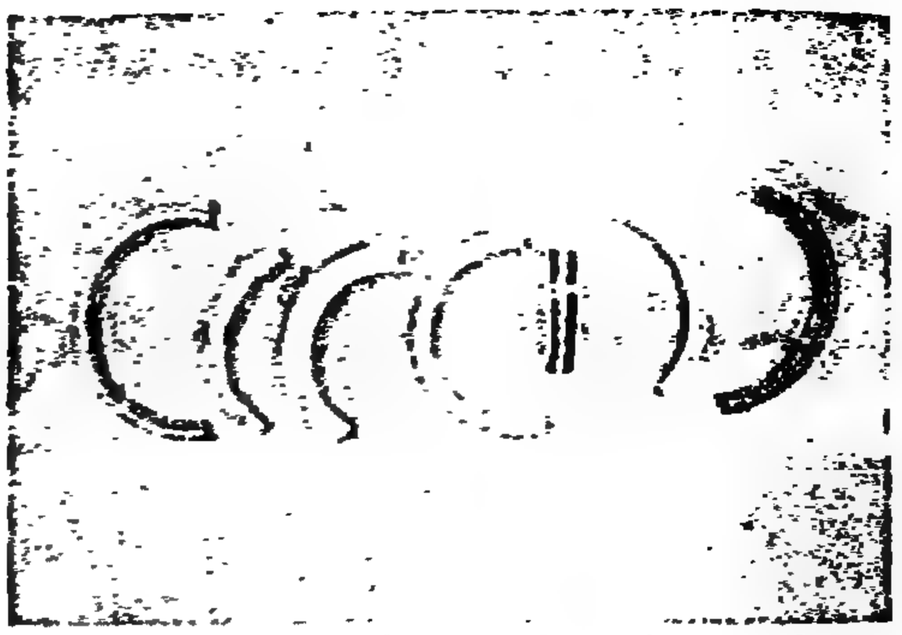

٢٠٥ قطع من غوابش زجاجية متعددة الألوان - الاسكندرية

من عامة السلف والخلجات ا - مصر في العصور المتوسطة - متحف

كلية الآثار - نشر لأول مرة .

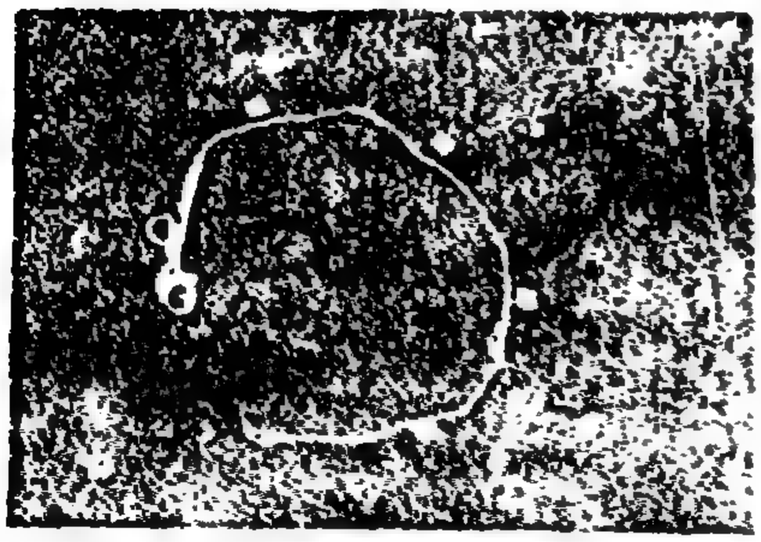

٢١١ فتاة تلبس دملج في كتفها – عن :

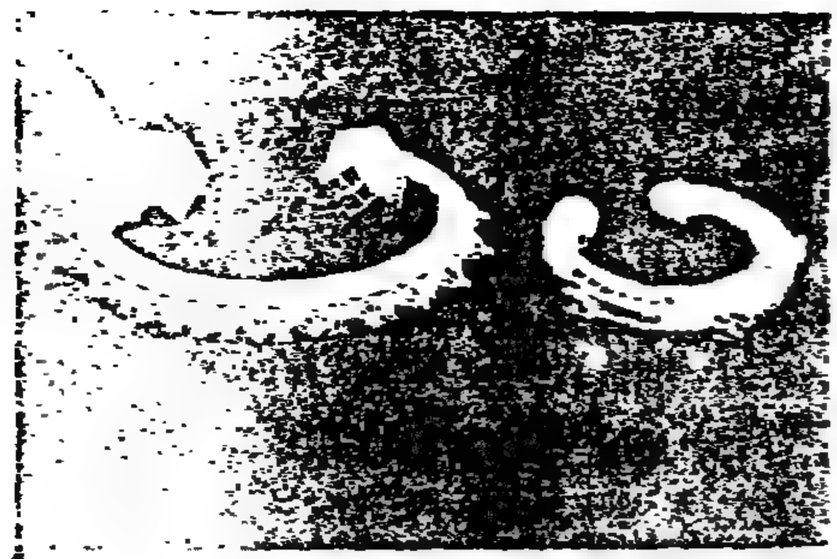

٢١٢ فردتا خلخال من الفضة – مصر ق ١٢ – ١٣ هـ / ١٨ – ١٩ م – محفوظتان بمتحف الفن الإسلامي – تنشر لأول مرة

٢١٣ عروسة ترفع من مخابر مطلية بالفضة وبها ثلاث حلات مسننة – مصر عصر المماليك – محفوظة بمتحف الفن الإسلامي برقم ٧٨٠٦ – تنشر لأول مرة .

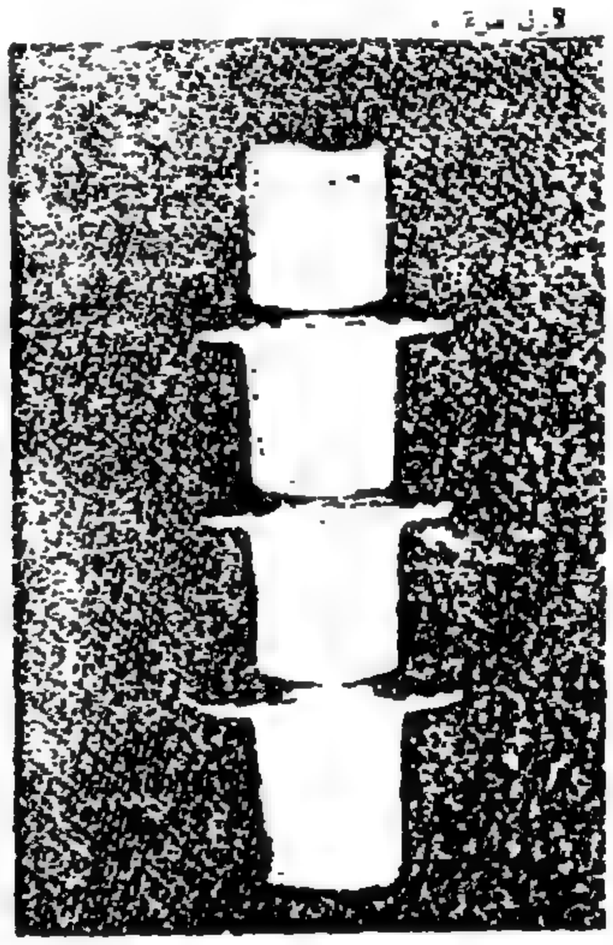

٢١٤ عروستان للترفع – عن :

Jenkins, M. and Keene. M. Islamic Jewelry In the Metropolitan Museum of Art, New York, 1982.

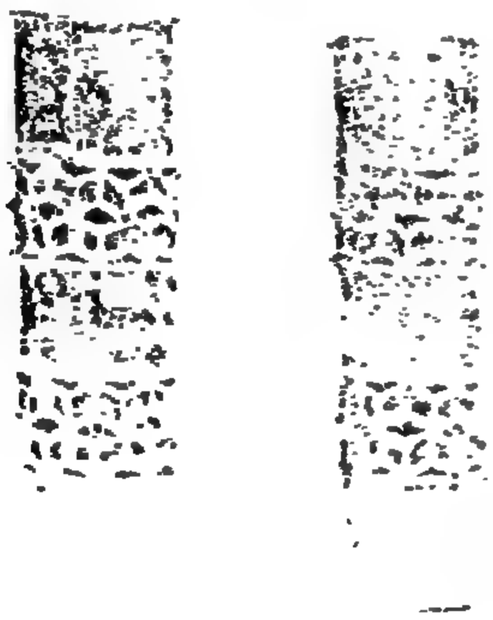

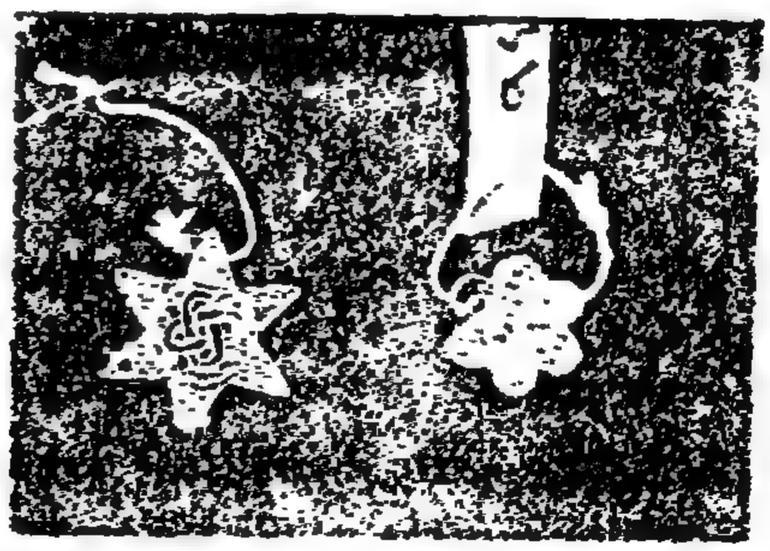

٢١٥ حليتان كل منهما على شكل وردة من ذهب ذات ستة أوراق مكونة من طبقتين متطابقتين تنعقد بخيوط ذهبية وبريشة من وجهتها برقائق هندسية من خيوط ذهبية أيضا مصر ق ٧ – ٨ هـ / ١٣ – ١٤ م – محفوظتان بمتحف الفن الإسلامي برقمي بحق ٩٤٤٦ ، ٩٤٤٨ – تنشر لأول مرة .

٢١٦ حلية رأس محدبة مستديرة من الفضة الصاغية "تبرى" محلاة على قمة طربوش سباكي أحمر اللون مصر ق ١٢ – ١٣ هـ / ١٨ – ١٩ م – محفوظة بمتحف قصر العسل – تنشر لأول مرة .

٢١٧ سيدة تتحلى بالحلي وتتكئ على شكمجة ، عن
[illegible] Op.Cit., T.I. [illegible]

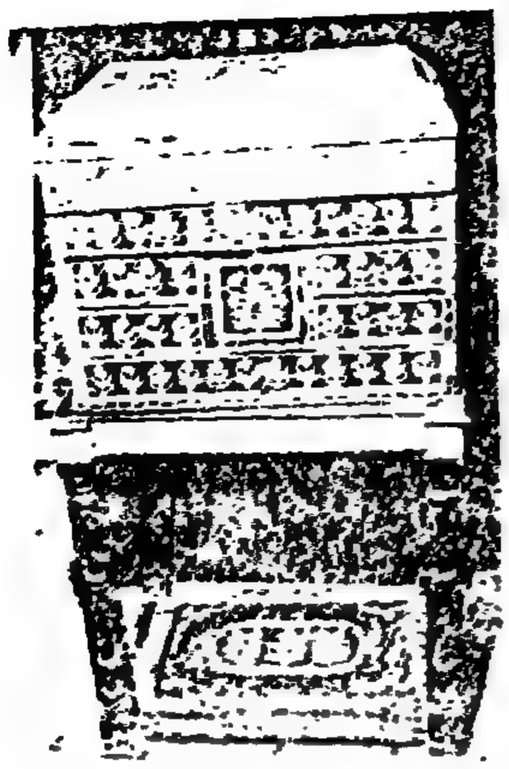

٢١٨ [illegible]

٢٢١ سيدة مصرية بملابس الخروج ق ٩ هـ / ١٥ م عن:
[illegible], A: Die Pilgerfahrt, Cöln, 1860, P. 106.

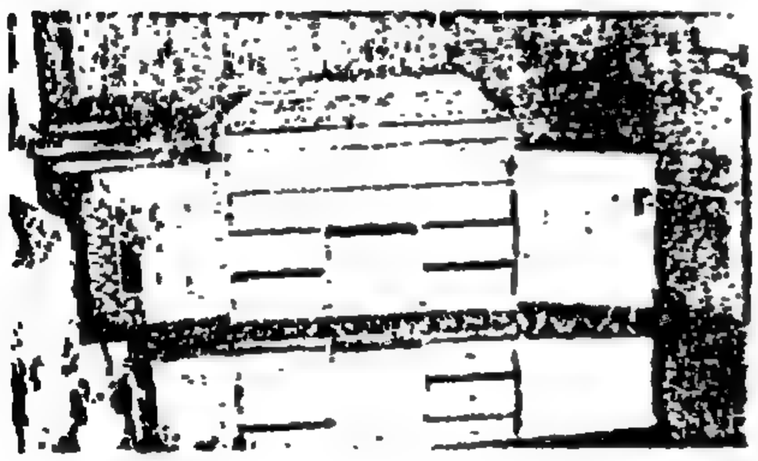

٢١٩ [illegible]

٢٢٢ [illegible]

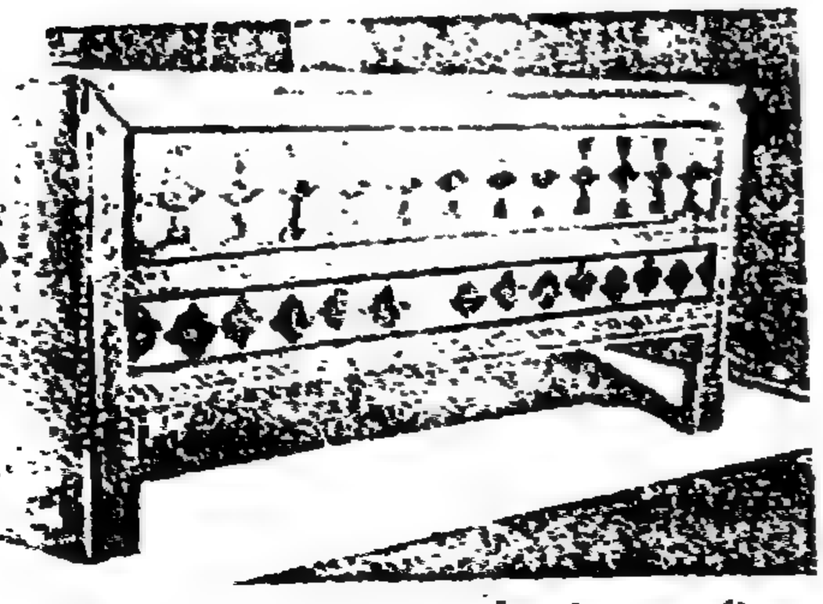

٢٢٠ [illegible]

٢٢٣ سيدة مصرية من عامة الشعب ترتدي السبلة .

Description de L'Egypte , T.2 Pl. 5 LL.

٢٢٤ جرزال سباشي من الحرس الأزرق الصغير عصر أواخر القرن ١٣ هـ/١٩ م

محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ١٣٣٣٣ .

٢٢٧ سيدة بملابس المنزل – تلاحظ أنها ترتدي طربوش بدون لفة ، رأسها وحزام في وسطها وتزين شعرها بالصفا – عن :

Prisse D'Avennes: L'Art Arabe, T.3, Pl. [illegible].

٢٢٥ [illegible] من النحاس له حلقة وبه زخرفة بسيطة طوله ١٤٥ و م ، عرض ١٧٠ر م – مصر عصر المماليك – محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ٥٩١٥ – لم يسبق نشره .

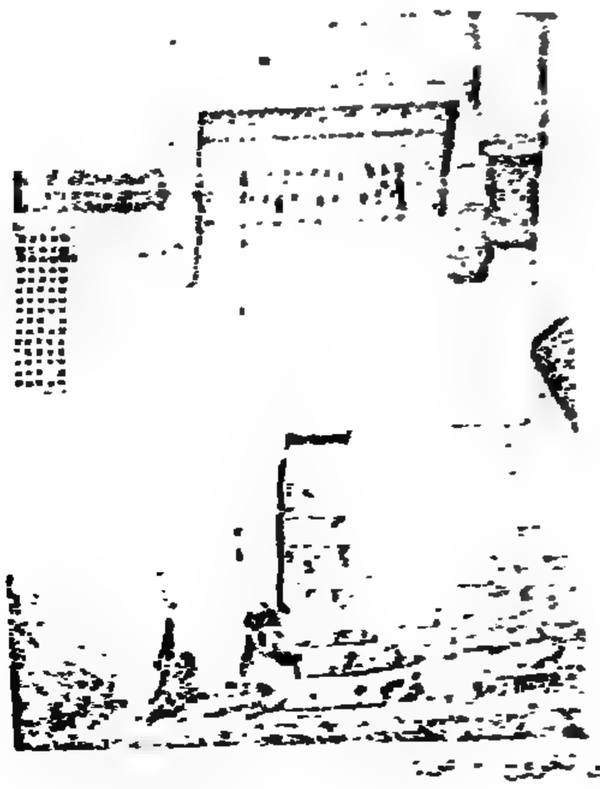

٢٢٦ [illegible] من [illegible] – مصر عصر المماليك – محفوظ بمتحف الفن الإسلامي برقم ٥٠٤١ .

٢٢٧ [illegible] ترتدي [illegible] – عن :

[illegible]

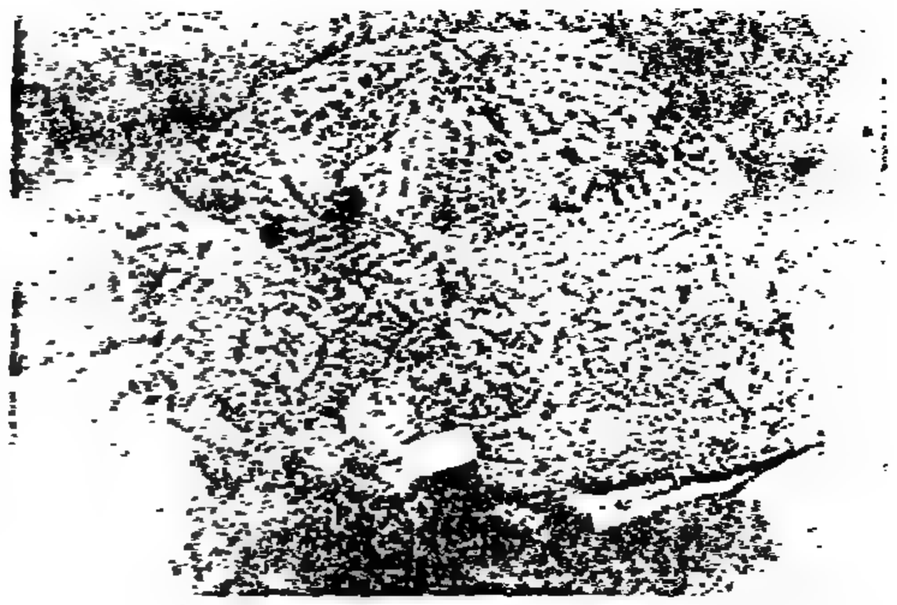

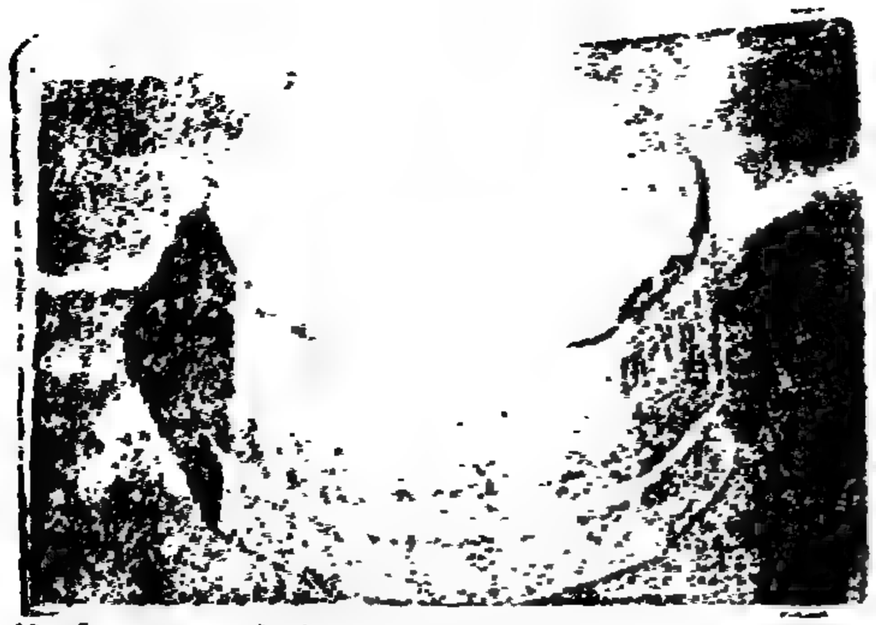

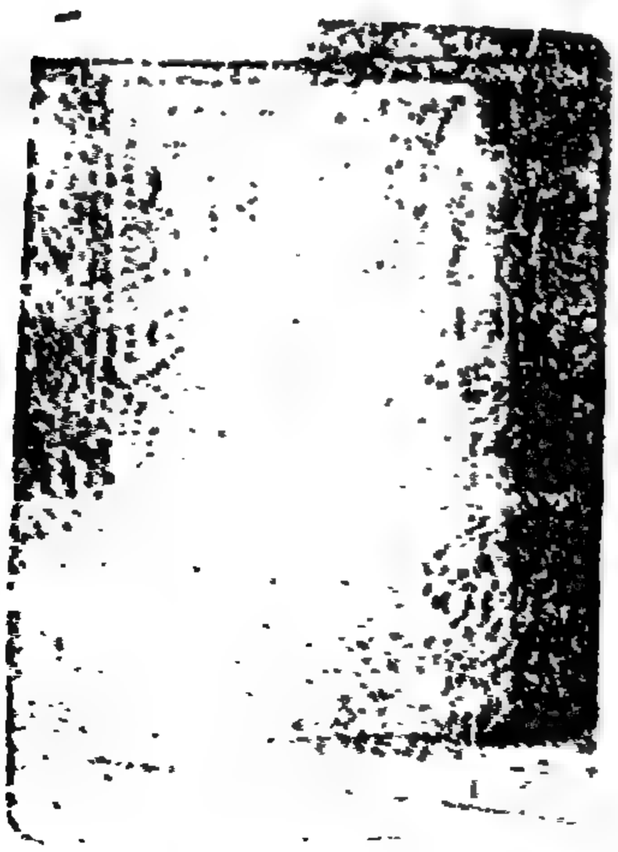

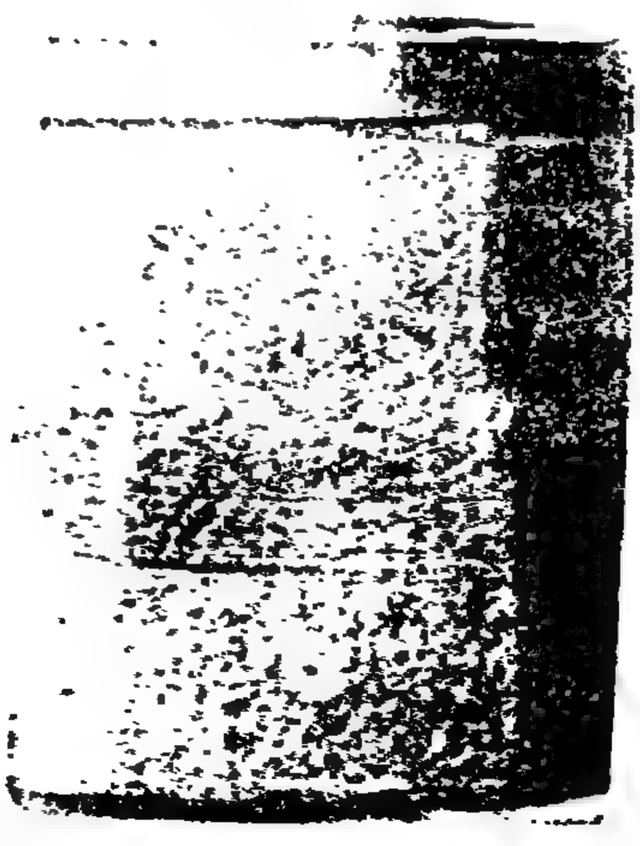

لوحة (٣٣٤)

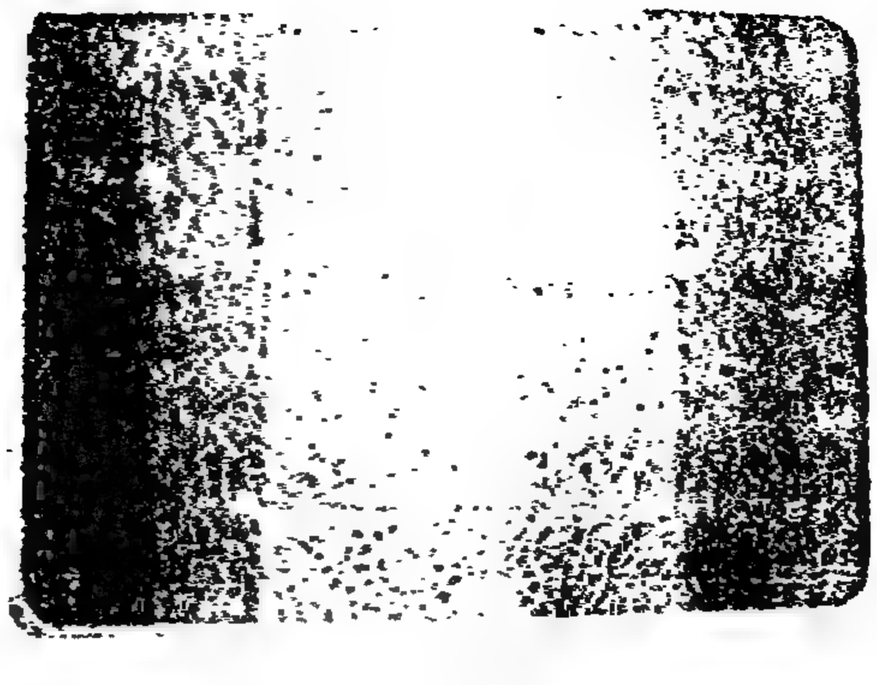

لوحة (٢٣٥)

٢٣٧ سيدة ترتدي عطاء رأس محلي بالقطع الذهبية - مصر ق ١٣ هـ/١٩ م

عن : Thorn: Op.Cit. [illegible]

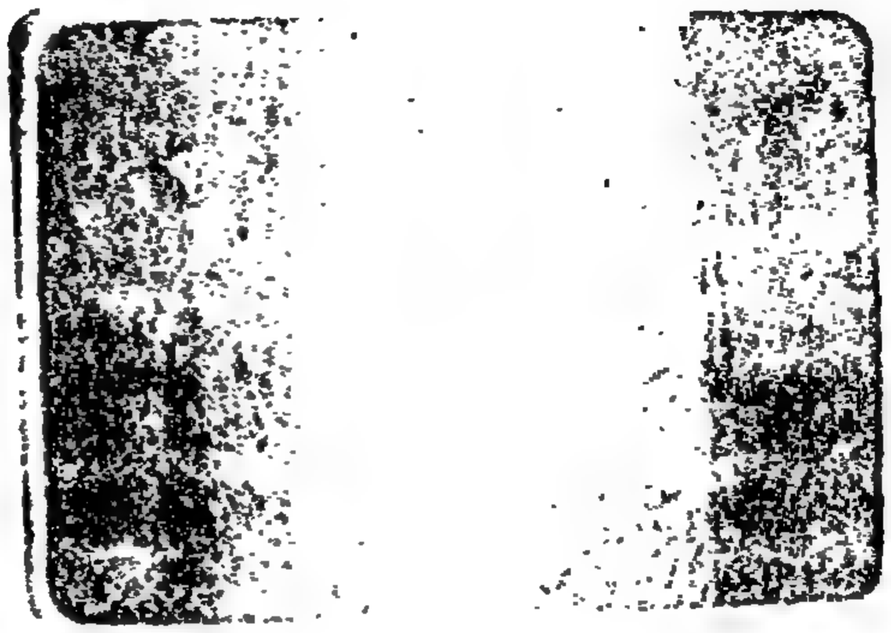

لوحة (٢٣٦)

٢٣٨ صورة توضح سيدتان مصريتان بملابس خروج [illegible]

الرأس المرتفعة - مصر النصف الأول من القرن [illegible]

[illegible]

٢٣٩ سيدة من عامة الشعب بملابس الخروج عن :

Thorn: L'Egypte Du Caire Aphilae, P. 157.

٢٤٠ [illegible] بملابس الخروج عن :

[illegible]

[illegible]
[illegible]

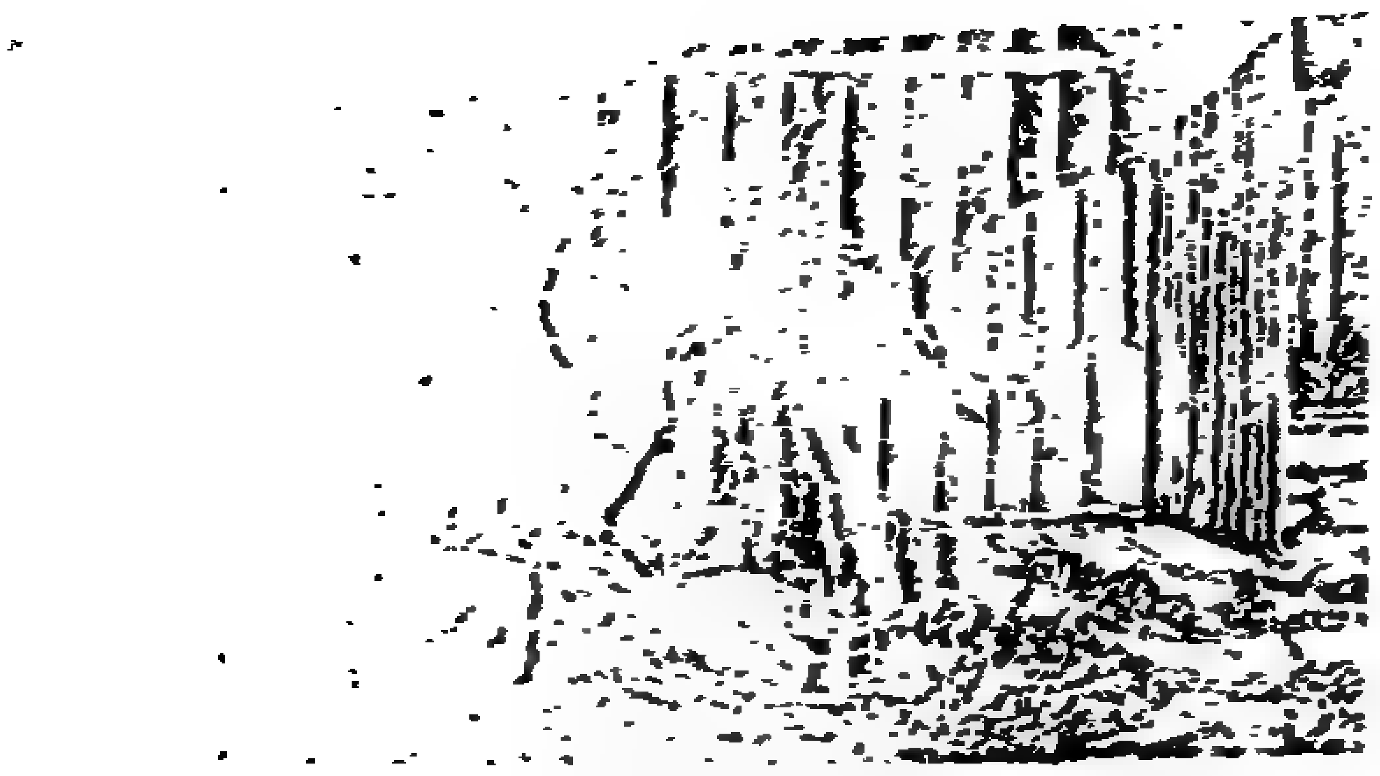

٧٤٣ [illegible]
[illegible] Monuments
[illegible] 1973 [illegible]

[illegible]

[illegible]

٧٤٥ [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

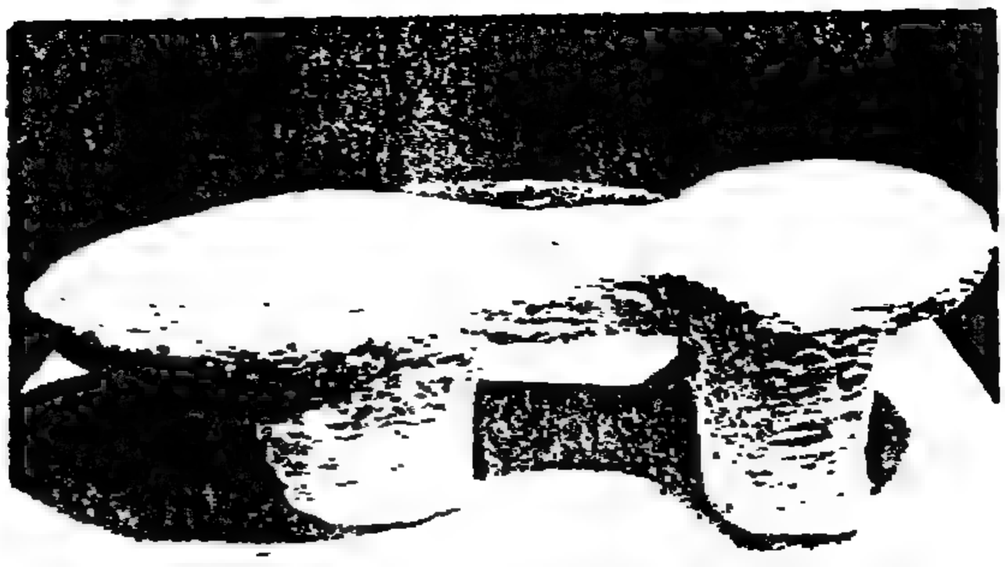

٢٤٧ فرد قشاب من خشب الحمير أو التين - من حفائر الفسطاط - يرجع الى عصر ق ٧ - ٨ هـ / ١٣ - ١٤ م محفوظ بالمتحف الزراعي بالدقي برقم ١٧٣٤ ينشر لاول مرة .

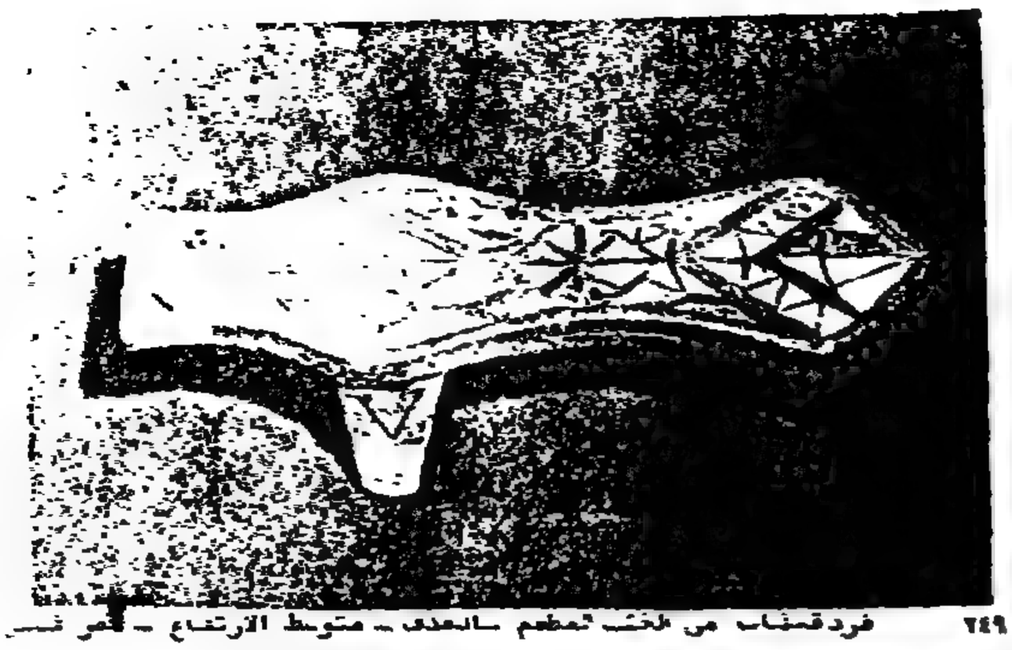

٢٤٩ فرد قشاب من الخشب المطعم بالعدف - متوسط الارتفاع - عصر غير عصر المماليك محفوظ بمتحف كلية الآثار برقم محل ١٥٦٦ ينشر لاول مرة .

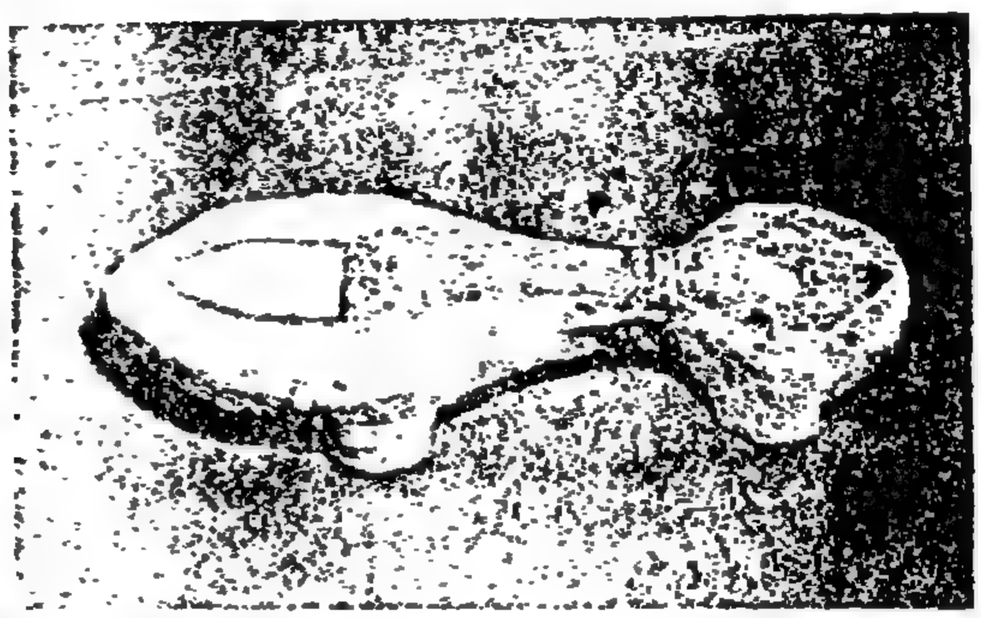

٢٤٨ فرد قشاب قليل الارتفاع - من الخشب المطعم بالعاج - عصر غير معمور الوسطى - محفوظ بمتحف كلية الآثار برقم ١٨٩٥ - ينشر لاول مرة .

٢٥٠ زخارف هندسية على كعب القشاب .

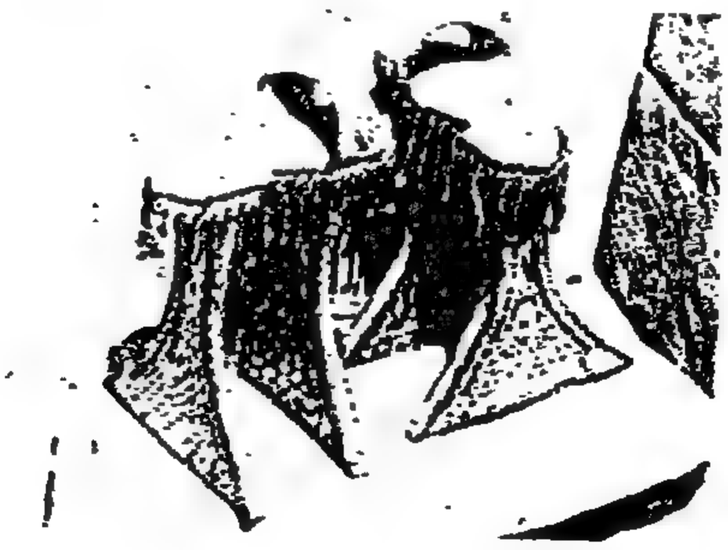

٢٥١ قشاب من الخشب المطعم بالعدف ومكبو بالنحاس وسطح مسطح ملاصق تنتهي بسرق - من النوع المرتفع جدار عصر ق ١٣ - ١٤ هـ / ١٩ - ٢٠ م محفوظ بمتحف الفن الاسلامي برقم ١٤٥١ .

٢٥٢ قشاب مرتفع من الخشب المطعم بالعدف مرفوع من عصر من [illegible] - محفوظ بمتحف [illegible] - ينشر لاول مرة .

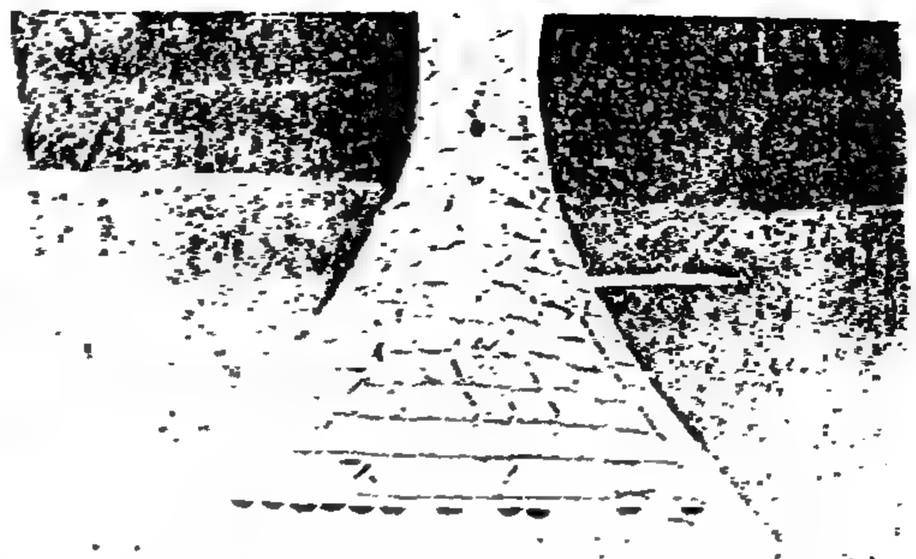

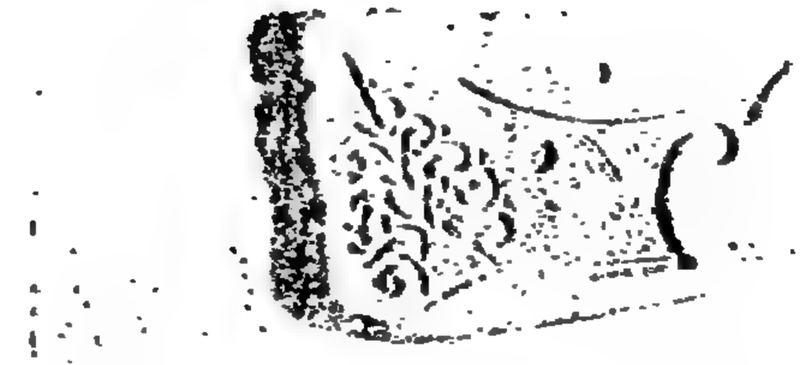

٢٥٩ صناعة الزجاج في مصر القرن الثامن عشر عن :

Description De L'Egypte. Op.Cit., Pl. XX.

٢٦١ صانع [illegible] :

Description De L'Egypte. Op.Cit., Pl. XX.

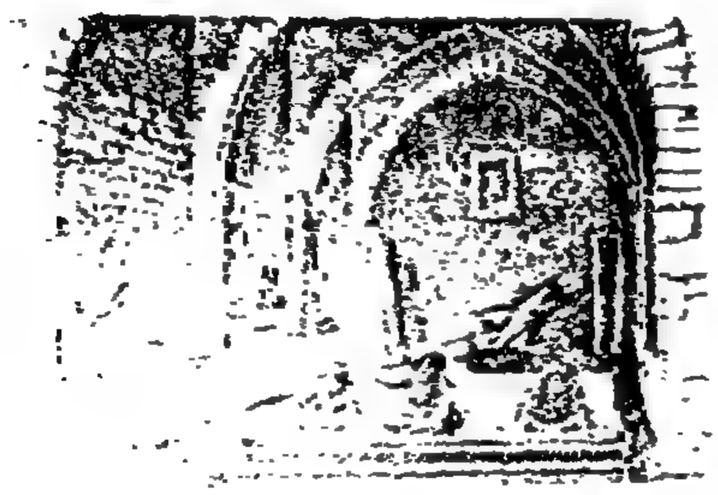

٢٦٠ صناعة الحصير

٢٦٢ صانع [illegible] عن

٢٦٣ سردية تحمل عقد زواج يرجع الى سنة واحد وتسعين للهجرة وهو يعتبر اقدم عقد زواج اسلامي عثر عليه . محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة برقم ٢٥٢٩٥ وهي ضمن مجموعة د. هنري أمين عوض بالمتحف الاسلامي . ينشر لاول مرة .

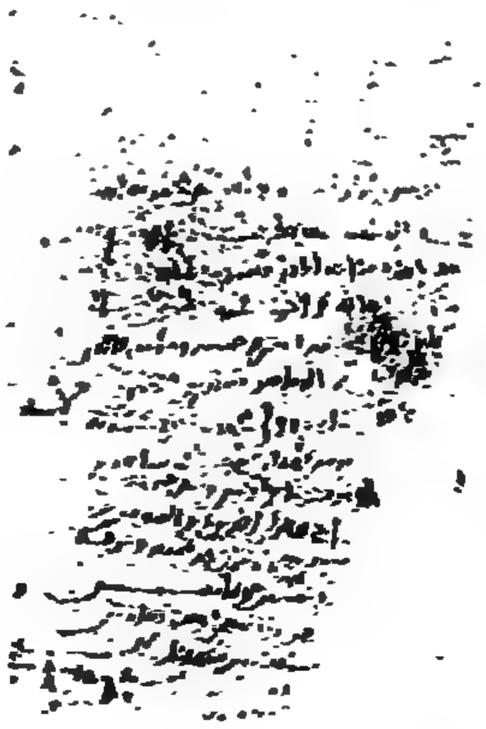

٢٦٤ قطعة سردي مستطيلة الشكل مكتوب عليها عقد زواج [illegible]

Yusuf Ramiz Contrat De Mariage (252-869)

٢٥٢ هـ ، ٨٦٦ م . عن :

Supplément aux Annales Islamologiques Cahiers

[illegible]

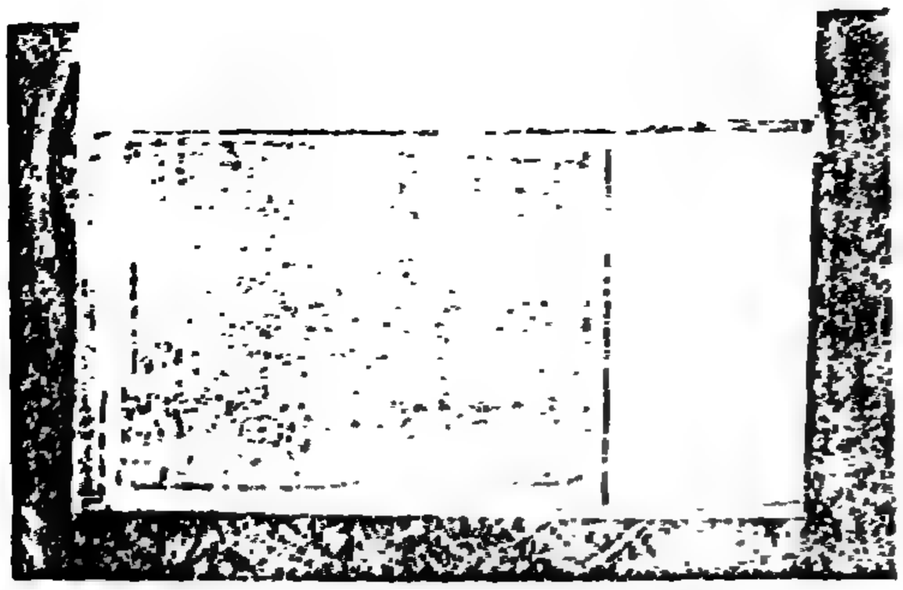

لوحة (٢٦٥)

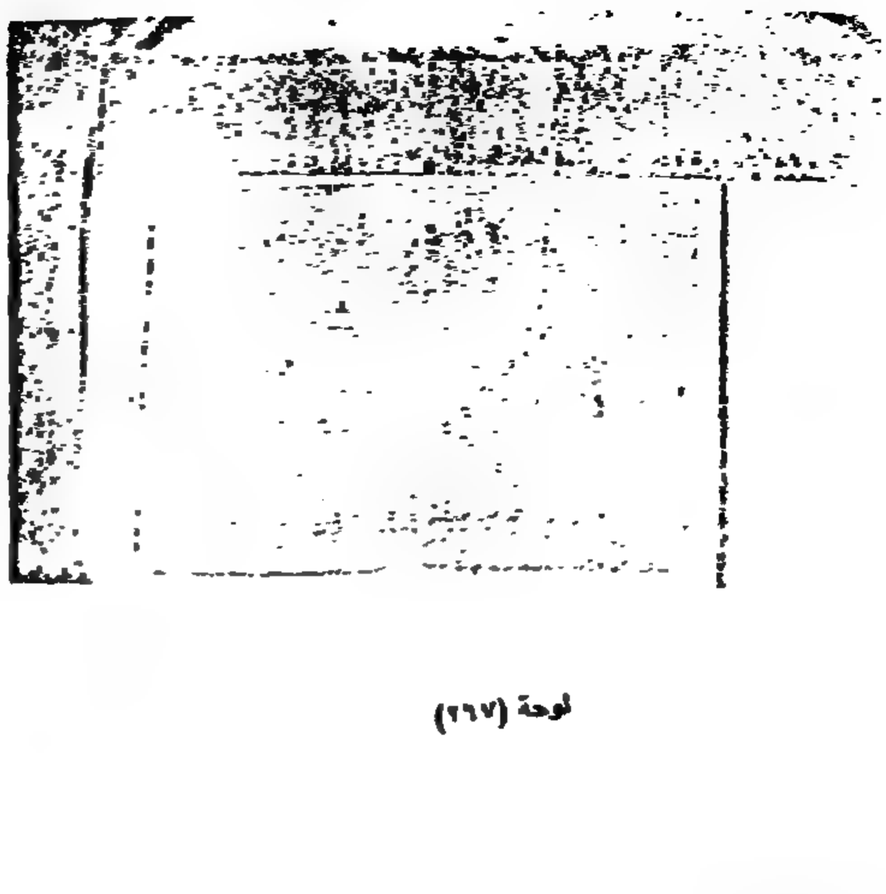

لوحة (٢٦٧)

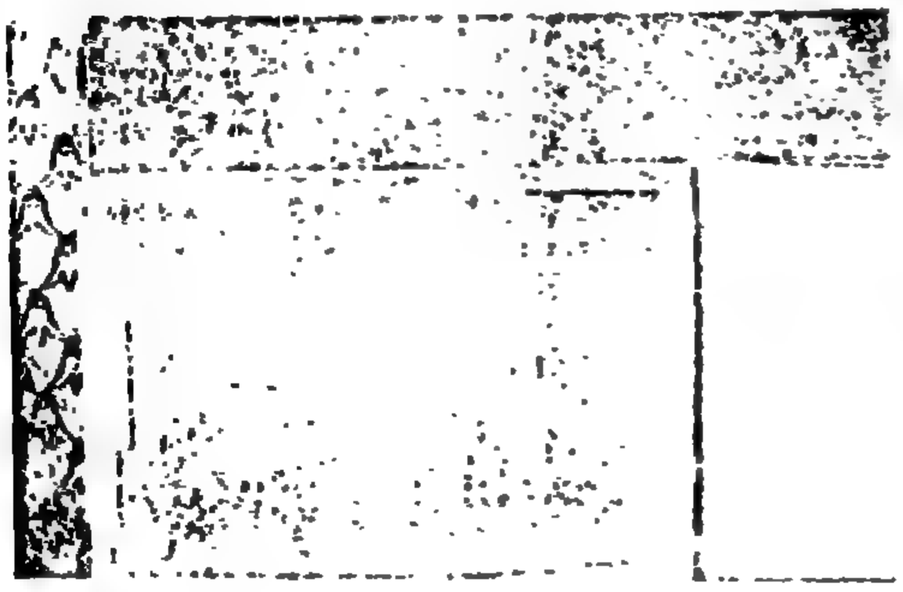

لوحة (٢٦٦)

لوحة (٢٧١) منظر يمثل زواج في القاهرة . عن :
Ebers: L'Egypte du Caire Aphilne, T. II, P. 103.

لوحة (٢٧٢) زفة عروس . عن :
Lane-Poole: Op. Cit., P. 161.

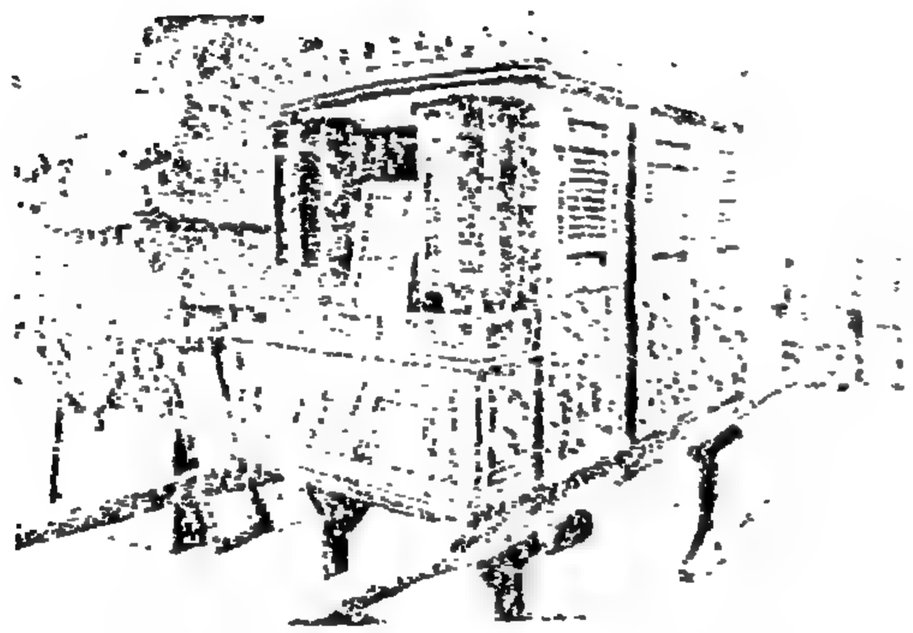

٢٧٣ هودج من الخشب المفعم بالطبع جاهز لزفة العروس في ١٢-١٣ هـ ١٨ - المعمل الإسبرس في القاهرة - منشر لأول مرة .

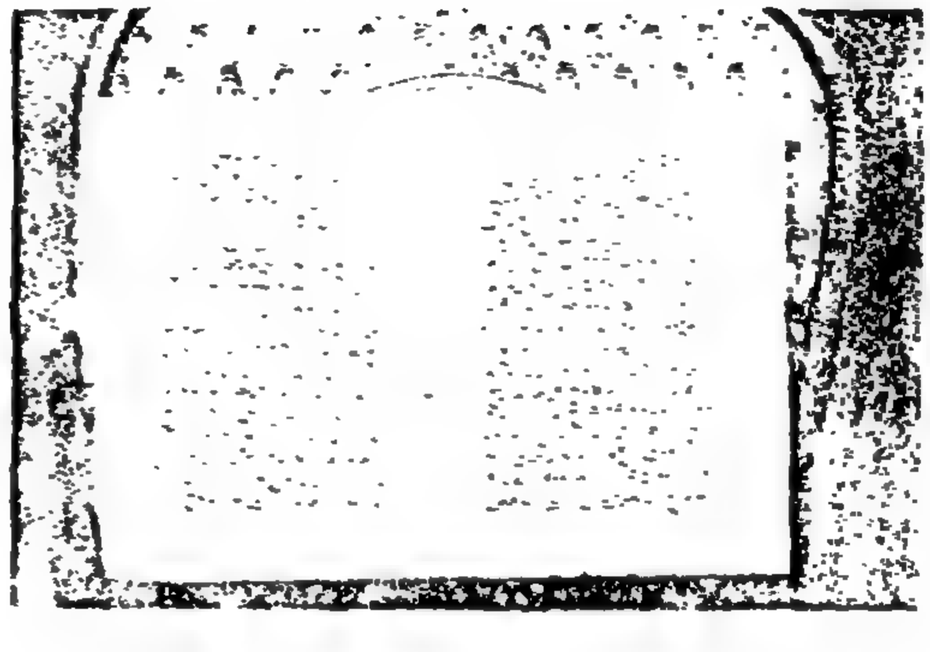

٢٧٤ ورقة بها طريقة صناعة الهودج - مكتبة - مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٦٠٧٩ ل .

(عمل الباحثة)

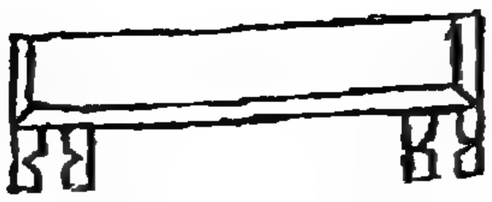

١ تخطيط لشكل سرير من عصر المماليك عن لوحة (١) .

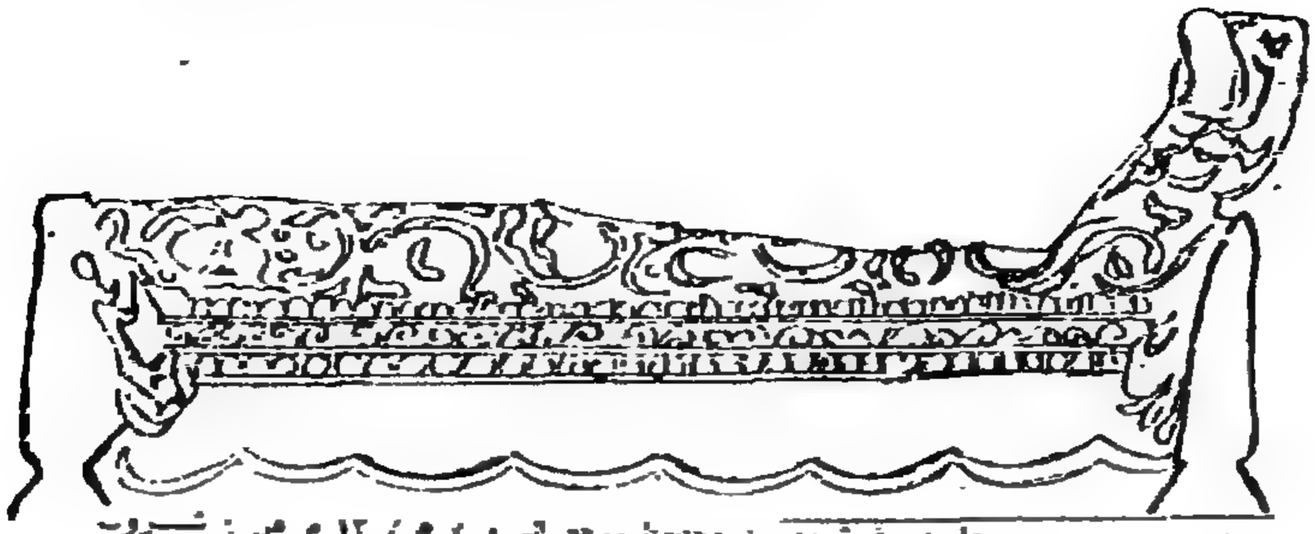

(٢) سرير عليه مفرش ومسند مخطوط يرجع الى و ٧ هـ / ١٣ م عن : شروب عكاشة : فن الواسطي من خلال مقامات الحريري ظهر الورقة ١٦٠ .

٣ وسادة تأخذ شكل نصف دائري من تصويرة ترجع الى عصر المماليك عن لوحة (٥) .

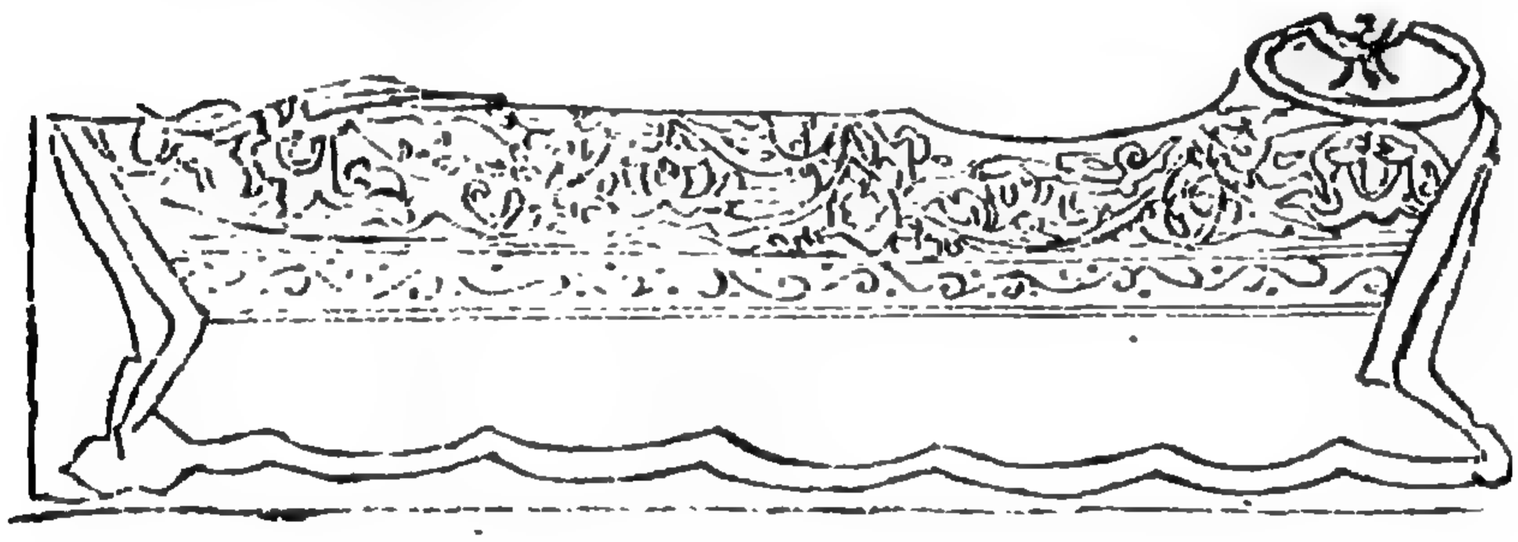

٤ سرير عليه مفرش ومخدة مدورة - و ٧ هـ / ١٣ م عن لوحة (٤) .

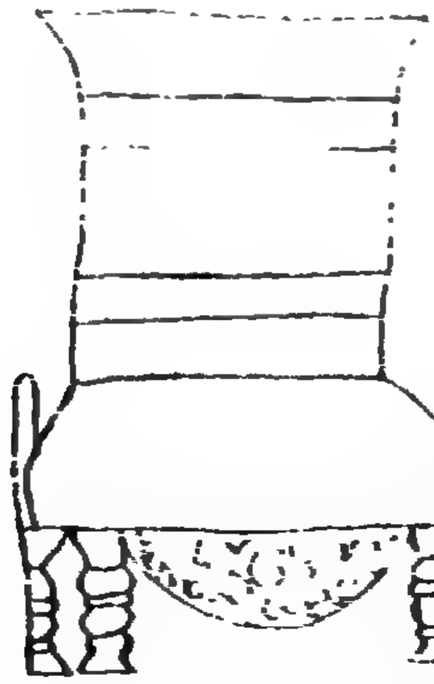

كرسي مظهر ومسند عن تصويرة ترجع الى عصر المماليك من مخطوط مقامات الحريري - ٧٣٤ هـ ، ١٣٣٤ م عن :

Ettinghausen: Arab Painting, New York, 1977, P.[illegible].

(عمل الباحثة)

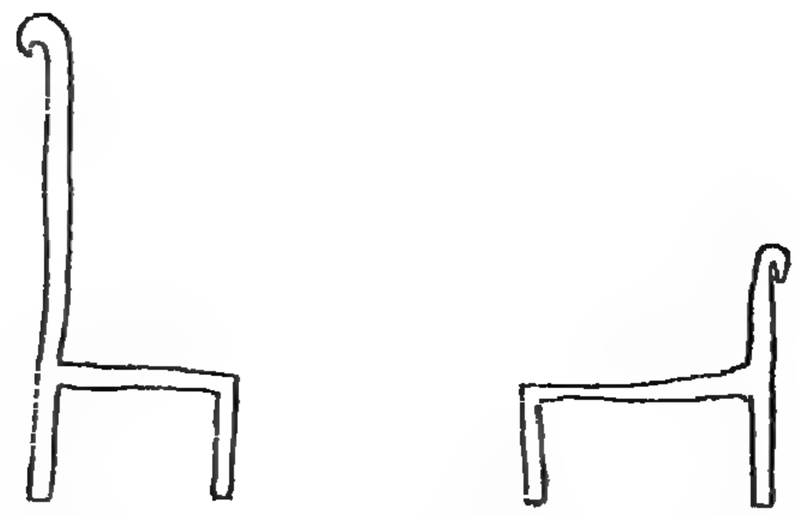

٦ كرسيان مطهر من مخطوط يرجع الى ق ٧ هـ / ١٣ م . عن: بشر فارس
كنت روف الغرب كنت الفسيفسة والتاريخ .

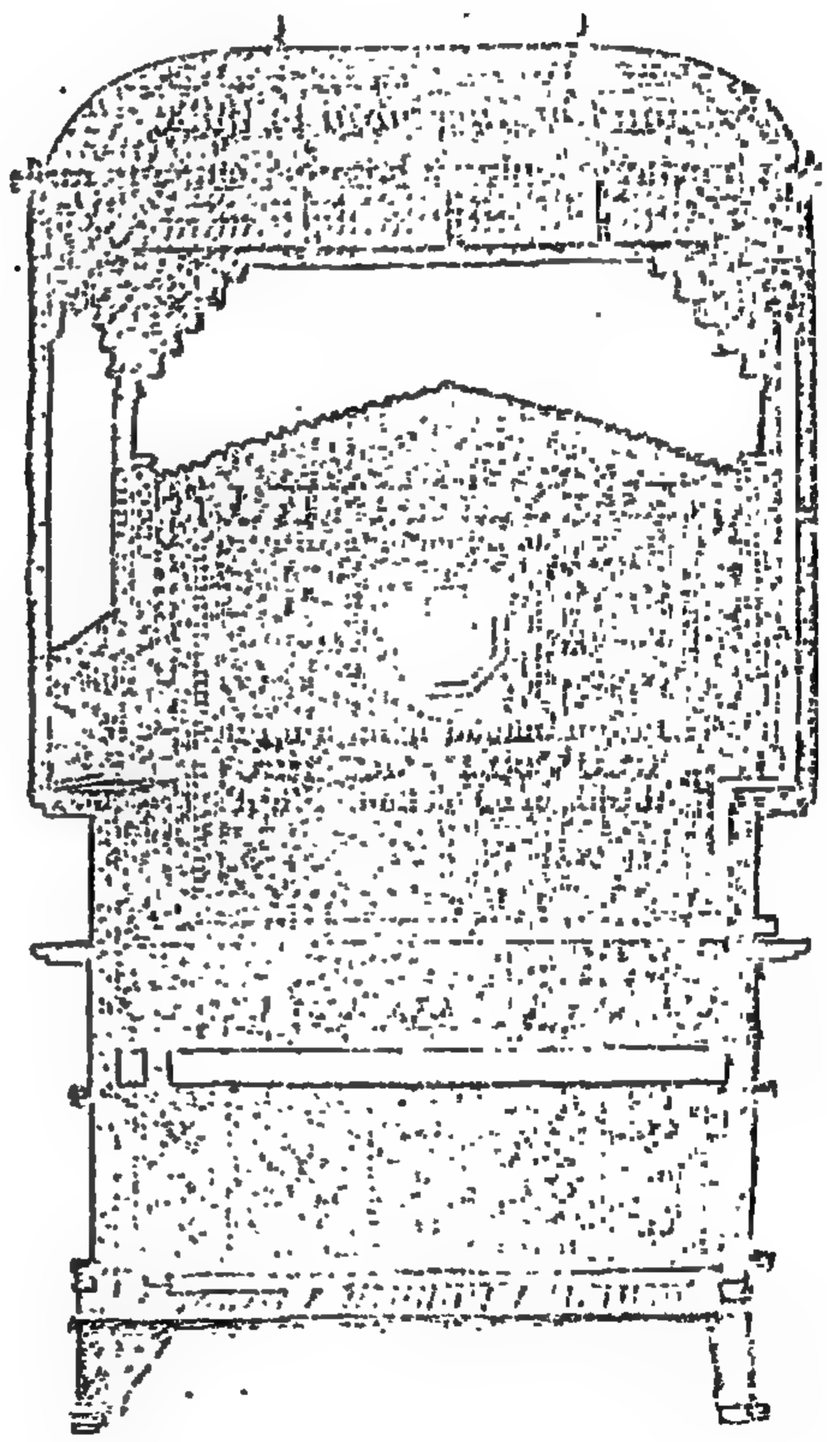

كرسي العمامة . عن :

٨ ، ٩ كوسان ودورة موضوعة على صينية . مائدة لحمل الطعام وست الاكل من لوحة (١٢٧) .

١٠ ، ١١ اناء لحمل الطعام أثناء الاكل من مخطوط مفاجآت حرس ١٣٣٤ م بالمكتبة الوطنية بفيينا . عن : عفيف البهنسي: الفن الاسلامي لوحة رقم ٧٤ .

(١٠)

(١١)

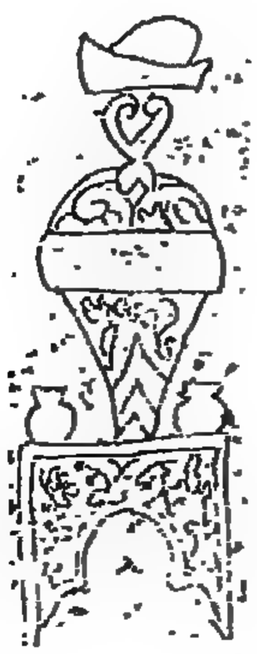

١٢ اناء لحمل الطعام على حامل عن لوحة (٥) .

(عمل الباحثة)

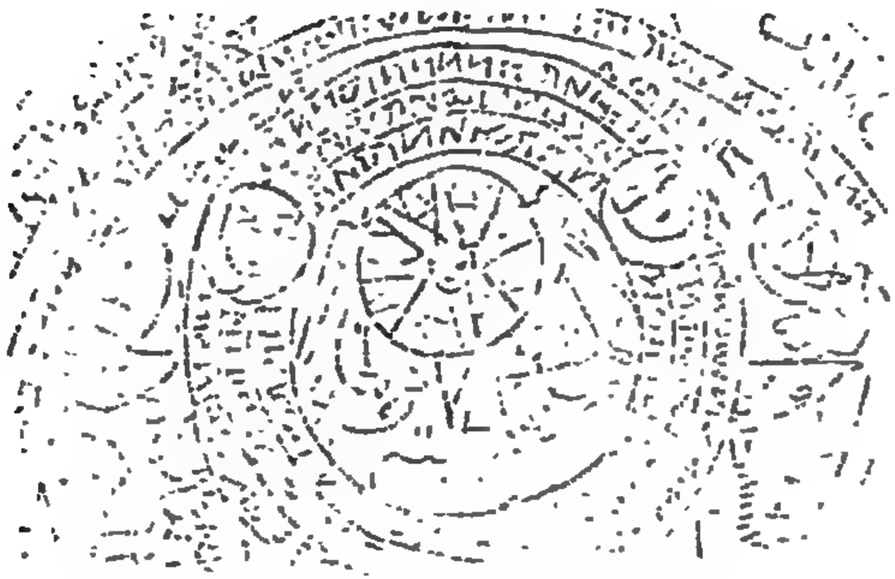

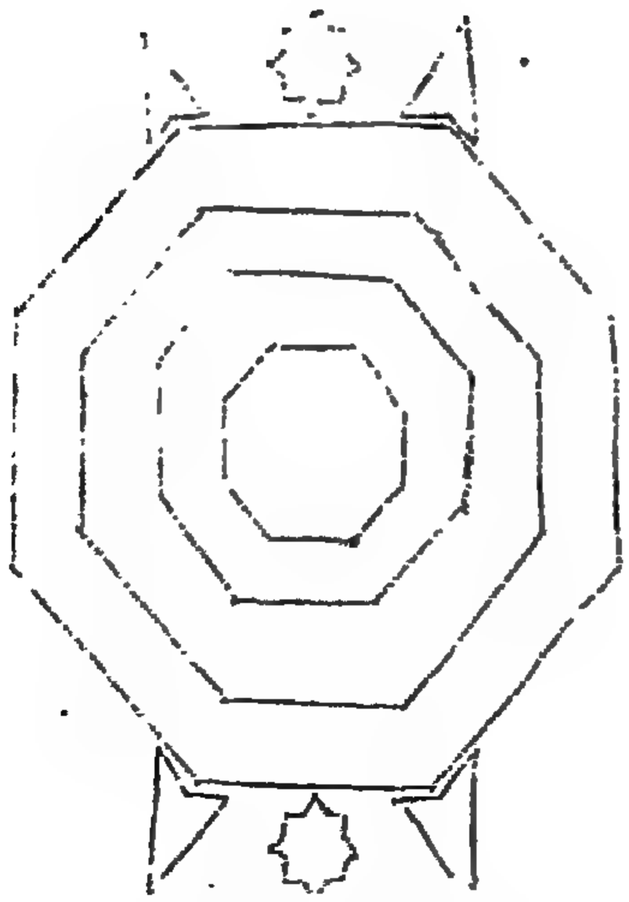

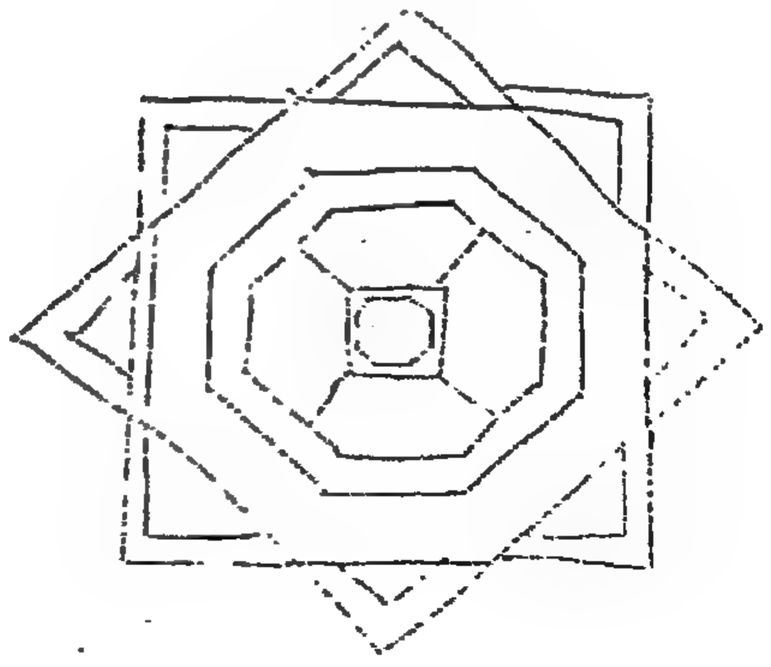

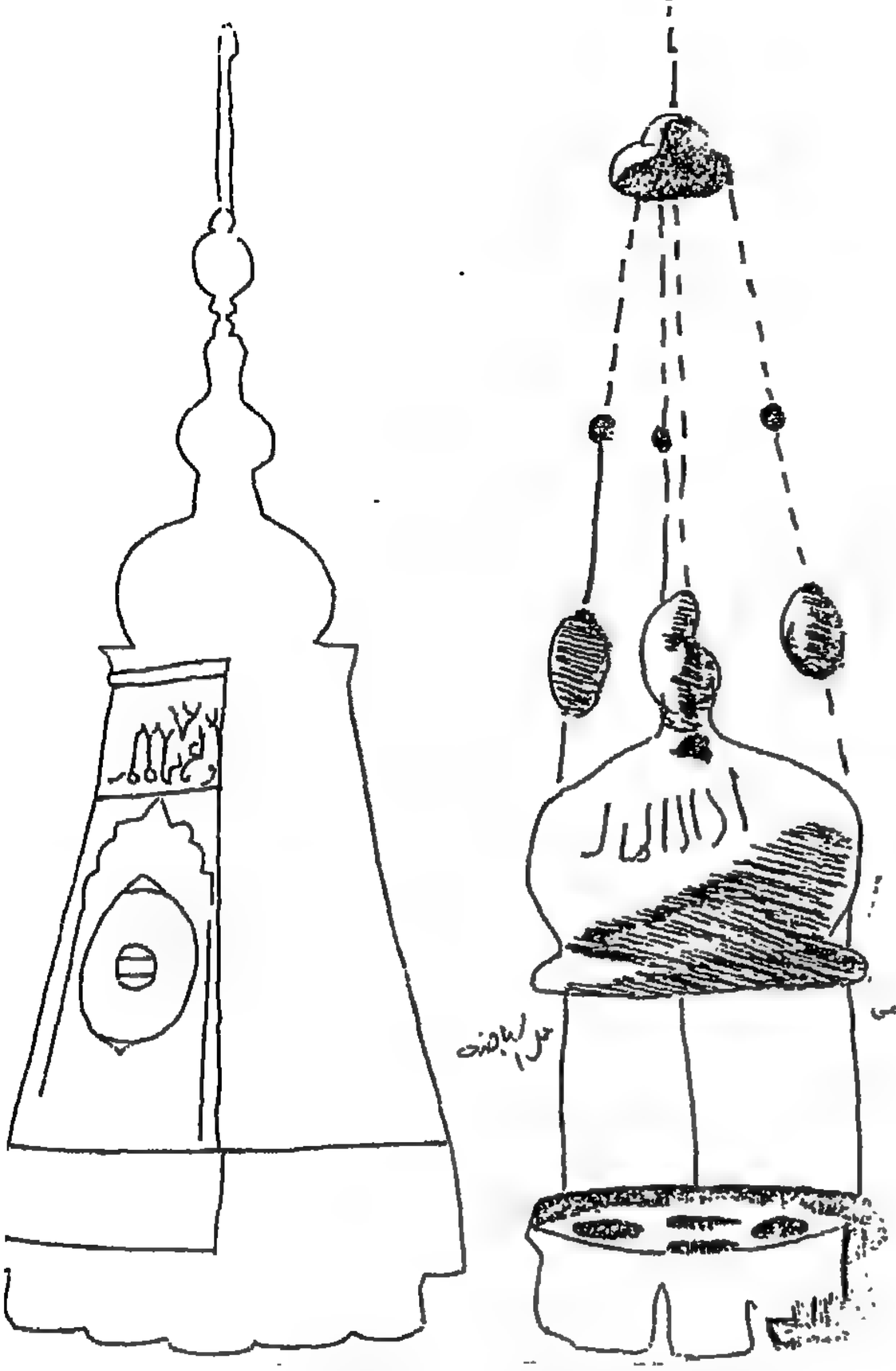

شكل (١٦) تفريغ لشكل تنوران من عصر المماليك ، الأول عن لوحة (١٤٢) .

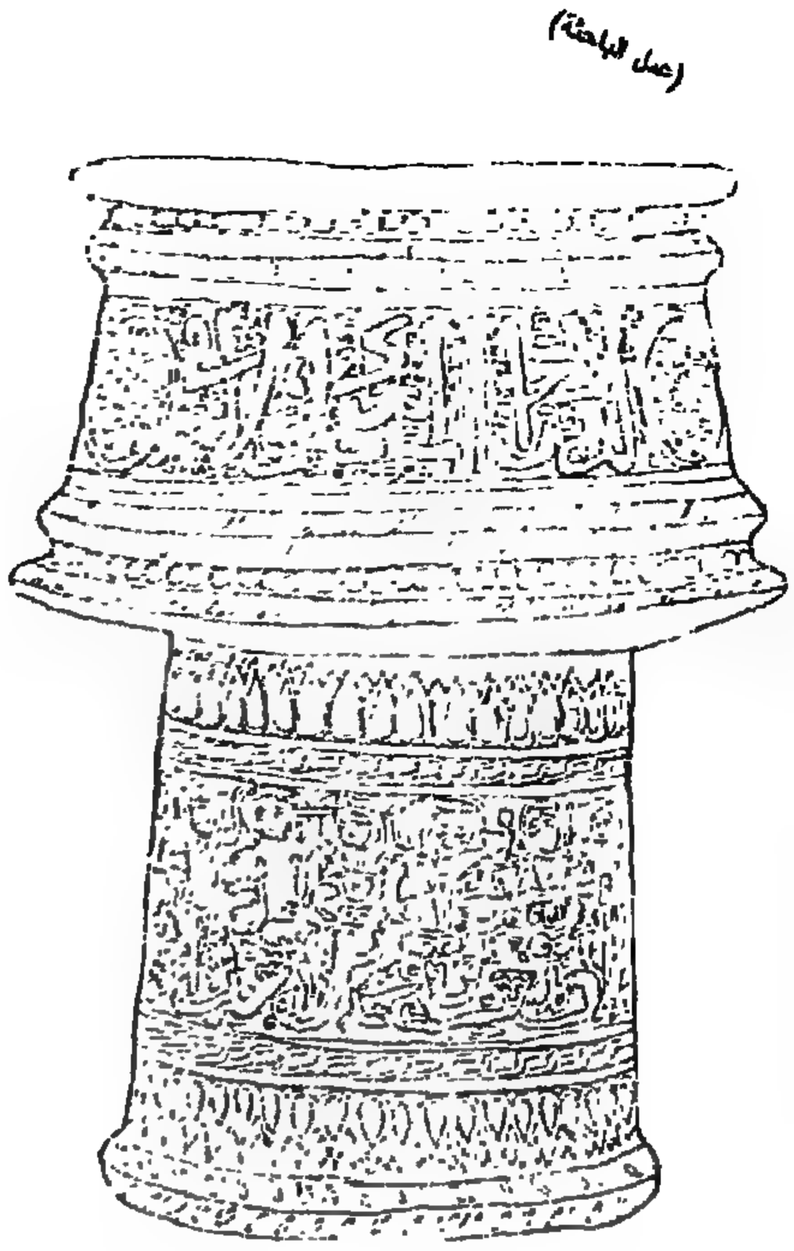

شكل (١٨) غزال يزخرف قطعة من طبق من الخزف المرسوم تحت الطلاء المملوكى بمتحف الفن الإسلامى .

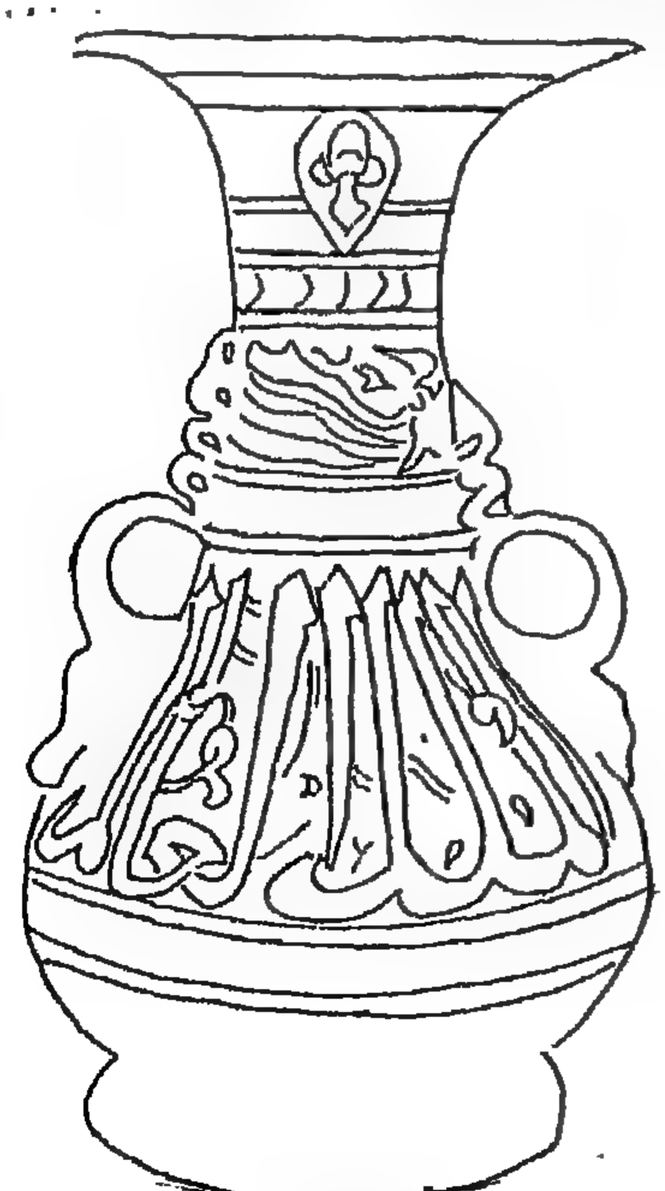

شكل (١٩) زهرية من الزجاج المموه بالمينا - عصر المماليك - عن : غادة قدومى : التنوع فى الوحدة ، الكويت ١٩٨٧ ، ص١١٦ .

شكل (٢٠) زهرية من مخطوط يرجع إلى عصر المماليك عن : عفيفى البهنسى : المرجع السابق عن لوحة (٧٣) .

(اصل الملحقة)

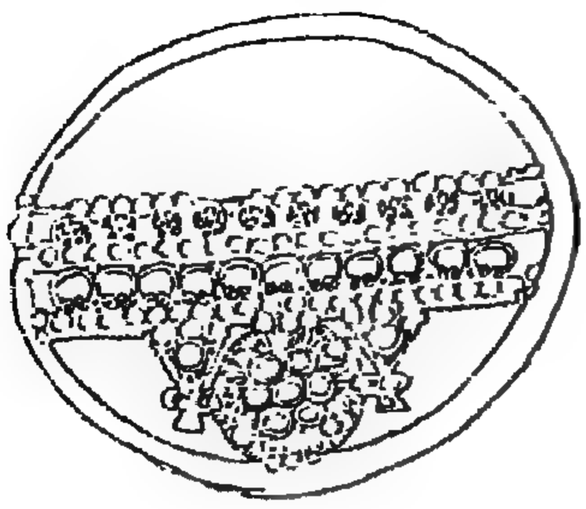

٢٢ زخارف هندسية على قرط (لوحة ١٢٠٣) .

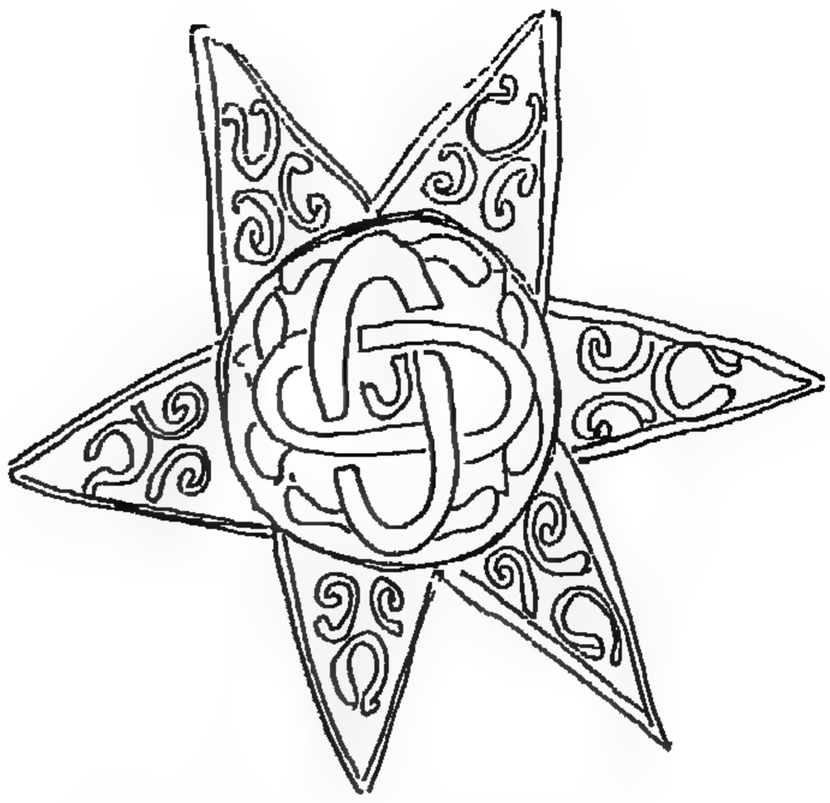

٢١ تفريغ الزخارف هندسة على حلية (لوحة ٢١٠) .

٢٤ زخارف هندسية على قرط (لوحة ١٢٠٤) .

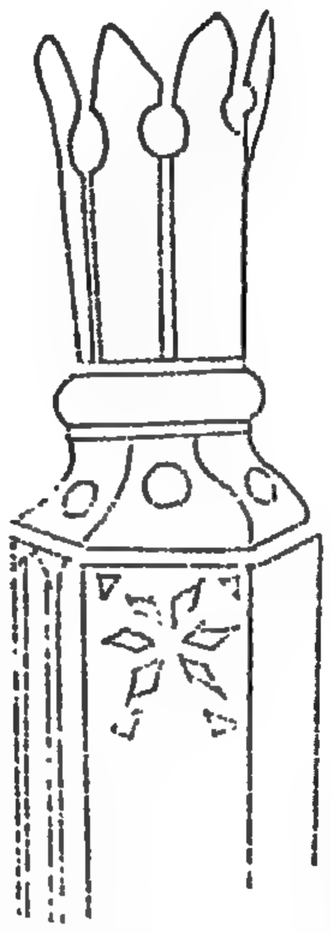

شكل (٢٢) تفريغ الزخارف هندسية على حلية عن لوحة (١٧١) .

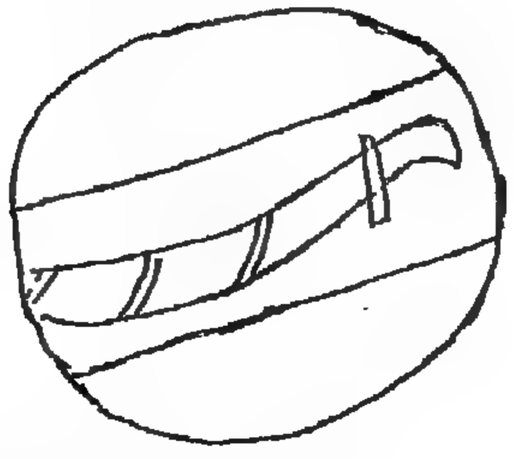

٢٥ رسم السيف على هيئة عن لوحة (١١٩ ، ١١٢٠) .

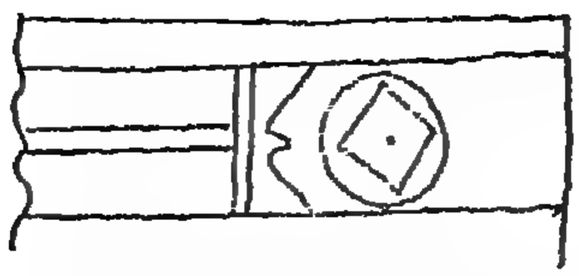

٢٦ رسم به شارة السفحة في الجزء الأوسط من مسط - ق ٩ هـ / ١٥ م بمصنف الفن الاسلامي برقم ٤٩٣٢ .

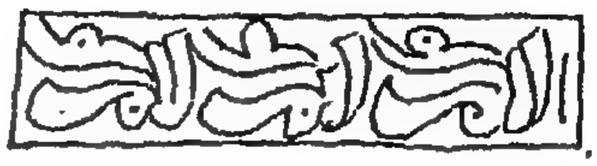

٢٧ زخارف نباتية على مسط - مصر ق ٨ هـ / ١٥ م بمصنف الفن الاسلامي برقم ٩٠١٥ .

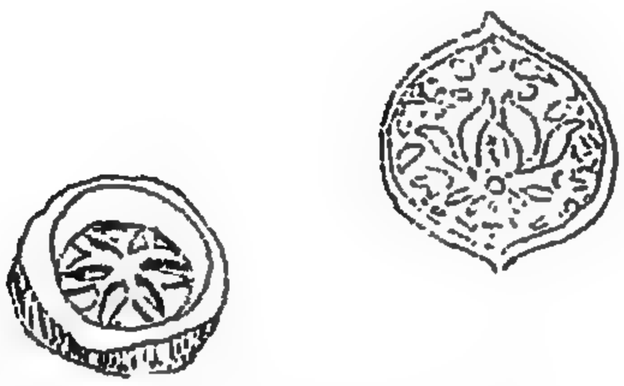

٢٨ زخارف نباتية تزخرف نباتيك تلين عن لوحة ٨٤ .

٢٩ زخارف طيور تزخرف جزء من طبق مرسوم تحت الطلاء من عصر المماليك محفوظة بمتحف كلية الآثار .

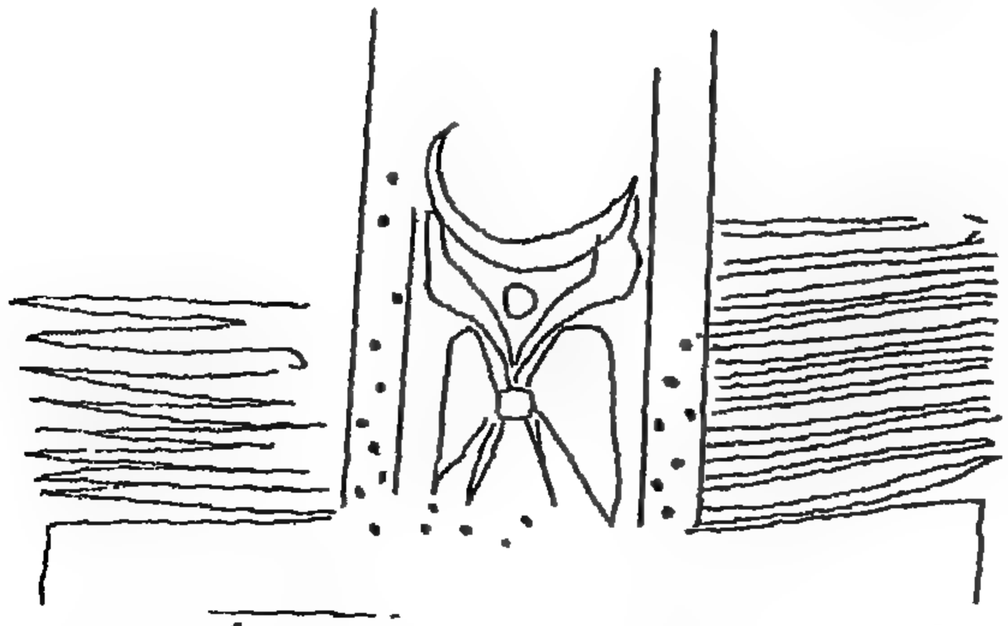

٣٠ زخرفة لطائرين متصلان من عند الرقبة عن لوحة (١٤٩) .

(عمل الباحثة)

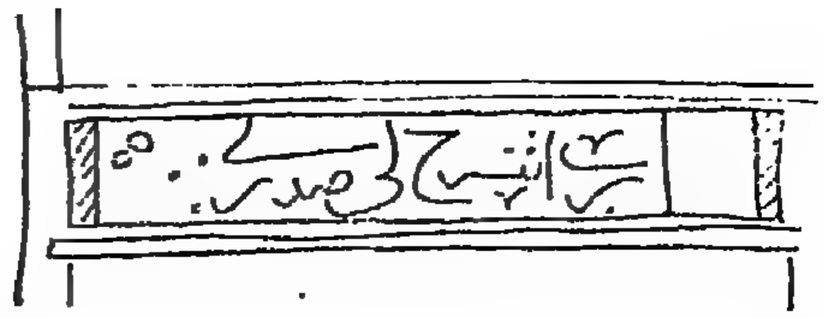

٣١ رخرفة كتابية نوخرف مشط ـ مصر ق ٩ هـ /١٥ م محفوظة بمتحف الفن الاسلامى برقم ٢٦١٤ .

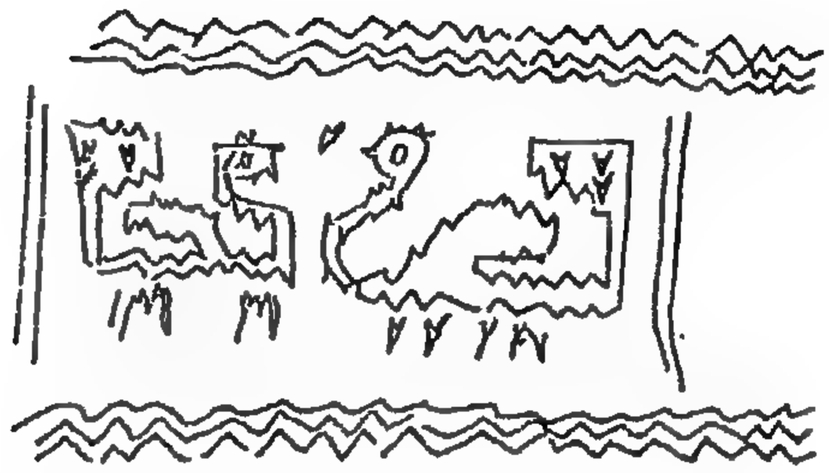

٣٢ زخرفة عبارة عن طائرين متقابلين عن لوحة (٢٥٦) .

٣٣ زخرفة طائرين متقابلين بالرأس متدابرين بالجسد تزخرف قميص قبطاب من حسب مطعم سالبس ـ مصر ق ٩ هـ /١٥ م بمتحف الفن الاسلامى رقم ٤٩١٥ .

٣٤ ـ زخرفة سمكتين كل منهما فى اتجاه معاكس للاخرى (اللوحة ٦٢)

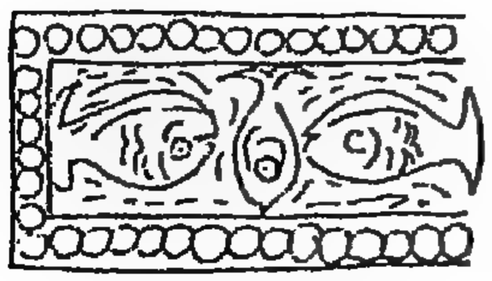

٣٥ سمكتان فى وضع افقى يبتلعان سمكة فى وضع رأسى (عن لوحة ١٤٧) .

(عمل الباحثة)

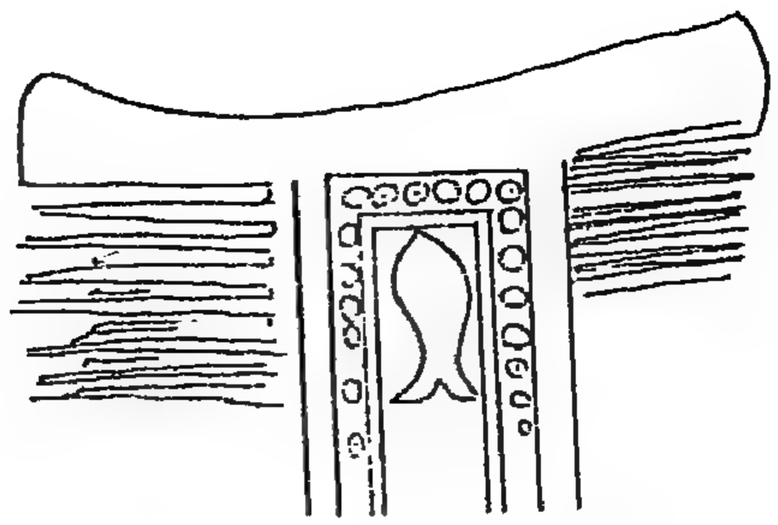

شكل (٣٦) زخرفة عبارة عن سمكة عن زخارف لوحة (١٤٨) .

٣٨ سيدة بملابس الخروج عن لوحة (٢٢٢) .

٣٧ سيدة بملابس الخروج عن لوحة (٢٢١) .

٣٩ غطاء رأس سيدة مرتفع عن لوحة (٢٣٨) .

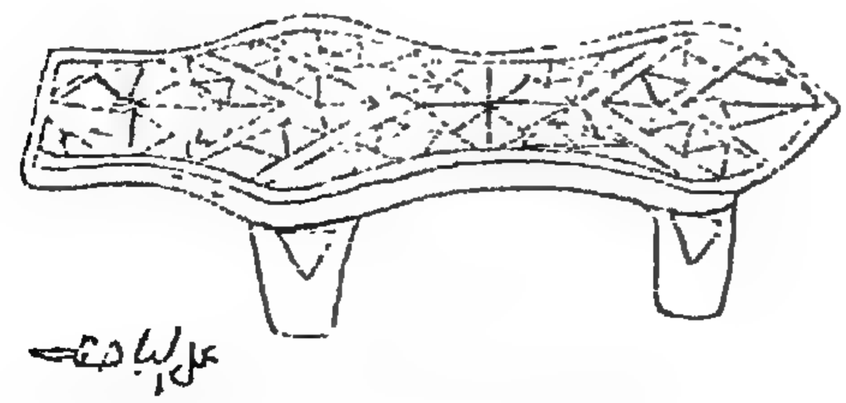

٤٠ زخارف هندسية على قبقاب لوحة (١٤٩ ، ٢٥٠) .

(عمل الباحثة)

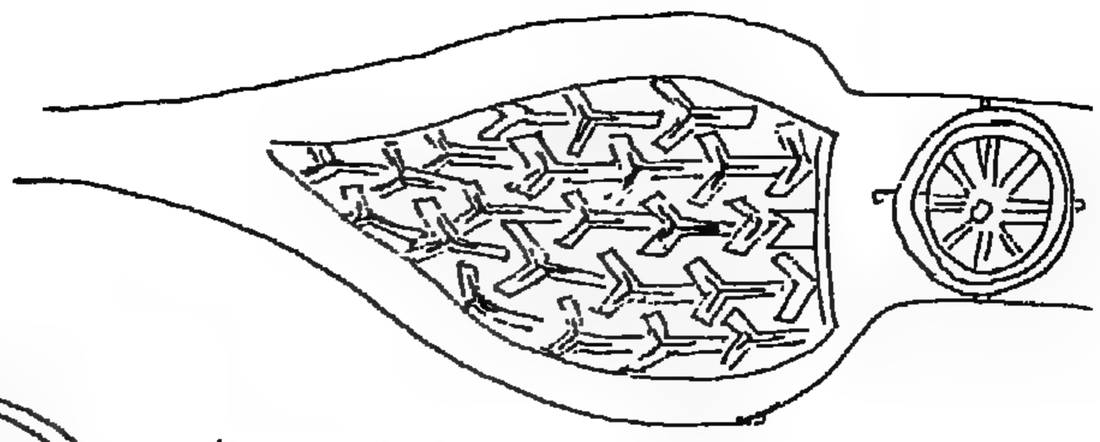

٤١ زخارف هندسية على يد مصفاة (لوحة (٧٩ ، ٨٠) .

٤٢ شارة تضم ثلاث رنوك (السقجة والدواة والكأس) لوحة (٤٩) .

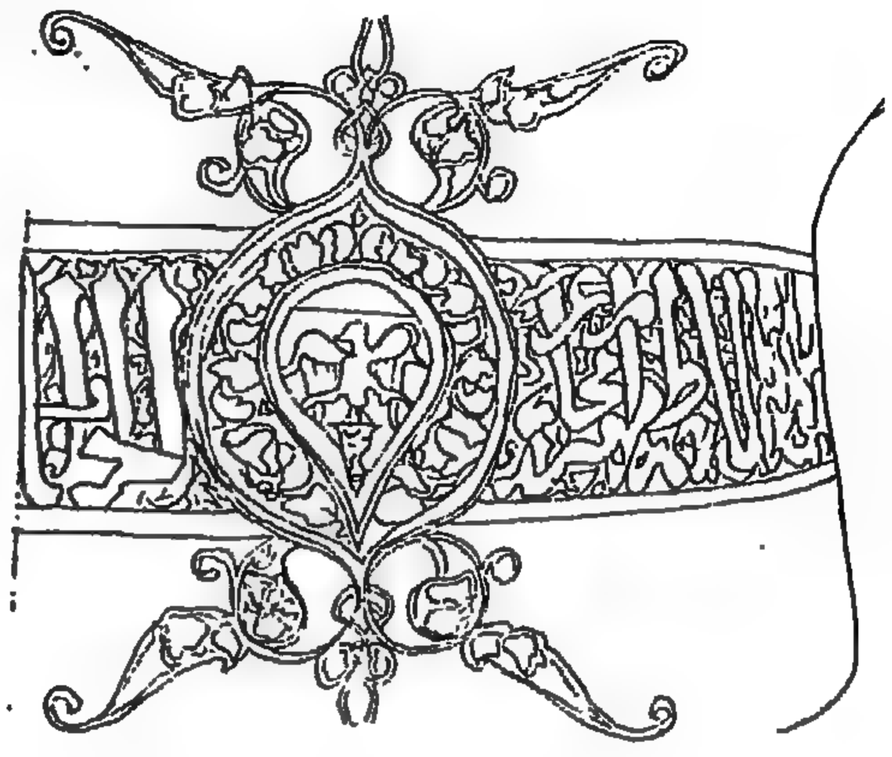

٤٣ تفريغ الزخارف مدرسة (لوحة ٥٢)

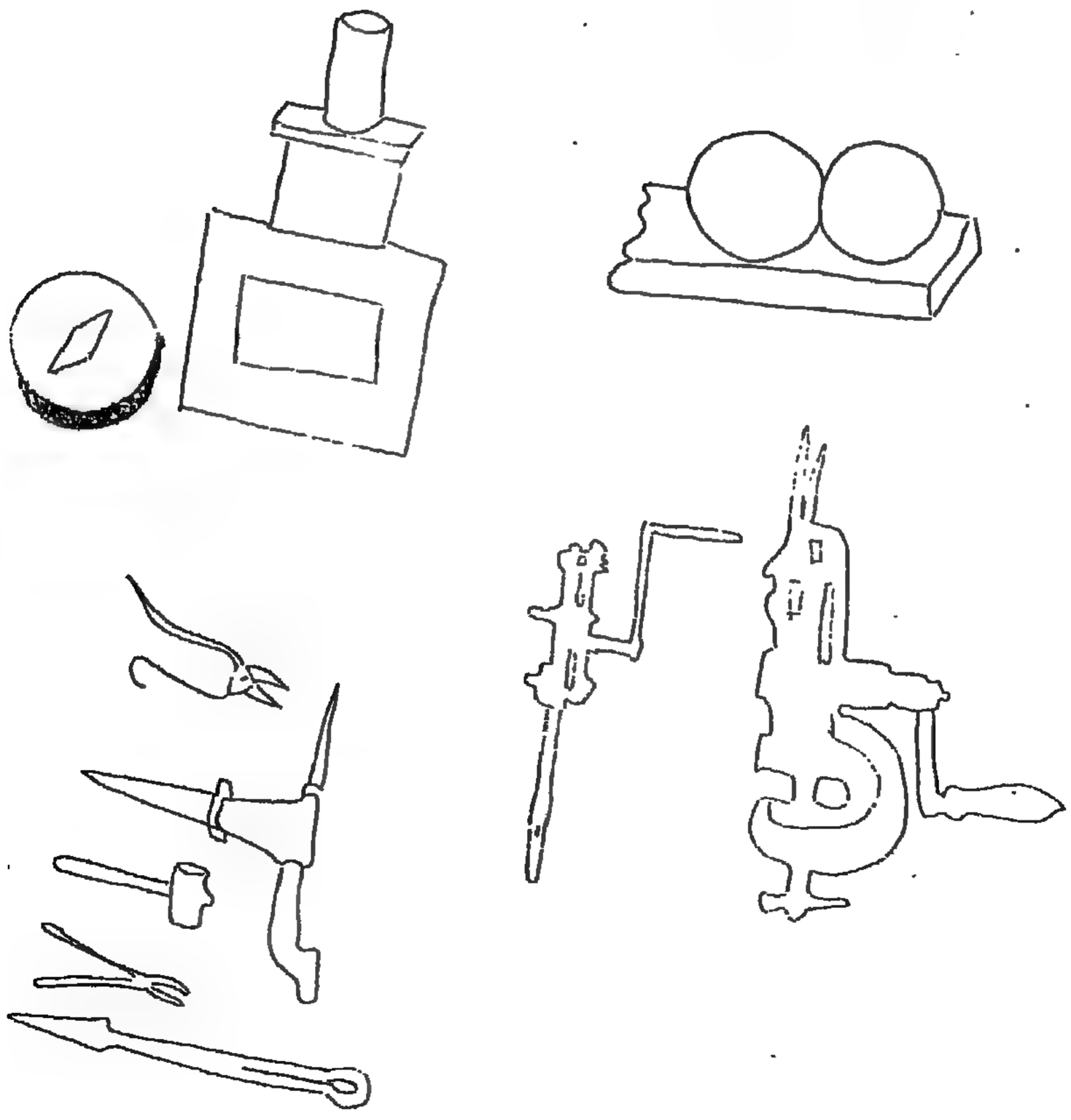

٤٤ بعض أدوات صناعة الحلي عن : علي زين العابدين: الصناع الشعبي .

(عمل الباحثة)

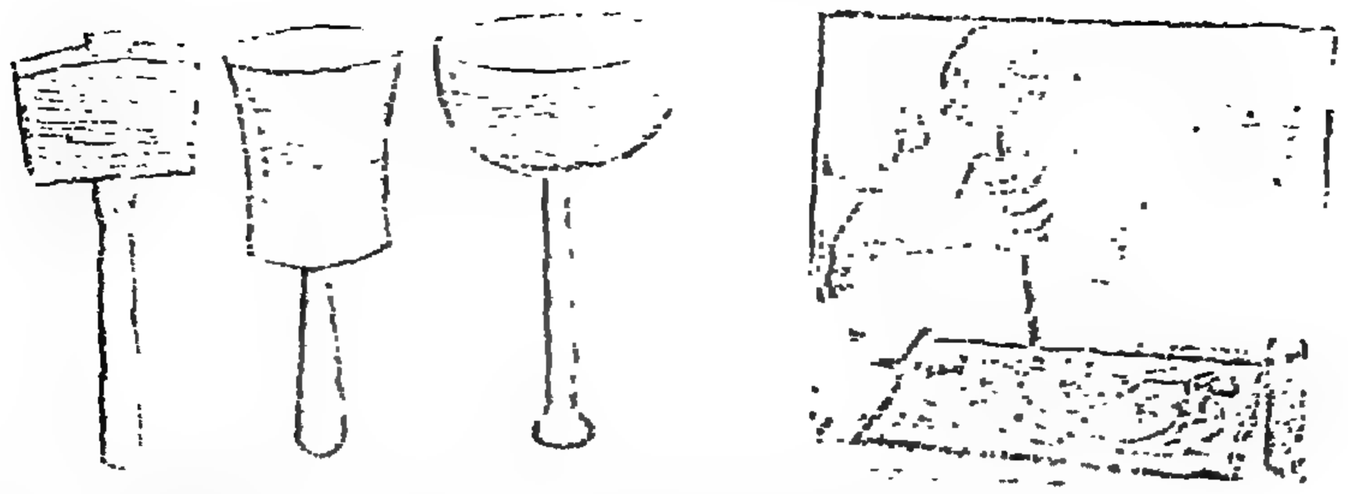

شكل (٤٤) بعض أدوات صناعة الحلى عن : على زين العابدين : المصاغ الشعبى .

شكل (٤٥)

شكل ٤٦ ـ ٤٨ بعض أدوات النجارة : دفاسق .

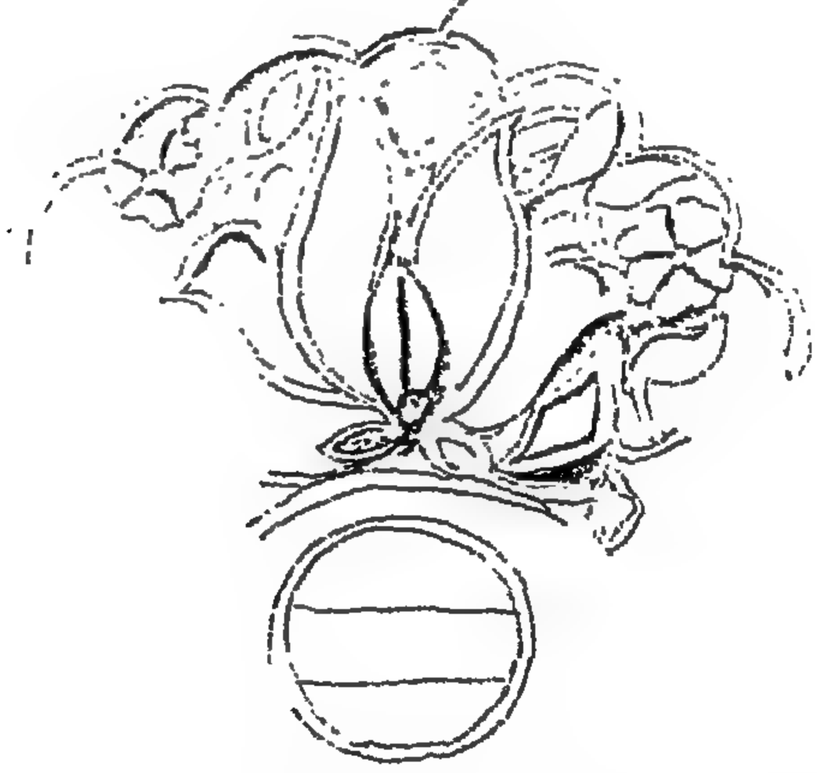

شكل (٤٩) زخرفة عبارة عن زهرة لوتس متفتحة عن لوحة (١٩٢) .

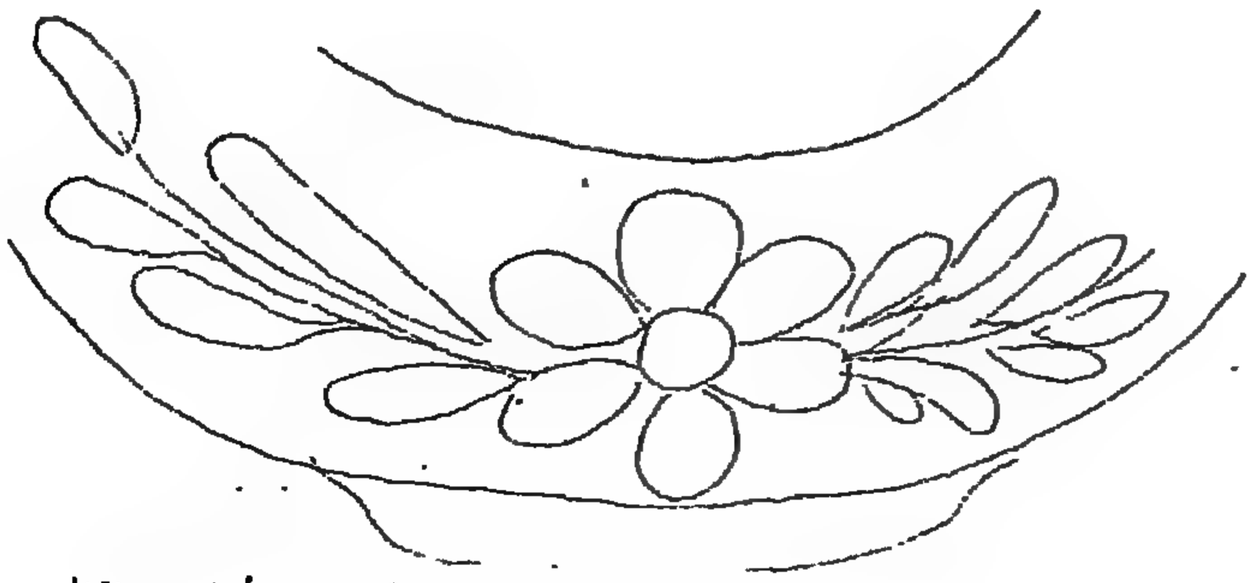

شكل (٥٠) زخرفة نباتية من وريدة من ٦ بتلات يخرج منها فرع نباتى به أوراق من جهتها اليمنى واليسرى عن لوحة (٤٠) .

المصادر والمراجع

العربيــة والأجنبيــة

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية المخطوطة :

- ابن دانيال الموصلى (شمس الدين محمد) :

طيف الخيال – مخطوط فى مجلد بدار الكتب المصرية بالقاهرة – الخزانة التيمورية رقم ١٦ ألعاب . .

- ابن رسول (الملك المظفر يوسف بن عمر بن على – ت ٦٩٤ هـ)

كتاب المخترع فى فنون من صنع، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٦٠٧٩ ل .

- ابن ساعد الأنصارى (محمد ابن إبراهيم) :

نخب الذخائر فى أحوال الجواهر، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨٦ طبيعيات تيمور.

- ابن عبيد الإسكندرانى (عطا الله) :

الأربعون حديثاً فى فضل الحناء، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٢١٦٣١ ب .

- ابن وصيف شاه (إبراهيم) :

- كتاب تاريخ أخبار الديار المصرية وما فى ذلك من جواهر البحور ووقايع الأمور وعجايب الدهور، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٧ الخزانة الزكية .

- تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور قلاوون ، مخطوط بدار الكتب المصرية – لم يعلم مؤلفه – برقم ٢٢٢٦ تاريخ تيمور، الأجزاء ١، ٢ عن نسخة خزانة باريس .

- الوصلة إلى الحبيب فى وصف الطيبات والطيب :

- مخطوط فى مجلد يرجع إلى القرن الثامن الهجرى – بدار الكتب المصرية برقم ٦١ صناعة تيمور (مصور من خزانة باريس) .

ثانيا : المصادر العربية المطبوعة :

- القرآن الكريم .

- ابن الأثير (مجد الدين أبى السعادات المبارك محمد بن محمد الجزرى) :

النهاية فى غريب الحديث والأثر، الجزء الأول والثانى طبع القاهرة .

- ابن الأخوة (محمد بن محمد بن أحمد القرشى - ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م) :

معالم القربة فى أحكام الحسبة، تحقيق د . محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى، القاهرة ١٩٧٦ م .

- ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد الحنفى ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م) :

بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى (خمسة أجزاء فى ستة مجلدات . الطبعة الثانية - الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٢ م) .

- ابن ايبك الدوادارى (أبو بكر عبد الله ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) :

كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء التاسع (الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر) تحقيق هانس روبرت رويمر القاهرة ١٩٦٠ م .

- ابن بسام :

نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، حققه وعلق عليه حسام الدين السامرائى، مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٨ م .

- ابن بطوطة (محمد بن عبدالله اللواتى الطنجى ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م)

رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (بدأت رحلته ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م - ٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م) جزآن، دار الكتاب المصرى بالقاهرة، ١٩٦٦ م .

- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) :

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزء (الأجزاء من ١ - ١٢) طبع دار الكتب القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٥٦ م (والأجزاء من ١٣ - ١٦) تراثنا - القاهرة سنة ١٩٧٠ - ١٩٧٢ م .

المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى - ٤ أجزاء فى ٤ مجلدات ١، ٢، ٤ تحقيق د. محمد محمد أمين، ٣ تحقيق د . نبيل محمد عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ - ١٩٨٦ م .

- ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن على) :

• صفة الصفوة ، حيدر آباد (الدكن - الهند) ، ١٣٥٥هـ

• المنتظم (حيدر آباد الدكن، ١٣٥٧ هـ) .

- ابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد العبدرى الفاسى الملكى ت ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦م):

المدخل، ٣ أجزاء فى ٣ مجلدات، القاهرة، ١٣٢٠ هـ .

- ابن حبيب (الحسن بن عمر ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) :

تذكرة التنبيه فى أيام المنصور وبنيه، الجزء الثامن، تحقيق د . محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ م .

- ابن حجر (الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلانى ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م):

- أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق د . حسن حبشى ٣ أجزاء، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٩٦٩ - ١٩٧٢ م .

- فتح البارى بشرح صحيح البخارى - إخراج وتبويب محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب - دار الريان للتراث الجزء العاشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) :

مقدمة ابن خلدون، ٣ أجزاء، تحقيق د . على عبد الواحد وافى، مطبعة لجنـــة البيـــان العربى، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٠ م .

- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) :

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الثقافة ببيروت لبنان، المجلد السادس، تحقيـــق إحسان عباس .

- ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم بن محمد بـــن أيدمـــر العلائـــى) ت ٨٠٩ هـــ/ ١٤٠٦م):

الانتصار لواسطة عقد الأمصار، الطبعة الأولى - بولاق ١٣٠٩ هـ .

- ابن الزبير (القاضى الرشيد) :

كتاب الذخائر والتحف (ق ٥ هـ)

تحقيق د . محمد حميد الله، تقديم ومراجعة د . صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٥٩ م.

- ابن شاهين (غرس الدين خليل الظاهرى ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م)

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك - نشر بولس راويس - باريس ١٨٩٩م.

- ابن طولون :

مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان، القسم الأول - القاهرة ١٩٦٢ م .

- ابن ظهيرة :

الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة (القرن العاشر) تحقيق مصطفـــى الســقا وكامل المهندس - دار الكتب المصرية ١٩٦٩ م .

- ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى ت ١٠٨٩ هـ):

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى من دار الآفـــاق الجديدة، الجزءان الخامس والسادس فى مجلد، ببيروت .

- ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م) :

تاريخ ابن الفرات ، المجلدان السابع والتاسع، تحقيق وضبط د . قســـطنطين رزيــق، بيروت ١٩٣٦ - ١٩٤٢م .

- ابن قتيبة الدينورى (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ) :

عيون الأخبار، المجلد الرابع، الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٠م .

كتاب الأشربة، تحقيق محمد كرد على، دمشق ١٩٤٧ م .

- ابن قيم الجوزية (الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر الزرعى الدمشـــقى الحنبلى، ولد ٦٩١ - ب ٧٥١ هـ)

أخبار النساء، الطبعة الأولى، مطبعة التقدم العلمية بمصر ١٣١٩ هـ .

- ابن ماجه : سنن ابن ماجه ، بيروت ١٩٥٤ م .

- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)

مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى، تحقيق عبد الستار أحمد فـــراج، جـزءان فـى مجلدان، القاهرة ١٩٦٥ م .

- أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن على الملك المؤيد ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م):

تاريخ أبى الفداء، ٤ أجزاء، طبع القسطنطينية ١٢٨٦ هـ .

- البخارى (محمد بن إسماعيل) :

صحيح البخارى، طبع دار الطباعة بالقاهرة ١٢٨٦ هـ جـ ٤ .

كتاب الأدب المفرد يرويه عنه أحمد بن محمد بن الجليـــل الـبزار، طبـع معـارف نظارات جليلة سنك رخصيتلـه طبع أولنشـــدر ١٣٠٩ هـــ . طبعـت بـإذن وزارة المعارف الجليلـة - طبعة ١٣٠٩ هـ ويفهم من العبـــارة أنـها طبعـت فـى وزارة المعارف بتركيا .

- البلوى (أبو الحجاج يوسف بن محمد)

ألف باء، طبع المطبعة الوهبية بالقاهرة، الجزء الأول والثانى، ١٢٨٧ هـ .

- البلاذرى (أحمد بن يحيى) :

أنساب الأشراف، الجزء الأول،تحقيق د . محمد حميـــد الله،، دار المعــارف بمصـــر ١٩٥٩م.

- الثعالبى (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل) (٣٥٠ - ٤٢٩ هـــ):

ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نهضة مصـــر ١٩٦٥ م .

- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) :

- البيان والتبيين - الطبعة الأولى - المطبعة العلمية .
- الحيوان - القاهرة ١٩٠٧م .
- البخلاء - بيروت ١٩٥٧ م .

- الحلوانى (أحمد بن أحمد بن إسماعيل) :

كتاب الوشم فى الوشم، طبع بالمطبعة الميمنية بمصر، ١٣٢٣ هـــ .

- الخالديان (أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد إبنا هاشم) :

كتاب التحف والهدايا، تحقيق سامى الدهان - دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م .

- الذهبى (الحافظ شمس الدين ٦٧٣ - ٧٤٨ هـــ) :

- العبر فى خبر من غبر، الجزء الأول، تحقيـــق د . صـــلاح الديـــن، المنجـــد، الكويت ١٩٦٠م.
- كتاب دول الإسلام، الجزء الأول، تحقيق فهيم محمد شلتوت، محمد مصطفـــى إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م .

- السبكى (عبد الوهاب بن على ت ٧٧١ هـــ / ١٣٧٠ م) :

معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق وتعليق محمد على النجار وآخرون، الطبعة الأولى، طبـــع بدار الكتاب العربى بمصر ١٩٤٨ م .

- السخاوى (الحافظ محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن عثمان الســـخاوى ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م) :

التبر المسبوك فى ذيل السلوك، المطبعة الأميرية ببولاق ١٩٨٦ م .

- السيوطى (جلال الدين السيوطى) :

• حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، الجزء الثانى، مطبعة إدارة الوطــن بمصر، ١٢٩٩ هـ .

• الدر النثير تلخيص نهاية ابن الأثير، الجزء الأول .

- السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) :

الأرج فى الفرج – الطبعة الثانية – دمشق ١٣٥٠ هـ

- الشابشتى (أبو الحسن على بن محمد ت ٣٨٨ هـ : ٩٩٨ م) :

الديارات، بغداد، ١٩٦٦ م .

- الشبلنجى (الشيخ الشبلنجى المدعو بمؤمن) :

- كتاب إسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطـــاهرين (بـــهامش) كتاب نور الأبصار فىمناقب آل بيت النبـــى المختـــار،الطبعـــة الأولـــى-المطبعـــة المليحية١٣٢٣هـــ.

- الشربينى (يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر) :

- هز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف، الطبعة الثانية، المطبعة الأميرية ببـــولاق، ١٣٠٨ هـ .

- الشيزرى (عبد الرحمن بن نصر ت حوالى ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) :

- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة – نشره السيد الباز العرينى بإشراف محمد مصطفـــى زيادة – القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٦ م .

- عبد اللطيف البغدادى (الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف المعـــروف بـــابن اللباد، ت ٦٢٩ هـــ / ١٢٣١ م) :
- عبد اللطيف البغدادى فى مصر المسمى الإفادة والاعتبـــار فـــى الأمـــور المشـــاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، نشر سلامة موســـى، مطبعـــة ومجلـــة المصـــرى القاهرة، الطبعة الأولى، ١٢٨٦ هـــ .
- العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٧٤٩هـــ / ١٣٤٩ م) :
- مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمى الفرنســـى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨٥ م .
- العينى (بدر الدين محمود بن أحمد ت ٨٥٥ هـــ / ١٤٥١ م) :
- السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودى، تحقيق فهيم محمد شـــلتوت، دار الكاتب العربى ١٩٦٧ م .
- عمدة القارئ، شرح صحيح البخارى .
- الغزولى (علاء الدين على بن عباد الله البهائى) :
- مطالع البدور فى منازل السرور - جزءان - الطبعة الأولى - مطبعة إدارة الوطـــن، ١٢٩٩ - ١٣٠٠ هـــ .
- القسطلانى (أحمد بن محمد ١٤٤٨ - ١٥١٧ م) :
- إرشاد السارى إلى شرح صحيح البخارى وبهامشه صحيح الإمام مسلم وشرح الإمـــام النووى، الجزء الأول والثامن، المطبعة المصرية، بولاق، ١٨٧٦ م .
- القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على بن أحمد ت ٨٢١ هـــ / ١٤١٨ م) :
- صبح الأعشى فى صناعة الانشا ١٤ جزء، القاهرة ١٩١٩ - ١٩٢٢ م .
- المسبحى (محمد بن عبيد الله ت ٣٦٦ - ٤٢٠ هـــ/ ٩٧ - ١٠٢٩ م) :

- أخبار مصر فى سنتين (٤١٤ - ٤١٥ هـــ) تحقيــق وليــم ج ميلــورد، الهيئــة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠ م .
- المسعودى .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر فى التاريخ، القاهرة ١٣٤٦ هـ .
- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) :
- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزءان الأول والثـــانى (٦ أقســام) تحقيــق د . محمد مصطفى زيادة، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، دار الكتب المصريــة . (١٩٣٦ - ١٩٥٨) .
- إغاثة الأمة بكشف الغمة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠م .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جزءان فى مجلدان، مكتبة الثقافـــة الدينيــة الطبعة الثانية، ١٩٨٧ م .
- النواجى (شمس الدين محمد بن الحسن ت ٨٥٩ هـ) :
- حلبة الكميت فى الأدب والنوادر المتعلقة بالخمريات .
- الوشاء (أبو الطيب محمد بن اسحق) :
- الموشى أو الظرف والظرفاء - تحقيق كمال مصطفى .
- الناشر : مكتبة الخانجى، مطبعة الاعتماد ١٩٥٣ م .
- ياقوت : (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحمـــى الرومـــى البغــدادى ت ٦٢٦هـ / ١٢٩ م) :
- معجم البلدان، بيروت ١٩٨٤ م، المجلد الخامس .

ثالثا : المراجع العربية الحديثة :

- أبو صالح الألفى : دكتور :
- الفن الإسلامى، أصوله، فلسفته، مدارسه، الطبعة الثانيـــة - دار المعــارف بمصــر ١٩٧٤م .

- أحمد إبراهيم :

- الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية – الطبعة الثالثة – القاهرة، ١٩٣٨ م .

- أحمد أمين :

- قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية – الطبعة الأولى – القاهرة ١٩٥٣ م .

- أحمد تيمور :

- التصوير عند العرب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٤٢ م .

- الموسوعة التيمورية من كنوز العرب، القاهرة ١٩٦١ م .

- أحمد سعيد الدمرداش :

- فن السجاد، مجلة منبر الإسلام، العدد ١١، السنة٢٢، ذو القعدة ١٣٨٤ هـ – مارس ١٩٦٥ .

- أحمد الشامى : دكتور

- التطور التاريخى لعقود الزواج فى الإسلام سلسلة تاريخ العرب، القاهرة ١٩٨٢ م .

- أحمد شلبى : دكتور

- موسوعة التاريخ الإسلامى، الجزء الأول، الطبعة العاشرة، مكتبة النهضة العربية، ١٩٨١م .

- أحمد عبد الرازق : دكتور

- الرنوك على عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٢١، السنة ١٩٧٤ م، ص ٦٧ – ١١٦ .

- المرأة فى عصر سلاطين المماليك، دار الجيل للطباعة ١٩٧٤ م .

- أحمد عطية الله :

- القاموس الإسلامى، المجلدان الثانى والثالث، دار النهضة العربيـــــة، مـــايو ١٩٦٦ - نوفمبر ١٩٧٠ م .
- أحمد ممدوح حمدى :
- معدات التجميل بمتحف الفن الإسلامى، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٩ م .
- الفن الإسلامى فى مصر، دليل معرض بمناسبة العيد الألفى للقاهرة - إبريل - مـــايو سنة ١٩٦٩ م .
- بدران أبو العينين :
- الزواج والطلاق فى الإسلام، الطبعة الأولى - دار التأليف - ١٩٥٧ م .
- بدرى محمد فهد :
- القاضى التنوخى وكتاب النشوار، بغداد ١٩٤٦ م .
- بشر فارس :
- كيف زوقت العرب كتب الفلسفة والفقه - مستخرج من منشورات المعهد الفرنسى فـى دمشق - المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٥٧ م .
- بنت الشاطئ : دكتورة
- بنات النبى عليه الصلاة والسلام - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٥٩ م .
- ثروت عكاشة : دكتور
- فن الواسطى من خلال مقامات الحريرى (أثر إســـلامى مصـــور) دار المعـــارف بمصر، ١٩٧٤ م .
- ثريا سيد أحمد نصر :
- تاريخ النسيج وأنواعه فى العصر الإسلامى، مجلة منبر الإسلام، العـــدد ١٢، الســـنة ٣٢، ذو الحجة ١٣٩٤ هـــ .
- جمال محرز : دكتور

- المرايا المعدنية الإسلامية – فصلة من مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة – مجلـد ١٥، الجزء الأول مايو ١٩٥٣ م، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٣ م .
- حسن الباشا : دكتور
- الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار – مكتبة النهضـــة العربيـــة، القـــاهرة ١٩٥٧ م .
- الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية – ٣ أجزاء – دار النهضة العربيـــة بالقاهرة ١٩٦٥ / ١٩٦٦ م .
- أثر المرأة فى فنون القاهرة، بحث بكتاب القاهرة تاريخها، فنونها، آثارهـــا، مؤسســة الأهرام، ١٩٧٠ م .
- قانصوة الغورى، بحث بمكتبة القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، الأهرام، ١٩٧٠م .
- المبخرة، بحث بكتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، الأهرام، ١٩٧٠ م .
- فنون التصوير الإسلامى فى مصر، دار النهضة العربية ١٩٧٣ م .
- حسن عبد الرحمن خطاب :
- الزراعة والمجتمع الريفى فى مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٨١ م .
- حسن محمد الهوارى :
- عقد زواج قديم مضى عليه ٦١٨ سنة، مجلة الهلال، السنة ٤١ – مارس ١٩٣٣م .
- أثر المرأة فى الفن الإسلامى – مجلة الهندســـة – العـــدد ١١، ١٢ ديســـمبر ١٩٣٤ السنة ١٤ .
- حسن محمود الشافعى :
- العملة وتاريخها – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م.
- حمده محمد الغرباوى :
- التطريز فى النسيج – مطبعة مصر ١٩٥٠ م .

- التطريز فى النسيج والزخرفة – الطبعة الأولى – مكتبة الأنجلو ١٩٦٥ م .
- حياة ناصر الحجى :
- الأمير تنكز الحسامى نائب الشام فى الفترة ٧١٢ – ٧٤١ هـ / ١٣١٢ – ١٣٤٠م – حوليات كلية الآداب – جامعة الكويت – الحولية الأولى ١٩٨٠ م / ١٣٩٩ هـ .
- خليل حامد حمودى الأعظمى :
- خزف سامراء الإسلامى – مجلة سومر ج ١، ج ٢ فى مجلد المجلد الثلاثون – بغداد ١٩٧٤ م .
- رءوف حبيب :
- الزينة والتجميل عند المرأة فى العصر القبطى – مكتبة المحبة .
- رجب عزت :
- تاريخ الأثاث من أقدم العصور – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٨ م .
- زكى مبارك : دكتور
- التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق، الجزء الأول، الطبعة الأولى – مطبعة الرسالة ١٩٣٨ م .
- زكى محمد حسن : دكتور
- كنوز الفاطميين – القاهرة ١٩٣٧ م .
- الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية– القاهرة ١٩٤٦ م .
- زكى محمد حسن : دكتور
- فنون الإسلام، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٤٨ م .
- أطلس الفنون والتصاوير الإسلامية، القاهرة ١٩٥٦ م .

- زكية عمر العلى :
- حلى إسلامية اقتناها المتحف العراقى - سومر - ج ١، ج ٢ فى مجلـــد - المجلـد الثلاثون - بغداد ١٩٧٤ م .
- التزيق والحلى عند المرأة فى العصر العباسى، منشورات وزارة الإعـــلام " سلســلة الكتب الحديثة رقم ٩٩ " الجمهورية العراقية، ١٩٧٦ م .
- سعاد ماهر : دكتورة
- محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية فى العصر الإسلامى، القـــاهرة ١٩٦٦ م .
- مشهد الإمام على فى النجف وما به من الهدايا والتحـــف، دار المعـــارف بمصـــر، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٢ م .
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحين، الجزء الأول، مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٣م.
- عقود الزواج على المنسوجات الأثرية، بحث بمجلة كلية الآثـــار جامعـــة القـــاهرة، الجزء الأول ١٩٧٨ م .
- سعد الخادم :
- الصناعات الشعبية فى مصر، دار المعارف بمصر ١٩٥٧ م .
- الأزياء الشعبية - المكتبة الثقافية (٤٩) دار القلم١٩٦١ م .
- الفنون الشعبية فـــى النوبـــة - الـــدار المصريـــة للتـــأليف والترجمـــة - المكتبـــة الثقافية١٥٥.
- سعيد عبد الفتاح عاشور : دكتور
- المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، طراز دار النهضة ١٩٦٢ م .
- الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام - دار النهضة العربية، ١٩٦٩ م .

- نساء القاهرة فى عصر المماليك - أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القـــاهرة - مـــارس، إبريل ١٩٦٩ م، الجزء الثانى مطبعة دار الكتب ١٩٧١ م .
- العصر المماليكى فى مصر والشام - الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، ١٩٧٦م .
- سعيد هارون عاشور :
- فقه سيرة نساء النبى صلى الله عليه وسلم، مطبعة القاهرة الحديثة .
- سميحة محمد الجبالى :
- صناعة المعادن وزخرفتها فى العصور الإسلامية - منبر الإسلام - العدد ٢، الســنة ٣٤، صفر ١٣٩٦ هـ / فبراير ١٩٧٦ م .
- سيد أمير على :
- مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى، ترجمة رياض رأفت، القاهرة مطبعة لجنـــة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٨ م .
- صلاح الدين سيد البحيرى : دكتور
- نص هام عن أحوال دار الطراز المصرية فى أوائل عصر الدولة الأيوبيـــة، بحـــث بالمجلة العربية للعلوم الإنسانية - جامعة الكويت - العدد ١٣، المجلد ٤ - ١٩٨٤م.
- عبد المجيد يونس : دكتور
- خيال الظل، المكتبة الثقافية - ١٣٨ - الدار المصرية للتأليف والترجمة - أغســطس ١٩٦٥ م .
- عبد الرءوف على يوسف :
- خزافون من العصر الفاطمى وأساليبهم الفنية، بحـــث بمجلـــة كليـــة الآداب جامعـــة القاهرة - مجلد ٢٠، ج ٢، ديسمبر ١٩٥٨ م، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٢ م .
- تحف من الفن الشعبى فى مصر - مجلـــة العـــدد ٥، الســـنة ٢٠ جمـــادى الأولـــى ١٣٨٢هـ .
- غيبى التوريزى - بحث بكتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، الأهرام، ١٩٧٠م.
- عبد الرحمن زكى : دكتور

- الأحجار الكريمة فى الفن والتاريخ – المكتبة الثقافية ١٠٨ – دار القلم ١٩٦٤ م.
- الحلى فى التاريخ والفن – المكتبة الثقافية ١٢٦ دار القلم ١٩٦٥ م .
- القاهرة، تاريخها، آثارها (٩٦٩ – ١٨٢٥ م) من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦ م .
- عبد الرحمن عمار :
- تاريخ فى النسيج المصرى، دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٤ م .
- عبد الرحمن فهمى : دكتور

- أقدم السجاجيد الإسلامية فى مصر ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، عدد ٢٠ ، سنة ١٩٦٠ م .
- السجاد ، القاهرة ، تاريخها ، فنونها ، آثارها ، الأهرام ١٩٧٠م
- النسيج ، القاهرة ، تاريخها ، فنونها ، آثارها ، الأهرام ، ١٩٧٠م .
- خاتمة رائعة لفنون المماليك ، منبر الإسلام ، العدد ١ ، السنة ٣١ – محرم ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

- عبد العزيز سليمان نوار : دكتور
- تاريخ مصر الاجتماعى، مكتبة سعيد رأفت – جامعة عين شمس، الطبعة الرابعة، ١٩٨٥ م .
- عبد اللطيف إبراهيم : دكتور
- وثيقة الأمير أخور كبير قراقجا الحسنى، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة – المجلد ١٨ – الجزء ٢ – ديسمبر ١٩٥٦م، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٩ م .
- من وثائق دير سانت كاترين، ثلاث وثائق فقهية مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، مجلد ٢٥، الجزء الأول، مايو ١٩٦٣ م، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٦٧م.
- نصان جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش، حوليات كلية الآداب – جامعة القاهرة – مجلد ٢٨، ١٩٦٦ م مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٧١ م .

- عبد الله عفيفى : دكتور .
- المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها، ط١، جـ١، مطبعة دار إحياء الكتب العربيـــة، القاهرة ١٩٢١ م ، جـ٢ ، ط ١، المطبعة الرحمانية بـــالخرنفش بمصـــر، ١٩٢٢ م، جـ ٣، (ضمن مجلد يشمل ٣ أجزاء) مطبعة المعارف ١٩٣٠ م .
- عبد الله المراغى: دكتور

الزواج والطلاق فى جميع الأديان - الكتاب الرابع والعشرون ١٩٦٦ م .

- عبد المنعم سلطان : دكتور

المجتمع المصرى فى العصر الفاطمى - دار المعارف ١٩٨٥ م .

- عبد المنعم ماجد : دكتور

- تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى - الطبعة الرابعـــة - الأنجلـــو ١٩٧٨م .
- طومان باى آخر سلاطين المماليك فى مصر - مكتبـــة الأنجلـــو المصريـــة - ١٩٧٨م .
- نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فـــى مصـــر - الجـــزء الأول والثـــانى الطبعة الثانية، الأنجلو ١٩٧٩ م - ١٩٨٢ م .

- عبد المنعم المليجى :

مجمع البدائع فى الفنون والصنائع - الجزء الأول، الطبعة الأولى، المطبعة الأميريـــة بالقاهرة ١٨٩٦ م .

- عزيز مرقس منصور :

أمجاد من تراثنا - الألف كتاب - مكتبة الشرق .

- عصمت عزيز عوض :

صناعة العطور ومستحضرات التجميل، مطبعة العالم العربى، القاهرة ١٩٦٣ م .

- عفيفى البهنسى : دكتور

الفن الإسلامى - الطبعة الأولى - دار طـــلاس للدراســـات والترجمـــة والنشـــر - ١٩٨٦م.

- على إبراهيم حسن : دكتور

نساء لهن فى التاريخ الإسلامى نصيب - النهضة ١٩٥٠ م .

- على حسب الله :
الزواج فى الشريعة الإسلامية – دار الفكر العربى .
- على زين العابدين : دكتور
• بحث عن ملامح بعض مصاغنا الشعبى خلال العصور، مجلة الفنون الشـــعبية – العدد ١٧ – السنة الخامسة – يونيو ١٩٧١ م .
• المصاغ الشعبى فى مصر – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٤ م .
• فن صياغة الحلى الشعبية النوبية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨١م.
- على السيد على : دكتور
• القدس فى العصر المملوكى – الطبعة الأولى – دار الفكر للدراسات والنشـــر بالقاهرة – ١٩٨٦ م .
- على مبارك :
الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشـــهيرة – الجـــزء الثانى – الطبعة الثانية – مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٩ م .
- عيسى سلمان :
الواسطى (يحيى بن محمود بن يحيى – رسام وخطاط ومذهب ومزخرف) مطبعـــة التايمس وزارة الإعلام–السلسلة الفنيةالخاصة التى صدرت بمناسبة مهرجان الواسطى .
- غادة حجازى قدومى :
التنوع فى الوحدة (دار الآثار العربية بالكويت) الطبعـــة الأولـــى، مؤسســـة فـــهد المرزوق للطباعة، الكويت ١٩٨٧ م .
- فريد شافعى : دكتور
• الأخشاب المزخرفة فى الطراز الأموى، مجلة كلية الآداب، جامعـــة القـــاهرة، مجلد ١٤، الجزء ٢، ديسمبر ١٩٥٢ م .
- فؤاد حسنين على : دكتور
• قصصنا الشعبى، الناشر : دار الفكر العربى، مطبعة لجنة التـــأليف والترجمـــة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧ م .
- فؤاد سعودى :
• صناعة الزجاج قديما وحديثا – القاهرة ١٩٥٦ م .

- قاسم عبده قاسم : دكتور
  - النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك الطبعـــة الأولـــى - دار المعارف ١٩٧٨ م .
  - أهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى (دراسة وثائقية) الطبعة الثانيـــة - دار المعارف ١٩٧٩ م .
  - دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك، الطبعة الثانيـة - دار المعارف ١٩٨٣ م .
- قدرية حسين :

  شهيرات النساء فى العالم الإسلامى - دار الكاتب العربى - لا يوجد به تاريخ طبـــع - تعريب عبد العزيز أمين الخانجى .
- محمد أحمد حماده :

  مستحضرات التجميل والروائح العطرية، الناشر مكتبة الهلال، المطبعـــة التجاريـــة الحديثة .
- محمد أمين صالح : دكتور

  دراسات اقتصادية فى تاريخ مصر الإسلامية، عصر الولاة، الطبعة الثانية، نهضـــة الشرق، ١٩٨٠ م .
- محمد جمال الدين سرور : دكتور
  - دولة بنى قلاوون فى مصر - الناشر : دار الفكر العربى - مطبعـــة الاعتمـــاد بمصر ١٩٤٧ م .
- محمد سعيد :

  كنوز الإسلام فى قلب أوروبا (مجلة الدوحة، العدد ١٢٤ إبريل ١٩٨٦ م) .
- محمد شفيق غربال وآخرون :

  الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب، صورة طبق الأصل عن طبعة ١٩٦٥ م .
- محمد عبد الجواد الأصمعى : دكتور

  تصوير وتجميل الكتب العربية فى الإسلام، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢ م .
- محمد عبد الحليم حسن :

  الخشب والنجارة والنجار - الطبعة الأولى- القاهرة مطبعة السماح - ١٩٢٨ م .

- محمد عبد العزيز مرزوق : دكتور
  - حذاؤنا فى العصر الإسلامى – مقالة فى عدد المصـــور الخـــاص بمشـــروع مكافحة الحفاء والفقر – إبريل ١٩٤١ م .
  - الناصر محمد بن قلاون – المؤسسة المصريـــة العامـــة للتـــأليف والترجمـــة والطباعة والنشر – أعلام العرب ٢٨ .
  - طنافس مصر فى العصور الوسطى – مستخرج من مطبوعات جمعية الآثـــار بالإسكندرية – عدد رقم ٥ – ١٩٧٤ م .
  - الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى – الهيئـــة المصريـــة العامـــة للكتاب، ١٩٧٤ م.
- محمد عبده الحجاجى : الأقصر فى العصر الإسلامى .
- محمد عيسى صالحية : دكتور
  من وثائق الحرم القدسى الشريف المملوكية من حوليات كلية الآداب جامعة الكويـــت – الحولية السادسة – الرسالة السادسة والعشرون – ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- محمد قنديل :
  الطرب فى العصر المملوكى – المكتبة الثقافية – الهيئة المصرية العامة للكتـــاب – ١٩٨٤ م.
- محمد مصطفى : دكتور
  - الرنوك المملوكية، مجلة الرسالة، مارس ١٩٤١ م .
  - الكتابة العربية عنصر زخرفى، مجلة عالم الفكر، الجـــزء ١٠ – العـــدد ٣ – الكويت – أكتوبر / ديسمبر ١٩٧٩ م .
  - الوحدة فى الفن الإسلامى .
  - مناظر دينية على التحف الإسلامية – مجلـــة المجلـــة – العـــدد ٤٨ ديســـمبر ١٩٦٠م.
- محمود أحمد الحفنى :
  ثلاثة أعراس أودت بالخزانة إلى الإفلاس – مطابع دار الكتاب العربـــى – المكتبـــة الثقافية، العدد ١٩٩ .

- محمود رزق سليم :
الأشرف قانصوة الغورى – الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- محمود السرجانى :
فى الصاغة، طبع القاهرة، لا يوجد تاريخ للطبع .
- محمود صابر :
الخزف – صناعة وفن وتاريخ – الطبعة الثانية – مطبعة مصر – ١٩٥٠ م .
- محمود محمد الحويرى : دكتور
أسوان فى العصور الوسطى – الطبعة الأولى – دار المعارف ١٩٨٠ م .
- مصطفى جواد :
سيدات البلاط العباسى – بيروت ١٩٥٠ م.
- مصطفى طه بدر :
مصر الإسلامية، الجزء الأول، النهضة المصرية ١٩٥٤ م .
- ميخائيل عواد :
صناعة الصفر، سلسلة الثقافة الشعبية ٣٨، بغداد ١٩٦٢ م .
- ناهده عبد الفتاح النعيمى :
- المرأة فى تصاوير الواسطى – مطبعة تايمس – وزارة الإعلام – العـــراق – السلسة الفنية الخاصة التى صدرت بمناسبة مهرجان الواسطى .
- نجلاء العزى :
الإنسان والعطور، بحث بمجلة الدوحة – العدد ١٢٤ – إبريل ١٩٨٦ م .
- نعمت إسماعيل علام :
فنون الشرق الأوسط فى العصور الإســـلامية – الطبعـــة الثانيـــة – دار المعـــارف بمصر.
- هبة عنايت :
دار الآثار الإسلامية – بمتحف الكويت الوطنى – مجلة العربى – مايو ١٩٨٣ م .
- وزارة المعارف العمومية :
دليل متحف الفن الإسلامى – القاهرة – مطبعة دار الكتب المصرية – ١٩٥٢ م .
- وليم نظير :
الثروة النباتية عند قدماء المصريين– الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر – ١٩٧٠م.

رابعا : الرسائل العلمية :

- أحمد محمد توفيق الزيات :
  الأزياء الإيرانية فى مدرسة التصوير الصفوية علـــى التحـــف التطبيقيـــة، رســـالة ماجستير مخطوطة بكلية الآثار جامعة القاهرة، ١٨٠ رقم ١٣/١٨ .
- زينات طاحون :
  اللباس فى العصر المملوكى، رسالة دكتوراة مخطوطة بكليـــة الاقتصـــاد المـــنزلى، جامعة حلوان، ١٩٧٧ م، برقم ٢١٨٤١ .
- سعيد محمد مصيلحى :
  أدوات وأوانى المطبخ المعدنية فى العصر المملوكى، رسالة دكتوراة مخطوطة بكليـــة الآثار جامعة القاهرة، ١٩٨٣ م برقم ١٢/٢١ .
- فايزه محمود الوكيل :
  أثاث المصحف فى مصر فى عصر المماليك - رسالة ماجستير مخطوطـــــة بكليـــة الآثار - جامعة القاهرة ١٩٨١ م .
- محمود كامل السيد :
  القيم الفنية فى الصندوق الشعبى فى مصر وتطبيقاتها فى أشغال الخشـــب - رســـالة ماجستير مخطوطة بكلية التربية الفنية ١٩٧٢ م، رقم ٤٧٨ .

خامسا : المعاجم اللغوية :

- إبراهيم مصطفى وآخرون :
  المعجم الوسيط، مطبعة مصر، ١٩٦١ م .
- ابن زكريا (أبو الحسين أحمد بن فارس) :
  - معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، الأجزاء مـــن ١ - ٣، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، ١٣٦٨ هـــ .
- ابن سيده (أبو الحسن على بن إسماعيل الأندلسى) :
  - المخصص - تحقيق لجنة إحياء التراث العربـــى فـــى دار الآفـــاق الجديـــدة - بيروت .
  - ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى (٦٣٠ - ٧١١ هـــ) :
    لسان العرب، طبعة مصورة من طبعة دار الكتـــب المصريـــة - الـــدار المصريـــة للتأليف والترجمة .

- أحمد رضا :

معجم متن اللغة، مجلد ٣، بيروت ١٩٥٩ م .

- إمام شوشترى :

فرهنك وازه هاى فارسى درزبان عربى - طهران ١٣٤٧ هـ . ش .

- بطرس البستانى :

قطر المحيط، الجزء الأول والثانى، بيروت، نقلا عن طبعة ١٨٦٩ م .

- الجواليقى :

المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر - مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦١ هـ .

- الجوهرى (إسماعيل بن حماد) :

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - تحقيق أحمد عبد الغفور عطا، الجزء الرابع - دار الكتاب العربى بمصر . الجزء الثانى، طبع مطبعة بولاق ١٢٨٢ هـ.

- الراغب الأصفهانى :

مفردات فى غريب القرآن - فى الجزء الثانى لنهاية ابن الأثير (هامش أيسر) .

- رشيد عطية اللبنانى :

الدليل إلى مرادف العامى والدخيل - بيروت ١٨٩٨ م .

- سعيد الخورى الشرنوتى اللبنانى :

أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد، بيروت ١٨٨٩ م .

- عبد النعيم محمد حسنين : دكتور

قاموس الفارسية - الطبعة الأولى - دار الكتاب المصرى القاهرة، دار الكتاب اللبنانى- بيروت ١٩٨٢ م .

- الفيروز ابادى (مجد الدين محمد بن يعقوب) ٧٢٩ / ٨١٧ هـ .

القاموس المحيط - ٤ أجزاء - الطبعة الثالثة - المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٠١ - ١٣٠٢ هـ .

- كرم البستانى وآخرون :
المنجد فى اللغة والأعلام، الطبعة السـابعة والعشـرون - دار المشـرق، بـيروت ١٩٨٤م.
- مرتضى الحسينى الواسطى (محب الدين أبو الفيض السيد محمد) :
- شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس، الجزء الثانى .
- محمد التونجى :
فرهنك طلائى، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٦ م .
- محمد معين :
فرهنك فارسى ، تهران ١٣٤٤ هـ . ش .
- المقرى (أحمد بن محمد بن على ت ٧٧٠ هـ) :
المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير، الجزءان الأول والثانى فى المجلـد الأول، المكتبة العلمية ببيروت .

سادسا : المراجع المترجمة :

- آدم متز :
الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، الطبعة الثالثة - الجزء الثانى، ترجمـة إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريده، القاهرة ١٩٤٧ م .
- ارنست كونل :
الفن الإسلامى - ترجمة د . أحمد موسى - مراجعة محمود إبراهيـم الدسـوقى - مطبعة أطلس ١٩٦١ م .
- ألفريد لوكاس :
المواد والصناعات عند قدماء المصريين، ترجمة د . زكى إسكندر، محمـد زكريـا غنيم، مراجعة عبد الحميد أحمد، القاهرة ١٩٤٥ م .
- أولج فولكف :
القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة (٩٦٩ - ١٩٦٩ م) ترجمة أحمد صليحـة - الألـف كتاب (الثانى) - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ م .
- بيرو طافور :
رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر الميلادى، ترجمة د . حسن حبشـى - دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م .

- تامارا رايس :
السلاجقة، ترجمة لطفى الخورى، إبراهيم الداقوقى، مراجعة عبد الحميد العلوجـى – مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٨ م .
- جاستون فييت :
القاهرة مدينة الفن والتجارة – ترجمة د . مصطفى العبادى - بيروت ، نيويـــورك ١٩٦٨ م .
- جيمس دبليو الان :
التحف المعدنية (كتاب كنوز الفن الإسلامى) جنيف ١٩٨٥ م .
- دوروثى دريج :
عمل السجاد – ترجمة محمود النبوى الشال – دار نهضة مصر .
- دى شابرول :
دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين، ترجمة زهـير الشـايب (وصـف مصر الدولة الحديثة) الطبعة الأولى، ١٩٧٦ م .
- ديماند :
الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، الطبعة الثالثة، دار المعارف ١٩٨٢ م.
- ستانلى لينبول :
سيرة القاهرة، ترجمة د . حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضـة المصريـة، ١٩٥٠ م .
- غوستاف لوبون :
حضارة العرب، ترجمة محمد عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٥ م .
- كارل بروكلمان :
تاريخ الشعوب الإسلامية – الإمبراطورية الإسلامية وانحلالها – نقله إلى العربيـة د. نبيّه أمين فارس ومنير البعلبكى، ١ ، الطبعة الثالثة دار العلم للملايين، بـيروت ١٩٦١م.
- كرستى، أرنولد، بريجز :
تراث الإسلام، ترجمة وشرح تعليق د . زكى محمد حسن، مطبعـة لجنـة التـأليف والترجمة والنشر، الجزء الثانى، ١٩٣٦ م .

- كريسى هـ . جرونمان :
النجارة العامة، ترجمة عباس عبد القادر، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٧٩ م .
- كلوت بك :
لمحة عامة إلى مصر - تعريب محمد مسعود، الجزء الأول، مطبعة أبو الهول .
- ماير :
الملابس المملوكية - ترجمة صالح الشيتى - مراجعة وتقديم د . عبد الرحمن فهمى - الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢ م .
- ماتيو :
أشغال النجارة المنزلية - الألف كتاب (١٢٥) مكتبة نهضة مصر - القاهرة ١٩٧٥م.
- ناصر خسرو :
سفر نامة (رحلة ناصر وخسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية فى القرن الخامس الهجرى) مصر (من ٤٣٩ - ٤٤٢) (١٠٤٧ - ١٠٥٠) ترجمة د. يحيى الخشاب، الطبعة الأولى - القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٥م .
- وصف مصر :
الحياة الاقتصادية فى مصر فى القرن الثامن عشر، المجلد الرابع، الجزء الأول - الزراعة والصناعات والحرف والتجارة، ترجمة زهير الشايب، مكتبة الخانجى بمصر، ط ١، ١٩٧٨ م .
- وصف مصر :
اللوحات، ترجمة زهير الشايب، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولى، ١٩٨٦ م .
- وليم لين :
المصريون المحدثون، شمائلهم وعاداتهم، ترجمة عدلى طاهر نور - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٧٥ م .

ثانيًا : المراجع الأجنبية :

Abd Ar - Râziq , A .: 1 - Un document concernat le mariage des esclaves au temps Mamluks , JESHO . III / 3 (1970) , PP . 309 - 314 .

- Les Peignes Egyptiens dans L, art de I,Islam, Syria, XLIX (1972)

-La Femme au temps des Mamlouk en Egypte, Le Caire, 1973 .

Abdel-Ai, S.: The Make- up Kits of Ancient Egypte (prism- (7-1984) January / March .

Ackerman, p.: Jewelry In Islamic period A survey of persian Art- Oxford University press, and New York, VOL . 3, chapter 64, pp . 1319- 12 .

Aldred, C.: Jewels of the pharaohs, Italy, 1978 .

Ashtor : L, Evolution des prix dans le proche - orient a la basse - epoque, JESHO . lV (1961) .

Atil, E.: Renaissance of Islam Art of the Mamlouks , Washington, 1981 .

Bahgat, A.: Les Fouilles de Foustât Decouverte d'un four de potier arabe datant du XIVe - sielce - Exirait du Bulletin de L'Institut Egyptien, 5^{e} serie, T. VII.

Bedevian, .A.K.: Illustrated Polyglottic Dictionary of plant Names, Argus and popazian press , Cairo, 1936 .

Belon,p.: Voyage en Egypte du Mans 15A ete Imprime En 1970, L'Institut Francais D Archeologie Orientale Du Caire .

Bourgoin, J.: Arabic Geometrical pattern Design, New York 1973 .

Burkhardt, T.: Art of Islam Language and meaning, World of Islam Festival, First publish, 1976 .

Chirine, a .: Musee d'Art Islamique, egypt .

Combe, Et . Sauvaget , J. et wiet, G .: Repertoire Chronalogique d'Epigraphie Arabe, Le Caire, 1931 - 1950 .

D'Avennes, p . L Art Arabe D'Apres Les Monuments Du Kaire depuis Le VIIeme siecle jusqu'a la fin du XVIIe me siecle III. Tome Albume & Tome Texte (Paris, 1869 - 1877) .

- Arabic Art In color - New York, 1978 .

Devonohire, R.L.: L Egypte Musulmane, Paris, 1926 .

Dopp, P.H.* Le Cire vu por les voyogeurs occidentaux du Moyen Age. (Et Extrait Du Bulletin de la Societe Royale Du Geographie D'Egypte T.XXIII) Le Caire Juin 1950 & T . XXVII, Speteembre , 1945 .

Dozy, R.P.A : Dictionnaire Détaille des noms des vetements chez les Arabs, Amstrdam, 1854 .

Supplément aux dictonaires Arabes, 2 Vols .

Du Ry, C.J.: Die Welt Des Islam, Germany 1970 .

Ebers, G .: Egypt Descriptive, Historical and pigturesque, 2 Vols, London, 1880 - 1883 .

El Beheiry, S .: Les Institutions de I Egypte Au Temps des Ayyubides, lille, France, 1977 .

Gible, H.A.R. and Kramers, J.H.: Shorter Encyclopadia of Islam, Leiden 1953, Leiden, London, 1961 .

Ettinghausen, R.: Arab painting, New York, 1977.

Goitein, S.D.: -A Mediterranean Society, London 1967, Vol. I .

- Studies in Islamic History and Institutions, Leiden, 1968 .

Haldane, D.: Mamluk painting, England 1978 .

Hanotaux, G.: Histoire de la Nation Egyptienne, Tome I, Paris 1931 .

Harff, A.V.: Die pilgerfahrt des durch Italian Syrian, Aegyptien, Arabien, Aethiopien, Nubien, Palastina, die Turkei, Frankreich und Spanien, Coln, 1860 .

Hay, R.: Illustrations of Cairo . London, 1840 .

Herz, M.: Descriptive Catalogue of the objects exhibited IN The National Museum of Arab, Second Edition, Cairo, 1907 .

Huart, CL .: Histoire des Arabes, 1913 .

Jankins, M. and keene, M.: Islamic Jewelry in the Metropolitan Museum of Art, The Metropolitan Museum of Art, New York, 1982

Knauer, E.R.: Marble Jar - Stands from Egypt the Metropolitan Museum of Art, 1980 .

Kuhnel, E.: Arabesque, in the Encyclopaedia of Islam, Vol. I, New Edition, Leiden, 1960 .

- Islamic Arts, London 1970 .

- Islamische schrift kunst, Berlin, 1971 .

Lane - Pool, S.: - The Art of the Saracens, In Egypt, London, 1886 .

- Cairo, Sketches of its History , Monuments and Social life, New York , 1973 .

L Islam dans les collections nationales, Paris, 1977 .

Le tapis d'orient dans les collections Francaises est an supplement special publie par Hali, 1982 .

Marcais, G.: L,Art L, Islam, Paris, 1946 .

Maryon, H.: A History of Technology, Vol. I, London, 1954 .

Mayer, L.a.: Saracenic Heraldy - Oxford .

Mazahéri, A.: La vie Quatidienne des Musulmans Au Moyen Age X^{e} Au XIII Siecle, Paris, 1951 .

Migeon, G.: - Les Arts Musulmans, Paris et Beruxelles, 1926 .

- Manuel D'Art Musluman, Paris, 1927 .

Musess Royaux D, Art Et D'Histoire Guide du visteurs, Cornelia Montgomery - Wyaux, Islamiques - Bruxelles, 1978 .

Papadopoulo, A.: L'Islam et L'Art Musulman, Paris, 1979 .

Quotremere, M. Histoire des Sultans . Mamluks de L, Egypte . Tom I, II, Paris, 1844 - 1854 .

Rashed, H., " Sendouk El Aroussa ou Le Coffre à Trousseau, Egypt Travel Magazine, Juin 1957, No . 34 .

- Mediaeval Egyptian coats of Arms, Egypt Travel Magazine, December 1958, No. 52 .

Raymond, A. et weit, G.: Les Marches Du Carie, Instit Francais D,Archeologie Oriental .

Rice, d.T .: Islamic Art, London 1957 .

Roche Products on the Market, November 1980 .

Sadan, J.: Meubles et Acculturation sous les premiers Califis (Annales Économic Societés civilisations 25 Annee - No 5 - Sptember - October, 1970 .

- Le Mobilier Au proche Orient Medieval, Leiden, 1976 .

Schefer, C.: Le Voyage d'outremer de Jean thenaud, Paris, 1864 .

- Voyage du magnifique et très illustre chevalier Domenico Trevisan, Paris, 1864 .

Shafi, I, F.: Simple Calyx ornament in Islamic Art, Cairo University press, 1956 .

Singer, C. and others : A History of Technology, Vol . 2 . Oxford University, New York, 1955 .

Thompson, J.: The sarre Mamluk and 12 other classical Rugs from the same private collection, :London, 1980 .

Wiet, G.: Inscriptions Mobilieres de I, Egypte Muslumane Journal asitatiqe, 1958, No . CCXLVI .

- Objects en Cuivre, Cataloge General du Musee Arabe du Carie - Le Caire, 1932 .

Youssef, A.A.: Mamluk Woods vessels (prism - Quarterly of Egyptian Culture) 2, 1982 - Cairo, October, Nov. Dec .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تمهيـد :	٥
مقدمـة : الزواج وجهاز العروس حتى عصر المماليك	١٥
الفصل الأول	
مكونات جهاز العروس فى مصر فى عصر سلاطين المماليك	
أولا : الأثاث المنزلى :	٤١
السَرير - البشخاناه - داير البيت - الـدولاب - الأريكة - الدكة - صندوق العروسة - الكرسى - كرسى العمامة .	
المفروشات : اللحاف - المرتبة - المخـدات - الوسادة المرفقـة - المسـورة - المتكأ - المسـند - الحشـايا - الركنية - الستائر .	
ثانيا : أدوات المطبخ :	٨٥
الطشت والإبريق - الصدريـة - الطاسـة - طاسة الخضة - الصحن - السلطانية - السكينة.	
أدوات الغرف : الملعقة والمغرفة - المصفـلة - القدح - القلة - الجرة - الزيـر والكلجة - القربـة - الدلـو - المترد - الصحن - الدسـت - المكيال - السكرجة - المنخـل والغربال - أختـام الكعـك -	

المشنات – السلال – المقاطف –
الرحى – الهاون – عمود الطعام.
الأدوات المستخدمة فى حمل الطعـــام أثنـــاء الأكل : الصينية – الحامل – الرافع .
كرسى العشاء : كرسى الصينية – الســـفرة – الخوان والمـــائدة – الطبليـــة – مناديل الطعام (الفوطة) . ١٣٩
ثالثًا : مفارش الأرض :
الســـجاد – البـــسط – المقـــاعد – الأنخـــاخ – الأنطاع – الحصير . ١٥٧
رابعًا : أدوات الإضاءة :
السرج – المنـــــاير – الشـــماعد – القنـــاديل – التنانير . ١٧٧
خامسا : أدوات التجميل :
الأمشـــاط – المكـــاحل – المرايـــا – قنينـــات العطر – إحقاق الادهان – إحقـــاق الاشـــنان – حجر الخفاف – السواك .
وسائل التجميل : الحنا – الوشـــم (الـــدق) – الحفوف – كرسى الحمـــام – المبخرة – الزهرية . ٢٢٥
سادسا : الحلى :
أنواع الحلى : حلى الرقبة : العقود – اللبـــة – القلائد – الشعاير – الأطواق .

حلى الأذن : القرط – الشنف – حلـــى اليديـــن والرجلين – الأساور – الدماليج .

حلية الساق : الخلخال .

حلية الأنف : الخزام – الحجاب – حلى الـرأس والشعر – الشكمجية .

سابعا : الملابس : ٢٦٣

أنواع الملابس : الملابس الداخلية : المـئزر – القميص – الرفيق – الفوطـــة – العصادية – الكبر – الملابـــس الخارجية – الثوب – الملاءة .

أغطية الرأس : العصابة – الشعرية – الشـــاش – العمامـــة – الشـــــربوش – الطاقية – الطرطور – منديـــل الرأس – البخنق .

الحجـــــب : المقنعة – الطرحة – الـــبرقع – النقاب .

ملابس القدم : الخف – السراموزه – المـــداس – القبقاب – الجوارب .

الفصل الثانى

الفنون والصناعات المرتبطة بالجهاز فى ضوء الحياة الاقتصادية ٣٠٧

– صناعة الخشب .

– صناعة المعادن .

– صناعة الحلى .

- صناعة الزجاج .
- صناعة البللور الصخرى .
- صناعة الفخار .
- صناعة الخزف .
- صناعة العطور .
- صناعة الكحل .
- صناعة الحصير .
- صناعة السلال والمقفف .
- صناعة الجلود .
- صناعة السجاد .
- صناعة النسيج .
- صناعة الخياطة .
- صناعة التجيد .

الفصل الثالث

جهاز العروس فى ضوء الحياة الاجتماعية ٤٠٥

- لمحة عن طبقات المجتمع فى مصر فى عصر المماليك .
- العادات التى تسبق إعداد الجهاز : الخطبة - المـــهر - كتب الكتاب (عقد النكاح) .
- جهاز بنت السلطان - جهاز بنت الأمير - بنت التاجر - جهاز بنات الطبقة المتوسطة - جهاز بنات الطبقة الســفلى - جهاز بنت الفلاح - زفة الحمام - زفة العرس .

الفصل الرابع

دراسة تحليلية للعناصر الزخرفية الموجودة على قطع الجهاز ٤٥٤

- زخارف كتابية .
- زخارف هندسية .
- زخارف كائنات حية .
- زخارف نباتية .
- رنوك .

الفصل الخامس

دراسة وصفية لبعض التحف الموجودة بالمتاحف

والتى من الممكن أن تندرج تحت جهاز العروس ٤٧٧

- خاتمة : ٥٠٢

- اللوحات : ٥٠٦

- المصادر والمراجع العربية والأجنبية : ٥٠٧

أولا : المخطوطات .

ثانيا : المصادر العربية المطبوعة .

ثالثا : المصادر العربية الحديثة .

رابعا : الرسائل العلمية .

خامسا : المعاجم اللغوية .

سادسا : المراجع المترجمة .

سابعا : المراجع الأجنبية .

ALEXANDRINA

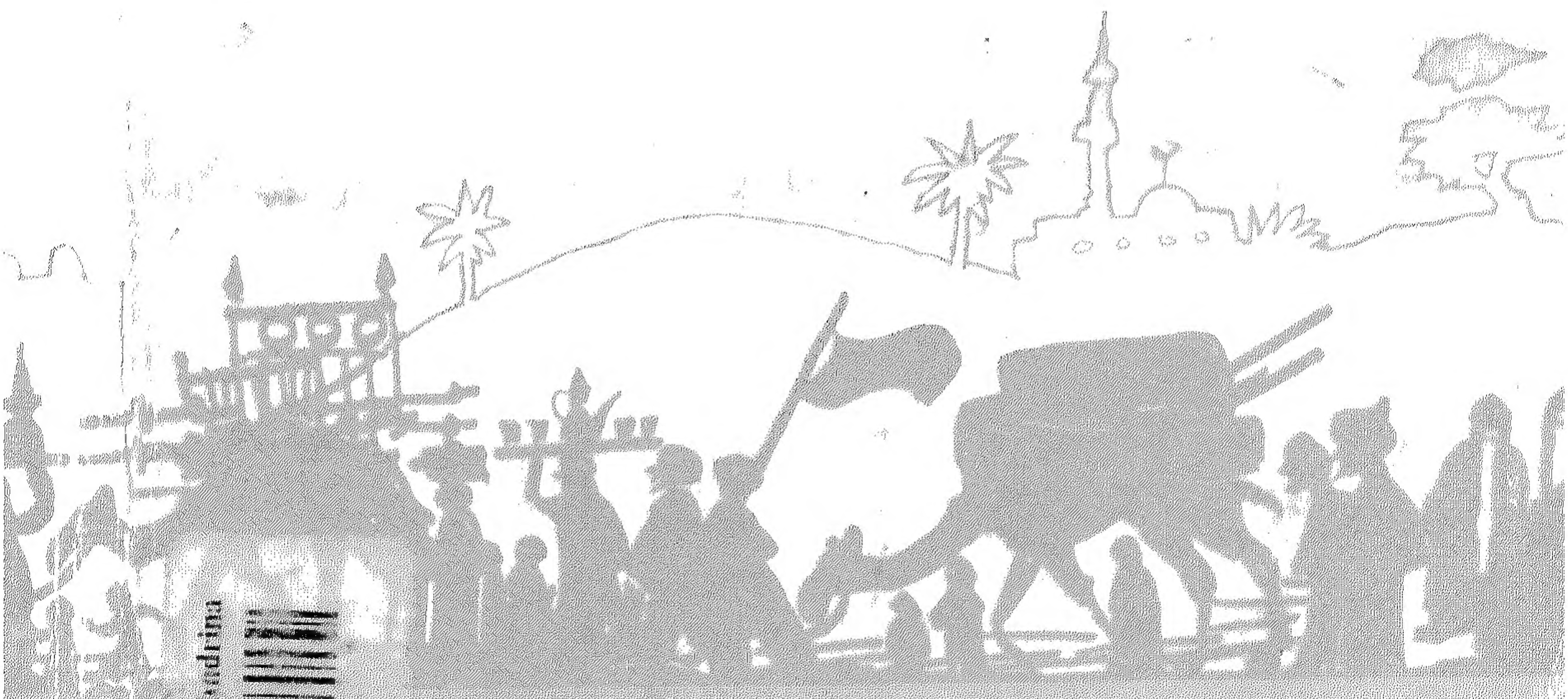

Bibliotheca Alexandrina
0374C41